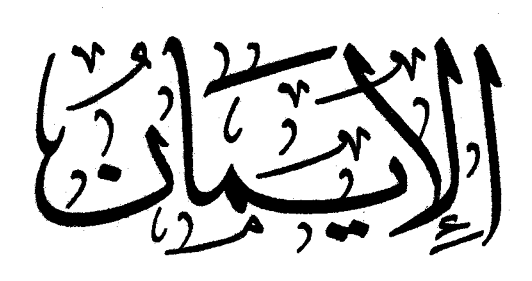


حقيقته، خوارمه، نواقضه

عند أهل السنة والجماعة

موسوعة في الإيمان ومسائله

راجعه وقدم له نخبة من أماثل أهل العلم

تصنيف

عبد الله بن عبد الحميد الأثري



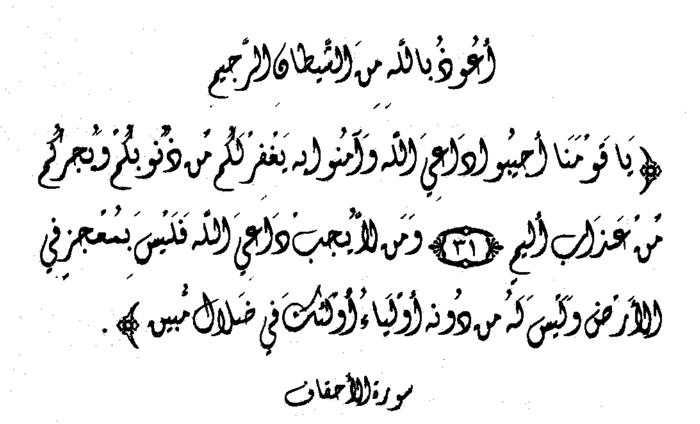


﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾



(اللَّهُمَّ! اجْعَل عَمَلي كُلَّهُ صالِحًا، ولِوَجْهِكَ خالِصًا، ولاَ تَجْعَلْ فِيهِ لأَحَدٍ شيْئًا)

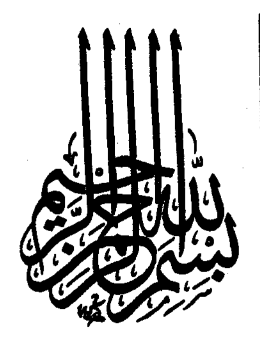
اللهم انفع بهذا الكتاب:
واضعه، وقارئه، وسامعه، وناشره
آمين يارب العالمين



الإيمان

حقيقته، خوارمه، نواقضه

عند أهل السنة والجماعة







رقم الإيداع

٢٠١١/٢٤٢٦



الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد

الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة

موسوعة في الإيمان ومسائله

تصنيف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري.

القاهرة، دار اليسر ٢٠١١م.

١٠٨٧ص، ١٧سم × ٢٤سم.

١- الإيمان (فقه إسلامي).

أ- العنوان

٢٤٣

٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة

الحي الثامن، مدينة نصر، القاهرة.

تليفون: ٠٢٢٤٧٠٩٢٦٩ ٠٠٢

فاكس: ٠٢٢٤٧١٤٨٠١ ٠٠٢

محمول: ٠١٦٢٢٧٦٢٠٨ ٠٠٢

Email: alyousr@gmail.com



حقيقته، خوارمه، نواقضه
عند أهل السنة والجماعة

راجعه وقدم له نخبة من العلماء

من راجع الكتاب وقدم له في طبعته الأولى

سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل

فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

فضيلة الشيخ المحدث عبد الله بن عبد الرحمن السعد

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف

من راجع الكتاب وقدم له في طبعته الثانية

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

فضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن يحيى الحنيني

فضيلة الشيخ محمد راشد بن خالد دوندار القره كويلي

فضيلة الشيخ الدكتور ماهر بن ياسين الفحل

فضيلة الشيخ الدكتور الأمين الحاج محمد أحمد

فضيلة الشيخ الدكتور محمد يسري إبراهيم

مقدمة الطبعة الجديد للمصنف

تقديم العلماء الأفاضل للكتاب

مقدمات الطبعة الجديدة

مقدمات الطبعة الأولى

مقدمة الطبعة الجديدة للمصنف

الحمدُ للّهِ رَبِّ العالمينَ، الرَّحمنِ الرَّحيم، مالكِ يوم الدِّينِ؛ إلهِ الأَوَّلين والآخرينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِهِ الأَمينِ محمَّدِ بنِ عبد الله؛ خاتمِ النبيِّينَ والمرسلينَ، وعلىٰ آلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ، وصَحبِهِ الغُرِّ المحجَّلينَ، الكرامِ الميامينَ؛ الذين هُم قُدوةُ المؤمنينَ والصَّالحينَ والمتَّقين، ومَن والاهُ، ونَصَرَهُ، واهْتَدَىٰ بهَديِهِ إلىٰ يوم الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ: فالحمدُ للهِ القائلِ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فأَحمدُ اللّهَ العليَّ القدير، وأَشكُرُهُ ظاهرًا وباطنًا؛ علىٰ ما أَولاني من نِعَمِهِ العظيمةِ؛ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَىٰ، كما قالَ سبحانهُ وتعالىٰ:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأُثني عليه ـ جلَّ في عُلاه ـ بما هو أَهلُه؛ لا أُحصي ثناءً عليه كما هو أَثنىٰ علىٰ نفسهِ ـ سبحانه ـ فلَهُ الحمدُ وحدَهُ في الأُولىٰ، ولَهُ الحمدُ وحدَهُ في الآخرة، ولَهُ الثَّناءُ، والْمَجْدُ، والعِزَّةُ، والعظمَةُ، والكِبْرياءُ.

ومن هذهِ النِّعَمِ العظيمةِ الجليلةِ، والباقيةِ ـ إن شاء اللّهَ تعالىٰ ـ ما يسَّر لي، وما تفضَّلَ عليَّ به من التَّوفيقِ والسَّدادِ ـ بفضلِهِ ومَنِّهِ وكرمِهِ ـ في تصنيفِ هذا الكتابِ الجليلِ المفيدِ بإذنه تعالىٰ، وهو:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ)

وإنَّه لَكتابٌ جمعَ بين دفَّتَيْهِ جميعَ مسائلِ الإيمانِ، أَو أَكْثَرَها؛ بأُسلوبٍ مَبْسُوطٍ وميسَّرٍ، وترتيبٍ لطيفٍ ومُفصَّلٍ؛ ليستفيدَ منه كلُّ قارئٍ؛ فلا يَصْعبُ علىٰ المبتدئِ، ولا ينزلُ مستَواهُ عن المنتهي؛ لذا لقِيَ قبولاً من القرَّاءِ الكرامِ علىٰ مُخْتَلِفِ طبقاتِهِم؛ مِمَّا أَدَّىٰ إِلىٰ نفادِ طبعتِهِ الأُولىٰ، وكلُّ ذلكَ كانَ بفضلِ اللهِ تعالىٰ، ومنِّهِ وكرمه وإِحسانِهِ.

ومن فضلِ اللهِ تعالىٰ عليَّ أَيضًا - وكانَ فضلُهُ عليَّ عظيمًا - أَن تَعَاقَبَهُ ثناءُ العلماءِ ومقدِّماتُهُم علىٰ الكتابِ؛ مِمَّا شجَّعني لإِعادةِ النَّظرِ فيه من جديدٍ؛ ففي هذهِ الطبعةِ الجديدةِ؛ أَضفتُ إِلىٰ الكتابِ أَبوابًا وفصولاً مهمَّةً، وزياداتٍ وفوائدَ كثيرةً نافعةً، وأَوضحتُ ما رأَيتُ أَنَّه يحتاجُ إِلىٰ إِيضاحٍ، وأَجريتُ فيه بعضَ التَّغيراتِ والتَّقديمِ والتَّأْخيرِ لعباراتِهِ وفقراتِهِ؛ فأَصبحَ الكتابُ بثوبِهِ الجديدِ؛ كشرحٍ مفصَّلٍ ومبسُوطٍ لمتنِ الكتابِ الأَوَّلِ؛ **مع المحافظةِ التَّامَّةِ علىٰ المادَّةِ العلميَّةِ للكتابِ وأَحكامِهِ الشَّرعيَّةِ! التي أَقرَّها العُلماءِ الأَفاضلِ الذين تفضَّلوا بمُراجعتِهِ وتسديدِهِ في طَبْعَتِهِ الأُولَىٰ.**

فالقارئُ الكريمُ: سَيَرىٰ فرقًا كبيرًا في حجمِ الكتابِ بينَ الطَّبعتينِ، وأَرجو أَن يكونَ الكتابُ بثوبِهِ الجديدِ؛ ملائمًا مع اسْمِهِ الجليلِ.

أَمَّا الطبعةُ الأُولىٰ للكتابِ؛ فسوفَ أُبْقيها علىٰ ما هي عليه؛ نظرًا لطلبِ كثيرٍ من العلماءِ والدُّعاةِ الأَفاضلِ الذين رغَّبوا أَن تبقىٰ تلكَ الطبعَةَ كما هيَ، وفي مقدِّمتهِم شيخُنا الفاضلُ؛ العالمُ المحقِّقُ والمربِّي الجليلُ فضيلةُ الشَّيخ عبدُ الرَّحمن بن صالح المحمود - وفقَّهُ اللهُ لكلِّ خيرٍ وحفظهُ من كلِّ سوءٍ وبارك له في عِلْمِهِ وعَمَلِهِ - وذلكَ للحاجَةِ الماسَّةِ إِليهِ لعامَّةِ المسلمين لسهولةِ عباراتِهِ، وقِلَّةِ صفحاتِهِ، وسَمَّيْتُهُ، كما اقترحَ عليَّ شيخُنا الكريمُ:

الوجيزُ في الإيمانِ

حقيقتُهُ، مَسَائِلُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة

وفي الختام أُقدِّمُ شُكْرِيَ الجزيلَ، وتقديرِيَ الكبيرَ، وامتنانيَ العظيمَ - بعد شُكْرِ اللهِ تبارك وتعالىٰ - لكلِّ مَن كانَ لَهُ عليَّ فضلٌ، وأَخُصُّ منهم؛ مَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ له، من مشايخنا وعلمائنا الأَجلاَّءِ الأَفاضلِ في طبعتَيْهِ؛ الذينَ استَفَدتُ كثيرًا من آرائِهم الثَّاقبةِ، ونظراتِهم الموفَّقةِ، وتصويباتِهم السَّديدةِ؛ شَكَرَ اللهُ لهُم جميعًا، ونفعَ المسلمينَ بعلمهم، وباركَ فيهِم - اللَّهُمَّ آمين - وفي مقدِّمتهم:

● مَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ لَهُ في طبعَتِهِ الأُولىٰ:

سماحةُ الشَّيخ العلاَّمةُ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل.

فضيلةُ الشَّيخ العلاَّمةُ عبد العزيز بن عبد الله الرَّاجحي.

فضيلةُ الشَّيخ المحدِّثُ عبد الله بن عبد الرَّحمن السَّعد.

فضيلةُ الشَّيخ الأُستاذ الدكتور عبد الرَّحمن بن صالح المحمود.

وفضيلةُ الشَّيخ الدكتور عبد العزيز بن محمَّد العبد اللطيف؛ أُستاذُ العقيدةِ في جامعةِ الإمام، وهو المتفضِّلُ بمراجعةِ الكتاب.

●● ومَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ لَهُ في طبعَتِهِ الثانيةِ الموسَّعةِ:

فضيلةُ الشَّيخ الأُستاذُ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود.

فضيلةُ الشَّيخ الدكتور ناصر بن يحيىٰ الحنيني.

فضيلةُ الشَّيخ محمَّد راشد بن خالد دوندار القَرَه گويلي.

فضيلةُ الشَّيخ الدكتور ماهر بن ياسين الفحل.

فضيلةُ الشَّيخ الدكتور الأَمين الحاج محمَّد أَحمد.

فضيلةُ الشَّيخ الدكتور محمَّد يسري إبراهيم.

فلهؤلاءِ جميعًا شُكْري الصَّادق، وأَسأَلُ اللهَ تعالىٰ أَنْ يُضاعِفَ لهم المثوبةَ والعطاءَ، ويرفعَ لهم الدَّرجاتِ في العلِّيِّينَ؛ لقاء ما أَسْدَوا، وكفاءَ ما بذَلوا، وأَن ينفعَ المسلمينَ بعلْمِهم؛ إِنَّه سميعٌ مجيبُ الدُّعاء.

كما أَسأَلُ اللهَ الكريمَ - جلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَن يضعَ لهذهِ الطبعةِ الجديدةِ - المزيدة والموسَّعة - القَبُولَ، وأَن يجعلها عملاً خالصًا لوجههِ الكريم، وموافقًا لسُنَّةِ نبيِّهِ الأَمين محمَّدٍ ﷺ، وأَن ينفعَ بها المسلمينَ، وأَن يتقبَّلها منِّي، ويَدَّخر لي ثوابَها؛ ليومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون، ويَغْفِرَ زلاَّتي، وسيِّئاتي؛ إِنَّهُ غفورٌ رحيمٌ كريم.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ؛ علىٰ الهادي البشير، والسِّراجِ المنيرِ؛ نبيِّنا، ومُرشدنا، وقائدنا، وإِمامنا، وقُدوتنا، وحبيِّبنا، وقُرةِ أَعيوننا؛ نبيِّ الرَّحمةِ والملحمةِ مُحَمَّد بنِ عبد الله النَّبيِّ الأُمِّيِّ، وعلىٰ آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، وصَحْبِه الكِرام العِظام؛ اللَّهمَّ آمين.

كتبه

رَاجِي رَحْمَةِ رَبِّهِ الغَفُورِ

عبد الله بن عبد الحميد بن عبد المجيد

آل إسماعيل الأثري العراقي

١ رمضان ١٤٢٧ هـ

ثمَّ راجعته وزدتُ عليه أَشياء ما بين سنة

١٤٣٠ - ١٤٣١ هـ

مقدمات الطبعة الجديدة

مقدمة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن بن صالح المحمود

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور

ناصر بن يحيى الحنيني

مقدمة فضيلة الشيخ الجليل

محمد راشد بن خالد دوندار القره كويلي

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور

ماهر بن ياسين الفحل

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور

الأمين الحاج محمد أحمد

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور

محمد يسري إبراهيم



مقدمة

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أَشرفِ الأَنبياءِ والمرسلين نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين، وبَعْدُ:

فقدْ سَبَقَ أَن كَتَبَ أَخُونا الشيخُ الفاضلُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحميدِ الأَثريّ كتابًا مختصرًا في الإيمانِ؛ سمَّاهُ:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة).

وقد طُبِعَ وانْتَشَرَ ونفعَ اللهُ به؛ نظرًا لسهولةِ عباراتِهِ ووضوحِ مسائِلِه، مع شُمُولِهِ لمسائِلِ الإيمان، والاسْتدلال لها بالأَدلَّة الصَّحيحة.

ثمَّ إنَّ المؤلفَ - وفَّقَهُ اللهُ وسدَّدَه - قام بإِضافاتٍ وزياداتٍ كثيرةٍ علىٰ ذلكَ المختصر؛ حتَّىٰ تحوَّلَ إلىٰ كتابٍ كبيرٍ في الإيمان، جَمَعَ فيه مسائِلَه، وأَطالَ النَّفَسَ في شرحِها، وبيانِ الأَدلَّة، والنقلِ عنِ الأَئمَّةِ العلماء، مع حَواشي كثيرةٍ مُفيدةٍ ونافعة.

وقدِ اطلَّعتُ علىٰ هذا الكتابِ - بعد تلكَ الزِّياداتِ والشُّروح -؛ فوجدتُهُ نافعًا ومُفيدًا لِطُلَّابِ العلْمِ، موضِحًا لكثيرٍ منَ المسائِلِ التي قد تُشْكِلُ علىٰ البعضِ في هذا الباب؛ فجزاهُ اللهُ خيرًا.

وإنَّني أَقْتَرِحُ علىٰ المؤلِّفِ في مقدِّمةِ هذهِ الطبعةِ - المزيدة والموسَّعة - أَن يُبْقِيَ علىٰ المختصرِ كما هو، وأَن يُسَمِّيَهُ:

(الوجيزُ في الإيمانِ: حَقيقتُهُ، ومَسَائِلُهُ، ونَواقضُهُ)

لأَنَّ الحاجةَ ماسَّةٌ إلىٰ هذا المختصرِ النَّافعِ؛ حتَّىٰ يكونَ بين يَدَيْ عامَّةِ المسلمينَ، نظرًا لِقِلَّةِ صفحاتِهِ، وسهولةِ عباراتِهِ.

وعلىٰ هذا! فهُمَا كتابَان:

أَحَدُهما: مُوَسَّعٌ، وهو هذا الكتابُ الكبيرُ الذي نُقَدِّمُ لَه.

والآخر: وجيزٌ، وهو الكتابُ السَّابِقُ الذي سَبَقَ أَن طُبِعَ، وقد قَدَّمْنَا لَهُ - أَيضًا - معَ جُملةٍ من العلمَاءِ.

أَسأَلُ اللهَ تعالىٰ؛ أَن يُجْزِلَ المثوبةَ لمؤلفِ هذهِ الكُتُبِ، وأَنْ يَرزقنا وإِيَّاهُ الإِخلاصَ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ وَسَلَّمَ.

كتبه

عبد الرَّحمن الصَّالح المحمود

أُستاذُ قسمِ العقيدة؛ كُلِّية أُصول الدِّين

جامعةُ الإمام محمَّد بن سعود

٢٠ / ٨ / ١٤٢٧ هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ الدكتور
ناصر بن يحيى الحنيني

الحمدُ للهِ وحدَه، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَن لا نبيَّ بعدَه، وبَعْدُ:

فقد اطلعتُ علىٰ الكتابِ الذي أَلَّفهُ أَخُونا فضيلةُ الشَّيخِ عبدُ اللهِ بن عبد الحميد الأَثريُّ – وفَّقهُ الله لكلِّ خير – وقد عنونَ لَهُ بـ:

(الإيمانُ: حقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

وقد أَلفيْتُهُ كتابًا؛ نافعًا، جامعًا لمسائلِ الإيمانِ وأُصولِهِ، وشاملاً لغالبِ مسائلِ الاعتقادِ التي تحتاجُها عامَّةُ النَّاس.

والكتابُ فريدٌ في بابِهِ؛ حيثُ استطاعَ المؤلِّفُ – وفَّقَهُ الله تعالىٰ – تقريبَ وتسهيلَ مسائلِ الاعتقادِ لعامَّةِ النَّاس؛ بأُسلوبٍ سهلٍ ومُيَسَّرٍ، وهذا أَدعىٰ لانتشارِ عقيدةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، وقبُولها لدَىٰ عمومِ المسلمين.

وتشتَدُّ الحاجةُ لمثلِ هذهِ الكُتُبِ في مثلِ هذهِ الأَزمانِ التي كَثُرَتْ فيها الشُّبُهاتُ، ودُعاةُ الباطل.

فأَسأَلُ اللهَ – عزَّ وجلَّ – أَنْ يَجْزِيَ الشيخَ عبدَ اللهِ الأَثريَّ خيرَ الجزاءَ

علىٰ جُهُودِهِ المشكُورَةِ في نشرِ ونَصْرِ عقيدةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، وعنايتِهِ بالتأْليفِ خاصَّةً؛ حيثُ إنَّ الكتابَ من أَكثرِ الوسائلِ انتشارًا وبقاءً عَبْرَ العُصور.

واللهُ الموفِّقُ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

كتبه

ناصرُ بن يحيىٰ الحنيني

المشرفُ العام علىٰ مركزِ الدِّراساتِ
والأَبحاثِ المعاصرة
وأُستاذُ العقيدةِ والمذاهبِ المعاصرةِ
بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة

٤ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ الجليل
محمد راشد بن خالد دوندار القره كويلي

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسُولنا وحبيبنا محمَّدٍ صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ أَجمعين.

وبَعْدُ: فإنَّ الغاية الأَساسيَّة من خلقنا هي العبوديةُ للهِ - عزَّ وجلَّ - كما قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

والعبوديَّةُ المطلوبةُ هي التي اقترَنَ بها إِخلاصُ الدِّين للهِ وحدَه، وهي المطلوبةُ من البشريةِ جمعاءَ؛ منذُ عهدِ أَبينا آدمَ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - إلىٰ عهدنا هذا، وإلىٰ أن تقومَ السَّاعةُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢.

ولا يُمكنُ إيجادُ هذا الإخلاص إلاَّ بالإيمانِ الصَّحيح الصَّادِقِ الذي أُرْسِلَ الرُّسُلُ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - لِتِبْيَانِهِ، أَو تجديده كُلَّما أَصابَ بنيانَهُ خَلَلٌ من إغواءِ الشَّياطينِ وإضلالهم للبشرية.

إذًا فهذا الإيمانُ الصَّحيح هو أَساسُ الأُسُسِ في الإسلام الحقِّ، وبدونه يُصبحُ الإنسانُ خاسرًا؛ لذا نرىٰ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يُهدِّدُ أعمالَ الإنسان إن لم يكُنْ من أَصحاب هذا الإيمانِ الصَّحيح الصَّادِقِ، ويحسَبُها هباءً منثورًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1].

بل ويُنَزِّلُ أَصحابَها - ولو كانوا من أَصحابِ العلوم الأُخرىٰ - في بعض الآياتِ إلىٰ دركِ الحيوان؛ إذ يقول الله تعالىٰ:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وإنَّ الإيمانَ الصَّحيحَ ليس إلاَّ ما يطابقُ ما بيَّنه لنا الوحيانِ الشَّريفان، وما عداهُ هو مما أَمْلَتْهُ شياطينُ الإنسِ والجنِّ.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥ - ١٧٦.

وإنَّ هذا السِّفْرَ الجليلَ؛ الذي أَلَّفه الأُستاذُ الفاضلُ أَخونا الداعيةُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحميدِ الأَثريُّ - وفَّقَهُ اللهُ تعالىٰ لما يُحبُّه ويرضاه، وبارك فيه، وفي دعوته - والمسمَىٰ بـ:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

لَمِنَ المفيدِ جداً في هذا الموضوعِ المهمِّ الذي نعتبرُه أَساسَ الأُسُسِ؛ حيثُ إِنِّي حينما طالعته بدقَّةٍ، وجدتُهُ مُسْتَوعبًا لجملٍ من مسائلِ الإيمانِ المبْنيةِ بما يُدعِّمُها من القرآنِ والسُّنَّة؛ بعبارةٍ سهلةٍ جذَّابةٍ يستفيدُ منها كلُّ من يريدُ أَن يفهمَ ما هو الأَحقُّ في الموضوع، ويصلُ إِليه.

لذا أَقولُ؛ ليسَ من المبالَغِ فيه إذا قُلتُ: إنَّ هذا السِّفْرَ الجليلَ بأَن يقالَ فيه: إنَّه يخدمُ قضيةَ الإيمانِ - الذي يعيشُ اليومَ كالغريبِ بين تياراتِ الزيغ والإلحاد وجاهلية العلم المعاصر - بشكلٍ مقنعٍ، وإنَّه جهادٌ خالصٌ لنُصرةِ الحقِّ، وترسيخٌ للإيمان الصَّادقِ العميقِ في قلبِ كلِّ مسلمٍ، وتطهيرٌ لما علق بالقلوبِ والأَفكارِ من قذارةِ الشِّركِ، والكُفرِ، والبدعِ، والانحرافِ، والغلوِّ، والإرجاءِ، والافراطِ والتَّفريط.

وإنِّي أُوصي كلَّ الإخوانِ، والأَصدقاءِ، والطُّلابِ؛ باقتناءِ هذا السِّفرِ القيِّم، والاستفادةِ منه.

وأَنا كواحدٍ من تلاميذِ القرآنِ والسُّنَّة، ومن المشتغلينَ بشتَّىٰ العلومِ الإسلاميَّةِ منذُ أَكثرَ من خمس وثلاثين سنةً، ولي مدرسةٌ منذُ ذلكَ الوقتِ داخلَ مدينةِ (وان) في جنوبِ شرقِ تركيا باسم: « المدرسة الشرفية » وبما أَنني مشرفٌ عليها؛ أَقومُ فيها بتربيةِ الطُّلابِ - بحمدِ الله - علىٰ منهجِ

السَّلفِ الصَّالحِ في العقيدةِ والسلوكِ، ومن الكُتُبِ التي نُدَرِّسُهَا : «العقيدة الطحاويَّة» لابن أَبي العزِّ، و«العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الوجيزُ في عقيدة السَّلف الصَّالح» لأَخينا الشيخِ عبد الله الأَثريِّ، وغيرها من الكُتُبِ المهمةِ في عقيدة السَّلف.

ومنذُ أَكثرَ من خمسة عشرَ عامًا لي علاقةٌ وثيقةٌ وعلميةٌ بأَخينا المفضالِ - مؤلِّفِ هذا السِّفْرِ القيِّم - فشهادتي فيهِ منذُ أَن تعارفنا وإِلىٰ الآن - حسبَ ما أَظنُّ ولا نُزكِّي علىٰ الله أَحدًا - أَنَّه من الغيورينَ في دين الله تعالىٰ، والدَّاعين إِليه علىٰ نهجِ السَّلفِ الصَّالحِ «أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة» بالحكمة والاعتدالِ والوسطية.

ويشهدُ لهذا ما قامَ به من قبلُ من الجهدِ المشكورِ في تأليفِ كتابيه النافعين: «الوجيزُ في عقيدةِ السَّلف الصَّالح» و«أَحكامُ وأَنواعُ التَّوسُّلِ المشروع والممنوع»، وأَنَّه لم يدَّخِرْ وسعًا في سبيلِ نشرِ العلمِ الصَّحيح، وإِرشادِ النَّاسِ إِلىٰ ما فيه سعادةُ الدَّارين سواءً بالمالِ، أَو النَّفس.

وإِنَّه كان يجُولُ في كلِّ أَنحاءِ تركيا كداعيةٍ إِسلامي؛ يلتقي بالجماعاتِ الإِسلاميَّة، ويدعو النَّاسَ إِلىٰ العقيدةِ الصَّحيحة، ويزورُ مدارسَ العلم، ويبحثُ عنها كي يُقدِّمَ إِليها الخدماتِ اللازمة؛ ضمنَ ما يسمحُ به الوضع.

فها أَنا أَشكُرُهُ شخصيًا؛ بما لا مزيدَ عليه علىٰ ما بذَلَ من الجُهُودِ نحو مدرستِنا، وما قدَّمه لنا من الخدماتِ العلميَّةِ التي لن نَنْساها، والتي تمكنَّا بفضلها - بعد الله تعالىٰ - من ترسيخِ العقيدةِ السَّلفيَّةِ فيها، وما حولنا من المدارس.

وكنَّا كُلَّما أَحْسَسْنَا بوجودِ حركةٍ دعويَّةٍ وعقديَّةٍ في أَيِّ منطقةٍ من مناطقِ تركيا، وجدنا أَخانا الشَّيخَ عبدَ اللهِ؛ لَهُ قصب السَّبْقِ هنالك، واليد الطُّولىٰ فيها، ولا زال أَخُونا الفاضلُ؛ لا تأْخذُه في الله لومةُ لائمٍ في هذا المِضْمار.

وندعُو الله – العليَّ القديرَ – أَن يمدَّ في عمرِه خدمةً للإِسلام والمسلمين، وأَن يوفقَّه فيما يقومُ به من الْجُهودِ، ويقبَلَ منه تلكَ الخدماتِ القيِّمة، ويجعلها في ميزانِ حسناتِهِ، وخالصًا لوجهِهِ الكريم؛ إِنَّه سميعٌ مجيب.

وصلَّىٰ الله وسلَّمَ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

قدمه

محمَّد راشد بن خالد دُونْدَار القَرَه گويلي

المدِّرسُ في «المدرسة الشرفية» والمشرفُ عليها

إمام وخطيب جامع الشرفية بمحافظة (وان / تركيا) سابقًا

١٦ جمادي الآخر ١٤٢٧ هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ الدكتور
ماهر بن ياسين الفحل

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أَشرفِ الأَنبياءِ والمرسلين نبيِّنا وسيِّدنا ومُرشدنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ هذا الكتابُ القيِّم:

«الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة»

من تأْليفِ أَخينا في اللهِ تعالىٰ؛ العالمُ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحميدِ الأَثريُّ – نضَّر اللهُ وجهه – قد طلَّ علينا بطبعةٍ جديدةٍ أَنيقةٍ، مبسوطًا فيه بيانُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ الصَّحيحةِ في موضوعِ الإيمانِ ومسائله المهمة؛ من غيرِ تحريفٍ، ولا تكييفٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، مع حُسنِ الإسلوبِ، وجودة العبارةِ، وخلوه من التعقيد.

وهذا الكتابُ ليسَ الأَوَّل في بابِهِ! فقد أَلف آخرون مِنَ المعاصرينَ، ومِمَّن تقدمَ وتأَخرَ كُتُبًا عدَّة! لكن يمتازُ هذا الكتاب! أَنَّهُ مؤلفٌ علىٰ طريقةٍ عصريةٍ يفهمها كلُّ أَحدٌ.

وما كانَ لمثلي أَنْ يُقدمَ لمثلِ هذا الكتابِ النَّفيسِ؛ لكنني رأَيتُ أَنَّ بيانَ ما لهذا الكتابِ من أَهميةٍ أَدعىٰ لقبولِهِ، وأَنَّ الإشارةَ لِجُهدِ مؤلفِهِ أَدعىٰ لأَنْ يتقدمَ في الإبداعِ العلمي، وخدمةِ الدِّينِ عن طريقِ نشرِ العلمِ النَّافعِ، والعقيدةِ الصَّحيحةِ.

فأَسأَلُ اللهَ – جلَّ في عُلاه – أَنْ يكتبَ لمؤلفِهِ القبولَ في الأَرضِ، وأَنْ ينفعَهُ بهذا الكتابِ في الدُّنيا والآخرةِ، وأَنْ يُبيِّضَ اللهُ بهِ وجهه؛ يومَ تَبْيَّضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ! وأَنْ ينفعَهُ اللهُ تعالىٰ بهِ يومَ الدِّينِ؛ يومَ تَقِلُّ الحسناتُ وتكثرُ السَّيئاتُ يوم الحسرات.

أَمَّا القارئُ الكريمِ لهذا الكتابِ المباركَ – إن شاءَ الله تعالىٰ – فأُوصيهِ بمزيدٍ من الطَّلبِ، وبمزيدٍ من تعلُّمِ العقيدةِ الإسلاميَّةِ الصَّحيحةِ، وأَنْ يكونَ عالِمًا باللهِ – تباركَ وتعالىٰ – وبأَمره سبحانَه.

قالَ الإمامُ الحافظُ الصَّدوقُ عليُّ بن خشرم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(سمعتُ ابن عيينةَ يقولُ: قالَ بعضُ الفقهاءِ: كانَ يُقالُ: العُلماءُ ثلاثةٌ: عالمٌ باللهِ، وعالمٌ بأَمرِ اللهِ، وعالمٌ باللهِ وبأَمرِ اللهِ.

- أَمَّا العالمُ بأَمرِ اللهِ؛ فهو الذي يعلمُ السُّنَّةَ، ولا يخافُ اللهَ!
- وأَمَّا العالمُ باللهِ؛ فهو الذي يخافُ اللهَ، ولا يعلمُ السُّنَّةَ!
- وأَمَّا العالمُ باللهِ وبأَمرِ اللهِ؛ فهو الذي يعلمُ السُّنَّةَ، ويخافُ اللهَ!

فذاكَ يُدْعَىٰ عظيمًا في ملكوتِ السَّمواتِ).

فإذًا! سعادةُ المرءِ في الُدنيا والآخرة بالعلمِ النَّافعِ المؤدي إلىٰ العملِ

الصَّالحِ، وقيمةُ كلِّ امرئٍ في هذهِ الحياةِ الفانيةِ بما يُحسنه، فكلَّما ازدادَ علمُ المرءِ وقوي إيمانهِ؛ ازدادَ قُربًا من ربِّهِ ومولاه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١).

فكلَّما كانَ الإنسانُ أكثرَ علمًا، وأعلىٰ إيمانًا كانَ أقربُ من ربِّهِ ومولاهُ، وكلَّما قلَّ علمُ الإنسانِ وإيمانِهِ؛ ازدادَ بُعدًا مِنَ اللهِ تعالىٰ.

ومن ثمراتِ الإيمانِ الصَّادقِ؛ الفوزُ بدارِ السَّلامِ، وحصولُ الولايةِ، والنُّصرةُ مِنَ اللهِ جلَّ وعلا، قالَ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

فمن تعلَّمَ العقيدةَ! وازدادَ الإيمانُ في قلبِهِ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يرزقُهُ دارَ السَّلام وهيَ الجنَّةُ، والسَّلامُ: البراءةُ من كلِّ مكروهٍ ومن كلِّ نقصٍ، والعافيةُ والأمنُ الدَّائم، وكذلكَ ولايةُ اللهِ الدَّائمةِ لهم في الدُّنيا والآخرة، ومَن كانَ اللهُ تعالىٰ وليهِ كانَ لَهُ حاميًا ومُعينًا ومسعدًا وناصرًا وملبيًا كلَّ رغباتِهِ، ولو كانت خاطرات لم تصلَ إلىٰ مستوىٰ الطلبِ.

فالعلمُ باللهِ تعالىٰ، وبأسمائِهِ وصفاتِهِ من أعظمِ ما يحصله المرء؛ فمن كانَ باللهِ أعرف كانَ منهُ أخوف، ومَن أصلحَ نفسهُ كانَ ذلكَ من أعظمِ ما يدخره لولدِهِ.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٢٦ – ١٢٧.

قالَ الإمامُ القدوةُ العابدُ عونُ بنِ عبدِ اللهِ الكوفيِّ، رحمهُ اللهُ:

(ما رأيتُ أحداً أعلمَ بتأويلِ القُرآنِ مِنَ القرظي . وقيلَ: كانَ لَهُ أملاكٌ بالمدينةِ، وحصلَ مالاً مرةً، فقيلَ لَهُ: ادخر لولدكَ، قالَ: لا! ولكن أدخره لنفسي عندَ رَبِّي، وأَدخر رَبِّي لولدي، وقيلَ: إِنَّهُ كانَ مجابُ الدُّعوةِ، كبيرُ القدرِ) .

أَسأَلُ اللهَ تعالىٰ أَنْ يستَعملنا في طاعتِهِ، وأَنْ يحسنَ عاقبتنا في الأُمورِ كلِّها، وأَن يُجيرَنا من خزي الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ .

كتبه: ماهر بن ياسين الفحل

أُستاذُ الحديث والفقه المقارن

بكُلِّيَّةِ العلوم الإسلاميَّة / جامعة الأَنبار

وشيخُ دارِ الحديثِ في العراق

١١ / ١١ / ١٤٣٠

من هجرة المصطفىٰ ﷺ

مقدمة
فضيلة الشيخ الدكتور
الأمين الحاج محمد أحمد

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، وعلىٰ آلهِ، وأَزواجهِ، وأَصحابهِ، والتَّابعينَ.

أَمَّا بعدُ: فقد اطلعتُ علىٰ الكتابِ القيِّم:

«الإيمانُ: حقيقتُهُ، خوارمُهُ، نواقضُهُ؛ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ»

من تأْليفِ أَخينا الشَّيخِ الدَّاعيَةِ؛ أَبي محمَّدٍ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحميدِ الأَثريِّ - حفظهُ اللهُ تعالىٰ ورعاهُ - فأَلفيتُهُ كتابًا جامعًا مانعًا؛ شاملاً لكلِّ مواضيعِ الإيمانِ، وما يتعلقُ بهِ من المسائلَ والفروعِ؛ علىٰ منهجِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، في أُسلوبٍ سهلٍ، وعبارةٍ سلسةٍ، وتبويبٍ رائعٍ؛ مؤيدًا ما سطرَهُ فيهِ؛ بالأَدلَّةِ من الكتابِ والسُّنَّةِ والآثارِ، وأَقوالِ الأَئمَّةِ الهُدىٰ المقتدىٰ بهم؛ سلفاً وخلفاً.

فصارَ الكتابُ ردًّا علميًا - غيرَ مباشرٍ - علىٰ الشُّبهِ الَّتي أَثارَها أَهلُ الفِرَقِ الضَّالةِ؛ من المعتزلةِ، والمرجئةِ، والخوارجِ، وغيرِهم، ومَن نَعِقَ بذلكَ من بعدِهم!

نفعَ اللهُ – سبحانه وتعالىٰ – بهِ، وبتواليفهِ الأُخرىٰ، وثقَّلَ بذلكَ موازينَ حسناتِهِ يومَ تطيشُ الموازينَ.

فالكتابُ حَرِيٌّ أَنْ يُقرَّرَ ويُدرسَ لأَبناءِ المسلمينَ.

واللهُ من وراءِ القصدِ، وهو الهادي إلىٰ سواءِ السبيلِ.

كتبه

الأَمين الحاج محمد أَحمد

رئيس الربطة الشَّرعيَّة للعلماء والدُّعاة بالسودان

ورئيس رابطة علماء المسلمين

الخرطوم / السُّودان

لخمس ليال من رمضان ١٤٣١ هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ الدكتور
محمد يسري إبراهيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ؛ شرعَ لنا دينًا قويمًا، وهدانا صراطًا مستقيمًا، وأسبغَ علينا نعمَهُ ظاهرةً وباطنةً.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ؛ خاتمِ النبيِّين، وقائد الغُرِّ المحجلين، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم أجمعين.

أَمَّا بعدُ: فبينَ يديَّ كتابٌ جمُّ الفوائدِ، بديعُ الفرائدِ، سَبكَ فيه صاحبُهُ؛ عقائدَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الإيمانِ، وأركانِهِ، ونواقضِهِ ونواقصِهِ، وما يتعلقُ بمسائلِهِ؛ بعبارةٍ رقيقةٍ، وإشارةٍ دقيقةٍ، وقد جعلَ عمدتَهُ صحيحَ المنقولِ، وصريحَ المعقولِ؛ فوقعَ كتابُهُ موقعَ القَبولِ عندَ أُولي الأَلبابِ وأَهلِ العُقولِ.

ولقد ازدانَ هذا الكتابُ القيِّمُ! بتقريظاتٍ نفيسةٍ، وتقديماتٍ مفيدةٍ؛ تفضلَ بها العلماءُ الفضلاءُ، وطلبةُ العلمِ النُّبلاءُ؛ الذينَ راجعوهُ فسدَّدوهُ، ومن ثمَّ أَثنوا عليهِ فقرظوهُ.

وفَّقَ اللّٰهُ تعالىٰ؛ الشَّيخَ الحبيبَ عبدَ اللّٰهِ بنَ عبدِ الحميدِ الأَثريَّ، ونفعَ بمؤلفاتِهِ؛ القاصي والداني، والعربي والأَعجمي، وجعلَهُ لَهُ ذخرًا؛ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ.

وصلَّىٰ اللّٰهُ وسلَّمَ وباركَ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

كتبه

أَبو عبد اللّٰه محمَّد يُسريٌّ إِبراهيم

باحث بالمركز القومي للبحوث وزارة البحث العلمي؛ القاهرة.

رئيس مجلس إدارة مركز فجر لتعليم اللُّغة العربية لغير الناطقين بها – وزارة التربية والتعليم – القاهرة.

نائب رئيس الجامعة الجامعة الأَمريكية المفتوحة – القاهرة.

نائب رئيس مجلس إدارة معهد تاجان الأَزهري.

باحث مشارك مجمع الفقه الإسلامي؛ جدة.

عضو مجلس أَمناء الهيئة العليا لرابطة علماء المسلمين

القاهرة: ٢٩/ ١٢/ ١٤٣١ هـ

الموافق ٥/ ١٢/ ٢٠١٠ م



مقدمات الطبعة الأولى

مقدمات الطبعة الأولى

مقدمة سماحة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد العزيز العقيل

مقدمة فضيلة العلامة

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مقدمة فضيلة الشيخ المحدث

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرحمن بن صالح المحمود

مقدمة
سماحة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد العزيز العقيل

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ عبدِهِ ورسُولِهِ الأَمينِ نَبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

وبعدُ: فقد اطَّلعتُ علىٰ الرِّسالةِ القيِّمةِ الَّتي أَلَّفها الأُستاذُ الشَّيخُ:

عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأَثَريُّ، وسَمَّاها:

(الإِيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

وقد تَصَفَّحتُها؛ فوجدْتُها قد استوعَبَتْ جملةً من مسائلِ الإِيمانِ، وبيانِ حقيقَتِهِ، ومَراتِبِه، وما يدخُلُ في مُسمَّاهُ، وبيانِ نواقِضِهِ، وما يخلُّ به من قولٍ، أَو عَمَلٍ، وكذلك زيادتُهُ ونَقْصُهُ، والاستثناءُ فيه.

ودَعم كُلَّ مسأَلةٍ بدَليلها، ومَن قالَ بها مِن أَئمَّةِ السَّلفِ المُقتدىٰ بهم.

ولم يتعرَّضْ للمُناقَشَاتِ الخلافيَّةِ؛ الَّتي تُشَوِّشُ علىٰ الإِنسانِ عقيدَتَه.

وقد أَعجَبَني صَنيعُه في هذا المؤلَّفِ المختصَرِ، وحُسْنُ أُسلوبِهِ في تنسيقِهِ.

وإِنِّي أُوصي إِخواني وأَبنائي أَن يستَفيدُوا منه، ويَجْنُوا من ثِمارِهِ؛

لأَنَّه في الحقيقةِ مِمَّا يُرَسِّخُ الإيمانَ في القلوبِ، ويُعِينُ علىٰ الإخلاصِ لعَلاَّمِ الغُيُوب .

ونسأَلُ اللّٰهَ تعالىٰ؛ أَن ينفعَ به الطُّلاَّبَ، ويجعَلَهُ من أَقوىٰ الأَسْبَاب .

قال ذلك الفقير إلى الله

عبد اللّٰه بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

رئيسُ الهيئة الدَّائمة بمجلس القضاء الأَعلىٰ سابقًا

حامدًا لله مصلِّيًا مسلِّمًا علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ

وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين .

١٠ / ١ / ١٤٢٦هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، ونَسْتَغفِرُهُ، وَنَعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنفُسِنا، وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يُضلِل فَلاَ هادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحَدهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ سيِّدُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، قُدوتُنَا وإمامُنَا صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبَارَكَ عَليهِ، وعلىٰ آلِهِ وأَصحابِهِ وأَتباعِهِ وأَعوانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - تولَّىٰ حِفظَ كتابِهِ بنفسِهِ، فقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وحِفْظُ اللهِ تعالىٰ للقرآنِ الكريمِ حِفْظٌ لهذا الدِّين؛ الذي أَصلُهُ وأَساسُهُ الإيمانُ باللهِ وبربوبيتِهِ، وأَسمائِهِ وصفاتِهِ وأَفعالِهِ، وتوحيدُ اللهِ وإخلاصُ الدِّينِ لَهُ، وصرفُ العبادةِ بجميعِ أَنواعِهَا للهِ، والإيمانُ بالقرآنِ وبجميعِ الكُتُبِ المنَزَلة، والإيمانُ بمحمَّدٍ ﷺ وبجميعِ الرُّسُلِ، والإيمانُ باليومِ الآخِرِ والبعثِ بعدَ الموْتِ، والحسابِ والجزاءِ والجنَّةِ والنَّارِ، والإيمانُ بقدَرِ اللهِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

ومن حِفْظِ الله تعالىٰ للقرآنِ الكريم؛ حفظُ السُّنَّةِ المطهَّرَةِ، فهي الوحيُ الثَّاني، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

فاللهُ تعالىٰ حَفِظَ دينَه وكتابَه وسُنَّةَ نبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ، وهيَّأَ الله تعالىٰ الصَّحابةَ – رضوانُ الله عليهم – وقيَّضَهم ووفَّقَهم وهداهم لنصرِ دينِ الله، فحفظُوا كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه ﷺ، وجاهَدوا في سبيلِ الله لإعلاءِ كلمةِ الله، ففتحوا البُلدانَ، وانتقلوا إليها فعلَّموا النَّاسَ دينَ الله، ونشروا الإسلام في مشارقِ الأَرضِ ومغاربها.

ثمَّ تَبِعَهم علىٰ ذلك التَّابعونَ وأَتباعُهم، ومَن بعدَهُم من الأَئمَّة والعلماء، يُحْيُونَ ما انْدَثَرَ من الإسلام ويجدِّدون لهذهِ الأُمَّةِ دينها، ويُبَصِّرُونَ النَّاس بالحقِّ، ويردُّون البِدَعَ والشُّبَهَ والضَّلالاتِ، ويَكْشِفُونَ للنَّاس زَيْفَها، ولبْسَها الحقَّ بالباطل.

والدِّينُ أَصلُهُ، وأَساسُهُ الإيمانُ باللهِ ورسُولِهِ؛ الإيمانُ الصَّحيحُ المبنيُّ علىٰ العلمِ والبصيرة.

هذا المعتقدُ الصَّحيحُ تُبنىٰ عليه الأَعمال، ويُعْصَم به الدماءُ والأَموالُ؛ فمَن صحَّ إيمانُه واعتقادُه صحَّ عملُه، وعُصِمَ دمُه ومالُه، ومَن فسَدَ إيمانُه وعقيدتُه بالشِّركِ، ونواقِضِ الإسلامِ؛ حَبِط عملُه، وصَارَ هباءً منثورًا، وحلَّ دمُه ومالُه، كما قال الله تعالىٰ:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾(٣).

وفي الحديثِ الصحيحِ؛ الذي رواه الشَّيخانِ؛ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ – رضي الله عنه – أنَّ النبيَّ ﷺ، قال:

« لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمُفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلجَمَاعَةِ »(٤).

وفي الحديثِ الصَّحيحِ عن النبيِّ ﷺ، أنَّهُ قالَ:

« مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ »(٥).

وفي الصَّحيحينِ من حديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ – رضي الله عنهما – أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٤) رواه البخاري في: (كتاب الديات) باب «قول الله تعالىٰ: ﴿ أَنَّ النفس بالنفس والعين بالعين ﴾». ومسلم في: (كتاب القسامة) باب «ما يباح به دم المسلم».

(٥) رواه البخاري في: (كتاب الجهاد والسير) باب «لا يعذب بعذاب الله».

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»[١].

وبالإيمانِ الصَّحيحِ؛ تَصْلُحُ المجتمعاتُ في أَعمالها وأَخلاقها وسُلُوكِهَا، وقد دلَّتِ التَّجاربُ؛ أَنَّ صلاحَ أَخلاقِ الأُممِ يتناسَبُ مع صلاحِ عقيدةِ أَفرادِها، وأَنَّ فسادَ أَخلاقِ الأُممِ والمجتمعاتِ يتناسَبُ معَ تَضَاؤُلِ عقيدةِ أَفرادِها وانحرافها.

لقد لَبِثَ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ في مكَّةَ ثلاثةَ عشرَ عامًا يدعُو إِلىٰ التَّوحيدِ والإِيمانِ باللهِ ورسُولِهِ، ويقولُ للنَّاسِ:

«قُولُوا لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ؛ تُفْلِحُوا»[٢].

وكلُّ نبي بعثَهُ اللهُ تعالىٰ؛ يدعُو قومَه بادئَ ذي بَدْءٍ إِلىٰ تصحيحِ العقيدةِ، ويقولُ لهُمْ:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[٣].

كما أَخبرَ اللهُ تعالىٰ؛ عن نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ، وشُعَيْبٍ، وغيرهم؛ كما قال سبحانه وتعالىٰ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [التوبة: ٥]». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند»: ج٢٥، ص٤٠٤ (١٦٠٢٣).

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥. وسورة هود، الآيات: ٥٠، ٦١، ٨٤. وسورة المؤمنون، الآيتان: ٢٣، ٣٢.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢].

ومن ثَمَّ يجِبُ علىٰ الدُّعاةِ والمصلحينَ أن يدعوا أوَّلاً وقبلَ كلِّ شيءٍ إلىٰ إصلاحِ عقيدةِ المجتمعات، ولا يأمروا بإصلاحِ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ! حتىٰ تَصحَّ العقيدةُ، وتَسْلَمَ من شوائبِ الشِّركِ، والبِدَعِ والمحدثاتِ، والخرافاتِ، وعوائدِ الجاهلية.

● ولقد جمعَ أخُونا الفاضلُ: الشَّيخُ عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأثريُّ؛ مُؤلَّفًا في العقيدةِ الصَّحيحةِ، سمَّاهُ:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

ولقد قرأْتُ هذا الكتابَ من أوَّلِهِ إلىٰ أخرِهِ، مع تعديلاتٍ طفيفة.

ولقد أعجَبَني هذا الكتابُ لِمَا لَهُ من المميِّزاتِ؛ التي تؤهِّلُ طباعتَهُ ونشرَهُ بين النَّاس، وترجمتَه إلىٰ اللُّغاتِ الأُخرىٰ.

ومميزاتُ هذا الكتابِ، هي:

١- شمولُ الكتابِ لمسائلِ الإيمانِ والاعتقادِ؛ مثل:

● تعريفِ الإيمان: لغةً وشرعًا.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

● وأَنَّ الأَعمالَ جزءٌ من الإِيمان .

● وبيان مراتبِ الإِيمان، وبيانِ مسمَّىٰ الإِيمانِ، ومسمَّىٰ الإِسلام .

● والتلازم بين الظاهر والباطن .

● والاستثناء في الإِيمان وفي الإِسلام .

● وهل الإِيمانُ مخلوقٌ أَم غير مخلوقٍ؟

● وبيان أَركانِ الإِيمان الستَّة، وهي : الإِيمانُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسُله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشرِّه .

● وبيان نواقض الإِيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة، وأَنواعها من الشِّرك والكفر، والفسق، والنِّفاق، وبيان الأَكبر منها والأَصغر .

● وبيان النواقض الاعتقادية، والقوليَّة، والعمليَّة .

● وبيان التَّكفير المطلق، والتَّكفير المعيَّن .

● وبيان موانع التَّكفير .

● والحكم بغير ما أَنزلَ الله .

● وحكم تارك الصَّلاة .

● وأَسباب ترك الإِيمان والإِعراض عنه .

٢ـ أَنَّه بحثَ هذه المسائلَ وفصَّلها وبيَّن الفروقَ والمشتبهاتِ منها .

٣ـ أَنَّه يَسْتَدِلُّ لهذهِ المسائلِ بالأَدلَّةِ من كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ .

٤ـ أَنَّه أَكثرَ من النُّقولِ عن أَئمَّة أَهل السُّنَّة، والعلماء، والمؤلِّفين أَهل البصيرة، والمعتقدِ السَّليم .

٥- أَنَّه سَرَدَ أَسماءَ المؤلَّفاتِ علىٰ منهج أهل السُّنَّة والجماعة في آخر الكتاب .

٦- أَنَّ عباراتِ الكتابِ ؛ ميسَّرةٌ وسهلةٌ ومبسطةٌ ؛ يفهمُها كلُّ أَحد .

٧- أَنَّهُ لم يتوسَّع في ذكر تفاصيل المسائل ، والخلاف ، والرُّدودِ ، والمناقشات ؛ التي يَكْبُرُ بها حَجْمُ الكتاب ، ويقِلُّ بها انتفاعُ عمومِ المسلمين منه .

● وإنَّني بهذِهِ المناسبةِ ! أَنصَحُ وأُوصي عمومَ المسلمينَ ؛ بقراءةِ هذا الكتابِ ، والاستفادةِ منه .

● كما أَنَّني أُوصي بنشرِ هذا الكتابِ ، وترجمتِهِ إلىٰ اللُّغاتِ الأُخرىٰ .

وأَحسبُ أَنَّ مؤلِّفَهُ ؛ كَتَبَ هذا الكتابَ يُريدُ به وجهَ الله تعالىٰ ، ونفعَ إخوانِهِ المسلمين .

وأَسأَلُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيمِ :

* أَن يجعلَني ، والمؤلِّفَ من الذينَ أَخلَصُوا أَعمالهُم لله تعالىٰ ، وأَرادوا رضوانه سبحانه ، والنُّصح لعبادِهِ ، ونفعَهم ، وتوجيهَهم ، وإِرشادَهم .

* وأَسأَلُ الله - تباركَ وتعالىٰ - لي ، ولعمومِ المسلمينَ الفقهَ في دينه ، والبصيرةَ في شريعته ، والحرصَ علىٰ نشرِ السُّنَّة ، والحذرَ من البدع والمحدثات في الدِّين .

* كما أسألُ الله لي، ولإخواني المسلمينَ، الثَّباتَ على دينه، والإيمان به وبرسُوله ﷺ، والاستقامةَ على ذلك حتى الممات.

إنَّه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه، وصلَّى الله، وسلَّم وبارك على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله، وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

كتبه

عبدُ العَزيز بنُ عبد الله الرَّاجِحي

١١ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ المحدث
عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعينُ، وعليه أتوكَّلُ، وإليه ألجأُ، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ: فإنَّ الإيمانَ بأسماءِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - وصفاتِهِ وكمالِهِ، وإفرادَهُ بالعبادة؛ هو أساسُ الأُسُسِ وأصْلُ الأُصُولِ، قال تعالىٰ:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٩ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[١].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[٢].

والأدِلَّةُ علىٰ هذا الأمرِ كثيرةٌ، وهو معلومٌ منَ الدِّينِ بالضَّرورة.

ولا شكَ أنَّ مَن لم يأتِ به فهو الخاسِرُ دنيا وآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٣].

فيتحتَّمُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يهتمَّ بهذا الرُّكنِ الرَّكينِ والأَصلِ الأَصيل؛ الذي هو مصدرُ سعادته، ورأْسُ مالِه، والقرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ النبويَّة مليئان من التَّنبيه علىٰ ذلك، والأمرِ به.

قال الله تعالىٰ - مذكِّرًا نبيَّه ﷺ بالأَصْلِ الذي بَعَثَهُ من أَجله -: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾[٤].

وهذه الآيةُ الكريمةُ نزلت بعد البعثة بمدة طويلة؛ لأنَّها في سورة مدنية، وهي سورةُ محمَّدٍ ﷺ؛ فمَعَ كونهِ مبعوثًا بهذه الكلمة، وبَقِيَ مُدَّةً طويلةً وهو يدعُو النَّاسَ إليها، ويُجاهِدُ من أَجلها، وهاجَرَ ﷺ من بلدِهِ لتحقيقها، ومعَ ذلكَ؛ فإنَّ الله تعالىٰ يُذَكِّرُهُ بهذا الأَصْلِ العظيمِ الذي هو أَساسُ دينِ الإسلام. قال تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٩ - ٢١.
(٢) سورة العصر، الآيات: ١ - ٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥.
(٤) سورة محمد ﷺ، الآية: ١٩.

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٢].

وفي هذهِ الآياتِ تذكيرٌ للرَّسول ﷺ بالأُصولِ التي بُعِثَ من أَجلِها.

ومن اهتمام إبراهيمَ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - بالأَصلِ الذي خُلِقَ من أجلِهِ وبُعِثَ بسببِهِ أنَّه خافَ أَن يقعَ بما يُنافيهِ؛ فقال كما ذكَرَ الله تعالىٰ عنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

قال أَبو جعفر بنُ جريرٍ في تفسيره: (ومعنىٰ ذلك: أَبعدني وبنيَّ من عبادةِ الأَصنام . . . وقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ يقول: يارب إِن الأَصنامَ أَضللْنَ. يقول: أَزلَلْنَ كثيرًا من النَّاس عن طريقِ الهُدىٰ، وسبيلِ الحقِّ؛ حتىٰ عبدوهُنَّ وكفروا بك)[٤].

وأَخرجَ عن ابن حُميدٍ: ثنا جريرٌ عن مغيرةَ، قال: كان إبراهيمُ التَّيميُّ يَقُصُّ، ويقول في قَصَصِهِ: مَن يأْمَنُ منَ البَلاءِ بعدَ الخليلِ إبراهيمَ حينَ قال: رَبِّي ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾.

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.
(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤.
(٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.
(٤) « تفسير الطبري » ج١٣، ص٢٢٨.

وإبراهيمُ – عليه الصَّلاةُ والسَّلام – هو الذي كسَّر الأصنامَ بيدِه، وهو الذي أرادَ أن يذبحَ ابنَهُ طاعةً لربِّهِ تعالىٰ، وغيرُ ذلك من المقاماتِ العظيمةِ التي قامَها تحقيقًا للتَّوحيد، وقيامًا بواجبِ العُبوديَّةِ للربِّ – عزَّ وجلَّ – ومع ذلك كلِّهِ دعىٰ ربَّهُ – عزَّ وجلَّ – أن يُجنِّبَهُ وبَنيه عبادةَ الأصنام؛ لكثرةِ من وقعَ من النَّاسِ في عبادتها.

وقد أرسَلَ اللهُ – تبارك وتعالىٰ – جبريلَ للنَّبيِّ ﷺ لكي يسألَهُ عن أُصولِ الدِّينِ، وأركانه، وقواعده؛ حتىٰ يتعلَّمَ النَّاسُ ذلك.

أخرجَ البخاريُّ ومسلم [١]؛ من طريقِ أبي حيَّانَ، عن أبي زُرْعَةَ، عن أبي هُريرةَ، قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا للنَّاسِ؛ فأتَاهُ رَجُلٌ، فقالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإيمانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بالبَعْثِ الآخِرِ». قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإسْلامُ؟

قَالَ: «الإسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ».

قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَىٰ السَّاعَةُ؟

قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا؛ إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ العُرَاةُ

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السَّاعة». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان، واللفظ له».

الْحُفَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ؛ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللهُ » ثُمَّ تَلاَ ﷺ :

﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة لقمان]. قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ** » فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ؛ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **هَذَا جِبْرِيلُ؛ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ** ».

وفي روايةٍ عندَ مسلمٍ من طريقِ عُمارةَ – وهو ابنُ القَعْقَاعِ – عن أَبي زُرْعَة، عن أَبي هُريرة، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **سَلُونِي** » **فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ**؛ فَجَاءَ رَجُلٌ... وفي آخر رواية: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **هَذَا جِبْرِيلُ؛ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا، إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا** »[1].

وقد جاءَ هذا الحديثُ – أيضًا – من روايةِ عُمرَ بن الخطاب، وغيرِهِ من الصَّحابة؛ رضي الله عنهم. وهذه القِصَّةُ وقعت في المدينةِ؛ بل جاءَ في رواية [2] من حديثِ عمرَ – رضي الله عنه – أخرجها أَبو عبدِ الله بنُ مندةَ في « الإيمان »[3]، أَن هذه القصَّةَ وقعت في آخرِ عُمْرِ الرَّسُولِ ﷺ .

ومعَ طُولِ هذهِ المدَّةِ ما بينَ بعثته ﷺ وما بينَ وقوعِ هذه القصَّة، مع أَنَّه ﷺ لم يزل منذُ بُعِثَ وهو يُبَيِّنُ الإسلامَ والإيمانَ، ومعَ ذلكَ جاءَ

---

(١) رواه مسلم في « كتاب الإيمان »: برقم (١١).

(٢) صَحَّحَ ابن حجر – رحمه الله تعالىٰ – في « فتح الباري » ج١، ص١١٩ هذه الرواية علىٰ شرط مسلم، وفي هذا بعض النظر. والله تعالىٰ أعلم.

(٣) « كتاب الإيمان » ج١، ص١٤٥ برقم (١٢).

السُؤالُ عن هذهِ الأُصولِ في آخرِ حياته؛ تذكيرًا للأُمَّةِ بأَهمِّيةِ هذه الأُصُولِ، ووجوبِ معرفتها، والعمل بها.

قال عياضُ بنُ موسىٰ، رحمه الله تعالىٰ: (اشتملَ هذا الحديثُ علىٰ جميعِ وظائفِ العباداتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ؛ من عُقُودِ الإيمانِ ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أَعمالِ الجوارح، ومن إخلاص السَّرائِرِ والتَّحَفُّظِ من آفاتِ الأَعمال؛ حتىٰ إن علومَ الشَّريعةِ كلَّها راجعةٌ إليه، ومُتَشعبةٌ منه)[1].

وقال القرطُبيُّ، رحمهُ الله تعالىٰ: (هذا الحديثُ يصلُحُ أَن يُقالَ لَهُ: أُمُّ السُّنَّة؛ لما تَضَمَّنَهُ من جُمَلِ عِلْمِ السُّنَّة)[2].

ولْيُعْلَمْ أَنَّ الاتِّصَافَ بالإيمانِ ليسَ بالأَمرِ الهيِّن؛ لأَنَّهُ ليس كلُّ مَن ادَّعىٰ ذلك صادقًا في دَعْوَاهُ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

وقد بيَّنَ الله تعالىٰ؛ أَنَّ الإنسانَ لا يكونُ مؤمنًا حقيقةً حتَّىٰ يكونَ اعتقادُهُ صَحيحًا وعَمَلُهُ مستقيمًا، قال تعالىٰ:

---

(١)، (٢) انظر: «فتح الباري» ج١، ص١٢٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[١].

أَخرجَ مسلمٌ في « صحيحه » من طريقِ هشام بن عُروَةَ، عن أَبيه، عن سُفيانَ بن عبد الله الثَّقَفيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي في الإِسْلاَمِ قَوْلاً، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: « قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فَاسْتَقِمْ »[٢].

وفي روايةِ التِّرمذيِّ؛ من طريقِ الزُّهْريِّ عن عبدِ الرَّحمنِ بن مَاعِزٍ عن سُفيانَ الثَّقَفيِّ، قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! حَدِّثْني بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: « قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِم . . . » .

قال أَبو عيسىٰ: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح)[٣].

قال القاضي عياضٌ – رحمه الله – كما في شرحِ النَّوويِّ علىٰ مسلمٍ:

(هذا من جَوامع كَلِمِهِ ﷺ وهو مُطابقٌ لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أَي: وحَّدُوا الله وآمنوا به، ثُمَّ استقاموا؛ فلم يحيدوا عن التَّوحيد، والتزموا طاعتَهُ – سبحانه وتعالىٰ – إِلىٰ أَن تُوُفُّوا علىٰ ذلك، وعلىٰ ما ذكرناهُ أَكثرُ المفسِّرينَ من الصَّحابةِ فمَن بعدهم، وهو معنىٰ الحديثِ إِن شاء الله تعالىٰ)[٤].

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ – ٣٢.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب « جامع أوصاف الإسلام ».

(٣) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب « ما جاء في حفظ اللِّسان ».

(٤) « المنهاج شرح صحيح مسلم » للإمام النووي؛ ج٢، ص٩.

وقال أبو فرج بنُ رجبٍ رحمه الله تعالىٰ: (فأَصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلب علىٰ التَّوحيد، كما فسَّر أَبو بكرٍ الصدِّيقُ – رضي الله عنه – وغيرُه قولَه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ بأنَّهم لم يلتفتوا إلىٰ غيره؛ فمتىٰ استقامَ القلبُ علىٰ معرفةِ الله، وعلىٰ خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبَّته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتَّوكُّلِ عليه، والإعراض عمَّا سِوَاهُ؛ استقامت الجوارحُ كلُّها علىٰ طاعته؛ فإنَّ القلبَ هو ملكُ الأعضاء، وهي جُنُودهُ؛ فإذا استقامَ الملكُ استقامت جنودُه ورعاياه...)[1].

قلتُ: والاعتقادُ حتَّىٰ يكونَ صحيحًا؛ لا بُدَّ أَن يكونَ من الكتابِ والسُّنَّةِ، وقد بيَّنَ لنا ربُّنا – عزَّ وجلَّ – في كتابه، وفيما أَوصاهُ إلىٰ نبيِّه ﷺ ماذا يجبُ علىٰ الشَّخصِ أَن يعتقدهُ، والعمل الذي عليه أَن يعملَهُ.

وقد أَلَّفَ أَهلُ العلمِ مُؤَلَّفاتٍ كثيرةً تُبيِّنُ ذلك. ومن هذهِ المؤلَّفاتِ – فيما أَحسب – كتاب: (الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة) لأَخينا الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ عبد الحميدِ الأَثريِّ، وفَّقه الله تعالىٰ.

فقد أَفادَ وأَجادَ، وبيَّنَ ما جاءَ في الكتاب والسُّنَّة؛ فيما يتعلَّقُ بهذه المسائل العظيمة؛ فجزاهُ الله تعالىٰ خيرًا. هذا؛ وأُوصِي إخواني بقراءة هذا الكتاب، والاستفادةِ منه. وبالله التَّوفيق.

وكتب

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

٢٧ / ١٢ / ١٤٢٥ هـ

---

(١) «جامع العلوم والحكم» للإمام ابن رجب الحنبلي؛ ص١٧٩ شرح الحديث الحادي والعشرون.

مقدمة
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحمدُ لله وحدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَن لا نبيَّ بعدَه .

وبعدُ : فهذا كتابٌ مختصرٌ في الإيمانِ ومسائِلِهِ؛ أَعدَّهُ أَخُونا الفاضلُ الشَّيخُ عبدُ الله بنُ عبد الحميد الأثريُّ .

وقد جاء الكتابُ علىٰ غِرارِ كتابيه الموجزين النَّافعين :

« الوجيزُ في عقيدة السَّلف الصَّالح » .

و« أَحكامُ وأَنواعُ التَّوسُّل المشروع والممنوع » .

واللَّذينِ سبق طبعُهُما، وقد قرأْتُ كتابَه هذا :

(الإيمانُ : حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

فألفيتُهُ مختصرًا جامعًا، مُدَعَّمًا بالأَدِلَّة من الكتاب والسُّنَّة، والنُّقول عن أَئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ المعتبرينَ؛ ثمَّ إِنَّه ابتعَدَ فيه عن تفاصيلِ المسائلِ والخلاف فيها، والرُّدودِ والمناقشاتِ التي يَعْتَني بها المتخصِّصُون ونحوهم .

ومن ثمَّ جاءَ كتابُهُ :

١- نافعًا لعمومِ المسلمينَ علىٰ مختلفِ مستوياتهم؛ فهو موجزٌ، وشاملٌ، ومدلَّلٌ.

٢- لا يستغني عن مثله طالبُ العلم؛ إذا أرادَ جمعَ شَتَاتِ هذا الموضوع، وتدريسَهُ وتعليمَهُ للآخرين.

٣- كما أنَّه مناسبٌ جدًا لغير النَّاطقين بالعربيَّة؛ إذا تُرجمَ إلىٰ لُغاتهم؛ لأنَّهم سيجدُونَ فيه من السُّهولة والوضُوح ما يغْني عن المطوَّلات، وصعوبة المناقشات للمخالفين.

فجزىٰ الله المؤلِّفَ خيرَ الجزاء، ونفعَ به وبعلمه، ورزقنا وإيَّاه العلمَ النَّافعَ والعملَ الصَّالح.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وآله وصحبه وسلَّم.

كتبه

عبد الرحمن الصالح المحمود
أُستاذُ قسم العقيدة؛ كُلِّية أُصول الدِّين
جامعةُ الإمام محمَّد بن سعود

٩ شوال ١٤٢٣ هـ



المقدمة



المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، الرَّحمَنِ الرَّحيمِ، مالكِ يوم الدِّينِ، إلهِ الأَوَّلين والآخرين، المتفرِّدِ بالجلال والكمال، والمتنزِّهِ عن الشُّركاء والأَنداد والأَمثال؛ يهدي مَن يشاءُ ويُضِلُّ مَن يشاء، ويفعلُ ما يريد، والذي قسَّمَ خلقَهُ بحِكْمَتِهِ إِلىٰ شقيٍّ وسعيدٍ، وحَبَّبَ إِلىٰ المؤمنينَ الإِيمانَ، وزَيَّنه في قلوبهم، وكرَّهَ إليهم الكُفرَ والفسوقَ والعصيان، وجعلهم من الرَّاشدين.

وأَفضلُ الصَّلاةِ وأَتمُّ التَّسليم علىٰ رسُولهِ الأَمين، الهادي البشيرِ والسِّراجِ المنير، وإِمامِ المؤمنين المتَّقين الصَّادقين الموحِّدين، وسيِّدِ الثقلَيْن المبعوثِ رحمةً للعالمين؛ الذي حقَّق التَّوحيدَ الخالص، وصدقَ مع ربِّه، وعاش حقائقَ الإِيمان والدِّين، وعَلَّمَ أَصحابَه حقيقةَ العلم والإِيمان.

وعلىٰ آلهِ الطيِّبين الطَّاهرين، وصحبِهِ الغُرِّ المحجَّلين، الكرام الميامين؛ الذين نتقرَّبُ إِلىٰ ربِّنا – جلَّ وعلا – بحبِّهم أَجمعين، والتَّابعين العِظام مِنْ بعدهم، والذينَ اتَّبعوهم بإِحسانٍ إِلىٰ يوم الدِّين.

اللَّهُمَّ! علِّمنا ما ينفعُنا، وانْفَعْنا بمَا علَّمتنا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَعُوْذُ بكَ من عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وقَلْبٍ لا يَخْشَع.. آمين.

أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ العقيدةَ الإِسلاميَّةَ الصَّحيحةَ، هي الأَساسُ في هذا الدِّين، وهي المنطلقُ الذي ينطلقُ منه إِسلامُ المرءِ، وعليها تُبنىٰ جميعُ المعارف.

فمَن صحَّتْ عقيدتهُ صحَّ عملُه، ومَن فسدتْ عقيدتُه فسدَ سائرُ عملِهِ! ولا يَصحُّ الدِّينُ، ولا يُقبلُ العملُ عند الله - تبارك وتعالىٰ - إلاَّ بالإيمانِ الصَّحيح الذي تُبنىٰ عليه العقيدةُ الصَّحيحةُ السَّالمةُ من جميع أنواع الشِّركِ وأَشكاله.

وإنَّ الإيمانَ الصَّادقِ بالله - سبحانه وتعالىٰ - له أهميةٌ بالغةٌ في حياةِ المسلم؛ لأنَّ سعادتَه في الدارَيْنِ مبنيَّةٌ علىٰ قوَّةِ إيمانِه بربِّه - عزَّ وجلَّ - وقُربه منه، وصدقه في ذلك؛ فمَن أَطاع اللّهَ تعالىٰ فيما أَمرَ، وآمن به إيمانًا صادقًا، واجتنب ما نَهىٰ عنه وزَجرَ، وقال: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا، آمنَّا وَصدَّقْنَا؛ فقد زُحزح عن النَّارِ، وفاز فوزًا عظيمًا.

كما أَنَّ نجاةَ العبدِ في الآخرة؛ من عذابِ الله الآليم، ومن شديدِ عقابِهِ؛ تكون بالإيمانِ الصَّحيح الصَّادِقِ الذي علَّمنا إيَّاه رسولُه الأَمين ﷺ، وعاشه أَصحابه الكرام - رضي الله عنهم - قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(١).

والإيمانُ بالغيبِ؛ هو أَساسُ التَّسليم التَّامِّ لله تعالىٰ في أَمره ونهيه، وعندما يثبت هذا الإيمانُ الحقُّ في قلبِ المؤمن؛ لا تجده يعترضُ علىٰ أيِّ شيءٍ من الشَّرع المنزل، ولا يصدُّ عنه؛ بل هو في غاية الانقياد والتَّسليم، وتمامِ الانشراح لِشرعِ الله تبارك وتعالىٰ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

والإيمانُ الصَّحيحُ الصَّادقُ الراسخُ في قلبِ العبدِ المؤمنِ؛ هو المحرِّكُ الذي يُقرِّبُ من الله - تبارك وتعالىٰ - ويَجلب وَلايَتَه ورضاه، ويتحصَّن به المؤمنُ من كيدِ أَعدائِه من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، ومن معتقداتِهم الفاسدةِ، وأَفعالِهم القبيحةِ والشَّنيعةِ، وأُسُسُ هذا الإيمان الحقِّ هي:

العلمُ الصحيحُ المستقىٰ من الوحييْن الشريفيْنِ، والإيمانُ بالغيب، والكُفر بالطاغوت، والقيامُ بمقتضىٰ التَّكليفِ الشَّرعِي، والإخلاصُ لله تعالىٰ في العبادة، والصِّدقُ في متابعةِ الرَّسُول ﷺ.

وبهذه الأُسُس الشَّرعيَّةِ الرَّبانيَّة العظيمة؛ تترسَّخُ شجرةُ الإيمانِ في قلبِ المؤمن، وتضربُ جزُوره في الأَعماق؛ ثمَّ يجدُ حلاوتَه ولذَّتَه في قلبه ونفسه، وفي حياته اليوميَّة، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

فجذور شجرةِ الإيمانِ الصَّادق! هي أَركانها الستَّة العظيمة، وساقُها الإخلاصُ لله تعالىٰ ومتابعةُ الرَّسُول ﷺ والتَّسليم له، وفروعُها الأَعمالُ الصَّالحةُ من أَعمالِ القلوبِ والجوارح، وثمراتُها اليانعةُ التي لا حَصْرَ لها؛ هي حياةٌ في القلب، وقوةٌ في الحقِّ والإيمان، ثمَّ يلي ذلك؛ الأَمْنُ، والأَمان والاطمئنانُ، والحياةُ الطيِّبة الكريمة، وسعادةُ الدُّنيا والآخرةِ، وولايةُ الله تعالىٰ وعنايته ورضاه، قال الله تبارك وتعالىٰ:

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤ - ٢٥.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[١].

ولقد كانت الأُمَّةُ الإسلاميَّة في عصر النُّبوةِ علىٰ هذا الإيمانِ الحقِّ الصَّادقِ، والعقيدةِ الحقَّةِ التي جاء بها النَّبيُّ ﷺ عن ربِّه - جلَّ وعلا - وبلَّغها إلىٰ أَصحابه الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - فكانوا بها؛ أَكملَ النَّاس إيمانًا، ويقينًا، وفهمًا، وتبليغًا لهذه العقيدة النَّبويَّةِ، وقد اعتصموا بها صادقين عاملين، وارتبطَ الإيمانُ الصَّادق عندهم بالعمل بديهيًّا، وكانوا يَكرهونَ الابتداعَ في الدِّين، والجدالَ والخصومات والمِراء، وكان هدْيُهُمُ التَّسليم التَّامَّ لِشرعِ الله تبارك وتعالىٰ.

وعندما كُسِرَ بابُ الفتنةِ! بمقتل ثاني الخلفاءِ الرَّاشدين المهدين عمر بنِ الخطابِ - رضي الله عنه -؛ تتابعت الفِتنُ من بعده كقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمة، ثمَّ ظهرت فِرَقُ الابتداع؛ التي خالفت منهجَ الرَّسولِ ﷺ وصحابتِهِ الكرام، وتمزَّق شملُ الأُمَّة بَعْدَها، وأَصبحت شيعًا وأَحزابًا؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ - ٦٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

وكذلك أخبرَ النَّبِيُّ ﷺ بهذه الفتن العظيمة؛ التي يضع الحليم حيران! وما يقع في الأُمَّة من اختلاف، واتِّباع لغيرهم من الأُمم!

فعن الصَّحابيِّ الجليلِ؛ عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالىٰ عنهما - قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ؛ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً؛ كُلُّهُم فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً».

قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**(١).

وعندما حدثت هذه الفِرَقُ في الأُمَّةِ - كما أخبرنا بها الصَّادق المصدوق محمَّد ﷺ - لم يُعدَمِ الخيرُ فيها ولن يُعدَمَ؛ إذ ظلَّتْ فئةٌ مؤمنةٌ صادقةٌ منها متمسِّكةً بالهدىٰ والدِّينِ الحقِّ، وهي - بإذن الله تعالىٰ - ظاهرةٌ إلىٰ قيام السَّاعة، لا يضرُّها مَن خذلها، أو خالفها، أو حاربها؛ وذلكَ مِصْداقًا لبُشرىٰ النَّبِيِّ ﷺ فيهم! حيثُ قالَ ﷺ:

«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذلِكَ»(٢).

ولا شكَّ أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة؛ المقتفينَ أثَرَ الصَّحابةِ الكرام،

---

(١) «رواه الترمذي» في (كتاب الإيمان) باب: «افتراق هذه الأمَّة» وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» ج٢، ص٣٣٤.

(٢) «رواه مسلم» في (كتاب الإمارة) باب: «قوله ﷺ لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين».

والتَّابعين العظام، والذين اتَّبعهمْ بصدقٍ وإخلاصٍ وإحسانٍ إلىٰ قيام السَّاعة؛ هم الطَّائفةُ المنصورةُ، والفِرقةُ النَّاجيةُ؛ القائمةُ علىٰ دين اللهِ الحقِّ؛ علمًا، وعملاً، ودعوةً، ومنهجًا، وسلوكًا، وهم الذينَ عناهم النَّبِيُّ ﷺ بهذه الأَحاديث الشَّريفة المباركة.

ومن هنا! وجبَ علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ مع ربِّه - جلَّ وعلا - الذي يعمل لآخرته، ويخافُ عذابَ ربِّه تعالىٰ؛ أَن يتعرَّفَ علىٰ عقيدةِ هذه الطَّائفةِ المباركةِ؛ التي تلتزم الإسلامَ الحقَّ، والدِّين الخالص.

وعليه - أيضًا - أَن يعرفَ الإيمانَ الذي آمنوا به، وعَمِلُوا بهذا الإيمان، وأَن يعرفَ حقيقتَه، ومُسمَّاه، ومراتِبَهُ، وشُعَبَهُ، وخوارِمَهُ، ونواقِضَهُ، وموانِعَهُ، وأَركانَهُ السِّتَّة: الإيمانُ باللهِ تعالىٰ، وملائكتِهِ، وكتُبِهِ، ورسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقدرِ خيرِه وشرِّه؛ لأَنَّ الإيمانَ بهذه المغيَّباتِ أَساسُ هذا الدِّين العظيم، فإنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - لا يقبل إيمانَ الذي يجحدُ أَحدَها؛ حتَّىٰ يؤمنَ بها جميعًا.

فالمسلم الصَّادق يجب عليه فهم هذا الإيمان الحقِّ! لأَنَّ الخطأ في فهم اسمِ الإيمان وحقيقتِه؛ ليس كالخطإِ في اسم مُحْدَثٍ، ولا كالخطإِ في غيره من الأَسماء الشَّرعيَّة؛ لأَنَّ أَحكام الدُّنيا والآخرة - من استحقاقِ الجنَّة والنَّار، والسَّعادةِ والشَّقاوةِ، والموالاةِ والمعاداةِ، والقَتْلِ والعِصْمَةِ - متعلِّقةٌ باسمِ الإيمانِ، والإسلامِ، والكُفْرِ، والنِّفاقِ، والشِّرْك.

فمسأَلةُ الإيمانِ الحقِّ! من أَهمِّ مسائلِ العقيدة الإسلاميَّة؛ بل هي الأَصلُ لجميع مسائِلِها، ويترتبُ عليها جميعُ الأَحكامِ الشرعيَّةِ في الدُّنيا وفي الآخرة؛ فعلىٰ أَساسِ الإيمانِ انقسمَ النَّاسُ فريقين: فريقُ أَهلِ الإسلامِ

والإيمان الصَّادق، وفريقُ أهلِ الكفرِ والشِّركِ والضَّلال، ولكلِّ فريقٍ أحكامٌ وأحوالٌ في الدُّنيا والآخرة، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٢].

ولذا! إنَّ دعوةَ الإيمانَ الْمُجرَّدةِ من الإستجاب لأوامر الله تعالىٰ بإيمانٍ وصدقٍ! لا تُقبل عند الله تعالىٰ ألبتَّةَ؛ إن لم تَكُنْ صادقةً حقًّا، وخالصةً لوجهه الكريم، ولسُّلطانه العظيم، ويَتْبَعُها عملٌ صالحٌ؛ موافقٌ لسُنَّةِ نبيِّه الأمين ﷺ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢١ .

(٢) سورة القلم، الآيتان: ٣٥ – ٣٦ .

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١ – ٧ .

ولما كَثُرَ كلامُ النَّاسِ في حَدِّ الإسلامِ والإيمانِ، ونتجَ عن ذلك الجدالُ والخصوماتُ الكثيرةُ - قديمًا وحديثًا - وزلَّت به الأقدامُ؛ فضلُّوا وأضلُّوا؛ ثمَّ ذهبَ الرِّجالُ وبقيَ الجدالُ، ولا يزالُ باقيًا - إلىٰ ما شاء الله - يُهدِّدُ وحدةَ الأُمَّة، ويهزُّ كيانَها! والله المستعان.

ومن هذا المنطلق العظيم الجليل! نظرتُ إلىٰ حالِ المسلمِ المعاصرِ اليومَ! - مع قلَّةِ الهِمَم وبُعد النَّاس عن علوم الدِّين - فإذا هو يحتاجُ أن تتيَسرَ لَهُ العلومُ الإسلاميَّةُ علىٰ طريقة أهل السُّنَّةِ والجماعةِ المحضَة.

لأنَّ مخاطبةَ العوامِّ بلُغةِ عصرهم[1]، وعلىٰ مستوىٰ فهمهم، وإنزالَ عُقولهم منازلَهَا، والتعرُّفَ علىٰ مداخل نفوسهم؛ من الوسائل والأسباب المهمَّة لهدايتهم بإذنِ الله - تبارك وتعالىٰ - وهذا ما يُقرُّه الدُّعاةُ العالمون العاملون في السَّاحةِ الإسلاميَّة، وذلك من خلالِ تجربتهم مع دعوةِ عوام النَّاسِ، وقُربهِم منهم، ومخاطبتِهم إيَّاهم عن كَثَبٍ، ولنا في سيرةِ إمامِ الدُّعاة محمَّد ﷺ شواهدُ كثيرةٌ علىٰ ذلك لمن أرادَ الإنارَة.

فهم يحتاجونَ إلىٰ تعريفٍ ميَسَّرٍ للإيمان ومفهومِهِ وحقيقتِهِ وحدِّهِ، ومتىٰ يُطلقُ الإيمانُ، ومتىٰ يُمنع إطلاقُهُ، ومتىٰ يتطابق لفظُهُ مع الإسلام، ومتىٰ يفترقان! وأيُّهما أشمل؟ وما هي أركانُهُ، ودرجاتُهُ، وشُعَبُهُ، ومراتِبُهُ، وصفاتُ أهلِهِ، ونعمُهُ، وفوائدُهُ، وثمراتُهُ، وخوارِمُهُ، ونواقضُهُ ومُبْطلاتُهُ التي تُزيلُ حُكْمَه وتُبْطِل أثره؟ فقد يرتدُّ أحدُهم عن الدِّين من حيثُ لا يشعر! وما هي أسبابُ تركِ الإيمانِ، والإعراضِ عنه؟

---

(١) مع المحافظة علىٰ ثوابت اللُّغة، وعدم التوسع في العبارات العلمية؛ بحيث تحتمل كثيرًا من المعاني عندهم.

وكذلكَ يحتاجونَ - أَي شبابُ الصَّحوة المباركة - إلىٰ معرفةِ بعضِ التعريفاتِ والقواعدِ والمصطلَحاتِ العلميَّةِ المُتَداوَلة عند أئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ كتعريفِ الرِّدَّة، وتعريفِ الكُفر، والشِّرك، والنِّفاق، والفِسْق، والظُّلم، والهوىٰ، والموالاة والمعاداة؛ وبيانِ الأَكبرِ منها والأَصغر.

وبيانِ موقفِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ من مسأَلةِ التَّكفير عامةً، وبيانِ خطورَةِ تكفير المسلم، وما هي ضوابطُهُ، وموانعُه؛ من العجزِ، والجهلِ، والخطإِ، والتأْويلِ، والإكراهِ، والتَّقليدِ، وكذلك بيانِ خطورَةِ عدم التَّفريق بين المطلق والمعيَّن في التَّكفير، وعدم التَّكفير المطلق - أيضًا - وما خطره علىٰ إيمانِ المسلم، وكذلك عدم التردُّدِ في تكفير الكفَّار، واعتبارُ الظَّاهر في مسأَلة الكُفر والإيمان، وما هي عقيدة الوعدِ والوعيد، وإلىٰ غير ذلك من المصطلحاتِ العلميَّة، وقواعد ومفاهيم شرعيَّة.

فاستعنتُ باللهِ - عزَّ وجلَّ - وجمعتُ ما أَمكنَ لي جمعَهُ من المسائل التي تتعلَّق بالإيمان، وما تفرع منه علىٰ طريقة أَهل السُّنَّة والجماعة، وكلُّ ذلك من كتابِ اللهِ العزيز الحميد، وسُنَّةِ نَبيِّه الكريم الأَمين محمَّد ﷺ، وأَقوالِ أَعلامِ أَئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة المُعْتَبَرين.

واجتهدتُ في عَرْض المسائل علىٰ ضوء توفير المادَّة العلميَّة، وعَرْضِها بإختصارٍ مع سَلاسَة الأُسلوبِ والعبارةِ، واختيارِ التَّبويبِ المناسبِ؛ لكي تكونَ قريبةً من مداركِ عامَّةِ النَّاس، ولا يصعبَ فَهْمُها عليهم؛ وحتىٰ تكون سببًا لقراءتِهم، ثمَّ لهدايتِهم بإذن الله تبارك وتعالىٰ.

والتزمتُ - أيضًا - الأَلفاظَ الشرعيَّةَ المأْثورةَ عن أَئمَّةِ أَهل السُّنَّة والجماعة قدرَ الإمكان والاستطاعة.

وحرصتُ أَن يكونَ هذا الكتاب؛ رسالةً علميَّةً ميسَّرةً، ودليلاً صحيحًا واضحًا للمسلمِ المستقيم الصَّادق - أَو المهتدي حديثًا - إلىٰ طريق الحقِّ، وجنَّة النَّعيم، ورضوان الله تعالىٰ؛ وعونًا له لتحصيل مُجْمَلِ عقيدةِ أَهلِ السُّنَّة والجماعة في مسأَلة الإيمان، وما يتعلق بها.

وتركتُ جميعَ عقائدِ المخالفين لأَهلِ السُّنَّة والجماعةِ! مِنَ الفِرَقِ الضَّالَّةِ المُنْحَرِفة، أَو المبتدِعَة؛ حتىٰ لا يُكدِّرَ أَقوالهم علىٰ العامَّةِ! صفوة عقيدتهم وفطرتهم، ويُلبِّسَ عليهم الأَمر! فيضطربَ عندهم الفَهمُ الصَّحيح لمسأَلةِ الإيمان الحقِّ، وذلك لكثرةِ شُبُهاتِهم التي هي من خُطوات الشَّيطان؛ لردِّ طالبِ الحقِّ عن الحقِّ، ولكي ينهلوا - أَيضًا - العلم من منبعِه الصَّحيح؛ كما كان الأَمرُ في الصَّدرِ الأَوَّلِ من هذه الأُمَّة المعصومة، وقبل الافتراق!

رغم أَنِّي أَعلم! أَنَّ التَّطرُّقَ لموضوعِ الإيمانِ ليس بأَمرٍ سهلٍ وهيِّنٍ، وخصوصًا مع قلَّةِ الباع - والله المستعان وعليه التُّكلان - ولكنِّي توكَّلتُ علىٰ اللهِ تعالىٰ؛ آملاً منه - عزَّ وجلَّ - أَن يجعلَ لي مخرجًا، ويوفِّقني للحقِّ والسَّداد؛ كما دلَّنا علىٰ ذلك الأَمرِ كتابُ اللهِ الكريم، وسُنَّة رسوله الأَمين محمَّد ﷺ، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

وقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ! تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1].

ثمَّ بذلتُ ما في وسعي ليكونَ هذا الكتاب المبارك - إن شاء الله -؛ موسوعة في الإيمان ومسائله؛ قد استوعَبَ ما يحتاجُه المسلمُ المعاصر من عقيدتِه في موضوع الإيمان، وما يتعلق به، وبمسائله وفروعه.

ولا أَدَّعي أنَّني وصلتُ بهذا العمل إلىٰ المطلوب، ولا أَقول الكمال! ولا سيَّما أنِّي مسبوقٌ بأئمَّةٍ كِبارٍ قد كتبوا في بابِ الإيمان؛ فأَجادوا وأَفادوا؛ فجزاهم الله عنَّا، وعن المسلمين خير الجزاء.

ولكنِّي أُؤمل أَن أَكونَ قد وفِّقتُ - إن شاء الله - إلىٰ ما سعيتُ إليه، وقرَّبتُ الموضوعَ، وسهَّلتُ عباراتِه في هذا الكتاب الذي سمَّيته:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ)

هذا هو جُهد المقلِّ؛ فإن وفِّقتُ وأَصبتُ الحقَّ المبين، فمِن الله - تبارك وتعالىٰ - وحده لا شريك له، وهو الموفِّق والمسدِّدُ؛ سبحانه وتعالىٰ.

وإن أَخفقتُ وأَخطأْتُ وزللْتُ؛ فمِن نفسي، وعجزي، وقلَّة حيلَتي.

وأَعوذُ بالرَّحمن - جلَّ في عُلاه - من الشَّيطانِ والخذلان.

وأَحسن الله - تبارك وتعالىٰ - لمن يدلُّني علىٰ نقْصٍ، ولم يَبخلْ عَلَيَّ، ونبَّهني إليه مَشكورًا مأْجورًا.

---

(١) «رواه الترمذي» في (كتاب الزهد) باب: «في التوكل علىٰ الله» وصحَّحه الألباني.

كما أَشكرُ كلَّ مَن كانَ لَهُ فضْلٌ علَيَّ؛ مِنْ إِبْدَاءِ رَأْيٍ، أَو مُراجَعَةٍ، أَو نَصِيحَةٍ، أَو دُعَاءٍ؛ فجزاهم الله خيرًا.

وأَسالُ اللَّهَ - تبارك وتعالىٰ - أَن يُثبِّتنا علىٰ الإيمانِ الحقِّ، ويُحبِّبه إِلينا، ويُزيِّنَ قلوبنا به وبنعمه، وأَن يغرسَ فيها شجَرتَه؛ كيْ نجنيَ من ثماره، ونذوقَ حلاوةَ الإيمان الصَّادق، ونجدَ فيها طعْمَ الحياة بالإيمان، ويُكْرِمَنا بالعيش في ظلاله.

وأَسألُهُ - جلَّتْ قدرته - أَن يعصمنا من الشَّيطان الرَّجيم، وأَن يُعيننا عليه، وعلىٰ مكره، وكيده، وشُبُهاتِه، وخُطُواتِه وخَطَراتِه؛ بحوله وقوَّته.

وصلَّىٰ اللَّهُ وسلَّمَ وبارك؛ علىٰ الهادي البشيرِ، والسِّراجِ المنيرِ؛ نبيِّنا، وقائدِنا، وإمامِنا، ومرشدِنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين.

كتبه

رَاجِي رَحْمَةِ رَبِّهِ الغَفُورِ

أَبوُ مُحَمَّدٍ

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ

آلِ إِسْمَاعِيلَ الْبَزَازُ الأَثَرِيُّ ثمَّ العِرَاقِيُّ

نزيلُ اصطنبولَ؛ عَفَا اللهُ عَنْهُ

١٦ ذُو الْحِجَّةِ ١٤٢٢ هـ

حقيقة الإيمان

عند أهل السنة والجماعة

حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- تعريف الإيمان.
- علاقة الإيمان بأَعمال الجوارح.
- إجماع أَهل السُّنَّة والجماعة علىٰ تعريف للإيمان.
- زيادة الإيمان ونقصانه.
- أَسباب زيادة الإيمان، وأَسباب نقصانه.
- شُعب الإيمان.
- مراتب الإيمان.
- قولُ أئمَّةِ أَهل السُّنَّة والجماعة في مسمَّىٰ الإيمان.
- الإستثناء في الإيمان.
- الإستثناء في الإسلام.
- الإيمان والإسلام.
- التلازم بين الظاهر والباطن.
- أَركان الإيمان.
- نعمة الإيمان، وثمراته.
- فوائد الإيمان، وثمراته.
- من صفات أَهل الإيمان.

تعريف الإيمان

الإيمانُ في اللُّغةِ: الإيمان لغةً له معنيان:

أوَّلاً- «**الأَمْنُ**»: أَصلهُ طمأْنينة النَّفسِ وزوال الخوف من قلب العبدِ. أي: إعطاءُ الأَمان والطمأْنينة الَّذي هو ضدُّ الخوف. وآمنته: ضدُّ أَخفته.

قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[1].

فآمنَ، أي: أَصبحَ داخلاً في الأَمنِ والسَّلامَةِ. واستأْمَنَهُ، أَي: أَدْخَلَهُ في أَمَانِهِ. والأَمنة والأَمانة: نقيض الخيانة والغدرِ.

وسُمِّي المؤمن مؤمنًا؛ لأَنَّهُ يؤمن نفسه من عذاب الله - جلَّ وعلا - في الدَّارين، ومنه اسم الله عزَّ وجلَّ: «المؤمن»؛ لأَنَّه - سبحانه وتعالىٰ - أَمنَ عبادَه أَن يَظلمهم.

ثانيًا- «**التَّصديق**»: أَي: الَّذي يُصدِّق قولَه بالعمل، والأَصلُ في الإيمانِ الدُّخول في صدق الأَمانة التي ائتمنهُ الله تعالىٰ عليها؛ فإذا اعتقد التَّصديق بقلبه كما صدَّق ذلك بلسانه؛ فقد أدىٰ الأَمانة؛ أي: هو مؤمنٌ.

وإذا قالَ العبدُ: آمنتُ باللهِ تعالىٰ ربًّا؛ أي: صدَّقتُ به سبحانه. والمؤمن مبطنٌ من التَّصديق؛ مثل ما يظهر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[2].

---

(١) سورة قريش، الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

ومَن لم يعتقد التَّصديق بقلبه؛ فهو غير مؤدٍّ للأَمانةِ التي ائتمنه الله تعالىٰ عليها، أَي: هو منافقٌ! قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾(١).

والتَّصديقُ كما يكون بالقلب؛ يكون باللِّسانِ والجوارح أَيضًا!

قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

(الايمان هو التَّصديق، ولكن ليس التَّصديق المجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له! ولو كان مجرد اعتقاد التَّصديق ايمانًا لكان إبليس، وفرعون وقومه، وقوم صالح، واليهود الذين عرفوا أَنَّ محمَّدًا رَسُول الله ﷺ كما يعرفون أَبنائهم مؤمنين مصدقين! فالتَّصديق إنَّما يتم بأَمرين: اعتقاد الصِّدق، ومحبَّة القلب وانقياده)(٢).

والتَّصديقُ يتضمَّن الأَمنَ والأَمانَ. وقيلَ: هو التَّصديق للأُمورِ الغائبة، أَي: بما غاب قولاً كان، أَو فعلاً. ولهذا قال إخوةُ يوسفَ – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – لأَبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾(٣).

أَي: لا تقرُّ بخبرنا، ولا تثقُ به، ولا تطمئنُّ إليه، ولو كنَّا صادقين.

إذن! الإيمانُ لغةً لهُ معنيان حسب الاستعمال؛ الأَمن والتَّصديق، والمعنيان متداخلان(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٥.

(٢) «كتاب الصَّلاة» ص١٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٤) انظر معاجم اللُّغة؛ مادة (أَمن): «تهذيب اللغة» للأزهري؛ ج١٥، ص٥١٣. و«الصحاح» للجوهري؛ ج٥، ص٢٠٧١. و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي، ص١٥١٨. و«لسان العرب» لابن منظور، ج١٣، ص٢١ – ٢٧. و«مختار الصحاح» للرازي، ص١٨. و«مفردات أَلفاظ القرآن» للأَصفهاني، ص٩٠. و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير، ج١، ص٦٩ – ٧١.

● ولشَيخِ الإسلام ابنِ تيميَّة - رحمه الله تعالىٰ - رَأْيٌ في معنىٰ الإيمان اللُّغوي، وهو من آرائهِ السَّديدة، واختياراتِه الموفَّقة؛ حيث أَدخلَ معنىٰ « **الإقرار** » في الإيمان؛ لأنَّه رأىٰ أنَّ لفظة « أَقرَّ » أصدقُ في الدلالة والبيان علىٰ معنىٰ الإيمان الشَّرعي من غيرها؛ لأُمورٍ وأَسبابٍ ذكرَها ثمَّ ناقشها بالمعقول، وردَّ بتحقيقٍ علميٍّ رصينٍ قولَ مَن ادَّعىٰ: أنَّ الإيمانَ مرادفٌ للتَّصديق، وذكر فروقًا بينهما؛ تمنع دعوىٰ التَّرادف.

قال رَحمهُ الله: (فكان تفسيره - أَي الإيمان - بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التَّصديق، مع أنَّ بينهما فرقًا)[١].

وقالَ أيضًا: (ومعلومٌ أنَّ الإيمانَ هو الإقرار؛ لا مجرَّدَ التَّصديقِ. والإقرار ضمن قول القلبِ الذي هو التَّصديقُ. وعمل القلبِ الذي هو الإنقياد)[٢].

وقالَ في ردِّه علىٰ مَن ادَّعىٰ التَّرادف بين الإيمان والتَّصديق:

(إنَّه - أَي الإيمان - ليس مرادفًا للتَّصديق في المعنىٰ؛ فإنَّ كلَّ مخبرٍ عن مشاهدةٍ، أَو غيبٍ، يقال له في اللُّغة: صَدَقْتَ، كما يقال: كَذَبْتَ؛ فمَن قال: السَّماءُ فوقَنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأَمَّا لفظ الإيمان؛ فلا يُستعمل إلاَّ في الخبرِ عن غائبٍ، لم يوجد في الكلام أنَّ مَن أَخبرَ عن مشاهدةٍ، كقوله: طلعتِ الشَّمس وغربت، أنَّه يقال: آمنَّاه، كما يقال: صدَّقناه. ولهذا؛ المحدِّثون والشُّهود ونحوهم،

---

(١) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص٢٩١.

(٢) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص ٦٣٨.

يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإنَّ الإيمانَ مشتقٌ من الأَمن، فإنَّما يُستعمل في خبرٍ يؤتمن عليه المُخْبِرُ؛ كالأَمر الغائب الذي يؤتمن عليه المُخْبِر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلاَّ في هذا النوع)(١).

وقال أَيضًا: (إنَّ لفظَ الإيمان في اللُّغة لم يقابل بالتَّكذيب؛ كلفظ التَّصديق؛ فإنَّه من المعلوم في اللُّغة أَنَّ كلَّ مُخْبرٍ يقال له: صَدقتَ، أَو كَذبتَ، ويقال: صدَّقناه، أَو كذَّبناه، ولا يقال لكلِّ مُخْبِرٍ: آمنَّا له، أَو كذَّبناه. ولا يقال: أَنتَ مؤمنٌ له، أَو مُكذِّبٌ له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمنٌ أَو كافر، والكُفرُ لا يختصُّ بالتكذيب)(٢).

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمه الله تعالىٰ:

(أَكثر أَهل العلم يقولون: إنَّ الإيمان في اللُّغة: التَّصديق، ولكن في هذا نظر! لأَنَّ الكلمةَ إذا كانت بمعنىٰ الكلمة؛ فإنَّها تتعدَّىٰ بتعدِّيها، ومعلومٌ أَنَّ التَّصديقَ يتعدَّىٰ بنفسه، والإيمانَ لا يتعدَّىٰ بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدَّقتُه، ولا تقول آمنتُهُ! بل تقول: آمنت به، أَو آمنت له.

فلا يمكن أَن نفسِّر فعلاً لازمًا لا يتعدَّىٰ؛ إلاَّ بحرف الجرِّ بفعلٍ مُتَعَدٍّ ينصب المفعول به بنفسه، ثمَّ إن كلمة «صَدَّقت» لا تُعطي معنىٰ كلمةِ «آمنت» فإنَّ «آمنت» تدلُّ علىٰ طمأْنينةٍ بخبره أَكثر من «صَدَّقت».

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٢٩١.
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٢٩٢.

ولهذا؛ لو فُسِّر «الإيمان» بـ «الإقرار» لكان أَجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرارَ إلاَّ بتصديقٍ، فتقول أقرَّ به، كما تقول: آمن به، وأقرَّ له كما تقول: آمن له)[١].

وقالَ العلاَّمةُ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمان في اللُّغةِ هو التَّصديق، ولكنَّ الشَّرع أَضاف إليه إضافات، وأَدخل فيه الأَعمال، وأَدخل فيه الأَقوال؛ فأَصبح الإيمان شاملاً للعقائد والأَقوال والأَعمال، أَصبح مسمًّى شرعيًا، وما ذاك إلاَّ أَنَّ المسمَّيات الشَّرعيَّة نقلت من مسمَّاها اللُّغوي إلىٰ مسمًّىٰ خاص كسائر المسمَّيات الشَّرعيَّة؛ فالعرب لا تعرف اسم الإيمان إلاَّ أَنَّه التَّصديق، ولا تعرف اسم الكفر إلاَّ أَنَّه التَّغطية، تغطية الشيء وستره؛ يسمَّىٰ عندهم كفرًا...؛ فجاء الشَّرع وجعل لهذه الأَلفاظ مسمَّيات شرعيَّة، ونقلها من المسمَّىٰ اللُّغوي إلىٰ المسمَّىٰ الشَّرعي)[٢].

واعلم أَخي المسلم الكريم! علَّمنا اللهُ وإيَّاك طريقةَ السَّلفِ الصَّالح:

أَنَّ الحقائق الأَشياء؛ قد تُعرف بالشَّرع، أَو باللُّغة، أَو بالعرف. أَي: هي إمَّا تعريفٌ شرعيَّة كالإيمان، أَو لُغويَّة كالشَّمْسِ، أَو عُرفيَّة كالقبض.

وأَنَّ التَّعريفَ الشَّرعيَّ قد يتَّفق مع التَّعريف اللُّغوي، وقد يختلف! بحيث يكون المعنىٰ الشَّرعيُّ أَشمل من اللُّغوي، ولكنَّ العبرةَ بالمعاني الشَّرعيَّة التي نتعبَّد الله تعالىٰ بها.

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» ج٢، ص ٢٢٩.

(٢) «الإرشاد شرح لُمعة الاعتقاد الهادي إلى: سبيل الرشاد» ص٢٣٤.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله تعالىٰ:

(وممَّا ينبغي أَنْ يُعلم أَنَّ الأَلفاظَ الموجودةَ في القرآن والحديث؛ إذا عُرِفَ تفسيرُها وما أُريد بها من جهة النَّبيِّ ﷺ لم يحتج في ذلك إلىٰ الاستدلال بأَقوال أَهل اللُّغة ولا غيرهم؛ ولهذا قال الفقهاء: « الأَسماء ثلاثة أَنواع » نوع يُعرف حدُّه بالشرع؛ كالصَّلاة والزَّكاة. ونوع يُعرف حدُّه باللُّغة كالشَّمس والقمر. ونوع يُعرف حدُّه بالعرف كَلَفْظِ القبض)[١].

وقال أَيضًا: (وهذه طريقة سائرِ أَئمَّةِ المسلمين؛ لا يَعْدِلون عن بيان الرَّسُول إذا وجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البِدَعِ التي مضمونُها أَنَّه يقول علىٰ الله ورسوله ما لا يعلم، أَو غيرَ الحقِّ، وهذا ممَّا حرَّمه الله ورسوله)[٢].

وهكذا في مسمَّىٰ الإيمان؛ إذ التَّصديقُ الجازم الذي لا ريب فيه، هو أَحدُ أَجزاء المعنىٰ الشَّرعي علىٰ الصَّحيح المشهور عند أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة، وعلىٰ ذلك دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة.

فالمعنىٰ المختار للإيمان لغةً: هو الأَمن، والتَّصديق، والإقرار.

والإقرار يكون:

- **باعتقاد القلب: أَي: بتصديقِه بالأَخبار.**
- **بعملِ القلب: أَي: بإذعانِه وانقيادِه للأَوامر.**

---

(١) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص ٢٨٦ .

(٢) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص ٢٨٨ .

الإيمانُ في الاصطلاحِ الشَّرعي :

الإيمانُ – عند أهل السُّنَّة والجماعة – هو تحقيقُ شهادة التَّوحيد :

« **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** »

ومعنىٰ شَهادةُ « **أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** » **هي الإيمانُ باللهِ تعالَىٰ وبوحدانيَّته .**

أي : هي التَّصْدِيقُ الجازِمُ ، وَالإقْرارُ الكَامِلُ ، وَالاعْتِرافُ التَّامُّ ؛ بِوجُودِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ ، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ – أَيْ : أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَمُدَبِّرُهُ – وَبِأُلُوهِيَّتِهِ – أَيْ : اسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ الْعِبَادَةَ – وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ – أَيْ : اتِّصَافِهِ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الجَلاَلِ وَالأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ – لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ ، وَالْقِيَامُ بِمُقْتَضَىٰ هَذَا الإِقْرَارِ ؛ عِلْمًا وَعَمَلاً – أَيْ : اطْمِئْنَانُ الْقَلْبِ بِذَلِكَ اطْمِئْنَانًا تُرَىٰ آثَارُهُ فِي سُلُوكِ الْعَبْدِ ، وَالتِزَامِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

وشَهادةُ « **أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** » أَي : أَنَّ مُحمَّدًا ابن عبد الله ﷺ رسولُ الله ، وخاتمُ النبيِّين والمرسلين ، وقبولُ جميعِ ما أَخبرَ به ﷺ عن رَبِّهِ – جلَّ وعلا – وعن دين الإسلام من الأُمور الغيبيَّة ، والأَحكام الشَّرعيَّة ، وبجميع مفردات الدِّين ، والانقيادُ له ﷺ بالطَّاعة المُطْلَقَةِ فيما أَمر به ، والكفُّ عمَّا نهىٰ عنه ﷺ وزجر ؛ ظاهرًا وباطنًا ، وإظهارُ الخضوع والطمأْنينة لكلِّ ذلك في القلب واللِّسان والجوارح .

ومُلخص التعريف الشَّرعي : (**هو جَميعُ الطَّاعات الباطِنة والظاهِرة**) .

- **الباطنةُ** : كأَعمالِ القلب ، وهي تصديقُ القلب وإقراره .
- **الظاهرةُ** : أَفعالُ البدن من الواجبات والمندوبات .

واعلم أخي الموحِّد ! أنَّه يجب أن يَتْبَعَ ذلك كلَّه : قولُ اللِّسان ، وعملُ الجوارح، ولا يجزيء واحد من الثلاثة إلاَّ بالآخر ؛ لأنَّ أعمالَ الجوارح داخلةٌ في مسمَّىٰ الإيمان، وجزءٌ منه وركن فيه، ولا يقوم الإيمان إلاَّ بها .

فمُسَمَّىٰ الإيمان الشَّرعي عند أَهل السُّنَّة والجماعة؛ كما أَجمعَ عليه أَئمَّتُهم العظَام، وعلماؤهم المعتبرينَ الكبار - سلفًا وخلفًا - هو :

(اعتقادٌ بالقلبِ ، وقولٌ باللِّسانِ ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركان ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ ، وينقصُ بالمعصية) .

ومن أُصولهم التي اتَّفقوا عليها في مسمَّىٰ الإيمان علىٰ اختلاف عباراتهم في الأَلفاظ - إجمالاً وتفصيلاً - وذلك خوفًا من الاشتباه ، أَو الالتباس؛ أَنَّ الإيمانَ مُرَكَّبٌ من :

(قولٍ ، وعملٍ) . أَو (قولٍ ، وعملٍ ، ونيَّةٍ) .

أَو (قولٍ ، وعملٍ ، ونيَّةٍ ، واتِّباعِ السُّنَّة) .

أَو (اعتقادٌ بالقلبِ ، وقولٌ باللِّسانِ ، وعملٌ بالجوارحِ) .

وهذه العبارات وإن كانت متفاوته في التَّعبيرِ؛ إلاَّ أَنَّها مشتركةٌ في المعنىٰ والمراد . أَيْ: أَنَّ مسمَّىٰ الإيمان يُطلق - عندهم - علىٰ ثلاثِ خصالٍ مجتمعةٍ، لا يجزيء أَحدها عن الآخر، وهذه الأُمور الثَّلاثةُ جامعةٌ لدين الإِسلام : **(اعتقادُ القلبِ ، إقرارُ اللِّسانِ ، عملُ الجوارحِ) .**

وبعبارةٍ أُخرىٰ عندهم :

(قولُ القلبِ وعملِهِ ، وقولُ اللِّسانِ وعملِهِ ، وعملُ الجوارحِ) . أَي :

- **قولُ القلبِ ، وقول اللِّسانِ . ● عملُ القلبِ ، وعمل الجوارح .**

إذن الإيمانُ حقيقةٌ مركبةٌ من أَربعةِ أَجزاءٍ، وهي :

● قولُ باطن، وقولُ ظاهر . ● عملُ باطن، وعملُ ظاهر .

ويمكن توضيح ذلك؛ بالتَّفصيل التَّالي :

أَوَّلاً- ● قولُ القلب :

هو معرفةُ القلب للحقِّ، واعتقادهُ، وتصديقهُ، وإقراره، وإيقانُه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسَّك به، ولم يتردَّد فيه، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١) .

وقال تعالىٰ : **﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾**(٢) .

وقال تعالىٰ : **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾**(٣) .

وَعَنْ أَنَسِ بِنْ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

« يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِه وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ » .

---

(١) سورة الزمر، الآيتان : ٣٣ - ٣٤ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٧٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية : ٤١ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : قَالَ أَبَانُ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « مِنْ إِيمَانٍ » مَكَانَ « مِنْ خَيْرٍ »(١) .

وَقَالَ النبيُّ ﷺ عن الإيمان في حديث جبريل عليه السَّلام :

« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »(٢) .

وهذا التَّصديقُ والإيمان ؛ يجب أَن يكون معه طاعةٌ لأَوامر الله تعالىٰ ظاهرًا وباطنًا ؛ فإِنَّ لم يكن معه طاعة ومحبَّة وتعظيم وانقياد لله تعالىٰ ؛ لم يكن ذلك إِيمانًا عند أَهل السُّنَّةِ والجماعة البتَّة .

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(فمجرد علم القلب بالحقّ إن لم يقترن به عمل القلب بموجَب علمه ؛ مثل محبَّة القلب له ، واتِّباع القلب له ؛ لم ينفع صاحبه ! بل أَشدُّ النَّاس عذابًا يوم القيامة : عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يقول :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا »(٣) .)(٤) .

---

(١) رواه البخاري في : (كتاب الإيمان) باب : « زيادة الإيمان ونقصانه » .

(٢) رواه مسلم في : (كتاب الإيمان) باب : « معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السَّاعة » .

(٣) رواه مسلم في : (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب : « التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل » .

(٤) « مجموع الفتاوى » : ج ١٠ ، ص ٢٧١ .

● قولُ اللِّسان:

هو إقرارُهُ، والتزامُه. أي: النُّطقُ بالشَّهادتين، والإقرارُ بلوازمهما؛ التي لا نجاة للعبد إلاَّ بها؛ فمن لم يتكلم بالشَّهادتين مع القدرة عليها؛ فهو كافرٌ! ظاهرًا وباطنًا بالإجماع، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(٣).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ؛ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦. (٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم».

ثانيًا- • عملُ القلبِ:

هو نيَّةُ القلب، وإرادتُهُ، وتسليمُهُ، وإخلاصُهُ، وإذعانُهُ، وإنقيادُهُ، والتزامُهُ، وإقبالُهُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وتوكُّلُهُ عليهِ - سبحانه - ورجاؤُهُ، وخشيتُهُ، وتعظيمُهُ، وإجلالُهُ، وحُبُّهُ، أي: الخضوع لله تعالى: ولأَوامره والخوف والرُّجاء والحبُّ له، ولما جاء من عنده، والبُغضُ فيه - سبحانه - وإخلاص العمل له، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقالَ النبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[4].

وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ»[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الليل، الآيات: ١٩ - ٢١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٤) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «شعب الإيمان».

(٥) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب: «الغيبة». وصححه الألباني.

● عملُ اللِّسانِ والْجَوارحِ:

أي: فعلُ المأموراتِ والواجباتِ، وتركُ المنهيَّاتِ والمحرَّماتِ.

■ فعمل اللِّسانِ: ما لا يؤدَّىٰ إلاَّ به؛ كتلاوةِ القرآنِ، وسائرِ الأَذكار؛ من التَّسبيح، والتَّحميد، والتَّهليل، والتَّكبير، والدُّعاءِ، والاستغفار، والدَّعوةِ إلىٰ الله تعالىٰ، وتعليم النَّاسِ الخيرَ، وغير ذلك من الأَعمالِ التي تؤدَّىٰ باللِّسان؛ فهذا كلُّه من الإيمان، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[4].

وقالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[5].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ – ٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب: «فضل التسبيح».

(٥) رواه البخاري في (كتاب فضائل القرآن) باب: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

■ وعملُ الْجَوارح:

هو كلُّ عملٍ لا يؤدىٰ إلاَّ بالجوارح الإنسان؛ مثلُ الصَّلاة، والقيام، والرُّكُوع، والسُّجود، والصِّيام، والصَّدقات، والمشي في مرضاة الله تعالىٰ؛ كنقل الخُطا إلىٰ المساجد، والحجِّ، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، والأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والدَّعوة إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وغيرِ ذلك من أَعمال شُعبِ الإيمان، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٧ – ٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١١١ – ١١٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[١].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ،

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ – ٧٧.

وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[١].

وقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي؛ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ؛ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ؛ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[٢].

فهذهِ الخصالُ الثَّلاث:

(اعتقادُ القلبِ، إقرارُ اللِّسان، عملُ الجوارحِ).

اشتمل عليها مسمَّىٰ الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة:

فمَن أتىٰ بجميعها؛ فقد اكتَمَلَ إيمانُهُ، والحمد لله.

ومَن أتىٰ باثنين دون الثَّالث! لم يصح إيمانه، والعياذُ بالله.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب: «من جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان كون النهي عن المنكر، من الإيمان وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر واجبان».

علاقة الإيمان بأعمال الجوارح
عند أهل السنة والجماعة

فإنَّ علاقةَ الإيمانِ بأَعمالِ الجوارِحِ، وأنَّه لا إيمانَ لمن ترك الأَعمالَ المفروضَة، أَو ترك جنس العمل بالكلية، أَو ترك ما ينعقدُ عليه أَصلُ الإيمان؛ من المسائلِ العَظيمة الجليلةِ عند أئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة.

إذ أَنَّ الإيمانَ - عندهم - اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ ظاهرٌ وباطنٌ، وأَنَّ لهُ أَصلٌ وفرعٌ؛ فأَصلُهُ ما في القلبِ، وفروعه ما يظهر علىٰ الجوارح من الأَعمال، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[٢].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(وإذا قام بالقلب التَّصديق به، والمحبَّة له؛ لزم ضرورة أَن يتحرك البدن

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

بموجب ذلك من الأَقوال الظَّاهرة، والأَعمال الظَّاهرة؛ فما يظهر علىٰ البدن من الأَقوال والأَعمال هو موجَب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأَقوال والأَعمال له - أيضًا - تأْثير فيما في القلب؛ فكل منهما يؤثر في الاخر، لكن القلب هو الأَصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أَصله والاصل يثبت ويقوى بفرعه، كما في الشَّجرة التي يضرب بها المثل لكلمة الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة إبراهيم] وهي كلمة التَّوحيد، والشَّجرة كلما قوىٰ أَصلها وعرق وروي قويت فروعها، وفروعها - أَيضًا - إذا اغتذت بالمطر والريح أَثر ذلك في أَصلها)[١].

وقالَ رحمهُ اللهُ: (فإنَّ اعتقادَ القلبِ أَصلٌ لقول اللِّسانِ، وأَنَّ عملَ القلب أَصلٌ لعمل الجوارح)[٢].

ومِمَّا يدلُّ علىٰ أنَّه لا بُدَّ مع اعتقادِ القلبِ من إقرار اللِّسان وعملِ الجوارحِ؛ وَصْفُ الله تعالىٰ للمؤمنين الصَّادقين في كثيرٍ من الآيات الكريمات؛ بصفاتٍ زائدةٍ علىٰ التَّصديق؛ إذ وصفهم بالخصالِ الثَّلاثِ: اعتقادُ القلب، وإقرارُ اللِّسانِ، وعملُ الجوارحِ.

كما أَطلق الله تعالىٰ صفةَ المؤمنين الكاملين الصَّادقين حقًّا؛ علىٰ الذين

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٧، ص٥٤١.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: ج١٣، ص٢٣٤.

آمنوا بالله – جلَّ وعلا – وصدَّقوا رسُوله الأمين ﷺ ولم يشكُّوا في ذلك الإيمان، ولم يَرتابوا؛ بل انقادوا لأَمره – سبحانه – ثمَّ عملوا بما آمنوا به مخلصينَ؛ من أُصول الدِّين وفروعِهِ، وظاهرهِ وباطنه، وظهرت آثارُ هذا الإيمانِ الصَّادقِ في عقائدهم، وأقوالهم، وأَعمالهم الظَّاهرةِ والباطنةِ، وسلوكهم اليوميَّة؛ وبهذه الأَعمال الشَّرعيَّةِ حقَّقوا الإيمانَ الكاملَ؛ فاستَحقُّوا هذا الوصفَ من رَبِّهم جلَّ في علاه .

فدلَّ كلُّ هذا الأُمور علىٰ أَنَّ الإيمانَ الحقِّ الصَّادقِ يعمُّ هذه الخصالَ الثَّلاثَ؛ لأَنَّ الله تعالىٰ أدخلَ أَعمالَهم في مسمَّىٰ الإيمانِ في الآيات القرآنيَّةِ، وجعلها شرطًا في قبول إيمانهم .

إذن ! فلا يكون المؤمنُ مؤمنًا حقًّا صادقًا؛ إلاَّ بتلك الأَعمالِ الصَّالحةِ، كما قال الله – تبارك وتعالىٰ – في مُحْكَم التَّنزيل :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١] .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢] .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

(١) سورة الأنفال، الآية : ٧٤ .

(٢) سورة الأنفال، الآيات : ٢ – ٤ .

وَالْـمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْـمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْـمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْـمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْـمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْـمُتَّقُونَ ﴾[1][*].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(*) تنبيهٌ مهمٌ! اعلم أخي المؤمن! علمنا الله وإيّاك علم أئمّة السّلف الصّالح:
أنّ المراد من العمل - في عقيدة أهل السُّنّة والجماعة - عموم العمل الصّالح الذي أمر به الشّارع الحكيم، أي: جنسه لا أفراده؛ لأنّ جنس العمل ركن من الإيمان، وشرط في صحته، وجزء منه، لا يقوم الإيمان إلاّ به، وليس كل فرد من أفراد العمل ركنًا فيه.
ولأنّ مسمّىٰ الإيمان يشمل - أيضًا - كلّ أوامر الشّريعة الغراء من: الاعتقادات، وأعمال القلوب، وأقوال اللّسان، وأعمال الجوارح، وإحلال الحلال، وتحريم الحرام، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ فيدخل في ذلك فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات علىٰ درجات متفاوتة تفوتًا كثيرًا، ومن هنا فإنّ جانبًا من الأعمال الشّرعيّة؛ ركن وشرط في صحة الإيمان، لا بُدّ من تحقيقه، وجانبًا آخر يكون مكملاً للإيمان من حيث كماله وزيادته؛ فمن الممكن أن يجتمع - عند أهل السُّنّة والجماعة - في الشّخص الواحد الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للعقاب؛ لأنّ المؤمن قد يترك بعض الأعمال المفروضة والصّالحة ويبقىٰ في دائرة الإيمان، وإن كان لا يستحق الاسم الإيمان المطلق؛ فإن ترك العمل كله؛ زال عنه مطلق الإيمان؛ لأنّه ترك جنس العمل الذي هو ركن في الإيمان، وبتركه يسقط أصل الإيمان. إذن! فلا يوجد - عندهم - مَن يدّعي الإيمان! إلاّ، ولا بُدّ أن يأتي بجنس العمل مع الشّهادتين.
وعلىٰ هذا القول الحقّ؛ كان إجماع أئمتهم الأعلام - رحمهم الله - سلفًا وخلفًا من عهد الصّحابة - رضي الله عنهم - إلىٰ يومنا هذا، وكان شعارهم: (لا إيمان إلاّ بالعمل، ولا عمل إلاّ بالإيمان) وبهذا التفصيل تميزوا في عقيدتهم عن غيرهم - ممن خالفهم - من الفِرَق المبتدعة.

الأدلة من القرآن
على أن الأعمال جزء من الإيمان

قالَ اللهُ – تباركَ وتعالىٰ – في مُحْكَمِ التَّنزيلِ:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[1](*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨. (٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(*) قال إمام المفسِّرين أبو جعفر الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة:

(وأمَّا قوله: ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ فإنّه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيراً من عملٍ صالحٍ يُصدِّقُ قِيْلَهُ ويُحقِّقُه، من قبل طلوع الشمس من مغربها... ولا ينفع من كان بالله وبرسله مُصدِّقًا ولفرائض الله مُضيِّعًا، غيرَ مكتسبٍ بجوارحه لله طاعةً؛ إذا هي طلعتْ من مغربها، أعمالُه إنْ عمل وكسبُه إنْ اكتسب، لتفريطِه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك. كما حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد ابن المفضل، قال: حدثنا أسباطٌ، عن السُّدِّي: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ يقول: كسبت في تصديقها خيرًا؛ عملاً صالحًا؛ فهؤلاء أهلُ القبلة، وإنْ كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرًا؛ فعلمت بعد أنْ رأتِ الآيةَ لم يقبل منها، وإنْ عملت قبل الآيةِ خيرًا ثمَّ عملت بعد الآيةِ خيرًا، قُبل منها).

وقالَ تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[(١)(*)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(٢)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(٤)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠. (٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢. (٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(*) قال إمام المفسّرين أبو جعفر الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة:

(وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: إلىٰ الله يصعدُ ذِكرُ العبد إيّاه وثناؤه ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقول: ويرفعُ ذِكرُ العبدِ ربَّهُ إليه عملَه الصَّالحَ، وهو العملُ بطاعته، وأداءُ فرائضه والانتهاءُ إلىٰ ما أمر به، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويل).

وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١.

(*) قال الإمام الحافظ ابن بطَّة - رحمه الله تعالىٰ - عن هذه الآية الكريمة في كتابه العظيم «الإبانة الكُبرىٰ» ج٢، ص٧٧١: (فقد أخبرَ الله تعالىٰ في كتابه آيات كثيرة منه؛ أنَّ هذا الإيمانَ لا يكون إلاَّ بالعمل وأداءِ الفرائض بالقلوب والجوارح، وبيَّن ذلك رسولُ الله ﷺ وشَرَحه في سُنَّته وأعلمه أُمَّته. وكان مما قال الله تعالىٰ في كتابه؛ مما أعلمنا أنَّ الإيمان هو العملُ، وأنَّ العمل من الإيمان، ما قاله في سوة البقرة: . . . وذكر الآية ﴿١٧٧﴾ ثم قال رحمه الله: فانتظمت هذه الآيةُ أوصافَ الإيمان وشرائطه من القول والعمل والإخلاص. ولقد سأل أبو ذر النبي ﷺ عن الإيمان؛ فقرأ عليه هذه الآية).

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

● وجعلَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - في كتابه العزيز؛ جميعَ الطَّاعاتِ والأعمال الصَّالحة من الإيمان، وذلك في كثيرٍ من الآيات الكريمات، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾(٣).

لم يختلف المفسِّرون من السَّلف والخلف؛ بأنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - أرادَ من: ﴿ إِيمَانَكُمْ ﴾ في الآيةِ الكريمة؛ صلاتَكم إلىٰ بيت المقدس؛ فسمَّىٰ الصَّلاة إيمانًا، ولو لم تكن جزءًا من الإيمان وركنًا فيه؛ لما صحَّ تسميتها به؛ فهذا دليلٌ قاطعٌ وبيِّنٌ علىٰ أنَّ العملَ من الإيمان، وجزءٌ منه، وداخلٌ في مُسَمَّاهُ(٤)(*).

● وكذلك قرن الله - عزَّ وجلَّ - الإيمانَ مع العمل في كثيرٍ من الآيات في كتابه العزيز، وجعلَ جنَّةَ الخُلد؛ جزاءً لمن آمن وعمل صالحًا.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) انظر: «التمهيد» للإمام ابن عبد البر؛ ج٩، ص٢٤٥.

(*) قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - عن هذه الآية الكريمة في «كتاب الإيمان» ص١١: (فأيُّ شاهدٍ يُلتمس علىٰ أنَّ الصَّلاة من الإيمان بعد هذه الآية؟!).

قالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(٦)(*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٧٢.
(٥) سورة العصر، الآيات: ١ - ٣.
(٦) سورة البينة، الآية: ٥.
(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذه الآية الكريمة: (وقد استدلَّ كثير من الأئمة، كالزُّهري والشَّافعي بهذه الآية الكريمة علىٰ أنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان، ولهذا قال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾).

واحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١).

وقالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

والآياتُ الكريماتُ في إثباتِ دخولِ العملِ في مُسَمَّىٰ الإيمان في القرآن الكريم؛ كثيرةٌ جدًّا ومعلومةٌ، وهذه الآياتُ البيِّناتُ والواضحات في كتاب الله العزيز الغفَّار؛ كلُّها تُدخِلُ الأعمالَ الصَّالحةَ، وجميعَ الطَّاعاتِ والعباداتِ - الباطنة والظاهرة - في مُسَمَّىٰ الإيمان.

● إذن! صفةُ المؤمنِ الصَّادقِ العاملين في القرآن العزيز:

هو الَّذي يعمل ما يوجبُ عليهِ الشَّرعُ الحكيم؛ من أعمالِ القلب واللِّسانِ والجوارحِ - باهرًا وباطنًا - وإذا فعلَ ذلكَ كلَّه؛ كانَ جزاؤُه عندَ اللهِ تعالىٰ؛ أن يدخلهُ جنَّةَ النَّعيمِ، ويُكفِّرَ عنهُ سيئاته، ويُزحزحَهُ عن النَّار، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(٣).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢ - ٩٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

الأدلة من السنة
على أن الأعمال جزء من الإيمان

قالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ :

« قُلْ آمَنْتُ باللهِ ؛ فاسْتَقِمْ »(١) .

وقال ﷺ : « الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُها قَوْلُ : لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وأَدْناها إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ ، والحَياءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمانِ »(٢) .

وقال ﷺ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ »(٣) .

وقالَ ﷺ : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ! حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »(٤) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لوفد عبدِ القيس ؛ عندما سألوهُ عن أُمور الدِّين ؛ فأَمَرهم :

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب : « جامع أوصاف الإسلام » .

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب : « بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها » .

(٣) رواه البخاري في كتاب (الإيمان) باب : « مَن كره أن يعود في الكفر » .

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب : « حبُّ النبي ﷺ من الإيمان » .

« بالإيمَانِ باللهِ وَحْدَهُ » وقال: « أَتَدْرُونَ مَا الإيمَانُ باللهِ وَحْدَه؟ ».

قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال:

« شَهادَةُ: أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكاةِ، وَصِيامُ رَمَضانَ، وأَنْ تُعْطُوا مِن المغْنَمِ الخُمُسَ »(١)(*).

وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفضلُ؟ فقال: « إِيمَانٌ باللهِ وَرَسُولِهِ » قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال:

« الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ » قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال: « حَجٌّ مَبْرُورٌ »(٢).

وقالَ ﷺ: « مَنْ قَامَ رَمَضانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(٣).

وقالَ ﷺ: « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »(٤).

فهذه مجموعةٌ من الأَحاديثِ النبويَّةِ الشَّريفةِ - وغيرها كثيرة جدًا يصعب حصرها - كلُّها تدلُّ أَنَّ الأَعمالَ الصَّالحة داخلةٌ في مُسَمَّىٰ الإِيمان، وأَنَّه ركنٌ فيه، وجزءٌ منه.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: « أداء الخمس من الإيمان ».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: « من قال إن الإيمان هو العمل ».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: « تطوع قيام رمضان من الإيمان ».

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: « من الإيمان أن يُحبَّ لأخيه ما يُحب لنفسه ».

(*) قالَ الإمامُ ابن أَبي العِز الحنفي - رحمه الله تعالىٰ - بعد ذكره لهذا الحديث:

(وأيُّ دليلٍ علىٰ أَنَّ الأَعمال داخلةٌ في مُسَمَّىٰ الإيمان فوقَ هذا الدَّليل؟ فإِنَّهُ فسَّر الإيمانَ بالأَعمال، ولم يذكُر التَّصديقَ؛ مع العلم بأَنَّ هذه الأَعمال لا تُفيدُ مع الجحود) انظر: « شرح العقيدة الطحاوية » ص (٤٧٨).

فهذه الأَدلَّةُ من كتاب الله – تبارك وتعالىٰ – وسُنَّةِ رسولِه الأَمين ﷺ ؛ تُثْبِتُ أَنَّ الأَعمالَ جزءٌ من الإيمان، وداخلةٌ في مُسمَّاهُ، وأَنَّها ركنٌ فيه؛ لا ينفع ولا يقوم الإيمان إلاَّ بها.

ولا ينفع التَّصديقُ ولا القولُ؛ بدون العمل وأَداءِ الفرائض، وأَنَّ الإيمان والعمل الصَّالح سيَّان وقرينان؛ لا ينفك أَحدهما عن الآخر، ولا يصح أَحدهما إلاَّ بالآخر؛ لأَنَّه لا يمكن قيام الإيمان بالقلب من غير تصديق البدن ذلك بالأَعمال الصَّالحة؛ فلا إيمان إلاَّ بعمل، ولا عمل إلاَّ بإيمان.

ولم يثبت في الكتاب والسُّنَّة؛ المدحُ والثَّناء علىٰ إيمانٍ خالٍ من عمل أَلبتَّة! إلاَّ علىٰ إيمان معه العمل الباطن والظَّاهر.

هذا هو قولُ أَهل السُّنَّة والجماعة في الإيمان، وهو القولُ الحقُّ المُبينُ، المنقولُ من سيِّد المرسلين ﷺ، والذي أَجمع عليه سَلفُ هذه الأُمَّةِ المباركةِ وأَئمَّتها من الصَّحابةِ الكرامِ، والتَّابعينِ العظام، ومَن تَبِعَهم – من أَئمَّةِ الهُدىٰ ومصابيح الدُّجىٰ – بإخلاصٍ وصدقٍ وإحسانٍ، إلىٰ يومنا هذا؛ بل أَصبح هذا القولُ الحقُّ من مميِّزاتهم، والفارقةِ بينهم وبين مَن خالفهم من أَهل البدع والأَهواء، في كلِّ مكانٍ وزمان.

فتعريف أَهلَ السُّنَّة للإيمان؛ حكم شرعي موافق للمنقول والمعقول.

أَمَّا غيرهم من الفِرَقِ؛ فقد مالوا عن الحقِّ المبين وجانبَوا الصَّواب؛ لأَنَّ أَهلَ السُّنَّة والجماعة آمنوا بنصوص الكتاب والسُّنَّة جميعًا، وعوَّلوا عليها، ولم يضطربوا، وبها كانوا أَوسطَ الفِرَق، وأَسْعَدَها بالمذهب الحقِّ.

وقد قالَ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - في كتابه العزيز عنهم:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3].

● واعلم! أخي القارئَ اللَّبيب؛ علَّمنا اللهُ وإيَّاكَ طريقَ الحقِّ:

أنَّ المؤمنَ الصَّادقَ مع ربِّه - جلَّ في عُلاه - والطَّالبَ للحقِّ، العامل لآخرته؛ يبتعدُ عن شبهات الشَّيطان وخُطُواته وخطَراته، ويتَّبع السُّنَّة والجماعة، ولا يقول قولاً، أو يعملُ عملاً؛ إلاَّ وله فيه إمامٌ من أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة المعتَبرين، وإلاَّ أتىٰ ببدعةٍ ضلالةٍ.

ويَكفيه - أيضًا - دليلٌ واحدٌ صحيحٌ من الشَّرع، لكي يعتقدَ ذلك الأمر ويعملَ به؛ فكيف وقد تضافرت الأدلَّةُ الشَّرعيَّةُ الصَّريحةُ من كتاب الله تعالىٰ، وسُنَّةِ رسُولِهِ الأمين ﷺ علىٰ صحَّة ما أجمعَ عليه سلفُ هذه الأُمَّة المعصومةِ، في مُسَمَّىٰ الإيمان، وفي جميع ما يعتقدون ويعملون به، والحمد لله رَبِّ العالمين.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥. (٢) سورة النور، الآية: ٥١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

خلاصةُ القولِ في مسمَّىٰ الإيمان:

● هو ما وَقَرَ في القلب، وصدَّقه اللِّسانُ والعمل، وبَدَت ثمراتهُ واضحةً في الجوارح؛ بالامتثال لأوامرِ الله تعالىٰ، والابتعادِ عن نواهيه.

● لأنَّ اسمَ الإيمان يقع علىٰ مَن يُصدِّق بجميع ما جاء به الرَّسولُ ﷺ عن رَبِّه - جلَّ وعلا - اعتقادًا، وإقرارًا، وعملاً.

● وأنَّ العباد لا يتساوون في الإيمان ولا يتماثلون فيه أبدًا؛ لذا مَن صدَّق بقلبه، وأَقرَّ بلسانه، ولم يعمل بجوارحه الطَّاعات التي أُمر بها؛ لم يَستحق اسمَ الإيمان.

● ومَن أَقرَّ بلسانه، وعمل بجوارحه، ولم يصدِّق ذلك قلبُهُ؛ لم يَستحق اسمَ الإيمان.

● وإذا تجرَّد التَّصديقُ عن العمل؛ فلا فائدة فيه، ولو كان التَّصديق المجرَّدُ عن العملِ ينفعُ أحدًا لنَفَع إبليسَ - نعوذ بالله منه ومن خُطُواته - فقد كان يعرف أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - واحدٌ لا شريك له، وأنَّ مصيرَه لا شكَّ إليه سبحانه؛ ولكنَّه عندما جاءه الأَمر الإلهي: ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

لم يَشفع له عِلْمه بالوحدانيَّة والربوبيَّة؛ لأنَّه لم يُحقِّق توحيدَ العبادة الذي من أَجله خلقَ الله تعالىٰ الخلق.

إذن! فالتَّصديقُ المجرَّدُ عن العملِ لا قيمةَ لهُ عندَ رَبِّ العالمين!

والإيمانُ لم يأْت في القرآن والسُّنَّة مجرَّدًا عن العمل؛ بل عُطف عليه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

العملُ الصَّالحُ في كثيرٍ من الآيات والأَحاديث - كما بيَّنا ذلك - وهذا من باب عطف الخاص على العام، أَو البعض على الكلِّ؛ وذلك للتَّأكيد على الأَعمال الصَّالحة؛ كما في قوله تبارك وتعالىٰ:

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[١]. فإنَّ جبريل وميكال داخلان في الملائكة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[٤].

فالصَّلاة والزَّكاة؛ من العبادة.

● فالإيمانُ والعملُ متلازمان؛ لا ينفكُّ أَحدُهما عن الآخر أَلبتَّة!

والعملُ صورةُ الإيمانِ، وجوهَرُهُ، وجزٌ من مسمَّاهُ، وهو من لوازمه ومقتضَياته، ونصفُ معناه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٤) سورة البينة، الآية: ٥.

إجماع أئمة أهل السنة والجماعة
على تعريف الإيمان

وقد أَجمعَ أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ علىٰ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، والإيمان بلا عمل لا يصحُّ ولا يجزي، وحكىٰ الإجماعَ عنهم جمعٌ غفير من أئمَّة التَّابعين، ومَن تبعهم بإحسان؛ فهذه بعضها:

● قالَ الإمامُ سُفيان بن عُيينة، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ: (**الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ؛ أَخذناهُ ممَّن قَبلنا قولٌ وعملٌ؛ وأَنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَل**)[١].

● وقالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**كان الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابعينَ من بَعدِهِم ممَّن أَدركناهُم: أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئ واحدٌ من الثَّلاثةِ إلاَّ بالآخر**)[٢].

● وقالَ الإمامُ أَحمد بن حنبل، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**أَجمعَ تسعون رَجُلاً من التَّابعين، وأَئمَّةِ المسلمين، وأَئمَّةِ السَّلف، وفُقهاءِ الأَمصار علىٰ أَنَّ السُّنَّة التي تُوفِّيَ عنها رسولُ اللهِ ﷺ ... - فذكر أُمورًا منها -: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعة، ويَنقصُ بالمعصية**)[٣].

---

(١) «كتاب الشريعة» الآجري: ج٢، ص٦٠٤ (٢٣٩).

(٢) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنة» اللالكائي: ج٥، ص٩٥٦ (١٥٩٣).

(٣) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ج١، ص١٣٠.

● وقالَ الإمامُ الآجري، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اعلموا – رحمنا الله وإيَّاكم – أنَّ الذي عليه علماء المسلمين:

أنَّ الإيمانَ واجبٌ علىٰ جميع الخلق؛ وهو تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح.

ثمَّ اعلموا: أنَّه لا تجزئ المعرفةُ بالقلب والتَّصْديق؛ إلاَّ أن يكون معه الإيمان باللِّسان نُطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطقٌ باللِّسان؛ حتىٰ يكون عَمَلٌ بالجوارح؛ فإذا كَمُلَتْ فيه هذه الخصال الثَّلاثُ: كان مؤمنًا؛ دلَّ علىٰ ذلك القرآنُ والسُّنَّة، وقولُ علماء المسلمين)[١].

● وقالَ الإمامُ البغوي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اتَّفقت الصَّحابةُ والتَّابعون فمَن بَعدهم من علماءِ السُّنَّةِ علىٰ أَنَّ الأَعمالَ من الإيمانِ... وقالوا: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ وعقيدة)[٢].

● وقالَ الإمامُ ابن بطة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اعلموا – رحمكم الله – أنَّ الله – جلَّ ثناؤه وتقدَّست أَسماؤه – فرض علىٰ القلب المعرفة به، والتَّصديقَ له، ولرسوله، ولكتبه، وبكلِّ ما جاءت به السُّنَّة، وعلىٰ الأَلسن النُّطقَ بذلك، والإقرارَ به قولاً، وعلىٰ الأَبدان والجوارح العَمَلَ بكل ما أمرَ به، وفرَضَه من الأعمال؛ لا تجزئ واحد من هذه إلاَّ بصاحبها، ولا يكون العبدُ مؤمنًا إلاَّ بأَن يجمعها

---

(١) « كتاب الشريعة » الإمام الآجري: ج٢، ص٦١١. دار الوطن.

(٢) « شرح السُّنَّة » الإمام البغوي: ج١، ص٣٨.

كلِّها ؛ حتىٰ يكون مؤمنًا بقلبه مقرًا بلسانه، عاملاً مجتهدًا بجوارحه ؛ ثمَّ لا يكون أيضًا مع ذلك مؤمنًا ؛ حتىٰ يكون موافقًا للسُّنَّة في كلِّ ما يقوله ويعمله ؛ متبعًا للكتاب والعلمِ في جميع أقواله وأعماله، وبكلِّ ما شرَحْتُه لكم ؛ نزل به القرآن، ومضت به السُّنَّة، وأجمع عليه علماءُ الأُمَّة)[١].

● وقال الإمامُ الحافظ سفيان الثوري، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(كان الفقهاء يقولون : لا يستقيم قولٌ إلاَّ بعمل، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ إلاَّ بنيَّة، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ إلاَّ بموافقة السُّنَّة)[٢].

● وقالَ الإمامُ أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(فلم يجعلِ الله للإيمان حقيقةً ؛ إلاَّ بالعمل علىٰ هذه الشروط، والذي يزعمه أنَّه بالقول خاصة يجعله مؤمنًا حقًا، وإن لم يكن هناك عملٌ فهو معاندٌ لكتاب الله والسُّنَّة ... أفَلَسْتَ تراه - تبارك وتعالىٰ - قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل ؟ ولم يرض منهم بالإقرار دون العمل ؟ حتىٰ جعل أحدَهما من الآخرَ ؛ فأيُّ شيءٍ يُتَّبعُ بعد كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ ومنهاجِ السَّلف بعده ؛ الذين هم موضعُ القدوة والإمامة ؟ ! فالأمرُ الذي عليه السُّنَّةُ عندنا ما نصَّ عليه علماؤُنا ؛ مما اقتصصنا في كتابنا هذا : أنَّ الإيمان بالنيَّةِ والقولِ والعملِ جميعًا)[٣].

---

(١) « الإبانة الكبرى » ابن بطة : ج٢، ص٧٦٠. باب : (بيان الإيمان وفرضه وأنَّه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات لا يكون العبد مؤمنًا إلاَّ بهذه الثلاث).

(٢) « الإبانة الكبرى » ابن بطة : ج١، ص٣٣٣.

(٣) « كتاب الإيمان » أبو عبيد القاسم بن سلام : ص ١٨ - ١٩. تحقيق الألباني.

● وقالَ الحافظُ أبو عمر بن عبد البر، رحمهُ اللَّهُ تعالىٰ:

(أَجْمَعَ أَهْلُ الفقهِ والحديثِ علَىٰ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَل، ولا عَمَلَ إلاَّ بنيَّةٍ، والإيمانُ عِنْدَهُمْ يَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنْقُصُ بالمعْصيَةِ، والطَّاعَاتُ كُلُّها عِنْدَهُمْ إيمانٌ)[١].

● وقال الإمام ابن أبي العزّ الحنفي، رحمهُ اللَّهُ تعالىٰ:

(ذهبَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ والأوزاعيُّ وإسحاقُ بن راهويه، وسائِرُ أهلِ الحديث، وأهلُ المدينة - رحمهم الله تعالىٰ - وأهلُ الظاهر، وجماعةٌ من المتكلمين: إلىٰ أنَّهُ تصْديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللِّسان، وعَمَلٌ بالأركان)[٢][*].

---

(١) « التمهيد » الإمام ابن عبد البر: ج٩، ص٢٣٨.

(٢) « شرح العقيدة الطحاوية »: ص ٤٥٩.

(*) وقد نقل الإجماع عن السَّلف الصالح علىٰ هذا التعريف للإيمان: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - وذكر جملة من أسماء التابعين الذين يقولون: بأنَّ الإيمان قول وعمل، وروىٰ ذلك الإمام ابن بطة - رحمه الله - في كتابه: « الإبانة الكبرىٰ » ج٢، ص٨١٤ - ٨٢٦. وكذلك نقل الإمام البخاري - رحمه الله - عن أكثر من ألفٍ من العلماء! وروىٰ ذلك الإمام اللالكائي في كتابه: « شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة » ج١، ص١٩٤. وانظر - أيضًا - فصل: « قول أئمة أهل السُّنَّة والجماعة في مسمىٰ الإيمان » من هذا الكتاب: ص (١٥١).

زيادة الإيمان ونقصانه

ومن عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة التي أَجمعوا عليها: أَنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطَّاعات؛ حتىٰ يكون كالجبل، وينقص بالمعاصي؛ حتىٰ يكون كحبَّة الخردل، وأَهلهُ يتفاضلونَ فيه؛ فقد وردت أَدلَّةٌ كثيرةٌ من الآياتِ والأَحاديثِ، وعن أَئمَّة السَّلفِ الصَّالح من الصَّحابةِ الكرام، والتَّابعين العظام علىٰ أَنَّ الإيمانَ؛ درجاتٌ وشُعَبٌ، يزيدُ وينقص.

● **الإيمانُ يزيدُ**: بأَعمال القلب والجوارحِ وبقول اللِّسان؛ كالطَّاعات والعبادات؛ من التَّصديق والمعرفةِ والعلمِ والعملِ، والتَّقوىٰ والإخلاصِ والصَّلاح، وذكرُ الله تعالىٰ، والحبِّ والبُغضِ في الله، والخوفِ والخشيةِ والرَّجاءِ من الله، والتوكُّلِ علىٰ الله، والمسارعةِ إلىٰ رضوان الله تعالىٰ، والقيامِ بجميع شعائر الدِّين من الأَعمال الصَّالحة.

● **وينقصُ الإيمانُ**: بأَعمال القلب والجوارح وبقول اللِّسان؛ كفعل المُحرَّمات والمعاصي والمُنْكَرات، واقترافِ المنهيَّات، وارتكابِ الذُّنوب والكبائرِ، والأَقوالِ والأَفعال الرَّديئة، وبغفلة القلبِ ونسيانِ ذكرِ الله تعالىٰ، وبالحسد، والكبر، والعُجبِ، والرِّياءِ والسُّمْعَةِ، والجهلِ، والإعراضِ، والتعلُّقِ بالدُّنيا، وقُرَناءِ السوء، وجميعِ الأَعمال الطالحة.

وأَنَّ أَهل الإيمان يتفاضلونَ في إيمانهم علىٰ حَسَب عِلْمِهم وعَمَلِهم؛ فبعضُهُم أَكملُ إيمانًا من بعض.

الأدلة من القرآن على زيادة الإيمان

قالَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - في كتابهِ العزيزِ:

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٢)(*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٣)(**).

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(*) قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ - في «تفسيره» عن هذه الآية الكريمة:

(وهذه الآية من أكبر الدلائل علىٰ أنَّ الإيمان يزيد وينقص؛ كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء؛ بل قد حكىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك).

(**) قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ - في «تفسيره» عن هذه الآية الكريمة:

(وقد استدلَّ البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها؛ علىٰ زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهبُ جمهورِ الأمة؛ بل قد حكىٰ الإجماعَ علىٰ ذلك غيرُ واحدٍ من الأئمة؛ كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد، كما بيَّنَّا ذلك مستقصيًا في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنَّة).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ الْمُؤْمنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٧].

وقد استدَلَّ أَئِمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ بهذه الآياتِ الكريماتِ وغيرها من كتاب الله تعالىٰ علىٰ زيادةِ الإيمان ونُقصانه.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(٣) سورة مريم، الآية: ٧٦.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١٣.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٦) سورة محمد، الآية: ١٧.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

● قالَ الإمامُ التَّابعيُّ الجليلُ؛ الحسنُ البصري - رحمهُ اللهُ - عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾:

(وما زادهم البلاءُ؛ إلاَّ إيمانًا بالرَّب، وتسليمًا للقضاء)(١).

● وقالَ الإمامُ ابن بطة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اعلموا - رحمكم الله - أَنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - تفضَّل بالإيمان علىٰ من سبقتْ له الرَّحْمَةُ في كتابه، ومَن أَحبَّ أن يُسْعِده؛ ثمَّ جعلَ المؤمنين في الإيمان متفاضِلين، ورفع بعضَهم فوق بعضٍ درجات؛ ثمَّ جعله فيهم يزيد ويقوىٰ بالمعرفة والطَّاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية.

وبهذا نزل الكتابُ، وبه مضت السُّنَّة، وعليه أَجمع العقلاءُ من أئمَّة الأُمَّةِ، ولا ينكر ذلك، ولا يخالفه إلاَّ مرجئٌ خبيثٌ؛ قد مرض قلبُهُ، وزاغ بَصَرُهُ، وتلاعبتْ به إخوانُه من الشَّياطين؛ فهو من الذين قال الله - عزَّ وجلَّ - فيهم:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾(٢))(٣).

---

(١) رواه اللالكائي في: «شرح أُصول أهل السُّنَّة والجماعة»: ج٥، ص١٠٢٣ (١٧٣١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٢.

(٣) انظر: «الإبانة الكبرى» ابن بطة: ج٢، ص٨٣٢.

الأدلة من السنة على زيادة الإيمان

قالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمـان: المُوالاةُ في الله والمُعـاداةُ في الله، والحُبُّ في الله، والبُغضُ في الله »(١).

وقـالَ ﷺ: « مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَىٰ للهِ، وَمَنَعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ »(٢).

وقالَ ﷺ: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »(٣)(*).

وقـالَ ﷺ: « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمان »(٤)(**).

وقـالَ ﷺ: « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وزْنُ

---

(١) انظر تخريج هذا الحديث في: « سلسلة الأحاديث الصحيحة » للألباني، رقم: (٩٩٨).

(٢) ، (٣) « رواهما أبو داود » في (كتاب السُّنَّة) باب: « الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ». وصحَّحهما الألباني في « صحيح سنن أبي داود » ج٣، ص٨٨٦.

(٤) « رواه مسلم » في (كتاب الإيمان) باب: « بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان ».

(*) قال الإمام ابن عبد البر، رحمه الله: (ومعلوم أنَّه لا يكون هذا أكمل؛ حتىٰ يكون غيرهُ أنقص) انظر: « التمهيد » ج٢، ص٢٤٥.

(**) قال الإمام ابن مندة رحمه الله: (ذكر خبر يدل علىٰ أنَّ الإيمان قولٌ باللِّسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالأركان؛ يزيد وينقص) انظر: « التمهيد » ج٢، ص٣٤١.

بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخرجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١)(*).

وقالَ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَيَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً؛ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهْوَ مُؤْمِنٌ»(٢)(**).

فهذه الأَدلَّةُ من القرآن والسُّنَّة؛ تُبَيِّنُ أنَّ الإيمانَ يزيد وينقص، وأنَّ أَهلَهُ متفاضلون؛ منهم السَّابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظَّالمُ لنفسه، ومنهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم؛ ليسوا عند الله سواء؛ بل فضَّل الله - تبارك وتعالىٰ - بعضَهُمْ علىٰ بعضٍ، ورفع بعضَهم فوق بعضٍ درجاتٍ، والله - عزَّ وجلَّ - يؤتي من فضلِهِ مَن يشاء من عباده، ولا معقِّب لحكمه تعالىٰ، وهو العليمُ الحكيم، العزيز الكريم.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «زيادة الإيمان ونقصانه».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب: «ما يحذر من الحدود: الزنا وشرب الخمر».

(*) قال الإمام الحافظ أبو بكر الأثرم، رحمه الله: قيل لأبي عبد الله - أي الإمام أحمد -: فنقول الإيمان يزيد وينقص، فقال: (حديث النبيِّ ﷺ يدل علىٰ ذلك قوله: «أَخرجوا من في قلبه كذا.. أَخرجوا من كان في قلبه» فهذا يدلُّ علىٰ ذلك) رواه الخلال في «السُّنَّة» (١٠٤١).

(**) قال الإمام النووي، رحمه الله: (إجماع أهلِ الحق علىٰ أنَّ الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر - غير الشِّرك - لا يُكَفَّرونَ بذلك؛ هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين علىٰ الكبائر؛ كانوا في المشيئة؛ فإن شاء الله تعالىٰ عفا عنهم وأدخلهم الجنَّة أولا، وإن شاء عذَّبهم ثمَّ أدخلهم الجنَّة) انظر: «شرح مسلم للنووي» ج٢، ص٢٢٩ (كتاب الإيمان) باب: «نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية». قلت للتنبيه!: كلام الإمام النووي في صاحب المعصية التي لا يستحل معصيته؛ أمَّا المستحل للمعصية فيُكفَّر! بإجماع أهل العلم.

واعلم أَنَّ هذه الأَدلَّةَ دالَّةٌ علىٰ زيادة الإيمانِ تصريحًا، وعلىٰ نقصانه لزومًا، أَو تضمنًا؛ إذ ما من شيءٍ يزيدُ إلاَّ وهو ينقص؛ لأَنَّ زيادةَ الإيمان تستلزم نَقْصَهُ، وهما متلازمان؛ وما جازَ عليه الزيادةُ، جازَ عليه النُقصانُ - كما قال أَئمَّةُ السَّلف - والذي تعتريه الزِّيادةُ لا بُدَّ وأَنَّه ينقص؛ بدليل كونه قبل الزيادة أَنقص منه بعدَها، وإلاَّ فلا معنىٰ للزِّيادة؛ إذ لا يمكن أَن يُتَصَوَّرَ شيءٌ قابلٌ للزِّيادة غيرَ قابلٍ للنقصان.

فلهذا؛ أَنَّ كلَّ دليلٍ دلَّ علىٰ زيادة الإيمان في القرآن والسُّنَّة؛ فهو يدُلُّ علىٰ نقصانه، وكذا العكسُ؛ فما دلَّ علىٰ نقصان الإيمانِ؛ فهو يدُلُّ علىٰ زيادته.

● قالَ الإمامُ أَحمدُ بن حنبل - رحمه الله - عندما سُئِلَ عن كيفية نقصانِ الإيمان: (**فكما يزيد؛ كذا ينقص**)[١].

● وقالَ الإمامُ البيهقي، رحمه الله تعالىٰ:

(**وأَنَّ الإيمانَ؛ يزيد وينقص، وإذا قَبِلَ الزيادة قَبِلَ النقص**)[٢].

● وقد قيل للإمام التَّابعيِّ الجليل سفيان بن عُيَيْنة - رحمه الله تعالىٰ - الإيمان يزيد وينقص؟ قال:

(**أَليس تَقْرَؤن القرآن؟ ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ في غير موضع**).

قيل: ينقص؟ قال: (**ليسَ شَيءٌ يزيد إلاَّ وهو ينقص**)[٣].

---

(١) رواه الخلال في «السُّنَّة»: (١٠٣٠).
(٢) انظر: «الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد» باب: «القول في الإيمان».
(٣) رواه الآجري في: «كتاب الشريعة»: ج٢، ص٦٠٥ (٢٤٠). دار الوطن.

● وقالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

(وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان - في الإيمان - عن الصَّحابة، ولم يعرف فيه مُخالِفٌ من الصَّحابة)[١].

وقد استشعر هذه الحقيقة الصَّحابيُّ الجليل؛ حنظلة الأُسَيِّدي - رضي الله عنه - وهو أحد كُتَّابِ الوحي؛ حقيقة تقلب الإيمان بين الزيادة والنقص تبعا لتغير أحوال العبد؛ فقالَ لأبي بكر، رضي الله عنه :

نافَقَ حَنْظَلَةُ! قالَ : سُبْحانَ اللهِ ما تَقولُ! قالَ : قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنا بالنَّارِ والْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ؛ فإذا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عافَسْنا الأَزْواجَ والأَوْلادَ والضَّيْعاتِ فنَسِينا كَثيرًا.

قالَ أَبُو بَكْرٍ: فواللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذا! فانْطَلَقْتُ أَنا، وأَبُو بَكْرٍ؛ حَتَّى دَخَلْنا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قُلْتُ: نافَقَ حَنْظَلَةُ يا رَسُولَ اللهِ! فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وما ذاكَ » قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنا بالنَّارِ والْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ؛ فإذا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِكَ عافَسْنا الأَزْواجَ والأَوْلادَ، والضَّيْعاتِ نَسِينا كَثيرًا! فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ ما تَكُونُونَ عِنْدي، وفي الذِّكْرِ؛ لَصافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ، وفي طُرُقِكُمْ، ولَكِنْ يا حَنْظَلَةُ! ساعَةً وساعَةً » ثَلاثَ مَرَّاتٍ)[٢].

---

(١) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص٢٢٤.

(٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « فضل دوام الذكر والفكر في أُمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدني ».

وكذلك لو تأملنا تصوير النَّبِيِّ الكريم ﷺ لإيمان بعض العُصاةِ حال تلبسهم بالمعاصي والذُّنوب والكبائر، في قوله ﷺ:

«لاَيَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَيَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَيَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهْوَ مُؤْمِنٌ»(١).

إنَّ نفي النَّبِيِّ ﷺ الإيمان عن هؤلاء العُصاة والمذنبين - وإن قال العلماء إنَّ المقصود هو نفي كمال الإيمان لا نفي أَصله - يُصور لنا المستوىٰ الذي يهبط إليه الإيمان حال مقارفة المعصية؛ حتىٰ لم يعد فاعلاً في نهي صاحبه عن المنكر، ودفعه إلىٰ الصَّلاح؛ فكأنَّه لا وجود له.

فكل ذلك يدلُّنا علىٰ حقيقة الإيمان، وأنَّه ليس أَمرًا ثابتًا لا ينقص؛ بل هو قابل للزيادة؛ إذا أَتىٰ صاحبه بأَسباب الزيادة! وقابل للنقص - بل وذهابه بالكلية - إذا أَتىٰ صاحبه بنواقضه ومبطلاته.

وقد أَوضح اللهُ تعالىٰ في كتابه العزيز، وفي سُنَّة نبيِّه الأَمين ﷺ حقيقة زيادة الإيمان ونقصانه في كثير من آياته والأَحاديث النبويَّة؛ حتىٰ يُبَيِّنَ - سبحانه - للمسلمين أَنَّ الإيمانَ هبةٌ ربَّانيةٌ، وعطيةٌ رحمانيةٌ؛ يجب المحافظة عليها! باجتناب ما ينقصها من اقتراف المعاصي والذنوب والكبائر، أَو يذهبها صاحبه بفعل شيءٍ من الشِّرك، أَو الكفر.

● وبناءً علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه يتكامل المؤمنون في إيمانهم، ويتفاضلون بقدر طاعتهم لله وموافقتِهم لشرعه جلَّ وعلا، قالَ تعالىٰ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب: «ما يحذر من الحدود: الزنا وشرب الخمر».

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٣)(*).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(*) فائدة: اعلم - أخي المسلم - كما أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وهو مراتب وشعب؛ كذلك الكفر يزيد، وهو دركاتٌ بعضـها أظلمُ من بعض، والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠]. وغيرها من الآيات.

أسباب زيادة الإيمان

فإنَّ أعظمَ نعمةٍ، وأكرم مِنَّةٍ يَمُنُّ بها الله - تبارك وتعالىٰ - علىٰ عبده المسلم في الدُّنيا؛ هي نعمة الإيمان الصَّادق بعد نعمة الإسلام.

فالإيمانُ الصَّادقُ؛ ليس كلمةً تُقال وتُطلق! ولا أُمنيةً يتمناها العبد! فتحقق له ذلك متىٰ شاء! كما أَنَّ الإيمانَ الصَّادقِ؛ ليسَ شيئًا حسيًّا يمكن أَن يمتلكه الإنسان بماله، أَو قوته وسلطانه، أَو أَنَّه شيء يمكن لأَحدٍ أَن يتصنعه، أَو يتزين به! كما يحلو له، كلا ثمَّ كلا!

فإنَّ الإيمانَ الصَّادق اعتقادٌ في قلب العبد الصَّادقِ؛ ينتج عن علمٍ ويقينٍ ومشاهدةٍ، ثمَّ يتبع ذلك قولٌ وعملٌ صادقٌ، وتضحية ومجاهدة دائمٌ؛ يظهرف في سلوكه اليوميَّة؛ فالعلم الذي هو منبع الإيمان، وأَصله في القلب؛ هو معرفةُ الله تعالىٰ، ومعرفةُ دينه الحقُّ، ومعرفةُ رسُوله الأَمين ﷺ وهذه الأُمور الثلاثة: هي الأُصولُ العظيمةُ للإسلام. والمشاهدة؛ هي مشاهدة لآيات الله الشَّرعيَّة، والكونيَّة العظيمة.

إذن! فالإيمانُ يزيد بالفقه في الدِّين والعمل به، وينقص بالجهل بالدِّين؛ الذي يتبعه فعل المعاصي والذُّنوب والكبائر.

وإنَّ الإيمانَ الصَّادقِ؛ هو الدَّافعُ الحقيقي لكلِّ التَّصرفاتِ والأَفعال السُّلوكيَّة للإنسانِ علىٰ اختلافِ أَشكلها وأَلوانها، والَّتي تُحَدِّدُ طبيعته، وتشكل نمط حياتهِ في الدُّنيا، وتكتب في الآخرةِ النِّهاية سعادتهِ أَو شقائهِ.

---

(١) انظر: (أَسباب ضعفُ الإيمان: أَعراضه وعلاجه) من هذا الكتاب: ص٩٨٥.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

وقالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إذا غرست شجرة المحبَّةِ في القلبِ، وسقيت بماءِ الإخلاصِ ومتابعةِ الحبيب؛ أثمرت أنواع الثمار، وآتت أُكلُها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها أصلُها ثابتٌ في قرارِ القلب، وفرعها متصلٌ بسدرةِ المنتهىٰ)(٢).

فمن هنا يجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ؛ يرجو لقاءَ رَبِّهِ - جلَّ في عُلاه - أن يجتهدَ قبل كلِّ شيءٍ، ويسعىٰ جادًا ليتعلمَ فقه الإيمان الصَّادقِ؛ الذي علَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أصحابهُ الكرامِ - رضي الله عنهم - وعليه معرفة سُبل زيادته ونموه، وأسباب نقصه وضعفه في القلب؛ كما كان حالُ أئمَّة السَّلف الصَّالح مع الإيمان الصَّادقِ.

ثمَّ اعلم! أنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - جعلَ للإيمانِ مواردَ عديدة تُعَزِّزُهُ وتقوِّيه، وأَسبابًا كثيرةً تزيده وتُنمِّيه؛ إذا عملَ بها العبدُ، وسعىٰ في طلبها جادًا، وفعلها تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ بصدقٍ وإخلاصٍ؛ قَوِيَ يقينهُ، وزادَ إيمانه، وارتفعَت درجاتهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فالإيمانُ سببٌ لكلِّ خيرٍ عاجلاً كان، أم آجلاً.

ومن أهمِّ أَسبابِ زيادةِ الإيمانَ التي وردت في الكتابِ والسُّنَّةِ، هي:

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٥٢.

(٢) «مدارج السالكين» ج٣، ص٩ (فصل منزلة المحبَّة).

١- طلبُ العلم النَّافعِ المستمدِّ من كتاب الله تعالىٰ، ومن سُنَّةِ رسوله ﷺ والالتزام به؛ لأنَّه يورثُ العملَ، والخشيةَ من الله تعالىٰ؛ فمَن وُفِّقَ فيهما، فقد وُفِّقَ لأعظم أسبابِ زيادةِ الإيمان، قال الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(١).

٢- التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ، والتعرُّف إليه سبحانه، وذلكَ بتحقيق التَّوحيد الخالص، ومعرفةِ أسماءِ الله الحسنىٰ؛ الواردةِ في الكتاب والسُّنَّة، والحرصِ علىٰ فهم معانيها الصَّحيحة، والتعبُّد بها، قال الله تعالىٰ:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(٢).

٣- الاقتداءُ بالنَّبيِّ الأمين ﷺ واتِّباعُ هديه الكريم، والتسنُّنُ بسُنَّته الشَّريفة ﷺ في كلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ من أُمور الدِّين والدُّنيا والآخرة، والعضُّ عليها بالنَّواجذ! ثمَّ تأمُّلُ في سيرتِه العطرة ﷺ، ومعرفةُ ما كان عليه ﷺ من الأخلاق العالية، والأوصافِ الكاملة، والخصالِ الكريمة، والشَّمائلِ الحميدة؛ لأنَّ مَن درسَ سيرتَهُ وصفاته ﷺ وتأمَّل فيه؛ فقد استكثر لنفسه من الخير، وازداد يقينُهُ وحبُّه للنَّبيِّ ﷺ وأورثَتهُ هذه المحبَّةُ متابعةَ هديه، والعَمَلَ بسُنَّته ﷺ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٣).

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة محمد ﷺ، الآية: ٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٤- تركُ جميع المحرَّمات والكبائر والمعاصي والمنهيَّات؛ تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ، وابتغاءَ وجهِ الكريمِ سبحانه، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[١].

٥- الإقبالُ علىٰ الدَّار الآخرة والسَّعْيُ لها بالقول والعمل، والزُّهْدُ في الدُّنيا، والإعراضُ عن زخرفها الذي يُشْغِلُ عن طاعةِ الله تعالىٰ، ولكنَّ الزُّهدَ يجب يكون بضوابط الشَّرع، ومن غير إفراطٍ ولا تفريط!

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[٢].

٦- قراءةُ القرآن وتدبُّره؛ بخشوعٍ وإخلاصٍ: من أهمِّ أسبابِ زيادة الإيمان؛ فالقرآنُ هو كتاب هداية، وآياته البيِّناتُ هي النُّور الذي يستضيء به العبد طريقه إلىٰ الحقِّ والصِّراطُ المستقيم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٣].

فقراءة القرآن هو من أنفع دواعي زيادةِ الإيمانِ؛ فالَّذي يقرأه بتدبُّرٍ وتأمُّل؛ يجد فيه من العلوم والمعارف ما يُقوِّي به إيمانه، ويزيده وينمِّيه، ولا تكون هذه الزِّيادةُ إلاَّ مع فهم القرآن وتطبيقِهِ، والعملِ به.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

٧- الإكثارُ من ذكرِ الله تعالىٰ؛ من الدُّعاء، والتَّضرُّع، والاستغفارِ، والتَّسبيحِ، والتَّهليلِ، والتَّفكُّرِ في عظمةِ الله تعالىٰ، والتَّأمُّلِ في عظيم مخلوقاته العجيبة، وبديع صنعته الفريدة؛ لأنَّ ذكر الله - جلَّ في عُلاه - من أهمِّ أسبابِ صلةِ العبدِ بربِّهِ وخالقه ورازقه - عزَّ وجلَّ - فهو يغرس شجرةَ الإيمان في القلب، ويغذِّيه، ويقوِّيه، ويُأصِلُهُ في أعماقِهِ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[2].

٨- الإكثارُ من النَّوافلِ بعد الفرائضِ؛ لأنَّها تُقرِّبُ العبدَ إلىٰ ربِّه - عزَّ وجلَّ - والإتقانُ في إداءِ جميع العبادات؛ كما جاءت في السُّنَّة النبويَّة، والاجتهادُ في تحقيق مقامِ الإحسان في العبادة، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ! وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « التواضع ».

٩- الاتِّصافُ بصفاتِ المؤمنين الصَّادقين، وأولياءِ الله الصَّالحين المتقين العاملينَ بسُنَّةِ نبيِّه ﷺ، واتِّباعُ آثارهم وخُطُواتهم، والأخذُ بهديهم، والتَّأسِّي بهم، ومجالستُهم؛ لأنَّ ذلك يُذكِّرُ العبدَ بربِّه تعالىٰ، ويُرقِّق قلبَهُ، ويزيده إيمانًا وإحسانًا وصدقًا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[3].

وقالَ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[4].

وقالَ ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء».

(٤) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب «ما جاء في أخذ المال». وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو داود في (كتاب الآداب) باب «من يؤمر أضن يجالس». وصححه الألباني.

١٠ – الإحسان إلىٰ عباد الله المؤمنين؛ من بِرِّ الوالدين، والأقاربِ، والجيرانِ، وعامَّةِ المسلمينَ، وإحسان إليهم، وإكرامهم، والرفق معهم، وتعامل معهم بحُسْنِ الخُلق، والآدب النَّبويِّ؛ من وقوف إلىٰ جانبهم، وقضاءِ حوائجهم، ورفعِ نوائبهم، وحضورِ أفراحهم وأَتراحهم، ورحمة الفقراء والمساكين والأَيتام وأَبناء السبيل، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[1].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللّٰهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللّٰهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

وقالَ ﷺ: «إِنَّ اللّٰهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ»[3].

وقالَ ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ؛ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) رواه البخاري في (كتاب المظالم) باب «لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه».

(٣)، (٤) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «فضل الرفق».

١١- تأمُّلُ محاسنِ الإسلام، ومقاصد أحكامه الحكيمة؛ حيث إنَّ الدِّينَ الإسلامي كلّه محاسن، ومقاصدهُ يحقق مصالح العباد في الدَّارين؛ فعقائدُهُ أصحُّ العقائدِ وأنفعها وأصدقها من بين عقائدِ الأديان والمِلَل، وأحكامُه أحسنُ الأحكام وأعدلُها وأنصفها للعباد والبلاد، وأخلاقُه أجملُ الأخلاق وأكملُها إطلاقًا؛ فالمتأمِّلُ في هذه كلِّها! يُزيِّنُ اللهُ تعالىٰ الإيمانَ في قلبه ويحبِّبه إليه، فيجد حلاوتَهُ ولذته؛ فيزداد إيمانًا وإحسانًا.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٦.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

١٢- تأَمُّلُ آياتِ اللهِ تعالىٰ ومخلوقاته العظيمة؛ فالمتأمِّل في عظمة خلقِ السَّموات والأَرض، وما فيهنَّ من المخلوقات المتنوِّعةِ والعجيبة، وفي نفس الإنسان، وما هو عليه من الصِّفات الدقيقة؛ من الأَسباب القويَّة لزيادة الإيمان ونموه، وترسيخِه في أَعماق القلب، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١].

١٣- الدعوةُ إلىٰ الله تعالىٰ، ونشرُ رسالةِ الإسلام الخالدةِ من التَّوحيد الخالصِ، والأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، والتَّواصي بالحقِّ والصَّبر.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[٣].

١٤- البُعدُ عن شُعَبِ الكُفر، وعن كبائرِ الذُّنوب، والنِّفاق، والفُسوق، والظُّلم، والعصيان، وجميع ما ينافي الإيمانَ؛ لأَنَّ هذه المعاصيَ سببُ مباشرٌ لضعفِ الإيمان في قلب العبد، والبُعدَ عنها؛ من أَهمِّ أَسبابِ زيادة الإيمان وقوته.

إلىٰ غير ذلك من الأَسباب التي تؤدِّي إلىٰ زيادة الإيمان.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب «فضل من أسلم علىٰ يديه رجل».

● واعلم! - أخي المسلم - علَّمنا الله تعالىٰ وإيَّاك طريق النَّجاة:

أنَّ عدمَ تعاهدِ هذه الأسبابِ الشَّرعيَّة في زيادة الإيمان في القلب، وإهمالَ تقويتها، وتركَ العناية بها؛ هو من أهمِّ أسبابِ نقصانِ الإيمان في قلبِ العبدِ! لأنَّ المحافظةَ علىٰ هذه الأسباب المهمة؛ سببٌ مباشرٌ في زيادةِ الإيمان وتقويته في قلب عبد المؤمن الصَّادقِ؛ فكذلك تكون إهمالُها سببٌ في نقصه وضعفه!

وصفوةُ القولِ:

كُلَّما زاد العبدُ المؤمن من الطَّاعاتِ والأعمال الصَّالحة؛ ازداد إيمانًا ويقينًا، ثمَّ منزلةً ورفعةً عند الله عزَّ وجلَّ، قال تعالىٰ في مُحْكَمِ التَّنزيل:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ٩.

أسباب نقص الإيمان

فاعلم! أَخي المسلم: كما علمنا أَنَّ للإِيمانِ أَسبابًا تزيده وتُنَمِّيه وتقويه؛ فكذلك للإِيمانِ أَسبابٌ تنقصه وتضعفه؛ فعلىٰ المسلمِ الصَّادق أَن يكون حريصًا لمعرفة هذهِ الأَسباب؛ حتىٰ يحذر من الوقوعِ فيها، ويسعىٰ لبُعد منها، ومن أَهمِّ هذه الأَسباب:

- الجهل بأُمور الدِّين، وعلوم الشَّرع، والتَّقليدُ الأَعمىٰ.
- الابتداعُ في الدِّين، وتركُ سُنَّةِ الرَّسول ﷺ.
- اتِّباعُ الأَئمَّة المضلِّين! من أَهل الأَهواءِ والبدع.
- اتبَاعُ الهوىٰ، والشهواتِ والشُّبُهات.
- الاقتداءُ بأَصحاب الجحيم؛ من أَهل الكُفرِ، والشِّرك، والمعاصي.
- عدمُ إِظهارِ البراءة والعداء؛ لأَعداء الإِسلام.
- عدمُ الشُّعور بالمسؤولية تُجَاهَ الأُمَّةِ الإِسلاميَّة والمسلمين.
- طاعة النَّفس الأَمَّارَة بالسُّوءِ، وعدمُ مجاهدتها بطُرق الشَّرعيَّة.
- مجالس اللَّهو، وقُرَنَاءُ السُّوء.
- الغفلة، والإِعراض، والتَّناسي؛ عن ذكر الله تعالىٰ.
- فعل المعاصي والآثام، وارتكابُ الذُّنوبِ، والاستهانةُ بها.
- الرُّكون إِلىٰ الدُّنيا الزَّائلةِ الفانية، وفتنتها، وزينتها، وملهياتِها،

ومغرياتِها، والانهماكُ في طلبها، والجري خلف مَلَذَّاتِها؛ من الأَموال والأَولاد، والنِّساء، وحبِّ الشَّهوات.

● الإعراض عن الدَّار الآخرةِ، وعدم السَّعي في طلبها، والعملِ لها.

● التَّقصير في الطَّاعات والقُرُبات، والتَّكاسل عنها، وعدمُ استغلال الأَوقات في الأَعمال الصَّالحة.

● اتِّباع خُطوات الشَّيطان؛ لأَنَّ الشَّيطان - نعوذ بالله منه - عدوٌّ لدودٌ للمؤمنين، يتربَّص بهم الدوائرَ، وهمُّه الأَكبرُ وغايتُهُ الأَسْمَىٰ هي؛ إفسادُ عقائِدِ المؤمنين، وزعزعةُ الإيمان الصَّادق في قلوبهم وتخريبُها، أَو إضعافُها.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

واعلم أَخي الموحد: أَنَّ العبدَ إذا لم يلجأ إلىٰ الله تعالىٰ من شرِّ الشَّيطان وخُطُواته وخَطَراته وشبُهاته ووساوسه؛ بالدعوات النَّافعة والأَذكار المباركةِ؛ يضعف إيمانُه وينقُص؛ بل وربما يذهب كليًّا بحسب استجابتِه للشَّيطان، ويبتعد عن ولاية الله جلَّ وعلا، قال تعالىٰ:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾(٢).

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

●● إلىٰ غير ذلكَ من الأَسبابِ التي تُنْقِصُ إيمان العبد، وتُبْعِدُهُ عن ربِّه – جلَّ في عُلاه – ويُعرِّضُه إلىٰ مقته وشديدِ عذابه، والعياذ بالله.

فائدةٌ جليلةٌ: فقد ذكر الله تعالىٰ في «سورة مريم»: صفات الذين ينالون رضاهُ والجنَّة بعد ما أَوردَ سيرةَ بعضِ الأَنبياء والرُّسُل – عليهم الصَّلاة والسَّلام – وما قاموا به من الإيمان واليقين، والتَّوحيدِ الخالص، والصِّدْقِ مع الله، وإقامة حدود الله، واتباعِ أَوامره، واجتنابِ نواهيه وزواجره، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وتعليمِ النَّاس الخيرَ، وتحذيرهم من الشِّرك بالله والكُفر، وما قدَّموا من الصبر، والبلاءِ الحسن، والأَعمال الصَّالحة، وما تعرَّضوا له من أَجل دعوتهم من الأَذىٰ الكثير؛ فقال عنهم:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[1].

ثمَّ ذكر الله تعالىٰ بعد ذلك؛ صفات الذين أَضاعوا الدِّين واتَّبعوا الشَّهوات، وعمِلوا بنواقص الإيمان ونواقضه، بأَنَّ مصيرهم الخُسران يوم القيامة، ثمَّ وعدَ – سبحانه – مَن تابَ منهم بصدقٍ وإخلاص، وعملَ صالحًا؛ برضوانه والجنَّة؛ فقال الله – تبارك وتعالىٰ – عنهم:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٨.

عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[١](*).

وقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[٢](**).

وعن الصَّحابيِّ الجليلِ حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أنَّه قال:

(كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي...)[٣].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٥٩ – ٦٢. (٢) سورة الشمس، الآيات: ٩ – ١٠.

(٣) رواه مسلم في: «كتاب الإمارة» باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة).

(*) قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة: (لمَّا ذكر تعالىٰ حزب السُّعداء وهم الأنبياء – عليهم السَّلام – ومَن تبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره، المؤدِّين فرائضَ الله التاركين لزواجره، ذكر أنَّه ﴿ خَلَفَ من بعدهِم خَلْفٌ ﴾ أي قُرون أُخر ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ ﴾ وإذا أضاعوها؛ فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأنَّها عماد الدِّين وقِوامُه وخيرُ أعمال العباد، وأقبلوا علىٰ شهوات الدُّنيا وملاذِّها، ورضوا بالحياة الدُّنيا واطمأنوا بها؛ فهؤلاء سيَلْقَون غيًّا، أي: خسارًا يوم القيامة... وقوله: ﴿ إلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي: إلاَّ مَن رجع عن ترك الصلوات واتِّباع الشَّهوات؛ فإنَّ الله يَقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنَّة النعيم).

(**) قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة: (قد أفلح مَن زكىٰ نفسَه؛ فكثر تطهيرَها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال... وقد خاب في طاعته؛ فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصَّلاح من دسَّاها، يعني من دسس الله نفسه فأخملها، ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدىٰ؛ حتىٰ ركب المعاصي، وترك طاعة الله).

شعب الإيمان

قد تبيَّن لنا مما مضىٰ؛ أَنَّ حقيقةَ الإيمانِ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ هي: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعات؛ لأَنَّ الطَّاعات كلَّها من الإيمان، وينقصُ بالمعاصي والمنكرات.

والإيمانُ: مركَّبٌ من شُعبٍ وأَجزاءٍ ومراتبَ ودرجاتٍ؛ تتفاوتُ وتتفاضل؛ بعضُها أَفضل وأَعلىٰ من بعض، وأَجر بعضها أَعظم من بعض.

وأَهلُ الإيمانِ: متفاوتون ومتفاضلون فيه علىٰ حسب عِلْمِهم وعَمَلِهم، وبما قام لديهم من علمٍ، ويقينٍ، وصدقٍ، وإخلاصٍ، وإحسانٍ، وحبٍّ، وخضوعٍ لله تعالىٰ، وبما يقومون به من الأَعمالِ الصَّالحة؛ من البرِّ والتَّقوىٰ، وامتثالِ أَوامر الله – تبارك وتعالىٰ – واجتنابِ نواهيه.

فمَن أَتىٰ منهم بأَكثر عدد من شُعب الإيمان؛ كان أَفضلَ من المُقِلِّ عند الله تعالىٰ، ومَن أَتىٰ بأَعلىٰ الشُّعَب؛ كان أَفضلَ من الذي أَتىٰ بأَدنىٰ الشُّعب، والله يرفع مَن يشاء درجاتٍ، وهو العليم الخبير.

فأَفضلُهم وأَعلاهم درجةً عند الله تبارك وتعالىٰ؛ هم أُولو العزم من الرُّسُل – صلوات الله وسلامه عليهم – وأَدناهم المخلصون من أَهلِ التَّوحيد الخالص، وبين ذلك مراتب ودرجات؛ لا يُحيط علمًا بها إلاَّ الله تعالىٰ، وبحسب ذلك يتسابقون في دخول جنَّة الخُلد، وعلىٰ حسبه تُرفع

درجاتهم، وبقدره تكون مقاعدهم عند الله تعالىٰ، والله يختص برحمته مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قدير، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

وقد ذكرَ اللهُ – تبارك وتعالىٰ – في كتابه العزيز؛ آياتٍ كثيرةٍ فيها من شُعَب الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية؛ الظَّاهرة والباطنة، وشهدَ الله تعالىٰ بالإيمانِ؛ لمن أتىٰ بهذه الشُّعب بالصِّدق وبإخلاصٍ وبالتَّقوىٰ، وسمَّاهم المؤمنين المتَّقين الصَّادقين؛ ثمَّ بشَّرهم بالصَّلاح والفلاح والنجاح والفوز والنَّجاة والجنَّة، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٣٤.

السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[2].

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَو بِضْعٌ وَسِتُّونَ[3] – شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا[4] قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »[5][*].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧ – ١٠٨.

(٣) الراجح عن أهل العلم: « بضعٌ وسبعُون ».

(٤) جاء في بعض الروايات: « أَعْلاَهَا، أَو أَرْفَعُهَا ».

(٥) بهذا اللفظ رواه مسلم في: « كتاب الإيمان » باب: (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان). ورواه البخاري في: « كتاب الإيمان » باب: (أمور الإيمان) بلفظ: « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ». ورواه أبو داود في: « كتاب السُّنَّة » باب: (في ردّ الإرجاء). ورواه الترمذي في: « كتاب الإيمان » باب: (استكمال الإيمان). ورواه النسائي في: « كتاب الإيمان » باب: (ذكر شعب الإيمان). وكلُّهم رووه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) « بضع »: (في العدد – بكسر الباء وقد يفتح – ما بين الثلاث إلىٰ التسع، وقيل: ما بين الواحد إلىٰ العشرة). انظر: « النهاية »: ج١، ص١٣٣.

« الشُّعبةُ » بضم الشين: هي القطعة، والمراد منها في الحديث: الخصلة أو الجزء، أي: إنَّ الإيمان ذو خصال متعددة. انظر: « فتح الباري » لابن حجر؛ ج١، ص٧٢ . دار السلام.

فالآياتُ والأَحاديثُ في شُعب الإيمان في كتاب الله تعالىٰ، وفي سُنَّةِ نبيِّهِ الأَمين ﷺ كثيرةٌ جدًا؛ يصعبُ حصرها والإحاطة بها - وخصوصًا في هذا الكتاب - فإنَّ جميع ما ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ من الأَوامر والنَّواهي، وما جاءت به الشَّريعة الغراء؛ تُعدُّ من شُعب الإيمان، من أَعلاها: لا إله إلاَّ الله، إلىٰ أَدناها: إماطة الأَذىٰ عن الطريق - كما حدَّدها النَّبِيُّ ﷺ - وجميع هذه الشُّعب من الإيمان؛ سواءً كانت من الأَعمال القوليَّة، أَو العمليَّة؛ الظَّاهرة، أَو الباطنة.

قالَ الحافظُ ابن حجر العسقلاني، رحمه الله تعالىٰ:

(إنَّ هَذِهِ الشُّعَبِ تَتَفَرعُ عن: أَعمالِ القلبِ، وأَعمالِ اللِّسان، وأَعمال البدن)[١].

وقالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

(ولَمَّا كان الإيمان أَصلاً له شُعبٌ متعددة، وكلّ شُعبة منها تُسمىٰ إيمانًا؛ فالصَّلاة من الإيمان، وكذلك الزَّكاة والحج والصِّيام، والأَعمالُ الباطنة؛ كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه؛ حتىٰ تنتهي هذه الشُعب إلىٰ إماطة الأَذىٰ عن الطريق، فإِنَّهُ شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب؛ منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأَذىٰ عن الطريق، وبينهما شُعبٌ متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يلحق بشُعبة الشهادة، ويكون إليها أَقرب، ومنها ما يلحق بشُعبة إماطة الأَذىٰ، ويكون إليها أَقرب)[٢].

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ج١، ص ٧٣.

(٢) «الصلاة وحكم تركها» فصل: (في الحكم بين الفريقين).

وقد صَنَّفَ العلماءُ - رحمهم الله تعالىٰ - في «شُعب الإيمان» مصنفاتٍ عديدةٍ وعظيمةٍ، واجتهدوا في ذكرِ جميع هذه الشُّعب وتحديدها، والإحاطة بها؛ بأَدلتها من الكتاب والسُّنَّة.

ومن المفيد أَن أَنقُلَ هنا أَبواب أَحدِ هذه المصنفات؛ لكي يتسنَّىٰ لنا الاطلاع علىٰ هذه الكُتب العظيمة، وجهود مؤلفيها - من العلماء - في تحديد هذه الشُّعب.

ومن هذه الكُتب الجليلة العظيمة الفريدة من نوعها؛ كتاب:

«الجامع لشُعب الإيمان».

للحافظ الكبير أَبي بكر البيهقي - رحمه الله تعالىٰ - حيث إِنَّه وُفِّقَ في تبويب أَبواب كتابه، وترتيب شُعب الإيمان فيه.

وقد رتبَ هذه الشُّعب في سبعة وسبعين بابًا؛ فاستدل علىٰ أَقواله في كلِّ بابٍ؛ بالآيات القرآنية والأَحاديث النبويَّة.

وأَصبحَ كتابه هذا موسوعةً حديثيَّةً، وثروةً عظيمةً في الأَحاديث؛ جمعتْ رواياتٍ وأَلفاظًا عديدةً لأَحاديث شُعب الإيمان؛ إِضافةً إِلىٰ فوائدَ عديدة في فنون شتىٰ، وعلومٍ أُخرىٰ، وجاء فيه - أَيضًا - رواياتٍ وآثارٍ كثيرة في الرَّقائق، والزُّهد، والتَّربية، وتزكية النَّفس، والسُّلوك.

وقد قسَّمَ الحافظ البيهقي - رحمه الله تعالىٰ - شُعبَ الإيمان في كتابهِ الكبير إِلىٰ سبع وسبعين شعبةً، وسوف أَنقلها مع بعض الاختصار والتَّصرف اليسير، وهذه الشُّعب هي:

١- الإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

٢- الإيمان برُسُل الله صلوات الله عليهم.

٣- الإيمان بالملائكة.

٤- الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزَّلَة قبله.

٥- الإيمان بأَنَّ القدرَ خيرَه وشرَه من الله عزَّ وجلَّ.

٦- الإيمان باليوم الآخر.

٧- الإيمان بالبعث والنشور بعد الموت.

٨- الإيمان بحشر النَّاس بعدما يبعثون من قبورهم إلىٰ الموقف.

٩- الإيمان بأَنَّ دار المؤمنين ومأواهم الجنَّة، ودار الكافرين ومأواهم النَّار.

١٠- الإيمان بوجوب محبَّة الله عزَّ وجلَّ.

١١- الإيمان بوجوب الخوف من الله عزَّ وجلَّ.

١٢- الإيمان بوجوب الرَّجاء من الله عزَّ وجلَّ.

١٣- الإيمان بوجوب التوكل علىٰ الله عزَّ وجلَّ.

١٤- الإيمان بوجوب محبَّة النَّبيِّ ﷺ.

١٥- الإيمان بوجوب تعظيم النَّبيِّ ﷺ.

١٦- شح المرء بدينه حتىٰ يكون القذف في النَّار أَحبَّ إِليه من الكُفر.

١٧- طلب العلم.

١٨- نشر العلم .

١٩- تعظيم القرآن المجيد ؛ بتعلُّمه وتعليمه، وحفظ حدودِهِ وأَحكامِه، وعلم حلالِه وحرامِه، وتبجيلِ أَهلِهِ وحفاظه .

٢٠- الطهارات .

٢١- الصلوات الخمس .

٢٢- الزَّكاة .

٢٣- الصِّيام .

٢٤- الاعتكاف .

٢٥- الحجّ .

٢٦- الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ .

٢٧- المرابطة في سبيل الله عزَّ وجلَّ .

٢٨- الثبات للعدو، وترك الفرار من الزحف .

٢٩- الخُمسُ من المغْنَم إلىٰ الإمام وعُمَّاله علىٰ الغنائم .

٣٠- العتق بوجه التَّقرب إلىٰ الله عزَّ وجلَّ .

٣١- الكفَّارات الواجبات بالجنايات .

٣٢- الإيفاء بالعقود .

٣٣- تعديد نعم الله - عزَّ وجلَّ - وما يجب من شكرها .

٣٤- حفظ اللِّسان عمَّا لا يحتاج إليه .

٣٥- الأَمانات وما يجب فيها من أَدائها إلىٰ أَهلها .

٣٦- تحريم قتل النفوس والجنايات عليها .

٣٧- تحريم الفروج وما يجب بها من التعفف .

٣٨- قبض اليد عن الأَموال المحرَّمة .

٣٩- وجوب التورُّع؛ في المطاعم، والمشارب، والاجتناب عمَّا لا يحل منها .

٤٠- الملابس والزِّي والأَواني وما يكره منها .

٤١- تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة .

٤٢- الاقتصاد في النفقة، وتحريم أَكل المال بالباطل .

٤٣- ترك الغِل والحسد، ونحوها .

٤٤- تحريم أَعراض النَّاس، وما يجب من ترك الوقوع فيها .

٤٥- إخلاص العمل لله - عزَّ وجلَّ - وترك الرِّياء .

٤٦- السرور بالحسنة، والاغتمام بالسيِّئة .

٤٧- معالجة كلّ ذنب بالتوبة .

٤٨- الأَضاحي والقرابين .

٤٩- طاعة أُولي الأَمر .

٥٠- التَّمسُّك بما عليه الجماعة .

٥١- الحُكم بينَ النَّاس بالعدل .

٥٢- الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥٣- التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ.

٥٤- الحياء.

٥٥- برُّ الوالدين.

٥٦- صلة الرحم.

٥٧- حُسن الخُلق.

٥٨- الإِحسان إلىٰ المماليك.

٥٩- حقُّ السَّادة إلىٰ المماليك.

٦٠- حقوق الأَولاد والأَهل.

٦١- مقاربةُ أَهلِ الدِّين ومودتهم، وإِفشاء السَّلام بينهم، والمصافحة لهم.

٦٢- ردُّ السَّلام.

٦٣- عيادة المريض.

٦٤- الصَّلاةُ علىٰ مَن ماتَ من أَهلِ القِبْلة.

٦٥- تشميت العاطس.

٦٦- مباعدة الكُفَّار والمفسدين، والغلظ عليهم، والبراء منهم.

٦٧- إِكرام الجار.

٦٨- إِكرامُ الضيف.

٦٩- الستر علىٰ أَصحاب القروف.

٧٠- الصبر علىٰ المصائب، وعمَّا تنزع النفس إليه لذة وشهوة.

٧١- الزُّهد وقِصرُ الأَمل.

٧٢- الغيرة وترك المِذاء.

٧٣- الإعراض عن اللَّغو.

٧٤- الجود والسَّخاء.

٧٥- رَحْمة الصغير، وتوقير الكبير.

٧٦- إصلاحُ ذات البين.

٧٧- أَن يُحِبُّ الرَّجلُ لأَخيهِ المُسلم؛ ما يُحبُّ لنفسه، وأَن يكره لأَخيه ما يكره لنفسه.

● هذه هي شُعب الإيمان؛ التي اجتهد العلماء في جمعها وبيانها.

وقد جُمِعَ في هذه الشُّعب العظيمة الإسلام الحقِّ بكماله، وما أَحرىٰ بنا - نحن المسلمين - أَن نتعلَّمها، ونعمل بها بصدقٍ وإخلاصٍ وإحسانٍ؛ حتىٰ نكون من المؤمنين الصَّادقين العاملين من أَولياء الله تعالىٰ؛ الذين جمعوا خيري الدُّنيا والآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

(١) سورة النساء، الآية: ١٣.

● فائدةٌ جليلةٌ من إمامٍ جليلٍ!!

قالَ الإمامُ الحافظُ ابن حبَّان، رحمَهُ اللّهُ تعالىٰ:

(وقد تَتَبعتُ معنىٰ الخبرِ مُدَّةً، وذلكَ أنَّ مذهبنا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يتكلم قطُّ إلاَّ بفائدة، ولا من سُنَنِهِ شيءٌ لا يُعْلَمُ معناهُ؛ فجعلتُ أَعُدُّ الطَّاعاتِ من الإيمان؛ فإذَا هي تزيدُ علىٰ هذا العدد شيئًا كثيرًا، فرجعتُ إلىٰ السُنن؛ فعددتُ كلَّ طاعةٍ عدَّها رسُولُ ﷺ من الإيمان؛ فإذا هي تنقُص من البِضع والسبعين، فرجعتُ إلىٰ ما بين الدَّفَّتَيْن من كلام ربِّنا، وتلوتُه آيَةً آيةً بالتدبُّر، وعددتُ كُلَّ طاعةٍ عدَّها اللّٰه - جلَّ وعلا - من الإيمان؛ فإذا هي تَنْقُصُ عن البِضع والسبعين؛ فضممتُ الكتابَ إلىٰ السُنن، وأَسقَطتُ المُعادَ منها؛ فإذا كلُّ شيءٍ عَدَّه اللّٰه - جلَّ وعلا - من الإيمان في كتابه، وكلُّ طاعةٍ جعلها رسُولُ اللّٰه ﷺ من الإيمان في سُنَنِهِ تسعٌ وسبعونَ شعبةً لا يَزِيدُ عليها ولا يَنْقُص منها شيءٌ؛ فعلمتُ أَنَّ مرادَ النَّبيِّ ﷺ كانَ في الخبرِ أَنَّ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة في الكتاب والسُّنَنِ)[1].

(١) انظر: «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبَّان» ج١، ص٣٨٧. «كتاب الإيمان» باب: (ذكر بيان بأَنَّ الإيمان أجزاء وشعب لها أعلىٰ وأدنىٰ).

مراتب الإيمان

علمنا - مما سبقَ - أَخي القارئ العزيز؛ أَنَّ الإيمانَ عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ، وينقص بالمعاصي، وأَهلهُ متفاوتون فيه علىٰ حسب عِلْمِهم وعَمَلِهم.

والإيمان: مركَّبٌ من شُعبٍ وأَجزاءٍ، وهو درجاتٌ ومراتبٌ؛ **له حَدٌّ أَعلىٰ الذي يبلغ بصاحبه درجة الصِّدِّيقين، وحَدٌّ أَدنىٰ الذي مَن أَخلَّ به ذهب إيمانه.**

● والإيمانُ يزيدُ بالطَّاعات، والأَعمال الصَّالحة، وبمتابعة هديِّ الرَّسُولِ ﷺ وسُنَّته، وبالتَّوحيد الخالصِ، وصفاء الإخلاص لله تعالىٰ، إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ أَن يزيدَ؛ حتىٰ يُوصلَ صاحبَه درجةَ أَولياء الله الصَّالحين، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، والمتقين العاملين، ويرفعه هذا الإيمانُ الصَّادق إلىٰ عليين في جنَّات النَّعيم. وهذه المرتبة تُسمَّىٰ: « حقيقة الإيمان ».

● والإيمانُ ينقص بالمعاصي والذُّنوبِ والكبائر، والأَعمال الطالحة؛ لكن يبقىٰ مع صاحبه أَصلُ الإيمان الذي يخرج به من النَّار، فلا يُخلد فيها، ويُسَمَّىٰ مسلمًا، ولا يُسمَّىٰ مؤمنًا بإطلاق؛ بل لا بُدَّ من التَّقييدِ؛ فيقال: مؤمن ناقص الإيمان، أَو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، كما أَنَّه لا يُنفىٰ عنه الإيمان بإطلاق؛ فيقال: ليس بمؤمن حقًا، أَو ليس بصادق الإيمان، وهذا أَقلُّ مراتب الإيمان وأَدناها.

وهذه المرتبة تُسمَّىٰ: الإسلام، أَو أَصل الإيمان، أَو الإيمان المجمل، أَو مطلق الإيمان، وتنعقد هذه المرتبة بثلاثة أُمور أَساسيَّة! لا بُدَّ منها:

الأُول: النُّطقُ بالشَّهادتين.

الثَّاني: قول القلب، وهو العلم، والتَّصديق بمعناهما، وأَنَّ الرَّسُول ﷺ صادقٌ في كلِّ ما أَخبرَ، وأَمرَ به عن الله تعالىٰ.

الثَّالث: عمل القلب، وهو قبول التَّوحيد، والبراءةُ من ضدِّه، ومحبَّة الله تعالىٰ ورسُوله ﷺ ودينه، والعزم علىٰ الانقياد لهما.

ومَن لم يأْتِ من العبادِ! بهذه الأُمور الثَّلاثةِ مجتمعةً؛ لم ينعقد له أَصلُ الإيمان، ولا يدخُلُ في حضيرة الإسلام البتَّة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١].

وكذلك قد سَمَّىٰ الله – تبارك وتعالىٰ – في كتابه العزيز؛ المتحاكمين لغير شرعه! بالمنافقين، فقالَ تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[٢].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٠– ٦١.

فإذا جاءَ العبدُ بأَصلِ الإيمانِ، ودخلَ في الإسلام؛ فهو مكلَّف بعدها بتكميل إيمانه؛ بامتثال الطَّاعات، واجتناب المحرَّمات والنَّواهي؛ قولاً وعملاً! وذلكَ لأنَّ اللهَ – تبارك وتعالىٰ – قال في صحة إسلامِ العبدِ:

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

● وكذلك! أنَّ الإيمانَ – عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ المحضة – ينقص ثمَّ ينقص فينقص؛ حتىٰ يكونَ أَمرُ صاحبِهِ علىٰ خطرٍ عظيمٍ؛ بل رُبَّما يذهبُ إيمانه كلِّيًا! بقدر مخالفته لأَمرِ الله تعالىٰ، وبحسبِ إصرارِهِ علىٰ المعاصي والذُّنوب؛ التي تقودُهُ إلىٰ ما يُناقض إيمانه من الأَعمالِ، وفي النهاية المطافِ! لا يبقىٰ معه من الإيمان شيءٌ ينفعه عند ربِّه – سبحانه وتعالىٰ – يوم الحساب؛ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاَّ من أَتىٰ الله تعالىٰ بقلبٍ سليمٍ فيها إيمانٌ صادقٌ.

إذن! فللإيمان حَدٌّ أَدْنىٰ؛ مَن أَخلَّ به ذهب إيمانه وإسلامهُ بالتَّمامِ، ولن ينجو صاحبه من الخلودِ في النَّار، والعياذ بالله.

● فالإيمانُ – عندهم – مراتبُ ودرجاتٌ ومنازلٌ، والمؤمنونَ فيه علىٰ طبقاتٍ متفاوتون في مراتب إيمانهم؛ فمنهم مَن معه أَصلُ الإيمان، ومنهم مَن عملَ بحقائقه واستكمل الإيمانَ، وبلغ درجاتِ الكمالِ الواجب، أَو المستحب؛ فهؤلاءِ معهم « حقيقة الإيمان ».

فمراتب الإيمان – عند أَهل السُّنَّة والجماعة – ثلاثة مراتبٍ، هي:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١.

أَصلُ الإيمان، والإيمانُ الواجب، والإيمانُ الكامل.

المرتبةُ الأُولىٰ: «أَصلُ الإيمان»:

ويسمَّىٰ أَيضًا «الإيمان المجمل» أَو «مطلق الإيمان».

وهذه المرتبة من الإيمان غيرُ قابلةٍ للنُّقصان؛ لأَنَّها حدّ الأَدنىٰ للإيمانِ، وهي حَدُّ الإسلام، والفاصلُ بين الإيمان والكُفر.

وهذا النَّوع واجبٌ علىٰ كلِّ مَن دخلَ دائرةَ الإيمان والإسلام، وشرطٌ في صحَّته، وبه تَثْبُتُ الأَحكام الشَّرعيَّة؛ لأَنَّ اسمَ الإيمان وحكمهُ يشملُ كلَّ مَن دخل فيه، وإِن لم يستكمله، ولكن معه الحدُّ الأَدنىٰ منه، وهو ما يصحُّ به إِسلامه.

ومرتكبُ الكبائر داخلٌ في هذا المعنىٰ، والمنفي عنه؛ ليس اسمَ الإيمان والدُّخول فيه، وإِنَّما المنفي هو حقيقته وكماله الواجب؛ فهو لا يُسلب عنه مطلَق الإيمان - أَي أَصله - ولا يُعطىٰ الإيمان المطلق التَّام.

وهذا الإيمانُ يتحقَّق بالتَّصديق، والانقياد المجمل، وتوحيد الله تعالىٰ في ذاته وصفاته وأَفعاله، واستحقاقه - سبحانه - وحده للعبادة، واتِّباع أَوامره ونواهيه، واتِّباع رسُوله ﷺ.

وهذه المرتبة - أَيضًا - لا يشترط فيها وجود العلم التَّام بالإيمان.

فإِذا عَمِلَ العبدُ بهذا كلِّه؛ فقد حقَّقَ أَصلَ الإيمان الذي ينجو به من الكُفر، وأَمَّا في الآخرة؛ فينجو به من الخُلود في النَّار، ومصيره يكون إِلىٰ الجنَّة؛ إِن مات علىٰ هذا الإيمان، ولم ينقضه بقول أَو عمل أَو اعتقاد، وإِن قصَّر في بعض الواجبات، أَو اقترف بعض المحرَّمات، ولكن منهم من

يدخلها ابتداءً برحمة الله تعالىٰ ومغفرته، أَو بعد شفاعة أَو سبب آخر، ومنهم من يدخلها بعد أَن يُعذَّب في النَّار - والعياذ بالله - والله أَعلم.

وصاحبُ هذه المرتبة يدخل في دائرة الإسلام، أَو الإيمان المقيَّد، وكذلك يدخل فيها مَن أَسلم من أَهل الطَّاعة ممَّن لم تدخل حقائقُ الإيمان في قلوبهم، ويدخل فيها - أَيضًا - أَهلُ الكبائر عمومًا، ويسمَّىٰ صاحبه: مؤمنًا ناقص الإيمان، أَو فاسقًا، أَو عاصيًا.. إلخ(*). قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(١).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(*) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فعامَّةُ النَّاس إذا أَسلموا بعد كُفر، أَو ولدوا علىٰ الإسلام، والتزموا شرائعه، وكانوا من أَهل الطاعة لله ورسُوله؛ فهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلىٰ قلوبهم؛ إنَّما يحصل شيئًا فشيئًا إن أَعطاهم الله ذلك، وإلاَّ فكثيرٌ من النَّاس لا يصلون لا إلىٰ اليقين ولا إلىٰ الجهاد، ولو شككوا لشكوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفَّارًا ولا منافقين؛ بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الرَّيب، ولا عندهم من قوة الحبِّ لله ولرسوله ما يقدمونه علىٰ الأَهل والمال، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنَّة، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم؛ فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلاَّ صاروا مرتابين، وانتقلوا إلىٰ نوع من النِّفاق...) ثمَّ قال عنهم: (فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق؛ ماتوا علىٰ هذا الإسلام الذي يثابون عليه، ولم يكونوا من المؤمنين حقًا الذين امتحنوا فثبتوا علىٰ الإيمان، ولا من المنافقين حقًا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أَو أَكثرهم! إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أَهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا وينافق أَكثرهم أَو كثير منهم، ومنهم من يظهر الرِّدة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا ورأىٰ غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية، أَو كان المسلمون ظاهرين علىٰ عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرَّسُول باطنًا وظاهرًا لكن إيمانًا لا يثبت علىٰ المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٢٧١ - ٢٨١.

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَنْ مَاتَ لاَيُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ »(١) .

وهؤلاء! وإن كانوا في عِداد المسلمين؛ لكنهم علىٰ خطرٍ عظيم، إن لم يتوبوا من ظلمهم ومعاصيهم، ويُكملُّوا إيمانهم الشَّرعيَّ؛ لأنَّهم معرَّضون لتسلط الشَّياطين - الإنس والجن - عليهم بسبب ظلمهم؛ فتجرهم بالشَّهواتِ والشُّبُهاتِ إلىٰ الكُفرِ أو النِّفاق - والعياذُ بالله - وكذلك معرَّضون للعقوباتِ في الدُّنيا والآخرة، فقالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾(٣) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٤) .

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب « كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة » .

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٥ .

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٥ .

المرتبةُ الثَّانية «الإيمانُ الواجب»:

ويسمَّىٰ - أيضًا - «الإيمانَ المفصل» أو «الإيمانَ المطلق» أو «حقيقةَ الإيمان».

وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة «أصل الإيمان» أي: هم الذين زادوا علىٰ أصلِ الإيمانِ من فعل الواجبات، وترك المحرمات، وجاءوا بكمال الإيمان الواجب؛ ممَّن يؤدُّون الواجبات، ويجتنبون المحرماتِ والكبائر والمنكرات والمنهيات، ويلتزمون بكلِّ تفصيلات الشَّريعة الغراء؛ تصديقًا وعملاً، ظاهرًا وباطنًا؛ حسب ما استطاعوا ذلك، وسلمت قلوبهم من الشِّركِ والرِّيب، وأمراض الشُّبُهاتِ والشُّهوات، وهم يعبدون الله تعالىٰ علىٰ بصيرةٍ وعلمٍ، وبقدر ما يزيدُ من عِلْمِهِمْ وعَمَلِهِمْ؛ يزداد إيمانُهم.

كما سَلِمت أعمالُهم من الإصرار علىٰ المعاصي والذُّنوبِ؛ فهم ملازمون طاعةَ الله تعالىٰ واستغفارَه، وإذا ارتكبوا بعضَ الصَّغائر؛ تُكفَّر عنهم بأدائهم للفرائضِ، واجتنابهم للكبائر، ولكنَّ المتورِّع عن الصَّغائر؛ أكمل إيمانًا ممَّن يقع فيها.

وهم في الدُّنيا: من أهل ولاية الله تعالىٰ، وعنايته وتسديده ورحمته، ولا يمنع ذلك من أن تصيبهم بعض المصائب والمكروهات؛ تمحيصًا للذُّنوب، وتحقيقًا للصَّبر والإيمان، وزيادة في الحسناتِ، ورفعة في الدَّرجاتِ، وتكفيرًا للسَّيئات.

وفي الآخرة: يتولَّاهم الله تعالىٰ برحمته ومنِّه وكرمه وإحسانه ولطفه؛ فيُؤَمِّنُهم من الفزعِ الأكبر، ومن يوم الحساب، ويدخلهم الجنَّةَ ابتداءً؛ لأنَّ الله تعالىٰ حرَّم عليهم النَّار، ولا يمنع ذلك أن ينال بعضهم! بعض المكروه

عند الموتِ، أَو في القبر، أَو في الحشر؛ تكفيرًا لما قد أَصاب في الدُّنيا من المعاصي، أَو صغائر الذُّنوب.

وأَصحاب هذه المرتبة الجليلة العظيمة؛ هم أَهلُ الله تعالىٰ وخاصته، وهم أَهل السَّلامة، والأَمن، والفلاح، والنَّجاح، والتَّوفيق، والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة، وهم السُّعداء أَهل الجنَّةِ، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١].

ويدخلون في عدادِ المؤمنين الأَبرار الذين قال الله تعالىٰ فيهم:

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[٣].

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ – ٣٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

المرتبةُ الثَّالثة «الإيمانُ الكامل»:

ويسمَّىٰ أيضًا: «الإيمانَ المستحب».

وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة: «الإيمان الواجب».

وسمِّيت: الإيمان الكامل؛ لأنَّه كَمُلَ بالمستحبات والنوافل.

وهي «مرتبة الإحسان» وهذه المرتبة هي درجة المقرَّبين المحسنين، والمخلصين المتَّقين الأبرار، والسَّابقين، وعباد الله، وعبادِ الرَّحمن، والمسارعين في الخيراتِ؛ من الأنبياء، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، وأَولياء الله الصَّالحين.

● فهم المقرَّبون؛ الذين يتقرَّبون إلىٰ الله – سبحانه وتعالىٰ – بفعل الخيراتِ، والاجتهاد في الطَّاعات والقُرُبات؛ من الواجباتِ والمستحبَّاتِ والمندوباتِ؛ وملازمتِها والمسارعةِ فيها، واجتنابِ المكروهات والمشتبهات؛ بقدر ما يُيَسِّرُ الله تعالىٰ لهم ذلك.

● وهم المحسنون؛ الذين أكملوا مراتب الإسلام والإيمان، وارتفعوا إلىٰ مراتب الإحسان؛ فيعبدون الله تعالىٰ كأنَّهم يرونه؛ فإن لم يكونوا يرونه، فإنَّهم يستشعرون أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – يراهم في كلِّ أمرهم؛ فعبادتهم لله تعالىٰ بإخلاص وصدقٍ وذُلٍّ وخضوعٍ وإنابةٍ ومسكنة؛ فعندهم من قوة التَّصديق واليقين ما يرفعهم إلىٰ أعلىٰ منازل الإيمان، ويحصلون علىٰ أوفر الحظِّ من ولاية الرَّحمن، وينالون به أعلىٰ الدَّرجات في جنَّة النعيم.

● وهم عباد الله تعالىٰ، وعباد الرَّحمن؛ الذين جاءوا بالعبوديَّة الحقَّة، فتعلَّقت قلوبهم بالله تعالىٰ، بكامل الخضوعِ والإنابة والخشيَّة، واطمئنَّت قلوبهم بطاعةِ الله – جلَّ في عُلاه – وأَنسَتْ نفوسهم بالله، وذلَّت ألسنتهم

لذكره تعالىٰ، وخضعت جوارحهم لاتِّباع شرعِهِ الحكيم سبحانه؛ أَحبُّوا الله تعالىٰ غاية الْحُبِّ، وقدَّموا محبَّتَه - جلَّ وعلا - ومحبَّة رسوله الأَمين ﷺ علىٰ النَّفْسِ والأَهلِ والمالِ والولد.

● وهم أَهل الإخلاص لله تعالىٰ؛ الذين حقَّقوا كلمة التَّوحيد بشقَّيه:

* «شهادةُ أَن لا إِلهَ إِلاَّ الله»: بالتَّوحيد الخالص، والخُلوص من الشِّرك بجميع أَنواعه وأَشكاله؛ فأَعمالهم كلُّها لله تعالىٰ الظَّاهرة والباطنة؛ من عبادةٍ، وحُبٍّ، وبُغضٍ، وعطاءٍ، ومنعٍ... إلخ.

* «شهادةُ أَنَّ محمَّدًا رسُولُ الله»: بالتَّمسُّكِ بشريعته ﷺ؛ فأَعمالهم وعباداتهم كلُّها موافقٌ لسُنَّتِهِ وهديهِ ﷺ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

● وهم أَهل الإيمان؛ الصَّادقون الرَّاسخون العاملون، القائمون علىٰ العلم الحقِّ بالله تعالىٰ، وملائكته، وكُتُبه، ورسُله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشره منه؛ سبحانه وتعالىٰ، ومن أَعظم ما تميِّزهم هو قوة معرفتهم بالله تعالىٰ، وبوحدانيته، واستحقاقه وحده للأُلوهية والعبادة بكلِّ أَنواعها، واستشعار قلوبهم لمعاني صفاته - سبحانه - من خلال تفكرهم في آياته الكونية، وتدبرهم لآياته المنزلة علىٰ نبيِّه الأَمين ﷺ.

● فكُلُّ هذه الصِّفات الكريمة العزيزة؛ جعلت أَهل هذه المرتبة يذوقونَ حلاوةَ الإيمانِ حقًّا وصدقًا؛ ثمَّ حملهم ذلك علىٰ تقديم أَرواحهم،

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ - ١٦٣.

وأَموالهم، وأَوقاتهم في سبيل الله تعالىٰ؛ بالجهاد أَو المرابطة، أَو التعليم، أَو الدَّعوة والنُّصح للمسلمين، والأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إلىٰ غير ذلك من الأَعمال الصَّالحة التي يحبُّها الله تعالىٰ ويرضاها.

وأَصحابُ هذه المرتبة الرَّبانيَّة: هم الفائزون بالمراتب العليَّة، والمقامات السَّامية الجليلة، والفردوس الأَعلىٰ؛ برفقة النبيِّن، والصِّديقين، والشُّهداء، والصَّالحين، وحسُن أُولئكَ رفيقًا، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[١].

* وهم في الدُّنيا! عباد الله المخلصون؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً.

* وفي الدار الآخرةِ! هم أَهلُ مقعد صدقٍ في الفردوس الأَعلىٰ؛ عند مليك مقتدر، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٢].

● فهم أَولياء الله تعالىٰ وأَحبَّاؤه، وأَهل عنايته الفائقة، وخاصته، وصفوته من خلقه، قال الله – تبارك وتعالىٰ – عنهم:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٠ – ٥١.

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ – ٦٣.

■ هذه هي مراتب الإيمان عند أَهلُ السُّنَّة والجماعة، وهذه المراتب مستنْبَطَة باستقراءِ والإستنباط والقياس من الكتابِ والسُّنَّةِ من قِبَل أئمَّتهم المعتبرين الأَعلام، رحمهم الله تعالىٰ.

ويتفاوتُ أَصحابُ هذه المراتب عند الله تعالىٰ في الدُّنيا والآخرة؛ بقدر تفاوتهم في العلم والعمل والإخلاص والإحسانِ، ويقابلُ ذلك تفاوتهم في الدَّرجات العُلىٰ من جنَّة الخُلد والنَّعيم الدَّائم.

وقد قال الله - سبحانه وتعالىٰ - في كتابه العزيز عن هذه المراتب:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[١].

● فالسَّابقُ بالخيراتِ:

هو المُحسن الذي حقَّق أَصل العبودية لله تعالىٰ، وعَبَدَ الله تعالىٰ كأَنَّه يراه، وهو الفاعلُ للواجباتِ، والمستحبَّات، والمندوبات؛ التَّاركُ للمحرَّمات، والكبائرِ، والمعاصي، والذُّنوب، والمكروهات، والمجتنب للمحظورات، والمشتبهات، والشَّهوات.

وهو من أَولياء الله تعالىٰ وأَحبَّائه، وخاصته، وصفوته من خلقه.

وهو صاحبُ: «الإيمان الكامل المستحب».

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

● والمقتصدُ :

المكتفي بفعلِ الواجبات، واجتناب المحظورات، دون فعل المسنونات والمندوبات والمستحبات، ودون ترك بعض المنهيَّات والمكروهات .

وهو صاحبُ : « **الإيمان الواجب** » .

● والظَّالمُ لنفسه :

هو التَّاركُ لبعض الواجبات والفروض، أَو المرتكب لبعض المحرَّمات والمعاصي والذُّنوب؛ التي لا تصل إلىٰ الكُفر الأَكبر، أَو الشِّرك الأَكبر.

وهو صاحبُ : « **الإيمان المجمل** » .

قالَ حَبْر الأُمَّةِ؛ عبدُ الله بن عباس، رضي الله عنهما :

(**السَّابقُ بالخيراتِ يَدخلُ الجنَّةَ بغير حساب، والمُقتصدُ يَدخلُ الجنَّةَ برحمة الله، والظَّالمُ لنفسه وأَصحابُ الأَعراف يَدخلونَ الجنَّةَ بشفاعة محمَّد ﷺ**)[١] .

وقالَ الإمامُ ابن كثير – رحمه الله تعالىٰ – في تفسير هذه الآية :

(يقول تعالىٰ : ثمَّ جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدِّق لما بين يديه من الكُتب الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأُمَّة؛ ثمَّ قسمهم إلىٰ ثلاثة أَنواع، فقال تعالىٰ :

﴿ **فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبات؛ المرتكب لبعض المحرمات .

(١) انظر : « تفسير ابن كثير » في تفسيره الآية : ﴿ ٣٢ ﴾ من سورة فاطر .

﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو المؤدي للواجبات؛ التأرك للمحرَّمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات؛ التَّارك للمحرَّمات والمكروهات، وبعض المباحات.

قالَ عليٌّ بن أَبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

قال: هم أُمَّة محمَّد ﷺ، ورَّثهم الله تعالىٰ كلَّ كتاب أَنزله؛ فظالمهم يُغْفَر له، ومقتصدهم يُحاسَبَ حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنَّة بغير حساب).

قول

أئمة أهل السنة والجماعة في

مُسمّى الإيمان



قول أئمة أهل السنة والجماعة في مُسمّىٰ الإيمان

اتّفقَ أئمّة أهل السنّة والجماعة - سلفًا وخلفًا - علىٰ أنّ الإيمانَ:

اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ قولُ القلبِ واللّسانِ، وعملُ القلبِ والجوارحِ.

وهذا الإيمان: يزيدُ بالطّاعةِ، وكثرةُ العبادَةِ، والمداومةُ عليها.

وينقصُ بالمعصيةِ، والغفلةِ، والتّقصيرِ في فعلِ الطّاعةِ.

ولم يكن بينهم نزاعٌ في ذلك البتّة! وقد حكىٰ الإجماعَ علىٰ هذا القولِ؛ أكثرُ أهل العلم - رحمهم الله تعالىٰ - بل أصبحَ هذا القولُ من مميِّزاتِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء.

وقولهم في هذا البابِ كثيرةٌ جدًّا؛ لا يمكن حصرها في هذا الكتابِ! ولكن نذكر بعضًا منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

ونبدأُ من الذين تتلمذوا وتعلمُ العلم علىٰ يدي النّبيِّ ﷺ مباشرةً؛ الصّحابة الكرام - رضي الله عنهم - ثمَّ من الذين تتلمذوا علىٰ يدي الصّحابة؛ التّابعين العظّام - رحمهم الله - ثمَّ أتباعُ التّابعين، ثمَّ من يليهم من بعدهم من أئمّةِ الأعلام؛ الذين نقلوا لنا هذا العلم النبويّة الشّريف.

وذلكَ مرتبًا أقوالهم حسب وفيّاتهم - رحمهم الله -؛ عدا الصّحابة والتّابعين؛ فنبدأُ بأعلامهم العظّام:

قول أئمَّة أهلُ السُّنَّة والجماعة في مُسَمَّىٰ الإيمان

١– قالَ أميرُ المؤمنينَ عمر بن الخطَّاب – رضي الله عنه – لأَصحابه :

(**هَلمُّوا نَزْددْ إيمانًا**) فيذكرون الله تعالىٰ [١] .

٢– قالَ أَميرُ المؤمنينَ علي بن أَبي طالب، رضي الله عنه :

(**لاَ يَنْفعُ قولٌ إلاَّ بعَمَلٍ، ولاَ عَمَلٍ إلاَّ بِقَولٍ، ولاَ قَولٌ وَعمَلٌ إلاَّ بنِيَّةٍ، ولاَ نِيَّةٍ؛ إلاَّ بموافَقَةِ السُّنَّةِ**)[٢] .

وقالَ : (**الصبْرُ مِنَ الإيمَانِ؛ بِمَنْزِلَةِ الرأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، مَنْ لاَ صَبْرَ لَهُ؛ لاَ إيمَانَ لَهُ**)[٣] .

٣– قالَ الصَّحابيُّ الفقيه؛ عبدُ الله بن مسعود، رضي الله عنه :

(**اللَّهُمَّ زِدْنَا إيمَانًا، ويَقينًا، وفِقْهًا**)[٤] .

٤– قالَ الصَّحابيُّ الجليلِ؛ معاذُ بن جبل، رضي الله عنه :

(**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمنْ سَاعَةً ! – يعني نذكر الله عزَّ وجلَّ –**)[٥] .

---

(١) « السُّنَّة » الخلال : ج٥، ص٣٩ (١١٢٢) . و« شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي : ج٥، ص١٠١٢ (١٧٠٠) . و« الإبانة » ابن بطة : ج٢، ص٨٤٦ (١١٣٤) .

(٢) « الإبانة » ابن بطة : ج٢، ص٨٠٣ (١٠٨٩) .

(٣) « شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي : ج٤، ص٩٢٤ (١٥٦٩) . و« الإيمان » ابن أَبي شيبة : ص٤٨ (١٣٠) .

(٤) « شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي : ج٥، ص١٠١٣ (١٧٠٤) .

(٥) « شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي : ج٥، ص١٠١٤ (١٧٠٦) .

٥- قالَ الصَّحابيُّ الجليلِ؛ عبدُ اللهِ بن رواحة، رضي الله عنه:

(تَعَالَوا فَلْنُؤْمِنْ سَاعَةً ؛ تَعَالَوا فَلْنَذكرِ اللهَ، وَلْتزدَادوا إيمَانًا ؛ تَعَالُوا نَذْكُرُه بِطَاعَتِهِ ؛ لَعَلَّهُ يَذْكُرُنَا بِمَغْفِرَتِه)[١].

٦- قالَ الصَّحابيُّ المحدِّث؛ أَبو هريرة، رضي الله عنه:

(الإِيمَانُ نَزِهٌ ؛ فَمَنْ زَنىٰ فَارَقَهُ الإِيمَانُ، فَإِنْ لاَمَ نَفْسَهُ وَرَاجَعَ ؛ رَاجعَهُ الإِيمَان)[٢].

٧- وكانَ مِنْ أَعْلامِ الصَّحابةِ؛ عبدُ الله بن عباس، وأَبو هريرة، وأَبو الدَّرداء - رضي الله عنهم - يقولونَ: (الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)[٣].

٨- قالَ الصَّحابيُّ الجليلِ؛ عمَّار بن ياسر، رضي الله عنه:

(ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ)[٤].

٩- قالَ الصَّحابيُّ الجليلِ؛ جندبُ بن عبد الله البجلي، رضي الله عنه:

(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتيانٌ حَزَاوِرَةٌ ؛ فَتَعَلَّمْنَا الإِيمانَ قَبْلَ أَن نَتَعلَّمَ القُرآنَ ؛ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرآنَ ؛ فَازْدَدْنا بِهِ إِيمانًا)[٥][*].

---

(١) « الإيمان » ابن أَبي شيبة: ص٤٣ (١١٦).

(٢) « كتاب الشَّريعة » الآجري: ج٢، ص٥٩٦ (٢٢٨) تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي.

(٣) « شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ١٠١٦ (١٧٠٩، ١٧١١، ١٧١٢).

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: « إفشاء السَّلام من الإسلام ».

(٥) رواه ابن ماجة في المقدمة (كتاب السُّنة) باب « الإيمان » برقم (٦١) وصححه الألباني.

(*) حَزَاوِرة: (جَمْع حَزْوَر وحَزَوَّر، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع) « النهاية ».

١٠- قالَ الصَّحابيُّ عمير بن حبيب الخطمي الأنصاري، رضي الله عنه:

(الإيمَانُ يزيدُ وينقصُ)! قيل: ومازيادته ونقصانه؟

قالَ: (إذا ذكرنا الله تعالىٰ، وحمدناه، وسبحناه؛ فتلك زيادته.

وإذا غفلنا، ونسينا؛ فذلك نقصانه)[١].

١١- قال الصَّحابيُّ الفقيه؛ عقبة بن عامر الجهني، رضي الله عنه:

(إنَّ الرَّجُلَ ليَتفضلُ بالإيمان؛ كمَا يتفضلُ ثوب المرأة)[٢].

١٢- قالَ التَّابعيُّ الإمامُ الفقيه الحافظ؛ أَبو شبل علقمة بن قيس النَّخعي - رحمه الله تعالىٰ - لأَصحابه:

(امْشُوا بِنَا؛ نَزْدَدْ إيمَانًا - يعني تفقهًا -)[٣].

١٣- قالَ التَّابعيُّ الفقيه؛ عروة بن الزبير بن العوام، رحمه الله تعالىٰ:

(مَا نَقصَتْ أَمَانَةُ عَبْدٍ قط؛ إلاَّ نَقصَ إيمَانُهُ)[٤].

١٤- قالَ الخليفةُ العادلُ؛ عمرُ بن عبد العزيز، رضي الله عنه:

(فإنَّ للإيمانِ فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسُننًا؛ فمَن استكملَها استكملَ الإيمان، ومَن لم يَستكملها لم يستكمل الإيمان)[٥].

---

(١) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٨٤٥ (١١٣١).

(٢) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧١٦ (٩٦٩).

(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٢٣ (١٧٣٠).

(٤) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٢٣ (١٧٢٩).

(٥) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «بني الإسلام علىٰ خمس».

١٥ – قالَ التَّابعيُّ الإمام المفسِّر؛ مجاهدُ بن جبر، رحمه الله:

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ)[١].

١٦– قالَ التَّابعيُّ الإمامُ؛ سعيد بن جبير، رحمه الله:

(لاَ يُقْبَلُ قولٌ إلاَّ بعَمَلٍ، ولاَ يُقبَلُ عَمَلٌ إلاَّ بِقَولٍ، ولاَ يُقبَلُ قَولٌ وَعملٌ إلاَّ بِنيَّةٍ، ولاَ يُقبَلُ قَولٌ وَعمَلٌ وَنِيَّةٌ؛ إلاَّ بِنِيَّةٍ موافَقَةِ للسُّنَّةِ)[٢].

١٧– قالَ الإمامُ؛ الحسن البصريُّ، رحمه الله (ت ١١٠ هـ):

(الإيمانُ قولٌ، ولاَ قَولٌ إلاَّ بِعَمَلٍ، ولاَ قَولٌ ولاَ عَمَلٌ إلاَّ بنِيَّةٍ، ولاَ قَولٌ وَعمَلٌ ونِيَّةٌ؛ إلاَّ بِسُنَّةٍ)[٣].

وقالَ: (لَيْسَ الإيمانُ بالتَحلِّي ولا بالتَّمنِّي، ولَكِنْ ما وَقَرَ في القُلوبِ وَصدَّقَتْهُ الأَعْمالُ)[٤].

١٨– قالَ الإمامُ الحافظُ النَّضرُ بن شميل، رحمه الله (ت ١١٠ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ، والإيمان يتفاضل)[٥].

١٩– قالَ الإمامُ المحدِّثُ الحجَّةُ والفقيه القدوةُ؛ زيد بن أسلم، مولى عمر – رضي الله عنه – (ت ١٣٦ هـ):

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٢٣ (١٧٢٨).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج١، ص٦٤ (٢٠).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج١، ص٦٤ (١٨). و«الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٨٠٣ (١٠٩٠).

(٤) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٨٠٥ (١٠٩٤). و«اقتضاء العلم العمل» الخطيب البغدادي: (٥٦).

(٥) «السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣١٦ (٦٣٢).

(لا بُدَّ لأَهلِ هذا الدِّينِ من أَربع: دخول في دعوة الإسلام. ولا بُدَّ من الإيمان، وتصديق بالله وبالمرسلين أولهم وآخرهم، وبالجنَّة وبالنَّار، وبالبعث بعد الموت. ولا بُدَّ من أن تعمل عملاً صالحًا؛ تُصدِّق به إيمانك. ولا بُدَّ أن تعلم علمًا تحسن به عملك! ثمَّ قرأ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢])[١].

٢٠- قالَ شيخُ الإسلامِ الإمامُ الأَوزاعيُّ، رحمه الله (ت ١٥٧هـ):

(لا يَستقيمُ الإيمانُ إلاَّ بالقولِ، ولا يَستقيم الإيمانُ والقولُ إلاَّ بالعمل، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ والعملُ إلاَّ بنيَّةٍ موافقةٍ للسُّنَّة؛ فكان مَن مضىٰ ممَّن سلف لا يُفرِّقون بين الإيمان، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنَّما الإيمانُ اسمٌ يجمع كما يجمع هذه الأَديان اسمها وتصديقه العمل؛ فمَن آمن بلسانِهِ وعَرفَ بقلبِهِ وصَدَّق ذلك بعمله؛ فذلك العُروة الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها، ومَن قال بلسانه ولم يَعرف بقلبه ولم يُصدِّقه بعمله؛ لم يُقبَلْ منه، وكان في الآخرةِ من الخاسِرين)[٢].

٢١- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ سفيان الثَّوري، رحمه الله (ت ١٦١ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ، ونيَّةٌ؛ يَزيدُ ويَنْقُص: يزيدُ بالطَّاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلاَّ بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلاَّ بالنيَّة، ولا يجوز القول والعمل والنيَّة؛ إلاَّ بموافقة السُّنَّة)[٣].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « كتاب الإيمان » برقم ١٣٦ . ص٤٩ . وصححه الألباني.

(٢) « شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص ٩٥٥ - ٩٥٦ (١٥٩١).

(٣) اللالكائي: ج١، ص١٧٠ (٣١٤). و« الإبانة » ابن بطة: ج١، ص٣٣٢ (١٩٠).

٢٢- قالَ الإمامُ الوليدُ بن مسلم القُرَشي الدمشقيُّ، رحمه الله:

سمعتُ الأَوزاعي، ومالكَ بن أَنس، وسعيد بن عبد العزيز؛ ينكرون قول مَن يقولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عمل، ويقولون: (**لا إيمانَ إلاَّ بعملٍ، ولا عملَ إلاَّ بإيمانٍ**)[١]. وقال - أَيضًا - سمعتُهم يقولون:

(**ليس للإيمانِ مُنتهىً هو في زيادةٍ أَبدًا، ويُنكرون علىٰ مَن يقول: إنَّه مُستكملُ الإيمان، وإنَّ إيمانَهُ كإيمانِ جبريل؛ عليه السَّلام**)[٢].

٢٣- قالَ الإمامُ مالكٌ، رحمه الله تعالىٰ (ت ١٧٩هـ):

(**الإيمانُ: قولٌ وعملٌ**)[٣].

٢٤- قالَ الإمامُ الحافظ خالدُ بن الحارث، رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):

(**الإيمانُ: قولٌ وعملٌ؛ يَزِيدُ وَيَنْقُص**)[٤].

٢٥- قالَ الإمامُ الحافظُ وكيعُ بن الجرَّاح، رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):

(**أَهْلُ السُّنَّة يقولونَ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ**)[٥].

٢٦- قالَ الإمامُ عبدُ الله بن المبارك، رحمه الله (ت ١٨١ هـ):

(**الإيمانُ: قولٌ وعملٌ، والإيمانُ يَتَفاضَل**)[٦].

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ج٤، ص٩٣٠ (١٥٨٦).

(٢) «السُنَّة» عبد الله بن الإمام أَحمد: ج١، ص٣٢٢ (٦٨٧). و«الإبانة»: ج٢، ص٩٠١ (١٢٥٩).

(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٣٠ (١٧٤٢).

(٤) «السُنة» عبد الله بن الإمام أَحمد: ج١، ص٣٣٦ (٦٩٩).

(٥) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ج٤، ص٩٣٠ (١٥٨٥).

(٦) «السُنة» عبد الله بن الإمام أَحمد: ج٥، ص٣١٥ (٦٢٧).

٢٧- قالَ الإمامُ القدوةُ الفُضيل بن عياض، رحمه الله (ت ١٨٦ هـ):

(**الإيمانُ عِنْدنا داخِلهُ وخارِجُهُ؛ الإقرار باللِّسان، والقبول بالقلب، والعملُ به**)[١]. وقال أيضًا: (**لاَ يَصْلح قولٌ؛ إلاَّ بالعمل**)[٢].

٢٨- قالَ الإمامُ يحيىٰ بن سعيد القطَّان، رحمه الله (ت ١٩٨):

(**كُلُّ مَن أَدْرَكْتُ من الأَئمَّةِ كانوا يقولونَ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، ويُكفِّرون الجهميَّةَ، ويُقدِّمون أَبا بكرٍ وعُمَرَ في الفضيلةِ والخلافة**)[٣].

٢٩- قالَ الإمامُ سفيان بن عُيينة، رحمه الله (ت ١٩٨ هـ):

(**الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ**)[٤].

وقال أَيضًا: (**الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ أَخذناهُ مِمَّن قَبلنا قولٌ وعملٌ؛ وأَنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَلٍ**)[٥].

٣٠- وعن الإمام الحافظ الحُميدي - رحمه الله - قال: سمعتُ ابن عُيَيْنَة يقول: (**الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص**) فقال له أَخوه إبراهيمُ بن عُيينة: يا أَبا محمَّد، لا تقولَنَّ: يزيدُ وينقص؛ فغضِبَ وقال: (**اسكُتْ يا صَبيُّ! بلىٰ حتىٰ لا يَبقىٰ منهُ شَيءٌ**)[٦].

---

(١) « شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص١٠٣٣ (١٧٤٧).
(٢) « السُّنَّة » عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٣٧ (٧٠٢).
(٣) « سير أَعلام النبلاء » الذهبي: ج٩، ص١٧٩ .
(٤) « سير أَعلام النبلاء » الذهبي: ج٨، ص ٤٦٨ .
(٥) « كتاب الشَّريعة » الآجري: ج٢، ص٦٠٤ (٢٣٩).
(٦) « كتاب الشَّريعة » الآجري: ج٢، ص٦٠٧ (٢٤٤).

٣١- قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ (ت ٢٠٤هـ):

(الإيمـانُ قولٌ وعـملٌ؛ يـزيـدُ ويـنـقـصُ؛ يزيـدُ بـالـطَّاعـةِ، ويـنـقـصُ بالمعصية؛ ثُمَّ تلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَزْدادَ الَّذينَ آمنوا إيمانًا ﴾)[١].

وقال أَيضًا: (كان الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابعينَ من بَعدِهِم ممَّن أَدركناهُم: أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئُ واحدٌ من الثَّلاثةِ إلاَّ بالآخر)[٢].

٣٢- قالَ الإمامُ عبدُ الرَّزاق الصَّنعانيُّ، رحمه الله (ت ٢١١ هـ):

(سَمِعتُ مُعمرًا، وسُفيانَ الثَّوري، ومالكَ بن أَنس، وابن جريج، وسُفيان بن عُيينة، يقولون: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص)[٣].

٣٣- قالَ الإمامُ عبد الله الحُميدي، رحمه الله (ت ٢١٩ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، لا يَنفعُ قولٌ إلاَّ بعملٍ، ولا عملٌ ولا قولٌ إلاَّ بنيَّة، ولا قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ إلاَّ بسُنَّة)[٤].

٣٤- قالَ الإمامُ أَبو عُبيد القاسمُ بن سلاَّم، رحمه الله (ت ٢٢٤ هـ):

(اعلم - رحمك الله - أَنَّ أَهلَ العلمِ والعنايةِ بالدِّينِ افترقُوا في هذا الأَمرِ فرقتين: فقالت إحداهما: الإيمانُ بالإخلاصِ للهِ، وشَهادة الأَلسنة والعَمل. وقالت الفرقةُ الأُخرىٰ: بل الإيمان بالقُلوبِ والأَلسنةِ؛ فأَمَّا

(١) «حلية الأَولياء» الأَصفهاني: ج٩، ص١١٥. والآية: ١٣١. من سورة المدثر.
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص٩٥٦ (١٥٩٣).
(٣) «كتاب الشَّريعة» الآجري: ج٢، ص٦٠٧ (٢٤٤).
(٤) «أُصول السُّنَّة» الحُميدي: مطبوعة في آخر «مسنده» ج٢، ص ٥٤٦.

الأَعمالُ، فإنَّما هي تقوىٰ وبِرّ، وليست من الإيمان. وإنَّا نَظرنا في اختلافِ الطائفتين؛ فوجَدنا الكتابَ والسُّنَّةَ يُصدِّقان الطَّائفةَ التي جعلت الإيمانَ بالنيَّة والقَولِ والعملِ جَميعًا، ويَنفيان ما قالت الأُخرىٰ)[١].

وقال أَيضًا: (فلم يجعل الله للإيمان حقيقةً؛ إلاَّ بالعمل علىٰ هذه الشروط، والذي يزعم أَنَّه بالقول خاصة يجعله مؤمنًا حقًّا، وإن لم يكن هناك عملٌ؛ فهو معانِد لكتاب الله والسُّنَّة)[٢].

٣٥- قالَ الإمامُ الحافظُ علي بن المديني، رحمه الله (ت ٢٣٤ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ علىٰ سُنَّةٍ وإصابةٍ ونيَّة، والإيمانُ: يزيدُ وينقص)[٣].

٣٦- قالَ الإمامُ إسحاق بن رَاهَوَيه، رحمه الله (ت ٢٣٨هـ):

(الإيمانُ يزيدُ وينقصُ؛ حتىٰ لا يَبقىٰ منه شيءٌ)[٤].

٣٧- قالَ الإمامُ أَبو ثور الكلبي البغدادي، رحمه الله (ت ٢٤٠ هـ):

(الإيمانُ تَصْديقٌ بالقلبِ، وقولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ)[٥].

٣٨- قالَ الإمامُ أَحمد بن حنبل، رحمه الله (ت ٢٤١هـ):

(أجمعَ تسعون رَجُلاً من التَّابعين، وأئمَّة المسلمين، وأَئمَّة السَّلف،

---

(١) « كتاب الإيمان » أبو عبيد القاسم بن سلام: ص٩. تحقيق الألباني.
(٢) « كتاب الإيمان » أبو عبيد القاسم بن سلام؛ ص١٨. تحقيق الألباني.
(٣) « شرح أُصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ١ / ١٨٧ (٣١٨).
(٤) « السُّنَّة » الخلال: ج٤، ص٦٨٠ (١٠١١).
(٥) « شرح أُصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ج٤، ص٩٣٢ (١٥٩٠).

وفُقهاءِ الأَمصار؛ علىٰ أنَّ السُّنَّة التي تُوفِّيَ عنها رسولُ الله ﷺ: ... فذكر أُمورًا منها: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطاعةِ، ويَنقصُ بالمعصيةِ)[١]. وقال - أَيضًا - رحمه الله:

(الإيمانُ: يزيدُ وينقص؛ فزيادته بالعمل، ونُقصانه بتركِ العمل)[٢].

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني: أنَّه سأَل أَبا عبد الله: الإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة؟ فقال، قال لي: (كيف يكونُ بلا نيَّة؛ نعم قولٌ وعملٌ ونيَّة، لا بُدَّ من النيَّة - قال لي - النيَّةُ متقدِّمة)[٣].

٣٩- قالَ الإمامُ البخاريُّ، رحمه الله (ت ٢٥٦ هـ):

(كَتبتُ عن أَلفِ نفرٍ من العُلماءِ وزيادة، ولم أَكتب إلاَّ عمَّن قال: الإيمانُ: قَولٌ وعمل، ولم أَكتب عن مَن قال: الإيمان قول)[٤].

وقال: (لَقيتُ أَكثرَ من أَلف رجلٍ من العلماءِ بالأَمصار فما رأَيتُ أَحدًا يَختلفُ في أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص)[٥].

٤٠- قالَ الإمامُ أَبو زرعة الرَّازيُّ، رحمه الله (ت ٢٦٤ هـ):

(الإيمانُ عندنا قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، ومَن قال غيرَ ذلك؛ فهو مُبتدعٌ مُرجئٌ)[٦].

---

(١) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ١ / ١٣٠.
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٥٦ (١٧٩٨).
(٣) «السُّنَّة» الخلال: ج٣، ص٥٧٩ (١٠٠٢).
(٤) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص٩٥٩ (١٥٩٧).
(٥) «فتح الباري» ابن حجر العسقلاني: ج١، ص٤٧.
(٦) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ج١، ص٢٠٣.

٤١- قالَ الإمامُ إسماعيل بن يحيى المزني، رحمه الله (ت ٢٦٤):

(**الإيمانُ قولٌ وعملٌ مع اعتقادهُ بالجنانِ؛ قولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركانِ، وهما سيَّانِ ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما؛ لا إيمان إلاَّ بعملٍ، ولا عملٌ إلاَّ بإيمانٍ**)[١].

٤٢- قالَ الإمامُ أبو حاتم الرَّازيُّ، رحمه الله (ت ٢٧٧ هـ):

(**مذهبُنا واختيارُنا وما نعتقدُه ونَدينُ اللهَ به ونَسأَلُهُ السَّلامةَ في الدِّينِ والدُّنيا: أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ**)[٢].

٤٣- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ أَبو يوسف يعقوب بن يوسف البسوي، رحمه الله تعالىٰ (ت٢٧٧ هـ) عن العلماء الذين حفظ عنهم الدِّين:

(**الإيمانُ عند أَهل السُّنَّة: الإخلاصُ لله بالقلوبِ والأَلسنة والجوارح، وهو قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، علىٰ ذلك وَجَدنا كُلَّ مَن أَدْركنا من عَصرِنا بمكَّة والمدينة والشَّام والبَصرة والكوفة**).

ثمَّ ذكر منهم ثلاثين ونيفًا ممَّن أَخذَ عنهم العلم، وقال: كلُّهم يقولون:

(**الإيمان قولٌ وعملٌ، ويطعنون علىٰ المرجئة وينكرون قولهم**)[٣].

٤٤- قالَ الإمامُ العارفُ الزَّهدُ؛ سَهْلُ بن عبد الله التُّستَرِيُّ، رحمه الله (٢٨٣ هـ) عندما سُئِلَ عن الإيمان ما هو؟:

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٤، ص٩٣١ - ٩٣٣ (١٩٥٠).

(٢) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ج١، ص٢٨٦.

(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص٩٥٩ (١٥٩٧).

(هو قولٌ ونيَّةٌ وعملٌ وسُنَّةٌ ؛ لأنَّ الإيمانَ إذا كانَ قولاً بلا عملٍ ؛ فهو كفرٌ ! وإذا كانَ قولاً وعملاً بلا نيَّةٍ ؛ فهو نفاقٌ ! وإذا كانَ قولاً وعملاً ونيَّة بلا سُنَّة ؛ فهو بدعةٌ)[1] .

٤٥- قالَ الإمامُ محمَّد بن نصر المروزي، رحمه الله (ت ٢٩٤هـ) :

(« الإيمانُ : أَن تُؤمنَ بالله » : أَن تُوحِّدَه ، وتُصدِّق به بالقلب واللِّسان ، وتَخضعَ لهُ ولأَمره ؛ بإعطاءِ العَزمِ للأَداء لما أَمر ، مُجانبًا للاستنكافِ والاستكبار ، والمُعاندة ، فإذا فعلتَ ذلك لزمتَ محابه ، واجتنبتَ مساخطه)[2] .

٤٦- قالَ شيخُ المفسِّرين وعمدتهم ؛ الإمامُ الجليلُ الثَّبتُ الثِّقةُ أَبو جعفر محمَّد بن جرير الطَّبريُّ ، رحمه الله تعالىٰ (ت ٣١٠هـ) :

(أَمَّا القولُ في الإيمان هل هو قولٌ وعمل ، وهل يزيدُ وينقص ، أَم لا زيادةَ فيه ولا نُقصان ؟ فإنَّ الصوابَ فيه قولُ مَن قالَ : هو قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقص ، وبه جاء الخبرُ عن جماعةٍ من أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وعليه مضىٰ أَهلُ الدِّينِ والفضل)[3] . وقال في تفسير قول الله تعالىٰ :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ﴾ نقلاً عن الحسن وقتادة : (لا يقبل الله قولاً إلاَّ بعمل ، من قال وأَحسن العمل قَبِلَ الله منه)[4] .

---

(١) « الإبانة » ابن بطة : ج٢ ، ص٨١٤ (١١١٦) .

(٢) « تعظيم قدر الصَّلاة » المروزي : ج١ ، ص٣٩٤ .

(٣) « صريح السُّنَّة » الإمام ابن جرير الطبري : ص٢٥ . تحقيق بدر بن يوسف المعتوق .

(٤) « تفسير الطبري » ج١٢ ، ص١٢١ . والآية ﴿ ١٠ ﴾ من سورة فاطر .

٤٧- قالَ الإمامُ أَبو الحسن الأَشعريُّ - رحمه الله - عن ما أَجمع عليه أَئمَّة السَّلف من الأُصول (ت ٣٢٤ هـ):

(وأَجْمَعُوا علىٰ أَنَّ الإيمانَ: يَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنقصُ بالمعصية)[١].

٤٨- قالَ الإمامُ القدوة البَرْبَهَارِيُّ، رحمه الله (ت ٣٢٩ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ، وعملٌ وقولٌ، ونيَّةٌ وإصابة؛ يزيدُ وينقصُ، يزيدُ ما شاءَ اللهُ، ويَنقصُ حتىٰ لا يَبقَىٰ منهُ شيءٌ)[٢].

٤٩- قالَ الإمامُ المحدِّثُ أَبو بكر الآجُرِّي، رحمه الله (ت ٣٦٠ هـ):

(اعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - أَنَّ الذي عليه علماء المسلمين:

● أَنَّ الإيمانَ واجبٌ علىٰ جميع الخلق؛ وهو تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح.

● ثمَّ اعلموا: أَنَّه لا تجزئ المعرفةُ بالقلب والتَّصديق؛ إلاَّ أَن يكون معه الإيمان باللِّسان نُطقًا، ولا تجزئ معرفةٌ بالقلب، ونُطْقٌ باللِّسان؛ حتىٰ يكون عمل بالجوارح؛ فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمنًا.

دلَّ علىٰ ذلك القرآنُ والسُّنَّة، وقولُ علماء المسلمين)[٣].

وقال أَيضًا: (فالأَعمالُ - رحمكم الله - بالجوارح تصديقٌ عن الإيمان بالقلب واللِّسان، فمَن لم يُصَدِّق الإيمانَ بعمل جوارحه؛ مثل الطَّهارة والصَّلاة والزَّكاة والصِّيام والحجِّ والجهاد، وأَشباه هذه، ورضي

---

(١) «رسالة إلىٰ أَهل الثغر» الأَشعري: ص ٢٧٢. تحقيق عبد الله شاكر الجندي.

(٢) «شرح السُّنَّة» الإمام الحسن بن علي البربهاري: ص ٦٧. تحقيق خالد الردادي.

(٣) «كتاب الشَّريعة» الإمام الآجري: ج٢، ص٦١١. تحقيق د. عبد الله الدميجي.

من نفسه بالمعرفة والقول لم يكُن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفةُ والقول، وكان تَركُهُ للعمل تكذيبًا لإيمانه، وكان العملُ بما ذكرناه تَصديقًا منه لإيمانه، وبالله التوفيق)[١].

وقال أَيضًا، رحمه الله: (اعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - يا أَهلَ القرآن، ويا أَهلَ العلم بالسننِ والآثار، ويا معشر مَن فَقَّهَهُم اللهُ تعالىٰ في الدِّين بِعِلْمِ الحَلال والحَرام: أَنَّكُم إن تَدبَّرتُم القرآن - كما أَمركُم الله تعالىٰ - علمتم أَنَّ الله تعالىٰ أَوجبَ علىٰ المؤمنينَ بعد إيمانهم به وبرسوله العَملَ، وأَنَّه تعالىٰ لم يُثنِ علىٰ المؤمنين بأَنَّه قد رضيَ عنهم وأَنَّهم قد رضوا عنه، وأَثابهم علىٰ ذلك الدُّخولَ إلىٰ الجنَّة والنجاةَ من النَّار؛ إلاَّ بالإيمان وحده؛ حتىٰ ضَمَّ إليه العملَ الصَّالح.

قَرَنَ مع الإيمانِ العمل الصَّالح، لم يُدخلهُم الجنَّةَ بالإيمان وحده حتىٰ ضمَّ إليه العملَ الصَّالح الذي وفَّقهُم له، فصار الإيمانُ لا يتمُّ لأَحدٍ حتىٰ يكون مُصدِّقًا بقلبه، وناطِقًا بلسانه، وعاملاً بجوارحه، لا يخفىٰ علىٰ مَن تدبَّر القرآنَ وتصفَّحهُ، وَجَدَهُ كما ذكرت.

واعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - أنّي قد تَصفَّحتُ القرآنَ فوجدتُ ما ذكرتُه في شبيه من خمسين مَوضعًا من كتاب الله تعالىٰ، أَنَّ الله تبارك وتعالىٰ لم يُدخل المؤمنين الجنَّة بالإيمان وحده؛ بل أَدخلهم الجنَّة برحمته إيَّاهم، وبما وفَّقهم له من الإيمان والعمل الصَّالح)[٢].

---

(١) «كتاب الشَّريعة» الإمام الآجري: ج٢، ص٦١٤ . تحقيق د. عبد الله الدميجي.
(٢) «كتاب الشَّريعة» الإمام الآجري: ج٢، ص٦١٨ . تحقيق د. عبد الله الدميجي.

وبوَّبَ بابًا – رحمه الله – في كتابه العظيم « الشَّريعة » وسمَّاهُ:

(باب: القول: بأنَّ الإيمانَ؛ تصديقٌ بالقلب، وإقْرَارٌ باللِّسان وَعَمَلٌ بالجَوارِحِ؛ لا يكون مؤمنًا إلاَّ بأَنْ تَجْتَمع فيه هذه الخِصالُ الثلاث)[1].

٥٠– قالَ الإمامُ المحدِّثُ أبو عبد الله عبيد الله بن محمَّد بن بطَّة العكبَري، رحمه الله (ت ٣٨٧ هـ) في كتابه العظيم « الإبانة الكُبرىٰ »:

(باب: بيان الإيمان وفرضه، وأنَّه تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمنًا؛ إلاَّ بهذه الثلاث:

اعلموا – رحمكم الله – أنَّ الله – جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه – فرضَ علىٰ القلب المعرفةَ به، والتَّصديقَ له، ولرُسُلِهِ، وكُتُبه، وبكلِّ ما جاءت به السُّنَّة، وعلىٰ الألسن النُّطقَ بذلك، والإقرارَ به قولاً، وعلىٰ الأبدان والجوارح؛ العملَ بكلِّ ما أمرَ به، وفرضَهُ من الأعمال؛ لا تجزي واحدةٌ من هذه إلاَّ بصاحبتها، ولا يكون العبدُ مؤمنًا؛ إلاَّ جمعها كلَّها حتىٰ يكون مؤمنًا بقلبه، مُقِرًّا بلسانه، عاملاً مجتهدًا بجوارحه، ثمَّ لا يكون – أيضًا – مع ذلكَ مؤمنًا؛ حتىٰ يكون موافقًا للسُّنَّة في كلِّ ما يقوله ويعمله؛ متبعًا للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله، وبكلِّ ما شَرَحْتُهُ لكم نزل به القرآنُ، ومضت به السُّنَّة، وأجمع عليه علماءُ الأُمَّة)[2].

وقال أيضًا: (واعلموا – رحمكم الله – أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – لم يُثْنِ

---

(١) « كتاب الشَّريعة » الإمام الآجري: ج٢، ص٦١١. تحقيق د. عبد الله الدميجي.

(٢) « الإبانة » ابن بطة: ٢ ج، ص٧٦٠.

علىٰ المؤمنين، ولم يصِفْ ما أعدَّ لهم من النَّعيم المقُيم والنَّجاة من العذاب الأَليم، ولم يُخبرهم برضاه عنهم؛ إلاَّ بالعمل الصَّالح والسَّعي الرَّابح، وقَرَنَ القولَ بالعمل، والنيَّةَ بالإخلاص؛ حتىٰ صار اسم الإيمان مُشتملاً علىٰ المعاني الثلاثة، لا يَنفصلُ بعضُها من بعض، ولا ينفعُ بعضُها دون بعض؛ حتىٰ صار الإيمانُ قولاً باللِّسان، وعملاً بالجوارح، ومعرفةً بالقلب؛ خلافًا لقول المرجئة الضَّالة الذين زاغتْ قلوبهم، وتلاعبتِ الشَّياطين بعقولهم، وذكر الله - عزَّ وجلَّ - ذلك كلَّه في كتابه، والرَّسُول ﷺ في سُنَّته)[١].

وقال أَيضًا: (فكلُّ مَن تركَ شيئًا من الفرائض التي فرضها الله - عزَّ وجلَّ - في كتابه، أَو أَكَّدها رسُولُ الله ﷺ في سُنَّتِهِ - علىٰ سبيل الجحود لها والتكذيب بها - فهو كافرٌ بيِّنُ الكُفرِ لا يَشُكُّ في ذلك عاقلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر، ومَن أَقرَّ بذلكَ، وقالهُ بلسانه؛ ثمَّ تركه تهوُّنًا ومجونًا، أَو معتقدًا لرأي المرجئة ومتَّبعًا لمذهبهم؛ فهو تارك الإيمان، ليس في قلبه منه قليلٌ ولا كثيرٌ، وهو في جملة المنافقين الذين نافقوا رسُولَ الله ﷺ فنزل القرآن بوصفهم، وما أَعدَّ لهم، وإنَّهم في الدَّركِ الأَسفلِ من النَّار؛ نستجير بالله من مذاهب المرجئة الضَّالَّة)[٢].

وقال كذلك رحمه الله: (فقد تلوتُ عليكم من كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ما يدلُّ العقلاءَ من المؤمنين؛ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ، وأَنَّ مَن

---

(١) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧٧٩ (١٠٧٢).

(٢) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧٦٤. (١٠٦٣).

صدَّقَ بالقولِ وتركَ العمل؛ كان مكذِّبًا وخارجًا من الإيمان، وأَنَّ الله لا يقبل قولاً إلاَّ بعمل، ولا عملاً إلاَّ بقول)[١].

٥١- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ أَبو بكر الإسماعيلي - رحمه الله - عن اعتقاد أَئمَّة الحديث والدِّين؛ إِنَّهم كانوا يقولون (ت ٣٧١ هـ):

(إنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ؛ ومَن كثُرت طاعتُه أَزْيَدُ إيمانًا ممَّن هو دونه في الطَّاعة)[٢].

٥٢- قالَ الإمامُ ابن أَبي زيد القَيرواني، رحمه الله (ت ٣٨٦ هـ):

(أَنَّ الإيمانَ: قولٌ باللِّسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح؛ يَزيدُ بزيادَةِ الأَعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها؛ فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولاَ يَكْمُلُ قولٌ إلاَّ بعمل، ولا قولٌ ولا عملٌ إلاَّ بنيَّة، ولا قولٌ ولا عملٌ ولا نيَّة إلاَّ بموافقة السُّنَّة، وأَنَّه لا يكفرُ أَحدٌ بذنب من أَهل القبلةِ)[٣].

٥٣- قالَ الإمامُ الحافظُ ابن مندة، رحمه الله (ت ٣٩٥ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالأَركان؛ يَزيدُ ويَنقص)[٤].

٥٤- قالَ الإمامُ القدوةُ أَبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الأَندلسي؛ الشهير بابن أَبي زَمَنِيْن، رحمه الله (ت٣٩٩ هـ) في كتابه «أُصول السُّنَّة»:

---

(١) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧٩٥ (١٠٧٤).
(٢) «اعتقاد أئمَّة الحديث» الإمام أَبو بكر الإسماعيلي: ص٦٣.
(٣) «قطف الجني الدَّاني شرح مقدمة رسالة ابن أَبي زيد القيرواني» العلأمة عبد المحسن العباد.
(٤) «كتاب الإيمان» الإمام ابن مندة: ج٢، ص ٣٤١.

(باب: «في أنَّ الإيمان قولٌ وعمل» ومن قولِ أَهلِ السُّنَّة:

إنَّ الإيمان إخلاصٌ لله بالقلوب، وشهادةٌ بالأَلسنة، وعملٌ بالجوارح؛ علىٰ نيَّةٍ حسنةٍ، وإصابةِ السُّنَّة... والإيمان بالله هو باللِّسان والقلب، ويُصَدِّقُ ذلك العملُ؛ فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلاَّ بصاحبه.

باب: «في تمام الإيمان وزيادته ونقصانه» ومن قولِ أَهلِ السُّنَّة:

إنَّ الإيمانَ درجاتٌ ومنازلُ؛ يتمُّ ويزيدُ ويَنقص، ولو لا ذلك لاستوىٰ النَّاس فيه، ولم يكن للسَّابق فضلٌ علىٰ المسبوق)[1].

٥٥- قالَ الإمامُ إسماعيل الصَّابونيُّ، رحمه الله (ت ٤٤٩ هـ):

(ومن مَذهبِ أَهلِ الحديث: أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ومعرفة؛ يزيد بالطاعةِ، وينقص بالمعصية)[2].

٥٦- قالَ الحافظُ المحدِّثُ الفقيه العلاَّمة؛ أَبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطَّال القرطبي المالكي، رحمه الله (٤٤٩ هـ):

(مذهبُ جماعة أَهلِ السُّنَّةِ من سَلَفِ الأُمَّة وخلفها: أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل؛ يزيدُ وينقص، والحُجَّةُ علىٰ زيادته ونُقصانهِ ما أَورَدَه البخاري من كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان، وبيانُ ذلك أَنَّه مَن لم تَحصل له بذلك الزيادةُ؛ فإيمانه أَنقص من إيمانِ مَن حصلت له)[3].

---

(١) «أُصول السُّنَّة» الإمام ابن أَبي زمنين: ص٢٠٧ - ٢١١. «مكتبة الغرباء الأَثرية».

(٢) «عقيدة السَّلف» الإمام الصابوني: ص ٢٦٤. «دار العاصمة».

(٣) «شرح صحيح البخاري» ابن بطال: ج١، ص٥٦. «مكتبة الرشد».

٥٧- قالَ الحافظُ الحليميّ البخاريّ، رحمه الله (ت ٤٠٣ هـ):

(الإيمان بالله: إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له: القبول عنه والطّاعة له. والإيمان بالنّبيّ: إثباته والاعتراف بنُبُوَّته، والإيمان للنّبيّ موافقته والطّاعة له... ومن هذا الوجه الذي بيّناه أَوجبنا أَن تكون الطّاعاتُ كلُّها - فرائضُها ونوافلُها - إيمانًا...

وكذلك الإيمان لله ولرسُوله ﷺ ينقسم إلىٰ جَليّ وخَفيّ:

فالخفيُّ منه هو: النيّاتُ والعزائم التي لا تجوز العبادات إلاّ بها...

والجليُّ: ما يقام بالجوارح إقامةً ظاهرة، وهو عِدَّةُ أُمورٍ منها: الطّهارة، والصّلاة، والحجّ، والعمرة، والزّكاة، والصّيام، والجهاد في سبيل الله...

ومّما يدلُّ علىٰ أَنَّ الإيمانَ يزيدُ ويَنقص؛ قول النّبيّ ﷺ للنّساء: «إِنَّكُنَّ نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِين»)[١].

٥٨- قالَ القاضي أَبو يعلىٰ الفرّاء (ت ٤٥٨ هـ) - رحمه الله - عن تعريف الإيمان الشّرعي:

(وأَمّا حدُّه في الشرعِ فهو جميع الطاعاتِ الباطنةِ والظاهرة؛ فالباطنةُ أَعمالُ القلب، وهو تصديقُ القلب، والظاهرةُ هي أَفعالُ البدنِ الواجبات والمندوبات)[٢].

---

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» الحافظ الحليمي البخاري: ج١، ص٤٠ - ٦٣.

(٢) «مسائل الإيمان» القاضي أبو يعلىٰ: ص١٥٢. «دار العاصمة».

٥٩- قالَ الحافظُ البيهقيِّ، رحمه الله (ت ٤٥٨ هـ):

(إنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقص، وإذا قبلَ الزيادة قَبِلَ النقص)[١].

٦٠- قالَ الحافظُ؛ أبو عمر بن عبد البر، رحمه الله (ت ٤٦٠ هـ):

(أَجْمَعَ أَهْلُ الفقهِ وَالحَديثِ عَلَىٰ أَنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَمَل، وَلا عَمَلَ إلاَّ بنيَّة، والإيمانُ عِنْدَهُمْ يَزيدُ بالطاعَةِ، ويَنْقُصُ بالمعْصيَةِ، وَالطَّاعَاتُ كُلُّها عِنْدَهُمْ إيمان)[٢].

٦١- قالَ الإمامُ الحافظُ البغويُّ، رحمه الله (ت ٥١٦ هـ):

(اتَّفقت الصَّحابةُ والتَّابعون، فمَن بَعدهم من علماءِ السُّنَّةِ؛ علىٰ أَنَّ الأَعمالَ من الإيمان؛ لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾؛ فجعلَ الأَعمالَ كلَّها إيمانًا، وكما نطقَ به حديثُ أَبي هريرة.

وقالوا: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ وعقيدةٌ؛ يزيدُ بالطاعة، ويَنقُصُ بالمعصية؛ علىٰ ما نطقَ به القرآنُ في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصفِ النِّساء... واتفَّقُوا: علىٰ تفاضُل أَهلِ الإيمانِ في الإيمان، وتبايُنِهم في درجاته)[٣].

وقال - رحمه الله تعالىٰ - أَيضًا: (والتَّصديق والعمل: يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا؛ يدُّل عليه قوله سبحانه وتعالىٰ:

---

(١) « الاعتقاد » الإمام البيهقي: ص١١٥ . باب: « القول في الإيمان ».

(٢) « التمهيد » الإمام ابن عبد البر: ج٩، ص ٢٣٨ .

(٣) « شرح السُّنَّة » الإمام البغوي: ج١، ص٣٨ - ٤٠ .

﴿ إنَّ الدينَ عندَ اللَّهِ الإسْلامُ ﴾ وقوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا ﴾ وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

فأَخبرَ أَنَّ الدِّينَ الذي رضِيَهُ، ويقبلُه من عبادِه؛ هو الإسلام، ولن يكون الدِّينُ في محل القبول والرِّضا؛ إلاَّ بانضمام التَّصديق إلىٰ العمل!)[1].

٦٢- قالَ الإمامُ قِوَامُ السُّنَّةِ الأَصفهانيُّ، رحمه الله (ت ٥٣٥ هـ):

(الإيمانُ في الشَّرعِ عبارةٌ عن جميع الطَّاعاتِ الظَّاهرةِ والباطنة)[2].

وقال أَيضًا: (قال علماءُ السَّلف: ... الإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ يَزيدُ ويَنقص؛ زيادَتُه البِرُّ والتقوىٰ، ونُقصانُه الفسوقُ والفجور)[3].

٦٣- قالَ الشَّيخُ عبد القادر الجيلانيُّ، رحمه الله (ت ٥٦١ هـ):

(ونعتقدُ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ باللِّسان، ومَعرفةٌ بالجنان، وعَملٌ بالأَركان)[4].

٦٤- قالَ الحافظُ عبد الغني المقدسي، رحمه الله (ت ٦٠٠ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقصُ بالمعصية)[5].

---

(١) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص١٠.

(٢) «الحجة في بيان المحجة»: ج١، ص٤٠٣.

(٣) «الحجة في بيان المحجة» ج٢، ص٢٦٢ - ٢٦٤.

(٤) «الغنية لطالبي طريق الحق» الجيلاني: ج١، ص٦٢. «دار الألباب» دمشق.

(٥) «الإقتصاد في الاعتقاد» الإمام المقدسي: ص١٨٢. تحقيق د. أحمد الغامدي.

٦٥- قالَ الإمامُ ابن قدامة المقدسيُّ، رحمه الله (ت ٦٢٠ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ باللِّسان، وعملٌ بالأَركان، وعقدٌ بالجنان؛ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالعصيان)(١).

٦٦- قالَ الإمامُ النوويُّ، رحمه الله (ت ٦٧٦ هـ):

(قال عبد الرزاق: سمعتُ مَن أَدركتُ من شيوخنا وأَصحابنا:

سفيان الثوري، ومالك بن أَنس، وعبيد بن عمر، والأَوزاعي، ومَعْمَر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة، يقولون:

الإيمانُ قولٌ وعمل؛ يَزيد ويَنقص.

وهذا قولُ ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبد الله بن المبارك.

فالمعنىٰ الذي يَستحقُّ به العبدُ المدحَ والولايةَ من المؤمنين؛ هو إتيانه بهذه الأُمور الثلاثة:

التَّصديقُ بالقلب، والإقرارُ باللِّسان، والعملُ بالجوارح)(٢).

وقال أَيضًا رحمه الله:

(إنَّ الطاعات تُسمَّىٰ إيمانًا ودينًا، وإذا ثبتَ هذا علمنا أَنَّ مَن كثُرت عبادتُه؛ زادَ إيمانُه ودينُه، ومَن نَقصت عبادتُه؛ نقصَ دينه)(٣).

---

(١) «لُمعة الاعتقاد»: ص٣٣. تحقيق عبد القادر الأَرناؤوط، رحمه الله «مكتبة دار البيان».

(٢) «شرح صحيح مسلم» النووي: ج١، ص١٤٦.

(٣) «شرح صحيح مسلم» النووي: ج٢، ص٦٨.

٦٧- قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ):

(ومن أُصولِ أَهلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ والإيمانَ؛ قولٌ وعملٌ.

قولُ القلبِ واللِّسانِ، وعملُ القلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، وأَنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ)[١].

وقال أَيضًا: (ولهذا كان القولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ - عند أَهل السُّنَّة - من شعائر السُّنَّة، وحكىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك)[٢].

٦٨- قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمه الله (ت ٧٥١ هـ):

(حقيقةُ الإيمانِ مُركَّبَةٌ: من قولٍ وعملٍ.

والقولُ قسمان: قولُ القلب، وهو الاعتقادُ، وقولُ اللِّسان، وهو التكلُّمُ بكلمةِ الإسلام.

والعملُ قسمان: عملُ القلب، وهو نيَّته وإخلاصُه، وعملُ الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأَربعة، زال الإيمانُ بكماله، وإذا زال تصديقُ القلب، لم تَنفع بقيَّة الأَجزاء)[٣].

٦٩- قالَ الإمامُ الحافظُ المفسِّرُ العلاَّمةُ أَبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ) في تفسير الآية ﴿ ٢ ﴾ من سورة الأَنفال:

(وقد استدلَّ البخاري وغيرُه من الأَئمَّة بهذه الآية وأَشباهِها؛ علىٰ

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٣، ص١٥١.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٧، ص٣٠٨.

(٣) «كتاب الصلاة وحكم تاركها»: ص٥٤. فصل: «في الحكم بين الفريقين».

زيادةِ الإيمانِ وتفاضُلِه في القلوب، كما هو مذهبُ جمهورِ الأُمَّة؛ بل قد حكىٰ الإجماعَ علىٰ ذلك غيرُ واحدٍ من الأئمَّةِ؛ كالشَّافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بيَّنَّا ذلك مستقصًى في أوَّلِ شَرحِ البخاري، ولله الحمدُ والمنَّة).

وقال - أيضًا - في تفسير الآية ﴿ ١٢٤ ﴾ من سورة التوبة:

(وهذه الآيةُ: من أكبر الدلائل علىٰ أنَّ الإيمانَ؛ يزيدُ وينقص، كما هو مذهبُ أكثر السَّلف والخلف من أئمَّة العلماء؛ بل قد حكىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك، وقد بسط الكلام علىٰ هذه المسألة في أوَّلِ شرحِ البخاري، رحمه الله).

٧٠- قالَ العلاَّمةُ ابن أَبي العزِّ الحنفيِّ، رحمه الله (ت ٧٩٢ هـ):

(اختلفَ النَّاسُ فيما يقع عليه اسمُ الإيمانِ اختلافًا كثيرًا: فذهبَ مالك، والشَّافعي، وأحمد، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وسائرُ أهلِ الحديث، وأهلُ المدينة - رحمهم الله - وأهل الظاهر، وجماعةٌ من المتكلِّمين: إلىٰ أنَّه تَصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللِّسان وعملٌ بالأَركان)[١].

٧١- قالَ الإمامُ الحافظ؛ أبو الفرج ابن رجب الحنبليِّ الدِّمشقيِّ، رحمه الله (ت ٧٩٥ هـ) في شرح حديث النَّبيِّ ﷺ:

«اللَّهُمَّ زيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهْتَدين»[٢].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: ج٢، ص٤٥٩؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) رواه النسائي في (كتاب السهو) باب: «الدعاء بعد الذكر» وصحَّحه الألباني.

قال: (أَمَّا زينةُ الإيمان؛ فالإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ فزينةُ الإيمان تَشملُ زينةَ القلبِ بتحقيقِ الإيمانِ له، وزينة اللِّسان بأَقوال الإيمان، وزينةَ الجوارح بأَعمال الإيمان)[١].

وقال في شَرحه لقول الإمام البخاري: (الإيمانُ: قولٌ وعملٌ):

(وأَكثرُ العلماءِ قالوا: هو قولٌ وعملٌ. وهذا كلُّه إجماعٌ من السَّلفِ وعلماءِ أَهلِ الحديث. وقد حكىٰ الشَّافعيُّ إجماعَ الصَّحابة والتَّابعين عليه، وحكىٰ أَبو ثور الإجماعَ عليه أَيضًا، وقال الأَوزاعيُّ: كانَ مَن مضىٰ مِمَّن سلفَ لا يفرِّقون بينَ الإيمان والعمل.

وحكاه غيرُ واحدٍ من سلف العلماء عن أَهل السُّنَّة والجماعة.

ومِمَّن حكىٰ ذلك عن أَهل السُّنَّة والجماعة: الفضيلُ بن عياض، ووكيع بن الجراح.

ومِمَّن رُوِيَ عنه أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ: الحسنُ، وسعيدُ بن جبير، وعمر بن عبد العزيز، وعطاءٌ، وطاوس، ومجاهد، والشَّعبي، والنخعي، والزُّهري، وهو قولُ الثوريِّ، والأَوزاعيِّ، وابن المبارك، ومالك، والشَّافعيِّ، وأَحمد، وإسحاق، وأَبي عبيد، وأَبي ثور، وغيرهم...). وقال - أَيضًا - رحمه الله:

(زيادةُ الإيمانِ ونُقصانُهُ: قولُ جمهورِ العلماء)[٢].

---

(١) «شرح حديث عمار بن ياسر» ص ٤٨. تحقيق إبراهيم العرف. «مكتبة السوادي».

(٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب الحنبلي: ج١، ص ٥ - ٨ «مكتبة الغرباء».

٧٢- قالَ العلاَّمةُ السَّفارينيّ، رحمه الله (ت ١١٨٨ هـ):

(الذي اعتمدَه أئمَّةُ الأَثرِ وعلماءُ السَّلف: أَنَّ الإيمانَ: تصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالأَركان؛ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالعصيان، وإلاَّ فمجرَّدُ تصديق القلبِ من غير إقرارٍ باللِّسان لا يحصلُ به الإيمان؛ فإنَّ إبليسَ لا يُسَمَّىٰ مؤمنًا بالله، وإن كان مُصدِّقًا بوجوده ورُبوبيَّته)[1].

٧٣- قالَ شيخُ الإسلام المجدد العلاَّمةُ؛ محمَّد بن عبد الوهاب التَّميمي، رحمه الله (ت ١٢٠٦ هـ):

(لا خِلافَ أَنَّ التَّوحيدَ لا بُدَّ أَن يكونَ بالقلبِ، واللِّسانِ، والعملِ: فإن اخْتَلَّ شَيءٌ من هذا؛ لم يكن الرَّجلُ مُسْلِمًا: فإن عرفَ التَّوحيدَ، ولم يعملْ به؛ فهو كافرٌ معاندٌ؛ كفرعونَ، وإبْليسَ، وأَمثالهما)[2].

وقال - أَيضًا - رحمه الله: **(اعلم - رحمكَ الله - أَنَّ دينَ الله:**

يكون علىٰ القلب بالاعتقاد، وبالحبِّ والبُغض.

ويكون علىٰ اللِّسانِ بالنُّطق، وتركِ النُّطق بالكفر.

ويكون علىٰ الجوارح بفعل أَركان الإسلام، وتركِ الأَفعال التي تكفِّر؛ فإذا اختل واحدةٌ من هذه الثَّلاث: كَفرَ وارتد)[3].

---

(١) «شرح ثلاثيات مسند الإمام أَحمد» السفاريني: ج٢، ص٢١٨.

(٢) «كشف الشبهات»: ص٩٨. تحقيق عبد الله القحطاني.

(٣) «الدُّرر السَّنية في الأَجوبة النجدية» جمع: عبد الرحمن القاسم: ج١٠، ص٨٧.

٧٤- قالَ علاَّمةُ العراقِ؛ أَبو الفضل شهاب الدِّين محمود الآلوسيُّ، رحمه الله (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١]:

(وهذا أحدُ أَدلَّةِ مَن ذهبَ إلىٰ أنَّ الإيمانَ يقبلُ الزيادةَ والنقص.

وهو مذهبُ الجمِّ الغفير من الفقهاءِ والمحدِّثين والمتكلِّمين، وبه أَقولُ لكثرةِ الظواهر الدالَّة علىٰ ذلك من الكتاب والسُّنَّة من غير مُعارضٍ لها عقلاً؛ بل قد احتجَّ عليه بعضُهم بالعقل - أيضًا - وذلك أنَّه لو لم تتفاوت حقيقةُ الإيمان؛ لكان إيمانُ آحاد الأُمَّة؛ بل المُنهمكين في الفسق والمعاصي مساويًا لإيمان الأَنبياء والملائكة - عليهم الصَّلاة والسَّلام - واللازمُ باطلٌ؛ فكذا الملزوم)[٢].

٧٥- قالَ العلاَّمةُ السيِّد؛ أَبو الطيب صديق حسن خان القنوجيُّ البخاريُّ، رحمه الله (ت ١٣٠٧ هـ):

(إنَّ الإيمانَ الشَّرعيَّ المطلوبَ لا يكون إلاَّ اعتقادًا وقولاً وعملاً:

هكذا ذهبَ إليه أَكثرُ الأَئمَّةِ؛ بل قد حكاه الشَّافعي، وأَحمد، وأَبو عبيد، وغيرُ واحدٍ؛ إجماعًا أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعمل)[٣].

---

(١) سورة الأَنفال، الآية: ٢.

(٢) «روح المعاني» الآلوسي: ج٥، ص١٦٥.

(٣) «بغية الرائد في شرح العقائد» القنوجي: ص٤٤. الطبعة الهندية.

٧٦- قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، رحمه الله (ت ١٣٧٦ هـ) في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾[1].

(وفي هذا دليلٌ علىٰ زيادةِ الإيمانِ ونقصه؛ كما قاله السَّلفُ الصَّالح، ويدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ ، ﴿ وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ويدلُّ عليه - أيضًا - الواقع.

فإنَّ الإيمانَ: قولُ القلب واللِّسان، وعملُ القلب واللِّسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأُمور أَعظم تفاوت).

٧٧- قالَ العلاَّمةُ حافظ الحكميُّ، رحمه الله (ت ١٣٧٧ هـ):

(الإيمان: قولٌ وعملٌ؛ قولُ القلب واللِّسان، وعملُ القلب واللِّسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويتفاضل أَهله فيه)[2].

٧٨- قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ؛ محمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله (ت ١٣٨٩ هـ) في شرحه لكتاب «كشف الشُّبهات»:

(بل الإجماع بين أَهل العلم: أَنَّ التَّوحيدَ لا بُدَّ أَن يكون: بالقلب واللِّسان والعمل؛ فلا بُدَّ من الثَّلاثة؛ لا بُدَّ أَن يكون هو المعتَقَد في قلبه، ولا بُدَّ أَن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولا بُدَّ أَن يكون هو الذي

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧٦.

(٢) «أعلام السُّنَّة المنشورة لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»: ص (٤٥) تحقيق أحمد الرشد.

تعمل به جوارحه؛ فإن اختلَّ شيءٌ من هذا، لو وحَّد بِلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحَّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحَّد بأركانه دون الباقي؛ لم يكن الرَّجُلُ مُسْلِمًا. هذا إجماع أَن الإنسان لا بُدَّ أَن يكونَ مُوَحِّدًا؛ باعتقاده ولسانه وعمله)[1].

٧٩- قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ المفسِّر الأُصوليُّ؛ محمَّد الأَمين بن محمَّد المختار الجَكَني الشَّنقيطيُّ، رحمه الله (ت ١٣٩٣ هـ):

(إنَّ الحقَّ الذي لا شكَّ فيه الذي: هو مَذهبُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة أَنَّ الإيمانَ؛ شاملٌ للقولِ والعملِ مع الاعتقاد، وذلك ثابتٌ في أَحاديث صحيحةٍ كثيرةٍ)[2].

٨٠- قالَ الشَّيخُ العلاَّمة الفقيه المحدِّثُ؛ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله (ت ١٤٢٠ هـ):

(ومعلومٌ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ.

ولأَهلِ السُّنَّة عبارةٌ أُخرىٰ في هذا الباب، وهي أَنَّ الإيمانَ:

قولٌ وعملٌ واعتقادٌ؛ يزيدُ بالطَّاعات، وينقصُ بالمعاصي، وكلتا العبارتين صحيحتان: فهو قولٌ وعملٌ، يعني قول القلب واللِّسان، وعمل القلب والجوارح، وهو قول وعمل واعتقاد؛ قول باللِّسان، وعمل بالجوارح، واعتقاد بالقلب؛ فالجهاد في سبيل الله، والصَّلاة،

---

(١) «شرح كتاب كشف الشبهات»: ص١٢٦. جمع: محمد بن عبد الرحمن القاسم.
(٢) «أضواء البيان» الشنقيطي: ج٧، ص٢٠١.

والزَّكاة، والصِّيام، والحجُّ، وسائِرُ الأَعمال المشروعة؛ كلُّها أعمالٌ خيرية، وهي من شُعبِ الإيمان؛ التي يزيدُ بها الإيمانُ، وينقص بنقصها، عند أهل السُّنَّة والجماعة)[١].

٨١- قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ الفقيه؛ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمه الله تعالىٰ (ت ١٤٢١ هـ):

(الإيمانُ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ هو: الإقرار بالقلب، والنطق باللِّسان، والعمل بالجوارح؛ فهو يتضمَّن الأُمورَ الثَّلاثة: إقرار بالقلب، ونطق باللِّسان، وعمل بالجوارح. وإذا كان كذلك؛ فإنَّه سوف يزيدُ وينقص)[٢].

٨٢- قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ الفقيه؛ عبدُ الله بن عبد الرَّحمن الجبرين، رحمه الله تعالىٰ (ت ١٤٣٠ هـ):

(من أُصولِ أَهل السُّنَّةِ: القول في الإيمان؛ لأَنَّ الإيمانَ والدِّين قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، وأَنَّها كلَّها داخلةٌ في الدِّين وفي الإيمان، فالإيمان: قولٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأَركان؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالعصيان، وَأَنَّ الأعمالَ من مُسَمَّىٰ الإيمان؛ الأَعمال التي هي العبادات داخلة في الإيمان... الإيمانُ شرعًا هو: القولٌ باللِّسان؛ كالنطق بالشَّهادتين والأَذكار. والاعتقادُ بالجنان؛ كاعتقاد وحدانية الله والتَّصديق بأَسمائه وصفاته واعتقاد الجزاء علىٰ الأَعمال، واعتقاد

(١) «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة»: ج٥، ص ٣٥.
(٢) «مجموع فتاوىٰ ورسائل»: ج١، ص ٤٩.

البعث والنشور، وما أشبهه. والعملُ بالأركان؛ كالركوع، والسجود، والطواف بالبيت، والصَّلاة، والجهاد)[١].

●● هذا غيضٌ من فيض! من قول أئمَّةِ السَّلفِ الصَّالحِ - أهل السُّنَّة والجماعة - المعتبرين؛ سلفًا وخلفًا، وقولهم واحد هو:

أنَّ الإيمانَ: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ والقُرباتِ، وينقصُ بالمعاصي والغفلةِ، لا قولَ لهم غيره؛ بل أجمعوا علىٰ ذلك قديمًا، ومَن نسبَ إليهم خلاف ذلك؛ فقد أخطأ! أو تَقَوَّلَ عليهم، وجهلَ مذهبهم، ونسب إليهم ما لم يقولوه ألبتَّة.

وعلىٰ هذه العقيدةِ الحقَّة؛ توفِّي الرَّسُولُ ﷺ وعلىٰ هذا المنهج كان جميع الصَّحابة الكرام والتَّابعين العظام، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ: من المحدِّثين، والفقهاء، وجميعِ أئمَّة الدِّين، ولم يخالفهم أحدٌ من السَّلفِ والخلفِ؛ إلاَّ الَّذين مالوا عن الحقِّ في هذا الأمر، وجانَبوا الصَّواب والتَّوفيق.

والآثارُ عن أئمَّةِ السَّلفِ في مُسَمَّىٰ الإيمانِ وحقيقتِهِ كثيرةٌ جدًّا، لا يمكن حَصرُها هنا، وقد قالَ بهذا القولِ - أيضًا - خلقٌ كثير من أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة غير الذين ذكرناهم.

فمَن أرادَ البسطَ والإحاطة في معرفةِ أقوالهم في هذا الباب؛ فعليه مراجعةُ مصنَّفاتهم وكُتُبِ أئمَّتهم، وخُصوصًا كُتب العقيدة المسندة، وهي كثيرةٌ جدًّا، وقد ذكرنا بعضًا منها في نهاية هذا الكتاب.

---

(١) «التعليقات الزكية علىٰ العقيدة الواسطية»: ج٢، ص١٧٤ - ١٧٧.

الاستثناء في الإيمان

ومن مُمَيِّزاتِ أُصولِ العقيدةِ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، والتي تُميِّزهم عن غيرهم من أَهلِ الأَهواءِ والبِدَعِ، والفِرَقِ الضَّالَّةِ:

● أَنَّهم يَرونَ جوازَ الاستثناءِ في الإِيمانِ في أَحوالٍ - فعلاً وتركًا، استحبابًا لا إِيجابًا - ولكنَّ الاستثناءَ - عندهم - أَوْلىٰ من عدمِهِ؛ لما في الإطلاقِ من تزكيةٍ للنَّفسِ؛ بإيهامه أنَّه مستكمل للإيمان.

● ولا يرونَ الاستثناءَ علىٰ وجْهِ الشَّكِّ؛ لأَنَّ الشَّاكَّ في إيمانِهِ لم يَعُدْ مؤمنًا.

● ويكرهونَ السُّؤَال عن الإيمانِ، ويرونه بدعة.

وذهبَ إِلىٰ هذا القولِ: جمهورُ أَئمَّتهم من السَّلف والخلف.

وصيغة الاستثناء: قولُ الْمُسْلم عن نفسِهِ إذا سُئِلَ: (أَمؤمن أَنت؟) فيقول بإجابةٍ ليس فيها ما يُوهِمُ الجزم، والقطع بكمالِ الإيمان:

(أَنا مؤمنٌ إن شاء الله) أَو (آمنت بالله) أَو (أَرجو . . .) أَو نحو ذلك من الصِّيَغ؛ لأَنَّ العبدَ المُسلم الذي يعتقدُ ويقول:

إِنَّ الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقُصُ؛ ينبغي عليه إذا قال:

(أَنا مؤمنٌ) أَن يستثني؛ لأَجل تجنب تزكية نفسه، بما يوهم استكماله للإيمان؛ لأَنَّ الله - سبحانهُ وتعالىٰ - يقول:

﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[١].

فإذا قال المسلم: أنا مؤمنٌ! فقد شهدَ لنفسه بأنَّهُ من المتقينَ الأبرار القائمن بفعل جميع ما أُمروا به، وترك مانهوا عنه على أتمِّ حاله!

لأنَّ المسلمُ الصَّادق؛ مهما بَلَغَ أمره من الالْتزامِ، ومن فعلِ الطَّاعاتِ والقُربات والواجباتِ، ومن تركِ جميعِ المحرَّماتِ؛ لا يستطيع أن يَجزمَ بأنَّ معه كمالَ الإيمانِ؛ لأنَّه لا يستطيع أن يجزم بأنَّه أتىٰ بجميع ما يُطلَب منه من أعمالِ الشَّرعيَّةِ، أو هل قُبِلَت هذه الأعمالُ! أم لا؟ ولعلَّ هناك أُمورًا خَفِيَتْ علىٰ العبد يُحْبَطُ بها عَمَلُه! وهو لا يدري.

وعدم الاستثناء؛ يتضمَّنُ أنَّ العبد فَعَلَ جميع ما أُمِر به من قِبلِ الشَّارع، أو زاد علىٰ ذلك من المستَّحبات، وإن جزم بذلك! فقد زكَّىٰ نفسه، وشهدَ لنفسه الجنَّة إن مات علىٰ هذا الحال، وهذا قولٌ بغير علم.

لأنَّ الإيمانَ المطلَق؛ شاملٌ للاعتقادات، والأقوال، والأعمال الظَّاهرة والباطنة؛ فالاستثناء واردٌ – عند أهلِ السُّنَّة والجماعة – علىٰ الإيمانِ المطلق، أو حقيقةِ الإيمان.

وأمَّا تركُ الاستثناءِ؛ فإنَّهُ واردٌ – عندَ أهل السُّنَّة والجماعة – علىٰ مطلقِ الإيمانِ؛ الذي هو حدُّ الإسلام، والفاصلُ بين الكُفر والإيمان، أي أصلُ الإيمان دونَ كماله، والدخول فيه دون تمامه؛ كما يقولُ المُسلم:

(أنا حاجٌّ، وصائمٌ، أو مُتصدِّقٌ..) لمن شَرَعَ في ذلك.

وكما يُطْلِقُهُ في قوله: (آمنتُ بالله ورسوله).

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

وقد حكىٰ اللهُ – تبارك وتعالىٰ – في كتابه العزيز؛ عن بعضِ المؤمنين؛ الذين أثبتوا الإيمانَ لأنفسِهم بلا استثناءٍ، قال الله تعالىٰ حكايةً عنهم:

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٤).

وأَهْلُ السُّنَّةِ والْجَماعَةِ:

يَرونَ الاستثناءَ في الإيمانِ؛ لشدَّةِ خوفهم من الله – تبارك وتعالىٰ – وإثباتًا لأقدارِهِ سبحانَه، ونفيًا لتزكيةِ أنفسهم الضَّعيفة؛ لا شكًّا فيما يجبُ عليهم الإيمانُ به! ولكن خوفًا أن لا يكونوا قد قامُوا بحقائقه، ورجاءَ أن يأْتُوا بواجباته وكمالاته.

وعليه فهم! يمنعونَ الاستثناءَ بشدةٍ؛ إذا كان علىٰ وجهِ الشَّكِّ في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.

الإيمان؛ لأنَّ الشكَّ في ذلك كُفرٌ؛ بل يقصُدُونَ من ذلك: نفي الشَّكِّ في إيمانهم من جهةٍ، وعدمَ الجزمِ بكمالِهِ من جهةٍ أُخرىٰ، وذلك لعدم تزكيتهم لأنفسهم.

ولأنَّ الإيمانَ النَّافعَ هو المتقبَّلُ عندَ اللهِ تعالىٰ، إذ أنَّ مَن قام بالعمل الصَّالح وأتىٰ به، أو بجميعِ الواجباتِ؛ لا يدري هل يُقبَلُ منهُ عملُه هذا أم لا؟ فالاستثناءُ هنا معناهُ عدمُ العلمِ بالعاقبة، والخوف من تغيُّر الحال، وبما يُختمُ للعبد؛ فلا يدري أهو من المقبولينَ، أم من المحرومين؟

ولذا فأهلُ السُّنَّة والجماعة تراهُم: قلِقينَ وخائفينَ في هذا الشَّأْنِ؛ خشية عدم قبول أعمالهم؛ فهمُ يتقلَّبونَ بين الخوفِ والرَّجاءِ؛ طامعين في رحمةِ اللهِ – سبحانه وتعالىٰ – وَجِلِينَ من سَخَطِه.

قال الله تعالىٰ في وَصْفِ المؤمنين المتَّقين الصَّادقين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[1].

فأهْلُ السُّنَّةِ والْجَماعَةِ:

لا يجزمونَ لأنفُسِهِمْ بالإيمانِ المطلق؛ الذي يشملُ فعلَ جميع الطَّاعاتِ، وتركَ جميع المنهيَّاتِ، ولَنْ يستطيعَ أحدٌ من المسلمين – كائنًا مَن كان – أن يدَّعِيَ لنفسِهِ أنَّه جاء بذلك كلِّه علىٰ التَّمام والكمال، وإن قال! فقد شهِدَ لنفسه بأنَّه من الأَبرارِ المتَّقين، وأولياءِ الله الصَّالحينَ! وضَمِنَ لنفسه دخولَ الجنَّةِ ابتداءً، وهذا من التألِّي علىٰ اللهِ تبارك وتعالىٰ – والعياذ بالله – ولا يقولُها مسلمٌ عاقل.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

فهُم: بَعِيدُونَ كلَّ البُعد عن تزكيةِ أنفسهم، ولا أعظمَ للنَّفْسِ تزكيةً وراء الشَّهادة لها بالإيمان الشَّامل لكلِّ شُعبِه؛ بتَمامِه وكمالِه!

وقد وصف الله المؤمنين الصَّادقين المتَّقين حقًّا، في قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١].

وأَهْلُ السُّنَّةِ والْجماعَةِ:

من فقهِهِم في الدِّين، وحكمتِهِم في التَّعامُلِ مع صفاتِ رَبِّهم – عزَّ وجلَّ – وتأَدُّبهِمْ مع اللهِ – جلَّ وعلا – يُعلِّقُون الأُمورَ كلَّها – حتىٰ المُتيَقَّنَ منها – بمشيئَتِه سبحانه وتعالىٰ.

● وهم يفضِّلونَ الاستثناءَ، ولم يوجُبوه؛ مخافةً واحْتِياطًا، أن لا يكونُوا قد كمَّلُوا الأَعمالَ، وأَتَوْا بها علىٰ وجْهِها المطلوبِ، ولِمَا في تَرْكِهِ من الإيهامِ بتزكيةِ النَّفسِ، والشَّهادةِ لها بالكمال.

● ويكرهون تركَه، ولم يُحرِّموه؛ وأَجازُوه علىٰ معنىٰ الدُّخول في أَصلِ الإيمان، لا علىٰ كماله.

فهم يجوِّزُونَ الأَمرين؛ لعدمِ ورودِ الدَّليل من الكتاب والسُّنَّة علىٰ التحريم، أَو الوجوبِ، والله تعالىٰ أَعلم.

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

وأَهْلُ السُّنَّةِ والْجَماعَةِ:

يكرهُونَ سُؤالَ المُسلم لأخاهُ المسلم: (أمؤمنٌ أنتَ؟) ويكرهُون الجوابَ أيضًا، ويرونَ أنَّ هذا السؤالَ بدعةٌ أحدَثَهَا أهلُ البِدَعِ من المُرجئَةِ؛ ليحْتجُّوا بها علىٰ قولهم في الإيمان: إنَّه التَّصديقُ أو القولُ، وإنَّ العملَ ليس من مُسَمَّىٰ الإيمان؛ خلافًا لعقيدةِ السَّلفِ الصَّالح.

وإذا أجابوا عن السؤالِ مع الكراهيَّةِ؛ فيكرهُونَ جَوَابَ إطلاقِ الإيمان؛ إلاَّ أن يُقَيِّدَ؛ فيُقْرَنُ بما يفهمُ منه أن قصدهم ليس قصد أهل الأهواء والبدع: أنَّ الإيمانَ مجردُ قول! بل يقصدون: نَفْيَ الشَّكِّ في إيمانهم من جهة، وعدمَ الجزمِ بكماله من جهةٍ أُخرىٰ.

● والأدلَّةُ علىٰ جوازِ الاستثناءِ في الإيمانِ؛ كثيرةٌ في كتابِ اللهِ تعالىٰ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وأصحابه الكرام، والتَّابعين العِظامِ، ومَن تبعهم بإحسان، وآثارِ السَّلفِ الصَّالح، وأقوالِ الأئمَّةِ، والعلماء، منها:

■ قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١].

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[٢].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

■ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»(٢).

وكانَ النَّبِيُّ ﷺ يقولُ حينَ يدخلُ المقبرة:

«السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُون؛ اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ»(٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَفْتِيه - وَهِيَ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ، وَأَنَا جُنُبٌ أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ! وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ» فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ! فَقَالَ ﷺ:

«وَاللهِ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»(٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته».

(٣) «رواه مسلم» في (كتاب الجنائز) باب «ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها».

(٤) رواه مسلم في (كتاب الصيام) باب «صحة صوم مَن طلع عليه الفجر وهو جنب».

■ وقالَ أَميرُ المؤمنينَ؛ عمرُ بن الخطابِ، رضي الله عنه:

(مَنْ قَالَ أَنَا مُؤمِنٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ! وَمَنْ قَالَ هُوَ عَالِمٌ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ! وَمَنْ قَالَ هُوَ فِي الْجَنَّةِ؛ فَهُوَ فِي النَّارِ!)(١).

* وقالَ الصَّحابيُّ الفقيهُ؛ عبدُ الله بنُ مسعودٍ، رضي الله عنه:

(مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَلْيَشْهَد أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ)(٢).

وقالَ رجلٌ عندَ ابن مسعودٍ، رضي الله عنه: (أَنا مؤمن!).

فقال ابن مسعود: (أَفَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟) فقال: (أَرْجُو).

فقال ابن مسعود: (أَفَلاَ وَكَلْتَ الأُولَىٰ؛ كَمَا وَكَلْتَ الأُخْرَىٰ؟)(٣).

* وعن التَّابعيِّ الإمام سعيدِ بن جُبَيْرٍ - رحمه الله - قال:

(سأَلْتُ ابنَ عُمَرَ قالَ: قُلْتُ أَغْتَسِلُ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ هُوَ؟ قُلْتُ: أَرْجُو، قَالَ: فَتَمَسَّحَ بِالْمُؤْمِنِ، وَلاَ تَغْتَسِلْ مِنْهُ)(٤).

* وقالَ إمامُ أَهلِ السُّنَّةِ؛ أَحمدُ بنُ حنبلٍ، رحمه الله تعالىٰ:

(أَذهبُ إلىٰ حديثِ ابنِ مسعودٍ في الاستثناءِ في الإيمان؛ لأَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والعملُ الفعلُ، فقد جِئْنا بالقولِ، ونَخْشَىٰ أَن نكُونَ قد

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٤٧ (١٧٧٧).

(٢) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٤٨ (١٧٧٩). و«كتاب الإيمان» ابن أَبي شيبة: ص٤٩ (١٣٨). و«السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أَحمد: ج١، ص٣٢٢ (٦٥٦).

(٣) «كتاب الإيمان» الإمام أَبو عبيد القاسم: ص٢٠ (٩).

(٤) «السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أَحمد: ج١، ص٣٢١ (٦٥٤).

فرَّطنا في العمل؛ فيعجبني أن نَستثنيَ في الإيمانِ، نقولُ: أنا مؤمنٌ إن شاءَ الله)(١).

* وقالَ الإمامُ الوليدُ بنُ مسلمٍ، رحمه الله: سمعتُ أَبا عمرو - يعني الأَوزاعيَّ - ومالك بن أَنسٍ، وسعيد بن عبد العزيز؛ لا يُنْكِرُونَ أَن يقولَ: أَنا مؤمنٌ، ويَأْذَنُونَ في الاستثناءِ أَن أَقول: (أَنا مؤمنٌ إن شاء الله)(٢).

* وقالَ الإمامُ يحيىٰ بنُ سعيد القَطَّان، رحمه الله تعالىٰ:

(مَا أَدركتُ أَحَدًا من أَصحابنا ولا بلغنا إلاَّ علىٰ الاستثناءِ)(٣).

* وعن الإمامِ الحافظِ؛ جَرِيرِ بن عبد الحميد - رحمه الله - قال:

سمعتُ منصورَ بن المُعْتَمِر، والمُغيرةَ بن مقسمٍ، والأَعمشَ، وليثَ بنَ أَبي سليمٍ، وعمارةَ بن القَعْقاعِ، وابن شُبْرُمَةَ، والعلاءَ بن المُسَيِّبِ، وإسماعيلَ بن أَبي خالدٍ، وعطاءَ بن السَّائبِ، وحمزةَ بنَ حَبيبٍ الزياتِ، ويزيدَ بن أَبي زيادٍ، وسفيانَ الثَّوريّ، وابن المُباركِ، ومَن أَدركت:

(يَسْتَثْنُونَ في الإيمانِ، ويَعيبُونَ عَلَىٰ مَنْ لا يَسْتَثْنِي)(٤).

* وقالَ الحافظُ البيهقيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(وقد رَوَيْنا هذا - يعني الاستثناءَ - عن جماعةٍ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ والسَّلفِ الصَّالحِ رضي الله عنهم أَجمعين)(٥).

---

(١) « السُّنَّة » الإمام الخلال: ج٣، ص٦٠٠ (١٠٥٦).

(٢) « السُّنَّة » عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٤٧ (٧٤٤).

(٣) « السُّنَّة » الخلال: ج٣، ص٥٩٥ (١٠٥٣).

(٤) « شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص١٠٥٠ (١٧٨٥).

(٥) « شعب الإيمان » البيهقي: ج١، ص٢١٢.

* وقالَ الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ علقمةُ بن قيس – رحمه الله تعالىٰ – لِمَنْ سَأَلَهُ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قالَ: (أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللهُ)(١).

* وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ – رحمه الله – عن الإيمانِ؟ فقال:

(قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّة) قيل له: فإذا قال الرَّجُلُ: مؤمنٌ أنتَ؟ قال:

(هَذه بِدْعَة) قيل له: فما يُرَدُّ عليه؟ قال:

(يقول: مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ إلاَّ أَن يَسْتَثْنِيَ في هذا الموضع)(٢).

* وقالَ الإمامُ؛ إبراهيمُ النَّخَعِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(سُؤالُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ: أمؤمنٌ أنتَ؟ بدعة)(٣).

* وقالَ الإمامُ؛ سفيانُ بنُ عيينةَ، رحمه الله تعالىٰ:

(إذا سُئِلَ: أمؤمنٌ أنت؟ إن شاءَ لم يُجِبْهُ، أَو يقولُ: سُؤالكَ إيَّايَ بدعةٌ، ولا أَشُكُّ في إيماني، ولا يعنِّفُ مَن قال: إنَّ الإيمانَ يَنقُصُ، أَو قال: مؤمنٌ إن شاءَ الله، وليس يُكرَهُ وليسَ بداخلٍ في الشَّك)(٤).

* وقالَ الإمامُ أبو بكرٍ الآجُرِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(من صِفَةِ أَهلِ الحقِّ – مِمَّنْ ذكرنا من أَهلِ العلم – الاستثناءُ في الإيمانِ، لا علىٰ جهة الشَّكِّ – نعوذ بالله مِنَ الشَّكِّ في الإيمان – ولكن خوف التَّزكية لأَنفسهم منَ الاستكمال للإيمان، لا يَدْري أَهُوَ مِمَّنْ

---

(١) «السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٤١ (٧٢٠).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٥٧ (١٧٩٨).

(٣) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٨٨٠ (١٢١٢).

(٤) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٨٨١ (١٢١٣).

يَستحِقُّ حقيقةَ الإيمانِ أَم لا؟ وذلك أَنَّ أَهلَ العلمِ من أَهلِ الحقِّ إذا سُئِلُوا: أَمؤمنٌ أنتَ؟ قال: آمنتُ بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُلِه، واليومِ الآخر، والجنَّةِ والنَّار، وأَشباه هذا؛ فالناطق بهذا والمُصدِّقُ بقَلْبِه مؤمنٌ، وإنَّما الاستثناءُ في الإيمان لا يَدْري أهو مِمَّنْ يَسْتَوْجِبُ ما نَعتَ الله به المؤمنينَ من حقيقةِ الإيمان أَم لا؟

هذا طريقُ الصَّحابةِ والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ، عندَهُم أَنَّ الاستثناءَ في الأَعمال لا يكونُ في القولِ والتَّصديقِ في القلبِ، وإنَّما الاستثناءُ في الأَعمالِ المُوجبَةِ لحقيقة الإيمان، والنَّاسُ عندهم علىٰ الظَّاهرِ مؤمنون، به يتوارثونَ، وبه يتناكحونَ، وبه تجري أَحكامُ ملَّة الإسلام، ولكنَّ الاستثناء منهم علىٰ حسب ما بيَّنَّاهُ لكَ، وبيَّنهُ العلماءُ من قبلنا، رُويَ في هذا سننٌ كثيرةٌ، وآثارٌ تدلُّ علىٰ ما قلنا)[1].

* وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله تعالىٰ:

(إنَّ الإيمانَ المطلقَ؛ يَتضمَّن فعلَ ما أَمرَ اللهُ به عبدَه كُلَّه، وتركَ المحرَّماتِ كلِّها؛ فإذا قال الرجلُ: أَنا مؤمنٌ بهذا الاعتبارِ؛ فقد شَهدَ لنفسه بأَنَّه من الأَبرار المتَّقينَ القائمينَ بفعلِ جميعِ ما أُمِرُوا به، وتركِ كلِّ ما نُهوا عنه؛ فيكونُ من أَولياء الله، وهذا من تزكيةِ الإنسان لنفسه، وشهادَته لنفسه بما لا يَعلمُ، ولو كانت هذه الشهادةُ صَحيحةً؛ لكانَ ينبغي له أَن يَشهدَ لنفسِهِ بالجنَّة إن ماتَ علىٰ هذا الحال، ولا أَحد يَشهدُ لنفسه بالجنَّة؛

---

(١) «كتاب الشَّريعة» الآجري: ج٢، ص ٦٥٦ (باب ذكر الاستثناء من الإيمان من غير شك فيه) تحقيق د. عبد الله الدميجي.

فشهادَتُه لنفسه بالإيمان؛ كشهادَتِه لنفسه بالجنَّة إذا مات علىٰ هذا الحال، وهذا مأخذُ عامَّةِ السَّلفِ الذين كانوا يَستثنونَ، وإن جوَّزوا تركَ الاستثناءِ بمعنًى آخر)[١].

وقالَ رحمهُ الله: (والمأثورُ عن الصَّحابة، وأَئمَّة التَّابعينَ، وجمهورِ السَّلفِ، وهو مذهبُ أَهل الحديث، وهو المنسوبُ إلىٰ أَهل السُّنَّة: أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقُصُ، يَزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقُصُ بالمعصية، وأنَّه يجوزُ الاستثناء فيه)[٢].

وقال - رحمه الله - أيضًا:

(وأمَّا مذهبُ سَلَفِ أَصحابِ الحديث؛ كابن مسعودٍ وأَصحابه، والثَّوريِّ، وابن عُيينة، وأَكثر علماء الكوفة، ويحيىٰ بن سعيد القطَّان؛ فيما يرويه عن علماء البصرة، وأَحمدَ بن حنبلٍ، وغيره من أَئمَّة السُّنَّة؛ فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواترٌ عنهم)[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٤٤٦ .

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٥٠٥ .

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٤٣٨ .

الاستثناء في الإسلام

وصيغة الاستثناء: قولُ العبد عن نفسه، إذا سُئِلَ، هل أنتَ مسلمٌ؟:
(أنا مسلمٌ إن شاءَ الله).

فجمهورُ أَهل السُّنَّة والجماعة - سلفًا وخلفًا - والمشهور عن أئمَّة السَّلف الصَّالح الأَعلام؛ أنَّهم لا يَرونَ الاستثناءَ في الإسلام؛ كما يرونه في الإيمان؛ لأنَّ الإيمان - عندهم - درجات؛ أقلُّها وأدناها الإسلام.

ويرونَ - أيضًا - أنَّ هنالكَ فرقًا بين الإسلام والإيمان؛ فالإسلامُ غيرُ الإيمانِ، والمُسلمُ غير المؤمن.

فالإيمانُ - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - درجاتٌ ومنازلُ، والنَّاسُ فيه طبقاتٌ: منهمُ المحسنُ، ومنهمُ المؤمنُ، ومنهمُ المسلمُ، وأكملُهُم إيمانًا ودينًا وإحسانًا! هو المحسنُ، ثمَّ الذين يلونَهم؛ فالإسلامُ هو أقلُّ هذهِ الدَّرجاتِ والمراتبِ، وهو أَصلُ الدِّين، أَو الإيمان المجمل، أَو الإيمان المطلق، والإسلام هو الفيصلُ بين الإيمان والكُفر، وليس وراءَ الإسلام؛ إلاَّ الكُفرُ الأكبرُ، والخُروجُ من ملَّةِ الإسلامِ والدِّين؛ فمَن لم يكنْ مُسلمًا كان كافرًا، وأمَّا مَن لم يكن مؤمنًا؛ فقد يكون مسلمًا.

لأنَّ مَن نَطقَ بالشَّهادتين، وأَرادَ الدُّخولَ في الإسلام؛ أَصبحَ مسلمًا، وتميَّزَ عن غيره من الكُفَّار، فتَجرِي عليه أَحكامُ الإسلام الظَّاهر التي تَجرِي علىٰ عامَّةُ المسلمين.

فقد دلَّت النُّصوصُ الشَّرعيَّةُ، وأقوال أئمَّةِ أهل السُّنَّةِ والجماعةِ على جوازِ العبدِ عن نفسه عندما يُسئلُ هل أنت مسلمٌ؟ فيقولُ: (أنا مسلمٌ) بدُونِ استثناءٍ؛ كما في قول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١].

وقول الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢].

وقالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ عن هذه الآية:

(وهذه الآيةُ مما احتجَّ بها أحمدُ بنُ حنبلٍ وغيرُه؛ علىٰ أنَّه يُستثنىٰ في الإيمان دونَ الإسلام، وأنَّ أصحابَ الكبائر يخرجُون من الإيمانِ إلىٰ الإسلام. قال الميمونيُّ: سألتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ عن رأيه في «أنا مؤمنٌ إن شاءَ الله؟» فقال: أقولُ: مؤمنٌ إن شاءَ الله. وأقولُ: مسلمٌ ولا أستثني.

قال: قلتُ لأحمد: تُفرِّقُ بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم. فقلتُ له: بأيِّ شيءٍ تحتجُّ؟ قال لي:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾) [٣].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٢٥٣.

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ هشامُ بنُ حسَّانٍ الأَزدِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(**كان الحسنُ البصريُّ ومحمَّدُ بنُ سيرينَ، يقولانِ: مُسْلِمٌ، ويهابانِ مُؤمن**)[١].

وقالَ الإمامُ أبو بكر المَرْوَزِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(**قيلَ لأَبي عبدِ الله، نقولُ: نحن المؤمنونَ؟ قال: نقولُ نحن المُسلِمُون**)[٢].

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ أَحمدُ بنُ محمَّد بن هانئ الأَثْرَم، رحمه الله:

(**قلتُ لأَبي عبدِ الله: فأَمَّا إذا قال أنا مُسلمٌ فلا يستثني؟ فقال: لا يستثني إذا قال: أنا مُسلم**)[٣].

وقالَ الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ أَبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد الميمونيِّ، من كبار تلميذ الإمام أَحمد، رحمهم الله:

قلتُ لأَبي عبد الله: تفرِّق بين الإيمان والإسلام؟ قال: نعم، وأَقولُ مسلمٌ، ولا أَستثني. قلتُ بأَيِّ شيءٍ تحتجُّ؟ قال: عامَّةُ الأَحاديثِ تدُّل علىٰ هذا، ثمَّ قال: « **لاَ يَزنِي الزَّاني حينَ يَزْني، وهوَ مؤمنٌ، ولاَ يَسْرِقُ حينَ يَسْرِق وهو مؤمن** » وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ قلتُ: وفي كتاب الله:

---

(١) « السُّنَّة » لعبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٢٢ (٦٥٨).

(٢) « السُّنَّة » للخلال: ج١، ص٦٠٢ (١٠٧٣).

(٣) « الإبانة » ابن بطة: ج٢، ص٨٧٦ (١٢٠١).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)(*).

(١) «السُّنَّة» للخلال: ج١، ص٦٠٤ (١٠٧٧).

(*) تنبيهٌ لمسألة!: «هل الإيمان مخلوقٌ أم غيرُ مخلوقٍ؟»، فاعلم أنَّ هذه المسألةُ تفرَّعت من مسألةِ القول بخلْق القرآنِ التي ابتدعها أهلُ البدع والأهواء، وقد عدَّ كثير من أئمَّة السَّلف - رحمهم الله - هذه المسألة من البدع العظيمة! التي تخالف النقل والعقل!

وأهل السُّنَّة والجماعة: اتَّفقوا علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ الله - تبارك وتعالىٰ - منزلٌ غيرُ مخلوق، والله - سبحانه - لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكلامه لا نهاية له؛ وهم بهذا أثبتُوا ما أثبته الكتابُ والسُّنَّة، ومَن اتَّبع الوحيين الشَّريفين؛ فقد أصابَ وأهتدىٰ ونجا وسلم؛ فعليها إن كان المراد من الإيمان شيئًا من صفات الله تعالىٰ وكلامه؛ فهو غيرُ مخلوقٍ.

وإن كان المراد منه شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم؛ فالعبادُ كلُّهم مخلوقون، وجميعُ أفعالهمْ وصفاتهمْ مخلوقة؛ بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة.

للبسط في هذا الموضوع، انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ ج٦، ص٣١٣ وما بعدها. ج٧، ص ٦٥٥، ج٨، ص٤٢٢. فقد فصَّل فيه كعادته وأجاد وأفاد، رحمه الله تعالىٰ، وجزاه عن المسلمين خيرًا.

الإيمان والإسلام

اختلفَ أئمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مُسَمَّىٰ الإيمان والإسلام علىٰ قولين: هل هُما بمعنىٰ واحد، أم أنَّ أحدَهما غير الآخر؟ أَو هل هما مترادفان، أَو متغايران؟

والمتتبِّع للآيات القرآنية والأَحاديث النبويَّة؛ يجد أنَّ اسمَ الإيمان تارةً يُذكر مفردًا غير مقرونٍ باسم الإسلام، وتارةً يُذكر مقرونًا به، وإذَا ذُكِرَ أَحَدهما مفردًا؛ فهما مترادفان، وإذَا ذُكِرَ أَحدُهما مقرونًا بالآخر؛ فيكونان متغايرين.

والذي عليه جمهور أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة، رحمهم الله تعالىٰ:

أنَّ الإسلام والإيمان؛ يختلف معناهما من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وأنَّهما يتفقان في موطن، ويختلفان في موطن آخر؛ فقد يطلق الإيمان، ويراد به الإسلام، وكذا العكس.

وقد يطلق الإسلام علىٰ الأَعمال الظَّاهرة، ويطلق الإيمان علىٰ الأَعمال الباطنة، وأنَّ مُسمَّاهما يختلف علىٰ حسب الإفراد والاقتران.

أي: أنَّ مُسَمَّىٰ الإسلام؛ غير مُسَمَّىٰ الإيمان، وبينهما فرقٌ.

والإيمان: أكمل وأفضل وأعلىٰ مرتبةً من الإسلام.

والعملُ: داخل في مُسَمَّىٰ الإسلام، ومُسَمَّىٰ الإيمان.

■ فباعتبار الحقيقة اللُّغوية؛ يفترق الإسلام والإيمان.

فالإسلام معناه: الاستسلام لله تعالىٰ وحده، والخضوع له بالعبادة.

والإيمان معناه: تصديقٌ، وإقرارٌ، ومعرفةٌ، وانقياد.

■ وباعتبار الحقيقة الشَّرعيَّة يتضمَّن الإيمانُ الإسلامَ؛ لأنَّ بينهما تَلازُمًا في الوجود؛ فكلٌّ واحد منهما مُكمِّلٌ للآخر بحيث لا ينفكَّان عن بعضهما؛ وأنَّهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

لأنَّ الإيمانَ من حيث العموم أَشملُ من الإسلام؛ لأنَّه يشمل الإيمان والإسلام، ولفظ المؤمن يشمل المؤمن والمُسلم.

والإيمان أَعلىٰ من الإسلام مرتبةً ودرجةً؛ فمَن وصل إلىٰ مرتبة الإيمان؛ فقد تجاوز الإسلام، كالإحسان! فإنَّه أعم من الاثنين؛ فمَن بلغ مرتبة الإحسان؛ فقد تجاوز مرتبتي الإسلام والإيمان.

أَي: أَنَّ الإسلام داخل في الإيمان، وليس العكس.

إذن؛ فالإيمانُ أَعمُّ من الإسلام، والإسلام أَخصُّ منه بهذا الاعتبار.

والإسلام والإيمان إذا اجتمعا؛ اختلفا في مدلولهما، أَي: يفترقان في المعنىٰ؛ فيُفَسَّر الإسلام: بالأَعمال الظَّاهرة، والإيمان بالأَعمال الباطنة؛ فيصبح لفظ الإسلام أَعمَّ، ولفظ الإيمان أَخصَّ.

أَي: إذا اجتمعا في نصٍّ واحد؛ فكلٌّ منهما يفسَّر بمعناه المذكور.

وإذا افترقا؛ اجتمعا في مدلولهما، أَيْ: إذا ذُكر أَحدهما في نصٍّ، ولم يُذكر معه الآخر؛ فهو لازم له، ويكون معناهما واحدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١](*).

فهذه الآيةُ الكريمة: تدلُّ علىٰ الافتراق والتَّلازم بين الإيمان والإسلام.

أي: أنَّ الإسلامَ في هذهِ الآية إسلامٌ شرعيٌّ؛ يثابُ عليه أهلُه الذين نفىٰ الله تعالىٰ عنهم الإيمان الواجب (المطلق) الذي يستحقُّ عليه صاحبه المدح والثَّناء؛ لأنَّ المخاطِبين في الآية ليسوا منافقين؛ بل معهم أصل الإيمان، ولكنهم لم يبلغوا حقيقته، ولهذا قَبِلَ الله تعالىٰ أعمالهم إذا أطاعوه؛ بخلاف المنافقين، وأنَّ نفيَ الإيمان هنا؛ كنفيه عن الزَّاني، والسَّارق، وشارب الخمر.

وعلىٰ ذلكَ فنقول: إنَّ الإسلام والإيمان؛ إذا اجتمعا باللَّفظ؛ افترقا بالمعنىٰ، أي: إذا قُرِنَ الإسلامُ والإيمانُ في نصٍّ واحد:

● فيراد بالإسلام: الاستسلامُ لله تعالىٰ وحده لا شريك له، والخضوعُ، والإنقيادُ له - سبحانه - بالطَّاعةِ والعمل.

أَي: الأَعمال الظَّاهرة من العباداتِ: الشَّهادتان، والصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، وغير ذلك من الأَعمال الصَّالحة.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(*) قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أنَّ الإيمان أخصُّ من الإسلام؛ كما هو مذهب أهلُ السُّنَّة والجماعة، ويدلُّ عليه حديث جبريل - عليه الصَّلاة والسَّلام - حين سأل عن الإسلام، ثمَّ عن الإيمان، ثمَّ عن الإحسان؛ فترقىٰ من الأَعم إلىٰ الأَخص، ثم للأَخص منه).

● ويراد بالإيمانِ: تصديقُ القلب، وإقرارهُ، ومعرفته.

أي: الأعمال الباطنة من الاعتقدات؛ كالإيمانِ بالله تعالىٰ، وملائكته، وكُتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، والتَّوكل، والخوف، والمحبَّة، والرَّغبة، والرَّهبه، وغيرها من الأُمور الغيبيَّة والعقديَّة.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ...﴾(١)(*).

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢)(**).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

(*) قال الإمام الحافظ قوّام السُّنَّة أبو القاسم الأصفهاني، رحمه الله: (الإيمان والإسلام اسمان لمعنيين؛ فالإسلام عبارةٌ عن الشَّهادتين مع التَّصديق بالقلب، والإيمان عبارةٌ عن جميع الطَّاعات؛ خلافًا لمن قال الإسلام والإيمان سواءٌ، إذا حصلت معه الطمأنينة، والدَّليل علىٰ الفرق بينهما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ عطف الإيمان علىٰ الإسلام، والشيء لا يعطف علىٰ نفسه؛ فعلم أنَّ الإيمان معنىٰ زائدٌ علىٰ الإسلام) انظر: «الحجَّة في بيان المحجَّة» ج١، ص٤٤١.

(**) قال الإمام الحافظ ابن القيِّم - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (ففرَّق بين الإسلام والإيمان هنا لسرٍّ اقتضاه الكلام؛ فإنَّ الإخراج هنا عبارةٌ عن النَّجاة، فهو إخراجُ نجاةٍ من العذاب، ولا ريب أنَّ هذا مختصٌّ بالمؤمنين المتبعين للرُّسل؛ ظاهرًا وباطنًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لما كان الموجودون من المخرَجين أوقع اسم الإسلام عليهم؛ لأنَّ امرأة لوط كانت من أهل البيت، وهي مسلمة في الظَّاهر؛ فكانت في البيت الموجودين، لا في القوم النَّاجين، وقد أخبرَ الله - سبحانه - عن خيانة امرأة لوطٍ، وخيانتها أنَّها كانت تدلُّ قومها علىٰ أضيافه وقلبها معهم، وليست خيانة فاحشةٍ؛ فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهرًا، وليست من المؤمنين النَّاجين. ومن وضع =

وعَنْ أَميرِ المؤمنين عُمَرَ بن الخطابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:

بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ؛ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّد أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**».

قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ! يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحسَانِ، قَالَ:

«**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَال:

«**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

= دلالات القرآن وألفاظه مواضيعها؛ تبين له من أسراره وحكمه ما يهز العقول، ويعلم معه أنَّه تنزيل من حكيم حميد. وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور، وهو: إنَّ الإسلام أعمُّ من الإيمان؛ فكيف استثنى الأعم من الأخص، وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس؟ وتبيَّن أنَّ المسلمين المستثنين ما وقع عليه فعل الوجود، والمؤمنين غير مستثنين منه؛ بل هم المخرجون النَّاجون) انظر: «الرسالة التبوكيَّة» ص٢١٩. دار ابن حزم.

قَالَ : فَأَخْبِرنِي عَنْ أَمَارَاتِهـا، قَالَ : « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ؛ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » .

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ : « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ » قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »[١] .

وإذا افترق الإسلام والإيمان في نصٍّ؛ اجتمعا بالمعنىٰ؛ فيُفسَّر الإسلامُ بما يُفسَّر به الإيمانُ؛ فيشمُلُ كلُّ واحدٍ منهما الدِّينَ كلَّه؛ من أُصولِهِ وفروعِهِ؛ من اعتقاداته وأفعاله؛ الظَّاهرة والباطنة .

أي : إذا جاء ذكرُ الإسلام مفردًا، أو الإيمان مفردًا؛ فالمراد بهما الدِّينُ كلُّه، بما فيه من إسلامٍ، وإيمانٍ، واستسلامٍ، وشعائرَ، وشرائعَ، وعقائدَ، ومناهجَ، وأحكامٍ، وآدابٍ . . . إلىٰ آخره، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾[٢] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٣] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٤] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٥] .

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب « بيان الإيمان والإسلام والإحسان » .
(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٩ . (٣) سورة المائدة ، الآية : ٣ .
(٤) سورة آل عمران، الآية : ٨٥ . (٥) سورة المائدة، الآية : ٥ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿آمنُوا باللَّه ورَسُوله وَأَنفقُوا ممَّا جعلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فيه فالَّذين آمَنُوا منكُمْ وأَنفقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمنُون باللَّه وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لتُؤْمنُوا بِربِّكُمْ وَقَدْ أَخذَ ميثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمنين﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه أُوْلَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ﴾[٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَستُونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[٣].

وقال ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ»[٤].

وقال ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ؛ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[٥].

وقول النَّبِيِّ ﷺ لِوَفْدِ عبدِ القيسِ؛ عندما سَأَلوهُ ﷺ عن أُمورٍ، فقالوا: فمُرْنا بأَمرٍ فصلٍ؛ نُخبر بهِ مَن وراءَنا، ونَدْخُل به الجنَّةَ؛ فأمرَهُم النَّبيُّ

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان عدد شعب الإيمان».

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

(٥) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «من الدين الفرار من الفتن».

ﷺ بالإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ، فقال: «أَتَدْرُونَ مَا الإيمانُ باللهِ وَحْدَهُ؟»

قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قال:

«شَهادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتاءُ الزَّكَاةِ، وصِيامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»(١).

وَعَنْ عَامِرِ بِنْ سَعْدِ بن أَبي وقَّاصٍ، عن سَعْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَىٰ رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ؛ فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُم إِلَيَّ، فَقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، مَا لكَ عن فُلانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فقال ﷺ: «أَو مُسلِمًا» فَسَكَتُّ قَليلاً، ثمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ؛ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلتُ: مَا لكَ عن فُلانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فقال ﷺ: «أَو مُسلِمًا» ثمَّ غلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ؛ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَال: «يَا سَعْدُ! إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ»(٢)(*).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «أداء الخُمس من الإيمان».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام».

(*) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (فأجاب سعداً بجوابين: أحدهما؛ أنَّ هذا الذي شهدت له بالايمان قد يكون مسلمًا لا مؤمنًا. الثاني: إن كان مؤمنًا، وهو أفضل من أولئك؛ فأنا قد أعطي من هو أضعف إيمانًا؛ لئلا يحمله الحرمان على الرِّدة! فيكبه الله في النَّار على وجهه، وهذا من إعطاء المؤلفة قلوبهم) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٤٧٤.
وقال العلاَّمة ابن أبي العز - رحمه الله - تعليقًا على هذا الحديث: (فأثبتَ لهُ اسم الإسلام، وتوقَّفَ في اسم الإيمانِ؛ فمَن قال: هُما سواء؛ كان مخالفًا). «شرح العقيدة الطحاوية» ص٤٩٣. تحقيق شعيب الأرناوط.

وَعَنْ عَمْرُو بن عَبَسَة السُّلَميِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ :

قالَ رجُلٌ : يا رَسُولَ الله؟ مَا الإسْلام؟ قال :

« **أنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ للهِ عزَّ وجلَّ، وأَنْ يَسْلَمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ** » قالَ : فَأَيُّ الإسلامِ أفْضل؟ قال : « **الإيمان** » قال : وَمَا الإيمان؟ قال :

« **تُؤْمِن باللّهِ، وَمَلائِكَتِه، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوت** » قال : فَأَيُّ الإيمان أفضل؟ قال : « **الهِجْرَةُ** » قالَ : فما الهجرة؟ قال : « **تَهْجُرَ السُّوءَ** » قال فأَيُّ الهجرة أفضل؟ قالَ : « **الجِهَادُ** » قال : وما الجهادُ؟ قال :

« **أَنْ تُقَاتِلَ الكُفَّارَ إذَا لَقِيتَهُمْ** » قالَ : فَأَيُّ الجهاد أفضلُ؟ قالَ :

« **مَنْ عُقِرَ جَوادُهُ وأُهريقَ دَمُهُ** » قالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« **ثُمَّ عَمَلان هُمَا أَفْضَلُ الأَعْمالِ؛ إلاَّ مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا : حَجَّةٌ مَبْرُورةٌ، أَوْ عُمْرَةٌ** »(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **أَسْلَمَ النَّاسُ، وآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي** »(٢).

فمثلُ الإسلامِ منَ الإيمان؛ كمثلِ الشَّهادتين إحداهُما منَ الأُخرىٰ؛ فالشَّهادةُ للرَّسول الأمين محمَّدِ بن عبدِ اللهِ ﷺ بالرِّسالة والنُّبوَّة؛ غيرُ الشَّهادةِ لله تعالىٰ بالوحدانيَّة والعبادة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في « مسنده » ج٤، ص١١٤، وعبد الرزاق في « مصنفه » ج١١، ص١٢٧ (٢٠١٠٧) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ج١، ص٥٩ : (رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد موثقون) وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » تحت رقم (٥٥١).

(٢) رواه الترمذي في (كتاب المناقب) باب « مناقب عمرو بن العاصي رضى الله عنه ». وصححه الألباني

ومثلِ لفظ الفقير؛ إذا أُطلِقَ دخلَ فيه المسكينُ، وإذا أُطلِقَ لفظ المسكينِ تناولَ الفقيرَ، وإذا قُرنَ بينهما؛ فأَحدُهما غيرُ الآخر.

ومِثْلُ ذلكَ البِرُّ والتَّقوىٰ، والإثمُ والعُدوانُ؛ فهُما شيئانِ في الأَعيانِ، وأَحدُهما مرتبطٌ بالآخرِ في المعنىٰ، والْحُكمِ كشيءٍ واحد.

فهذه الأَسماءُ التي تختلفُ دلالاتُها بالإطلاقِ والتَّقييدِ والتَّجريدِ والاقترانِ؛ تارةً يكونانِ إذا أُفرد أَحدُهما كان أَعمَّ من الآخَر، وتارةً يكونانِ مُتَساوِيَيْنِ في العُمُومِ والخُصُوصِ؛ فأَيهما أُطلق تناولَه الآخَر.

كذلك الإسلامُ والإيمانُ: **إذْ لا إيمانَ لمنْ لا إسلامَ لَهُ، ولا إسلامَ لمن لا إيمانَ له، ولا يَخلُو المسلمُ من إيمانٍ يصحُّ به إسلامه، ولا يَخلو المؤمنُ من إسلامٍ يُحقِّق به إيمانه، والعملُ داخلٌ في الاثنين.**

ولكنَّ الإيمانَ الكاملَ؛ لا بُدَّ أَن يكونَ معه إسلامٌ كاملٌ، أَمَّا الإسلامُ الكاملُ؛ فلا يلزمُ منه الإيمانُ الكاملُ، ولكن لا بُدَّ أَن يكون معه أَصلُ الإيمان! وبهذا التَّفصيلِ؛ يحصُل الجمعُ بين الأَدلَّةِ، وهذا هوَ القولُ الوسَطُ، وبه تجتمعُ النُّصُوصُ الشَّرعيَّة.

ويمكنُ القولُ: إنَّ الخلافَ بين علماءِ السَّلفِ في هذه المسأَلةِ خلافٌ لفظيٌّ يسيرٌ؛ لأَنَّ الجميعَ متَّفقونَ علىٰ أَنَّ العملَ يدخُلُ في مُسَمَّىٰ الإيمانِ، وأَنَّ الإيمانَ؛ يزيدُ بالطَّاعة، ويَنْقُصُ بالمعصيةِ، والفريقان لا يُخرجون أَهلَ المعاصي والكبائر من الإيمان إلىٰ الكُفر؛ بل إلىٰ الإسلام؛ وإذا أَخرجوهُم من الإيمانِ إلىٰ الإسلام؛ لم يقولوا إنَّه لا يبقىٰ معهم شيءٌ من الإيمان؛ بل يبقىٰ معهم أَصلُ الإيمان.

قالَ الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ محمَّد بن مسلم الزُّهْرِيُّ - رحمه الله - في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ قَالَ:

(نَرَىٰ أَنَّ الإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ، وَالإِيمَانُ الْعَمَلُ)[١].

وقال إمامُ أَهل السُّنَّة؛ الإمام أَحمدُ بنُ حنبلٍ، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ مقصورٌ في الإسلام؛ فإذا زنىٰ، خرجَ من الإيمانِ إلىٰ الإسلام... وقال: الإسلامُ غيرُ الإيمان)[٢].

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله تعالىٰ:

(ولو قُدِّرَ أَنَّ الإسلامَ يَستلزمُ الإيمانَ الواجبَ، فغايةُ ما يُقالُ: إنَّهما متلازمانِ؛ فكلُّ مسلمٍ مؤمنٌ، وكلُّ مؤمنٍ مسلم.

وهذا صحيحٌ؛ إذا أُريدَ أَنَّ كلَّ مسلمٍ يدخلُ الجنَّةَ معهُ الإيمانُ الواجبُ، وهو متفقٌ عليه؛ إذا أُريدَ أَنَّ كُلَّ مسلمٍ يُثابُ علىٰ عبادته؛ فلا بُدَّ أَن يكونَ معهُ أَصلُ الإيمان فما من مسلمٍ إلاَّ وهو مؤمنٌ، وإن لم يكن هو الإيمان الذي نفاه النَّبِيُّ ﷺ عمَّن لا يُحبُّ لأَخيه ما يُحبُّ لنفسه، وعمَّن يفعلُ الكبائر، وعن الأَعراب وغيرهم.

فإذا قيلَ: إنَّ الإسلامَ والإيمانَ التَّامَّ متلازمان، لم يلزم أَن يكونَ أَحدُهما هو الآخرَ؛ كالرُّوح والبدن، فلا يوجدُ عندنا روحٌ إلاَّ مع البدنِ، ولا يوجد بدنٌ حيٌّ إلاَّ مع الرُّوح، وليس أَحدُهما الآخر؛ فالإيمانُ كالروح،

(١) رواه أَبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب « الدليل علىٰ زيادة الايمان ونقصانه ». وصحَّحه الأَلباني.

(٢) « السُّنَّة » الإمام الخلال: ج٣، ص٦٠٧ (١٠٨٠).

فإنَّه قائمٌ بالرُّوحِ ومتَّصلٌ بالبدن. والإسلامُ كالبدن، ولا يكونُ البدنُ حيًّا إلاَّ معَ الرُّوح، بمعنىٰ أنَّهما متلازمان، لا أنَّ مُسمَّىٰ أحدهما هو مُسمَّىٰ الآخر، وإسلامُ المنافقين كبدنِ الميِّتِ، جسدٌ بلا روحٍ، فما من بدنٍ حيٍّ إلاَّ وفيه روحٌ، ولكنَّ الأرواحَ متنوِّعةٌ؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ:

«الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»(١).

وليس كلُّ مَن صلَّىٰ ببدنه يكونُ قلبُهُ منوَّرًا بذكر الله والخشوع وفهم القرآن، وإن كانت صلاتُه يُثابُ عليها، ويسقط عنه الفرضُ في أحكام الدُّنيا؛ فهكذا الإسلامُ الظَّاهر؛ بمنزلةِ الصَّلاةِ الظَّاهرة، والإيمانُ بمنزلة ما يكونُ في القلب حينَ الصَّلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبُّر القرآن؛ فكلُّ مَن خشعَ قلبُهُ، خشعتْ جوارحهُ، ولا ينعكس، ولهذا قيل: إيَّاكم وخشوعَ النِّفاق، وهو أن يكونَ الجسدُ خاشعًا، والقلبُ ليس بخاشعٍ؛ فإذا صَلُحَ القلبُ صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وليسَ إذا كانَ الجسدُ في عبادةٍ يكونُ القلبُ قائمًا بحقائقها)(٢).

وقال أيضًا - رحمه الله - في موضعٍ آخر:

(ولهذا صارَ النَّاسُ في الإيمانِ والإسلام علىٰ ثلاثة أقوالٍ: فالمرجئةُ يقولونَ: الإسلامُ أفضلُ؛ فإنَّه يدخلُ فيه الإيمانُ. وآخرونَ يقولونَ: الإيمانُ والإسلامُ سواءٌ، وهم المعتزلةُ والخوارج وطائفةٌ من أهلِ الحديثِ والسُّنَّة

(١) رواه مسلم في: (كتاب البر والصلة والآداب) باب «الأرواح جنود مجندة».
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٣٦٧.

وحكاهُ محمَّدُ بنُ نصرٍ عن جمهورهم، وليس كذلك. والقولُ الثَّالثُ: أنَّ الإيمانَ أكملُ وأفضلُ، وهذا هو الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة في غير موضع، وهو المأثور عن الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان)[١].

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ ابنُ رجبَ الحنبليُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(وقالت طائفةٌ: الفرقُ بين الإسلام والإيمان: أنَّ الإيمان هو التَّصديقُ؛ تصديقُ القلبِ، فهو عِلمُ القلبِ وعملُه. والإسلامُ: الخضوعُ والاستسلامُ والانقيادُ؛ فهو عملُ القلبِ والجوارح.

وهذا قولُ كثيرٍ من العلماءِ، وقد حكاه أبو الفضلِ التَّميميُّ عن أصحاب أحمدَ، وهو قولُ طوائفَ من المتكلِّمين؛ لكنَّ المتكلِّمين عندهم أنَّ الأعمالَ لا تدخلُ في الإيمان! بل تدخلُ في الإسلام.

وأمَّا أصحابُنا وغيرهُم من أهلِ الحديث؛ فعندهُم أنَّ الأعمالَ تدخلُ في الإيمان مع اختلافهم في دخولها في الإسلام - كما سبق - فلهذا قال كثيرٌ من العلماء: إنَّ الإسلام والإيمان تختلفُ دلالتُهُما بالإفرادِ والاقترانِ؛ فإن أُفْرِدَ أحدُهما دخلَ الآخرُ فيه، وإن قُرِنَ بينهما كانا شيئين حينئذٍ.

وبهذا يُجمعُ بينَ حديثِ سؤال جبريلَ عن الإسلام والإيمان؛ ففرَّقَ النَّبيُّ ﷺ بينهما، وبين حديث وفد عبد القيس؛ حيث فسَّر فيه النَّبيُّ ﷺ الإيمان المنفردَ بما فسَّر به الإيمانَ المقرونَ في حديث جبريل.

وقد حكىٰ هذا القولَ؛ أبو بكرٍ الإسماعيلي - رحمه الله - عن كثيرٍ من أهل السُّنَّة والجماعة، ورُوي عن أبي بكر بن أبي شيبة ما يدلُّ عليه،

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٤١٤.

وهو أقربُ الأقوال في هذه المسألة، وأشبهُها بالنُّصوص، واللهُ أعلم .

والقولُ بالفرق بينَ الإسلام والإيمانِ مَرْوِيٌّ عن : الحسنِ، وابن سيرينَ، وشُريكٍ، وعبد الرَّحمن بن مهْدي، ويحيىٰ بن مَعين، ومؤمل ابن إهاب، وحُكيَ عن مالكٍ أيضًا، وقد سبقتْ حكايتُه عن قتادةَ، وداودَ بن أَبي هند، والزُّهريِّ، وابن أَبي ذيب، وحمَّاد بن زيد، وأَحمدَ، وأَبي خَيْثَمَة، وكذلك حكاه أَبو بكر بن السَّمعانيُّ عن أَهل السُّنَّة والجماعة جملةً .

فحكايةُ ابن نصرٍ وابن عبد البرِّ عن الأَكثرينَ التَّسويةَ بينهما غيرُ جيدة ؛ بل قد قيلَ : إنَّ السَّلفَ لم يُروَ عنهم غيرُ التَّفريقِ، والله أَعلم)[١] .

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله تعالىٰ :

(ولا عَلِمتُ أَحدًا من المتقدِّمين خالَفَ هؤلاء ؛ فجعلَ نفس الإسلام نفس الإيمان، ولهذا كان عامَّةُ أَهل السُّنَّة علىٰ هذا الذي قاله هؤلاء)[٢] .

---

(١) « فتح الباري » لابن رجب الحنبلي (كتاب الإيمان) ج١، ص ١٢٩ مكتبة الغرباء .

(٢) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص٣٥٩ .

التلازم بين الظاهر والباطن

- (التَّلازم) : هو ارتباط الظَّاهر بالباطن، وتأْثير كل منهما في الآخر.
- (الظَّاهِرُ) : هو العملُ، أَي : قولُ اللِّسانِ، وعملُ الجوارح.
- (الباطنُ) : هو الإيمانُ، أَي : قولُ القلبِ، وعمَلُه.
- قاعدة : **(لا إيمانَ إلاَّ بعمل، ولا عملَ إلاَّ بالإيمان)**.

فعلىٰ ضوءِ هذهِ القاعدةِ السَّلفيَّةِ لأَئمَّةِ السَّلفِ الصَّالح ؛ سلفًا وخلفًا :

فإنَّ ظاهرَ العبدِ – عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ – هو الوجهِ الآخَرُ لقلبه وباطنه، وأَنَّه انعكاسٌ مباشرٌ له لا يتخلَّفُ عنه ولا يُغايرُه، وإذا كان الباطنُ صالحًا كانَ الظَّاهرُ كذلك، وإذا كانَ الباطنُ فاسدًا كان الظَّاهرُ كذلك فاسدًا بحسبه، وإذا انتفىٰ الظَّاهرُ دلَّ ذلك علىٰ عدمِ ما في القلبِ، وإذا نَقَصَ دلَّ علىٰ نَقْصِ ما في القلب، وكذلك العكس.

* فصلاحُ الباطنِ يستلزمُ صلاحَ الظَّاهرِ؛ لأَنَّهُ ينعكسُ حتمًا بالضَّرورةِ علىٰ الظَّاهرِ فيُصْلِحُه.

* وفسادُ الباطنِ يستلزمُ فسادَ الظَّاهِرِ؛ لأَنَّهُ كذلك ينعكسُ حتمًا بالضَّرورةِ علىٰ الظَّاهرِ فيُفْسِدُه.

فمن هُنا لا يمكنُ البتَّةَ؛ ادِّعاءُ الإيمانِ الشَّرْعِيِّ الصَّادق؛ مع ظُهورِ الفسادِ في أَعمالِ الجوارح.

لأنَّ أصلَ الإيمانِ في القلبِ، وأعمالَ الجوارحِ؛ دليلٌ وشاهدٌ عليه.

وأصلُ الإيمانِ الذي في القلبِ، هو:

- قولُ القلبِ من المعرفةِ، والعلمِ، والتَّصديقِ.
- عملُ القلبِ من الإذعانِ والانقيادِ، والاستسلام، والنيَّةِ والإخلاص.

ولكن من لوازمِ هذا الإيمانِ الصَّادقِ - إذا تحقَّق في القلب - تحقيقهُ في الظَّاهر؛ فالظَّاهرُ لا يتخلَّفُ عن الباطن ولا يُضادُّه؛ لأنَّه ترجُمانُ الباطن، ومرتبطٌ به ارتباطًا وثيقًا؛ فالإيمانُ الذي في القلبِ من التَّصديقِ والحبِّ والبُغضِ، وغيرها من أفعال القلب وأعماله؛ يستلزمُ الأُمورَ الظَّاهرة من الأقوال والأعمال، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾[1].

لأنَّ الأعمالَ الظَّاهرةَ؛ يرتبطُ مباشرةً بعملِ القلب من الإذعان والمحبَّة والخشية والتَّوقير؛ أكثر ممَّا يرتبطُ بقول القلبِ من علمٍ ومعرفةٍ وتصديق.

فالعبدُ قد يكونُ عالمًا ومصدِّقًا للحقِّ ومعتقدًا له، ولكنَّ خشيةَ الله تعالىٰ في قلبه، والخوفَ منه، ومحبَّتَهُ، والانقيادَ له بالسَّمعِ والطَّاعة؛ لم تصل إلىٰ الدَّرجةِ التي تنجُو به من ظلماتِ الكُفرِ والشِّرك بأنواعها، أو أن يكونَ ما في قلبه من الحسدِ والكبر، أو حُبِّ الدُّنيا والشَّهوات! قد غلبتْ عليه؛ فطمسَهُ وجعلَ ما معه من التَّصديق - وبعضُ أعمال القلب - لا قيمةَ له عند رَبِّ العزَّةَ والجلال والكبرباء! كالمشركين الذين لا يعبُدُونَ اللهَ تعالىٰ وحدَهُ لا شريك له؛ بل يجعلونَ مع اللهِ شُركاءَ؛ لأنَّ قلوبَهم ليست

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

خالصةً للهِ وحدَهُ؛ بل فيها من حبِّ غيره وطاعته وتعظيمه! ما صرفهم عن التَّوحيدِ الخالص لله تعالىٰ وحده لا شريك له.

والمؤمنونَ عكس ذلك تمامًا؛ فهم موحدون الله تعالىٰ، أي: قلوبهم خالصةٌ للهِ - تبارك وتعالىٰ - وحده لا شريك له، ويعبدون الله - جلَّ في عُلاه - ولا يُشركون في عبادته أَحدًا، وشعارهم الذي يتميزون به:

(آمنَّا وصدَّقنا؛ سمعنا وأَطعنا).

إذن! فالظَّاهرُ والباطنُ متلازمانِ - عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - لا تنفكُّ أَحدهما عن الآخر! ولا يكونُ الظَّاهرُ مستقيمًا وسليمًا؛ إلاَّ باستقامةِ وسلامةِ الباطن، وليسَ العكس! وإلاَّ يكون ذلكَ نفاقًا؛ لأَنَّ الظَّاهرَ لا يختلفُ عن باطنٍ، ولا يضادُّه البتَّة؛ بل هو صورته، وحقيقته، ووجهه الشَّرعيّ؛ فالإيمانُ الصَّادق، والمطلوبُ شرعًا، هو:

الإيمانُ الظَّاهرُ والباطنُ، وتلازمُ عملِ القلبِ بعمل الجوارح؛ لأنَّهُ لا يَصحُّ إيمانُ العبد بواحدةٍ دون الأُخرىٰ؛ فمَن زعمَ وجودَ العمل في قلبه دونَ جوارحِهِ! لا يثبتُ لهُ اسمُ الإيمان البتَّة؛ لأَنَّ الأَعمالَ والأَقوالَ الظَّاهرة من لوازمِ الإيمانِ التي لا تنفكُّ عنه، وتدخلُ في مُسَمَّاه.

ومن هنا جُعلَتِ الأَعمالُ الظَّاهرةُ في الشَّرعِ الحكيم؛ مناطَ الحكم في الدُّنيا علىٰ حال العبد، وذلك بالنظر إلىٰ ظاهر أَعماله دونَ الباطن؛ فيُحْكَمُ عليه بإثبات الإسلام لهُ، أَو الكفر؛ فمَن أَظهرَ الإسلامَ حكمنا بإسلامه، ومَن أَظهر الكُفرَ حكمنا بكُفره؛ لأَنَّ الإنسانَ مهما بلغَ من أَمرِهِ؛ فليس في طاقتِهِ، ولا في سلطانه الاطلاعُ علىٰ ما في بواطن الخلق وسرائرهم؛ لأَنَّ هذا الأَمرَ من خصائص الله تعالىٰ وحده لا شريك له.

فجعلَ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - ظاهرَ النَّاسِ دليلاً علىٰ بواطنهم؛ ثمَّ أعطاهمُ الحقَّ في الحُكمِ علىٰ البواطنِ؛ بمقتضىٰ ما يبدو لهم من ظواهرهم؛ فإن أظهروا الإسلامَ حُكِمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وإن أظهروا الكُفر حُكِمَ لهم بالكُفر ظاهرًا وباطنًا.

قالَ اللهُ - جلَّ وعلا - في صفةِ المؤمنينَ الصَّادقينَ الذين صَلُحَ بَاطِنُهم وظاهِرهُم، وقالوا: سَمِعْنَا وأَطعنا، آمنَّا وصدَّقنا، ثمَّ عَمِلُوا بما آمنوا به:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾(٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ لاَ يَأْمَنُ جَارُه بَوائِقَهُ »(٤).

وقالَ ﷺ: « الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ! لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ! كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ؛ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلاَ إِنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ »(٥).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » مسند أنس بن مالك: ج٣، ص١٩٨ وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة »: ج٦، ص٨٢٢ (٢٨٤١).

(٥) رواه البخاري في « كتاب الإيمان » باب: « فضل مَن استبرأ لدينه ».

وقالَ الإمامُ المحدِّثُ الحجَّةُ، والفقيه القدوةُ، والمفسِّر الملهم؛ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ العدويّ - رحمه الله - مولىٰ عمر، رضي اللهُ عنه:

(لا بُدَّ لأهلِ هذا الدِّينِ من أربعٍ: دخولٌ في دعوة الإسلام، ولا بُدَّ من الإيمان وتصديقٍ بالله وبالمرسلين أوَّلِهم وآخرِهم، وبالجنَّةِ وبالنَّار، وبالبعثِ بعدَ الموتِ، ولا بُدَّ من أن تعملَ عملاً تُصدِّقُ به إيمانَكَ، ولا بُدَّ من أن تعملَ علمًا تُحْسِنْ به عملكَ؛ ثمَّ قرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢])[١].

وقالَ التَّابعيُّ الإمامُ الحافظ؛ مَيْمُونُ بنُ مُهْرانَ الجَزَرِيُّ - رحمه الله - لأصحابه يومًا؛ عندما رأىٰ راهبًا في الصومعةِ يتعبدُ اللهَ تعالىٰ:

(فيكم مَن بلغَ من العبادةِ ما بلغَ هذا الرَّاهب؟) قالوا: لا. قال:

(فما ينفعه ذلكَ! ولم يُؤْمِنْ بمحمَّدٍ ﷺ؟) قالوا: لا ينفعه شيء.

قال: (كذلكَ لا ينفعُ قولٌ؛ إلاَّ بعَمَلٍ)[٢].

وقالَ شيخُ الإسلامِ الإمامُ الحجَّة الأَوْزَاعِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(لا يَستقيمُ الإيمانُ إلاَّ بالقولِ، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ إلاَّ بالعملِ، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ والعملُ إلاَّ بنيَّةٍ موافقةٍ للسُّنَّة؛ فكان مَن مضىٰ ممَّن سلفَ لا يُفرِّقون بينَ الإيمانِ، والعمل من الإيمان، والإيمانُ من العمل، وإنَّما الإيمانُ اسمٌ يجمعُ كما يجمعُ هذه الأديانُ اسمها

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « كتاب الإيمان » ص٤٩ (١٣٦) تحقيق الألباني.

(٢) انظر: « تهذيب الكمال » للإمام الحافظ المزّي؛ ج٢٩، ص٢١٧.

وتصديقُهُ العملُ؛ فمَن آمنَ بلسانِهِ وعَرفَ بقلبِهِ وصَدَّقَ ذلك بعملِهِ؛ فذلكَ العُروةُ الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها، ومَن قال بلسانه، ولم يَعرفْ بقلبه ولم يُصدِّقْهُ بعمله لم يُقبَلْ منه وكانَ في الآخرةِ من الخاسِرين)[١].

وقالَ الإمامُ الحافظُ الحُجَّة؛ سفيانُ الثَّوريُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ، ونيَّةٌ؛ يَزيدُ ويَنْقُص: يزيدُ بالطَّاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوزُ القولُ إلاَّ بالعملِ، ولا يجوزُ القولُ والعملُ إلاَّ بالنيَّة، ولا يجوزُ القولُ والعملُ والنِّيَّةُ؛ إلاَّ بموافقةِ السُّنَّة)[٢].

وقالَ الإمامُ الوليدُ بن مسلم القُرَشيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

سمعتُ الأَوزاعيَّ، ومالكَ بنَ أنسٍ، وسعيدَ بنَ عبدِ العزيز؛ يُنكِرُونَ قولَ مَن يقولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عملٍ، ويقولون:

(لا إيمانَ إلاَّ بعملٍ، ولا عملَ إلاَّ بإيمان)[٣].

وقالَ الإمامُ الزَّهدُ؛ الفُضيلُ بنُ عياضٍ، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ عِنْدنا داخِلُهُ وخارِجُهُ؛ الإقرارُ باللِّسانِ، والقولُ بالقلبِ، والعملُ به)[٤].

وقال أيضًا: (لاَ يَصْلُحُ قولٌ؛ إلاَّ بالعمل)[٥].

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص٩٥٥ - ٩٥٦ (١٥٩١).
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج١، ص١٧٠ (٣١٤).
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٤، ص٩٣٠ (١٥٨٦).
(٤) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٣٠ (١٧٤٧).
(٥) «السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٣٧ (٧٠٢).

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ سفيان بن عُيينة، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ أَخذناهُ مِمَّن قَبلنا قولٌ وعملٌ؛ وأَنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَلٍ)[١].

وقالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(كانَ الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابعينَ من بَعدِهِم مِمَّن أَدركناهُم: أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئُ واحدٌ من الثَّلاثةِ إلاَّ بالآخر)[٢].

وقالَ الإمامُ عبدُ اللهِ الحُميديُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقُصُ، لا يَنفعُ قولٌ إلاَّ بعملٍ، ولا عملٌ ولا قولٌ إلاَّ بنيَّةٍ، ولا قولٌ وعملٌ بنيَّة؛ إلاَّ بسُنَّة)[٣].

وقالَ الإمامُ المحدِّثُ؛ ابن بطَّةَ العكبَري، رحمه الله تعالىٰ:

(فقد تلوتُ عليكُم من كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ما يدلُّ العقلاءَ من المؤمنينَ؛ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ، وأَنَّ مَن صدَّقَ بالقولِ وتركَ العمل؛ كان مكذِّبًا وخارجًا من الإيمان، وأَنَّ الله لا يقبل قولاً؛ إلاَّ بعمل، ولا عملاً؛ إلاَّ بقول)[٤].

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ أَبو عمرو الدَّاني القرطبي المقري، رحمه الله:

(ومن قولِ الفقهاءِ والمحدِّثين: إنَّ الإيمانَ؛ قولٌ، وعملٌ، ونيَّةٌ،

---

(١) « كتاب الشريعة » الآجري: ج٢، ص ٦٠٤ (٢٣٩).

(٢) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص ٩٥٦ (١٥٩٣).

(٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص١٠٢٨ (١٧٣٥).

(٤) « الإبانة » ابن بطة: ج٢، ص٧٩٥ (١٠٧٤).

وإصابةُ السُّنَّة . القولُ : الشَّهادةُ لله - سبحانه وتعالىٰ - بما تقدَّمَ وصفنا له، والإقرارُ؛ بملائكته، وكُتبه، ورسُلِه، وبجميع ما جاء من عنده. والعملُ: أداءُ الفرائضِ التي فرضها، واجتنابُ المحارمِ التي حرَّمها. والنيَّةُ: أعمالِ القلوبِ واعتقاداتها. والسُّنَّةُ: معرفةُ الدِّيانة بالعلم)[١].

وقالَ الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقُصُ، وإذَا عملت الحسن زاد، وإذا ضيعت نقص والإيمان لا يكون إلاَّ بعملٍ)[٢].

وقالَ الإمامُ إسماعيل بن يحيى المزني، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ مع اعتقادهُ بالجنانِ؛ قولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركانِ، وهما سيَّانِ ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما؛ لا إيمان إلاَّ بعملٍ، ولا عملٌ إلاَّ بإيمانٍ)[٣].

وقالَ التَّابعيُّ الفقيه الإمامُ؛ الحسنُ البصريُّ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(الإيمانُ كلامٌ! وحقيقته العمل؛ فإنْ لم يُحقق القول بالعمل لم ينفعه القول)[٤].

وذكر شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله - في «كتاب الإيمان» قول الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ محمَّد بن مسلم الزُّهْرِي، رحمه الله:

---

(١) «الرسالة الوافية» للإمام أبي عمرو الداني؛ ص١٦٩؛ تحقيق: دغش العجمي.
(٢) «الإيمان» ص١٥٣. للقاضي أبي يعلىٰ.
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللالكائي: ج٤، ص٩٣١ - ٩٣٣ (١٩٥٠).
(٤) «كتاب الشَّريعة» الآخري: ج٢، ص٦٣٤.

(**كنا نقول: الإسلام بالإقرار والإيمان بالعمل، والإيمان قولٌ وعملٌ؛ قرينان لا ينفع أحدهما إلاَّ بالآخر، وما من أحدٍ إلاَّ يوزن قوله وعمله؛ فإن كان عمله أوزن من قوله صعد إلىٰ الله، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلىٰ الله**. ورواه أبو عمرو الطلمنكي بإسناده المعروف)[١].

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله تعالىٰ - في شرحِ حديثِ النَّبيِّ ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»:

(فبيَّن أنَّ صَلاحَ القلبِ مستلزمٌ لصلاح الجسدِ؛ فإذا كان الجسدُ غيرَ صالحٍ، دلَّ علىٰ أنَّ القلبَ غيرُ صالحٍ، والقلبُ المؤمنُ صالحٌ؛ فعُلِمَ أنَّ مَن يتكلَّمُ بالإيمانِ، ولا يعملُ به، لا يكونُ قلبُهُ مؤمنًا، حتىٰ أنَّ المُكْرَهَ في إظهارِ الإيمان؛ لا بُدَّ أن يتكلَّمَ معَ نفسِهِ، وفي السِّرِّ معَ من يامنُ إليه، ولا بُدَّ أن يُظهرَ علىٰ صفحاتِ وجهِهِ وفلتاتِ لسانه؛ كما قال عُثمان.

وأمَّا إذا لم يُظْهِرْ أثرَ ذلكَ لا بقولِهِ، ولا بفعلِهِ قَطُّ؛ فإنَّه يدلُّ علىٰ أنَّه ليس في القلبِ إيمانٌ، وذلكَ أنَّ الجسدَ تابعٌ للقلب؛ فلا يستقِرُّ شيءٌ في القلبِ إلاَّ ظهرَ موجَبُهُ ومُقتضاه علىٰ البدنِ، ولو بوجهٍ منَ الوجُوه)[٢].

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ ابنُ رجبَ الحنبليُّ - رحمه الله تعالىٰ - في شرحه لهذا الحديثِ أيضًا:

(إنَّ صلاحَ حركاتِ العبدِ بجوارحِهِ، واجتنابَهُ للمحرَّماتِ واتِّقاءَهُ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٧، ص٢٩٥.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٤، ص١٢١.

للشُّبهاتِ بحسْبِ صلاحِ حركةِ قلبِه. فإن كانَ قلبُه سليمًا، ليسَ فيه إلاَّ محبَّةُ اللهِ، ومحبَّةُ ما يُحبُّهُ اللهُ، وخشيةُ الله، وخشيةُ الوقوع فيما يكرهُهُ؛ صَلُحَتْ حركاتُ الجوارحِ كلُّها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرَّماتِ كلِّها، وتوقِّي الشبهات حذرًا منَ الوقوعِ في المحرَّمات.

وإن كانَ القلبُ فاسدًا، قد استولىٰ عليه اتِّباعُ هَوَاه، وطلبُ ما يحبُّه، ولو كرهَهُ الله، فسدت حركاتُ الجوارحِ كلُّها، وانْبَعَثَتْ إلىٰ كلِّ المعاصي والمشتبهات بحسب اتِّباع هوىٰ القلب.

ولهذا يقال: القلبُ مَلِكُ الأَعضاءِ، وبقيَّةُ الأَعضاء جنودُه، وهم مع هذا جنودٌ طائعونَ له، مبعوثونَ في طاعته، وتنفيذِ أَوامره، لا يخالفونه في شيءٍ من ذلك؛ فإن كان الملكُ صالحًا كانت هذه الجنودُ صالحةً، وإن كان فاسدًا كانت جنودُه بهذه المثابَةِ فاسدةً، ولا ينفعُ عندَ اللهِ إلاَّ القلبُ السليم...

فإنَّ أَعمالَ الجوارحِ لا تستقيمُ إلاَّ باستقامةِ القلبِ، ومعنىٰ استقامةِ القلبِ أَن يكونَ ممتلئًا من محبَّةِ الله، ومحبَّةِ طاعته، وكراهية معصيته... وحركاتُ الجسدِ تابعةٌ لحركةِ القلب وإرادته، فإن كانت حركتُه وإرادتُه لله وحدَهُ؛ فقد صَلَحَ وصَلَحَتْ حركاتُ الجسدِ كلِّه، وإن كانت حركةُ القلب وإرادتُهُ لغيرِ الله تعالىٰ، فسدَ، وفسدت حركاتُ الجسد بحسب فسادِ حركة القلب...

ومعنىٰ هذا أَنَّ حركات القلب والجوارح إذا كانت كلُّها لله؛ فقد كَمُلَ إيمانُ العبد بذلك ظاهرًا وباطنًا، ويلزمُ من صلاح حركات القلب صلاحُ

الجوارح؛ فإذا كان القلبُ صالحًا ليس فيه إلاَّ إرادةُ الله، وإرادةُ ما يريدُهُ لم تنبعثِ الجوارحُ إلاَّ فيما يُريدُهُ الله)[١].

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة، رحمه الله تعالىٰ:

(فأَصلُ الإيمانِ في القلب، وهو قولُ القلبِ وعمله، وهو إقرار بالتَّصديق والحبِّ والانقياد، وما كان في القلب، فلا بُدَّ أَن يظهر مُوجَبُهُ ومقتضاهُ علىٰ الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه؛ دلَّ علىٰ عَدَمه، أَو ضعفه، ولهذا كانت الأَعمالُ الظاهرةُ من موجب إيمانِ القلبِ ومقتضاه، وهي التَّصديقُ لما في القلب، ودليلٌ عليهِ وشاهدٌ له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق، وبعضٌ له؛ لكنَّ ما في القلبِ هو الأَصلُ لما علىٰ الجوارح؛ كما قال أَبو هريرة، رضي الله عنه:

إنَّ القلب ملكٌ، والأَعضاءَ جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك؛ خبثت جنوده)[٢].

وقال أَيضًا: (فهذا الموضع ينبغي تدبُّرُهُ فمَن عرف ارتباطَ الظاهرِ بالباطن؛ زالتْ عنه الشبهةُ في هذا الباب، وعَلِمَ أَنَّ مَن قالَ من الفقهاء: إنَّه إذا أَقرَّ بالواجبِ وامتنعَ عن الفعل لا يُقْتَلُ، أَو يُقتلُ مع إسلامِه؛ فإنَّه دخلتَ عليه الشبهةُ التي دخلت علىٰ المرجئة والجهميَّة، والتي دخلت علىٰ مَن جعلَ الإرادةَ الجازمةَ مع القدرةِ التامَّة، لا يكون بها شيءٌ من الفعل، ولهذا كان المُمْتَنِعُونَ من قتلِ هذا منَ الفقهاءِ بَنَوهْ علىٰ قولهم في مسأَلة

---

(١) «جامع العلوم والحكم» ج١، ص٢١٠. في شرح الحديث السادس من الأَربعين النووية؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧. ص٦٤٤.

الإيمان، وأَنَّ الأَعمالَ ليستْ من الإيمان، وقد تقدَّم أَنَّ جنسَ الأَعمالِ من لوازمِ إيمانِ القلب، وأَنَّ إيمان القلبِ التَّام بدون شيءٍ من الأَعمالِ الظاهرةِ ممتنعٌ؛ سواءٌ جعلَ الظاهرَ من لوازم الإيمان، أَو جزءًا من الإيمان»[1].

وقال في موضعٍ آخر: «وهنا أُصولٌ تنازعَ النَّاسُ فيها: منها أَنَّ القلبَ هل يقوم به تصديقٌ، أَو تكذيبٌ، ولا يَظْهَرُ قط منه شيءٌ علىٰ اللِّسانِ والجوارح، وإنَّما يظهَرُ نقيضُه من غيرِ خوفٍ؟ فالذي عليه السَّلفُ والأَئمَّةُ وجمهورُ النَّاس؛ أَنَّه لا بُدَّ من ظُهُورِ موجَبِ ذلك علىٰ الجوارح، **فمَن قال: إنَّه يُصَدِّقُ الرَّسولَ ﷺ ويحبّه ويُعَظِّمُهُ بقلبِه، ولم يتكلَّم قطُّ بالإسلام، ولا فعلَ شيئًا من واجباته بلا خوفٍ؛ فهذا لا يكون مؤمنًا في الباطن، وإنَّما هو كافر**»[2].

وقال كذلك: «وقد تبيَّنَ أَنَّ الدِّينَ لا بُدَّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأَنَّه يُمْتَنَعُ أَن يكونَ الرَّجلُ مؤمنًا بالله ورسولِه بقلبِه، أَو بقلبِه ولسانه، ولم يؤدِّ واجبًا ظاهرًا، ولا صلاةً ولا زكاةً ولا صيامًا، ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأَجل أَنَّ الله أَوجبها؛ مِثْلَ أَن يؤدِّي الأَمانَةَ، أَو يصدِّقَ الحديثَ، أَو يعدِلَ في قسمِه وحُكمِهِ؛ من غير إيمانٍ بالله ورسوله، لم يَخْرُجْ بذلك من الكُفر؛ فإنَّ المشركينَ، وأَهلَ الكتابِ يرونَ وجوبَ هذه الأُمور، فلا يكونُ الرَّجُلُ مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم شيءٍ من الواجبات التي يختصُّ بإيجابها محمَّد ﷺ»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٦١٦.
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٤، ص١٢٠.
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٦٢١.

وقال - أيضًا - رحمه الله: (إذا نقصتِ الأعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ؛ كان ذلك لنقصِ ما في القلبِ من الإيمان؛ فلا يُتَصوَّرُ مع كمالِ الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدمَ الأعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ؛ بل يلزم من وجود هذا كاملاً، وجودُ هذا كاملاً؛ كما يلزم من نقصِ هذا، نقصُ هذا؛ إذ تقديرُ إيمانٍ تامٍ في القلب بلا ظاهرٍ من قولٍ وعملٍ، كتقدير موجَبٍ تامٍّ بلا موجِبه، وعلّةٍ تامّةٍ بلا معلولِها، وهذا ممتنع)[1].

وقال - أيضًا - رحمه الله: (وإذا قام بالقلب التَّصديق به والمحبَّة له؛ لزم ضرورةً أن يتحرَّكَ البدنُ بموجبِ ذلك من الأقوال الظَّاهرة، والأعمالِ الظَّاهرة؛ فما يظهرُ على البدن من الأقوال والأعمال هو موجبُ ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله؛ كما أنَّ ما يقومُ بالبدن من الأقوال والأعمال له - أيضًا - تأثيرٌ فيما في القلب.

فكلٌّ منهما يؤثِّرُ في الآخر؛ لكنَّ القلبَ هو الأصلُ، والبدنَ فرعٌ له، والفرعُ يستمدُّ من أصله، والأصلُ يثبت ويقوى بفرعه؛ كما في الشجرة التي يضرب بها المثلُ لكلمةِ الإيمان، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وهي كلمةُ التوحيدِ، والشجرةُ كلما قويَ أصلُها وعرقَ ورويَ؛ قويت فروعُها، وفروعُها - أيضًا - إذا اغْتَذَتْ بالمطرِ والرِّيح أثر ذلك في أصلها.

وكذلك الإيمانُ في القلبِ، والإسلامُ علانيةٌ، ولما كانتِ الأقوالُ

---

(١) «مجموع الفتاوى» ج٧، ص٥٨٢.

والأَعمالُ الظَّاهرةُ لازمةً ومستلزمةً للأَقوالِ والأَعمالِ الباطنة؛ كان يُسْتَدَلُّ بها عليها)[١].

وقالَ الإمامُ الحافظُ ابنُ القيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

(وها هنا أَصلٌ آخرُ: وهو أَنَّ حقيقةَ الإيمانِ مُرَكَّبَةٌ من؛ قولٍ وعمل.

والقولُ قسمان: قولُ القلبِ، وهو الاعتقادُ. وقولُ اللِّسانِ، وهو التكلمُ بكلمة الإسلام.

والعملُ قسمان: عملُ القلب، وهو نيَّتُهُ وإخلاصُهُ. وعملُ الجوارح.

فإذا زالت هذه الأَربعةُ، زال الإيمانُ بكمالِه. وإذا زال تصديقُ القلب، لم ينفع بقيةُ الأَجزاء؛ فإِنَّ تصديقَ القلب شرطٌ في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عملُ القلب مع اعتقاد الصِّدق؛ فهذا موضعُ المعركةِ بين المرجئةِ وأَهل السُّنَّة؛ فأَهل السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ علىٰ زوال الإيمان، وأَنَّه لا ينفعُ التَّصديقُ مع انتفاءِ عملِ القلب، وهو مُحَبَّتُهُ وانقيادُه؛ كما لم ينفع إبليسَ وفرعونَ وقومه، واليهودَ والمشركين الذين كانوا يعتقدونَ صدقَ الرَّسول؛ بل ويُقِرُّونَ به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذبٍ، ولكن لا نتَّبعه، ولا نؤمنُ به.

وإذا كان الإيمانُ يزول بزوال عمل القلب؛ فغير مُسْتَنْكَر أَن يزول بزوال أَعظم أَعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزومًا لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزومٌ لعدم التَّصديق الجازم - كما تقدَّم تقريرُه - فإِنَّه يلزم من عدم طاعة القلب عدمُ طاعةِ الجوارح، إذ لو أَطاع القلبُ وانقادَ؛ أَطاعتِ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٥٤١ - ٥٤٢.

الجوارحُ وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدمُ التَّصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقةُ الإيمان.

فإنَّ الإيمانَ ليس مُجَرَّدَ التَّصديق - كما تقدَّم بيانه - وإنَّما هو التَّصديقُ المستلزمُ للطاعة والانقياد، وهكذا الهُدىٰ ليس هو مجردَ معرفة الحقِّ وتبيُّنه؛ بلْ هو معرفته المستلزمة لاتِّباعه، والعمل بموجَبه، وإن سُمِّيَ الأَوَّلُ هدًى؛ فليس هو الهُدَىٰ التَّامَّ المستلزمَ للاهتداء؛ كما أنَّ اعتقاد التَّصديق، وإن سُمِّيَ تصديقًا؛ فليس هو التَّصديقَ المستلزم للإيمان، فعليكَ بمراجعة هذا الأَصل ومراعاته)[١].

وقالَ العلأمة المحقِّق؛ أبو إسحاق الشاطبي، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(ومن هنا جُعلت الأَعمالُ الظاهرةُ في الشَّرعِ دليلاً علىٰ ما في الباطن؛ فإنْ كان الظاهرُ مُنْخرِمًا؛ حُكِمَ علىٰ الباطن بذلك، أَو مستقيمًا؛ حُكِمَ علىٰ الباطن بذلك أَيضًا، وهو أَصلٌ عامٌّ في الفقه وسائِر الأَحكام العاديات والتجريبيَّات؛ بل الالتفاتُ إِليها من هذا الوجه نافعٌ في جملة الشريعة جدًّا، والأَدلَّةُ علىٰ صحته كثيرةٌ جدًّا، وكفىٰ بذلك عمدةً أَنَّه الحاكم بإيمان المؤمنِ، وكُفر الكافر، وطاعة المطيع، وعصيانِ العاصي، وعدالةِ العدْل، وجرحةِ المجرَّح، وبذلك تنعقد العقودُ وترتبط المواثيقُ، إلىٰ غير ذلك من الأُمور؛ بل هو كُليَّةُ التشريع، وعمدةُ التَّكليف بالنسبة إلىٰ إقامة حدود الشَّعائر الإسلاميَّة الخاصَّة والعامَّة)[٢].

---

(١) «كتاب الصَّلاة وحكم تاركها»: ص٥٤. تحقيق تيسير زعيتر.

(٢) «الموافقات» للشاطبي: ج١، ص٣٦٧. تحقيق مشهور حسن السلمان.

أركان الإيمان
عند أهل السنة والجماعة

أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- الركن الأول: الإيمان بالله تعالىٰ.
- الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.
- الركن الثالث: الإيمان بالكتب.
- الركن الرابع: الإيمان بالرسل.
- الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.
- الركن السادس: الإيمان بالقدر.

أركــان الإيمـان

إنَّ أَهْلَ السُنَّةِ والجماعة - السَّائرين علىٰ نهج السَّلف الصَّالح - يسيرون علىٰ أُصولٍ ثابتةٍ وواضحةٍ وبيِّنةٍ في الاعتقادِ، والعملِ، والسُّلوك، وهذه الأُصولُ مُسْتَمَدَّةٌ من الوَحْيَيْنِ الشَّريفَيْنِ: كتابِ الله تبارك وتعالىٰ، وكلِّ ما صحَّ من سُنَّة رسُوله ﷺ متواترًا كان أَو آحادًا، وعلىٰ ضوءِ فهم سلف هذه الأُمَّة من الصَّحابة، والتَّابعين، ومن تبعهُم بإِحسان.

فهم يُسلِّمونَ لنصوصِ الوَحْيَيْنِ، ويجمعون بينهما، ويردُّونَ متشابهَها إلىٰ محكمِهَا، وينقادون لهما مع غايةِ التَّعظيم والإجلالِ، ولا يختلفون فيهما، ولا يتفرَّقون شيعًا وأَحزابًا؛ بل يَعْتَصِمُونَ بحبلِ اللهِ المتين.

ولا يعارضونَ الوَحْيَيْنِ: بالعقولِ القاصرةِ، والأَقيسة الباطلة، والفلسفة، والكشف، والذَّوق.

فأُصولُ الدِّينِ - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - قد بَيَّنها النَّبيُّ ﷺ بيانًا شافيًا؛ فليس لأَحدٍ أَن يُحْدِثَ فيها شيئًا، ويزعُمَ أَنَّه من الدِّين.

ولهذا تمسَّكُوا بهذهِ الأُصول العظيمة، واجتنبوا الأَلفاظَ المبتدعَةَ، والتزموا بالأَلفاظِ الشرعيَّة، ولذا كانوا هم الامتدادَ الطبيعيَّ والحقيقيَّ للسَّلف الصَّالح، ومن هذه الأُصول؛ **أُصول الإيمان**:

فإِنَّ معتقدَهم في أُصولِ الإيمان؛ يتلخَّصُ في التَّصديق بأَركانه السِّتَّة،

كما أَخبرَ بذلك النَّبيُّ ﷺ في حديث جبريلَ الطَّويل - عليه الصَّلاة والسَّلام - لَمَّا جاءَ يسأَله عن الإِيمانِ؛ فقال ﷺ:

«أَنْ تُؤْمنَ باللهِ، ومَلائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه»[1].

فالإِيمانُ يقوم علىٰ هذه الأَركانِ السِّتَّة؛ إذا سقطَ منها ركنٌ، لم يكن الإِنسانُ مؤمنًا البتَّة؛ لأَنَّه فَقَدَ رُكنًا من أَركانِ الإِيمان؛ فالإِيمانُ لا يقومُ إلاَّ علىٰ أَركانِه تامَّةً، كما لا يقومُ البنيانُ إلاَّ علىٰ أَركانِه مكتملة.

لذا لا يتمُّ الإِيمانُ؛ إلاَّ بأَركانه السِّتَّة جميعًا علىٰ الوجهِ الصَّحيح الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّة، ومَن جحدَ شيئاً منها فليس بمؤمن، وإن ادَّعىٰ الإِيمانَ، وقامَ ببعضِ أَركان الإِسلام.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان».

الركن الأول

الإيمان بالله تعالىٰ

الإيمَانُ باللهِ تَبارَكَ وتَعالىٰ: هُوَ التَّصْدِيقُ الجازِمُ، وَالاقْرارُ الكَامِلُ، وَالاعْتِرافُ التَّامُّ:

* بوجُودِ اللهِ تعالىٰ؛ جَلَّ في عُلاه.

* وَبِرُبُوبيَّتِهِ، أَيْ: أَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ، وَمَليكُهُ، وَمُدَبِّرُهُ، وَرازِقُهُ وحدهُ لا شريك له؛ حيٌّ لا يموت.

* وَبِأُلُوهِيَّتِهِ، أَيْ: اسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ – سُبْحَانَهُ – الْعِبَادَةَ والطَّاعةَ.

* وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَيْ: اتِّصافِهِ – سُبْحَانَهُ – بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الجَلاَلِ، وَالأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ.

* لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَالْقِيَامُ بِمُقْتَضَىٰ هَذَا الإِقْرَارِ؛ عِلْمًا وَعَمَلاً، أَيْ: اطْمِئْنَانُ الْقَلْبِ بِذَلِكَ اطْمِئْنَانًا تُرَىٰ آثَارُهُ فِي سُلُوكِ الْعَبْدِ، وَالتِزَامِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

والإِيمَانُ باللهِ تَعَالَىٰ: هو أَوَّلُ أركانِ الإيمانِ الستَّةِ وأَعظمُها وأَساسُها؛ بل هو أَسَاسُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ ولُبُّها؛ فهو الركنُ الرَّكينُ، وأَصلُ الأُصُولِ،

والحَجَرُ الأَساسِيُّ، وقاعدةُ الدِّين، ورأْسُ كلِّ فلاحٍ ونجاحٍ ونجاةٍ، و المحوَرُ الذي تَدُورُ حولَه أُمورُ العقيدةِ كلِّها، والعُمدةُ التي كلُّ أَركانِ العقيدةِ مضافةٌ إليه، وتابعةٌ لَهُ، وفرعٌ منه، وهو أَوَّلُ المعارفِ، وأَسبقُها إلىٰ الأَفهام، وأَسهلُها علىٰ العقولِ، وكلَّما كانَ حظُّ العبدِ من الإيمانِ باللهِ تعالىٰ عظيمًا وصادقًا وخالصًا؛ كانَ حظُّهُ في الإسلام كبيرًا وعزيزًا.

فالإيمانُ بالله تعالىٰ: يَتضمَّنُ الإيمانَ بوحدانيَّته، واستحقاقِهِ وحده للعبادةِ، وبأَسمائه وصفاته؛ لأَنَّ وجودَهُ - جلَّ وعلا - وروبوبيته - تبارك وتعالىٰ - أَكبرُ الحقائقِ علىٰ الإطلاقِ، وأَعظمُها، وأَجلاها، وأَظهرُها، وأَوَّلُها، وهو مِنَ المسلَّماتِ الفطريَّة والعقليَّة والبصريَّة والتاْريخيَّة؛ التي لا شَكَّ فيه عند بني آدمَ ولا ريبَ، منذ أَن خلق الله تعالىٰ الأَرض ومَن عليها.

وهو أَمرٌ فطريٌّ بالضرورة، والأَدلَّةُ في الأَنفسِ، والآفاقِ، والنُّبوَّاتِ؛ شواهدُ تُكثِّفُ هذا الشُّعورَ الفطريَّ، والأَدلَّةُ كثيرةٌ في دلالتها علىٰ ما يتضمَّنُهُ هذا الأَصلُ من خصائصِ الله تعالىٰ وحقوقِهِ، وقد دلَّ عليه:

الفطرةُ السَّليمةُ، والعقلُ السَّليم، والحسُّ عند الإنسان، الشَّرعُ المنزَّل.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ: الإِيمَانُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ، وذَلِكَ بالإِقْرارِ بأَنْواعِ التَّوْحِيدِ الثَّلاَثَةِ، واعْتِقَادِهَا، والْعَمَلِ بِهَا، وهَذِهِ الأَنواعُ، هي:

تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

١- تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ (*):

مَعْنَاهُ الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ، وَالإِقْرَارُ الْكَامِلُ، وَالاعْتِرَافُ التَّامُّ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُ وَخَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ وَلاَ سَمِيَّ لَهُ؛ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَيُّومٌ لاَ يَنَامُ، مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ وَالْعَيْبِ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، مُدَبِّرُ الْعَالَمِ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ؛ لَهُ الْحُكْمُ وَلَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ؛ لاَ رَادَّ لأَمْرِهِ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَبْدٌ لَهُ وَفِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالإِيمَانُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَالإِقْرَارُ بِعَدْلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ مَا يُقَدِّرُهُ، وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَخُلاَصَتُهُ هُوَ: «تَوحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِفْرَادُهُ بِأَفْعَالِهِ».

وَقَدْ قَامَتِ الأَدِلَّةُ الشَّرعِيَّةُ عَلَىٰ وجُوبِ الإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالقُرآنُ الْعَظِيمُ مَلِيءٌ بِذِكْرِ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَىٰ، وَلاَ تَكَادُ سُورَةٌ مِنْ سُوَرِهِ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ، أَوِ الإِشَارَةِ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ الأَسَاسُ بِالنِّسْبَةِ لأَنْوَاعِ التَّوحِيدِ الأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعَالَىٰ:

(*) الربوبيَّة لغةً: (هي نسبةٌ لاسم اللهِ جلَّ وعلا: «الرَّب» والربُّ: مصدرُ رَبَّ يَرُبُّ، بمعنىٰ: نَشَّأَ الشيءَ من حال إلىٰ حال التَّمام، يُقالُ: رَبَّهُ وربَّاه وَرَبَّبَهُ، ولها عدة معانٍ في اللغة منها: المُرَبِّي، المالك، السَّيِّد، المُدَبِّر، الوالي، المنعِمُ، المتمِّمُ، القيِّم. واللهُ تعالىٰ هو ربُّ كلِّ شيءٍ، أي: مالكه، وله الربوبيَّة علىٰ جميع الخلق لا شريكَ له، وهو ربُّ الأَربابِ، ومالكُ الملوكِ والأَملاك. ولفظ «رَبٌّ» مصدرٌ مستعارٌ للفاعل، ولا يُطلَقُ لفظُ «الرَّبُّ» - بالأَلف واللام - لغير الله تعالىٰ إلاَّ بالإضافةِ المحدودةِ، فيقال: ربُّ الدار، وربُّ الفرس: يعني صاحبها) انظر: «لسان العرب» ج١، ص٣٣٩. و«تاج العروس» ج١٥، ص١٧٦. و«النهاية» ج٢، ص١٧٩.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٥).

وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوحِيدِ أَقَرَّ بِهِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ وَالدِّيَانَاتِ، وَالْمُشْرِكُونَ الْقُدَامَىٰ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ؛ فَكُلُّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَمَنْ فِيهِ، وَرَازِقَ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا؛ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٦).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾(٧).

وَذَلِكَ لأَنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ مَفْطُورَةٌ عَلَىٰ الإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ - جَلَّ وَعَلاَ - وَلَمْ يُنْكِرْ هَذَا التَّوحِيدَ إِلاَّ الدَّهْرِيَّةُ فِيمَا سَلَفَ، وَالشُّيوعِيَّةُ فِي زَمَانِنَا هَذَا.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٨٨.

(٦) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٧) سورة يونس، الآية: ٣١.

لِذَا؛ فَلاَ يُصْبِحُ مُعْتَقِدُه مُوَحِّدًا، وَلاَ يَدْخُلُ فِي حَضِيْرَةِ الإِسْلاَمِ، وَلاَ يَعْصِمُ دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَلاَ يُنْجِيْهِ فِي الآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَالخُلُودِ فِيهَا؛ حَتَّىٰ يَلْتَزِمَ بِالنَّوْعِ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ التَّوحِيدِ، وَهُوَ تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ.

٢- توحيدُ الأُلوهيَّة (*):

مَعْنَاهُ الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ، وَالإِقْرَارُ الْكَامِلُ، وَالاعْتِرَافُ التَّامُّ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَحْدَهُ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ وَلاَ مُعْبُودَ سِوَاهُ؛ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ الْمُطْلَقَةِ وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِواهُ بَاطِلٌ، وَالبَراءَةُ مِنْهُمْ جَمِيعًا.

أَيْ: هُوَ إِفْرادُ اللهِ - جَلَّ وَعَلاَ - وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ بِجَمِيعِ أَنْواعِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ؛ قَولاً وَعَمَلاً، وَإِخْلاَصُ الدِّينِ لَهُ، وَأَلاَّ يُصرَفَ شَيْءٌ مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ كَالصَّلاَةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالدُّعَاءِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِغَاثَةِ، والاسْتِعاذَةِ، وَالنَّذْرِ، وَالذَّبْحِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْحُبِّ، وَالإِنَابَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالتَّذَلُّلِ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْواعِ الْعِبَادَةِ، وَأَنْ يُعْبَدَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ بِالْحُبِّ وَالْخوفِ وَالرَّجَاءِ جَمِيعًا، وَعِبَادَتُهُ بِبَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ ضَلاَلٌ.

(*) «الأُلوهيَّة»: (مشتقة من كلمة «إله» والجمع «آلهة» بمعنىٰ المعبود المطاع، أي: المألوه الذي تألهه القلوب. وكلُّ ما اتُّخِذَ معبودًا إلهٌ عند مُتَّخِذِه، أي: هو شامل لكلِّ مَا يُعبد، ويطلق علىٰ المعبود بحقٍّ وهو الله تعالىٰ الإله الحقُّ، ويطلق - أيضًا - علىٰ المعبود بالباطل الذي يُعبد من دون الله؛ ولكن الإله الحق يجب أن يكون خالقًا قادرًا رازقًا مُدبرًا، وعلىٰ كلِّ شيء مقتدرًا؛ فمَن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِدَ ظُلمًا، وسُمِّي إلهًا. ولفظ الجلالة «الله» مشتقٌّ من الإله، وأصله إلاهٌ؛ أي: معبود، ولا يؤخَذُ منه صفةٌ فعليَّةٌ كالخلق والرزق ونحو ذلك، وإنَّما يدلُّ علىٰ صفةٍ ذاتيَّةٍ هي استحقاقُهُ تعالىٰ للعبادةِ) «لسان العرب» ج١٣، ص٤٦٧. و«القاموس المحيط» ص١٩٠٣.

وَخُلاَصَتُهُ هُوَ: «تَوحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِفْرادُهُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ».

قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

وَمِنْ أَجْلِ تَوحِيدِ الْعِبَادَةِ؛ خَلَقَ اللهُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣].

هُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ وَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا، وَلأَجْلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَسُلَّتْ سُيوفُ الْجِهَادِ، وَفُرِّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾ وَهُوَ مَا دَعَا إِلَيْهِ جَمِيعُ الرُّسُلِ، وَإِنْكَارُهُ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَ الأُمَمَ السَّابِقَةَ مَوارِدَ الهلاَكِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٤].

فَتَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ مُسْتَلْزِمٌ تَوحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ؛ لأَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَزِمَهُ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكَ بِهِ أَحَدًا؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّمَا عَبَدُوا آلِهَةً مُتَعَدِّدَةً، وَزَعَمُوا أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ مَعَ

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهَا لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يُسَمِّهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ مُؤْمِنِينَ، بَلْ جَعَلَهُمْ فِي عِدَادِ الْكَافِرِينَ؛ بِإِشْرَاكِهِمْ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ.

فَمَنْ كَانَ رَبًّا خَالِقًا، رَازِقًا، مَالِكًا، مُتَصَرِّفًا، مُحْيِيًا، مُمِيتًا، مَوْصُوفًا بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وَاحِدًا لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَلاَّ تُصْرَفَ الْعِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَمِنْ هُنَا يَخْتَلِفُ مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَنْ غَيْرِهِمْ فِي تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ؛ فَهُمْ لاَ يَعْنُونَ كَمَا يَعْنِي البَعْضُ أَنَّ مَعْنَىٰ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» لاَ خَالِقَ وَلاَ رَازِقَ إِلاَّ اللهُ فَحَسْبُ؛ بَلْ إِنَّ تَوحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ لاَ يَتَحَقَّقُ - عِنْدَهُمْ - إِلاَّ بِتَحْقِيقِ مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنْ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» أَيْ: لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللهُ، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ تَوحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ يَقْتَضِي؛ **إِفْرَادَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ**.

وَالْعِبَادَةُ: هِيَ الطَّاعَاتُ مِنَ الأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لِينَالَ رِضَاهُ؛ وَتَتَحَقَّقُ الْعِبَادَةُ؛ بِقَوْلِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَبِعَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ.

وَالْعِبَادَةُ الَّتِي تُصْرَفُ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِشَرْطَيْنِ:

الأَوَّلُ: **الإِخْلاَصُ**، أَيْ: أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ**﴾[1].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

الثَّانِي: الْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ، أَيْ: أَنْ يُعْبَدَ اللهُ بِمَا شَرَعَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ مُوَافِقَةً - مَكَانًا وَزَمَانًا - لِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1].

■ فَتَوْحِيدُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ: هُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ».

■ وَمُتَابَعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسُنَّتِهِ، وَالإِذْعَانُ لِمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَىٰ عَنْهُ، وَالانْقِيَادُ الْمُطْلَقُ لَهُ ﷺ: هُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

وَتَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» لَهَا رُكْنَانِ عَظِيمَانِ:

أَوَّلاً- أَنْ تُصْرَفَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

ثَانِيًا- أَنْ لاَ يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ؛ أَنْ لاَ يُعْطَىٰ الْمَخْلُوقُ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِ الْخَالِقِ وَخَصَائِصِهِ وَالَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ اللهُ تَعَالَىٰ، أَيْ: أَنْ لاَ يُعْبَدَ إِلاَّ اللهُ تَعَالَىٰ، وَلاَ يُصَلَّىٰ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُسْجَدَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُنْذَرَ وَلاَ يُذبحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُتَوكَّلَ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُسْتَعَانَ إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ يُدْعَىٰ غَيْرُهُ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

فَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَلاَ يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا؛ فَلاَ يَسْأَلُونَ إِلاَّ اللهَ، وَلاَ يَسْتَعِينُونَ إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ يَسْتَغِيثُونَ إِلاَّ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَلاَ يَتَوَكَّلُونَ إِلاَّ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَلاَ يَخَافُونَ إِلاَّ مِنْهُ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَبِصَالِحِ الأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[1].

٣- تَوحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

مَعْنَاهُ: الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ، مُتَفَرِّدٌ بِذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ - جَلَّ وَعَلاَ - بِصِفَاتِهِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرآنِ وَالسُّنَّةِ، وَيَصِفُونَ رَبَّهُمْ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ [*] فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ، وَيُثْبِتُونَ للهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلاَ تَكْيِيفٍ، وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَلاَ تَحْرِيفٍ، وَقَاعِدَتُهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(*) «الإلحاد»: هو الميل عن الحقّ، والانحراف عنه، ويدخل فيه: «التَّعطيل، والتحريف، والتكييف، والتمثيل».

- التعطيل: عدم إثبات الصفات، أو إثبات بعضها ونفي الباقي.
- التحريف: تغيير النص لفظًا أو معنًى، وصرفه عن معناه الظاهر إلىٰ معنًى لا يدل عليه اللفظ إلاَّ باحتمال مرجوح؛ فكل تحريف تعطيل، وليس كل تعطيلٍ تحريفًا.
- التكييف: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات.
- التمثيل: إثبات المثل للشيء؛ مشابهًا له من كلِّ الوجوه.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

لاَ يُحَدِّدُونَ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِ اللهِ؛ لأَنَّهُ - جَلَّ وَعَلاَ - لَمْ يُخْبِرْ بِالْكَيْفِيَّةِ، وَلأَنَّهُ لاَ أَحَدَ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾(٣).

وَقَالَ: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

وَلاَ أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللهِ بَعْدَ اللهِ، مِنْ رَسُولِهِ ﷺ الَّذِي قَالَ اللهُ فِي حَقِّهِ:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(٢).

وأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - هُوَ الأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَالبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٦).

وَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لاَ تُشْبِهُ الذَّوَاتِ، فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ لاَ تُشْبِهُ الصِّفَاتِ؛ لأَنَّهُ - جَلَّ وَعَلاَ - لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ وَلاَ نِدَّ لَهُ،

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.
(٤) سورة النحل، الآية: ٧٤.
(٥) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.
(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ؛ فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ للهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، إِثْبَاتًا بَلاَ تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بَلاَ تَعْطِيلٍ؛ فَحِيْنَ يُثْبِتُونَ للهِ تَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ لاَ يُمَثِّلُونَ، وَإِذَا نَزَّهُوهُ لاَ يُعَطِّلُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِهَا؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَازِقُ كُلِّ حَيٍّ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٢).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – اسْتَوَىٰ(*) عَلَىٰ الْعَرْشِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِعُلُوِّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَفِي سَبْعِ آيَاتٍ كَرِيمَاتٍ؛ بَلاَ تَكْيِيفٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(٣).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.   (٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(*) الاستواء علىٰ العرش والعلو؛ صفتان نثبتهما لله تعالىٰ كباقي الصِّفات؛ إثباتًا يليق بجلاله، وبكمال صفاته، وتفسيرُ كلمة «استوىٰ» عند أئمَّة السَّلف الصَّالح هو: (استقر، علا، ارتفع، صعد) وهم يفسرونها بهذه الكلمات؛ لا يتجاوزونها، ولا يزيدون عليها ألبتَّة! ولم يَرِدْ في تفسير السَّلف؛ تفسيرها بمعنىٰ: (استولىٰ، ولا ملك، ولا قهر)؛ لأنَّ صفة الكيفة مجهولة؛ لا يعلمه إلاَّ الله – جلَّ في عُلاه – والإيمان بصفات اللهِ تعالىٰ واجبة؛ لثبوت الأدلة الشَّرعية، والسؤال عنها بدعة؛ لأنَّ كيفية الاستواء وغيرها من الصِّفات؛ لا يعلم كيفيتها إلاَّ الله تعالىٰ، ولأنَّ الصَّحابة – رضي الله عنهم – لم يسألوا النَّبيَّ ﷺ عن الكيفية! بل سلَّموا لأدلَّة الشَّرعيَّة تسليمًا تامًّا؛ وهم كانوا أفصحوا العرب علىٰ الإطلاق!

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ ﴾[١](*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾[٤].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟»[٥].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[٦].

وَالْعَرْشُ هُوَ أَعْلَىٰ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَكْبَرُهَا وَأَعْظَمُهَا وَسَقْفُهَا، وَهُوَ كَالْقُبَّةِ عَلَىٰ الْعَالَمِ، لاَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلاَّ اللهُ، وَهُوَ ذُو قَوَائِمَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ، وَالْكُرْسِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ لِلْبَارِئِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) سورة الملك، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٥) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب «بعثة علي بن أبي طالب وخالد بن وليد إلىٰ اليمن».

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(*) قال الإمام إسحاق بن راهويه - رحمه الله - في هذه الآية: (إجماع أهل العلم أنَّه فوق العرش استوىٰ، ويعلمُ كُلَّ شيءٍ في أسفل الأرض السابعة) رواه الإمام الذهبي في «العلو للعلي الغفار».

فِي الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاَةٍ وَسِعَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَىٰ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، فَشَأْنُ اللهِ - جَلَّ وَعَلاَ - أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ بَلِ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَحْمُولاَنِ بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.

وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِيَدَيْهِ، وَأَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾[2].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُثْبِتُونَ للهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - عِلْمًا، وَقُدْرَةً، وَقُوَّةً، وَعِزًّا، وَكَلاَمًا، وَحَيَاةً، وَمَحَبَّةً، وَرَحْمَةً، وَنَفْسًا، وَغَضَبًا، وَسَخَطًا، وَكَرَاهِيَةً، وَرِضًا، وَضِحْكًا، وَمَعِيَّةً، وَقَدَمًا وَسَاقًا، وَيَدًا، وَسَمْعًا، وَبَصَرًا، وَوَجْهًا، وَعَيْنًا، وَغَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَالَّتِي وَصَفَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِكَيْفِيَّةٍ يَعْلَمُهَا اللهُ وَلاَ نَعْلَمُهَا؛ لأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْنَا بِالْكَيْفِيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾[3].

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٦.

﴿ وهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[١].

﴿ وكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٢].

﴿ ويَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ والإِكْرَامِ ﴾[٣].

﴿ رَضِيَ اللهُ عَنهُم ورَضُوا عَنهُ ﴾[٤].

﴿ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ ﴾[٥].

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمنا مِنْهُمْ ﴾[٦].

﴿ غَضِبَ اللهُ عَلَيهِمْ ﴾[٧].

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ويُدْعَوْنَ إِلَىٰ السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾[٨].

﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيومُ ﴾[٩].

وَغَيْرُهَا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ أَفْضَلَ وَأَلَذَّ نَعِيمٍ يَنَالُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؛ هُوَ رُؤْيَةُ رَبِّهِمْ فِي الآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١٠].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

(٧) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(٨) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(١٠) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ – ٢٣.

وَأَنَّهُمْ سَيَرَونَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - كَمَا يَرَونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[1].

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ؛ نُزُولاً يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ - جَلَّ وَعَلاَ - بِلاَ كَيْفٍ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[2].

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَجِيءُ يَوْمَ الْمِيعَادِ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَلِلْحُكْمِ بَيْنَهُمْ؛ مَجِيئًا يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ - جَلَّ وَعَلاَ - بِلاَ كَيْفٍ؛ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿**كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[3].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ**﴾[4].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب مواقيت الصلاة) باب «فضل صلاة العصر وصلاة الفجر».

(٢) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب «الدعاء والصلاة في آخر الليل».

(٣) سورة الفجر، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

فَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ يَتَلَخَّصُ:

بِالإِيمَانِ الْجَازِمِ، وَالإِقْرَارِ الْكَامِلِ، وَالتَّسْلِيمِ التَّامِّ؛ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِمَا مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِمَا مِنْ دُونِ إِلْحَادٍ، أَوْ تَحْرِيفٍ، أَوْ تَأْوِيلٍ، أَوْ تَعْطِيلٍ، أَوْ تَكْيِيفٍ، وَمِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ، أَوْ شَكٍّ، أَوْ رَيْبٍ؛ بَلْ إِيمَانٌ وَتَسْلِيمٌ وَعَمَلٌ؛ كَمَا قَالَ الإِمَامُ - التَّابِعِيُّ الْفَقِيهُ - مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ الْبَلاَغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ)[١].

وَكَمَا قَالَ الإِمَامُ - الْحَافِظُ الْحُجَّةُ - سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ اللهُ:

(كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرآنِ؛ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيرُه، لاَ كَيْفَ، وَلاَ مِثْلَ)[٢].

وَكَمَا قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(آمَنْتُ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ)[٣].

وَقَالَ - إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ - مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ!!) قِيلَ: وَمَا الْبِدَعُ؟! قَالَ، رَحِمَهُ اللهُ: (أَهْلُ الْبِدَعِ؛ هُمُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ، وَصِفَاتِهِ، وَكَلاَمِهِ، وَعِلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي: ج٥، ص٣٧٧.

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنّة» الإمام اللالكائي: ج٤، ص٤٧٨ (٧٣٦).

(٣) «لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد» الإمام ابن قدامة المقدسي: ص٧.

وَلاَ يَسْكُتُونَ ! عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ)[١].

وَسَأَلَ رَجُلٌ الإِمَامَ مَالِكًا - رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ فَقَالَ: (الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلاَّ ضَالاًّ). وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ[٢].

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَنْطِقَ فِي ذَاتِ اللهِ بِشَيْءٍ؛ بَلْ يَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يَقُولُ فِيهِ بِرَأْيِهِ شَيْئًا؛ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[٣].

وَقَالَ: (مَنْ أَنْكَرَ أَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي السَّمَاءِ؛ فَقَدْ كَفَرَ)[٤].

وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ صِفَةِ النُّزُولِ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (يَنْزِلُ بِلاَ كَيْفٍ)[٥].

وَقَالَ - الإِمَامُ الْحَافِظُ - نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلاَ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا)[٦].

وَقَالَ الإِمَامُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيُّ: سَأَلْتُ الأَوْزَاعِيَّ، وَسُفْيَانَ بْنَ

---

(١) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص٢١٧.

(٢) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٣، ص٤٤٠ (١٨٣).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» الإمام ابن أبي العز: ص٤٢٧ تحقيق الأرنؤوط.

(٤) «العُلو للعلي الغفار» الإمام الذهبي: ج٢، ص٩٣٥ (٣٣٢) تحقيق د. عبد الله البرك.

(٥) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» الإمام الصابوني: ص٤٢.

(٦) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٤، ص٥٨٧ (٩٣٦).

عُيَيْنَةَ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ؛ عَنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي الصِّفَاتِ وَالرُّؤْيَةِ، فَقَالُوا :

(أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ ؛ بِلاَ كَيْفٍ)[١][*] .

وَقَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ :

(قَدَمُ الإِسْلاَمِ لاَ تَثْبُتُ إِلاَّ عَلَىٰ قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ)[٢] .

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ : (وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الْخَلَفِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ الإِقْرَارِ وَالإِمْرَارِ وَالإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالاقْتِفَاءِ لآثَارِهِمْ وَالاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ)[٣] .

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ :

بَرِيئُونَ مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَالتَّشْبِيهِ، وَالتَّفْوِيضِ، وَالْحَمْدُ للهِ .

هَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وَأَقْوَالُ أَئِمَّتِهِمْ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ ؛ فَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ يَكُونُ مُلْتَزِمًا بِمنهجِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

---

(١) « شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة » الإمام اللالكائي : ج٣، ص٥٨٢ (٩٣٠) .

(٢) « شرح السُّنَّة » الإمام البغوي : ج١، ص١٧١ .

(٣) انظر : « لُمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد » للإمام ابن قدامة المقدسي .

(*) قولُ الأئمةِ، رحمهم الله : (أمِرُّوها كما جاءت !) فيه رَدٌّ علىٰ المعطلة، وقولهم : « بلا كيف ! » رَدٌّ علىٰ الممثلة . ومعنىٰ كلامهم : إثبات معانيها اللائقة بالله - تبارك وتعالىٰ - كما وردت في نصوص الوحيين، وليس معناها إثباتها بدون معرفة معناها ؛ فهذا مذهب المفوضة والمعطلة، وفيه اتهام للرسول ﷺ وأصحابه ؛ أنَّهم كانوا يقرون كلامًا لا يفهمونه ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ معناه مفهوم، وهو إثبات السمع والبصر لله تعالىٰ، ولكن دون تكيف .

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

الإِيمَانُ بِالْمَلاَئِكَةِ : هُوَ الإِيمَانُ بِوجُودِهِمْ، وَالتَّصْدِيقُ بِأَعْمَالِهِمْ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ ؛ فَهُمْ خَلْقٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ لاَ نَرَاهُمْ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِمْ إِيمَانًا جَازِمًا لاَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكٌّ، وَلاَ رَيْبٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ ﴾[١].

فَمَنْ أَنْكَرَ وجُودَ الْمَلاَئِكَةِ ؛ فَقَدْ كَفَرَ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾[٢].

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ :

يُؤْمِنُونَ بِالْمَلاَئِكَةِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً : إِجْمَالاً فِيمَنْ لَمْ يُسَمَّ، وَأَمَّا تَفْصِيلاً ؛ فِبمَنْ صَحَّ بِهِ الدَّلِيلُ مِمَّنْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ ؛ كَجِبْرِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالْوَحْيِ، وَمِيكَائِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالْمَطَرِ، وَإِسْرَافِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ الأَرْوَاحِ، وَمَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ.

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٨٥ .
(٢) سورة النساء، الآية : ١٣٦ .

وأَهْلُ السُّنَّةِ والْجمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِوجُودِ الْمَلاَئِكَةِ الْكِرَامِ، وَأَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ السَّمَاءَ، وَهُمْ عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ؛ خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورٍ، وَهُمْ ذَوَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَيْسُوا قُوًى خَفِيَّةً، وَأَنَّهُمْ خُلِقُوا قَبْلَ خَلْقِ آدمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَالْمَلاَئِكَةُ خِلْقَتُهُمْ عَظِيمَةٌ: مِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاَثَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَثَبَتَ أَنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لَهُ ستمَائَةُ جَنَاحٍ؛ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا سَدَّ الأُفُقَ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَهُمْ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُمْ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ؛ بَلْ هُمْ أَعْظَمُ جُنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَادِرُونَ عَلَىٰ التَّمَثُّلِ بِأَمْثَالِ الأَشْيَاءِ، وَالتَّشَكُّلِ بِأَشْكَالٍ جِسْمَانِيَّةٍ؛ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهَا الْحَالاَتُ الَّتِي يَأْذَنُ بِهَا اللهُ تَعَالَىٰ، وَهُمْ يَتَحَرَّكُونَ، وَيَصْعَدُونَ، وَيَنْزِلُونَ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ الْكِرَامَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ وَلاَ يُحْصِيهِمْ؛ إِلاَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾[1].

وَالْمَلاَئِكَةُ عِبَادٌ مُقَرَّبُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَمُكَرَّمُونَ؛ لاَ يُوصَفُونَ بِالذُّكُورَةِ وَالأُنُوثَةِ، وَلاَ يَتَنَاكَحُون وَلاَ يَتَنَاسَلُونَ. لاَ يَأْكُلُون وَلاَ يَشْرَبُونَ، وَلاَ يَمَلُّون عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلاَ يَفْتُرُونَ عَنْهَا، وَلاَ يَتْعَبُونَ، وَيَتَّصِفُونَ بِالْحُسْنِ، وَالْجَمَالِ، وَالْحَيَاءِ، وَالنِّظَامِ، وَالأَعْمَالِ الرَّشِيدَةِ، وَالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

وَالْمَلاَئِكَةُ؛ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعَالَىٰ وَيَخَافُونَهُ، ويُسَبِّحُونَهُ لَيْلاً وَنَهَارًا، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الْبَشَرِ؛ بِأَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَعَدَمِ الْعِصْيَانِ، خَلَقَهُمْ اللهُ لِعِبَادَتِهِ وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ:

﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾[1].

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ إِلاَّ مَا عَلَّمَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[2].

وَالْمَلاَئِكَةُ لاَ يَدْخُلُونَ بَيْتًا فِيهِ تِمْثَالٌ، وَلاَ صُورَةٌ، وَلاَ كَلْبٌ، وَلاَ يُصَاحِبُونَ رُفْقَةً فِيهَا جَرَسٌ، وَيَتَأَذَّوْنَ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلاَ صُورَةٌ** »[3].

وَقَالَ ﷺ: « **لاَ تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ، وَلاَ جَرَسٌ** »[4].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ الْكِرَامَ قَدْ حَجَبَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنَّا؛ فَلاَ نَرَاهُمْ فِي صُوَرِهِمُ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ كَشَفَهُمْ لِبَعْضِ عِبَادِهِ كَمَا رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ – ٢٨ . (٢) سورة البقرة، الآية: ٣٢ .

(٣) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب « تحريم تصوير صورة الحيوان » .

(٤) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب: « كراهية الكلب والجرس في السفر » .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾[١].

وَقَالَ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾[٢].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلائِكَةَ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ:

مِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِحَمْلِ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْوَحْيِ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِبَالِ، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ وَخَزَنَةُ النَّارِ.

وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِفْظِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْكَافِرِينَ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِسُؤَالِ الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُحَيُّونَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْهَدُونَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ وَحَلَقَاتِ الذِّكْرِ؛ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ قَرِينٌ لِلإِنْسَانِ لاَ يُفَارِقُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَمِّنُ عَلَىٰ دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الدُّعَاءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الإِجَابَةِ. وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِمَايَةِ الصَّالِحِينَ، وَتَفْرِيجِ كُرَبِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْهَدُونَ جَنَائِزَ الصَّالِحِينَ، وَيُقَاتِلُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُثَبِّتُونَهُمْ فِي جِهَادِهِمْ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِلَعْنِ الْكُفَّارِ، وَإِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ. وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِمَايَةِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ دُخُولِ الدَّجَّالِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُبَلِّغُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أُمَّتِهِ السَّلاَمَ.

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ١٣ – ١٤. (٢) سورة التكوير، الآيتان: ٢٢ – ٢٣.

الركن الثالث

الإيمان بالكتب

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ وَيَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا بِأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْزَلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ كُتُبًا فِيهَا أَمْرُهُ، وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ، وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلاَّ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾(١).

وَأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ جَمِيعًا فِيهَا هُدًىٰ وَنُورٌ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ كُتُبَهُ علىٰ رُسُلِهِ لِهِدَايَةِ البشريَّةِ جَمْعَاءَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(٢).

وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الَّتِي ثَبَتَ فِي الْوَحْيَيْنِ: الْقُرْآنُ، وَالتَّوراةُ، وَالإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، وَأَعْظَمُهَا التَّوراةُ وَالإِنْجِيلُ وَالقُرْآنُ، وَأَعْظَمُ الثَّلاثَةِ وَنَاسِخُهَا وَأَفْضَلُهَا عَلَىٰ الإِطْلاَقِ هُوَ القُرْآنُ الْعَظِيمُ.

وَلَمْ يَتَكَفَّلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِحِفْظِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ - عَدَا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥. (٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

القُرآنَ - بَلْ اسْتُحْفِظَ عَلَيْهَا الأَحْبَارُ وَالرَّبَّانِيُّونَ؛ لَكِنَّهُمْ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا؛ فَحَصَلَ فِيهَا تَغْيِيرٌ وَتَبْدِيلٌ؛ فَضَاعَتْ أُصُولُهَا وَغُيِّرَتْ أَحْكَامُهَا، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْكُتُبِ تَحْرِيفًا التَّوْرَاةُ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ بِالْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِيمَانٌ مُجْمَلٌ؛ يَكُونُ بِالإِقْرَارِ بِهِمْ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، أَمَّا الإِيمَانُ بِالقُرآنِ فَإِنَّهُ إِيمَانٌ مُفَصَّلٌ؛ يَكُونُ بِالإِقْرَارِ بِهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ، وَتَحْكِيمِهِ فِي كُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ.

وَالقُرآنُ الْعَظِيمُ:

هُوَ كَلامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكِتَابُهُ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلاوَتِهِ؛ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ لِيَخْتِمَ بِهِ الْكُتُبَ؛ كَمَا خَتَمَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ؛ وَلِيَكُونَ مَنْهَجًا لِلأُمَّةِ، وَمُخْرِجًا لِلنَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَهَادِيًا لَهُمْ إِلَىٰ الرَّشَادِ، وَإِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَخْبَارَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَسِيرَةَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَخَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَمَا فِيهِنَّ، وَفَصَّلَ فِيهِ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ، وَأُصُولَ الآدَابِ وَالأَخْلاقِ، وَأَحْكَامَ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلاتِ، وَجَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ الْجَنَّةَ دَارَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالنَّارَ دَارَ الْكَافِرِينَ، وَجَعَلَهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَتِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

وَيَجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ الأُمَّةِ اتِّبَاعُهُ وَتَحْكِيمُهُ، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ أَحْكَامِهِ، مَعَ مَا صَحَّ مِنَ السُّنَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ؛ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ - حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ - مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ تَكَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ حَقًّا بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكَمَالِهِ، وَتَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَسَمِعَهُ مِنَ اللهِ - جَلَّ شَأْنُهُ - فَبَلَّغَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَلَقَّاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَسَمِعَهُ مِنْهُ وَحَفِظَهُ فِي قَلْبِهِ، وَبَلَّغَهُ ﷺ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَىٰ أُمَّتِهِ، وَأُنْذِرَ بِهِ الأُمَمُ؛ أَنْزَلَهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَنُقِلَ إِلَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ الَّذِي لاَ يَرْقَىٰ إِلَيْهِ شَكٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2].

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ:

لَمْ يُنَزَّلْ مَكْتُوبًا كَالتَّوْرَاةِ، وَلَمْ يُنَزَّلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ بَلْ نُزِّلَ مُنَجَّمًا لِيُحْفَظَ، أَيْ: مُفَرَّقًا حَسَبَ الْوَقَائِعِ، أَوْ جَوَابًا عَنْ أَسْئِلَةٍ، أَوْ حَسَبَ مُقْتَضَيَاتِ الأَحْوَالِ، وَفِي ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ - ١٩٥.

وَالقُرآنُ الْكَرِيمُ:

مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَتَحْفَظُهُ الصُّدُورُ، وَتَتْلُوهُ الأَلْسُنُ، وَمَكْتُوبٌ فِي الصُّحُفِ، وَهُوَ سُورٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ؛ فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[2].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ، وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ أَنْكَرَ سُورَةً، أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مِنْهُ، أَوْ زَادَ أَوْ نَقَصَ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُتَنَاقِضٌ فِي آيَاتِهِ، أَوْ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ بَعْضِ الْخُرَافَاتِ؛ فَيُؤْمِنُونَ إِيمَانًا جَازِمًا بِأَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ نُقِلَتْ إِلَيْنَا بِطَرِيقِ التَّوَاتُرِ الْقَطْعِيِّ الَّذِي لاَ يَرْقَىٰ إِلَيْهِ شَكٌّ الْبَتَّةَ.

وَالقُرآنُ الْكَرِيمُ:

هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَىٰ الْخَالِدَةُ لِنَبِيِّ الإِسْلاَمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ الْمُعْجِزُ فِي أُسْلُوبِهِ وَنَظْمِهِ وَعُلُومِهِ وَحُكْمِهِ وَتَشْرِيعِهِ وَأَخْبَارِهِ وَتَأْثِيرِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَهُوَ آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ؛ لاَ يُنْسَخُ وَلاَ يُبَدَّلُ، وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ مِنْ أَيِّ تَحْرِيفٍ، أَوْ تَبْدِيلٍ، أَوْ زِيَادَةٍ، أَوْ نَقْصٍ إِلَىٰ يَوْمِ يَرْفَعُهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧- ٨٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١].

وَالقُرآنُ الْكَرِيمُ:

كُتِبَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِمَرْأًى مِنْهُ؛ حَيْثُ كَانَ لِلْوَحْيِ كَتَبَةٌ مِنْ خِيْرَةِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ؛ لاَ يُفَارِقُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَيَكْتُبُونَ كُلَّ مَا نَزَلَ مِنَ القُرآنِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّهُمْ عَلَىٰ مَوْضِعِ كُلِّ آيَةٍ مِنْ سُورَتِهَا؛ ثُمَّ جُمِعَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بَيْنَ دَفَّتَي الْمُصْحَفِ، وَفِي عَهْدِ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ ذَٰلِكَ بِإِشْرَافِ أَعْلاَمِ الصَّحَابَةِ وَكُتَّابِ الْوَحْيِ؛ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَالقُرآنُ الْكَرِيمُ:

يَحْتَوِي عَلَىٰ « ١١٤ » سُورَةً، « ٨٦ » مِنْهَا نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ، وَ « ٢٨ » مِنْهَا نَزَلَتْ فِي الْمَدِينَةِ، وَتُسَمَّىٰ السُّوَرُ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِالسُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَالسُّوَرُ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِالسُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ، وَفِيهِ « ٢٩ » تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً؛ افْتُتِحَتْ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَهْتَمُّونَ بِتَعْلِيمِ القُرْآنِ وَتَعَلُّمِهِ، وَحِفْظِهِ، وَتِلاَوَتِهِ بِحُسْنِ الصَّوْتِ، وَالإِنْصَاتِ إِلَيْهِ إِذَا قُرِئَ، وَتَفْسِيرِهِ عَلَىٰ نَهْجِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَالْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٢].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

وَيَتَعبَّدُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ بِقِرَاءَتِهِ؛ لأَنَّ فِي قِرَاءَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ حَسَنَةً، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ:

«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَلاَ أَقُولُ: ألم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

لاَ يُجَوِّزُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ الْمُجَرَّدِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ عَلَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

بَلْ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ؛ فَيَحْمِلُونَ الْمُجْمَلَ عَلَىٰ الْمُبَيَّنِ، وَالْمُطْلَقَ عَلَىٰ الْمُقَيَّدِ، وَالْعَامَّ عَلَىٰ الْخَاصِّ، وَالْمُتَشَابِهَ عَلَىٰ الْمُحْكَمِ. وَيُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الثَّابِتَةِ، ثُمَّ بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، ثُمَّ بِأَقْوَالِ التَّابِعِينَ الْعِظَامِ، ثُمَّ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ ضَوْءِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ، وَيَتَقَيَّدُونَ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلاَ يَخْرُجُونَ عَنْ قَوَاعِدِهَا؛ فَهُم بهذا المنهج جمعوا بينَ الأَثَرِ وَالنَّظَرِ.

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ) باب: «ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر» وصحّحه الألباني.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨ - ١٦٩.

الركن الرابع

الإيمان بالرسل

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ وَيَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَرْسَلَ إِلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ صَفْوَةِ الْخَلْقِ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَدُعَاةً إِلَىٰ دِينِ الْحَقِّ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ؛ فَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِنْقَاذًا لِلأُمَمِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ، وَتَطْهِيرًا لِلْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ التَّحَلُّلِ وَالْفَسَادِ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا الرِّسَالَةَ، وَأَدَّوُا الأَمَانَةَ، وَنَصَحُوا أُمَمَهُمْ، وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِمْ؛ فَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الزَّلَلِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالاَتِهِمْ، وَقَدْ جَاؤُوا بِدَلاَئِلَ بَاهِرَاتٍ تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

لاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا

﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْحِكْمَةَ مِنْ بِعْثَةِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – فَقَالَ تَعَالَىٰ :

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ :

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ يَدْعُونَ لأَصْلٍ وَاحِدٍ؛ هُوَ تَوحِيدُ اللهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ؛ فَالإِسْلاَمُ دِينُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ – وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ حَسْبَ الظُّرُوفِ وَالْحَاجَاتِ – وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ – جَلَّ وَعَلاَ – مِنْ عِبَادِهِ دِينًا غَيْرَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[3].

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[4].

وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَىٰ رُسُلاً وَأَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَهُمْ لَنَا فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُخْبِرْنَا عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ :

---

(١) سورة النساء، الآيات : ١٥٠ – ١٥٢ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٦٥ .

(٣) سورة النحل، الآية : ٣٦ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : ٢٥ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[١] .

وَالَّذِينَ وَرَدَ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْقُرآنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَسُولاً وَنَبِيًّا ، وَهُمْ :

آدَمُ - أَبُو الْبَشَرِ - إِدْرِيسُ ، نُوحٌ ، هُودٌ ، صَالِحٌ ، إِبْرَاهِيمُ ، لُوطٌ ، إِسْمَاعِيلُ ، إِسْحَاقُ ، يَعْقُوبُ ، يُوسُفُ ، شُعَيْبٌ ، أَيُّوبُ ، ذُو الْكِفْلِ ، مُوسَىٰ ، هَارُونُ ، دَاوُدُ ، سُلَيْمانُ ، إِلْيَاسُ ، الْيَسَعُ ، يُونُسُ ، زَكَرِيَّا ، يَحْيَىٰ ، عِيسَىٰ ، وَمُحَمَّدٌ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ؛ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ .

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ :

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ فَضَّلَ بَعْضَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَىٰ بَعْضٍ ، وَقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، وَالرُّسُلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَفَاضِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ أُولُو الْعَزْمِ ، وَهُمْ خَمْسَةٌ : نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ، وَنُوحٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَىٰ ، وَعِيسَىٰ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[٢][*] .

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٧٨ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٧ .

(*) الرَّسُولُ لُغَةً : من الإرسال ، وهو البعثُ والتوجيه . والنَّبيُّ لُغَةً : مشتقٌ من النبأ ، وهو الخبر . الرَّسُولُ والنَّبيُّ شرعًا : كلُّ مَن أُوحي إليه بخبرِ السَّماءِ وأُمِرَ بتبليغِهِ للنَّاس ؛ إلاَّ أنَّ النَّبيَّ أُوحي إليه بشريعةِ مَنْ قبله لتقريرِه ، بخلافِ الرَّسُولِ ؛ فإنَّهُ يوحىٰ إليه بشريعةٍ جديدةٍ ليبلغها إلىٰ قوم كفار ؛ كنوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ؛ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وَأَفْضَلُ أُولِي الْعَزْمِ نَبِيُّ الإِسْلاَمِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[1].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِهِمْ جَمِيعًا مَنْ سَمَّىٰ اللهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُسَمِّ، مِنْ أَوَّلِهِمْ آدَمَ إِلَىٰ آخِرِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ نَبِيِّنَا وَإِمَامِنَا وَقُدْوَتِنَا وَمُرْشِدِنَا وَقَائِدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الإِسْلاَمِ؛ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَالإِيمَانُ بِالرُّسُلِ إِيمَانٌ مُجْمَلٌ؛ يَكُونُ بِالاعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ.

وَأَمَّا الإِيمَانُ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِيمَانٌ مُفَصَّلٌ؛ يَكُونُ بِالاعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، أَيْ: يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اتِّبَاعَهُ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﴾

«صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ»

هو: أَبو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِليَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وَعَدْنَانُ مِنْ وَلَدِ نَبِيِّ اللهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَىٰ نَبِيِّنَا، وَعَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَهُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولُ اللهِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَالْمَبْعُوثُ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ؛ بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهُوَ عَبْدٌ لاَ يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لاَ يُكَذَّبُ، وَهُوَ خَيْرُ الْخَلاَئِقِ، وَأَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَعْلاَهُمْ دَرَجَةً، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً، وَشَرِيعَتُهُ ﷺ هِيَ الشَّرِيعَةُ الْمُهَيْمِنَةُ عَلَىٰ سَائِرِ الشَّرَائِعِ؛ صَالِحَةٌ ومُصْلِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَنَّهَا بَاقِيَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(١).

أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ وَائْتَمَنَهُ عَلَىٰ دِينِهِ، وَكَلَّفَهُ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَقَدْ عَصَمَهُ مِنْ الزَّلَلِ فِي تَبْلِيغِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ – ٤.

وَلاَ يَصحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

وَكَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَمُحَمَّدٌ ﷺ بُعِثَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – أَيَّدَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْمُعْجِزَاتِ[*] الظَّاهِرَةِ، وَالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْبَاهِرَةِ:

● وَمِنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ؛ بَلْ أَعْظَمُهَا وَأَبْهَرُهَا الْقُرآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي تَحَدَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ أَفْصَحَ الأُمَمِ وَأَبْلَغَهَا، وَأَقْدَرَهَا عَلَىٰ الْمَنْطِقِ، عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآنِ؛ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ. وَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ الْقُرآنُ مِنْ أَكْبَرِ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ لأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥ . (٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨ .

(*) «المعجزة»: اسم الفاعل من الإعجاز، أو العَجز المقابل للقدرة، ومعجزةُ النَّبِيِّ: ما أَعْجَزَ به الخصم عند التحدي، والهاءُ فيها للمبالغة، وهي أَمرٌ خارقٌ للعادة؛ لا يقدر عليه البشر، يظهره الله تعالىٰ علىٰ يدِ النبيِّ وفق دعواه تصديقًا له ولرسالته، وإنَّ وقوعَ المعجزة أمر ممكن نقلاً وعقلاً؛ لأنَّ اللهَ – جلتْ قُدرته – الذي خلق الأسباب والمسببات؛ قادرٌ علىٰ أن يغيِّرَ نظامها؛ فلا تخضع لما كانت له من قبل! ولا عجب في ذلك الأمر! ولا غرابة؛ بجانب قدرة الله – تبارك وتعالىٰ – التي لا تُحَدُّ بحدود؛ فهو يفعل ما يريد بأسرع من لمح البصر، قالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا أَمرهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَن يَقولَ لَهُ كُن فَيكونُ ﴾ [يس: ٨٢].

مُعْجِزَتُهُ حِسِّيَّةً فَقَطْ، لانْتَهَتْ بِانْتِهَاءِ عَصْرِهَا؛ كَمَا انْتَهَتْ مُعْجِزَاتُ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ.

● وَمِنْ أَكْبَرِ الْمُعْجِزَاتِ – بَعْدَ الْقُرْآنِ – مُعْجِزَةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عُرِجَ بِهِ فِي الْيَقْظَةِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ ﷺ إِلَىٰ السَّمَاءِ، حَيْثُ صَعِدَ حَتَّىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثُمَّ فَوقَ ذَلِكَ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْعُلَىٰ، إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ، وَكَلَّمَهُ – سُبْحَانَهُ – وَشَرَعَ لَهُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ فَاطَّلَعَ عَلَيْهَا، وَاطَّلَعَ عَلَىٰ النَّارِ، وَرَأَىٰ الْمَلائِكَةَ، وَرَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

وَما كَذَبَ فُؤَادُ النَّبِيِّ ﷺ مَا رَأَىٰ بَلْ كَانَ كُلُّ مَا رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ حَقًّا؛ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَشْرِيفًا عَلَىٰ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِظْهَارًا لِعُلُوِّ مَقَامِهِ ﷺ فَوْقَ الْجَمِيعِ؛ ثُمَّ نَزَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَصَلَّىٰ إِمَامًا بِالأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ قَبْلَ الْفَجْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[١].

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ أَيْضًا؛ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

- انْشِقَاقُ الْقَمَرِ: آيَةٌ عَظِيمَةٌ أَعْطَاهَا اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ دَلِيْلاً عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الهِجرَةِ؛ حِيْنَمَا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ آيَةً.

- تَكْثِيرُ الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا مِنْهُ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.

- تَكْثِيرُ الْمَاءِ وَنَبَعُهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ، وَتَسْبِيحُ الطَّعَامِ لَهُ وَهُوَ يُؤْكَلُ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الشَّيْءُ كَثِيرًا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

- إِبْرَاءُ الْمَرْضَىٰ، وَشِفَاءُ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﷺ دُونَ دَوَاءٍ حِسِّيٍّ.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١ - ١٨.

● أَدَبُ الْحَيوانِ مَعَهُ، وَإِذْعَانُ الأَشْجَارِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِيمُ الأَحْجَارِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ؛ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ.

● رُؤْيَتُهُ ﷺ مَنْ كَانَ خَلْفَهُ فِي الصَّلاَةِ؛ كَمَا يَرَىٰ مَنْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

● نُطْقُ ذِرَاعِ الشَّاةِ الَّذِي قُدِّمَ لَهُ ﷺ لِيَأْكُلَهُ؛ بِأَنَّهُ مَسْمُومٌ.

● إِخْبَارُهُ بِبَعْضِ الأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَإِخْبَارُهُ عَنِ الأُمُورِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعِيداً عَنْهُ فَورَ وُقُوعِهَا.

وَإِخْبَارُهُ عَنْ أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ قَبْلَ حُدُوثِهَا؛ فَحَدَثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهَا؛ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

● إِجَابَةُ دُعَائِهِ ﷺ عَامَّةً.

● انْتِقَامُ اللهِ تَعَالَىٰ الْعَاجِلُ مِنْ بَعْضِ مَنْ خَانَهُ ﷺ أَوْ عَانَدَهُ.

● عُقُوبَةُ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْهُ ﷺ أَوْ يُوَقِّرْ قَوْلَهُ، أَوْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

● وَحِفْظُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - لَهُ ﷺ وَكَفُّ الأَعْدَاءِ عَنْهُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَم! فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ.

قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً؛ فَقَالَ ﷺ:

«لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ؛ عُضْوًا عُضْوًا»(١)(*).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) باب «قوله: ﴿إن الإنسان ليطغىٰ﴾».

(*) تنبيهٌ مهمٌ! لحقيقةِ معنىٰ الإيمان برَسُولِ الله محمَّد بن عبد اللهِ ﷺ!!

ومعناها: تصديقه، وطاعته، واتِّباع شريعته ﷺ، في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

واعلم! أخي المسلم الكريم: أنَّ لهذا الإيمان مقتضيات وشروطًا؛ لا يتم إيمان العبد إلاَّ بها؛ فينبغي للمسلم - الحريص علىٰ آخرته ورضا ربِّهِ - أن يعرفها جيدًا، ويحيط بعلمها، ويلتزم بها؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً، نذكر أهمَّهَا:

● أنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ إلىٰ العالمينَ جميعًا - إنسهم وجنِّهم - وليسَ خاصًّا بالعربِ!

● أنَّهُ ﷺ خاتمُ النبيينَ والمرسلينَ؛ فلا نبي، ولا رسُول، ولا رسالة بعده.

● أنَّهُ لا يصحُ إيمان ولا إسلام أحد بعد بعثته ﷺ إلاَّ بالإيمانِ به، واتِّباع شرعه وحكمه؛ لأنَّ رسالته خاتمة الرِّسالاتِ، وناسخة لما قبله من الشَّرائع.

● أنَّهُ ﷺ بلَّغَ رسالتَهُ تَبْليغًا مُبينًا، وأدَّىٰ الأمانة، ونصح لأُمَّته؛ حتىٰ تركهم علىٰ المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك!

● أنَّه ﷺ معصومٌ من الأخطاء في تبليغ رسالته علىٰ الإطلاقِ، ومن الوقوع في الكبائر والمعاصي والذُّنوب.

● النَّهي عن الغلوِّ في حقِّهِ ﷺ بأيِّ شكلٍ من أشكالِهِ! وأنَّه عبد الله ورَسُوله؛ فحسب! فلا افراط فيه، ولا تفريط.

● وجوبُ تقديم محبته ﷺ علىٰ النَّفسِ، والولدِ، والوالدِ، والنَّاس أجمعين.

● وجوبُ التَّأسي به ﷺ والأخذُ بهديه القويم، ولزوم سُنَّته، والمحافظةُ عليها، وطاعته ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

● التَّحذيرُ من معصيته ﷺ مطلقًا، وأنْ لا يُعْبَدَ الله تعالىٰ؛ إلاَّ بما شرع.

● النَّبِيُّ محمَّد ﷺ هو أفضل المتعبِّدينَ بالاتِّفاق؛ فكلُّ عبادةٍ خالفت عبادته، أو طريقه، أو لم يشرعها، أو لم يُقرَّها ﷺ؛ فهي بدعةٌ وضلالةٌ وخسرانٌ! لا تُقرِّب صاحبها إلىٰ الله تعالىٰ ألبتَّة! بل لا تزيده من الله تعالىٰ؛ إلاَّ بُعدًا.

● العلمُ بأنَّ طريقَ الوحيدِ موصل إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإلىٰ رضوانِهِ وجنَّتِهِ؛ هو طريقه ﷺ.

● بيانُ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربِّه - جلَّ وعلا - والإكثارُ من ذكره ﷺ والصَّلاة والسَّلام عليه، وبرُّ آله، وذريته، ومعرفة حقِّ أزواجه، وأصحابه الكرام.

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يَعْتَقِدُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُحْيِي اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ الْخَلْقَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَيَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ يَحاسِبُهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ. أَيْ هُوَ: الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ، وَالتَّصْدِيقُ الْكَامِلُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَحْوَالٍ وَأَهْوَالٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلاَمَاتِهَا، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ وَالصِّرَاطِ، وَالشَّفَاعَةِ وَالْجَزَاءِ؛ حَتَّىٰ يَدْخُلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ.

لَقَدْ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرَ الْيَوْمِ الآخِرِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَرَبَطَ الإِيمَانَ بِهِ بِالإِيمَانِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلاَ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤.

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ وَقْتَ قِيَامِ السَّاعَةِ عِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[1].

وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ أَخْفَىٰ وَقْتَ وُقُوعِ السَّاعَةِ عَنْ عِبَادِهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ قَدْ جَعَلَ لَهَا أَمَارَاتٍ وَعَلاَمَاتٍ وَأَشْرَاطًا؛ تَدُلُّ عَلَىٰ قُرْبِ وُقُوعِهَا.

وَيُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا وَقَعَ وَسَيَقَعُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ وَالْكُبْرَىٰ الَّتِي هِيَ أَمَارَاتٌ عَلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ لأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ.

عَلاَمَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ:

وَهِيَ الَّتِي تَتَقَدَّمُ قِيَامَ السَّاعَةِ بِأَزْمَانٍ مُتَفَاوِتَةٍ وَمُتَطَاوِلَةٍ، وَتَكُونُ مِنَ النَّوْعِ الْمُعْتَادِ، وَقَدْ يَظْهَرُ بَعْضُهَا مُصَاحِبًا لِلأَشْرَاطِ الْكُبْرَىٰ، وَعَلاَمَاتُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ كَثِيرَةٌ جِدًا؛ نَذْكُرُ شَيْئًا مِمَّا صَحَّ مِنْهَا:

فَمِنْ ذَلِكَ بِعْثَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَتْمُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ بِهِ، وَمَوْتُهُ ﷺ.

فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَظُهُورُ الْفِتَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَاتِّبَاعُ سُنَنِ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِينَ، وَادِّعِيَاءِ النُّبُوَّةِ.

وَضْعُ الأَحَادِيثِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَفْضُ سُنَّتِهِ، وَكَثْرَةُ الْكَذِبِ، وَعَدَمُ التَّثَبُّتِ فِي نَقْلِ الأَخْبَارِ، وَرَفْعُ الْعِلْمِ وَالتِمَاسُهُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ، وَظُهُورُ الْجَهْلِ وَالْفَسَادِ، وَذَهَابُ الصَّالِحِينَ، وَنَقْضُ عُرَىٰ الإِسْلاَمِ عُرْوَةً عُرْوَةً، وَتَدَاعِي الأُمَمِ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ غُرْبَةُ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

كَثْرَةُ القَتْلِ، وَتَمَنِّي الْمَوْتِ، وَغِبْطَةُ أَهْلِ الْقُبُورِ وَتَمَنِّي الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنْ شِدَّةِ البَلاَءِ، وَكَثْرَةُ مَوْتِ الْفَجْأَةِ وَالْمَوْتِ فِي الزَّلاَزِلِ وَالأَمْرَاضِ، وَقِلَّةُ عَدَدِ الرِّجَالِ، وَكَثْرَةُ النِّسَاءِ، وَظُهُورُهُنَّ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، وَتَفَشِّي الزِّنَا فِي الطُّرُقَاتِ، وَظُهُورُ الْمَعَازِفِ، وَالْخَمْرِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالْحَرِيرِ وَاسْتِحْلاَلُهَا، وَظُهُورُ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالْقَذْفِ.

تَضْيِيعُ الأَمَانَةِ، وَإِسْنَادُ الأَمْرِ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَزَعَامَةُ الأَرَاذِلِ مِنَ النَّاسِ، وَارْتِفَاعُ أَسَافِلِهِمْ عَلَىٰ خِيَارِهِمْ، وَوِلاَدَةُ الأَمَةِ رَبَّتَهَا، وَظُهُورُ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ الَّذِينَ يَجْلِدُونَ النَّاسَ، وَحُدُوثُ الْفِتَنِ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.

التَّطَاوُلُ فِي البُنْيَانِ، وَتَبَاهِي النَّاسِ فِي زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ، وَكَثْرَةُ التِّجَارَةِ، وَتَقَارُبُ الأَسْوَاقِ، وَوُجُودُ الْمَالِ الْكَثِيرِ فِي أَيْدِي النَّاسِ مَعَ عَدَمِ الشُّكْرِ، وَكَثْرَةُ الشُّحِّ، وَكَثْرَةُ شهادة الزُّورِ، وَكِتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورُ الْفُحْشِ وَالتَّخَاصُمِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّشَاحُنِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَسُوءِ الْجِوَارِ، وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ الْمَعَارِفِ فَقَطْ، وَوُقُوعُ التَّنَاكُرِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَشَبُّهُ الشُّيُوخِ بِالشَّبَابِ، وَالتَّهَاوُنُ بِالسُّنَنِ الَّتِي رَغَّبَ فِيهَا الإِسْلاَمُ.

تَغَيُّرُ الزَّمَانِ؛ حَتَّىٰ تُعْبَدَ الأَوْثَانُ، وَيَظْهَرَ الشِّرْكُ فِي الأُمَّةِ، وَكَثْرَةُ الأَمْطَارِ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ، وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ، وَقِلَّةُ الْبَرَكَةِ فِي الأَوْقَاتِ، وَانْتِفَاخُ الأَهِلَّةِ، وَكَلاَمُ السِّبَاعِ وَالْجَمَادَاتِ لِلإِنْسِ، وَصِدْقُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ.

حَسْرُ مَاءِ الفُرَاتِ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَا يَقَعُ فِي مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ تَنْفِي الْخَبَثَ؛ فَلاَ يَبْقَىٰ فِيهَا إِلاَّ الأَتْقِيَاءُ الصَّالِحُونَ، وَعَوْدَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا، وَخُرُوجُ رَجُلٍ مِنْ قَحْطَانَ يَدِينُ لَهُ النَّاسُ.

كَثْرَةُ الرُّومِ، وَقِتَالُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِينَ لِلْيَهُودِ حَتَّىٰ يَقُولَ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: «يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ؛ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[1].

وَفَتْحُ رُومَا؛ كَمَا فُتِحَتْ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ الثَّابِتَةِ فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ.

عَلاَمَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَىٰ:

وَهِيَ الأُمُورُ الْعِظَامُ وَالأَشْرَاطُ الْجِسَامُ الَّتِي تَظْهَرُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَتَكُونُ غَيْرَ مُعْتَادَةِ الْوُقُوعِ، وَإِذَا ظَهَرَتْ أَوَّلُ عَلاَمَةٍ تَتَابَعَتِ الْعَلاَمَاتُ الأُخْرَىٰ كَتَتَابُعِ الْخَرَزِ فِي النِّظَامِ، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ دَلَّتْ عَلَيْهَا، وَتَكُونُ السَّاعَةُ عَلَىٰ إِثْرِهَا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الأَشْرَاطَ ثَابِتَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا كَمَا جَاءَتْ، وَمِنْهَا:

ظُهُورُ الْمَهْدِيِّ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَيُبَايَعُ لَهُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ فَحُكْمُهُ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً بَعْدَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَيُعْطِي الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ؛ تَنْعَمُ الأُمَّةُ فِي عَهْدِهِ نِعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ؛ تُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا.

وَخُرُوجُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ الأَعْوَرِ الْكَذَّابِ(*) مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ مِنْ

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الجهاد) باب: «قتال اليهود».

(*) وفتنة ظهور المسيح الدَّجَّال من أعظم الفتن؛ لأنَّ الدَّجَّال هو منبع الكفر والضلال والفتن، ومن أجل ذلك فقد حذَّر منه الأنبياء أقوامهم، وكان النبي ﷺ يستعيذ من فتنة الدَّجَّال دُبُر كل صلاة، وحذَّر منه أُمَّته.

خُرَاسَانَ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ، ومَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، وَيَظْهَرُ أَمْرُهُ لِلْمسْلِمِينَ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ثُمَّ لاَ يَتْرُكُ بَلَدًا إِلاَّ دَخَلَهُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ دُخُولَهُمَا؛ لأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَحْرُسُهُمَا، وَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمْعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَّامِنَا.

وَنُزُولُ الْمَسِيحِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ الشَّامِ.

وَيَكُونُ نُزُولُهُ عَلَىٰ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي تُقَاتِلُ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَتَكُونُ مُجْتَمِعَةً لِقِتَالِ الدَّجَّالِ؛ فَيَنْزِلُ وَقْتَ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَيُصلِّي خَلْفَ أَمِيرِ تِلْكَ الطَّائِفَةِ - وَهُوَ الْمَهْدِيُّ - وَأَنَّهُ يَقْتُلُ الدَّجَّالَ بِحَرْبَتِهِ بِبَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيَحْكُمُ فِي الأَرْضِ بِشَرِيعَةِ الإِسْلاَمِ؛ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، فَلاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الإِسْلاَمَ، وَيَسُودُ الأَمْنُ وَالأَمَانُ وَالرَّخَاءُ، وَتُرْفَعُ مِنَ الأُمَّةِ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَتَعُمُّ الْبَرَكَةُ وَتَكْثُرُ الْخَيْرَاتُ، وَلاَ يُرْغَبُ فِي اقْتِنَاءِ الْمَالِ لِكَثْرَتِهِ، وَيَنْتَشِرُ السِّلْمُ فِي جَمِيعِ الْمَعْمُورَةِ، وَتَنْتَهِي الْحُرُوبُ.

وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ؛ يُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا عَظِيمًا؛ فَيُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا صَغِيرًا يَدْخُلُ فِي دِمَاغِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوتَ الْجَرَادِ، وَتَمْتَلِئُ الأَرْضُ مِنْ نَتْنِهِمْ؛ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا تَحْمِلُهُمْ وَتَطْرَحُهُمْ فِي الأَرْضِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا يَغْسِلُ آثَارَهُمْ.

وَوُقُوعُ الْخُسُوفَاتِ الثَّلاَثَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَعُمُّ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً مِنَ الأَرْضِ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

وَخُرُوجُ الدُّخَانِ الْكَثِيفِ يَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيَعُمُّ الدُّنْيَا؛ فَيَأْخُذُ بِالْمُؤْمِنِينَ كَالزُّكْمَةِ، وَيَدْخُلُ فِي مَنَافِذِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ؛ فَيَنْتَفِخُونَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُمْ.

وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَلاَ يَرَاهَا أَحَدٌ إِلاَّ آمَنَ، وَلَكِنْ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ، وَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَاصِي بَعْدَهَا.

وَخُرُوجُ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَهَذِهِ الدَّابَّةُ عَظِيمَةٌ تُخَالِفُ مَا عَهِدَهُ الْبَشَرُ مِنَ الدَّوَابِّ خِلْقَةً وَعَمَلاً، إِذْ تُخَاطِبُ النَّاسَ وَتُكَلِّمُهُمْ، وَتُمَيِّزُ الْمُؤْمِنَ مِنْ الْكَافِرِ؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهَا تَجْلُو وَجْهَهُ حَتَّىٰ يُشْرِقَ وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلاَمَةَ إِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهَا تَخْطِمُهُ عَلَىٰ أَنْفِهِ عَلاَمَةً عَلَىٰ كُفْرِهِ.

وَخُرُوجُ نَارٍ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، وَمِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، وَتُحِيطُ بِالنَّاسِ مِنْ وَرَائِهِمْ؛ فَتَسُوقُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَىٰ أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَهِيَ بِلاَدُ الشَّامِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا يَكُونُ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَحُضُورِ مَلاَئِكَةِ الْمَوْتِ، وَفَرَحِ الْمُؤْمِنِ بِلِقَاءِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَحُضُورِ الشَّيَاطِينِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعَدَمِ قَبُولِ إِيمَانِ الْكَافِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَالإِيمَانِ بِعَالَمِ الْبَرْزَخِ، وَنَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَفِتْنَتِهِ لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ،

وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَهْلِ السَّعَادَةِ مُنَعَّمَةٌ، وَأَرْوَاحَ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ الَّذِي يُحْيِي اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِ الْمَوْتَىٰ، وَيَبْعَثُ الْعِبَادَ مِنْ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُمْ.

وَيُؤْمِنُونَ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَأَنَّ إِسْرَافِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُلْتَقِمُ الْقَرْنَ مُنْتَظِرٌ الْأَمْرَ بِالنَّفْخِ، وَهِيَ نَفْخَتَانِ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ:

الْأُولَىٰ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ.

وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ الَّتِي يَتَغَيَّرُ بِهَا الْعَالَمُ الْمُشَاهَدُ، وَيَخْتَلُّ نِظَامُهُ، وَفِيهَا الْفَنَاءُ وَالصَّعْقُ، وَفِيهَا هَلَاكُ مَنْ قَضَىٰ اللَّهُ إِهْلَاكَهُ.

وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْبَعْثِ، وَالنُّشُورِ، وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، تَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ؛ فَيَعْرَقُونَ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ وَتَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، مُسْرِعِينَ مُهْطِعِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ، وَقَدْ خَفَتَتْ كُلُّ حَرَكَةٍ، وَخَيَّمَ الصَّمْتُ الرَّهِيبُ، حَيْثُ تُنْشَرُ صُحُفُ الْأَعْمَالِ؛ فَيُكْشَفُ الْمَخْبُوءُ، وَيَظْهَرُ الْمَسْتُورُ، وَيُفْتَضَحُ الْمَكْنُونُ فِي الصُّدُورِ، وَيُكَلِّمُ اللَّهُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ تَرْجُمَانٌ، وَيُدْعَىٰ النَّاسُ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.

وَيُؤْمِنُونَ بِالْمِيزَانِ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِمَا يَكُونُ مِنْ نَشْرِ الدَّوَاوِينِ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ؛ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الصِّرَاطَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ؛ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَتَجَاوَزُهُ الأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ الفُجَّارُ (*).

وَأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، مَوْجُودَتَانِ الآنَ، لاَ تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلاَ تَبِيدَانِ.

وَالْجَنَّةُ: هِيَ دَارُ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَّقِينَ، وَالْمُجَاهِدِينَ، وَالصَّالِحِينَ الأَبْرَارِ.

وَالنَّارُ: هِيَ دَارُ العِقَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَالْكَافِرِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُلْحِدِينَ وَالْوَثَنِيِّينَ وَالْعُصَاةِ الأَشْرَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِعَدَمِ خُلُودِ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ فِي النَّارِ؛ بَلْ يُعَذَّبُونَ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ بِمَعَاصٍ

(*) «الصِّراط»: هو الجسرُ الممدودُ علىٰ ظهرِ جهنَّمَ ليَعْبُرَ النَّاسُ عليه إلىٰ الجنَّة. ويَمُرُّ النَّاسُ علىٰ الصِّراطِ بقدرِ أعمالهم؛ فمنهم مَن يمر كلمح البصر، ومنهم مَن يمر كالبرق، ومنهم مَن يمر كالريح المرسلة، ومنهم مَن يمر كالفرَسِ الجوادِ، ومنهم مَن يمر كراكبِ الإبلِ، ومنهم مَن يَعْدُو عَدْوًا، ومنهم مَن يمشي مَشْيًا، ومنهم مَن يزحف زحفًا، ومنهم مَن يخطف ويلقى في جهنم؛ كل بحسبِ عملِهِ، حتىٰ يَطهُر من ذنوبه وآثامه، ومن اجتازَ الصِّراطَ تَهيَّأَ لدخول الجنَّة؛ فإذا عبروا الصِّراط وقفوا علىٰ قنطرةٍ بين الجنَّةِ والنَّار؛ فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا؛ أُذن لهم في دخول الجنَّة، وأوَّلُ مَن يدخول الجنَّة علىٰ الإطلاق؛ هو رسُول الله ﷺ.

ارْتَكَبُوهَا غَيْرِ الإِشْرَاكِ بِاللهِ تَعَالَىٰ؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُونَ فِي النَّارِ لاَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبدًا، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ أُولَىٰ الأُمَمِ مُحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُولَىٰ الأُمَمِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَيُؤْمِنُونَ بِحَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَتَّجِهُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بَعْدَ الْبَعْثِ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَآنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَعَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لاَ يَظْمَأُ أَبدًا.

وَيُذَادُ عَنِ الْحَوْضِ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا! كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبدًا»[1].

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُم عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبدًا؛ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». وَفِي رِوَايَةٍ:

«فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي؛ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»[2].

---

(١)، (٢) رواهما البخاري في (كتاب الرقاق) باب «في الحوض».

وأَهْلُ السُّنَّةِ والْجمَاعَةِ:

يُثْبِتُونَ الشَّفَاعَةَ، وَالْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

- شَفَاعَتَهُ لأَهْلِ الْمَوْقِفِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ؛ هِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.
- شَفَاعَتَهُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَالرَّسُولُ ﷺ أَوَّلُ دَاخِلٍ فِيْهَا.
- شَفَاعَتَهُ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ.

وَهَذِهِ الشَّفَاعَاتُ الثَّلاَثُ؛ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِهِ.

وَشَفَاعَتُهُ ﷺ لِرَفْعِ دَرَجَاتِ بَعْضِ أُمَّتِهِ مِمَّنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَىٰ دَرَجَاتٍ عُلْيَا، وَشَفَاعَتُهُ ﷺ لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَشَفَاعَتُهُ ﷺ فِي أَقْوَامٍ قَدْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ؛ فَيَشْفَعُ فِيْهِمْ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَفِي أَقْوَامٍ آخَرِيْنَ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ أَنْ لاَ يَدْخُلُوهَا.

وَشَفَاعَتُهُ ﷺ فِي إِخْرَاجِ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ؛ فَيَشْفَعُ لَهُمْ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ تُشَارِكُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ الْمَلاَئِكَةُ، وَالنَّبِيُّونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالصَّالِحُونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ (*).

(*) وَيُشْتَرَطُ لِهَذِهِ الشَّفَاعَةِ شرطان: الأول: إذنُ الله - جلَّ وعلا - للشافع، لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الذي يَشفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: رضا الله - جلَّ شأنه - عن المشفوع له، لقوله تعالىٰ: ﴿ولاَ يَشفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقد جَمَعَ الله تعالىٰ شروط الشفاعة في قوله سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغنِي شَفَاعَتُهُم شَيئًا إِلاَّ مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ، وَمَنِّهِ، وَكَرَمِهِ، وَرَحْمَتِهِ.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيْضًا - كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «الصِّيَامُ وَالقُرآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

فَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ؛ فَلاَ شَفَاعَةَ لَهُمْ البَتَّةَ! لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[2].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[3].

وَالموتُ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُذْبَحُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُنْعِمُ اللهُ - جَلَّ وَعَلاَ - بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَشَدِّ مَا يُحْزِنُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ؛ هُوَ البَقَاءُ الأَبَدِيُّ، وَعَدَمُ زَوَالِ الْحَيَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ.

وَالْمَوْتُ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ غَيْرُ مَحْسُوسٍ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَجْعَلُهُ شَيْئًا مَرْئِيًّا مُجَسَّمًا؛ فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، أُتِيَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند، مسند عبد الله بن عمرو» ج٢، ص١٧٤ وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيقه «للمسند» ج١٠، ص١١٨ (٦٦٢٦) وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» للألباني، برقم: (٣٨٨٢).

(٢) سورة غافر، الآية: ١٨.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

بالمَوْتِ حتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! لاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ! لاَ مَوْتَ؛ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ»[1].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب «النَّار يدخلها الجبارون، والجنَّة يدخلها الضعفاء».

الركن السادس

الإيمان بالقدر

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا لاَ رَيْبَ فِيْهِ؛ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي الْوُجُودِ يَكُونُ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ شَاءَهُ، وَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيْدُ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ بِإِرَادَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلاَ يَخْرُجُ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَتَقْدِيْرِهِ سُبْحَانَهُ.

وَاللهُ تَعَالَىٰ عَلِمَ كُلَّ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ مِنَ الأَشْيَاءِ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي الأَزَلِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ - جَلَّ وَعَلاَ - وَعَلَىٰ صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ؛ فَهِيَ تَقَعُ عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدَّرَهُ سُبْحَانَهُ.

وَقَدَّرَ الْمَقَادِيْرَ لِلْكَائِنَاتِ حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ، وَعَلِمَ أَحْوَالَ عِبَادِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَعَادَةٍ وَشَقَاوَةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ شُؤُونِهِمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ؛ فَكُلُّ مُحْدَثٍ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَخُلاَصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ الْقَدَرَ سَبَقَ بِهِ عِلْمُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَجَرَىٰ بِهِ الْقَلَمُ، مِمَّا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ، وَالتَّسْلِيمُ التَّامُّ وَالإِذْعَانُ الْمُطْلَقُ للهِ تَعَالَىٰ فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ؛ لأَنَّ الْقَدَرَ غَيْبٌ، وَالْغَيْبُ مَبْنَاهُ عَلَىٰ التَّسْلِيمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ، وَحَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ »(٤).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ بِالْقَدَرِ لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ، وَتُسَمَّىٰ: مَرَاتِبَ الْقَدَرِ، أَوْ أَرْكَانَهُ، وَهَذِهِ الأُمُورُ هِيَ الْمُدْخَلُ الصَّحِيحُ لِفَهْمِ مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ، وَلاَ يَتِمُّ الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلاَّ بِتَحْقِيقِ جَمِيعِ أَرْكَانِهِ وَعَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيحِ؛ لأَنَّهَا مُتَكَامِلَةٌ وَبَعْضُهَا مُرْتَبِطٌ بِبَعْضٍ؛ فَمَنْ أَقَرَّ بِهَا جَمِيعًا اكْتَمَلَ إِيمَانُهُ بِالْقَدَرِ، وَمَنِ انْتَقَصَ وَاحِدًا مِنْهَا، أَوْ أَنْكَرَهُ؛ فَقَدِ اخْتَلَّ إِيمَانُهُ بِالْقَدَرِ.

الْمَرْتَبَةُ الأُولَىٰ: الْعِلْمُ:

هُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِمَا كَانَ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ، لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ؛ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَلاَ يَعْزُبُ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٤) «رواه الترمذي» في (كتاب القدر) باب: «ما جاء أنَّ الإيمان بالقدر خيره وشره» وصحَّحه الألباني.

عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّهُ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ خَلْقِهِمْ، وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَعَلِمَ الشَّقِيَّ مِنْهُمْ وَالسَّعِيدَ، وَذَلِكَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَداً.

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْكِتَابَةُ:

هِيَ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ مَقَادِيرِ الْخَلاَئِقِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي لَمْ يُفَرِّطْ فِيْهِ مِنْ شَيْءٍ؛ فَكُلُّ مَا جَرَىٰ وَمَا يَجْرِي، وَكُلُّ كَائِنٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

وَيُسَمَّىٰ: الذِّكْرَ، وَالإِمَامَ، وَالْكِتَابَ الْمُبِينَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[2].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ**»[3].

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِرَادَةُ وَالْمَشِيئَةُ:

أَيْ: أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي هَذَا الْكَوْنِ فَهُوَ كَائِنٌ بِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) رواه الترمذي في (كتاب القدر) باب «ما جاء في الرضا بالقضاء» وصحّحه الألباني.

وَمَشِيئَتِهِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ؛ يهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ الْمَكْتُوبِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَمَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَىٰ نَافِذَةٌ، وَقُدْرَتُهُ شَامِلَةٌ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلاَ يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ؛ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[٢].

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الْخَلْقُ:

هِيَ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَخْلُوقٌ مُوجَدٌ مِنَ الْعَدَمِ، كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ، وَكُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَحَرَكَتِهِ؛ فَلاَ يَقَعُ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَالْوُجُودِ شَيْءٌ إِلاَّ وَهُوَ خَالِقُهُ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[٣].

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالإِيجَادِ؛ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِلاَ اسْتِثْنَاءٍ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٢) رواه مسلم في (كتاب القدر) باب «تصريف الله تعالىٰ القلوب كيف يشاء».

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾(٣).

فَهُوَ سُبْحَانَهُ؛ خَالِقُ الْعِبَادِ وَأَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكُفْرٍ وَإِيمَانٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ شَاءَهُ اللَّهُ وَقَدَّرَهُ وَخَلَقَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(٤).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾(٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٦).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - يُحِبُّ الطَّاعَةَ وَيَأْمُرُ بِهَا، وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا، وَيَكْرَهُ الْمَعْصِيَةَ، وَيَنْهَىٰ عَنْهَا، وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(٧).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٢.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٠.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٧.

الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾[١].

وَلاَ حُجَّةَ لِمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَلاَ عُذْرَ لَهُ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِقَطْعِ الْحُجَّةِ، وَأَضَافَ عَمَلَ الْعَبْدِ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ كَسْبًا لَهُ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُ إِلاَّ بِمَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾[٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٦].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الشَّرَّ لاَ يُنْسَبُ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بِأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، لاَ فِي ذَاتِهِ، وَلاَ فِي أَسْمَائِهِ، وَلاَ فِي صِفَاتِهِ، وَلاَ فِي أَفْعَالِهِ، وَذَٰلِكَ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ؛ لأَنَّهُ تَعَالَىٰ أَمَرَ بِالْهُدَىٰ وَالإِحْسَانِ وَالْخَيْرِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشَّرِّ وَالْكُفْرِ وَالضَّلاَلِ وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّرُّ؛ بِمُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ، وَإِرَادَتِهِ النَّافِذَةِ، وَيَكُونُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٧.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾(١).

وَاللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مُنزَّهٌ عَنِ الظُّلْمِ، وَمُتَّصِفٌ بِالْعَدْلِ الْمُطْلَقِ؛ فَلاَ يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ ذَرَةٍ، وَكُلُّ أَفْعَالِهِ عَدْلٌ وَرَحْمَةٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيْدِ﴾(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(٤).

لأَنَّ اللهَ - جَلَّ وَعَلاَ - لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؛ لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ﴾(٥).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الإِنْسَانَ وَأَفْعَالَهُ، وَجَعَلَ لَهُ إِرَادَةً وَقُدْرَةً وَاخْتِيَارًا وَمَشِيئَةً، وَوَهَبَهَا اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ لِتَكُونَ أَفْعَالُهُ مِنْهُ حَقِيْقَةً لاَ مَجَازًا، ثُمَّ جَعَلَ لَهُ عَقْلاً يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَنْ يُحَاسِبَهُ إِلاَّ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ الَّتِي هِيَ بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ.

فَالإِنْسَانُ غَيْرُ مُجْبَرٍ، بَلْ لَهُ مَشِيئَةٌ وَاخْتِيَارٌ؛ فَهُوَ يَخْتَارُ أَفْعَالَهُ وَعَقَائِدَهُ؛ إِلاَّ أَنَّهُ تَابِعٌ فِي مَشِيْئَتِهِ لِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكُلُّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٢) سورة ق، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ لأَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَهُمُ الفَاعِلُونَ لَهَا حَقِيقَةً لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ فَهِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ خَلْقًا وَإِيْجَادًا وَتَقْدِيْرًا، وَمِنَ الْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، قَالَ اللهُ تبارك وتَعَالَىٰ:

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» ثُمَّ قَرَأَ ﷺ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾[3].

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ فَلِمَ يَعْمَلُ

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ – ٢٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٣) رواه البخاري في (كتاب القدر) باب: «﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾» والآيتان الكريمتان: (٥ – ٦) من سورة الليل.

الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: « كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ لِمَا يُسِّرَ لَهُ »(١).

وَلَقَدْ رَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ حِيْنَ احْتَجُّوا بِالْقَدَرِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾(٢).

فَرَدَّ اللهُ - جَلَّ وَعَلاَ - عَلَيْهِمْ كَذِبَهُمْ، بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(٣).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلاَّ بَعْدَ وُقُوعِهِ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ضَلاَلَةٌ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾(٤).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُسَلِّمُونَ تَسْلِيمًا مُطْلَقًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾(٥). وَيُحَاجُّونَ بِهِ مَنْ خَالَفَهُمْ.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب القدر) باب « جف القلم علىٰ علم الله ».

(٢)، (٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٨.

فالإيمان بالقدرِ: يغرسُ في نفسِ المؤمنِ! حقائق الإيمان المتعدِّدة؛ فهو دائم الاستعانة باللهِ تعالىٰ، يعتمد عليه وحده، ويتوكل عليه مع أَخذِ بالأَسباب، وهو يغرس - أَيضًا - في نفسِ المؤمن الانكسار والاعتراف لله تعالىٰ حين يقع منه الذَّنب، ومن ثمَّ يطلب من اللهِ تعالىٰ العفو والمغفرة.

ويبعث في القلوبِ الشَّجاعة علىٰ مواجهة الشَّدائدِ، ويقوِّي فيها العزائم؛ فيثبت صاحب العقيدة الصَّحيحة في ساحات الجهاد، ولا يخاف الموت؛ لأَنَّهُ موقن أَن الآجالَ محدَّدة، ويصدع بدعوته، ويجهر بها أَمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في اللهِ لومة لائم.

وَبالإِيمَانِ الصَّحِيحِ لِلْقَدَرِ - كَمَا كَانَ يُؤْمِنُ بِهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ - يُصْبِحُ الْعَبْدُ عَابِدًا لِرَبِّهِ حَقًّا؛ فَيَكُونُ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ، وَكَفَىٰ بِهَذِهِ الصُّحْبَةِ غِبْطَةً وَسَعَادَةً.

نعمة الإيمان

نعمة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- كتابةُ الإيمان في القُلوب.
- حلاوةُ الإيمان في القُلوب.
- طعمُ الإيمان في القُلوب.
- نورُ الإيمان في القُلوب.
- محبَّةُ الإيمان في القُلوب.
- زينةُ الإيمان في القُلوب.
- الإيمانُ شجرةٌ راسخةٌ في القُلوب.
- الإيمانُ يتبوَّأُ في القُلوب.
- نداءُ الإيمان في القُلوب.
- الإيمانُ ينفع صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة.
- للإيمان مجالسُ يزدادُ فيها ويتجدَّد.
- الإيمانُ يَعْلُو ولا يُعْلىٰ عليه.
- الإيمانُ: شُعبٌ، ومراتبٌ، ودرجات.

نعمة الإيمان

إنَّ الإيمانَ نعمةٌ عظيمةٌ جليلةٌ كريمةٌ عزيزةٌ في حياةِ المسلم؛ بل هو من أَجلِّ نِعَمِ هذه الحياة؛ تزكِّي العمرَ، وتُبارك الحياةَ، ويجعلُ لها طعمًا، وتَرْفَعُ صاحِبها في الدُّنيا، وتضمنُ له الآخرةَ؛ لأَنَّ فيها الحياةَ الحقيقيةَ، والسَّعادة الدَّائمة، والعبودية للهِ تعالىٰ، والسَّعادةَ الأَبديةَ الأُخرويَّة.

● وهذه النعمةُ لا يعرفُها إلاَّ مَن ذاق طعْمَها، ولا يُحِسُّ بها إلاَّ مَن عاشَ حقائقها، واستجاب لجميع معالمها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

● والإيمانُ نورٌ هادٍ مضيءٌ، يُضيءُ حياةَ العبادِ، ويُسعدُها ويباركُها، وهو سِرُّ سعادة حياة الدُّنيا ولذَّتها؛ يَهبُهُ اللهُ - جلَّ وعلا - لمن يشاءُ من عباده الصَّادقينَ؛ وذلكَ برحمتهِ ومَنِّهِ وكرمِهِ وفضله، ويَصرفُه عمَّن يشاءُ؛ بعدله وحكمته ومشيئَتِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

● فالإيمانُ مِنحةٌ ربانيةٌ كريمةٌ؛ يَمُنُّها اللهُ - عزَّ وجلَّ - علىٰ عبادهِ المؤمنينَ الصَّادقينَ المتقينَ العاملينَ برحمتِه وبفضلِه وعطائِه؛ فمَن وجدَهُ! فقد وجدَ الخيرَ كلَّهُ في الدَّارين بتمامه وكماله، ومَن فقدَهُ! فَقَدَ كلَّ شيءٍ، ولم ينفعهُ أيُّ شيءٍ بعدَه، قالَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١).

● والإيمانُ نعمةٌ يشعُرُ بها ويعيشُها ويحسُّها مَن صدقَ مع الله تعالىٰ، وقال: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وآمنَ بالله - جلَّ وعلا - ربًّا، وبرسُوله الكريم ﷺ نبيًّا، وأَطاع الله سبحانَهُ، وأَطاعَ رسولَه ﷺ وعَمِلَ فيما أُمر به، وانتهىٰ عمَّا نُهِيَ عنه وزجر، باطنًا وظاهرًا؛ فإذا فعلَ ذلك كلَّه؛ كان من المؤمنينَ الصَّادقينَ، وحُشر في زمرتهم، ومع خِيْرَتِهم، قالَ اللّهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢).

● والإيمَانُ المطلقُ الواجبُ؛ إذا حُقِّقَ صدقًا من قِبَلِ العبادِ؛ ظاهرًا وباطنًا - ويتحقق ذلك بالإيمان بالله تعالىٰ، وتصديق رسُوله الأمين ﷺ وكمال طاعته في الاعتقاد والأخلاق وصالح الأعمال - تُنال به أرفعُ المقامات في الدُّنيا، وأعلىٰ المنازل في الآخرة، وهي منزلةُ «الصِّدِّيقين» وأَصحابُ هذه المنزلة، قد أثنىٰ اللّهُ تعالىٰ عليهم، وهم أعلىٰ العبادِ درجةً

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

عند الله – جلَّ وعلا – بعد الأنبياء والرُّسُل – عليهم الصَّلاة والسَّلام – في الدُّنيا والآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(١).

وعن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ:

«إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ لَيتَراءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ؛ كَما تَتَراءَوْنَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوْ المَغْرِبِ؛ لِتَفاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قالوا: يا رَسُولَ اللهِ! تِلْكَ منازِلُ الأَنبياءِ، لاَ يبْلُغُها غَيْرُهم، قالَ:

«بَلىٰ، وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ وَصَدَّقُوا المُرسَلِينَ»(٢).

● وبالإيمانِ المطلقِ الشَّاملِ الكاملِ العامِّ من الانقيادِ، والاستسلامِ، والإخلاصِ للهِ؛ تُنالُ هذه المنازل العظيمةُ عند الله جلَّ وعلا، قال تعالىٰ:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب «ترائي أهل الجنة أهل الغرف».

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٢].

● وللإيمانِ المطلقِ الصَّادقِ معَ المؤمنينَ المتَّقينَ الصَّادقينَ العاملينَ بأوامرِ اللهِ – عزَّ وجلَّ – بإخلاصٍ، والمتَّبعينَ لسُنَّةِ رسولِهِ الكريمِ ﷺ ظاهرًا وباطنًا؛ حالاتٌ وصفاتٌ عجيبةٌ! يَهَبُها اللهُ – تبارك وتعالىٰ – لهُم بفضله، ورحمته، ومَنِّه، وكرمه، وبإحسانه سبحانه.

ومن هذهِ الحالاتِ الكريمةِ العزيزةِ العظيمة:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

• **كتابةُ الإيمان في القُلوب :**

يكتُبُ اللهُ – سبحانه وتعالىٰ – الإيمانَ في قلوبِ عباده الصَّالحين الصَّادقين كتابةً دائمةً ثابتة! فلا يفارقُهم ما داموا مع اللهِ – جلَّ وعلا – فإذا ثبتَ ورسخ واستقرَّ في القلوبِ؛ أَصبحَ زادًا لها للمفاصلةِ علىٰ أَساسِ العقيدة، ولا يقوىٰ أَحدٌ بعدها – كائنًا مَن كان – علىٰ مَحْوِهِ أَبدًا؛ لأَنَّه هبةُ الله – جلَّ وعلا – لعباده الصَّالحينَ العاملينَ المتَّقين، قال الله تعالىٰ:

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

قال الإمامُ ابنُ كثير – رحمهُ اللهُ تعالىٰ – في تفسير هذه الآية:

(أَي: مَن اتَّصف بأَنَّه لا يُوادُّ مَن حادَّ اللهَ ورسُولَهُ، ولو كان أَباه، أَو أَخاه؛ فهذا ممَّن كتبَ اللهُ في قلبه الإيمان، أَي: كتبَ له السَّعادة، وقرَّرها في قلبه، وزيَّن الإيمانَ في بصيرته. قال السُدِّيُّ: جعلَ اللهُ في قلوبهم الإيمان).

وقال العلاَّمةُ عبدُ الرحمن السَّعديُّ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية:

(أَي: رَسَمَهُ، وثبَّته، وغرسَهُ غرسًا؛ لا يتزلزل، ولا تُؤَثِّر فيه الشُّبَهُ، والشُّكُوك).

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

● حلاوةُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ الصَّادقُ! لَهُ حلاوةٌ لا يتذوق طعمها إلاَّ المؤمنون الصَّادقون المتقون العاملون؛ الذين يتصفون بصفاتٍ تؤهلهم لذلك النعمةُ العظيمة، وليس كل مَن ادعىٰ الإيمان يجد هذه الحلاوة!

فحلوةُ الإيمانِ إذا خالطت بشاشة القلب تجعل صاحبه مع الله تعالىٰ في كلِّ وقت وحين، في حركاته وسكناته، في ليله ونهاره؛ فيجدُ العبدُ المؤمنُ الصَّادقُ؛ حلاوةَ الإيمانِ الطيِّبةَ ألَّلذيذة في قلبه، ويذوقُها، ويسعَدُ بها، وإذا ذاقها؛ سيبْقىٰ يطلُبها، ويشتاقُ إليها؛ لأنَّه إذا وجدَها سلَّتْهُ عن المحبوبُاتِ الدُّنيويَّة، وعن الأَغراض النَّفسيَّة، وإذا عاشَ معها المؤمنُ؛ تتحول حياتُهُ إلىٰ السَّعادة، والسُّرور، والاطمئنان، والاستقرار الدَّائم في الدُّنيا؛ ثمَّ إلىٰ الحياة الطيِّبة الكريمة العزيزة في الآخرة.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَا. وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[1].

قالَ الإمامُ النَّوويُّ - رحمه الله - في شرح هذا الحديث:

(هذا حديثٌ عظيمٌ؛ أصلٌ من أُصولِ الإسلام، قال العلماءُ رحمهم الله: معنىٰ حلاوة الإيمان: استلذاذُ الطَّاعات، وتحمُّلُ المشَّقات في رضىٰ

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «مَن كره أن يعود في الكفر». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان».

الله – عزَّ وجلَّ – ورسُوله ﷺ، وإيثار ذلك علىٰ عرض الدُّنيا، ومحبَّة العبد ربَّهُ – سبحانه وتعالىٰ – بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبَّةُ رسول الله ﷺ . . . وذلك أنَّه لا يصحُّ المحبَّة لله ورسوله ﷺ حقيقةً، وحبُّ الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهيةُ الرجوع إلىٰ الكُفر؛ إلاَّ لمن قويَ بالإيمان يقينُهُ، واطْمَأَنَّتْ به نفسُهُ، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته).

وقالَ العلاَّمةُ الحافظُ؛ أَبو العبَّاس القرطبيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

«وقد أَفاد هذا الحديثُ: أَنَّ مَحَبَّةَ المؤمن الموصِلَة لحلاوة الإيمان، لا بُدَّ أَن تكونَ خالصةً لله تعالىٰ، غير مشوبةٍ بالأَغراض الدُّنيويَّة، ولا الحظوظِ البشريَّة؛ فإِنَّ مَن أَحبَّهُ لذلك انقطعتْ محبَّته إِن حصل له ذلك الغرض، أَو يئس من حصوله. ومحبَّة المؤمن وظيفة متعيِّنة علىٰ الدَّوام وُجِدَت الأَغراضُ والمصالح أَو عُدِمَتْ. ولمَّا كانت المحبَّةُ للأَغراض هي الغالبةَ قَلَّ وِجْدَانُ تلك الحلاوة؛ بل قد انعدم – لا سيما في هذه الأَزمان التي قد امحىٰ فيها أَكثرُ رسوم الإيمان – وعلىٰ الجملة؛ فمحبَّةُ المؤمنين من العبادات التي لا بُدَّ فيها من الإخلاص في حُسْنِ النيَّات»[1].

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي ج١، ص٢١٥. دار ابن كثير.

● طعمُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ رغمَ كونه أمرًا معنويًّا! لكن له طعمٌ لذيذٌ حلوٌ طيِّبٌ فريدٌ؛ يُحِسُّ به المؤمنُ الصَّادقُ العاملُ، ويَجدهُ، ويَذوقهُ في قلبهِ وكيانه، ويعيش معه بسعادةٍ تامَّةٍ؛ فطعم الإيمان حلو دائمًا لا يتغيَّر، وإنَّما الذي يتغيَّر هو حال من يتذوقه من العبادِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ طَعْمَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ لله، ومَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى في النَّار أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ»(١).

وقالَ ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيْنًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً»(٢).

قالَ الإمامُ النوويُّ – رحمه الله – في شرح هذا الحديث:

(قوله ﷺ «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ...» قال صاحبُ التحرير، رحمه الله: معنىٰ رضيتُ بالشيء؛ قنعتُ به واكتفيت به، ولم أَطلب معه غيره.

فمعنىٰ الحديث: لم يطلب غير الله تعالىٰ، ولم يَسْعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلُك إلاَّ ما يوافقُ شريعة محمَّدٍ ﷺ ولا شكَّ في أنَّ مَن كانت هذه صفته؛ فقد خَلَصَتْ حلاوةُ الإيمان إلىٰ قلبه، وذاق طعمه).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «الدليل علىٰ أنَّ مَن رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمَّد ﷺ رسولاً».

وقالَ القاضي عياض، رحمه اللهُ تعالىٰ:

وقوله ﷺ («ذَاقَ طَعْمَ الإيمَان»: معناه: صحَّ إيمانه، واطمأنَّت به نفسه، وخامر باطِنَه؛ لأَنَّ رضاه بالله ربًا، وبمحمَّد نبيًّا، وبالإسلام دينًا؛ دليلٌ لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، بما رضي به من ذلك ومخالطة بشاشته قلبه، وهذا الحديث كالحديث الآخر: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَا».

وذلك أَنَّ الإنسان إذا رضي أَمرًا واستحسنه؛ سهل عليه أَمره، ولم يشقَّ عليه شيءٌ منه؛ فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان؛ سَهُلَتْ عليه طاعاتُ ربِّه ولذَّت له، ولم يشقَّ عليه معاناتها)[١].

وقالَ العلاَّمةُ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(والرضىٰ بذلك يقتضي الفرَحَ بذلك، والسُّرورَ بربوبية الله له، وحُسْنِ تدبيره وأَقضيته عليه، وأَن يرضىٰ بالإسلام دينًا، ويفرَحَ به، ويحمدَ اللهَ علىٰ هذه النعمة؛ التي هي أَكبرُ المِنَنِ؛ حيث رضي اللهُ له الإسلامَ ووفَّقه له، واصطفاه له، ويرضىٰ بمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا؛ إذ هو أَكمل الخلق، وأَعلاهم في كلِّ صفة كمالٍ، وأُمَّتُهُ وأَتباعه أَكملُ الأُمم وأَعلاهم، وأَرفعهم درجةً في الدُّنيا والآخرة)[٢].

---

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» ج١، ص٢٧٠. تحقيق د. يحيىٰ إسماعيل / دار الوفاء.

(٢) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ص٣٠. أَضواء السَّلف.

● نورُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ نورهُ مشرقٌ مُضيءٌ، محسوسٌ في عالم المعنىٰ؛ يُشرقُ قلبَ المؤمن الصَّادق؛ فيجعلُه حيًّا ذكيًّا، ويهديه إلىٰ الصِّراط المستقيم؛ صراطِ الذين أَنعمَ اللهُ عليهم من النبيِّينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصَّالحين، وحسن أُولئك رفيقا.

ثمَّ يخرجه من ظُلماتِ الكُفر! وضلالات العصيان والفسق والفجور، إلىٰ نور الإسلام والهداية والولاية والقُرآن والهُدىٰ والعمل الصَّالح والطَّمَأْنِينة؛ ثمَّ يُضيءُ جوارحَه وكيانَهُ وطريقَه بهذا النُّور الرَّبانيِّ.

ثمَّ ينعكسُ ذلك النعمةُ علىٰ حياته في الدُّنيا، ويَجعلُه مباركًا أَينما كان، ومن أَسعدِ عباد اللهِ علىٰ الإطلاق!

ثمَّ يُنير طريقَه من بعد حياة الدُّنيا في قبره، وفي أَهوال يوم القيامة، ويوم الحشر والحساب والصِّراط؛ حتَّىٰ يوصله إلىٰ رحمة الله العزيز الغفَّار، إلىٰ جنَّةِ الخُلدِ التي تجري من تحتها الأَنهار، والتي نعيمها دائمٌ لا يفنىٰ.

فالمؤمنُ يعيشُ في النُّور، ويتقلَّبُ في النُّور، ويتعبَّدُ في النُّور، ويسعىٰ ويتحرَّكُ في النُّور، ويواجه ويجاهد في النُّور، وحياته كلُّها نور، وكلُّ أَمرِهِ نورٌ علىٰ نورٍ؛ فنورهُ من نورِ الله جلَّ في عُلاه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

وقالَ تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) .

ونورُ الإيمانِ : من نورِ الله – جلَّ في عُلاه – قالَ اللّٰهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٧ .

(٢) سورة الحديد، الآية : ١٢ .

(٣) سورة تحريم، الآية : ٨ .

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[١].

وكانَ النَّبيُّ ﷺ حريصًا أَشَدَّ الحرصِ علىٰ نور الإيمانِ؛ فكان دائمًا يسأَلُ رَبَّه - جلَّ في عُلاه - أَن يهبَه النُّورَ، ويجعلَه في النُّور، ويمدَّه من النُّور! وكان ﷺ كثيرًا ما يدعو؛ في ذهابه الىٰ المسجد، وفي صلاته، وفي سجودهِ، وخصوصًا في قيام الليل، بهذا الدُّعاء المبارك:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نوراً، وَفِي لِسَانِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَمِنْ فَوْقِي نُوراً، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ شِمَالِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَمِنْ خَلْفِي نُوراً.

وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُوراً، وَأَعْظِمْ لِي نُوراً، وَعَظِّمْ لِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً، وَاجْعَلْنِي نُوراً.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً، وَاجْعَلْ فِي عَصَبِي نُوراً، وَفِي لَحْمِي نُوراً، وَفِي دَمِي نُوراً، وَفِي شَعْرِي نُوراً، وَفِي بَشَرِي نُوراً»[٢].

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَبْرِي، وَنُوراً فِي عِظَامِي»[٣].

---

(١) سورة النور، الآيات: ٣٥ - ٣٧.

(٢) جميع هذه الخصال: رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب «الدعاء إذا انتبه بالليل» ومسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب «الدُّعاء في صلاة الليل والقيام».

(٣) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب «دعاء: اللهم إني أسالك رحمةً من عندك».

«وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا»[١].

«وَهَبْ لِي نُورًا عَلَىٰ نُورٍ»[٢].

وفي مُقابلِ نُورِ الإيمانِ، وحياةِ المؤمنِ الكريمةِ العزيزة المصونة المنور بنور الإيمان والعلم؛ ثمَّ هنالك ظُلماتٌ تقابلُ هذا النور، وهي ظُلماتُ الكُفر والشِّرك والنِّفاق والظُّلم والفسقِ والكبائرِ والمعاصي والذُّنوب، والضَّلال والبدعة والجهل؛ تُحيطُ بأصحابها من كلِّ جانب، إنَّهم في ظُلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، ليسوا بخارجين منها، وفي عُمْيٍ لا يرونَ حياتهم ولا طريقهم ولا غايتهم؛ فشتَّان بين الصورتين! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» باب «دعوات النبي ﷺ» برقم: (٦٩٥).

(٢) انظر: «فتح الباري» ج١١، ص١٤٢. عند شرحه لحديث في البخاري (كتاب الدعوات) باب «الدعاء إذا انتبه بالليل» وقال ابن حجر العسقلاني، رحمه الله: (ويجتمع من اختلاف الروايات - كما قال ابن العربي - خمس وعشرون خصلة).

(٣) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

● محبَّةُ الإيمان في القُلوب:

محبَّةُ الإيمانِ أمرٌ فطرية؛ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وهي حبيبٌ أنيسٌ لطيفٌ، ودليلٌ للخير، والصَّلاح، والفلاح، والنَّجاح، وصحة القلب، والحياة السَّعيدة، واستقامة الفطرة عند صاحبه.

وإذا استقرَّت محبَّةُ الإيمان في قلب المؤمن الصَّادق؛ عكست علىٰ ظاهرِه نورَه، ولا يبقىٰ لنقيضه مكانٌ فيه، ونقيضُه هو الكُفرُ والفسوقُ والعصيان؛ لأنَّها تعمُّ كلَّ القلب، وتتغلغل فيه، ولا تسمحُ للقلب أن يغفلَ عنه.

ومحبَّةُ الإيمانِ نعمةٌ ومنَّةٌ وعطاءٌ منَ الله تعالىٰ لعبادهِ المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملينَ؛ المستجبينَ لنداءِ ربِّهم، والرَّاغبين والطَّالبين لرحمته وعفوه وكرمه وجنَّته جنَّة النَّعيم، والله - سبحانه وتعالىٰ - هو الذي يُحبِّبَ الإيمان لهم، ويُكرِّه إليهم نقيضه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

قالَ العلاَّمةُ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(فهذه أكبرُ المِنَنِ؛ أن يُحَبِّبَ اللهُ الإيمان للعبد، ويُزيِّنَه في قلبه، ويُذيقه حلاوتَه، وتنقادَ جَوارحه للعملِ بشرائعِ الإسلام، ويُبغِّضَ اللهُ إليه

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٧ - ٨.

أَصناف المُحرَّمات، واللهُ عليمٌ بمن يستحقُّ أَن يَتَفضَّل عليه بهذا الفضْل، حكيمٌ في وضْعِه في محله اللائق به)[١].

ومحبَّةُ الإيمانِ لا تتحقَّقُ بالقول والادِّعاء فقط! بل يجبُ أَن يتبعه العملُ الصَّالح؛ حتىٰ يُثبتَ العبدُ صِدْقَ قوله مع ربِّه - جلَّ في عُلاه - لأَنَّهُ لا يجتمعُ في القلبِ نقيضان؛ فالإيمانُ يقضي علىٰ نقيضه في القلب؛ فلا يتركُ مجالاً لمحبَّته ولو يسيرًا، ويجعلُ قلبَ العبد يتجرَّد كلَّه للإيمان.

ومَن أَحبَّ نقيضَ الإيمان من الكُفر والشِّرك والنِّفاق والظُّلم والفسق والكبائر والمعاصي والذُّنوب؛ لا يمكنُ أَن يكون مُحبًّا للإيمان البتَّة!!

وأَصلُ محبَّةِ الإيمان هي حبُّ الله تعالىٰ، وحبُّ رسوله ﷺ وأَصلُ الحبِّ هو الإتِّباع للمحبوب، وطاعةُ أَمره، واجتنابُ نواهيه، وإن خالف فعلُه قولَه؛ فهو غيرُ صادقٍ في دعواه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[٢].

---

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ص٢٢. أَضواء السَّلف.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

● **زينةُ الإيمان في القُلوب:**

الإيمانُ زينةٌ جميلةٌ عزيزةٌ كريمةٌ؛ للمؤمن الصَّادق في الدُّنيا والآخرة؛ ولن يبدو المؤمنُ جميلاً بديعًا لطيفًا بدونه؛ لأنَّ زينة الإيمان إذا استقرَّت في القلب؛ إنعكست ثمارُها خيرًا علىٰ أخلاق المؤمن، وجوارحه وحياته.

وهذه الزينةُ الحبيبةُ؛ هبةٌ وعطاءٌ ومنَّةٌ ولطفٌ من الله – جلَّ وعلا – يَهبها لمَن يَشاءُ من عباده المؤمنين الصَّادقين العاملين، المتقين الصَّالحين، ويضاعفها لهم، ويقذفها في قلوبهم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

وكان من أَدعية النَّبيِّ ﷺ سؤال الله – سبحانه وتعالىٰ – أَن يُزيِّنَ قلبهُ بزينة الإيمان؛ فكان يقول ﷺ:

«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمانَ، وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلينَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ»[٢].

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٧ – ٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند، مسند عبد الله الزُّرَقي» ج٣، ص٤٢٤. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» باب: «دعوات النبي ﷺ» برقم: (٦٩٩) وصححه الألباني.

● الإيمانُ شجرةٌ راسخةٌ في القُلوب :

الإيمانُ : كشجرةٍ طيِّبة، مباركةٍ، كريمةٍ، خيِّرةٍ، نافعةٍ، مثمرةٍ، حيَّةٍ، راسخةٍ، قويَّةٍ، ثابتةٍ، ناميةٍ؛ أَصلُها ثابت، وفرعها في السَّماء ممتدٌّ مرتفعٌ عالٍ، وأَغصانُها الخضراءُ تملأُ الآفاقَ، وجذورها ضاربةٌ في أعماق الأَرض، وتؤتي أُكلَها كلَّ حين، وقطوفها دانيةٌ تُثْمِر كلَّ وقت.

وهكذا حالُ الإيمانِ مع العبد المؤمن الصَّادق العامل؛ فقد غرسَ بذرتها في قلبه الخصب، وتعاهَدها بالرِّعاية والعناية والاهتمام؛ فأَينعت وغذيت شجرةُ الإيمان في قلبه، وضربت جذورها ورسخت في أَعماقه، واستمدَّت من هذا القلب غِذاءَها فنَمَتْ فيه وترَعْرَعت، وارتفعت ساقها إلىٰ سماء قلبه، وتفرَّعت فروعها في أَرجائه؛ حتىٰ أَحاطت به من كلِّ جانب، وتخلَّلت شِغافه ونواحيه؛ حتىٰ أَصبحت لا تزعزعها الأَعاصيرُ والعواطف، ولا تُضْعِفُها الفتن والأَهواء.

ثمَّ أَثمرت شجرةُ الإيمانِ المباركةُ الثمرات الطيِّبة اليانعة المباركة؛ انعكست ثمارُها علىٰ كيان العبد المؤمن وحواسِّه وجوارحه، وظلَّلَتْ له حياتَه، في كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ عمره؛ بل في كلِّ ساعةٍ من أَيامه، آناء الليل وأَطراف النَّهار، أَلا وهي الالتزامُ والطَّاعاتُ والعباداتُ والحسناتُ، وجميعُ الأَعمال الصَّالحةِ، والطمأنينة، والسَّكينة، وانشراحُ القلب، وعند ذلك يذوقُ العبدُ الصَّالح حلاوةَ الإيمان، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ

الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(١).

الإيمانُ في هذه الآية الكريمة؛ ثابتٌ راسخٌ قويٌّ متينٌ، وكما أنَّ الشجرةَ لا بُدَّ لها من عروقٍ، وساقٍ، وفروعٍ، وثَمَرٍ؛ فكذلك شجرةُ الإيمان الطَّيبةُ؛ جذورها العلمُ واليقينُ، وأَركانها الستَّة، وساقُها الإخلاصُ والمتابعةُ، وفروعُها الأَعمال الصَّالحة من أَعمال القلوب والجوارح، وثمارها اليانعةُ هي الأَمنُ، والاطمئنانُ، والحياةُ الطيِّبةُ، والآثارُ الحميدةُ، والأَخلاقُ الكريمةُ، والسَّمتُ الصَّالحُ، وَوَلاَيَةُ الله تعالىٰ، والبُشرىٰ في الدُّنيا والآخرة؛ فيُستَدَلُّ علىٰ غرس هذه الشجرة في القلب وثُبوتها بهذه الأُمور التي تُورثُ عند نضجها صاحبَها حلاوةً يجدُها في قلبه، وطمأْنينة تملأ نفسه.

قالَ العلاَّمةُ عبدُ الرحمن بنُ ناصر السَّعدي، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(فمَثَّلَ اللهُ كلمةَ الإيمانِ التي هي أَطيبُ الكلماتِ؛ بشجرةٍ هي أَطيبُ الأَشجار، مَوْصُوفةٍ بهذه الأَوصاف الحميدة، أُصُولها ثابتةٌ مستقرَّةٌ، ونماؤُها مُسْتَمرٌّ، وثَمَراتُها لا تزالُ كلَّ وقتٍ وكلَّ حينٍ تَغُلُّ علىٰ أَهلها وعلىٰ غيرهم المنافع المتنوعة، والثمرات النافعة، وهذه الشجرةُ مُتَفاوتةٌ في قلوب المؤمنينَ تَفاوتًا عظيمًا؛ بحسب تَفاوت هذه الأَوصاف التي وَصَفَها اللهُ بها)(٢).

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ – ٢٦.

(٢) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ص٨. أضواء السَّلف.

● **الإيمانُ يتبوَّأُ في القُلوب:**

تَبَوُّءُ الإيمانِ في القُلوب – في الأَصل – أَمرٌ معنويٌّ وليس حسيًّا، وهو محبَّةُ الإيمانِ وأُلفتُهُ، أَو تمكينُهُ في القلب(١).

ولكن عندما يتبوَّأُ الإيمانُ في القلبِ المؤمنِ الصَّادق؛ يتحوَّلُ إِلىٰ أَمرٍ محسوسٍ ملموسٍ؛ يدركُه المؤمنُ ويلمحُه، ويصبح له «بيتُ الإيمان».

أَي: أَنَّ القلبَ يكون للإيمان دارًا، ومنزلاً، وقرارًا، ومقامًا يُقيمُ فيه، ويحتمي داخلَهُ؛ يجد فيه طِيبَ الإقامةِ، والسَّعادةِ، والرَّاحةِ؛ ولا يتخلَّىٰ عنه لحظةً من لحظاتِ حياته.

وقالَ اللهُ – تبارك وتعالىٰ – عن الأَنصارِ في المدينة؛ حين تبَوءوا الدَّارَ قبل المهاجرين فامتلكوها، وتبوَّءوا الإيمانَ فتمكَّنوا منه:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي – رحمه الله تعالىٰ – في تفسير هذه الآية الكريمة:

(ثمَّ ذكر تعالىٰ الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالىٰ الأَموال أَموال الفيء لمن قدرها له، وأَنَّهم حقيقون بالإعانة، مستحقُّون؛ لأَن تجعل لهم،

---

(١) قال ابن عاشور، رحمه الله: (التبوُّء: اتخاذ المباءة، وهي البُقعة التي يَبوء إليها صاحبها، أي: يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله) انظر: «التحرير والتنوير» ج٢٨، ص٩٠.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

وأنَّهم ما بين مهاجرين قد هاجروا المحبوبات والمألوفات من الدِّيار والأَوطان، والأَحباب والخلأن والأَموال رغبةً في الله، ونصرةً لدين الله، ومحبَّةً لرسُول الله؛ فهؤلاء هم الصَّادقونَ الذين عملوا بمقتضىٰ إيمانهم، وصدَّقوا إيمانهم بأَعمالهم الصَّالحة، والعبادات الشَّاقَّة، بخلاف من ادَّعىٰ الإيمانَ، وهو لم يُصدِّقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، وبين أنصارٍ وهم الأَوسُ والخزرج؛ الذين آمنوا بالله ورسوله طوعًا ومحبَّةً واختيارًا، وآووا رسول الله ﷺ ومنعُوهُ من الأَحمر والأَسود، وتبوَّءوا دارَ الهجرةِ والإيمان؛ حتىٰ صارت موئِلاً ومرجعًا يرجعُ إليه المؤمنون، ويلجأُ إليه المهاجرون، ويسكُن بحماهُ المسلمونَ إذ كانت البلدانُ كلُّها بلدان حربٍ وشركٍ وشرٍّ؛ فلم يزل أنصار الدِّين تأْوي إلىٰ الأَنصار؛ حتىٰ انتشر الإسلامُ وقوي، وجعلَ يزيدُ شيئًا فشيئًا وينمو قليلاً قليلاً حتىٰ فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسَّيف والسِّنان).

وقالَ أميرُ المؤمنينَ؛ الفاروق عُمر بن الخطَّاب - رضي اللهُ عنهُ - في وصيته؛ عندما طعنه أَبو لُؤلؤة المجوسيّ:

(أُوصِي الْخَلِيفَةَ بِالْمُهاجِرِينَ الأَوَّلِينَ: أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأُوصِي الْخَلِيفَةَ بِالأَنْصارِ؛ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهَاجِرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِم، وَيَعْفُوَ عن مُسِيئِهِم)[1].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب تفسير القرآن) باب «والذين تبوؤوا الدار والإيمان».

● **نداءُ الإيمان في القُلوب :**

نداءُ الإيمانِ مُحبَّبٌ إلىٰ قلوبِ المؤمنين الصَّادقينَ العاملينَ المستجيبينَ لله تعالىٰ ولرسُوله ﷺ ؛ لأنَّه نداءُ الفطرة السَّليمة المستقيمة ؛ فهم يبادِرُونَ ويسارعونَ في الاستجابة لداعية الله جلَّ وعلا ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾[١] .

هذه الآيةُ الكريمةُ العظيمةُ ؛ تبيِّنُ فضيلةَ نداءِ الإيمان ، وفضلَ مَن ينادي به ، وفضلَ مَن يَسْتَجيبُ له ، وثمرةَ هذه الاستجابة ، وجزاءَ هذه الطَّاعة .

والمُنادي بنداء الإيمان ؛ يحمل أعظمَ رسالةٍ خالدةٍ إلىٰ العالمين ، ويؤدِّي أَرفعَ العبادات ، وأَفضلَ وأَشرف وظيفةٍ في حياة البشريَّة ، والقائمين عليه هم أَفضلُ الخلقِ وخيرتُهُم علىٰ الإطلاق ، وهم رسُل الله – جلَّ وعلا – وأَنبياؤُه ، والدَّاعون من بعدهم بنداء الإيمان ؛ هم القائمون بوظيفة الرُّسُل الكرام – عليهم الصَّلاة والسَّلام – وهم أَصفياءُ من عباد الله الصَّالحين ، ودعاته المخلصين الصَّادقين ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

والمُنادي بنداءِ الإيمان ؛ هو الدَّاعي إلىٰ الله – تبارك وتعالىٰ – ورضوانه وولايته وعنايته ، وإلىٰ الخير كلِّه ، وإلىٰ النُّور والطمأنينة والسَّكينة والبركة

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٣ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

والعزّة، والحياةِ السّعيدةِ العزيزةِ الكريمةِ في الدُّنيا، ويبشّرُ بالنّعيم الدائم، والسّعادة السرمديّة، والحياةِ الأبديّة في الدار الآخرة.

ورسُولُ اللهِ؛ محمّدٌ بنُ عبدِ اللهِ ﷺ هو إمامُ الدُّعاة وخيرتهم، وهو مُعَلِّمُ النّاسِ الخير، وهاديهم إلىٰ الصِّراطِ المستقيم، ومُحذِّرهم من سُبُلِ الخُسران، والسّعادةُ والهُدىٰ في مُتابعته ﷺ والضّلالُ والشّقاءُ في مخالفته؛ فاستجابتُه ﷺ وطاعتُه والتزامُ أوامره، والاهتداءُ بهديه المبارك؛ واجبٌ علىٰ جميعِ المسلمين عامّة دون استثناء، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

قال إمامُ المفسرينَ الإمامُ الطبريُّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(معناهُ: استجيبوا لله وللرسُول؛ بالطّاعة إذا دعاكُم الرّسُولُ لِمَا يُحْيِيكُم من الحقِّ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بن الْمُعلَّىٰ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّىٰ صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ:

« مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ . . . »[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) رواه البخاري في (كتاب تفسير القرآن) باب « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ».
وقال البخاري، رحمه الله: (استجيبوا: أجيبوا، لما يحييكم: يُصلحكم).

● الإيمانُ ينفع صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة:

الإيمانُ ينفعُ صاحبَهُ في الحياة الدُّنيا: يُزكِّي روحَه، وقلبَه، ونيَّتَه؛ ثمَّ يعكسُ ذلك علىٰ بدنه؛ فيُزكِّي أخلاقَه، وسلوكَه، وعبادتَه، وتعاملَه، ثمَّ يسدِّدُه ويوفِّقُه لكلِّ خيرٍ، ويجعلُه في نورٍ، وبصيرةٍ، وطمأْنينةٍ، وسكينةٍ، واستقرارٍ، وعزَّةٍ، وكرامة، وحياة سعيدة.

وهذا الأَمرُ ملحوظٌ وثابتٌ في أَهلِ الإيمان: أَهلِ الطَّاعة، والتَّقوىٰ، والخشية، والخوف، والرَّجاء، والفضل، والقيم، والأَخلاق الحميدة، والحياء، والتَّواضع؛ من المؤمنينَ الصَّالحينَ المتقينَ العاملين.

والإيمانُ ينفعُ صاحبَه في الآخرة: يومَ الحساب، يومَ الحسرة والندامة، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونٌ إلاَّ مَن أتىٰ الله بقلبٍ سليم، يومَ يخسَرُ الكافرون أَنفسَهُم وأَهليهم وأَموالَهُم، ومَن حولهُم؛ يومها يتبوَّأ المؤمنونَ الصَّادقونَ العاملونَ – ومَن تبعهُم من ذُرِّيتهم(*) – مكانَهم في جنَّاتِ الخُلد خالدين فيها أَبدًا؛ بما كانوا يعملون، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(١).

---

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ٢.

(*) قال الله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].
وقال تعالىٰ: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٧.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٦٥ – ٦٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٤) سورة يونس، الآية: ٩٨.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

● للإيمان مجالسُ يزدادُ فيها ويتجدَّد:

مجالسُ الإيمانِ: هي الجلساتُ الإيمانيَّة الرَّبانيَّة المباركَة؛ التي يجتمعُ فيها أهلُ الذِّكر والإيمانِ والطَّاعةِ والتَّقوىٰ من المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملين؛ كحضور صلاة الجماعة والجمعة، ودروس طلب العلم وحلقاته، ومُجالسة الصَّالحين؛ يذكُرون فيها الله - تبارك وتعالىٰ - ويتدارسُون كتابه العزيز، ويتدبَّرون آياتِهِ وأَحكامَه وعجائبه، ويتدارسونَ سُنَّةَ نبيِّه الأمين ﷺ وهَدْيَه العَطِرَ، ويتفقَّهونَ في أَحكامه؛ لكي يعملُوا بها ويطبقوها، ويتدارسون الإيمانَ وأُصولَه وأَركانَه وواجباتِه، وحالاتِه، ويحاولونَ أَن يعيشوا في ظلاله وبنعمته.

فهذه المجالسُ؛ هي قُوتُ قلوبهم، ودواءُ أَرواحهم، وسكينةُ نفوسهم، وبها تدفع الكُربات، وتُرفع الدَّرجاتُ، ويرضىٰ الرَّحمنُ - جلَّ في عُلاه - ويُزال الهمُّ والغمُّ عن القلبِ، وبها يُطردُ الشَّيطان وأَعوانه.

ويتواصون في هذه الأَجواء الإيمانيَّة الرَّبانيَّةِ: بالحقِّ، والصَّبر، والتَّقوىٰ، ومخافةُ الله تعالىٰ، والثَّبات، واتِّباع السُّنَّة، وعدم الابتداع، وبالعباداتِ من الصَّلاة، والدُّعاء، والإقبال علىٰ الله تعالىٰ، وطلب رضوانه ومغفرته ورحمته، ويتواصون بالأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

ويُحيون في هذه المجالس إيمانَهم ويجدِّدونه؛ فينمو إيمانهم ويزداد ويقوىٰ؛ فيزدادون في هذه المجالس المباركة؛ إيمانًا علىٰ إيمانهم، ونورًا علىٰ نُورهم وتصحبهمُ الملائكة والرَّحمةُ والبركةُ والسَّكينةُ والطمأْنينةُ ويذكرهُم الله تعالىٰ فيمَن عنده، ويغفر لهم ذنوبهم، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٦٧ – ٧٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٤) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ – ٣١.
(٥) سورة التوبة الآية: ٧١.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالحِ وَالجَلِيسِ السُّوْءِ؛ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ: إمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ. وكِيرُ الحَدَّادِ: يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

وقالَ ﷺ: «ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...»(٢).

وقالَ ﷺ: «إنَّ للهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ؛ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قالَ: تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ، قالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَارَبِّ مَا رَأَوْهَا، قالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا،

---

(١) رواه البخاري في (كتاب البيوع) باب «في العطار وبيع المسك».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء) باب «فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر».

وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّار ، قالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ ما رَأَوْهَا ، قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قالَ : فَيَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ : فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قالَ : هُمْ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[١] .

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ ؛ عبدُ الله بن رواحةُ ، رضي اللهُ عنهُ :

(تَعَالَوا نُؤْمِنْ سَاعَةً ؛ تَعَالَوا فَلْنَذْكُرِ اللهَ ، وَنَزْدَدْ إِيمَانًا ؛ تَعالوا نذكره بطاعته ؛ لعَلَّه يَذْكُرُنَا بِمَغْفِرَتِهِ)[٢] .

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ ؛ معاذُ بن جبلٍ ، رضي اللهُ عنهُ :

(اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً)[٣][*] .

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب « فضل ذكر الله عز وجل » . ومسلم في (كتاب الذكر والدعاء) باب « فضل مجالس الذكر » .

(٢) « الإيمان » ابن أبي شيبة : ص٤٣ (١١٦) .

(٣) « شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنة » اللالكائي : ج٥ ، ص١٠١٤ (١٧٠٦) . والبخاري في (كتاب الإيمان) باب « بني الإسلام علىٰ خمس » .

(*) قال ابن حجر ، رحمه الله : (ووجه الدلالة منه ظاهرة ؛ لأنَّه لا يحمل علىٰ أصل الإيمان ؛ لكونه كان مؤمنًا ، وأيّ مؤمن ! وإنَّما يحمل علىٰ إرادة أنَّه يزداد إيمانًا بذكر الله تعالىٰ . وقال القاضي أبو بكر ابن العربي : لا تعلق فيه للزيادة ؛ لأنَّ معاذًا إنَّما أراد تجديد الإيمان ؛ لأنَّ العبد يؤمن في أول مرة فرضًا ، ثمَّ يكون أبدًا مجددًا كلما نظر أو فكر ، وما نفاه أولاً أثبته آخرًا ؛ لأنَّ تجديد الإيمان إيمان) . انظر : « فتح الباري » ج١ ، ص٦٧ . دار السلام .

● الإيمانُ يَعْلُو ولا يُعْلىٰ عليه:

الإيمانُ الصَّادقُ الرَّباني: هو أَساسُ كلِّ خير، ومنبعُ كُلِّ عزَّةٍ، ومصدرُ الكرامة، والأَنفَةَ، والشَّجاعة، والجراءة، والإقدام، والشَّرف، والحريَّة، والسِّيادة، والاستعلاء؛ يعيش صاحِبُه سعيدًا، مطمئنًا، عزيزًا، كريمًا، قويًّا، ثابتًا علىٰ طريقِ الحقِّ؛ لا تؤثِّر فيه العواطفُ ولا العواصف.

وقد وعدَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – أَهلَ الإيمانِ والتَّوحيد والطاعةِ؛ بالنَّصر والتمكين في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة، وأَن يُبَدِّلَ خوفهم أَمنًا، وأَن يستخلِفَهُم في الأَرض، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[3].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ – ١٧٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾(١).

ولكنَّ وعد الله تعالى؛ بالنَّصر والتَّمكين والاستخلاف للمؤمنين في الأَرض، له شروطٌ لا تتحقَّقُ إلاَّ بها؛ فإنَّ تمسك بها جنده فهم الغالبون، وإن أخلُّوا بها فالله تعالىٰ غالبٌ علىٰ أمره - سبحانه - لا معقب لكلماته، ولا يُسأَلُ عمَّا يفعل وهم يُسأَلون! وهذه الشُّروطُ هي:

● تحقيقُ الإيمان بكلِّ معانيه وشروطه، وبكافَّة أركانه وأُصوله، والابتعادُ عن نواقضه، والتَّحذيرُ منه، ومحاربته.

● تحقيقُ العبادة لله تعالىٰ، وممارسةُ العمل الصَّالح بكلِّ أنواعه، والحرصُ عليه، وتقوىٰ الله - عزَّ وجلَّ - في السِّرِّ والعلن، والتَّوكل علىٰ اللهِ - عزَّ وجلَّ - والاستعانة به وحده،

وأمَّا لوازمُ استمرار النَّصر والتَّمكين فهي: إقامةُ الصَّلاة، وإيتاءُ الزَّكاة، وطاعةُ الرَّسُول ﷺ المطلقة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٩ - ١٤١.

كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٢).

● ولكي يتحقَّقَ وعدُ الله تعالى؛ بالنَّصرِ والتَّمكينِ والاستخلاف في الأَرضِ؛ يجبُ علىٰ المؤمنين الصَّادقين - بعد التَّوكُّلِ علىٰ الله تعالىٰ - الأَخذُ بالأَسباب التي تؤدِّي إلىٰ التَّمكين، وعدم التَّقصير فيها، مهما كلَّف الأَمر! وذلك من الإعداد الشَّامل لمواجهة أَعداء الأُمَّة؛ من القوَّة العسكريَّة والأَمنيَّة بأَنواعها وأَشكالها، والإعداد العقديِّ، والتربويِّ، والسُّلوكيِّ، والاقتصاديِّ، والإعلاميِّ، والسياسيِّ؛ الذي يُعينُ الأُمَّةَ علىٰ نشر الإسلام الحقِّ، أَو الدفاع عن نفسها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٢) سورة محمد ﷺ، الآية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

● **الإيمانُ : شُعبٌ، ومراتبٌ، ودرجات :**

الإيمانُ : مُركَّبٌ من شُعبٍ ومراتبَ ودرجاتٍ؛ تتفاوتُ وتتفاضَلُ؛ بعضُها أفضلُ وأعلىٰ من بعضٍ، وأجرُ بعضها أعظمُ من بعض .

وأهلُ الإيمان والطَّاعة : متفاوتونَ ومتفاضلونَ فيه علىٰ حسب عِلْمِهمْ وعَمَلِهمْ، وبما قامَ لديهم من علمٍ، ويقينٍ، وصدقٍ، وإخلاصٍ، وحبٍّ، وخضوعٍ لله تعالىٰ، وبما يقومونَ به من الأعمالِ الصَّالحة؛ من البرِّ والتقوىٰ، وامتثال أوامر الله - تبارك وتعالىٰ - واجتناب نواهيه .

وقد ذكرَ الله تعالىٰ في كتابه؛ شُعَبَ الإيمانِ الاعتقاديَّة والقوليَّة والفعليَّة؛ الظاهرة والباطنة، وشهدَ لمن أتىٰ بها بالصِّدق والتَّقوىٰ، وسمَّاهم المؤمنين المتقين الصادقين؛ ثمَّ بشَّرهم بالفوز والنجاة، قال الله تعالىٰ :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[1] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٧٧ .

لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعونَ – أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمان »[٢].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

(٢) رواه مسلم في « كتاب الإيمان » باب (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان).

فوائد الإيمان الصادق وثمراته

الإيمانُ الصَّادقُ، واليقينُ الحقُّ؛ له من الفوائدِ والثَّمراتِ المباركة العظيِّمة الطيِّبة النَّافعة؛ العاجلةِ والآجلة في الدُّنيا والآخرة :

■ في الحياةِ الدُّنيا : الإيمانُ الصَّادقُ! يبعثُ الطُّمأْنينة في القلبِ، والسَّكينةَ في النَّفس، والرِّضا بالأَقدار، ويَقي صاحبهُ من أَمراضِ القُلوبِ، ووساوس الشَّيطان، وبالإيمان الصَّادقِ وحده؛ يستطيع العبدُ أَن يَصبرَ علىٰ مصائبِ الدُّنيا وشدائدِها ومحنها وفتنها .

■ في الدَّار الآخرة : الإيمانُ الصَّادقُ! هو الأَمنُ والسَّلامةُ من وحشَّةِ القبر، ومن أَهوال يوم القيامة، وبالإيمان الصَّادقُ وحده؛ ينالُ العبدُ رضوان الله تعالىٰ، وجنَّةَ الخُلد، ومساكنَ طيِّبةً، والسَّعادةَ الأَبديَّةَ السَّرمديَّة .

● وعن جزاء المؤمنينَ في الحياةِ الدُّنيا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[٢] .

---

(١) سورة النحل، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة مريم، الآية : ٧٦ .



٢- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: ينالونَ رضَا اللهِ تبارك وتعالىٰ:

فالرِّضا من اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - هو الحكم باستحقاق الثَّواب، وزيادة الهدىٰ، والتَّنوير والألطاف، أي: هو تمام المحبَّة التي يعقبه الاقتراب بين المحببين؛ فما أروع أن يقترب العبدُ من جلالِ المولىٰ - جلَّ جلاله - فيعيش عذب المحيا؛ فرضا الله تعالىٰ من أسباب سعادة المؤمن وطمأنينته في الدُّنيا وفي الآخرة؛ لأنَّهُ مَن رَضِيَ الله - جلَّ في عُلاه - عنه؛ فقد فاز فوزًا عظيمًا، ونالَ سعادة الدَّارين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

٣- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عنهم في الدُّنيا والآخرة:

فقد أَخبرَ اللهُ - جلَّ في عُلاه - في كتابه العزيز: أَنَّهُ رضيَ عن سَلَفِ هذه الأُمَّة المباركة، وهم أَصحابُ رسُول الله ﷺ ومَن تبعهم بصدقٍ وإخلاصٍ وإِحسانٍ؛ من المؤمنينَ العاملينَ المتَّقينَ الصَّادقينَ، إلىٰ يوم الدِّين.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٩.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٢).

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَىٰ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ! قَالُوا: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(٣).

وقالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(٤).

---

(١) سورة البينة، الآيتان: ٧ – ٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقائق) باب «صفة الجنّة والنّار».

(٤) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب «استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب».

٤- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق : يُدافعُ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - عنهم :

أي : أَنَّ اللهَ تعالىٰ يدفعُ السُّوءَ عن عباده المؤمنينَ الصَّادقينَ المتقينَ وتُقَوِّي عزائمهم ؛ حتىٰ يقبلوا علىٰ ما شرعَ لهم من جهاد أَعدائهم بثبات لا تردُّدَ معه، وبأَمل عظيم في نصره - سبحانه - وتأْييده، ويجعل العاقبة لهم، وعلىٰ أَعدائهم.

يُدافع اللهُ تعالىٰ عنهم كلَّ مَكروه، ويُنَجِّيهم من الشَّدائد والمِحَنِ والمصائب، ويُدافعُ عنهم كيدَ الأَعداء من شياطين الإنس وشياطين الجنِّ، ومَن يُدافعِ اللهُ تعالىٰ عنهم؛ لا يُهزموا أَبدًا ؛ فهم المنصورون الظَّاهرون إلىٰ قيامِ السَّاعة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣.

٥- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: في معيَّةِ الله تبارك وتعالىٰ:

وهذه المعيَّةُ من الله - جلَّ في عُلاه - خاصَّةٌ بالمؤمنينَ الصَّادقين العاملينَ المتقين؛ ثابتٌ في شرعه، وفي سُنَّة نبيِّه الأمين ﷺ، وهي: معيَّةُ التَّأييد، والتَّسديد، والنُّصرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾(٥).

وقولُ النَّبِيِّ ﷺ لصاحبه أَبي بكرٍ الصِّديق - رضي الله عنه - في غار حِراء؛ كما حكىٰ عنه الله تعالىٰ في كتابه العزيز، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٦).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٨٦.
(٥) سورة محمد ﷺ، الآية: ٣٥.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٦- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق : يُنَجِّيهُم اللهُ تعالىٰ في الدُّنيا والآخرة :

● **في الحياة الدُّنيا** : فقد نجَّىٰ اللهُ تعالىٰ؛ جميع أَنبياءه ورسُله - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - ومَن تبعهم من المؤمنينَ والصَّالحينَ، والدُّعاةِ العاملينَ؛ الذين كانوا معهم، والذين اتَّبعوهم وجاؤوا من بعدهم؛ فنجاهم اللهُ تعالىٰ من عذاب الدُّنيا؛ فكانوا هم المنصورن، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ **وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾[٣].

● **في الدَّار الآخرة** : فقد وعدَ اللهُ - جلَّ وعلا - أَن يُنَجِّيَ أَنبياءَه ورسُلَه - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - ومَن تبعهم من المؤمنين والصَّالحين، والعاملين المتَّقين؛ من جميع أَهوال يوم القيامَّةِ وما يتبعها من الفزع ومن خزي عذاب النَّار، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ **وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٨٨.
(٢) سورة الأَعراف، الآية : ١٦٥.
(٣) سورة النمل، الآية : ٥٣.
(٤) سورة الزمر، الآية : ٦١.
(٥) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٣.

٧- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: يَرفعُ اللهُ درجاتهم في الدُّنيا والآخرة:

فأَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ والعلم واليقين؛ يَرفعُ اللهُ تعالىٰ درجاتهم في الدُّنيا؛ بالكرامة، والعزِّ، والسِّيادة، والزِّيادة، والنَّصر، والتَّمكين.

وفي الآخرة: بالثَّواب الجزيل والرِّضوانِ، وبأَعلىٰ درجات جنَّات الخُلدِ عند مليكٍ مقتدر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾(٤).

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٧٥ - ٧٦.

٨- أهلُ الإيمانِ الصَّادق : هم أَهلُ العزِّ والكرامة :

فعزَّةِ أَهل الإيمان الصَّادق ! وقوتهم من عزَّة الله تعالىٰ وقوته؛ لأَنَّ المؤمنينَ الصَّادقينَ المتَّقينَ الأَبرار؛ نفوسُهُم متصلةٌ بالله تعالىٰ؛ فتكونُ قويَّةً أَبيَّةً عزيزة، لا تأْخُذها في الله لومةُ لائم، لا تعرفُ الصَّغار، ولا اللِّين لغير الله - عزَّ وجلَّ - فهم عزيزو النَّفس، وقويُّو العقيدة والإيمان.

وأَمَّا مع إِخوانهمُ المؤمنين أَمثالهم : فهم رفيعو الخُلق، عفيفو الطَّبع؛ هيِّنونَ، ليِّنونَ، سمحُونَ، ودودونَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٤].

---

(١) سورة فاطر، الآية : ١٠ .

(٢) سورة المنافقون، الآية : ٨ .

(٣) سورة النساء، الآية : ١٣٩ .

(٤) سورة يونس، الآية : ٦٥ .

٩- أهلُ الإيمانِ الصَّادق: يُحبُّهُمُ اللهُ تعالىٰ، ويحبُّهُمُ المؤمنون:

فأهلُ الإيمانِ الصَّادق؛ يُحبُّهُمُ الله – جلَّ في عُلاه – بسبب صدق إيمانهم، وقوَّةِ يقينهم، وصالح أَعمالهم، وطاعتهم لله تعالىٰ ولرسُوله ﷺ واستجابتهم لهما، والتَّسليم التَّامِّ لحكمهما، واتصافهم بجميع صفات المؤمنين الصَّادقين؛ فإذا أَحبَّهُم الله تعالىٰ؛ كتبَ لهم القبولَ في الأَرض، وجعلَ لهم المحبَّة والمودَّة في قلوب المؤمنينَ وعامَّة النَّاس، ويبقىٰ لهم ذِكْرٌ صالحٌ، وثناءٌ حَسَنٌ، ودعاءٌ لهم، والاقتداءُ بهم، وبهذا يحصُلُ لهُمُ السَّعادةُ والفلاحُ في الحياة الدُّنيا، وفي الآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٦).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٧).

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[١] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢] .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ :

« إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا ، فَأَحِبَّهُ ؛ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا ، فَأَحِبُّوهُ ؛ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ »[٣] .

قالَ الإمامُ النوويُّ – رحمه اللهُ – في شرحه لهذا الحديث :

(وسبب حبِّهم إيَّاه كونُه ؛ مطيعًا لله تعالىٰ محبُوبًا له ، ومعنىٰ يوضع له القبولُ في الأَرض : أَي : الحُبُّ في قلوب النَّاس ، ورضاهُم عنه ؛ فتميلُ إليه القلوب ، وترضىٰ عنه . وقد جاء في رواية : « فَتُوضَعُ لَهُ الْمَحَبَّة ») .

---

(١) سورة الصف ، الآية : ٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

(٣) رواه البخاري في (كتاب الخلق) باب « ذكر الملائكة » . ومسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب « إذا أحب الله عبداً ؛ حببه إلىٰ عباده » .

١٠- أَهلُ الإِيمانِ الصَّادق: لهُمُ البُشْرَىٰ في الحياةِ الدُّنيا والآخرة:

فأَهلُ الإِيمان الصَّادقِ! لهُمُ البُشرىٰ من الله تعالىٰ في الحياة الدُّنيا:

من الأَمن، والأَمان، والطمأْنينة، والسَّعادة، ونور الإيمان، والحياة الكريمة العزيزة السَّعيدة، والنصر، والتَّمكين، والخير العاجل والآجل.

وفي الآخرة: لهمُ البُشرىٰ منذُ خروج أَرواحهمُ الذَّكيَّةِ من أَجسامهم الطَّاهرة، والملائكةُ تُبشِّرهم؛ برحمة الله تعالىٰ وبكرمه وإحسانه ورضوانه، وفي قبورهم؛ التي هي روضةٌ من رياض الجنَّة، وفي عرصات القيامة وما فيها من الأَهوال والشَّدائد، إلىٰ أَن يدخلوا جنة النَّعيم بأَمانٍ وسلامٍ، وهنالك لهم البُشرىٰ الأَخيرة، أَلا وهي الخلودُ فيها، ورؤية ربِّهم ذي الجلال والإكرام، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[٣].

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ - ٦٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[٧].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٩].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.
(٤) سورة يونس، الآية: ٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧١.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٢١.
(٨) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٩) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

١١ - أهلُ الإيمانِ الصَّادق: هُمُ أهلُ الأَمن والأَمان والاطمئنان في الحياةِ الدُّنيا والآخرة:

لأَنَّهم أَهلُ الخضوعِ والطَّاعة والتَّسليم التَّام لشَرْعِ اللهِ تعالىٰ، والرِّضا بأَقداره؛ فهم أَهلُ الأَمن، والأَمان، والطمأْنينة، والاطمئنان، والسَّعادة، والرَّاحة، والسُّكون، وهم أَبعدُ الخلق عن الخوف، والفزع، والحزن، والهمِّ، والغمِّ، والوحشة، والاضطراب، والشَّقاء، والعذاب؛ فأَمرهم كلُّهُ خيرٌ وبركةٌ؛ في الحياة الدُّنيا قبل الدَّار الآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨١ - ٨٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٦٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًىٰ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.
(٥) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٦) سورة الفتح، الآية: ٤.

١٢- أَهلُ الإيمانِ: ينعمون بالحياة الطيِّبة في الدُّنيا والآخرة:

أَهلُ الإيمان الصَّادق: يعيشونَ الحياةَ الطيِّبةَ الكريمةَ العزيزةَ السَّعيدةَ؛ فيها راحةُ القلب وطُمأْنينتُهُ، وراحةُ البالِ واستقرارُهُ، وانشراحُ الصَّدر وانفتاحُهُ، وفيها زينةِ الحياةِ الدُّنيا من النِّعمِ والطَّيِّباتِ؛ لأَنَّهم رُزِقُوا بما قسَّمَ اللّٰهُ تعالىٰ لهم من كنزِ القناعةِ التي بسببها تلوحُ نضرةُ النَّعيم في وجوههم مشرقةً من السَّعادة، وطيب الحياة، ولذَّة العيش، وما نالوا هذه الحياة الطيِّبة؛ إلاَّ لأَنَّهم يتمتَّعونَ بنعمة الإيمان الصَّادق، والعمل الصَّالح.

وفي الدار الآخرة: فهم يعيشونَ - بما عَمِلُوا في الحياة الدُّنيا - في عيشة هي راضيةٌ من نفسها؛ فكيف بالذين يعيشُونَ فيها حياةً أَبديَّةً؛ نعيمٌ لا نظير له، ولا مثيل، ولا شبيه؛ لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ أَحدٍ من البشر، قالَ اللّٰهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٤.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ١٨ - ٢٤.

(٤) سورة القارعة، الآيتان: ٦ - ٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

١٣- أهلُ الإيمانِ الصَّادق: وعَدَهُم اللهُ تعالىٰ بالنَّصر والتَّمكين:

أهلُ الإيمان الصَّادقِ؛ وعَدَهُمُ اللهُ تعالىٰ بالنَّصر والتَّمكين، وبشَّرهم بالغلبة والعلوِّ في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة، وأن يُبَدِّلَ خوفهم أمنًا، وأن يستخلِفَهم في الأرض، ويجعلهم هم الوارثين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾(٦).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٩ – ١٤١ .

(٢) سورة النور، الآيتان: ٥٥ – ٥٦ .

(٣) سورة محمد ﷺ، الآية: ٧ .

(٤) سورة الصف، الآيتان: ٨ – ٩ .

١٤- أهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يهديهُمُ اللهُ تعالىٰ بإيمانهم الصَّادق إلىٰ الصِّراطِ المستقيم والطريق القويم:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ؛ يهديهُمُ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - بإيمانهم وصدقهم ويقينهم، وبتوحيدهِمُ الخالص للهِ تعالىٰ وحده، واستمساكهم بالعُروةِ الوُثقىٰ، وطاعتهم المطلقِ لأَوامره سبحانه، واتِّباعِ سُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ وبما يقومونَ به من الأَعمال الصَّالحة؛ فيهديهم الله تعالىٰ إلىٰ الصِّراطِ المستقيم، صراط الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيِّينَ والمرسلينَ؛ يهديهم في كلِّ أَمرٍ من أُمور الدُّنيا والدِّين، إلىٰ طريق الحقِّ واليقين، في العلم والعمل، وفي الشُّكر، والصَّبر، والرِّضا، والقناعة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾[٤].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

(٣) سورة محمد ﷺ، الآيتان: ٤ - ٥.

(٤) سورة مريم، الآية: ٧٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[3].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، الآيتين: ١٥ – ١٦.

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١ – ٥.

(٣) سورة محمد ﷺ، الآية: ١ – ٥.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٨.

١٥- أهلُ الإيمانِ: تَستغفرُ لهُم ملائكةُ عرشِ الرَّحمنِ جلَّ جلالُه:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: هم أَسعدُ عبادِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - علىٰ الإطلاق؛ تَستغفر لهم أفضلُ أجناس الملائكة وأشرفهم، وهم ملائكةُ حملة عرشِ الرَّحمنِ - جلَّ جلاله - ومَن حولَه، ويدعونَ اللهَ تعالىٰ لأَهل الإيمان الصَّادقِ؛ أَن يقيهُم من عذاب الجحيم وأَهوالها، وأَن يدخلهُم الجنَّةَ ونعيمَها، ويُدْخِل مَن صلُحَ من آبائهم وأَزواجهم وذرِّيَّاتهم، وأَن يقيهُم ويُجنِّبهمُ السَّيِّئات ووبالها.

وما أَعظمَ هذا الجزاءَ وما أَجَلَّهُ! وما أَسعدَ مَن نالَه وما أَكرمَه! وأَهلُ الإيمان والطَّاعة؛ ما نالوا هذه المرتبةَ إلاَّ بإيمانهِم الكامل، وبيقينهِم الصَّادق، وباتِّباعهم سبيلَ المؤمنينَ والصِّراطَ المستقيم، وبصالح أَعمالهم، وتوبتهم المستمرة من الذُّنوب والمعاصي، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ

(١) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾(٢).

قالَ العلاَّمةُ عبد الرحمن السعديُّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(أَي: من رحمته بالمؤمنين ولُطفه بهم أن جعلَ من صلاته عليهم وثنائه وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذُّنوب والجهل إلىٰ نور الإيمان والتوفيق والعلم والعمل؛ فهذا أَعظمُ نعمة أَنعمَ بها علىٰ عباده الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثارَ من ذكر الله الذي لَطَفَ بهم ورحمهُم، وجعلَ حملةَ عرشه أَفضلَ الملائكة، ومن حولهم يسبِّحون بحمد ربِّهم ويستغفرون للذِّين آمنوا . . . فهذه رحمتُه ونعمتُه عليهم في الدُّنيا . وأَمَّا رحمتُه بهم في الآخرة؛ فأَجلُّ رحمةٍ، وأَفضلُ ثوابٍ، وهو الفوزُ برضا ربهم وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأَجر الكبير الذي لا يدري ولا يعرف كنهه إلاَّ مَن أَعطاهم إِياه، ولهذا قالَ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾).

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٥ .

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٣ - ٤٤ .

١٦- أهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: نورُ إيمانهم الصَّادق دليلٌ لهم للخير في الدُّنيا والآخرة:

أهلُ الإيمان الصَّادقِ! بنورِ إيمانهم الصَّادق، وبيقينهم الثابت، وبعلمهم الخالص؛ يُضيءُ طريقهم في الحياة الدُّنيا، ويمشون به علىٰ بينةٍ؛ فبها يُميِّزونَ بين الحقِّ والباطل، وبين الهُدَىٰ والضَّلال، وبين البدعةِ والسُّنَّة.

وفي الآخرة، وفي يوم القيامة والحساب؛ عندما تطفأُ جميعُ الأنوار أمامَ العباد؛ فأهلُ الإيمان يمشونَ بنور إيمانهم الصَّادق ظاهرًا علىٰ الصِّراط؛ حتىٰ يجوزون به إلىٰ دار القرار والنَّعيم الدَّائم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الشورىٰ، الآية: ٥٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الحديد، الآيتان: ١٢ - ١٣.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٨.

١٧- أهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: أعظم تسليتهم عند المصائب هو إيمانهم الصَّادق:

أهلُ الإيمان الصَّادق؛ أعظم تسليتهم عند وقوع المصائب والمحن والشَّدائد والخوف والحزن والفزع؛ هو قوةُ إيمانهم الخالص، وصدقُ يقينهم بالله - تبارك وتعالىٰ - ثمَّ ما يجدونَهُ من حلاوة هذا الإيمان الصَّادق في قلوبهم الحيَّة النَّابضة بحبِّ الله - جلَّ في عُلاه - ويعلمون أنَّ نزولَ المصائب لعباد الله الصَّالحينَ الصَّادقينَ؛ ابتلاءٌ وامتحانٌ من الله تعالىٰ، ويفقهونَ - أيضًا - ما يترتَّبُ علىٰ صبرهم، وعلىٰ تسليمهم لمرِّ قضاء الله وقدره! من الثَّواب الجزيل من ربٍّ كريمٍ غفورٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[(٢)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[(٣)].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

١٨ - أَهلُ الإِيمانِ الصَّادق : يلجؤون إلىٰ إيمانهم في اليُسر والعسر :

أَهلُ الإيمان الصَّادق : يلجؤُونَ إلىٰ إيمانهم الصَّادق، وتوحيدهم الخالص، وعقيدتهم الصَّافية، وصدق إخلاصهم لله تعالىٰ، ويتقوَّونَ بها في كلِّ ما يَلمُّ بهم من خيرٍ وشرٍّ، وطاعةٍ ومعصيةٍ، ويُسرٍ وعُسرٍ، وفي الرَّخاء والشَّدائد .

● فعندَ اليُسرِ، والرَّخاءِ، والفرحِ، والسُّرورِ، والنِّعمِ، وعندَ فعل الطَّاعات، وعند كلِّ ما يحبُّه القلبُ من خير الدُّنيا وزينتها : يلجؤونَ إلىٰ إيمانهمُ الصَّادق الذي يأمُرُهُمْ؛ بفعل أَحسنِ الطَّاعات، وأَفضل الخيرات، والأَعمال الصَّالحات، والتَّواضع لله تعالىٰ، وعدم الكبرياء علىٰ خلقه مهما فُتحت لهم الدُّنيا؛ فيحمدُون الله تعالىٰ ويشكرونَهُ، ويثنون عليه بما هو أَهل له؛ علىٰ ما مَنَّ عليهم من نِعَمِهِ وكرمه وفضله، ثمَّ يستعمِلُونَ النِّعَمَ فيما يُحبُّه الله تعالىٰ ويرضاه؛ ثمَّ يزدادون لله - عزَّ وجلَّ - طاعةً وتسليمًا بهذه الأَعمال الصَّالحة .

● وعند العُسر، والمكاره، والأَحزان، والمصائب، والشَّدائد، والمحن، وعند وقوعهم في المعاصي والذُّنوب والكبائر : يلجؤون إلىٰ إيمانهم الصَّادقِ، ويعتصمون به، ويعلمون بمقتضىٰ إيمانهم الخالص، وصدق يقينهم بالله - تبارك وتعالىٰ -؛ أَنَّ مع العُسر يُسرًا، ومع الصَّبر فرجًا وأَجرًا، ومع التَّوبة كرمًا وعفوًا ومغفرةً؛ فيبادرون علىٰ الفور بالتَّوبة النَّصوح، والاستغفار الخاشع، والإنابة الصَّادق، وبلوم أَنفسهم المذنب، ثمَّ يرون أَنَّ ما أَصابهم من المكاره والذُّنوب هو من عند أَنفسهم، وما اقترفت يداهم من الذُّنوب والمعاصي، أَو عدم الطَّاعةِ؛، فيبادرون بعدها علىٰ

الفور؛ بفعل ما يقدرون عليه من الخيرات، والطَّاعات، والحسنات، والصَّالحات؛ لجبر نقصها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٦) سورة آل عمران الآية: ١٨٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَنبْلُونَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٢].

وقَال تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[٦].

---

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ٣١.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

١٩ - أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: ينتفعون بالمواعظِ والتَّذكير:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: ينتفعونَ بالمواعظِ والتَّذكير من الآيات القرآنيَّة، والأَحاديث النَّبويَّة؛ لأَنَّ نورَ الإيمان الصَّادق، وفُرقانه السَّاطع، وعلمَه النَّافع؛ قد أَشرقَ علىٰ قلوبهم! فجعلها سليمةً عامرةً حيَّةً، وعلىٰ إيمانهم! فجعلها صادقةً خالصةً لله تعالىٰ، وعلىٰ عواطفهم! فجعلها سليمةً علىٰ الفطرة التي فطر الله عليها، وعلىٰ إراداتهم! فجعلها خيِّرة نيرة؛ فكلُّ هذه الأُمور يجعلُ لهم مَلَكَةً وحساسيَّةً وميزانًا يعرفونَ بها الحقَّ المبين! فيميلونَ إليه ويسكنون له، ويميِّزون بها بين الخير والشَّر، والهدىٰ والضَّلال، والسُّنَّة والبدعة، وبهذا الإيمان يتذوَّقون الأَعمال الصَّالحة؛ ثمَّ يحملهم إيمانُهم علىٰ التزام قول الحقِّ واتِّباعه؛ عِلْمًا وعملاً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٤].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

وقالَ تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٢) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾(٣) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(٤) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة الرعد، الآية : ٢٨ .
(٢) سورة الحج، الآية : ٣٥ .
(٣) سورة المؤمنون، الآية : ٦٠ .
(٤) سورة التوبة، الآيتان : ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٥) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

٢٠- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: يَحفظُهُم إيمانُهُم الصَّادق من الوقوع في الموبقات المهلكات:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يَحفظُهم إيمانُهم القويُّ، وتوحيدُهم الرَّاسخُ، ويقينُهم الثَّابت، وإخلاصُهم لله تعالىٰ، وعبادتُهم الدَّائمة، وخوفُهُم من الله تعالىٰ المستمر، وحياءُهُم منه سبحانه؛ يحولُ بينهم وبين الوقوع فيما يُسخطُ الله - عزَّ وجلَّ - ويوجب دخول النَّار، ويحفظهم من جميع الموبقات والمهلكات، ومن كبائر الذُّنوب والمعاصي والشُّرور، والفواحش وحبِّ الشَّهوات المحرَّمة، وطاعة النَّفس الأَمَّارة بالسُّوء والفحشاء والمنكر!

لأَنَّ إيمانهُم الحقَّ قد طهَّرَ قُلوبهم من هذه الأَمراض الخبيثة الشَّنيعة الشَّيطانية؛ فجعلها سليمةً نقيةً حيَّةً عامرةً بمحبَّة الله تعالىٰ وخشيته والخوف منه سبحانه، وجعلها علىٰ فطرة الله التي فطر النَّاس عليها، وذاقت هذه القلوبُ المؤمنةُ من حلاوة العبوديَّة لله تعالىٰ ومُحَبَّتِه، ما يمنعهُم من صرفها لغيره جلَّ في عُلاه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ

لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[3].

وقالَ تعالىٰ: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وقالَ اللهُ تعالىٰ عن نبيِّه يوسفَ عليه الصَّلاة السَّلام:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[5].

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

(٤) سورة النور، الآية: ٣.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

٢١- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: هم الطَّائفةُ المنصورةُ والفرقة النَّاجية:

أَهلُ الإيمان الصَّادق: من ثمرات إيمانهم الكامل ويقينهمُ الصَّادق؛ أَنَّهم ينالونَ وصفَ الطائفةِ المنصورةِ، والفرقةِ الناجيةِ، وأَهلِ التَّوحيدِ الخالصِ، والعقيدةِ الصَّافيةِ، والحنيفيةِ ملَّةِ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام.

فهم؛ أَهلُ السُّنَّة والجماعة، والأَثر والحديث، وأَهلُ الشَّريعة، والاتِّباع، والتَّسليم لله تعالىٰ ولرسُوله ﷺ، وهم أَهلُ القرآن وخاصَّتُهُ، وأَهلُ العلم والعبادة، وأَهلُ السَّلامة والنَّجاة.

وهم؛ أَهلُ الموالاة في الله والمعاداة فيه، وأَهلُ الجهاد والإنفاق في سبيل الله، وأَهلُ الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأَهلُ الدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

وهم؛ أَهلُ الإخلاص، والصِّدق، والطَّاعة، والعبادة، والبراءة من الطاغوت، والشِّرك وأَهله، والبدع، والمعاصي.

وهم؛ أَهلُ الشُّكر، والخوف، والرَّجاء، والحبِّ، وأَهلُ النَّصيحة، والرَّحمة، واللِّين، والعدل، والصَّبر، وحُسن الخلق والأَدب، وسعة الأُفق، وعلوِّ الهمَّة، والأَمانة، والوسطيَّة.

وهم؛ الغُرباءُ: الذين يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ النَّاسُ، ويَصلُحون إذا فَسَدَ النَّاسُ! وهم؛ أَهلُ العزَّة والغلبة والتَّمكين في الأَرض، والاستخلاف عليها! وهم؛ الظَّاهرون إلىٰ قيام السَّاعة! وهم؛ القدوةُ الصَّالحون والمتقون والعاملون! وهمُ؛ السَّلفُ الصَّالحُ للمؤمنين من بعدهم إلىٰ أَن يرث الله الأَرض ومن عليها! وهم؛ أَولياءُ الله وخاصَّتُهُ؛ الَّذين تولَّاهُم بعنايته ونصرته في الحياة الدُّنيا، وكرامته ونعيمه في الدار الآخرة! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[3] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[4] .

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَيَرْجِعُ غَرِيبًا ؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي »[5] .

---

(١) سورة يونس، الآيتان : ٦٢ - ٦٣ . (٢) سورة البقرة، الآية : ٢٨٥ .

(٣) سورة الحجرات، الآية : ١٥ . (٤) سورة الأنفال، الآيات : ٢ - ٤ .

(٥) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب « ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا » . وصحَّحه الألباني .

٢٢- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: هم أَهلُ التَّقوىٰ:

أَهلُ الإيمان الصَّادق: من ثمراتِ إِيمانهِمُ الكامل، ويقينهِمُ الصَّادق؛ أَنَّهم ينالون وصف أَهلِ التَّقوىٰ، والصَّلاح، والفلاح، والنَّجاح، والتَّوفيق، والسَّداد، والصِّدق، والعفو، والعدل، والنَّجاة في الدَّارين؛ لأَنَّ التَّقوىٰ هي أَعلىٰ مراتب الإيمان الصَّادقِ ودرجاته.

والتَّقوىٰ؛ هي أَن تجعلَ بينكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ وقايةً من الإيمان الصَّادق والعمل الصَّالح؛ تقيكَ من ما تخشاهُ من غضبه وسخطه وسوءِ عقابه، وهو طاعة الله تعالىٰ؛ بامتثال أَوامره، واجتناب نواهيه.

وأَصلُ التَّقوى! هي أَن تعبدَ الله - تبارك وتعالىٰ - كأَنَّكَ تراه، وإِن لم تكن تراه؛ فتوقن بإِنَّه - سبحانه - يراك.

وتقوىٰ الله تعالىٰ! هي وصيتُهُ - جلَّ وعلا - للأَوَّلينَ والآخرينَ من عباده الصَّالحين المتقين العاملينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2].

وتقوىٰ الله تعالىٰ! لها ثمراتٌ عظيمةٌ؛ عاجلةٌ وآجلةٌ في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، منها:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٢

نيلُ معيَّةِ الله – تبارك وتعالىٰ – وولايتِه ورضاهُ، ومحبَّتِه سبحانه، ومحبَّة ملائكته، وعباده الصَّالحين، ووضعُ القبول لصاحبها في الأَرض، وثناءُ الخلق عليه، ومحبَّتهُم له، ونصر الله تعالىٰ وعنايتُهُ، وتأْييدُه، وتسديدُهُ، وحفظُهُ، وحراستُهُ من كيد الأَعداء ومكرهم، وحفظ الذريَّة الضِّعافِ بعناية الله تباركَ وتعالىٰ.

والتَّقوىٰ؛ تورثُ الثِّقةَ بالنَّفس والطمأْنينةَ والقوةَ والكرامةَ والعزَّةَ، وتنفي الخوفَ والحزنَ من أَهلها، وتحفظهُم من وساوس الشَّيطان وكيده، وتُيَسِّر لهم العلمَ النَّافعَ الذي ينفعُ صاحبَهُ في أُمور دنياه، والعمل الصَّالح الذي يدخله الجنَّة، والفلاح والتَّوفيق والسُّهولة واليُسْرَ في كلِّ أَمرٍ، والمخرجَ من كلِّ ضيقٍ، والرِّزقَ من حيثُ لا يحتسبُ العبد، وتفتح أَبواب البركات من السَّماء والأَرض، والبُشرىٰ بالرؤيا الصَّالحة، وإِطلاق نور البَّصيرة الذي يُفرِّقُ به صاحبه بين الحقِّ والباطل.

والتَّقوىٰ؛ هي ميزانُ التَّفاضل عند الله تعالىٰ، وهي السبب الرئيسيُ لقبول الأَعمال الصَّالحة؛ التي بها سعادةُ العباد في الدَّارين، وسبب النَّجاة من عذاب الدُّنيا، ومن عذاب القبر، وتكفير السَّيئات؛ وهو سببُ النَّجاة من النَّار، وعظم الأَجر؛ وهو سبب الأَمن والأَمان يومَ القيامة، والفوز بالجنَّة ونعيمها، وبمقعد الصِّدق عند مليكٍ مقتدرٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[١].

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ – ٥٥.

٢٣- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: وعدهُمُ اللهُ تعالىٰ نعيمَ الْجنَّة:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادق؛ وعدهُمُ اللهُ تعالىٰ جنَّةَ الْخُلد! التي عرضُها عرض السَّموات والأَرض! لا يصيبُها الفناء، ولا يدرك النَّاس فيها الموت، وهيَ دارُ الكرامةِ والسَّعادةِ، ودار الثَّواب الجزيل، والنَّعيم المقيم.

وهي دار الذين أَنعم اللهُ عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، ودارُ المؤمنين الموحِّدين والمتَّقين العاملين، ودارُ الذين آمنوا وعملُوا الصَّالحات، والذين اتَّقوا ربَّهم ومنه يخافون، ودارُ المُوفين بعهد الله إذا عاهدوا، ودارُ المُجاهدين في سبيل الله تعالىٰ بأَنفُسهم وأَموالهم، ودارُ التَّائبينَ العابدينَ الحامدين السَّاجدين الآمرين بالمعروف، والناهين عن المُنكر.

وهي دار الفوز والجزاء العظيم؛ التي خلقها الله تعالىٰ وأَعدَّها! لأَهلِ الإيمان الصَّادق من عباده الصَّالحين، وأَوليائه المتقين، وأَهل طاعته العاملين، وذلك فضلاً منه ومنًّا وكرمًا؛ سبحانه وتعالىٰ.

وفي جنَّة الخُلدِ من النِّعَم الدَّائمة المقيمة! التي ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بشرٍ؛ فظلها دائم، وهواؤها معتدلٌ لا حرارة فيها ولا برودة، وطعامها لذيذٌ ودائمٌ، وثمارها دانية مسخرة للقائم والقاعد والمتكئ، وشرابها لذيذ الطعم مختلف اللون والنَّوع؛ أَهلها يأكلون فيها ويتمتعون، ولا يمتخطون ولا يبولون بل مسك يرشحون، وأَوانيها من الذَّهب والفضة، وخدم أَهلها ولدان مخلدون حسان الوجوه، وحُليُّ أَهلها من الذَّهب والفضة واللؤلؤ، ولباس أَهلها الحرير والسُّندس والاستبرق، وفرُشها ظاهرها في منتهىٰ الجمال، وبطائنها من الاستبرق، وأَزواج أَهلها من الحور العين إلىٰ جانب زوجاتهم في الدُّنيا من المؤمنات

الصَّالحات، وقصورها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوتُ، وتربتها الزعفران، وخيامها اللُّؤلُؤ المجوف، وهي نور يتلألأ، ومساكن طيبة، وأَهلها يحيون ولا يموتون، وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وطول الجنَّة عظيم، وعرضها كعرض السَّموات والأَرض؛ تجري من تحتها الأَنهار، ومهما عبَّرنا عن صفاتها، فإنَّ تعبيرنا لا يُحيط بما هي عليه؛ لأَنَّ تصوُّرها يحيِّر العقول ويذهلها، وأَقل النَّاس فيها درجة له أَمثال ما في الدُّنيا، والنَّاس فيها درجات علىٰ حسب أَعمالهم، وأَعلىٰ مراتبها الفردوس الأَعلىٰ؛ التي سقفها عرشُ الرَّحمن جلَّ في عُلاه.

وأَكبرُ من ذلك النعمِ لأَهل الجنَّةِ! هي الفوزُ العظيمُ، ورؤيةُ ربِّ العالمين، وكلامه لأَهل الجنَّة؛ إنَّه يُرفع الحجاب بينهم وبين رَبِّ العزِّ والجلال؛ فينظرون إلىٰ وجهه الكريم سبحانه وتعالىٰ.

ومَن أَوفىٰ بوعده من الله تعالىٰ، وقد أَعدَّها لهم ربُّهم – سبحانه وتعالىٰ – جزاءً لصدقِ إيمانهم، وقوة يقينهم، وإخلاصهم في العبادة، وما كانوا يعملون في الحياة الدُّنيا من الطَّاعاتِ والأَعمال الصَّالحة وباستنارتهم بتقوىٰ الله تعالىٰ في كلِّ شأْنٍ من شُؤُونهم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[١].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي من تَحْتِهَا

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٥) سورة يونس، الآية: ٤.

الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٦).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٧).

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.
(٢) سورة مريم الآية: ٦١.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١٥.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٠.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
(٦) سورة غافر، الآية: ٨.
(٧) سورة فصلت الآية: ٣٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾(٢).

● وغيرُها من ثمراتِ شجرةِ الإيمانِ المباركة؛ التي لا يكادُ يمضي علىٰ المؤمن زمنٌ قليلٌ حتىٰ يَجنيَ ثمرةً من ثمراتها، وتبلُغُ الثَّمرةُ كمالَها ونُضجَها، إذا كان اللهُ تعالىٰ ورسولُه ﷺ أَحبَّ إليه مما سواهما، ويصبحُ العبدُ يُحبُّ ويُبغضُ لله تعالىٰ، ويَكرهُ أن يعودَ إلىٰ الكُفر، كما يكرهُ أن يُقذفَ في النَّار، والعياذ بالله.

فالإيمانُ سبيلُ السَّعادة الأَبديَّة والنَّعيم الدَّائم؛ وهو غذاءُ الرُّوح والنَّفس، ولا ريبَ أَنَّ قيمةَ العبد بروحه ونفسه! لا بجسده.

نسأَلُ اللهَ - جلَّتْ قدرتُه - أَن يرزُقَنا حلاوةَ الإيمان الصَّادق، وحقيقتَهُ وكمالَهُ، وأَن يرزُقَنا الحشر مع النبيِّينَ والصدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالحينَ، وحَسُنَ أُولئك رفيقًا؛ إِنَّه جوادٌ كريمٌ، وبالإجابة قدير؛ آمين! آمين!

---

(١) سورة الأحقاف الآية: ١٦.

(٢) سورة محمد ﷺ، الآية: ١٥

من صفات أهل الإيمان

فإنَّ أَهلَ الإيمانِ الصَّادقِ، والطَّاعة المطلقِ، والتَّسليم التَّامِّ لله - تبارك وتعالىٰ - ولرسوله الأمين محمَّدٍ ﷺ من عبادِ اللهِ المخلصينَ، المؤمنينَ الصَّادقينَ، ومن أَوليائه المتَّقينَ، الموحِّدينَ العاملينَ بعلمهم، والذين شعارهم: آمَنَّا وَصَدَّقْنَا، سَمِعْنا وأَطَعْنا؛ هم عبادُ الرَّحمن حقًّا وصدقًا!

فقد جاءت صفاتُهم كثيرة في القرآنِ والسُّنَّة؛ فهذه الصِّفاتُ قد عَرَضَها ووصفَها لنا الوَحْيان الشَّريفان؛ بأنَّها صفاتٌ كريمةٌ، فاضلةٌ، مباركةٌ، خيِّرةٌ، حميدةٌ، عاليةٌ، ساميةٌ، عزيزةٌ ربانيَّةٌ؛ فهم صَفوةُ خلقِ الله - تبارك وتعالىٰ - وخيرتُهُم؛ بصفاتهم المميَّزة المتكاملة، وأَخلاقهم الحميدةِ الفاضلة، ومعاملاتهمُ الفريدة، ونفوسهمُ السَّامية، وقيمهمُ الكريمة العالية.

وهمُ الذين يَستحقُّونَ أن يضافوا إلىٰ اسم الله - جلَّ في عُلاه - الرَّحمن، ويكونوا عبادهُ المخلصينَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ كيف لا، وقد تكفَّل الله بتهذيبهم وتربيتهم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[١].

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤.

وقد دعا الله - سبحانه وتعالىٰ - في كتابه العزيز، ورسولُهُ الأَمين ﷺ في سُنَّتِهِ المطهرة؛ جميع المؤمنين الصَّادقينَ والمسلمينَ الموحدينَ؛ العاملين بشرعه الحكيم إلىٰ أَن يتَّصفوا بصفاتِ عباد الرَّحمن، ويتحلَّوا بها، ويَتخلَّقوا بأَخلاقهم الرَّبانيَّة؛ حتَّىٰ يعيشوا حياةً إيمانيةً كريمةً، مباركةً سعيدةً عزيزةً في الحياةِ الدُّنيا؛ ثمَّ ينالوا بذلكَ صفات الجليلة ثوابَ الله تعالىٰ ورضوانَه وجنَّته، ونعيمَه الأَبديَّ في الحياة الآخرة.

والمؤمنُ الصَّادقُ مع ربِّه - جلَّ في عُلاه - تجده حريصٌ علىٰ هذه الصِّفات الكريمة العزيزة، والأَخلاق الحميدة الفاضلة؛ لكي يبقىٰ قلبُه وحياتُه في الإيمان الصَّادق ومعه وبه، وأَن يتَّصفَ بصفات أَهلها، ويحاولَ جادًّا أَن يعيَها ثمَّ يعيشها؛ حتىٰ ينالَ بها رضوان الله تعالىٰ والجنَّة.

فهذه بعضُ صفات أَهلِ الإيمان الصَّادقِ حقًّا وصدقًا؛ كما جاءت في كتاب ربِّهم وخالقهم وهاديهم، وفي سُنَّةِ نبيِّهم ومربِّيهم ومُرشدهم ﷺ؛ لعلَّنا إن صدقنا مع الله تعالىٰ مثلهم؛ فنحذو حَذوَهم، ونَتمسَّكَ بمنهجهم، ونتَّصف بصفاتهم؛ حتىٰ نحقِّقَ الإيمان الصَّادق ونبلغ كماله، ونكون مع المحسنين السَّابقين إلىٰ جنَّاتِ الخُلد، والنَّعيم الدَّائم؛ التي فيها ما لا عينٌ رأَت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بشر! اللهُ أكبر.

اللَّهُمَّ! اَجعلنا من أَهلِها، وجميع المسلمين؛ يا أَرحم الرَّاحمين! يا أَرحم الرَّاحمين! يا أَرحم الرَّاحمين! آمين.

١- أَهلُ الإيمان الصَّادق: من صفاتهم أَنَّهم ﴿ عِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ :

﴿ الرَّحْمٰنُ ﴾ : اسمٌ من أَسماء الله تعالىٰ الْحُسنىٰ، ورد في القرآن العظيم في خمسة وأَربعين موضعًا، واقترن بإِسم الرَّحيم ستة مرات، ولم يقترن بغيره في بقية المواضع.

و﴿ الرَّحمٰن ﴾ اسمٌ مشتقٌ منَ الرَّحمة، دالٌ علىٰ أَنَّ الرَّحمةَ من صفاتِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ.

وهو اسمٌ خاصٌ باللهِ - عزَّ وجلَّ - فلا يجوزُ إِطلاقُهُ علىٰ أَحدٍ من خلقه؛ عَكْسَ ﴿ الرَّحيم ﴾ و ﴿ رحمن ﴾ أَشدُّ مبالغةً من ﴿ رحيم ﴾ .

فـ ﴿ الرَّحمنُ ﴾ يجمَعُ كلَّ معاني الرَّحمة؛ فهو ذو الرَّحمةِ الذي لا نظيرَ لَهُ فيها، وهو ذو الرَّحمةِ الواسعةِ والشَّاملة لجميع الخلق في الدُّنيا؛ مؤمنهم وكافرهم؛ من أَرزاقهم وأَسباب معايشهم ومصالحهم، وفي الآخرة للمؤمنين خاصَّة.

و﴿ الرَّحيم ﴾ : هو اسمٌ دالٌ علىٰ أَنَّه - سبحانه وتعالىٰ - يرحمُ خلقَه برحمته في الدُّنيا والآخرة، وهو الدائمُ الرَّحمة، والواسعُ الرَّحمة، وذو الرَّحمة الخاصَّة بالمؤمنين يومَ القيامة [١].

و﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ : اسمان مشتقان من الرَّحمةِ، والرَّحمة تستدعي مرحومًا، ولا مرحومًا إِلاَّ وهو محتاج! وهو الذي ينقضي به حاجة المحتاج من غير قصد وارادة وعناية، وإِنَّما الرَّحمة التَّامَّة إِضافة الخير علىٰ المحتاجين

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» في تفسير البسملة. و«جامع البيان» للإمام الطبري: ج١، ص٤٣ - ٤٥. و«بدائع الفوائد» للإمام ابن القيم: ج١، ص٢٤.

وإرادته لهم وعنية بهم، والرَّحمة العامَّة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله تعالىٰ تامَّة عامَّة.

والرَّحمنُ – سبحانه وتعالىٰ – هو المتصف بالرَّحمة العامَّة الشَّاملة؛ حيث خلق العباد، ورزقهم وهداهم سبلهم، وإسترعاهم فى أَرضه سبحانه؛ ليبلوهم أَيُّهم أَحسنُ عملاً؛ فرحمة الله تعالىٰ فى الدُّنيا وسعتهم جميعًا – تحقيقًا لحكمته فى إبقائهم علىٰ معانى الإبتلاء – يرزقون ويتقلبون فى نعمه فشملت المؤمنين والكافرين، والرَّحمة تفتح أَبواب الرَّجاء والأَمل، وتدفع أَبواب اليأْس والخوف.

والله – جلَّ في عُلاه – سبقت رحمته غضبه، ولم يجعل من واسع رحمته إلاَّ جزءًا يسيرًا فى الدُّنيا يتراحم به خلق بينهم ويتعاطفون؛ حتى ترفع الدَّابة حافرها عن ولدها خشية أَن تصيبه! قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ؛ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً؛ فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ »(١).

والرَّحمة التى دلَّ عليها الإسم رحمة، عامَّة تظهر مقتضىٰ الحكمة فى أَهل الدُّنيا؛ فمن رحمته تعالىٰ أَنَّهُ أَنعم علىٰ عباده ليشكروا! ولكن كثيرًا منهم جاحدون، ولذلك فإنَّ الله – تباركَ وتعالىٰ – قد خص هذا الإسم ليقرنه بإستوائه علىٰ عرشه العظيم – سبحانه – فى جميع المواضع التى

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «الرجاء مع الخوف».

وردت في القرآن العظيم والسُّنَّة النبويَّة؛ فقالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ! فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ»(٢).

وذلك لأَنَّ اللهَ تعالىٰ فوق الخلائق أَجمعين؛ سواء كانوا مؤمنين، أَو كافرين؛ فحياتهم قائمة بإذنه – سبحنه – وأَرزاقهم مكنونة في غيبه، وبقائهم رهن مشيئته وأَمره – جلَّ في عُلاه – فلا يستغني عنه في الحقيقة مؤمن، أَو كافر علىٰ الإطلاقِ!

وحظ العبد من اسم الرَّحمن:

بأَن يرحم عباد الله تعالىٰ الغافلين، وأَن ينظر إِلىٰ العُصَّاةِ بعين الرَّحمة، وأَن يحسه في نفسه بكلِّ معصية تجري من حوله كمعصية له!

وحظ العبد من اسم الرَّحيم:

بأَن لا يدع حاجة للعبادِ، وفاقة لمحتاجِ؛ إِلاَّ أَن يُحاول سدها بقدر طاقته واستطاعته، ولا يترك محتاجًا في جواره إِلاَّ ويقوم بتعهده ودفع حاجته؛ إِمَّا بماله، أَو جاهه، أَو السَّعي في حقه بالشَّفاعة إِلىٰ غيره؛ فإِن

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب « ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾.

عجز عن جميع ذلك! فيعينه بالدُّعاء وإظهار الحزن لسبب حاجته؛ حتىٰ كأنَّهُ مساهم له في ضره وحاجته.

إذن الرَّحمة أَجلُّ صفةٍ تتدفَّقُ بفيضِ العطاءِ دونَ حسابٍ؛ فمَن كان من عباد الرَّحمن حقًّا وصدقًا؛ تدفَّقُ عليه من ربِّه فيضُ العطاءِ، لا يستطيعُ العادُّون حصرَه، ولا الواصفونَ وصفَه، ولا بيانَ حقيقته أَو مقداره؛ ولقد وسعَ الله كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْمًا؛ فبرحمته - سبحانه - يهدي المؤمنينَ إلىٰ الصراط المستقيم، ويُدخلُهُم جنَّة النَّعيمَ، ويغفرُ لِمُسيئهِم.

● وبما أَنَّ أَهلَ الإيمان الصَّادق: هم أَهلُ الطَّاعة والعبادة والتَّقوىٰ، والتَّسليم التَّامِّ لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ وهم المؤمنونَ الصَّادقونَ، والمتَّقونَ المخلصونَ، والموحِّدونَ العاملونَ بعلمهم، وهم؛ صفوةُ خلق الله تعالىٰ وخيرتُهُم، وهم ورثَةُ الأَنبياء - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - الذين بهم تكثرُ الخيراتُ، وبسببهم تنزلُ الرَّحماتُ، وتُرفعُ البلايا وتَزُولُ النكباتُ، والذين حقَّقُوا كاملَ العبودية لله تعالىٰ ونالوا شرفَه، وتحلَّوا بصفات عباد الرَّحمن التي جاءت في الوَحْيين الشَّريفين.

إذن: فأَهلُ الإيمانِ الصَّادق! هم عبادُ الرَّحمن حقًّا وصدقًا؛ الذين يَستحقُّون أَن يُصفوا بهذه الصِّفة الخاصة العزيزة، وأَن يُضافوا صفتهم إلىٰ اسم رَبِّهم - جلَّ في عُلاه - الرَّحمن، ويُنسبوا إليه - سبحانه وتعالىٰ - ويكونوا عبادَه المخلصينَ العابدينَ العاملين؛ فوصفهُم الله تعالىٰ: بأَنَّ صفاتهم أَكملُ الصِّفات، ونعوتَهُم أَفضلُ النُّعوت، وما وصَلُوا إلىٰ هذه الدَّرجة العالية؛ إلاَّ برحمة الله - جلَّ وعلا - لهم، وبمَنِّه وكرمه وفضله وإحسانه، قالَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - عن صفاتهم:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[1].

● صفاتُ عباد الرحمن؛ التي تظهرُ علىٰ سُلُوكهم وأعمالهم الظَّاهرة في هذه الآيات الكريمات؛ هي اثْنَتا عشرةَ صفةً مميَّزةً، وهيَ:

التَّواضع، والحلم، وقيام الليل، والخوفَ من عذاب الله تعالىٰ،

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ – ٧٧.

والاعتدال في الإنفاق، والبُعْد عن الشِّرك، والبُعْد عن القتل، والبُعْد عن الزِّنا، والبُعد عن شهادة الزُّور والكذب، وحسن الخُلق، وقبول المواعظ، والابتهال إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

الصفةُ الأُولىٰ: التَّواضع؛ أَنَّهم يَمْشونَ علىٰ الأَرض هَوْنًا:

أَي: أَنَّهم يمشونَ علىٰ الأَرض بتواضع مشية سهلة هينة؛ ليس فيها تكلف ولا تصنع! بل يمشون بخفَّةٍ، ورفقٍ، وسكينةٍ، ووقارٍ، وعزَّةٍ، وشجاعةٍ، وقوةٍ، وجدٍ؛ بلا تجبر ولا استكبار ولا استعلاء علىٰ أَحد؛ بل متواضعينَ لله تعالىٰ ولخلقه؛ غيرَ أَشرينَ، ولا مرحينَ، ولا مُتكبِّرين.

وهذا لا يعني أَنَّهم؛ يمشون كالمرضىٰ منكسي الرؤوس تصنُّعًا ورياء؛ فقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا مشىٰ فكأنما ينحط من صبب، وكأنما الأَرض تطوىٰ له؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:

«مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ! إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ»(١).

وقد كره السَّلف الصَّالح المشي بتضعف وتصنع؛ لأَنَّهُ يفتح بابًا من أَبواب الشَّيطان علىٰ العبد في الرِّياء! ورأَىٰ أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رجلاً يمشي رويدًا مطاطئًا الرأْس! فقال له: ما بالك! أَأَنت مريضًا؟ قال: لا، فعلاه بالدُّرة، وأَمره أَن يمشي مشية الأَقوياء.

(١) رواه الترمذي في (كتاب المناقب) باب «في صفة النبيّ ﷺ».

وقد نهىٰ الله تعالىٰ عن مشي المرح والبطر والفخر، قال تعالىٰ:

﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ؛ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ! فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3].

وقد كان النَّبِيُّ ﷺ سيد المتواضعين كان يمشي خلف أصحابه كواحدٍ منهم؛ حتىٰ أن الرجلَ الغريب لياتي فيقول أيكم ابن عبد المطلب؟! وكان في بيته في مهنة أهله؛ يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته.

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»! قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[4].

وغمط النَّاس: هو الاحتقار، وبطر الحقّ: هو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا؛ نفهم من هذا الحديث أن المتكبر لا يدخل الجنَّة!

ومن الكبر عدم تقبل نصيحة والإرشاد والتوجيه من أحدٍ، وظن الشَّخص بنفسه أنَّهُ هو عالم بكلِّ شيءٍ؛ فلا يملي عليه أحد بنصيحة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٧. (٢) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «تَحْرِيمِ التَّبَخْتُرِ فِي الْمَشْيِ مَعَ إِعْجَابِهِ بِثِيَابِهِ».

(٤) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «تحريم الكبر وبيانه».

فاعلم أَخي المسلم: إِنَّ أَوَّلَ ما عُصي به الله تعالىٰ هو الكبر! فقد تكبر إبليس – نعوذُ بالله منه – وأَبىٰ أن يسجد لآدم – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – وقال: أأَسجدُ له! وقد خلقتني من نار وخلقته من طين!!

فينبغي للعبد أَلا يتكبر علىٰ غيره أَلبتَّة! ولا يرىٰ نفسه أكبر من غيره! مهما بلغ أَمره، وأَعظم التَّكبر هو التَّكبر علىٰ الله تعالىٰ! وذلك بالامتناع من قبول الحقِّ، والإذعان له بالعبادة؛ فمن لم يتصف بالتَّواضع لا يدخل قلبه الإيمان الصَّادق البتَّة! قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»[1].

فأَين نحن من التَّواضع؟ فمن لم يتصف بالتَّواضع لن يتصف بباقي صفات عباد الرَّحمن، والداعية إلىٰ الله تعالىٰ إنَّما هو نموذج للتَّواضع وخفض الجناح؛ فلا يغتر بعلم، ولا يظنن أنَّه قد اكتسب مكانته بين النَّاس بجهده؛ بل هو محض فضل من الله تعالىٰ عليه، وكرم لما يحمل من خير، وليبن ذلك في حديثه وسلوكه وفي غضبه ورضاه.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «استحباب العفو والتواضع».

الصفةُ الثانية: الحلم؛ أنَّهم إذا خاطبهم الجاهلون، قالوا: سلامًا:

أي: إذا خاطبهُمُ الجاهلونَ والسُّفهاءُ والحمقىٰ بجهالةٍ وسَفَهٍ مُستثيرين غضبَهُم، قالوا لهم: سلامًا، ويُفارقونَ بإعلان السَّلام مجلس الجاهلين، ويسلمونَ من الإثم، ويسلمونَ من مقابلة جهلهم بالجهل.

أي: من صفاتهم المميَّزة؛ التي تظهرُ علىٰ سلوكهمُ الظَّاهر: الحلمُ، والخُلقُ الحَسَنُ، ومقابلةُ المُسيءِ بالإحسان، والعفوُ عن الجهَّال، والصَّبر علىٰ أذاهُم، وهذا هو ضبط النَّفس عند الغضب!

ومن رُجْحانِ عقولهِم؛ أنَّهم لا يُشغلونَ أوقاتَهَمُ الثَّمينة بالاشتباك مع الجُهَّال في جدلٍ وعراكٍ، ويترفَّعونَ عن المُهاترة؛ بل يضبِطون ألسنتَهُم عن السَّفَهِ، وتَصرُّفاتِهِم من العواقب غير المحمودة.

فعباد الرَّحمن هم مَنْ يتحملون في سبيل الله تعالىٰ؛ كل إهانة من القول، وكل فُحشٍ من الكلام، وكل أذىٰ من اللِّسان، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُنَفِّذَهُ! دَعَاهُ اللّٰهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»[2].

وعباد الرحمن لا يقابلون الإساءة بالمثل؛ بل يقابلون الإساءة بالإحسان، ولهم في ذلك قدوة حسنة ومثل أعلىٰ هو سيد الصَّابرين والمتَّواضعين نبيِّ الهُدىٰ محمَّدٍ ﷺ أنَّهُ كيف صبر علىٰ أذىٰ قومه في

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع) باب «٤٨».

الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ؛ فعَنْ ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ؛ فَهْوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[١].

وَقَالَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةً كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَاللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ! قُلْتُ: أَمَّا أَنَا لأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَهْوَ فِي أَصْحَابِهِ؛ فَسَارَرْتُهُ! فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ؛ حَتَّىٰ وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ»[٢].

ثم لنا في قصة نبيِّ الله الكريم ابن الكريم يوسف - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - مع إخوته العبرة والعظة؛ كيف وضعوه في بئرٍ، وشروه بثمنٍ بخس، وأَصبح عبدًا عند إمرأةٍ تطمع فيه وفي جماله، ثم لبث في السَّجن بضع سنين، ثم كيف هو يعفو عن إخوته الذين كادوا له، وبعد أَن أَعزَّه الله تعالىٰ وأَصبح الملك علىٰ خزائن مصر، يقول لهم معتذرًا:

﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٣].

أَي: لا أُعاتبكم بعد اليوم علىٰ ما فات، واللهُ يغفر لكم! اللهُ أَكبر! هذا هو الصَّفح كبير، وهذا هو الحلم عظيم، والصَّبر جميل، وهذه هي سُنَّةُ سيد المرسلينَ محمَّدٍ ﷺ يوم فتح مكة عندما قال لأَسرىٰ قريش:

---

(١) رواه البخاري في (استتابة المرتدين) باب «٥».

(٢) رواه البخاري في (الأَدب) باب «الصبر علىٰ الأذىٰ».

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! مَا تَرَونَ إِنِي فَاعِلٌ فِيكُمْ ؟ » قالوا : خَيرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ! قَالَ ﷺ : « اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ »[١] .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[٢] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[٣] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾[٤] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[٥] .

فالمؤمن يعرضُ عن الجاهلِ مطلقاً ؛ لأنَّهُ ينظر بنور الله تعالىٰ ، وينظر إلىٰ ما عنده – سبحانه – أمَّا هؤلاء الجاهلون هم أعداءٌ للحقِّ بطبيعتهم ؛ فلا يبالِ بهم ولا يعبأُ بشأنهم ؛ وإنما عليه أن يقول لهم : سلامًا ! قال تعالىٰ :

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[٦] .

---

(١) انظر : « فتح الباري » (كتاب المغازي) باب « دخول النبي ﷺ من أعلىٰ مكة » .
(٢) رواه الترمذي في (كتاب البر وصلة) باب « ما جاء في معاشرة الناس » .
(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٤ .
(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٦ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .
(٦) سورة القصص ، الآية : ٥٥ .

الصفةُ الثالثةُ: قيامُ الليلِ؛ أنَّهم يبيتون لربِّهم سُجَّدًا وقيامًا:

ومن صفاتِ عباد الرحمن العزيزة: أنَّ لياليَهُم مراقبةُ الله - عزَّ وجلَّ - وتقواهُ، والشُّعورُ بجلالِهِ وعظمتِهِ ورحمتِهِ، وأنَّهم يَبيتونَ مُخلصينَ فيها لربِّهم، مُتذلِّلينَ لله وحدَه، لا شريكَ له؛ سُجَّدًا وقيامًا.

أي: يتفرَّغونَ في ظُلُماتِ الليلِ للعبادةِ، والصَّلاةِ، والذِّكرِ، والتَّوبةِ، وقراءةِ القُرآن، وتدبُّر آياته وأحكامه؛ بعيدًا عن كلِّ رياءٍ وسمعةٍ، ويتهجَّدونَ بطول القيام في الصَّلاة والسُّجود لله - جلَّ وعلا - ذاكرين الله تعالىٰ؛ بأعمالهم، وبألسنتهم، وقلوبهم، وأفكارهم؛ يمجِّدونَهُ، ويحمدونَهُ، ويسبِّحونَ بحمده، ويُقدِّسون له، ويسألونه خوفًا وطمعًا، خشيةً ورجاءً، يخشونَ عذابَهُ، ويرجونَ ثوابه؛ إنَّهم حقًّا قومٌ مؤمنونَ صادقونَ عاملون؛ اتَّخذُوا لأنفسهم وقايةً وسترًا من عذاب الله وشديد غضبه؛ بهذه العبادات في جوف اللَّيالي المظلمة، والنَّاسُ حولهم نيام.

فقيامُ الليل هو دأْب المؤمنين الصَّادقين، وتجارة الفالحين، وعمل الصَّالحين، وما يحافظ عليه إلاَّ الفائزين؛ الذين يهتدون بهدي إمام المصلين والمتهجدين والقائمين، وسيد الرَّاكعين والسَّاجدين ﷺ.

ففي الليل يخلو المؤمنون الصَّادقون بربِّهم - جلَّ في عُلاه - ويتوجهون فيه إلىٰ خالقهم وبارئهم ورازقهم؛ فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله - سبحانه - فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة علىٰ مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النَّفحات الإيمانية، وتقتبس من أنوار تلك القُربات الذكيَّة، وترغب وتتضرع إلىٰ عظيم العطايا والهبات السَّخيَّة من ربِّ البريَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾[١][*].

وقد ذكر الله – جلَّ وعلا – المتهجدين في عبادته، فقال تعالىٰ عنهم:

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٣].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَىٰ اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»[٤].

وقالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ»[٥].

والمقنطرون: هم الذين لهم قنطار من الأجر.

وقالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ»[٦].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٦.
(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ – ١٨.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٤) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب «في دعاء النبي ﷺ» وصححه الألباني.
(٥) رواه أبو داود في (كتاب شهر رمضان) باب «تحزيب القران» وصححه الألباني.
(٦) رواه مسلم في (كتاب المسافرين وقصرها) باب «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ».
(*) قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره: (يعني بذلك قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع علىٰ الفرش الوطيئة).

وقالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»(١).

وَذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ! فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ! فَقَالَ ﷺ: «بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ!»(٢).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ في شأْنِ عَبْد الله بن عمر، رضي الله عنهما:

«نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»(٣).

فقال ابنه سالم: (فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً)

وقد أمرَ الله تعالىٰ إمامَ عباد الرَّحمن ﷺ بقيام الليل، قالَ تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾(٥).

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الصِّدِّيقَةُ بنت الصِّديق؛ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ! فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ! وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ! قَالَ ﷺ:

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الصيام) باب «فضلِ صَوْمِ المُحَرَّمِ».

(٢) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب «إذا نام ولم يصلِّ بال الشيطان في أذنه».

(٣) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب «فضل قيام الليل».

(٤) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

« أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا » فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّىٰ جَالِسًا؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ، فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ (١).

وهذا يدل علىٰ أنَّ الشُّكرَ لا يكون باللِّسان فحسب، وإنَّما يجب يكون بالقلب واللِّسان والجوارح معًا؛ فقد قام النَّبيُّ ﷺ بحقِّ العبودية للهِ تعالىٰ علىٰ وجهها الأكمل وصورتها الأتم، مع ما كان عليه من مهمة نشر الإسلام وتبليغه، وتعليم المسلمين أحكام دينهم، والجهاد في سبيل الله، والقيام بحقوق النَّفس والأهل والذُّرية.

فعَنْ حُذَيْفَةَ بنْ اليمان – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ ﷺ:

« سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: « سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ » فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ (٢).

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التفسير) باب « ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ ».

(٢) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب « استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ».

صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّىٰ هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ! قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتَ أَنْ أَقْعُدَ، وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ [١].

قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (وفي الحديث دليل علىٰ اختيار النَّبِي لله تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظًا علىٰ الاقتداء بالنَّبِيِّ ﷺ وما هم بالقعود إلاَّ بعد طول كثير ما اعتاده).

فقد ذكر العلماء أسبابًا ظاهرة، وأُخرىٰ باطنة ميسرة لقيام الليل:

فأَمَّا الأَسباب الظَّاهرة؛ فأَربعة أُمور، هي:

- أَلا يكثر الأَكل؛ فيكثر الشُّرب، فيغلبه النُّوم، ويثقل عليه القيام.
- أَلا يتعب نفسه بالنَّهار بما لا فائدة فيه.
- أَلا يترك القيلولة بالنَّهار؛ فإنها تعين علىٰ القيام.
- أَلا يرتكب الأُوزار بالنَّهار؛ فيحرم القيام بالليل.

وأَمَّا الأَسباب الباطنة؛ فأَربعة أُمور - أَيضًا - هي:

- سلامة القلب عن الحقد علىٰ المسلمين، وعن البدع وفضول الدُّنيا.
- خوف غالب يلزم القلب، مع قصر الأَمل.
- أَن يعرف فضل قيام الليل.
- الحبُّ لله تعالىٰ، وقوة الإيمان، بأَن لا يتكم في قيامه بحرف إلاَّ وهو مناج ربَّه؛ جلَّ في عُلاه.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب «استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل».

الصفةُ الرابعةُ: الخوف من عذاب الله تعالىٰ؛ أنَّهُم يقولونَ في دعائهم لربِّهم: ربَّنا اصْرِف عنَّا عذابَ جهنَّمَ إنَّ عذابَها كانَ غرامًا إنَّها ساءَت مُستقرًّا ومُقامًا:

أَي: إنَّ عبادَ الرَّحمنِ؛ المؤمنين الصَّادقين القائمين بالليل: يدعونَ رَبَّهم - جلَّ جلاله - في قيامهم وسُجودهم تضرُّعًا وخشوعًا، وخوفًا ورجاءً؛ أَن يصرفَ عنهم عذابَ جهنَّمَ وأَهوالَهَا - التي لم يروها ولكن آمنوا بها بالغيب - لأَنَّ عذابها لا يُطاق، وأنَّه ملازم لصاحبه لا يتحوَّلُ عنه ولا يُفارقُهُ، وعذابُها هو أَشدُّ العذابِ علىٰ الإطلاق، ولا يستطيع أَحدٌ النَّجاةَ منه إلاَّ بإِذن الله - جلَّ وعلا - وأنَّها ساءَتْ مُستقرًا ومُقامًا، وأنَّها دارُ الذُّلِ والهوان، والعذابِ والخذلان، دارٌ أَهلُها أَهلُ البُؤْس والشَّقاءِ والنَّدامة والحسرة، والبُكاء.

فعباد الرحمن وجلون مشفقون من عذاب الله تعالىٰ خائفون من عقابه؛ لأَنَّهم يؤمنون بالله تعالىٰ واليوم الآخر وما فيه من الأَهوال والأَحوال وأَشدُّها عذاب نار جهنَّمَ؛ فيؤمنون بهذه النَّار العظيم التي وقودها النَّاسُ والحجارة أُعدد للكافرين والمذنبين، ويعرفون مدىٰ شدَّتها وفضاعتها وخزي حال أَهلها! فيستعيذون بالله تعالىٰ من شرها، ويلجأُون إليه سبحانه؛ مستجيرين مستغيثين، ضارعين خائفين وجلين: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ عذاب أَهل النَّار من الكفَّار والمنافقين؛ غرام ملازم لهم إلىٰ أَبد الآبدين، لو يريدون أَن يستريحوا منه لحظة! لا يجدون إلىٰ ذلك سبيل، ولا يموتون فيها حتىٰ يستريحون، ولا يحيون! فيلازمهم العذاب الدئم؛ بسبب كفرهم وشركهم بالله تعالىٰ.

قالَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - في وصف نار جهنَّمَ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾(٢).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: « فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا »(٣).

وقالَ ﷺ: « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ »(٤).

فمن عظمت أمر نار جهنَّم وعذابه؛ كان النَّبِيُّ ﷺ يستعيذُ باللهِ تعالىٰ منه في دبر كلِّ صلاةٍ، ويعلم ذلك أصحابه الكرام وأُمتهُ المرحومة.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة المرسلات، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب: « في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ».

(٤) رواه البخاري في (كتاب بدء الخلق) باب: « صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ».

«إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[1].

فعبادُ الرَّحمن المخلصينَ العاملين: يعلمونَ أنَّ دُعاءهم؛ سببٌ لتوفيقهم للهداية، والصِّراط المستقيم، وللإيمان الصَّادق، والعمل الصَّالح، وللتَّوبة، والاستغفار، والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ.

ومع هذا فهم لا يركنون إلىٰ أَعمالهم الصَّالحات! ولا يرونها الضَّمانَ، ولا الأَمن من عذاب جهنَّم، ولو كانت هذه الأَعمال كثيرةً وصادقةً؛ إن لم تَتَداركْهُم رحمةُ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - وفضلُهُ، ومغفرتُهُ، وعفوُه.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ!» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»[2].

فعباد الرَّحمن لا ييأَسُونَ من رحمة الله، ولا يؤمنون من مكره سبحانه؛ بل يطلبون منه - سبحانه - أَن يغفر لهم، وينجيهم من عذاب جهنَّم، ولا يغلب جانب الرَّجاء علىٰ جانب الخوفِ عندهم؛ فهم يراقبون أنفسهم دائمًا ويخافون عليه من سوء الخاتمة؛ بل يخافون علىٰ أَنفسهم النِّفاق والردَّ، وبهذا هم يتبعون هدي نبيهم ﷺ فيجمعون بين الخوف والرَّجاء.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب المساجد ومواضيع الصلاة) باب: «ما يستعاذ منه في الصلاة».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب: «القصد والمداومة على العمل».

الصفةُ الخامسةُ: الاعتدال في الإنفاق؛ أَنَّهُم إذا أنفقوا؛ لم يُسرفوا، ولم يَقْتُروا، وكان بين ذلك قوامًا:

أي: أَنَّ إنفاقهم في سبيل الله تعالىٰ – الواجب والمستحبُّ – وسط معتدل، لا إِسرافَ فيه، ولا تَضْيِيق.

● فعبادُ الرَّحمنِ؛ ليْسُوا بمبذِّرِينَ ولا مُسرفِينَ في إِنفاقهم؛ فلا يصرفون فوقَ الحاجة، ولا يزيدونَ علىٰ الحدِّ، ولذا لا يدخلون في قسم التَّبذير والإسراف، وإهمال الحقوق الواجبة؛ فالتَّبذيرُ والإسرافُ: ضياعٌ ومفسدةٌ للنَّفسِ والمالِ والمجتمع؛ لأَنَّهم يعرفون أنَّ المالَ نعمةٌ من اللهِ تعالىٰ، وأَنَّ العبدَ مسؤولٌ عنْ هذا المال من أَين اكتسبه وفيما أَنفقه؟ فيتصرفون فيه باعتدال وبحكمة وبتوسط؛ فلا تبذير وإسراف ولا تقتير.

والإسراف مجاوزة الحد؛ يتجاوز العبد الحد في الإنفاق! فيسرف في مأْكله وفي مشربه وملبسه، أَي يضع المال في الحرام والمعاصي! والمبذِّرونَ هم إخوان الشَّياطين؛ لأَنَّ الإسراف يجعل العبد يضيِّع ماله، ويبدده في سبيل عدوه الأَكبر الشَّيطان، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[١].

فعباد الرَّحمن ليس للشَّيطان عليهم سبيل؛ فلا يخدعهم! فيدفعهم للإسراف، ولا يخوِّفهم بالفقر، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

● وعبادُ الرَّحمن؛ ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ لم أي: يبخلوا أن يضعوا المال في مواضعه؛ فيؤدون الزَّكاة، ويصل الأرحام، وينفق علىٰ الفقراء والمساكين.

وهم ليسوا بُخلاءَ علىٰ أَهليهم؛ فلا يقتِّرونَ عليهم، ولا يُقصِّرونَ في حقِّهم؛ ولا يَكْفُونهم، فلذا لا يدخلون في باب البُخل والشُّحِّ؛ فالتَّقتير: داءٌ ومَفْسَدَةٌ، وهو حَبْسُ المال عن انتفاعِ صاحبه، أَو مَن حولَهُ، ويورثُ جحود النِّعمَةِ، ويبعث علىٰ الكذب، ويمزِّقُ شملَ الأُمَّة، ويزرَعُ العداوةَ فيما بينها، وهو وعدُ الشَّيطانِ لبني آدم.

فعباد الرَّحمن! لا يتَّصفون بصِّفات المسرفين، والسُّفهاء الطائشين المبذرين، ولا يتَّصفون بصفة البُّخلاء الجبناء؛ بل إنفاقهمُ التَّوسُّطُ والاعتدالُ، بين الإسراف والتَّقتير، وخيرُ الأُمور أَوسطُها، وهذا من عدلهم واقتصادهم، ومن اتِّباع هدي نبيِّهم ﷺ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾(١).

وهذه سِمَتُهُم! وهم يعيشونَ حياةَ التَّوسُّط بين الإفراط والتَّفريط، في كلِّ أَمرٍ من أُمورهم الدينيَّة والدُّنيويَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٢).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الصفةُ السَّادسة: البُعْد عن الشِّرك؛ أَنَّهم لا يدْعونَ مع الله إلهًا آخرَ:

أَي: لا يُشْرِكُونَ باللهِ - عزَّ وجلَّ - أَحدًا كائنًا مَن كانَ، ولا يصرفون شيئًا منَ العبادةِ لغيرهِ تعالىٰ؛ كالصَّلاة، والصِّيام، والزَّكاة، والحجِّ، والدُّعاء، والاستعانة، والنَّذر، والذَّبح، والتوكُّل، والخوف والرَّجاء، والحُبِّ، والإنابة، والخشية، والتَّذلُّل، وغيرها من أَنواع العبادة الظَّاهرة والباطنة؛ بل يعبدون الله - تبارك وتعالىٰ - وحدَهُ لا شريكَ له، له الملك، وله الحكم والأَمر، وله الحمدُ والشُّكرُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ مخلصين له الدِّين حنفاء علىٰ ملَّة أَبيهم خليلُ الله إبراهيم - عليه وعلىٰ جميع أَحفاده من الأَنبياء الصَّلاةُ والصَّلام - مقبلين عليه بكلِّ أَعمالهم وأَفعالهم، معرضينَ عمَّا سواه بكلِّ حالهم وأَحوالهم.

والتَّوحيد الخالص: الذي هو إفرادُ الله تعالىٰ وحدَهُ بالعبادة، وإخلاص العبوديَّة لله - جلَّ وعلا - وإفرادها له وحده، وتنزيه الله تعالىٰ عن الندِّ والشَّريك، والبراءةُ من الشِّركِ بجميع أَنواعه وأَشكاله؛ من أَهمِّ سِمَاتِ عباد الرَّحمن، وصفاتهم وميِّزاتهم.

فعبادُ الرَّحمنِ قومٌ موحِّدونَ، عاملونَ بعلمهم، قومٌ أَخلصوا دينهُم لله تعالىٰ، وأَسلموا له بكلِّ كيانهم، وأَقبلوا عليه بكلِّ قلوبهم؛ فأَصبحت كلُّ أَعمالهم - الظَّاهرة والباطنة - لله وحدَهُ لا شريكَ له، والتَّوحيدُ بهذا المعنىٰ هو الغاية التي من أَجلها خَلَقَ الله الخلق، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦

الصفةُ السَّابعةُ: البُعْد عن القتل؛ أَنَّهم لا يقْتُلونَ النَّفْسَ التي حرَّمَ اللّٰهُ تعالىٰ؛ إلاَّ بالحقِّ:

أَي: لا يقتلونَ النَّفسَ التي حرَّمها اللّٰه تعالىٰ، وذلك حمايةً للدماء والنُّفوس، وهي: النَّفسُ المسلمة، ومنه قَتْلُ الشَّخصِ لنفسه، وقتلُ الكافر المُعاهَد؛ لأَنَّ اللّٰه - جلَّ في عُلاه - قد حرَّم قتل النَّفس، فقالَ تعالىٰ:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[١].

وجعل حكم القصاص في شرعه الحكيم ملزمًا، وذلك حمايةً للنُّفوس والحفاظ عليها، قالَ اللّٰهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

وشدَّد اللّٰه تعالىٰ الوعيد علىٰ مَن يقتل بغير حقٍّ، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٣].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللّٰهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ؛ اِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٤) رواه مسلم في (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات) باب «ما يباح به دم المسلم».

وَعَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ، هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ قَالَ: قُلْتُ أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي يَا أَحْنَفُ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» قَالَ: فَقُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ! فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ**»[1].

وتزولُ هذه العصمةُ من العبد؛ بحقِّ الله - تبارك وتعالىٰ - عليها، وهذه الحقوق هي:

- القصاص: أي: قتلِ النَّفسِ بالنَّفس.
- وقتلِ الزَّاني المحصن رَجْمًا.
- وقتلِ المرتَدِّ عن الدِّين.
- وقتلِ الذينَ يسعون في الأَرض فسادًا؛ كقطَّاع الطُّرُقِ الذين يسلبون النَّاس ويقتُلونَهُم.
- وقتلِ الكافر الذي يحِّلُ قتلُه؛ كالمحارب لدين الإسلام ولأَهله، والذين يقفون في طريق دعوة الإسلام، ويمنعون تبليغها وانتشارها.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الفتن وأشراط السَّاعة) باب «اذا تواجه المسلمان بسيفيهما».

الصِّفةُ الثامنةُ : البُعْد عن الزِّنا ؛ أَنَّهم لا يَزْنُون :

أَي : أَنَّ فعلَ الزِّنا ! لا يكونُ من عاداتِ عبادُ الرَّحمنِ وأَفعالهم، وأَنَّهم لا يقعونَ في جريمة الزِّنا مع امراةٍ من غير عقدٍ شرعيٍ؛ بل يحفظونَ فروجَهُم من هذا العمل القبيح الخبيث الفاحش، وهم يتحرَّجونَ من الزِّنا والوقوع فيه؛ لأَنَّ الله تعالىٰ قد حرَّمه، وشدَّد في تحريمه والنهيٰ عنه، وشدَّد في العقوبةِ عليه، وجعله محرَّمًا في كلٍّ ما أَنزل من الشَّرائع؛ لأَنَّه من أَكبر الكبائر بعد الشِّرك والقتل، وهو رجس وفاحشة مهلكة، وجريمة موبقة تنفر منها الطبائع السَّليمة، وهو فساد لا تقف جرائمه عند حد ولا تنتهي آثاره ونتائجه إلىٰ غاية، وهو ضلال في الدِّين وفساد في الأَخلاق، وانتهاك للحرمات والأَعراض وإستهتار بالشَّرف والمروءة، وداعية للبغضاء والعداوة، والوقوعُ فيه؛ إِثمٌ كبيرٌ، وذنبٌ عظيمٌ؛ فلا يَمحوه إِلاَّ التَّوبة الصَّادقة.

فقد حرَّم الله – تباركَ وتعالىٰ – جريمةُ الزِّنا في شرعه الحكيم بكلِّ أَنواعها، ونهىٰ عن الخُطوات التي تسبقها وتؤدي بالوقوع بها، وبينَ قُبحها وفسادها، وحذرا العباد من الوقوع فيها، وذلك لصيانة الأَعراض والأَفراد والمجتمعات من هذه الجريمة النُّكراء، قالَ الله تباركُ وتعالىٰ:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

ولعظيم شناعة جريمةُ الزِّنا والوقوع فيها؛ فإِنَّ اللهَ – جلَّ وعلا – لم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

ينهىٰ عن الوقوع فيه فحسب! بل نهىٰ عن القرب منه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٢).

وقالَ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»(٣)(*).

وقالَ ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا»(٤).

والزِّنا مراتبٌ متفاوتة، قد ذكرها العلماء:

فالزنا بأَجنبية لا زوج لها عظيمٌ، وأَعظم منه بأَجنبية لها زوج، وأَعظم منه بمحرمٍ، وزنا الثَّيب أَقبح من البكر بدليل اختلاف حديهما، وزنا الشَّيخ لكمال عقله أَقبح من زنا الشَّاب، وزنا الحر والعالم لكمالهما أَقبح من زنا العبد والجاهل.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم».

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ ارادة نفي كماله».

(٤) رواه مسلم في (كتاب العلم) باب «رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان».

(*) «عائل» هو الفقير.

الصفةُ التَّاسعةُ: البُعد عن شهادة الزُّور والكذب؛ أنَّهم لا يَشهدون شهادة الزُّور:

أي: أنَّ عبادَ الرَّحمنِ! لا يحضرونَ مجالسَ الزُّور، ويتجنبونها، ولا يدخلونها البتَّة، ولا ينظرونَ إليه، ولا يتكلَّمونَ به، ولا ينطقونه؛ بل يبغضُون هذه المجالس، ويكرهونها، ويحذرون منها.

وشهادةُ الزُّور: هي كلُّ قولٍ وفعلٍ محرَّم، أي: يشمل جميعَ المحرَّمات، والمعاصي، والكبائر، والذُّنوب.

وعبادُ الرَّحمن؛ يتجنَّبونَ جميعَ هذه المجالس المشتملة علىٰ الأَقوال والأَفعال المحرَّمة؛ كمجالس الشِّرك بالله تعالىٰ، والخوض في آياته بغير علمٍ، والجدال الباطل العقيم، والغيبة، والنَّميمة، والسَّب، والشَّتم، والقذف، والاستهزاء، ومجالس اللهو المحرَّم، والغناء والرقص المحرَّم، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وفرش الحرير، والصُّور، وشهود أَعياد المشركين والكفَّار، ونحو ذلك.

وشهادةُ الزُّورِ؛ داخلةٌ في قول الزُّور، وهي الميلُ عن الصِّراط المستقيم والصِّدق والعدل، وهي شهادةُ كاذبةٌ، وباطلةٌ، وظالمةٌ، شديدةُ القبح، وسَيِّئةُ الأَثر؛ بل هي من أَخطر وأَقبح صور الكذب، التي تُغيِّرُ وجه الحقِّ.

وشهادة الزُّور هي أَن يشهد الإِنسان بغير الحقِّ! فهي سببٌ لزرع الأَحقاد والضغائن في القلوب؛ لأَنَّ فيها ضياع حقوق العباد وظلمهم وطمس معالم العدل والإِنصاف ومن شأْنها أَن تعين الظَّالم علىٰ ظلمه، وتعطي الحقَّ لغير مستحقه، وتقوض أَركان الأَمن، وتعصف بالمجتمع وتدمره.

قالَ تعالىٰ: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾(٢).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ!» ثَلاَثًا. قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا! فَقَالَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا؛ حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ!!(٣)(*).

وشهادة الزُّورِ؛ لا تصدُرُ عن آحاد المؤمنينَ؛ فكيف تصدُر عن عباد الرَّحمن، وإذا كانوا لا يشهدون الزُّور؛ فمن باب أَولىٰ وأَحرىٰ أَن لا يقولوه ولا يفعلوه؛ لأَنَّ قلوبهم لا يشغلها إلاَّ ذكر الله - عزَّ وجلَّ - ومحبَّته، فلا مكان لهذه المجالس السَّيئة وأَهليها في قلوبهم النيِّرة.

فطوبىٰ لهؤلاء الصَّفوة الأَخيار الغرباء الأَبرار.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٠.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الشهدات) باب «ما قيل في شهادة الزور».

(*) قالَ الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في قول الراوي «وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا!»: (يشعر بأَنَّه اهتم بذلك حتىٰ جلس بعد أَن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزُّور وعظم قبحه، سبب الاهتمام بذلك كون قول الزُّور، أَو شهادة الزُّور أَسهل وقوعًا علىٰ النَّاس، و التهاون بها أَكثر؛ فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأَمَّا الزُّور فالحوامل عليه كثيرة؛ كالعداوة والحسد وغيرها، فاحتيج للاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلىٰ ما ذكر معها من الإشراك قطعًا؛ بل لكون مفسدة الزُّور متعدية إلىٰ غير الشَّاهد بخلاف الشِّرك فإنَّ مفسدته قاصرة غالبًا؛ بل إنَّ رسول الله ﷺ حذر من الزُّور وقوله والعمل به؛ حتىٰ قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» رواه البخاري).

الصفةُ العاشرةُ: حُسْنُ الْخُلقِ؛ أَنَّهم إذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِرامًا:

أَي: أَنَّ عبادَ الرَّحمنِ! لا يقصدُونَ مجالسَ اللَّغو البتَّة، ولا يحضُرونَه، وإذا قُدِّرَ لهم أَن مرُّوا بها من غير قصدٍ؛ أَسرعُوا الخُطَا، حتىٰ لا تَتَلوَّثَ أَسماعُهم، ولا أَبصارُهم، ولا أَفئدتُهم؛ بأَفعال أَهل هذه المجالس من اللَّغو، والباطل، والعبث، والصَّدِّ عن ذكر الله تعالىٰ، ويُنَزِّهونَ أَنفُسهُم، ويُكرمونَها عن الخوض فيها، وعن تضييع أَوقاتهم بها، ويمرون عليها كرامًا، ومرورًا عابرًا؛ غير مستأْنسين بها، لا مرورَ تطفُّلٍ ومقامٍ؛ بل ينكرونها، وينكرونَ أَفعال أَهلها، ويبغضونها، ويتبرَّؤُون إِلىٰ الله تعالىٰ منها، ولا يرضونه لغيرهم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾(١)(*).

وذلكَ لأَنَّ عبادَ الرَّحمن مؤمنون صادقون؛ فيتحلَّونَ بصِفَات النُّبوَّةِ من حُسْنِ الْخُلقِ والآدب، وعلُوِّ الهمَّة والنيَّة، وتقوىٰ الله تعالىٰ في السِّرِّ والعلانية؛ التي يترفعون بهذه الصِّفَات الجليلة العزيزة عن محقَّرات الأُمور وصغائرها، ويَنْشُدُونَ بها معالي الأُمور وكمالاتها، ويعلمون أَنَّ الصَّغائر

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(*) قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (أَيْ لا يُخَالِطُونَ أَهْله وَلا يُعَاشِرُونَهُمْ؛ بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ وإِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمْ سَفِيه! وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لا يَلِيق بِهِمْ الْجَوَاب عَنْهُ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنْ الْكَلام الْقَبِيح وَلا يَصْدُر عَنْهُمْ إِلاَّ كَلام طَيِّب، وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ لَنَا أَعْمَالنَا وَلَكُمْ أَعْمَالكُمْ سَلام عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ أَيْ: لا نُرِيد طَرِيق الْجَاهِلِينَ وَلا نُحِبّهَا).

والمحقَّرات؛ من دناءة النَّفس وانحطاط همَّتها، وهذا لا يفعَلُهُ عزيزو النُّفوسِ، وكبيرو القلوب، قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفهم:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾(١).

وعبادُ الرَّحمنِ! يفقهونَ حقًّا، ويعملون صدقًا؛ بمعنىٰ قول الله تعالىٰ:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾(٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٥).

وقول النَّبِيِّ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ»(٦).

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة ق، الآية: ١٨.

(٦) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «حِفْظِ اللِّسانِ».

وقوله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»[١].

فإذا حسن إسلام العبد! ترك ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال، وحفظُ اللِّسان وأُذنيه من لغو الكلام.

واللَّغْوُ: هو ما لا يعتد به من الأقوال والأفعال، ولا يحصل منه علىٰ فائدة ولا نفع، ولا خيرَ يرجىٰ منه، ولا فائدةَ تحصُلُ من ورائِهِ، ولا ينفعُ صاحِبَهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه؛ ككلام السُّفهاء من المُغَنِّين، والمهرِّجين، والقصَّاصينَ، ونحوهم، ولغو الكلام: هو ما يبدر من اللِّسان، ولا يراد معناه.

واللَّغو نوعان: لغو ليس فيه فائدة ولا مضرة، ولغو فيه مضرة؛ أَمَّا الأَوَّل فلا ينبغي للعاقل أَن يُذهب وقته فيه؛ لأَنَّه خسارة. وأَمَّا الثاني؛ فإِنَّه يحرم عليه أَن يمضي وقته فيه؛ لأَنَّه منكر محرم.

وقد كان السَّلف الصَّالح مثالاً أَعلىٰ في تطبيق صفات المؤمنين من عباد الرَّحمن؛ فقد روىٰ الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: (عن ابن ميسرة: أَنَّ ابن مسعود - رضي الله عنه - مر بلهوٍ؛ فلم يقف، فقالَ رسُول الله ﷺ: «لَقَدْ أَصْبَحَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَمْسَىٰ كَرِيمًا» ثم تلا إبراهيم بن ميسرة: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾).

فالبعدُ عن اللَّغو وأَهله ومجالسه! من أَركان الفلاح والنَّجاح والسَّداد، ودلائل الكمال والرُّشد، وجمال العقل، وعين الحكمة، وتوفيقٌ من الله تعالىٰ، وهو من صفات عباد الرَّحمن المؤمنون الصَّادقون؛ الذين

(١) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) وصححه الألباني.

حصلت لهم العزَّة والسِّيادة والقيادة والكرامة في الدُّنيا؛ فاستخلفهم الله تعالىٰ في الأرض، ومكن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم، ونشروا العدل والأمن والرَّخاء في أنحاء المعمورة؛ فسُعدَ الخلق بإيمانهم وعدلهم وإحسانهم، وهم فازوا برضوان الله - جلَّ في عُلاه - وبجنَّته دار النَّعيم والكرمة في الآخرة، وتحقق فيهم وعد الله تعالى بقوله في كتابه العزيز:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

وما أجدر بنا - أخي المسلم الكريم - أن نقتدي بسلفنا صالح في التَّحلي بصفات المؤمنين الصَّادقين؛ عباد الرَّحمن المخلصين، وفي تطبيقهم لأحكام الدِّين بكلِّ صغيرةٍ وكبيرة؛ لتحصل لنا ما حصل لهم من العزَّة والكرامة في الدُّنيا، والثَّواب والفوز في الآخرة، نسألُ الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يوفقنا لذلك؛ بمنه وكرمه وإحسانه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[3].

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ١٨.

الصفةُ الحادية عشرةَ: قبول المواعظ؛ أَنَّهم إذا ذكِّروا بآيات ربِّهم لم يَخِرُّوا عليها صُمًّا وعُمْيانًا:

أي: أَنَّ عبادَ الرَّحمن؛ إذا ذُكِّروا بآيات ربِّهِمْ - الذي أَمرهم باستماعها والاهتداء بها - خرُّوا سُجَّدًا لله تعالىٰ؛ سامعين لها ومبصرين، ومتفهِّمينَ لما تتضمَّنُ هذه الآياتُ الكريمات من الهُدىٰ والنُّور، ومتدبِّرين لدلالاتها وأَحكامها؛ بقلوبهم الواعيَة، ويُقابلونَها بالقبول والافتقار، والرضىٰ والتَّسليم، والفرحِ والسُرور.

ولا يُقابلونها بالإعراض عنها، والصدِّ عن سماعها، وصَرفِ النَّظر والقلوب عنها، كما يفعلُه من لم يؤمن ولم يصدِّق بها، أَو من يكونُ عنها من الغافلين، أَو كالمنافقين الذين يخرُّون عليها خرورًا جسديًا فقط، مشاركةً لِمَن حولهم من المسلمين، وهم عن دلالاتها صمٌّ وعميانٌ، وقلوبُهُم ونفوسهم لم تخضع ولم تسجُد؛ بل هي كافرةٌ مستكبرة.

وكأَن الآيةُ الكريمةُ فيها التعريض بهؤلاء الذين إذا ذكروا بأَيات ربِّهم خروا عليها صُمًا وعُميانا، وهؤلاء هم أَعداء الله تعالىٰ الذين لا يسمعون ولا يستجيبون؛ بل يبتعدون عن آيات الله تعالىٰ، وسقوطهم وخروجهم؛ يعني إعراض عن الله تعالىٰ.

أَمَّا عباد الرَّحمن؛ فهم مقبلونَ علىٰ رَبِّهم - جلَّ وعلا - مطيعون له سبحانه حقَّ طاعته! إذا ذكروا تذكروا واتعظوا وأَقبلوا؛ فخرورهم هنا معنوي وكناية عن إقبالهم علىٰ الله تعالىٰ، يستمعون كلام ربِّهم، وهم يعون ذلك، ويفهمون ذلك؛ فهم أَقبلوا حقًّا علىٰ آيات ربِّهم، وحالهم مع آيات ربِّهم عند سماعها هي كما وصفهمُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[٤].

فهذه الآيات بيانٌ لعبادة عباد الرَّحمن! كيف يعبدون ربَّهم – جلَّ في عُلاه – وكيف يتقربون إليه، وكيف يستمعون النَّصيحة من كتاب الله تعالىٰ، ومن هدي رسُوله الأمين ﷺ فإذا ذُكِّرُوا تذكَّرُوا، وإذا ذَكَرُوا لم ينسوا، فإذا ذُكِّرُوا بآيات الله تعالىٰ أقبلوا عليها بقلوبهم ووجوههم وعقولهم متفهمين متدبرين واعين متعظين منتفعين بها.

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ – ١٦
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧ – ١٠٩.

الصفةُ الثانيةُ عشرةَ: صفةُ دعائهم وابتهالهم لله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾:

هذا هو دعاء عباد الرَّحمن؛ يدعون ربَّهم - جلَّ في عُلاه - وهم مقنون بالإجابة، ويرجون رحمته وفضله وعطائه، يدعون ربَّهم دعاء ينفعهم فى الدَّارين؛ فهم يسألُونَ الله تعالىٰ خيري الدُّنيا والآخرة:

● فمنَ الدُّنيا: * فهم يدعون الله - تبارك وتعالىٰ - أَن يهبَ لهُم من أَزواجهم وذُرِّياتهم قُرَّةَ أَعينٍ؛ تَقَرُّ أَعينُهم وتُسُرُّ وتَرضىٰ بهم، ولا يكونون كذلك ما لم يكونوا من عباد الله الصَّالحينَ العاملين، والمتَّقينَ الأَخيار؛ فصلاحُ الأَزواج والأَبناء قُرَّةُ عين المؤمن في الدُّنيا والآخرة:

فمنَ الأَزواج؛ مخافةُ الله في السرِّ والعلانية، وطاعتُهُ - سبحانَهُ - في ما أَمَرَ وما نهىٰ، وحُسنُ الخُلق والمعاشرة، وحُسن التربية للأَولادِ والأَجيال، وطاعة الزَّوج، وجميعُ الصِّفاتِ الحميدة؛ التي يرضها ربُّنا تعالىٰ.

ومن الأَبناء والذُّرية؛ فيدعون الله تعالىٰ أَن يكونوا من عباده الصَّالحين العاملين، المقيمين للصَّلاة والمحافظين عليه، والمطيعين له - سبحانه - ومهتدين بهدي رسوله الأمين ﷺ، وأَن يكونوا منَ الموفَّقينَ السُّعداء في حياتهم، ومن الذين يبرُّن أَبائهم ويدعون لهم بالخير والذكر الحسن.

* ثمَّ يدعوا عباد الرَّحمن ربَّهم - سبحانه وتعالىٰ - أَن يجعلهم أَئمَّةً للمتقين! وهذا دعاءٌ عظيمٌ؛ بأَن يكونَ العبدُ إمامًا لأَهل التَّقوىٰ! فضلاً أَن يكون إمامًا للمؤمنين، أَو المسلمين، أَو لجميع النَّاس؛ فهذه درجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ نادرةٌ وعزيزةٌ للعبدِ المؤمن الصَّادق؛ لأَنَّه إذا اقتدىٰ به النَّاس! فكل عمل صالح يعملونه يكون له أَجر فيه دون أَن ينقص من أُجورهم شيئًا،

وقد يموت العبدُ ومازال الأحياء يعملون ما علَّمهم إيَّاهم من العلم النَّافع والعمل الصَّالح؛ فيصل أجر هذه الأعمال إليه بعد موته، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»[1].

فعبادُ الرَّحمن! هم حقًّا وصدقًا أئمَّة في الخير؛ حتىٰ في إرشاد النَّاس بكيفة الوصل إلىٰ درجة الإمامة؟! فبكثرة دعاء العبد لربِّهم – سبحانه – والتبتل إليه، والوقوف بين يديه يجعله الله تعالىٰ إمامًا يُقتدىٰ به في الخير.

● ومنَ الآخرة: فعبادُ الرَّحمن؛ يسألونَ الله تعالىٰ أن يوفِّقهُم إلىٰ أن يكونوا من عباده المتَّقينَ الأبرار، المحسنينَ الأخيار، الصَّالحين العابدين، الطَّائعين العاملين بأوامر الله تعالىٰ وبسُنَّة رسُوله الأمين ﷺ، وأن يجعلهم أئمَّةً يُقتدىٰ بعلمهم وعملهم، وبأقوالهم وأفعالهم، وبخلقهم وهديهم؛ حتىٰ ينالوا بها صحبة الأخيار في الجنَّة الخلد مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقا.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[2].

فعباد الرَّحمن يسألونَ الله – تبارك وتعالىٰ – أمتع ما في الحياة الدُّنيا، وأرفعَ مرتبةٍ إيمانيةٍ؛ تهيِّئُهم لأرفعِ منزلةٍ، وأنعمها في الدَّار الآخرة.

---

(١) رواه النسائي في (كتاب الزكاة) باب «التحريض على الصدقة». وصححه الألباني.
(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

● جزاءُ عباد الرَّحمن في الآخرة:

قال الله – تبارك وتعالىٰ – في محكم التَّنزيل:

﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٧٥ – ٧٦.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٦٠ – ٦٣.

(٣) سورة الصف، الآيات: ١٠ – ١٢.

وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(٤).

فهنيئاً لمن اتَّصف بصِفَات عباد الرَّحمن، ثمَّ رضي عنه المنان، ونجا به من النِّيران، ونال شرف دخول الجنان، وجاور فيها الأَخيار.

---

(١) سورة الأَعراف، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) سورة الرعد، الآية، ٣٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٨.

(٤) سورة الزمر، الآيتان: ٧٣ ـ ٧٤.

٢- أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: من صفاتهم أَنَّهم يؤمنونَ بالغيب:

الْغَيْبُ: هو خلاف الشَّهادةِ، وهو كلُّ ما غابَ عن الإنسان في هذا الكون الواسع! ممَّا لا يعلَمُه إلاَّ الله تعالىٰ؛ فإنَّه لا يغيبُ عنه شيءٌ في هذا الكون الرَّحب الذي لا يعلمُ مدها وعظمتها إلاَّ هو - سبحانه - ولا يَعزبُ عن علمه مثقالُ ذرةٍ في السَّموات والأَرض.

والكون: هو هذا العالم الواسع الذي نعيش فيه، وما فيها من جميع المخلوقات، ويطلق عليه اسم العالَم. والعالَمُ: هو ما سوىٰ الله تعالىٰ من المخلوقات؛ فكلٌ موجودٍ عدا الله تعالىٰ هو عالَم. والعالم نوعان:

* **عالم الشَّهادة**: هو ما تدركُهُ حواسُّ الإنسانِ، وتبصره أَعيُنه من أَجسام، وأَرض، وسماء، وكلٌ ما هو كائنٌ من حوله، والعلم عند إدراكه علم ضروريٌّ لا يتوقَّفُ علىٰ استدلالٍ، أَو نظر عقلي، ويشارك الإنسان في ذلك من المخلوقات الحيوانات.

* **عالمُ الغيبِ**: هو خلاف عالم الشَّهادةِ، ممَّا لا يبصره الإنسان ولا يدركه بحواسه القاصرة، ولا بمداركه المحدودة الوسائل، وهو العالم الذي غابَ عن حواسِّ الإنسان؛ سواءٌ كان محصَّلاً في القلوب أَم غير محصَّل، ولا يمكن معرفته إلاَّ بالخبر الصَّادق من الله تعالىٰ عن طريق الأَنبياء والرُّسُل - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - أَو يهتدي العبد لبعضها عن طريق العقل والفطرة السَّليمة؛ كوجود الله تعالىٰ، ويبقىٰ بعضها سرًّا لا يعلمه إلاَّ الله العزيز اللطيف الخبير.

والغيب ليس عدمًا أَو غير معقول؛ لأَنَّه يقابل الشَّهادة ويمكن إحساسه من قبيل العبد في الدُّنيا أَو في الآخرة، ولا يلزم من تَعَذُّرِ رُؤْيَةِ الشَّيء في

حالٍ تعذُّر رُؤْيَتِهِ في حال أُخْرَىٰ؛ بل قد يُرىٰ الشَّيءُ في حالٍ دون حال، وقد جمع الله تعالىٰ بين الكلمتين «الغيب والشَّهادة» كثيرًا في القرآن كما قوله تعالىٰ: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾(٢).

فعالم الشَّهادة هو العالم الذي نشهد وجوده، وعالم الغيب هو عالم موجود، ولكنه غائب عن حواسنا، ومن هنا يظهر لنا جليًّا خطأ الذين يعتبرون الإيمان بالغيب إيمانًا بشيء غير معقول، أَو إِيمانًا بشيء معدوم.

والإيمان بالغيب هو ميزان الخشية؛ إذ الخشية في الغيب أفضلُ بكثير من الخشية بالشَّهادة، والغيب هو العقبة التي يجتازها الإنسان من مرتبة الحيوان - الذي لا يدرك إلاَّ ما تدركه حواسه - إلىٰ مرتبة الإنسان الذي يدرك الوجود الذي حوله؛ أنَّه أكبر وأَشمل وأَعظم من ذلك الحيز الصَّغير المحدود بالحواس القاصرة.

فحقيقةُ الإيمان بالغيب: هو التَّصديقُ الجازمُ، والتَّسليمُ التَّامُّ، والإقرارُ الكاملُ، والإيمانُ المطلَقُ؛ بكلِّ ما أَخبرَ به الله تعالىٰ من الأُمور الغيبيَّةِ، وبما أَخبرَ به رسولُه المعصومُ ﷺ المتضمِّنُ لانقيادِ الجوارحِ والأَركانِ؛ كالإيمانِ باللهِ - تبارك وتعالىٰ - وبأسمائِهِ وصفاتِهِ، والإيمانِ بملائكتِهِ، ورسُلِهِ، وكُتبِهِ، وأَخبارِ الأُمم السَّابقَةِ، والإيمانِ بالجنِّ، والشَّياطين، وغيرها.

والإيمانُ بما سيكونُ في مستقبَلِ الزَّمانِ؛ مِنَ الإيمانِ بالقدَر خيره وشرِّه، والإيمان بالرُّوح، وبالحياةِ بعدَ الموتِ، وعذابِ القبرِ، والسَّاعةِ وما فيها من الأَهوالِ، واليومِ الآخِرِ، وما فيه من حقائقَ ومقوِّمات؛ كالبعثِ، والحشر،

---

(١) سورة المؤمن، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

والنشر، والحساب، والميزان، والصِّراط، والجنَّة ونعيمها، والنَّار وما فيها من العذاب، وكذلك ما جاء في القرآن عن خلق السَّمٰوات والأَرض، إلىٰ غير ذلك من الأُمور الغيبيَّةِ، ممَّا أَخبرَت بها الشَّريعةُ الغرَّاءُ؛ فكلُّ ذلك من عالَمِ الغيبِ؛ فمَن أَنكرَ شيئًا منها؛ فقد كَفَرَ، وخَرَجَ من ملَّة الإسلام.

وأَخبرَ الله تعالىٰ في كتابه العزيز بأَنَّ الإيمانَ بالغيبِ من صفاتِ عباده المؤمنين المتَّقينَ العاملينَ بعلمهم؛ الذينَ لا يتردَّدُونَ في إيمانهم، ويُسلمونَ للهِ تعالىٰ ولأَوامره؛ تسليمًا تامًّا، فقال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وأَصلُ الإيمانِ بالغيبِ؛ هو الإيمانُ بالله - تبارك وتعالىٰ - وباقي مسائل الغيب تَبعٌ له، وفرعٌ منه، ومبنيٌّ عليه، وعباد الرَّحمن المؤمنونَ المتَّقونَ يؤمنونَ بالغيب إيمانًا مطلقًا بالأَدلَّةِ النقليَّةِ والعقليَّةِ القطعيَّة؛ بأَنَّ الله تعالىٰ هو رَبُّ العالمين، ورَبُّ كلِّ شيءٍ ومَليكُهُ، وهو الإلهُ الحقُّ وحدَه لا شريك له؛ إلَهُ الأَوَّلينَ والآخرينَ، مالكُ يوم الدِّين، خالقُ الكونِ ومدبِّرُه، والمحيي والمميتُ، الرزَّاق ذو القوَّةِ المتينِ، له الأَسماءُ الحُسنىٰ والصِّفاتُ العُلىٰ، ومُنَزَّهٌ عن جميعِ صفاتِ النَّقصِ - سبحانه - لأَنَّ ما نُشاهِدُهُ من الآياتِ الباهراتِ والبراهين السَّاطعات، وما نَجِدُهُ من آثارِ الله تعالىٰ

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

الفعليَّة؛ تدلُّ دلالةً قطعيَّةً علىٰ أَنَّ لهذا الكونِ - العظيمِ البديعِ الرَّحب - خالقًا رازقًا، مدبِّرًا لأَمره، مُنَفِّذًا فيه مشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكُن؛ فهم يؤمنونَ باللهِ تعالىٰ، وإِن لم يُدْرِكُوا ذاتَه، وكيفيَّاتِ أَفعاله.

فعبادُ الرَّحمن! يؤْمنونَ باللهِ تعالىٰ، ويُوَحِّدُونَهُ بربوبيته، أَي: بأَفعالهِ العظيمةِ الحكيمةِ الجليلةِ، وبأُلوهيَّته، أَي: استحقاقِهِ وحدَهُ للعبادَةِ والإِخلاص، وبأَسمائه وصفاته، أَي: الإِيمان بها كما جاءت من غير تعطيلٍ، أَو تأْويلٍ، أَو تشبيهٍ، أَو تكييفٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3].

وعبادُ الرَّحمن! من المؤمنين الصَّادقين يؤمنون بأَنَّ الغيبَ المطلقَ الشَّاملَ للأُمورِ كلِّها - كلياتِها وجزئياتِها وظواهرِها وبواطنِها - لا يعلمُهُ إِلاَّ الله تعالىٰ - اللطيفُ الخبيرُ - وإِنَّه استأْثَرَ بهذا العلم لنفسه - جلَّ في عُلاه - ونفاه عمَّن سواه من خلقه؛ فعلمُ الغيبِ علىٰ وجه الإِحاطةِ به، وعلمُ مفاتيحه؛ من خصائصِ الله - جلَّ شأْنه - ويعجز كلُّ مخلوق عن علمه؛ لأَنَّه يغيبُ عن الحواس والعقول معًا؛ فهو محجوبٌ عن الخلق جميعًا، ولا

(١) سورة التغابن، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

يمكن لمخلوقٍ أن يعلَمَهُ مهما بَلَغَ من الأَمرِ، ولو كان مَلَكًا مُقَرَّبًا، أَو نبيًّا مرسَلاً، ومَن ادَّعىٰ هذا العلمَ بأيٍّ صُورةٍ من صُورها؛ فقد كَفَرَ بالله تعالىٰ بإجماع المسلمين، وخرج من ملَّةِ الإسلام، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾[٣].

وعبادُ الرَّحمن يؤمنون بأَنَّ مفاتيحَ الغيبِ التي لا يعلمه إلاَّ الله تعالىٰ، هي خَمْسَةٌ: علمُ السَّاعة، وإنزالُ الغَيْثِ، وعلمُ ما في الأَرْحامِ، والكَسْبُ في المستقبَلِ، ومكانُ الموتِ، وهذا العلمُ لا سبيل إليه بالوحي، ولا بغيره؛ فهو محجوبٌ عن جميعِ الخلقِ، حتَّىٰ الأنبياءِ والرُّسُلِ والملائكةِ المقرَّبين.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٥].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٥٥.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٦.
(٣) سورة الجن، الآية: ٢٦.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

٣- أهلُ الإيمان الصَّادق: من صفاتِهم أنَّهم يقيمونَ الصَّلاة:

فإنَّ الصَّلاةَ لها منزلةٌ كبيرةٌ، وشأنٌ عظيمٌ في الإسلام، لا تَعدلُها أيةُ عبادةٍ، وهي أول ما فُرض من العباداتِ، وهي أهمُّ ركنٍ في الإسلام بعدَ ركن التَّوحيد، وهي أفضلُ الأعمال وأحبُّها إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وقد عظَّم الله شأنها في كتابِهِ العزيزِ، وعظَّم أمرها وشرَّفها وشرَّف أهلها، وخصَّها بالذكر من بين سائر الطَّاعاتِ، ووصَّىٰ بها خاصَّتَهُ.

وقد جعلها النَّبيُّ الأمين ﷺ قُرةً لعينِهِ وراحةً لنفسِهِ، وعلَّمَ أصحابَهُ الكرامِ - رضي الله عنهم - فضل الصَّلاة، وصفة إقامتها، وحذَّرهم ﷺ من إضاعتها والتهاون في إدائها، وبذلك خشعت قلوبهم وجوارحهم، واستقام سلوكهم، وحسنت أخلاقهم، ولذا كانوا هُمُ السَّادة والقادة، ولانَشُكُّ بأنَّ الصَّلاةَ الصَّحيحةَ الخاشعةَ من أبرزِ الأسبابِ المؤديةِ لنصرِ الأُمَّةِ؛ فإنَّها سبيل الفلاح والنَّجاةِ في الدَّارينِ.

والصَّلاةُ هي عمادُ الدِّينِ الذي لا يقوم إلاَّ به، وإذا سقطَ العمودُ سقطَ ما بُنيَ عليه، وهي أوَّلُ ما أوجبَهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ العباداتِ، وهي أعظمُ فريضةٍ بدنيَّةٍ؛ مِمَّا يدلُّ علىٰ عظمِ شأنها أنَّ اللهَ لم يفرضها في الأرض بواسط جبريل - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - كباقي العبادات، وإنَّما فرضها الله مشافهةً بدون واسطة بينه وبين نبيِّه ﷺ وذلك في ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع سموات، ولأهمِّيتها عندَ اللهِ تعالىٰ؛ قد فرضها خمسين صلاةً؛ ثمَّ خفَّفها - سبحانَهُ - إلىٰ خمسِ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ، إكرامًا لهذهِ الأُمَّةِ المباركةِ وإكرامًا لنبيِّها الأمين ﷺ؛ فهي خمسون في الميزان، وخمسٌ في العملِ، وهيَ أوَّلُ شيْءٍ يَسأَلُ عنها الله تعالىٰ عبادَهُ يوم الحسابِ!

وعن أنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في حَديثُ الإسراء الطويل، قالَ: فُرِضَتْ علىٰ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلواتُ ليلةَ أُسريَ بهِ خمسينَ، ثمَّ نقصتْ حتىٰ جُعلتْ خمسًا، ثمَّ قَالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

«يا مُحَمَّدُ! قَالَ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ»(١).

وقالَ اللهُ تعالىٰ عن أهميةِ الصَّلاةِ وفرضيتها ووجوبها علىٰ كلِّ عبدٍ:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾(٢).

وقال تعالىٰ: **﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾**(٣).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»**(٤).

وقالَ ﷺ: **«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانِ»**(٥).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب «ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وكلم الله موسىٰ تكليمًا﴾ النساء: ١٦٤».

(٢) سورة طه، الآية: ١٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

(٤) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب «ما جاء في حرمة الصَّلاة».

(٥) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب «بُني الإسلام علىٰ خمسٍ».

والصَّلاةُ: هِيَ الصِّلةُ بينَ العبدِ المسلمِ وَرَبِّهُ جلَّ وعلا، وهي عبادةٌ للهِ تعالىٰ مَخْصُوصَةٌ بفرائضٍ وسُنَنٍ؛ ذاتِ أقوالٍ، وأفعالٍ معلومةٍ؛ مِنَ القِرَاءَةِ، والتَّسْبِيحِ، وَالدُّعاءِ، وَالرُّكُوعِ، والسُّجودِ، والقيامِ، والجُلُوسِ، والاسْتِقْبَال لِلْقِبْلَةِ، مُفْتَتَحَةٌ بالتَكْبيرِ مُخْتَتَمَةٌ بالتَّسْليمِ، ولهَا شُرُوطٌ، وَأَرْكَانٌ، وَوَاجِبَاتٌ، وَسُنَنٌ.

والصَّلاةُ: واجبةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأُمَّةِ؛ علىٰ كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ، ذكرًا كان أو أُنثى، حُرًّا أو عبدًا، غنيًّا أو فقيرًا، مقيمًا أو مسافرًا، صحيحًا أو مريضًا؛ فلا تَسْقُطُ الصَّلاةُ عن المسلمِ بأيِّ حالٍ من الأحوال؛ إلاَّ أن يموتَ، أو يفقِدَ العقلَ الذي هو مناطُ التَّكليفِ، ولا تسقطُ حتىٰ في حال الخوفِ والمرضِ الشديدِ؛ فإنَّه يصلِّي علىٰ قدرِ استطاعته قائمًا، أو قاعدًا، أو مُضطجعًا؛ حتىٰ ولو لم يقدر أن يُصلِّي إلاَّ بأَنْ يُشيرَ بعينه، أو بقلبه فليفعل، ولا تسقطُ الصَّلاةُ إلاَّ عن الحائضِ والنُّفساءِ؛ حتىٰ يَطْهُرن، ولا تجبُ الصَّلاةُ علىٰ المجنونِ، ولا علىٰ الصبيِّ حتىٰ يَبْلُغَ، ولا علىٰ النائمِ حتىٰ يستيقظ.

والصَّلاةُ واجبةٌ خمسَ مرَّاتٍ في اليومِ والليلةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ، لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ...»(١).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عِنْدَمَا بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، قَالَ لَهُ: «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»(٢).

والصَّلاةُ: من أعظم أسباب دخول الجنَّة برفقة النَّبِيِّ ﷺ، وهي آخرُ وصيَّةٍ وصَّىٰ بها النَّبِيُّ ﷺ عند فراقه للدُّنيا، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرةَ في مَرَض موته، فكان يقولُ ﷺ: «الصَّلاةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيمانكُم»(٣).

والصَّلاةُ: عبادةٌ مشتملةٌ علىٰ عمومِ أنواع العبوديَّةِ؛ من اعتقادٍ في القلبِ، ونطقٍ في اللِّسانِ - من قراءةٍ وتسبيحٍ وتهليلٍ وتكبير - ومن عملٍ بالجوارح كالركوع والسُّجودِ، وعلىٰ الطهارةِ الحسيةِ مِنَ النجاساتِ، والطهارةِ المعنويةِ مِنَ الشِّركِ والكفرِ.

والصَّلاةُ: صلةٌ بين العبدِ وربِّهِ تعالىٰ تقف بين يديه - سبحانه - تُناجيه ويُناجيك، تدعوه فيسمع لدعائك؛ فيجب أن يؤدِّيها المسلمُ علىٰ طهارةٍ، فيقف بين يدي ربِّهِ كلَّ يومٍ طاهرًا خاشعًا متذللاً يشكر اللهَ علىٰ نعمِهِ، ويسألُهُ من فضلِهِ، ويستغفرُهُ من ذنوبِهِ.

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب الصلاة) باب «فيمن لم يوتر». وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الزكاة) باب «وجوب الزكاة».

(٣) رواه ابن ماجة في (كتاب الوصايا) باب «وهل أوىٰ رسول الله ﷺ». وصححه الألباني.

والصَّلاةُ : مفتاحها طهارة البدن والثوب والمكان الذي يُصلى فيه، والطهارة من الأحداث، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم، والخشوع وحضور القلب فيه فريضة .

والصَّلاةُ : تبدأ بطهارة الجسد، وتنتهي بطهارة الروح والنفس؛ فمن أداها بحقها كان له عند الله تعالىٰ عهد أَنْ يُدْخِلَه الجنَّة، ومن لم يُؤدِّها لم يكن له عند الله تعالىٰ عهد .

والصَّلاةُ : بخشوع القلب وتَذلُّلِه؛ تُقرِّبُ المسلمَ من ربِّه، وتنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، وتكفر السيئات، ويغفر الله تعالىٰ بها الذنوب فيما بينهما وما قبلها، وذكر الله - عزَّ وجلَّ - في الصَّلاة؛ كالروح في الجسد .

والصَّلاةُ : نورٌ ونجاةٌ تُنِيرُ للعبد سبيله في الدُّنيا والآخرة، ويرفع الله تعالىٰ بها الدرجات ويحط الخطايا ويمحوها، وانتظارها رباط في سبيل الله، وهي سببٌ من أَسباب نزول الرَّحمة مِنَ الله عزَّ وجلَّ .

والصَّلاةُ : شِعارُ المسلمِ، وعنوان المؤمن، وحذَّرنا الله تعالىٰ من إضاعَتِها، وذمَّ المضيعين لها والمتكاسلين عنها، وأَخبر تعالىٰ عن مصير من يضيعها، ومن فاتتهُ صلاةٌ؛ فكأنَّما وُتِرَ أَهلَهُ ومالَهُ .

والصَّلاةُ : أَمرنا الله تعالى بتنشئة الصِّغار عليها، وضربهم عليها إذا بلغوا سنَّ العاشرة؛ إذ لم يحافظوا عليها .

والصَّلاةُ : عونٌ للعبد علىٰ الشدائد والكُرُبات، والصبر علىٰ مشاقِ الحياةِ أَمر لا يتحمله؛ إلاَّ المحافظون عليها، وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ، أَو إذا نزلت بالمسلمين نازِلَةٌ؛ صلَّىٰ، وكان يقول ﷺ :

« قُمْ يَا بِلاَلْ ؛ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ »[١] .

والصَّلاةُ : فرضٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ مع الجماعة في المسجدِ ؛ إلاَّ لعذرٍ شرعي ، وأَفضلُ صلاة المسلم في بيته إلاَّ الفرائض الخمسة ، وانتظار الصَّلاة بعد الصلاة ؛ سببٌ لاستغفارِ الملائكة للمصلين .

● والصَّلوات الرواتب ؛ فيها فضلٌ عظيمٌ ، وذلك أَنَّ الذي يُحافظُ علىٰ اثنتي عشرةَ ركعةً في اليوم والليلة ؛ يُبْنىٰ لهُ قصرٌ في الجنَّة .

● وإِسباغ الوضوء والمحافظة عليه ؛ كفارةٌ من الذنوب ، ويخرج الخطايا من جسد ، ويرفع الله تعالىٰ به الدرجات .

والصَّلاةُ : آخرُ ما يُفقَدُ من الدِّين ؛ فإِذا ذهبَ آخرُ الدِّين لم يبقَ شيءٌ منه ، وهي شِعارُ المسلمِ وعنوانُ المؤمن ، وهي الفيصلُ بين المسلم والكافر .

وأَهلُ الإيمان الصَّادق : يدركونَ كلَّ هذه المعاني العظيمة والجليلة عن الصَّلاة ؛ فهم من أَحرص النَّاس علىٰ إِقامتها ، والخشوع فيها ، والمحافظة عليها ، ولذلك لا يسهون عنها البتَّة ؛ بل يؤدُّونها في أَوقاتها مع الجماعة في المساجد ، ويقيمون أَركانها ، ويحملون نفوسهُم علىٰ الاهتمام بها ، وبما ينبغي أَن تتمَّ به أَوصافُها ؛ لأَنَّهم يفقهونَ قول الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

---

(١) رواه أَبو داود في (كتاب الأَدب) باب « في صلاة العتمة » وصححه الأَلباني .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٣٨ – ٢٣٩

وقد وصف الله تعالىٰ أهل الإيمان الصَّادِقِ في كتابه العزيز بهذه الصِّفَةِ العظيمَةِ الجليلَةِ:

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[2].

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾[3].

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[4].

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[5].

ووصفَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ حَالَ تَارِكِ الصَّلاَةِ يومَ الْقِيَامَةِ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢.
(٣) سورة المعارج، الآية: ٢٣.
(٤) سورة المعارج، الآية: ٢٤.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٦) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ - ٤٧.

٤- أَهلُ الإِيمانِ الصَّادِقِ؛ هُمْ أَهلِ الأَعمالِ الصَّالحةِ، والطاعَةِ الْمُطْلَقَةِ، والعبادَةِ الخالصةِ للهِ تَعالىٰ وحده لا شريك لَهُ سبحانه:

فمن صفاتِ أَهلِ الإيمانِ الصَّادقِ التي هي سببٌ لتوفيقهم، وسدادهم، وفلاحهم، ونجاحهم، ونجاتهم، وسعادتهم في الدَّارينِ، وفوزهم برضوان الله تعالىٰ، ثمَّ بجنَّةِ الفردوس الأَعلىٰ، والخُلود فيها إلىٰ أَبدِ الآبدين؛ ما يقومون به من الأَعمال الصَّالحة، والعبادةُ الخالصة، والطَّاعةِ المطلقة لله تعالىٰ؛ كما وصفهُمُ اللهُ تعالىٰ في كتابه العزيز في قولِهِ:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

فهذِهِ هيَ عَشْرُ صفاتٍ لأَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ؛ الذين يُعْرَفُونَ بها، ويتميَّزون بهذِهِ الصِّفاتِ العزيزةِ والأَعمالِ الصَّالحةِ عن غيرهم من عبادِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ.

● فقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ أَي: هُمُ الذين دخلوا في الإسلام دينُ الحقِّ واعتقدوا به، ووحدوا الله تعالىٰ، وانقادوا لشرعه الحكيم انقياداً تامًّا.

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أَي: أَنَّ ظاهرهم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

وباطنهم، وسرهم وعلانيتهم سواء؛ لأنَّهم مع خضوعهم المطلق لله تعالىٰ ظاهرًا؛ فهم مؤمنون - أيضًا - بالقلوبهم باطنًا، ومصدقون بما يقولون، ويفعلون بما يومنون، لا كالمنافقين!

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ القنوتُ هي دوام الطاعة، أي: أنَّهم مع إسلامهم وإيمانهم استقاموا علىٰ طاعة اللهِ تعالىٰ ورَسُولِهِ ﷺ.

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ أي: أنَّهم صابرون علىٰ طاعة ربِّهم - جلَّ في عُلاه - وعلىٰ تركِ معصيتهِ - سبحانه - رجالاً ونساءً، ولا شك أنَّ الصَّبرَ من أخلاقِ المؤمنينَ والمؤمناتِ الصَّادقينَ المتقينَ؛ فهم صابرون علىٰ الطَّاعَةِ المطلقة، وصابرونَ عَنِ المعصيةِ بجميع أنواعها وأشكالها، وصابرونَ علىٰ المصائبِ والمحن، وهذِهِ أنواع الصَّبْرِ الجميل؛ فمن استكملها! استكمل دينه وضمنَ آخرته؛ بإذن الله تعالىٰ.

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ أي: أنَّهم خاشعون في طاعة ربِّهم - جلَّ وعلا - وفي طاعة ورَسُولِهِ الأمين ﷺ والخشوع هو التَّواضع والذّل والسُّكون والطمأنينة، وهذا الأمر يستلزم من القلبِ اللين التَّامَّ المنافي للقسوة؛ فخشوع القلب يتضمن عبوديته المطلق لربِّه - جلَّ في عُلاه - وطمأنينته، فهذا الأمرُ يكون بالتعظيم والإجلال الوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب له -سبحانه - كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء، وشهود بنعم الله تعالىٰ، فبعدها يخشع القلب لا محالة! فيتبعه خشوع الجوارح، ولهذا كان الخشوع في الصَّلاةِ يتضمن هذا وهذا التَّواضع والسُّكون؛ فهم يؤدون صلواتهم في خشوع وخضوع وطمأنينة، وهم مع ذلك متواضعون في جميع أعمالهم غير متكبرين ولا فخرين،

عملاً بهذِهِ الآيةِ الجليلةِ، وعملاً بقول نبيِّهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّىٰ لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلاَيَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ»[1].

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ أي: أنَّهم مجتهدونَ في إعطاءِ الصَّدقَةِ، وبذلِ الإحسان بالمالِ والنَّفسِ والجاهِ! أي: بالغالي والنَّفيسِ؛ يتصدقون بكلِّ ما يستطيعون حسب طاقتهم وقدرتهم.

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ أي: أنَّهم يُعرفونَ بهذِهِ العبادةِ العظيمة؛ التي هيَ أحدُ أركان الإسلام الخمسة، وسببٌ مباشرٌ لتَّقوىٰ الله تعالىٰ؛ فالصَّومُ عبادَةٌ يَتَقَرَّب بها العبدُ الصَّالحُ إلىٰ الله تعالىٰ بترك محبوباته المجبول علىٰ محبَّتها من طعام وشراب ونكاح؛ لينال بذلك رضا رَبِّهُ الكريم، والفوز بدار كرامته العظيم.

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ أي: أنَّهم لا يقعونَ في جريمةِ الزِّنا البتَّة، ويحفظونَ فروجَهُم مِنَ الوقوعِ في هذا العملِ القبيح الفاحش؛ المحرَّم في جميع الشرائع السَّماوية.

● وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أي: أنَّهم مجتهدون بهذِهِ العبادةِ العظيمةِ، ويُعرفونَ بكثرةِ ذكرهم لله تعالىٰ، ورطبِ لسانهم بذكره - سبحانه وتعالىٰ - في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ مكانٍ؛ حتىٰ إذا جاءت لحظة فراقهم؛ فإذا هم ينطقون: بلا إله إلاَّ الله، وتكون هذا هو آخر كلامهم؛ فهنيئًا لمن وفقه الله تعالىٰ لذلك، وختم له بخاتمة السُّعداء.

---

[1] رواه مسلم في (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها) باب «الصِّفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنَّة وأهل النَّار».

وكذلك وصفهمُ اللهُ تعالىٰ في صدر «سورة المؤمنون» من خشوع في الصَّلاة؛ الذي هو حضُورُ القلب، والإعراضُ عن اللَّغْوِ؛ وهو الكلامُ الذي لا خير فيه، ومن أَداء زكاة أَموالهم، وعدم وقوعهم في الزِّنا وما شابهها، ومراعاتهم لأَماناتهمُ التي هي حقُّ الله تعالىٰ، ثمَّ إقامتهم لصلواتهمُ التي هي المداومةُ عليها في أَوقاتها، ومراعاة حُدُودِهَا وشُروطها وأَركانها.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

وجاءَ وصفُهُمْ - أَيضًا - في سورةِ الذَّارياتِ في قولِهِ تعالىٰ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[2]. وغيرها من الآيات في كتابه العزيز.

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٩

٥- أَهلُ الإِيمان الصَّادِقِ: من صفاتهم الخوفُ من الله عزَّ وجلَّ:

ومن صفاتهم العزيزة العظيمة الجليلة؛ الخوفُ مِنَ اللهَ تباركَ وتعالىٰ.

والخَوْفُ محلُّهُ القلبُ، وآثارهُ تكونُ علىٰ الجوارح.

وحقيقةُ الخَوْفِ هو الفَزَعُ، وتألُّمُ القلبِ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ عقوبةٍ، أَو مكْروهٍ عن أَمارَةٍ مَظنُونةٍ، أَو مَعْلومَةٍ، وهو اضطرابُ القلبِ وحركتُهُ من تذكُّرِ الْمَخوفِ، والهَرَبُ منه عندَ استشعارِهِ. ويُضادُّ الخَوْفُ الأَمْنَ.

والخَوْفُ، والوجلُ، والخشيةُ، والرَّهبةُ؛ أَلفاظٌ متقاربةٌ غيرُ مترادفةٍ.

والخَوْفُ مِنَ اللهِ تعالىٰ: هو عبادةٌ جليلةٌ تَعَبَّدَ اللهَ تعالىٰ بِهِ جَميعَ عبادِهِ مِنَ الملائكةِ المقرَّبينَ والأَنبياءِ والمرسلينَ وسائرِ عبادِهِ الصَّالحينَ، وهو من أَهمِّ العباداتِ وأَنفعِها للقلبِ، وهو كالسِّراجِ لَهُ؛ به يُبْصِرُ ما فيه الخَيْرُ والشَّرُّ، وإذا خَلا القلبُ منه خَرِبَ، وهو الذي يَصِحُّ به الإِيمانُ، وهو الوَرَعُ عَنِ الآثامِ ظاهرًا وباطنًا، والذي يحُولُ بين صاحِبِهِ، وبينَ محارمِ الله تعالىٰ.

والخَوْفُ مِنَ اللهِ تعالىٰ: هو الخَوْفُ المحمودُ، وهو المطلوبُ من كلِّ عبادِهِ - سبحانه - أَن يخافُوا اللهَ وحدَهُ، وأَنْ لا يخافُوا أَحدًا سِواهُ، ويخافون شَديدِ عذابِهِ وعيدِهِ للعُصاةِ والكافرينَ والمشركينَ، وهذا هو خوفُ تَأَلُّهٍ وَتَعَبُّدٍ، وتقرُّبِ الخائفُ بذلكَ إلىٰ مَنْ يخافُهُ.

وهذا النَّوعُ يعتبرُ من أَعلىٰ مراتبِ الإِيمانِ؛ فالخوفُ الحقيقيُّ هو الذي يجعَلُ العبدَ أَن يقومَ بحدودِ الله تعالىٰ، ويكونُ حائلاً بينه وبينَ مُحرَّماتِ اللهِ تعالىٰ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[١].

وأخبرَ اللهُ – سبحانه وتعالىٰ – بأنَّ أعْبَدَ الخلقِ لَهُ، وأكملَهُمْ إيمانًا هو أخْوَفُهُمْ مِنَ اللهِ – جلَّ في عُلاه – وأشدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[٣].

والخوفُ من اللهِ تعالىٰ: هُوَ صفةُ أولياءه وصفوةِ عبادِهِ مِنَ الملائكةِ المقرَّبينَ، والأنبياءِ والمرسلينَ، وسائرِ عبادِهِ المتَّقينَ الصَّالحينَ العاملِينَ، ولا أدلَّ علىٰ فضلِ الخوفِ مِنَ اللهِ تعالىٰ من أنَّهُ يدفعُ بصاحبِهِ إلىٰ البرِّ والاحسانِ والطَّاعاتِ بجميعِ أنواعِهَا، وإذا استقرَّ في القلبِ أحرقَ مَواضعَ الشَّهواتِ منها، وطرَدَ الدُّنيا وزينتَها عنها.

والعجيبُ! في مسألةِ الخوفِ من اللهِ تعالىٰ؛ إنَّ كلَّ شيءٍ إذا خِفْتَهُ هرَبْتَ منه! إلاَّ الله تعالىٰ؛ فإنَّكَ إذا خِفْتَهُ هرَبْتَ إليه، وطلبْتَ رحمتَهُ وعفوَهُ ومغفرتَهُ؛ لأنَّه رَبٌّ غفورٌ رحيمٌ، وفي العطاءِ جوادٌ كريمٌ قديرٌ، وبالإجابة جَديرٌ، وبعبادِهِ رؤوفٌ رحيمٌ.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩.

(٣) سورة نور، الآية: ٥٢.

ومن هنا كان من صفاتِ أَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ الخوفُ من اللهِ تعالىٰ والوَجَلُ عندَ ذكرِه سبحانه، وذلك لقوَّةِ إيمانهم، ومراقبتِهم لربِّهم – جلَّ في عُلاهُ – وكأنَّهم واقفونَ بين يَدَيْهِ – جلَّ وعلا – لأَنَّ الخوفَ من عظمة الله – جلَّ جلاله – لا يفارقُ قلوبهم، ويعلمونَ أَنَّ اللهَ تعالىٰ هو الغنيُّ، وما سواهُ فقيرٌ إِلىٰ رحمته، وهو القويُّ، وما سواه عاجزٌ، وهو العالمُ المطَّلِعُ علىٰ خفايا النُّفوسِ، وما سواه جاهلٌ لا يحيطُ بشيءٍ من علمه.

وأَهلُ الإيمان: إذا ذكَرُوا اللهَ وحدَه؛ فَزِعَتْ قلوبهم، واضطربت نفوسهُم، واقشعرَّت جلودُهُم، وخشعت أَصواتُهم؛ استعظامًا لأَمره، وتهيبًا لجلاله، وعزةً لسلطانه، وحذرًا من أَليم عقابه.

وإذا ذكروا كمالَ رأفة الله تعالىٰ، وسعةِ رحمته، وجزيل ثوابه، وكبير عطائه لعباده؛ اطمأَنَّتْ قلوبهم بالرَّجاء، ولانت جلُودُهم، وانشرحت صدورهُم، وفرحت نفوسُهُم.

فقلوبُ أَهل الإيمان الصَّادِقِ: وجلةٌ بذكر الله تعالىٰ إذا ذُكر جلالُهُ وسطوَتُهُ وعقابُهُ، ومطمئنَّةٌ إذا ذُكرت رحمتُهُ وجزيلُ ثوابِهِ؛ فهذه حال العارفينَ بالله تعالىٰ الخائفينَ من أَليم عقابه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١].

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[٥].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ – ٦٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الرعد، الآيات: ١٩ – ٢١.

٦- أَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: من صفاتهم عدمُ الشَّكِ في إيمانهم:

ومن صفات أَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ عدَمُ الشَّكِّ فيما آمنوا به؛ مِمَّا أَوجبَ عليهم دينهُمُ العظيمِ وشرعهمُ الحنيفِ، وذلك لكمال إيمانهم الصَّحيحِ الصَّادِقِ القائم علىٰ العلم المستقىٰ من الوحيينِ الشَّريفينِ، وبإخلاصِ نياتهم لله تعالىٰ وحده لا شريك له، وبأَعمالهم الصَّالحة الموافقة لهدي النَّبِيِّ ﷺ وسُنَّتِهِ المطهرة، ولصلاح قلوبهم وإعمارها بذكر الله تعالىٰ وتقواه والعملِ برضاه، وسلامته من الشَّرِّ والظَّلالةِ والبدعِ بجميع أَنواعها وأَشكالها وأَلوانها، وعمرانه بالصِّدقِ والخير والإحسان والصلاح والهداية؛ الذي يجعلُه حِصْنًا حَصِينًا وسدًا منيعًا من جميع أَنواعِ الشَّكِ والشِّركِ والضَّلالة، والأَفكار الخبيثة الآثيمة الفاسدة والمفسدة.

لأَنَّ الشَّكَ والوهم والتردُّد، وعدم اليقين، وعدم الجزم، وعدم القطع، فكلُّ هذهِ الأُمورِ مِنَ الظُّنونِ ومِمَّا تهوىٰ به الأَنفس؛ التي هي من عمل الشَّيطان ووساوسه ومن حيليه وخُطواطه وخطراته ومكائده، وليس من صفات أَهل الإيمان الصَّادِقِ البتَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾[٢].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٣.

فالإيمانَ النَّافعَ الصَّادقَ هو الجزمُ اليقينيُّ؛ بما أَمر اللهُ تعالىٰ بالإيمان به، والذي لا يعتريه شكٌّ بوجهٍ من الوجُوه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(١).

أَي: أَنَّ الإيمان الصَّادق الذي معهم دفع الرَّيب والشَّك الموجود في قلوبهم، وأَزاله بالكلية منها، وقاوم جميع الشُّكوك والظُّنون التي تلقيها شياطين الإنس والجنِّ، والنُّفوسِ الأَمَّارة بالسُّوءِ؛ فليس لهذه العلل المهلكة دواء؛ إلا تحقيق الإيمان الصَّادق في قلب العبد المؤمن، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ! حَتَّىٰ يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ؛ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ فَلْيَقُلْ امَنْتُ بِاللَّهِ»(٢).

وقالَ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ! فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ»(٣).

وبهذا بَيَّنَ ﷺ الدَّواءَ النَّافع لهذا الدَّاء المهلك، وهي ثلاثةُ أَشياءٌ:

- الانتهاءُ عَنِ الوساوسِ الشَّيطانيَّة.
- الاستعاذةُ من شرِّ من أَلقاها وشبَّه بها؛ ليضل بها العباد.
- الاعتصام بالإيمان الصَّادق الذي من اعتصم به كان من الآمنين من جميع الشُّرورِ؛ بإذن واحدِ الأَحد سبحانه وتعالىٰ.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله مَن وجدها».

(٣) رواه البخاري في (كتاب بدء الخلق) باب «صفة إبليس وجنده».

وحقيقةُ الإيمان الصَّادِق: هو الإيمان بالله تعالىٰ ربًا وإلهًا، وبالدَّارِ الآخرةِ أمرًا واقعًا لا محال، وبالقرآن العظيم كتاب الإسلام منزلاً للعمل به.

والقُرآن المجيدُ؛ هو مصدر الإيمان الصَّادق، والاعتقاد الحقِّ، واليقين الخالص، والثَّابت الصَّادق، وإخلاص النيَّة، والتقوىٰ الله، والخشوع له، والخوف منه، ورجاء رحمته - سبحانه وتعالىٰ - لأنَّ هذا الكتابُ الكريم مشتمِلُ علىٰ ما لم تشتمل عليه كتبُ الأَولين من العلم اليقين، والحقّ المبين؛ فلا ريب فيه ولا شكَّ بأيٍّ وجهٍ من الوجوه، ولنفي الرَّيب عنهُ يستلزمُ ضدَّه، وضدُّهُ هو اليقينُ الصَّادق، قال اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

إذن! الإيمان الصَّادق هو حقائقٌ وعقائدٌ تستقرُ في سويداء القلبِ، وينطقُ بِهِ اللِّسان إقرارًا، وتعمل بموجبه جميع الجوارح بالأَعمال الصَّالحة المأمورة به شرعًا، وهذا الإيمان له نور وحلاوة يقذفها الله تعالىٰ في قلب من يشاء من عباده الصَّادقين الصَّالحينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

وبسبب كمال إيمان أَهلِ الإيمانِ الصَّادقِ، وبصالح أَعمالهم خالصة؛ أَنزلَ اللهُ تعالىٰ علىٰ قلوبهم اليقين، والطمأْنينةَ، والسَّكينةَ، والثباتَ، وأَزالَ عنها الشَّكَ والظنون والوساوس، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ حاكيًا عن صفة دعائهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(٢).

ومثل هذا الإيمان الصَّادِقِ هو الذي يُثْمِرُ اليقينَ الكاملَ الثابتَ المنافي للشَّكِّ – الذي لا ريبَ فيه ولا تردُّد – والعقائدُ الحقَّةُ الصَّادقة، والأَعمال الصَّالحة، والعواطف السَّليمة، والإرادات الطيِّبة، والأَفكار الخيِّرة والنيِّرة.

ومن رحمة الله تعالىٰ بهذه الأُمَّةِ المرحومةِ! أَنَّهُ – سبحانه وتعالىٰ – تجاوز لها عمَّا حدَّثت به نفسها ما لم تتكلم أَو تعمل به؛ إلاَّ إذا أَصبحت هذه الشُّكوك والظُّنون والوسَاوس والرِّيب عقيدةً تبنىٰ عليها إيمانُ العبدِ، فهنالك تكون الخطورة التي قد تذهب إيمان العبد بالكليَّة، أَو إذا انعقد العزم عليها سلوكًا! فتضعف الإيمان الصَّادِقِ وتمرضه، ثمَّ تقض عليه.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩.

٧- أَهلُ الإيمانِ: من صفاتهم طاعةُ الله تعالىٰ وطاعة رسوله ﷺ:

ومن الصِّفاتِ العزيزة الكريمة لأَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ: طاعةُ الله - عزَّ وجلَّ - وطاعةُ رسُولِه الكريم ﷺ المطلق، والتَّسليم التَّامُّ لهما في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، واجتناب ما نهيا عنه وما زجرا، وأَنَّهم يُقدِّمونَ طاعتهما ورضاهُما علىٰ كلِّ شيءٍ مهما كان أَمره، وأَنَّهم يَردُّون الأَمرَ إِليهما عند النِّزاع والخلاف، ولا يتقدمون علىٰ أَمرهما البتَّة، ويعتصمُون بكتاب الله تعالىٰ، وبسُنَّة نبيِّه الأَمين ﷺ وشعارهم: آمنَّا وصدَّقنا، سمعنا وأَطعنا.

لأَنَّ الله تعالىٰ قد أَرشدَ عباده إِلىٰ طاعته - جلَّ في عُلاه - وطاعة رَسُولِه الصَّادِقِ ﷺ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾(٢).

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ في كتابه العزيز علىٰ مَن أطاعَهُ وأطاعَ رسولَهُ ﷺ وَوَعَدَهُمْ بحُسن العاقبةِ، وأن يرضىٰ عنهم ويُدْخِلَهُمُ الجنَّةَ، قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٢

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) .

ومن هذا المنطلق العظيم الجليل! فأَهل الإيمان الصَّادِقِ؛ يحرصون كلَّ الحرص علىٰ تحقيق طاعة الله تعالىٰ وطاعة رسوله ﷺ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، وامتثال أَمرهما امتثالاً صادقًا خالصًا، وترك ما نهيا عنه وزجرا؛ قولاً وفعلاً، اعتقادًا ودعوةً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾(٣) .

هكذا يكون الامتثال الصَّادق الحقيقي: ليس لهم الخيرة! بل عليهم الامتثال الكامل، والتَّسليم التَّامّ، فهذا هو حقيقة الطَّاعة المطلقة.

فطاعة الله تعالىٰ ورَسُوله ﷺ والاستجابة لهما من دونِ تردُّدٍ؛ سببٌ مباشرٌ للحياة الحقيقية، حياة الإيمان والهدىٰ والرَّشاد والعزَّة والسَّعادة والتَّوفيق والسَّداد والنَّجاح والفلاح، وحُسن العاقبة في الدَّارين.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾(٤) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾(٥) .

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٥١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٨٨.

وأخبر اللهُ - جلَّ في عُلاه - في كتابه الكريم؛ أنَّ ما عنده من الثَّوابِ في دارِ الآخرة خيرٌ وأبقىٰ لأهلِ الإيمانِ الصَّادقِ الذين من صفاتهم الرئيسة الاستجابة لربِّهم الحكيم، وذلك باتِّباعِ رَسُولِهِ ﷺ وطاعةِ أمرِهِ واجتنابِ نهيِهِ، مع توكلهم الحقِّ علىٰ الله تعالىٰ، وبعدهم الصَّادق عن الكبائر والفواحش، وإقامتهم الخاشعة للصَّلاةِ، وإحسانهم الخالص إلىٰ خلق الله تعالىٰ بالمالِ والعفوِ والحلمِ وكظمِ الغيظِ عندَ الغضبِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

ومن طاعةِ اللهِ تعالىٰ الصَّادقة؛ طاعة رَسُولِهِ الأمين ﷺ واقتداءُ بهديه والتَّمسك بسُنَّتِهِ المطهرة؛ ففي طاعتهما الخير العاجل والآجل؛ خير الدُّنيا وخير الآخرة، ولذلك رتب اللهُ تعالى علىٰ الإيمان الصَّادق، والعمل الصَّالح! الحياة الطَّيبة الكريمة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

---

(١) سورة الشورىٰ، الآيات: ٣٥ - ٤٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٠.

وأمَّا الذين يأخذونَ بعضًا من أوامر الله تعالىٰ ويتركونَ بعضًا؛ كما يهوىٰ لهم أنفسهم! فهؤلاء لم يمتثلوا لطاعة الله تعالىٰ وأمره حقًا وصدقًا؛ فيصدق عليهم قولهم هذا كمقالة اليهود التي قصها الله تعالىٰ علينا؛ حتىٰ نحذر منها ولا نقع فيها، وتوعد علىٰ ذلك، قال اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

وأمَّا الذين لم يستجيبوا لله تعالىٰ ولم يطيعوه سبحانه؛ فإنَّ أمرهم جسيم، وعاقبتهم وخيم، ومصيرهم مؤلم، ومأواهم في الآخرة جهنَّم بعد سوء الحساب حين يناقشون الحساب، ومن نوقش الحساب عُذِّبَ! يحاسبون علىٰ أعمالهم جليلها وحقيرها، ثمَّ يستقرون في النَّار وبئس الفراش والمهاد لهم – والعياذُ باللهِ – ويودون لو يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله تعالىٰ بملئ الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامَة، ولكنَّ لا يتقبل منهم ذلك البتَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[٢].

وقد ذَمَّ الله تعالىٰ في كتابه العزيز؛ الذين عصوا أمرَه وأمر رسوله ﷺ ووعدهُم بسوء العاقبة، وأنَّها إلىٰ سخط الله ونار جهنَّمَ، قال الله تعالىٰ:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٨.

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.
(٦) سورة الفتح، الآية: ١٣.

٨- أَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: من صفاتهم الإخلاصُ للهِ تعالىٰ:

ومن الصِّفاتِ الملزمَةِ لأَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ: الإخلاصُ لله تعالىٰ في الأَمرِ كله، أَي: أنَّهم يُخلصونَ دينهُمُ الحقَّ للهِ تعالىٰ، ويعبُدُونَ اللهَ وحده، ولا يُشركُون به أَحدًا كائنًا مَن كان، ويُخلصُونَ نيَّاتهم للهِ تعالىٰ وحده؛ خالصةً من جميع شوائب الشِّرك، ودَرَن الرِّياء والسُّمعة، واتِّباع الهوىٰ والنَّفس الأَمارَة بالسُّوءِ؛ لأَنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - وحده لا شريك له هو المستحق للعبادَةِ والسَّمعِ والطَّاعَةِ المطلقَةِ.

وصفةُ إِخلاص الدِّين لله تعالىٰ - عند أَهل الإيمان - يقومُ علىٰ أَمرين عظيمين؛ لا بُدَّ أَن يتوفَّرا في كلِّ عملٍ، وإلاَّ لا يُقْبَلُ عندَ اللهِ جلَّ وعلا:

* أَن يكونَ العملُ خالصًا لوجه الله تعالىٰ، أَي: تجريدُ الإخلاص.

* أَن يكونَ موافقًا لما شَرَعَهُ الله تعالىٰ، أَي: تحقيقُ المتابعة.

● الإخلاصُ: هو استواءُ أَعمالِ العبدِ في الظاهرِ والباطنِ، وهو عملٌ قلبيٌّ لا يطلعُ عليه أَحدٌ إلاَّ العبدُ وربُّهُ، وهو أَساسُ العبادةِ وروحُها، وهو الميزانُ لقبولِ العملِ وردِّه، وللثوابِ والعقابِ، وهو الضَّمانةُ الكُبرىٰ ضدَّ الشِّركِ بأَنواعها، وبه تهونُ المصاعبُ علىٰ النَّفسِ، وبدوامِ الإخلاصِ يحصنُ العبدُ نفسَهُ من تَسَلُّطِ شياطينِ الجنِّ والإنسِ ووَساوِسِهم، وبه يَنالُ العبدُ رضىٰ الله تعالىٰ، وجَنَّةَ الخُلْدِ والنَّعيمَ الدَّائمَ.

ومعناه هو أَن يقصدَ العبدُ بجميع عبادتِهِ؛ القوليَّةِ والفعليَّةِ، الظاهرَةِ والباطِنَةِ؛ وجهَ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ دون سِواهُ كائنًا مَن كان، والدارَ الآخِرَةَ، أَي: أَن تكون العبادةُ خالصةً لوجهِهِ الكريم؛ لأَنَّ اللهَ - جلَّ في عُلاه - قد

أَمرَ عباده المؤمنينَ في كتابه العزيز؛ بالإخلاص له في القول والعمل، وحذَّرَ – سبحانه – من الرِّياء والشِّرك فيهما، فقالَ تَبارك وتَعالىٰ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(١).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾(٢).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(٣).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٤).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٦).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٧).

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.
(٤) سورة غافر، الآية: ٦٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٤٦.
(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

● **موافقةُ الشَّريعةَ**: هي عبادةُ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - بما شَرَعَهُ علىٰ لسَانِ رَسُولِهِ محمَّدٍ ﷺ، وهذا يقتضي أنَّ تكونَ العبادةُ في وقتِها وصفتِهَا؛ موافِقَةً لما جاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ وأَمَرَ، من غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ.

أَي: هيَ مُتابعةُ الرَّسُولِ ﷺ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ؛ بأَنْ يُعْبَدَ اللهُ تعالىٰ بما شَرَعَ، وطاعَتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخبَرَ، وأَنْ تكونَ العبادةُ موافقةً - مكانًا وزمانًا - لِمَا أَمَرَ به رسُولُ اللهِ ﷺ، واجتنابُ ما نَهَىٰ عنه وزَجَر، وأَن لا نتحاكم إِلىٰ غيرِهِ، ولا نرضىٰ بحكمِ غيرِهِ، قالَ اللهُ تَعالىٰ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٤).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(٥).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٠.

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[١].

وقالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

وقالَ ﷺ: «فإنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[٣].

فإذا اختلَّ واحدٌ من هذينِ الشَّرطينِ في عبادةِ العبدِ لربِّه تعالىٰ لم تصحَّ عبادتُهُ؛ فإنَّها إنْ خَلَتْ مِنَ الإخلاصِ كانتْ رياءً! وهو الشِّركُ الأَصغرُ، وإنْ خَلَتْ مِنَ المتابَعَةِ كانتْ ابتداعًا مردودًا!

وأَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ عندما يعملُونَ الصَّالحات بإخلاصٍ لله تعالىٰ وحده؛ يَصْحَبُونها بالخوف منه - سبحانه - ولا ينتظرونَ من أَحدٍ جزاءً ولا شُكُورًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الصلح) باب «إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الأقضية) باب «نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور».

(٣) رواه مسلم في (كتاب الجمعة) باب «تخفيف الصلاة والخطبة».

(٤) سورة الإنسان، الآيات: ٨ - ١١.

٩- أَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ: من صفاتهم الصَّبرُ في اللهِ تعالىٰ:

ومن الصِّفاتِ الكريمةِ التي تميزُ بها أَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ عن غيرهم:

التحلِّي بالصَّبرِ الجميل في سبيل الله تعالىٰ؛ علىٰ نعمه التي أَسبَغَها عليهم ظاهرًا وباطنًا، وعلىٰ المصائب والبلايا التي تحيقُ بهم في الحياة الدُّنيا، وكذلك الصَّبْر عن شهوات النَّفسِ من متاع الدُّنيا وزينتها وفتنها، والصَّبرُ علىٰ طاعة الله، والقيامُ بواجب العبوديَّة له - جلَّ وعلا - والصَّبرُ علىٰ مشاقِّ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والجهاد في سبيله، وما يَحُفُّ بها من متاعبَ وآلامٍ؛ تَضْعُفُ عن حملها صفوةُ الرِّجال؛ إلاَّ من رحم الله.

لأَنَّهم يعلمونَ أَنَّ الصَّبْرَ في سبيل الله هو من صفةِ الأَنبياء والمرسلين، ومدارُ نجاح دعوتهم في تبليغِ رسالات الله تعالىٰ وشرعه الحكيم، ويعلمون أَنَّه ضرورةٌ لازمةٌ للعبد ليبلُغَ آماله، وتنجحَ مقاصدُه؛ لأَنَّ أَهلَ الإيمان الصَّادِقِ ينشُدُون جنةَ النَّعيم، وهي هدفهم الأَسمىٰ وغايتهم العُليا، والجنَّةُ هي سلعةُ الله الغاليةُ؛ فلا بُدَّ لها من الثَّمن؛ فمَن صَبَرَ ظفر.

ومن هذا المنطلق الجليل؛ فإِنَّهم أَشدُّ عباد الله تعالىٰ تعرُّضًا للأَذىٰ والمحن والابتلاء والمصائب في أَموالهم وأَنفسهم؛ لأَنَّ أَشدَّ النَّاس بلاءً الأَنبياء، ثمَّ الأَمثلُ فالأَمثل؛ كما أَخبرَ عن ذلك الصَّادقُ المصدُّوق ﷺ.

● والصَّبْر: يعني الحَبْسَ والكَفَّ، ومنهُ قولُهُم: قُتِلَ فُلانٌ صبرًا؛ إذا أُمْسِكَ به وحُبِسَ ثمَّ قُتِلَ. والصَّبْرُ نقيضُ الجزَعِ، والتَّسخُّطِ، والتَّذَمُّرِ، والتَّشَكِّي. أَي: هو حَبْسُ النَّفْسِ علىٰ الْمَكْروهِ، أَو مَا فيه مشَقَّةٌ، أَو أَلَمٌ، أَو أَذًى؛ انتظارًا لوَعْدِ اللهِ - جلَّ وعلا - الحقِّ، ورضاهُ سبحانه وتعالىٰ.

● والصَّبْرُ الجميلُ: يقتضِي ثلاثةَ أُمورٍ، وَهِيَ:

* حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ، والتَّسخُّطِ، والتَّذَمُّرِ.

* حَبْسُ اللِّسانِ عَنِ الشَّكْوىٰ.

* حَبْسُ الجوارحِ عَنْ ما لا يُحبُّه الله تعالىٰ، ويُغضبُهُ.

فالصَّبْرُ: هو حَبْسُ النَّفسِ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ، وكفُّها عن المعاصي والمحرَّمات، والرِّضىٰ بقضاءِ اللهِ تعالىٰ وقدرِهِ، والتَّسليمُ المطلقُ لَهُ سبحانه.

● والصَّبْرُ الجميل: يُعَدُّ من أَهمِّ مقاماتِ التَّوحيدِ؛ لأَنَّ العباداتِ كلَّها لا تقومُ إلاَّ علىٰ الصَّبْرِ، وهو مِنَ الإيمانِ بمنزلَةِ الرأْسِ مِنَ الجسَدِ، وأَنَّ الإيمانَ نصفُهُ صبْرٌ، ونصفُهُ شُكرٌ، والصَّبْرُ إذا اقْتَرَنَ بالمصيبةِ حوَّلَهَا إلىٰ نِعْمَةٍ يُكَافَأُ صَاحِبُهُ عليها، ولعظيمِ مَنْزِلَةِ الصَّبْرِ في الشَّرْعِ؛ فَقَدْ وَرَدَ في القُرآنِ أَكثرَ من تسعينَ موضعًا، وهو واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ بإجماعِ الأُمَّةِ.

● وشُروطُ الصَّبْرِ الجميلِ، هِيَ:

الإخلاصُ في ابتغاءِ وجهِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ، وعدمُ الشَّكْوىٰ مِن اللهِ سبحانه وتعالىٰ، وأَن يكونَ الصَّبْرُ في أَوانِهِ، وفي زَمَنِ وقُوعِهِ.

● وللصَّبْرِ آدابٌ؛ ذكرها العلماءُ من أَهمِّها:

احتسابُ الأَجرِ مِنَ اللهِ تعالىٰ، وَعَدَمُ الخوفِ إلاَّ مِنْهُ - سبحانه - وَعَدَمُ الشَّكوىٰ والجزعِ، ودُعَاءُ اللهِ تعالىٰ، وسؤالُ الفَرَجِ وانتظارُهُ، وثباتُ القلبِ وعَدَمُ اضطرابِهِ، وتَلَقِّي المصائِبِ بالرَّحْبِ والسَّعةِ، وبسُكُونِ الجوارِحِ واللِّسانِ، ومصابَرَةُ المصائِبِ العِظَامِ، والاسترجاعُ عندَ وقوعِهَا،

وتحمُّلُ الآلامِ والمشقاتِ، والتأنِّي وعَدَمُ المَلَلِ والغضَبِ، وأَن لا يظهرُ أثرُها علىٰ المصابِ، وكتمُها وعَدَمُ إظهارِهَا مِنْ كُنُوزِ البِرِّ، وأَن يَتَذكَّرَ مَن هو أَشَدُّ بلاءً، وأَعظمُ محنةً منهُ، ومثابَرَةُ انجازِ الأَعمالِ والمواظبةُ عليها، وتركُ المعاقَبَةِ والانتِقَامِ، والبُعْدُ عَنِ الأَهواءِ والشَّهَوَاتِ.

● والصَّبْرُ ثلاثةُ أَنواعٍ، وَهِيَ:

* الصَّبْرُ علىٰ الطَّاعاتِ والعباداتِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(١).

* الصَّبْرُ عَنِ المَعَاصِي والمُحرَّمَاتِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(٢).

* الصَّبْرُ علىٰ امتحانِ اللهِ تعالىٰ، وهو الصَّبْرُ علىٰ أَقدارِ اللهِ تعالىٰ الْمُؤْلِمَةِ مِنَ المصائِبِ وَالْمِحَنِ، والتَّسليمُ المطلَقُ لها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة هود، الآيات: ٩ – ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

● والصَّبْرُ ثلاثةُ مراتبَ، وَهِيَ:

* صَبْرٌ باللهِ تعالىٰ، أي: الاستعانةُ بالله تعالىٰ، والإيمانُ بأَنَّ اللهَ تعالىٰ هو المُصَبِّرُ، وأَنَّ صَبْرَ العبدِ بربِّهِ لا بِنَفْسِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[١].

* صَبْرٌ للهِ تعالىٰ، أي: الصَّبْرُ لوجهِ اللهِ تعالىٰ والتَّقرُّبُ إليه تعالىٰ، وطلبُ رضاهُ وَجَنَّتِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢].

* صَبْرٌ معَ اللهِ تعالىٰ، أي: الصَّبْرُ مع شَرْعِ اللهِ في تنفيذِ أحكامِهِ، وإقامَةِ حُدُودِهِ، وتطبيقِ أوامرِهِ، واجتنابِ نَواهِيهِ، والعيشِ في ظِلالِهِ؛ برضا القلبِ والجوارِحِ، وهذهِ المرتبَةُ من أصعبِ مراتبِ الصَّبْرِ، وهو صَبْرُ الصِّدِّيقينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٢) سورة رعد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

● وقد أَمَرَ اللهُ تعالىٰ عبادَهُ المؤمنينَ الصَّادقينَ الموحِّدينَ بالصَّبْرِ، ونهاهم عن عدم الصَّبْرِ، وأَمَرَهم بالاستعانة به - سبحانه - فقالَ تعالىٰ:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٢].

● وأَخبرَ الله تعالىٰ أنَّه يحبُّ الصَّابرين، وأنَّهُ معهم أين ما كانوا، ينصرُهُم ويُثبِّتُ أقدامَهُم، فقال تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٤].

● وبيَّنَ الله تعالىٰ؛ أنَّ الفلاحَ والنَّجاحَ والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة؛ مع الصَّبْرِ والتقوىٰ اللذين هما من صفات أَهل الإيمان، فقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥].

● وبيَّنَ الله تعالىٰ؛ أنَّ الصَّبْرَ من أهمِّ أَسبابِ النَّصر في الحياة الدُّنيا علىٰ شهوات النَّفس، وعلىٰ الأَعداءِ، وهو عُدَّةٌ يَتقوَّىٰ بها المؤمنونَ علىٰ مُواجَهَةِ عَدُوِّهِمْ بأَنواعها وأَشكالها، فقالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[٦].

---

(١) سورة الاحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

● وبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ الإمامةَ في الدِّينِ؛ لا تُنالُ إلاَّ بالصَّبْرِ واليقين.

قالَ تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(١).

● وبشَّرَ اللهُ تعالىٰ الصَّابرينَ من أهل الإيمان؛ بشارةً مطلقة بدُون قيدٍ، وجَمَعَ لهم ثلاثَ خِصَالٍ لم يجمعها لغيرهم، فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(٢).

● وبيَّنَ الله – سبحانه وتعالىٰ – أنَّه يُضَاعِفُ لعباده المؤمنين الصَّابرين أجرهم أضعافًا كثيرةً، وبغير حسابٍ، وأنَّهم سيُجزونَ بأحسن أعمالهم، ويدخُلون الجنَّةَ بسلامٍ آمنين، فقال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٣).

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ – ١٥٧.

(٣) سورة زمر، الآية: ١٠.

١٠ـ أَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ: من صفاتهمُ الولاءُ والبراءُ في اللهِ:

ومن صفاتِ أَهل الإيمان: الولاءُ والبراءُ في الله تعالىٰ، أَي: الحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله؛ فعقيدتُهُم مبنيةٌ علىٰ هاتين القاعدتين العظيمتين:

● فالحُبُّ: هو حبُّ الله تعالىٰ، وحبُّ رسوله الأَمين ﷺ، وكتابه العزيز، ودينه العظيم، وعباده المؤمنين الصَّالحين المتقين، وموالاتُهُم، ومناصرتُهُم، وعدم التخلِّي عنهم في حال العُسر واليُسر، والشِّدَّة والرَّخاء، ومعاونتهم بالنَّفسِ والمالِ واللِّسان.

● والبُغضُ: هو بغضُ أَعداءِ الله تعالىٰ، وكُرههم، ومقْتهم، واحْتِقارهم، وهجرُهم، وإذلالُهم، والبراءةُ منهم، ومن جميع أَعمالهم وأَقوالهم، ومعاداتهم بالنَّفسِ والمالِ واللِّسان، وعدمُ محبَّتهم البتَّة في حال العُسر واليُسر، والشِّدَّة والرَّخاء، وتربيةُ الجيل الناشئ وإرشادُهُم علىٰ ذلك.

لأَنَّ عقيدةَ الولاء والبراء أَصلٌ من أُصولِ الدِّين، ومن أَهمِّ موضوعات التَّوحيد ومقتضياته، وركنٌ من أَركانه، ومن أَخطر مسائل العقيدة التي يُبنىٰ عليها إسلامُ المرء وكُفرُه؛ وهي ليستْ مجرَّدَ قضيةٍ جزئيَّةٍ أَو فرعيَّةٍ من قضايا هذا الدِّين العظيم؛ بل النَّجاة من الكُفر، والدُّخولُ في الإسلام؛ لايتحقَّق إلاَّ بتحقيق هذا الركن الرَّكين من التَّوحيد الخالص.

ولا يتحقَّقُ الولاءُ للمؤمنينَ والمسلمينَ إلاَّ بالبراء من المشركين والكافرين؛ لأَنَّ المعنَيَيْنِ لا يتحقَّقان معًا فهما ضدَّان لا يجتمعان أَبدًا فمتىٰ تمكَّن أَحدُهُما في القلب انتفىٰ نَقيضُه، وإذا زال أَحدُهما خَلَفَهُ الآخر؛ لأَنَّ حبَّ الله تعالىٰ يقتضي حبَّ أَوليائه وأَحبَّائه كما يقتضي هذا الحبُّ

بغضَ الشيطان وأتباعه وحزبه فاجتماعُ المحبَّتَين مُحالٌ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٥).

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ: المُوالاةُ في اللهِ والمُعاداةُ في اللهِ، والحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ»(٦).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٢١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٣.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٦) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني: ج٢ برقم: (٩٩٨).

وقالَ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، وَمَنعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمانَ»(١).

وقالَ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢).

وقالَ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإِيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِليهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ»(٣).

وقالَ ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»(٤).

وعن جريرٍ - رضي الله عنه - قالَ: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يبايعُ، فقلتُ: يا رسولَ الله ابسط يدكَ حتىٰ أُبايعك، واشترِطْ عليَّ فأنتَ أعلم.

قالَ ﷺ: «أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ»(٥).

أَهلُ الإِيمان: يُقَسِّمُونَ النَّاس في الولاء والبراء ثلاثة أقسام:

١- مَن يستحقُّ الموالاةَ والحبَّ المطلق: وهم المؤمنون الخُلَّص الذين آمنوا بالله تعالىٰ رَبًّا، وبرسوله ﷺ نبيًّا، وقاموا بشعائر الدِّين؛ علمًا وعملاً

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب «الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه» وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «حبُّ النبي ﷺ من الإيمان».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «مَن كره أن يعود في الكفر».

(٤) رواه أبو داود في (كتاب الآداب) باب «مَن يؤمر أن يجالس» وحسَّنه الألباني.

(٥) رواه أبو النسائي في (كتاب البيعة) باب «البيعة علىٰ فراق المشرك» وصحَّحه الألباني.

واعتقادًا، مخلصين لله، وانقادوا لأوامر الله تعالىٰ، وأوامر رسوله ﷺ، وانتهوا عمَّا نهىٰ الله عنه، ونهىٰ عنه رسولُه ﷺ، وأَحبُّوا في الله، وأبغضوا وعادوا في الله؛ فيجبُ علىٰ جميع المسلمين حبُّهم ونصرتهم وموالاتهم أينما كانوا، وفي كلِّ عصرٍ ومصر.

٢- مَن يستحقُّ الموالاةَ والحبَّ من جهة، والمعاداةَ والبغضَ من جهة أُخرىٰ: وهم عُصاةُ المسلمين؛ فتجتمعُ فيهم المحبَّةُ والعداوةُ؛ يُحَبُّون لما فيهم من الإيمان والطاعة والتقوىٰ، ويُبْغَضون لما فيهم من المعصية والفجور التي هي دون الكُفر والشِّرك، مثل: المسلم العاصي الذي خلط عملاً صالحًا، وآخر سَيِّئًا، والذي يهملُ بعض الواجبات، ويفعل بعض المحرَّمات التي لا تصلُ إلىٰ حَدِّ الكُفر؛ فأَمثالُ هؤلاء يكونُ لهم من الولاء بقدر ما يُظهرون من الخير، ومن البراء بقدر ما يَظهرُ منهم من الشَّر؛ كما يجبُ مناصحةُ هؤلاء، وعدمُ السكوت علىٰ معاصيهم؛ بل يؤمرونَ بالمعروف ويُنهَونَ عن المنكر، وتُقامُ الحدودُ والتعزيراتُ عليهم؛ حتىٰ يَكفُّوا عن معاصيهم، ويَتركوا سيِّئاتهم.

٣- مَن يستحقُّ المعاداةَ والبغضَ المطلق: وهُمُ الكُفَّارُ الخُلَّصُ الذين يَظهرُ كُفرهم وزندقتُهُم، علىٰ اختلاف أَجناسهم من اليهود والنصارىٰ، والمشركين، والملحدين، والوثنيِّين، والمجوس، والمنافقين، ومَن تبعهُم من أَصحاب المذاهب الهدَّامة، والأَحزاب العلمانية.

وهذا الحكمُ ينطبق - أَيضًا - علىٰ مَن فَعَل المكفِّرات من المرتدِّين المنسوبينَ للإسلام: كوقوعه في ناقضٍ من نواقض الإسلام، أَو أَشرك بالله تعالىٰ في عبادته أَحدًا من عباده، أَو صَرفَ لهم نوعًا من أَنواع العبادة؛

كدعاء غير الله، أَو الاستغاثة بغيره، أَو التوكُّل أَو الذَّبح أَو النذر لغيره تعالىٰ، أَو سَبَّ الله ورسوله أَو دينه، أَو ترك الصَّلاة المفروضة، أَو فصل الدِّين عن الحياة اعتقادًا بأَنَّ الدِّين لا يلائم هذا العصر، ونحو ذلك - بعد إقامة الحجة عليه - بل يجبُ علىٰ المسلمين؛ أَن يُجاهدوا هذا النوع من المرتدِّين، ويُضيِّقوا عليهم، ولا يتركوهم يَعيثُونَ في الأَرض الفساد.

وأَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: لا يوافقون الكفَّار في أَيِّ حالٍ من الأَحوال؛

- لأَنَّ موافقتهم في الظاهر والباطن كفرٌ.
- وموافقتهم في الباطن دونَ الظاهر؛ كُفرٌ لأَنَّها من النِّفاق العقديِّ.
- وموافقتهم في الظَّاهر دون الباطن: علىٰ نوعين:

١- أَن تكونَ الموافقةُ بسبب الإكراه؛ كالضَّرب والقتل والتَّعذيب، بالفعل لا بمجرَّد التهديد اللفظِّي، وأَن يغلبَ علىٰ ظنَّه أَنَّه إذا امتنعَ أُوقِع به ذلك فورًا؛ ففي هذه الحالة لا يُكَفَّر المسلمُ ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته.

٢- أَن يوافقَ الكُفَّار في الظَّاهر مع مخالفتهم في الباطن - وهو ليس في سلطانهم - وذلك لغرضٍ دنيويٍّ؛ كحُبِّ الرياسة، أَو طمعٍ في جاهٍ ومنزلةٍ، أَو مالٍ، أَو أَرضٍ، أَو الخوفِ علىٰ مصالحه من الضرر؛ فيواليهم ويدافعُ عن باطلهم أَو يسكتُ عنه، أَو يتَّبع نُظُمَهُمْ ويطبِّق قوانينهُم؛ إرضاءً لهم، وإيثارًا لحظِّه من الدُّنيا وحبًّا للراحة، وطلبًا للسلامة العاجلة؛ فيكونُ بذلك قد تخلَّىٰ عن ركن من أَركان توحيد العبادة، وهو المعاداةُ في الله تعالىٰ والموالاةُ فيه؛ فيُوجبُ هذا التَّركَ ردَّتهُ وكُفرهُ عن الدِّين، ولا

تنفعُهُ كراهيتُهُ لهم في الباطن؛ كما دلَّت علىٰ ذلك النصوصُ الشرعيَّة.

وأَهلُ الإيمان الصَّادِق:

يُفرِّقونَ بين عقيدة المعاداة، وبين البرِّ والقسط والإحسان؛ فمعاداتُهُم للكفَّار المعبَّرُ عنها بالبراء منهم؛ لا تعني الإساءة إليهم بالأَقوال أَو الأَفعال، وتجاوز ما وضعَهُ لنا دينُنا العظيم من شروطٍ وضوابطَ في المعاملةِ معهم، وهذه الشروطُ والضوابطُ حكيمة مبنيَّةٌ علىٰ أَساس العدل والإحسان؛ دون محبَّة القلب وميله.

وقد أَباح دينُ الإسلام تبادل المصالح بيننا وبينهم بما يعودُ بالنفع علىٰ المسلمين، وقرَّر شيئًا من التسامح مع بعض الفئات من الكُفَّار المسالمين والمعاهدين غير الحربيِّين – أَي: الذين لا يُحاربون المسلمين ولا يسعون علىٰ إخراجهم من ديارهم – بشرطِ أَلاَّ يكون ذلك علىٰ حساب الدِّين.

والشارعُ الحكيمُ يأْمرُ بحسن المعاملة مع الجميع ما داموا غير محاربين، وهذا لا يعني موالاتهم ومحبَّتهم؛ لأَنَّ البرَّ والإحسان لا يستلزمُ التحابب والتوادَّ المنهيَّ عنه في الشريعة.

أَمَّا الكُفَّارُ المحاربون؛ فإنَّ صلتهم محرَّمةٌ شرعًا بالإجماع.

١١ - أَهلُ الإيمانِ: من صفاتهم الأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر:

ومن صفات أَهل الإيمانِ الصَّادِقِ الملازمة لهم: أَنَّهم يَأْمرونَ بالمعروف ويَنهونَ عن المنكر، ويؤمنونَ بأَنَّ خيريَّة هذه الأُمَّة باقيةٌ بهذه الشَّعيرة المباركة العظيمة، وأَنَّها من أَعظم شعائر الإسلام والدِّين، وسببُ حفظ جماعته ووحدته.

وأَنَّ تركها تؤدي لوقوع اللعن والإبعاد ونزول الهلاك وانتفاء الإيمان والبركة عمَّن قعد عنها حتى لو كان ذلك الترك بالقلب.

وأَنَّ شعيرةَ الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أَوجب الواجبات وأَعظمها علىٰ هذه الأُمَّة المرحومة المباركة، ومن أَكبر مهماتها وأَولوياتها؛ كلٌّ علىٰ حسب طاقته والمصلحةُ مُعتبرةٌ في ذلك، وقد دل علىٰ وجوبهما الكتاب والسُّنَّةِ والإجماع، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

وقال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنكَرًا فَليُغَيِّرهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمان»[1].

● والمعروفُ: هو كل ما تعرفه النَّفس من الخير، وتطمئن إليه، فهو معروف بين الناس لا ينكرونه. وقيل: هو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً.

ويدخل فيه كل ما أمر الله تعالىٰ به ورسوله ﷺ من الأُمور الظاهرة والباطنة، مثل: شرائع الإسلام، والإيمان بالله، والصَّلوات الخمس، والزَّكاة، والحجّ، والإحسان في عبادة الله تعالىٰ، وإخلاص الدِّين لله، والتوكل عليه ومحبته ورجائه، وغيرها من أعمال القلوب، وصدق الحديث، والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم، وجميع مكارم الأخلاق.

● والمنكرُ: ضد المعروف، وهو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً، وسمِّي منكرًا، لأنَّ أهلَ الإيمان ينكرونه ويستعظمون فعله.

ويدخل فيه كل ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه ورسوله ﷺ مثل: الشِّرك بالله تعالىٰ بجميع أنواعها وأشكالها وألوانها، وكبائر الذُّنوب: كالزِّنا، والقتل، والسِّحر، وأكل أموال النَّاس بالباطل، والمعاملات المحرمة: كالرِّبا، والميسر، والقمار، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وسائر البدع الاعتقادية والعملية، وغير ذلك مما نهىٰ الله تعالىٰ عنه ورسوله الأمين ﷺ.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان».

● وأَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ يرونَ أَنَّ مراتبَ الأَمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ثلاثةٌ؛ كما بيَّنها النَبِيُّ الأَمين ﷺ:

المرتبة الأُولىٰ: الإنكار باليد مع القدرة، وذلك خاص بمن له ولاية من مسؤول، أَو محتسب ممن يقدر علىٰ ذلك بالفعل. وهكذا المرء المسلم مع أَهل بيته وأَولاده ومن تحت ولايته ومَن حوله؛ يأَمرهم بالصَّلاة وسائر الواجبات، وينهاهم عمَّا حرم الله تعالىٰ.

المرتبة الثَّانية: إن عجز المحتسب عن الإنكار باليد انتقل إلىٰ الإنكار باللِّسانِ؛ فيعظهم ويذكرهم ويعاملهم بالأُسلوب الحسن مع الرِّفق، ويستعمل الأَلفاظ الطيبة والكلمات المناسبة؛ حتىٰ لو قوبل بالسوء فهو لا يقابل إلاَّ بالتي هي أَحسن.

المرتبة الثَّالثة: الإنكار بالقلب وهي آخر المرتب، ولا رخصة لأَحد في تركها أَلبتَّه، بل يجب ترك المنكر وبغضه بغضًا تامًا مستمرًا.

وهذا يقتضي من أَهل الإيمانِ الصَّادِقِ؛ مفارقة أَهل المعصية ومجانبتهم حال ارتكابهم المعاصية، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1].

ففي الآية نهي صريح عن مجالسة أَصحاب المنكر حال مواقعته؛ حتىٰ يتحولوا عنه، وإلاَّ كانوا مثلهم في الإثم؛ لرضاهم بذلك.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

● وأَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ يرونَ تقديمَ الرِّفقِ في الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١].

فالدعوة بالحكمة تكون بحسب حال المدعو وفهمه وقبوله، ومن الحكمة: العلم والحلم والرفق واللين والصبر علىٰ ذلك.

والموعظة الحسنة: تكون مقرونة بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمجادلة بالتي هي أَحسن.

ويرونَ وجوبَ الصَّبْرِ علىٰ أَذىٰ الخلق في الأَمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، عملاً بقوله سبحانه وتعالىٰ:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٢].

● وأَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ يرونَ أَنَّ تركَ هذه الشعيرة العظيمة سببٌ لنزول عذاب الله تعالىٰ وعقوبته، واستحقاق لعنته - سبحانه - وتركها من أَهمّ الأَسباب التي تؤدّي إلىٰ شيوع الفساد والانحراف في حياة الأُمّة.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سورة الأَعراف، الآية: ٦٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1].

● وأَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ:

حين يقُومون بواجب الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ يلتزمون في الوقت نفسه أَصلاً آخر هو الحفاظُ علىٰ الجماعة، وتأْليفُ القلوب، واجتماعُ الكلمة، ونبذُ الفرقة والاختلاف.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ – رضيَ اللهُ عنهُما – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ؛ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ! وَقَالَ ﷺ:

«يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»

فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ! قَالَ: لاَ وَاللهِ لاَ آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّىٰ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ، وَقَالَ ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاَثًا!

فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ؛ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي! فَقَالَ ﷺ:

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ – ٧٩.

(٢) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب «في طرح خاتم الذهب».

«إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا» ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ؛ فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ؛ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ:

«إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ؛ صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ – أَوْ قَالَ – ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ»(٢)(*).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب «وجوب القراءة للامام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت».

(٢) رواه أبو داود في (كتاب الطهارة) باب «الأرض يصيبها البول» وصحّحه الألباني.

(*) «تحجرت واسعًا»: أي: ضيقت ما وسعه الله تعالىٰ، وخصصت به نفسك دون غيرك.
الذنوب: الدلو العظيمة.

١٢- أَهلُ الإِيمانِ الصَّادِقِ: يتحلَّون بمكارم الأَخلاق:

ومن صفات أَهل الإِيمان الصَّادِقِ التي تميزهم: أَنَّهم يتحلَّونَ بمكارم الأَخلاق، ومحاسن الأَعمال والأَقوال والأَفعال، وأَنَّهم صفوةُ خلق الله تعالىٰ وخيرتُه بعد أَنبيائه ورسُله، عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلام.

لأَنَّ حُسن الخلق، ولين الجانب، وطيب العشرة، صفاتٌ أَجمع العقلاء علىٰ حسنها، وفضل التخلق بها، وقد توافرت الأَدلة الشَّرعيَّة علىٰ مدح الأَخلاق الحسنة، والحض عليها، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمانًا؛ أَحْسَنُهمْ خُلُقًا»(١).

وقالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»(٢).

وقالَ ﷺ: «إِنَّ من أَحبِّكُمْ إِليَّ وأَقربكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ؛ أَحْسَنكُمْ أَخْلاَقًا»(٣).

وقالَ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ في الميزانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُق، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ به؛ دَرجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاة»(٤).

وقد كان النَبِيُّ ﷺ أَحسن النَّاس سمتًا، وأَكملهم خُلُقًا، وأَطيبهم عشرةً، وقد وصفه الله تعالىٰ بهذِهِ الصِّفاتِ العظيمة، فقالَ تعالىٰ:

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الرَّضاع) باب «ما جاء في حقِّ المرأة علىٰ زوجها»، وصحَّحه الأَلباني.

(٢) رواه البخاري في (كتاب المناقب) باب «صفة النبي ﷺ».

(٣) رواه الترمذي في (كتاب البر وصلة) باب «ما جاء في معاني الأَخلاق»، وصحَّحه الأَلباني.

(٤) رواه الترمذي في (كتاب البر وصلة) باب «ما جاء في حُسن الأَخلاق»، وصحَّحه الأَلباني.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[(١)].

فما من خصلةٍ من خصالِ الخير إلاَّ والنبيُّ ﷺ أوفر الحظ والنصيب من التَّخلقِ بها؛ فقد كان يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويقبل الهدية ممن جادت بها نفسه ويكافئ عليها، وكان ﷺ يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويتفقدهم ويعودهم، ويعطى كلَّ مَنْ جالسه نصيبه من العناية والاهتمام؛ حتىٰ يظن جليسه أنَّهُ ليس أحدٌ أكرم منه، وكان ولا يواجه أحدًا منهم بما يكره، والقوي والضعيف والقريب والبعيد عنده في الحقِّ سواء، وكان طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة وإذا تكلم افتتح كلامه باسم الله تعالىٰ، وعلىٰ الرغم من حُسن خلقه العظيم؛ كان يدعو الله بأن يُحَسِّنَ أخلاقه، ويتعوذ من سوء الأَخلاق؛ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

فعن أمرِ المؤمنينَ عليِّ بن أبي طالبٍ - رضي اللهُ عنه - قالَ:

« أجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا، وأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا، وأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً؛ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ »[(٢)][(*)].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:

(خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ! فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ) باب « ما جاء في صفة النبي ﷺ » وصححه الألباني.

(*) العريكة: هي الطبيعة.

صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلاَ مَسِسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلاَ حَرِيرًا وَلاَ شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلاَ عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ »(١).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ:

(مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَىٰ الْخَيْلِ؛ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»)(٢)(*).

وقالتْ أُمُّ المؤمنينَ الفقيهة الصِّدِّيقة عائشة – رضي اللهُ عنها – لَمَّا سُئِلَتْ عن خُلق النبيِّ ﷺ: (فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ)(٣).

فهذا الوصفُ البليغُ العجيبُ، والكلمةُ العظيمةُ من عائشة – رضي اللهُ عنها – ترشدنا إلىٰ أنَّ أخلاقه ﷺ هي اتِّباع القُرآن، وهي الاستقامة علىٰ ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنىٰ علىٰ أهلها، والبُعد عن كلِّ خُلُقٍ ذمه القُرآن. أي: كان ﷺ قُرآنًا حيًّا ونموذجًا متحركًا بين النَّاس، كان إذا أَمر فهو أَوَّل من يأتمر، وكان إذا نهىٰ فهو أَوَّل من ينتهي، وكان إذا حدَّ فهو أَوَّل من يقف عند حدود اللهِ تبارك وتعالىٰ.

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب البر والصلة) باب « ما جاء في خلق النبي ﷺ » وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب المقدمة) باب « فضل جرير البجلي » وصحَّحه الألباني.

(٣) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب « جامع صلاة الليل ومن نام عنه ».

(*) « ما حجبني » أي: ما منعني الدخول عليه متىٰ ما أردت ذلك.

كان خلقه القرآن؛ أي: يسخط لسخطه ويرضىٰ لرضاه، ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلاَّ أن تنتهك حرمات الله تعالىٰ.

كان خلقه القرآن؛ أي: كان أصدق النَّاس لهجة، وأوفاهم ذمة، وأكرمهم عشرة، وأشدُّ حياءً من العذراء في خدرها؛ فلم يكن فاحشًا ولا لعانًا ولا يجزي السيئة بالسيئة؛ لكن يعفو ويصفح! من سأله حاجة لم يرده إلاَّ بها أو بميسور من القول، ليس بفظ ولا غليظ ﷺ.

كان خلقه القرآن؛ أي: كان ﷺ لا يقطع علىٰ أحد حديثه حتىٰ يتعدىٰ الحق فيقطعه بنهي أو قيام؛ لا يكذب قائلاً ولا يحقد عليه، ولا يستحلفه علىٰ يمين، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبَّه؛ لأنَّهُ ﷺ يحفظ جاره ويكرم ضيفه، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالىٰ؛ يحب التفاؤل ويكره التشاؤم، وما خيِّر بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، يحب إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم صلوات الله وسلامه عليه.

ومعنىٰ **حُسن الخلق**: أي حُسن الخلق مع اللهِ تعالىٰ، وحُسن الخلق مع عباده؛ فأمَّا حُسن الخلق مع الله تعالىٰ فأن تتلقي أحكامه دينه العظيم بالرِّضا والتَّسليم التَّامِّ، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك اللهُ تعالىٰ بالصَّلاة والزَّكاة والصِّيام وغيرها؛ فإنَّك تقابل هذا بصدر منشرح. أمَّا حُسن الخلق مع النَّاس؛ فإنَّهُ كف الأذىٰ والصَّبر علىٰ الأذىٰ، وطلاقة الوجه وغيره.

ومن أَخلاقِ أَهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ:

إخلاصُهُم لله تعالىٰ في العلم والعمل، والخوفُ من الرِّياء، وتعظيمُهُم لحرمات الله تعالىٰ، وغيرتُهُم إذا انتُهكت حرماتُه تعالىٰ، ونصرتهم لدين الله وشرعه وحكمه، وكثرةُ تعظيمهم لحرمات المسلمينَ ومحبَّةُ الخير لهم، وسعيهم إلىٰ ترك النِّفاق؛ بحيثُ تتساوى سريرتُهُم وعلانيَّتُهم، وتقديمُ أَعمال الآخرة دائمًا علىٰ أَعمال الدُّنيا.

ورِقَّةُ قلوبهم، وكثرةُ بكائهم علىٰ تفريطهم في حقِّ الله تعالىٰ؛ لعلَّ الله أَن يرحمهم ويغفر لهم ويتجاوزة عن سيِّئاتهم، وكثرةُ الاعتبار والبكاء والاهتمام بأَمر الموت إذا رأَوا جنازةً، أَو تذكَّروا الموتَ وسكراته، وسوء الخاتمة؛ حتىٰ تزلزل قلوبُهُم.

وزيادةُ التواضع كلَّما ترقَّىٰ أَحدُهم في درجاتِ القُرب من الله – تبارك وتعالىٰ – وكثرةُ التوبة والندم، والاستغفار ليلاً ونهارًا؛ لشهودهم أَنَّهم لا يسلمونَ من الذَّنبِ حتىٰ في طاعتهم؛ فيستغفرون من نقصهم فيها، ومراقبةُ الله تعالىٰ فيها، وعدمُ العجب بشيء من أَعمالهم وأَقوالهم، وكراهيتهم للشُّهرة والظهور؛ بل يرون النَّقص والقصورَ في طاعتهم وعبادتهم، فضلاً عن سيئاتهم.

وشدَّةُ تدقيقهم في كلمة التقوىٰ، وعدمُ دعوىٰ أَحدٍ منهم أَنَّه متَّق، وكثرةُ خوفهم من الله – عزَّ وجلَّ – وشدَّةُ خوفهم من الخاتمة السيِّئة، وعدم غفلتهم عن ذكر الله – جلَّ وعلا – وهوان الدُّنيا عندهم، وشدَّةُ رفضهم لها، وعدمُ الاعتناء ببناء الدُّور؛ إلاَّ ما اقتصر منها علىٰ ما يدفعُ الحاجةَ، ومن غير زخرفةٍ وإسراف، قالَ النَّبيُّ الأَمين ﷺ:

«وَاللهِ! مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إصْبَعه هَذِهِ في اليَمِّ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِع؟»[1].

وأَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: لا يرضون الخطأ الذي يمسُّ الدِّين أَو أَهله؛ بل يردُّونه، ويلتمسون العذر لمن قال به - إن كان ممَّن يعتذر له - وشدَّةُ مناقشتهم لنفوسهم في مقام الورعِ، وكثرة سترهم لإخوانهم المسلمين، ولا يُحبُّون أَن تظهر لأَحدٍ منهم عورة، ويشتغلون بعيوبهم عن عيوب النَّاس، ويجتهدون في ستر عيوب الآخرين، ويكتمون الأَسرار، ولا يبلِّغون أَحدًا ما يسمعونه في حقِّه من قيل وقال، ويتركون معاداة النَّاس، ويكثرون من مداراتهم، وعدم مقابلة أَحد بسوءٍ؛ فهم لا يعادون أَحدًا من المسلمين.

وأَهلُ الإيمان: يسدُّون باب الغيبة في مجالسهم، ويحفظون أَلسنتهم منها؛ لِئَلاَّ يصبح مجلسهم مجلس إثمٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وأَهلُ الإيمان: ينهون عن الفخر، والخيلاء، والعجبِ، والبغي، والاستطالة علىٰ الخلق بغير حقٍّ، ويأْمرون بلزوم العدل في كلِّ شيء.

وأَهل الإيمان: يتميَّزون بكثرةِ الحياء، والأَدب، والتودُّد، والسَّكينة، والوقار، وقلَّةِ الكلام، وقلَّةِ الضَّحك، وكثرةِ الصَّمت، والنُّطق بالحكمة

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها) باب «فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة».

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

تسهيلاً علىٰ الطَّالب، وعدم الفرح بشيءٍ من الدُّنيا، وذلك لكمال عقولهم، وكثرة العفو والصَّفح عن كلِّ مَن آذاهم؛ بضربٍ، أَو أَخذِ مالٍ، أَو وقوعٍ في أَعراضهم، أَو نحو ذلك، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وأَهل الإيمان الصَّادِقِ: لا يغفلون عن محاربة إبليس – وأعوانه من الجنِّ والإنس – ويجتهدونَ لمعرفة خطواته وخطراته مكايده ومصايده، ووساوسه، وخصوصًا في العباداتِ.

وأَهل الإيمان: يكثرون الصَّدقة بكلِّ ما فضلَ عن حاجتهم ليلاً ونهارًا، وذلكَ سرًّا وجهارًا، ولا يُسرفون في الحلالِ إذا وجدوه.

وأَهلُ الإيمان: من محاسن أَخلاقهم الكريمة؛ ذمُّ البُخل وأَهله، وكثرةُ السَّخاء، والجود والكرم، وبذلُ المال، ومواساة إخوانهم المسلمين في حال سفرهم، وفي حال إقامتهم، وشدَّةُ محبَّتهم لاصطناع المعروف إليهم بدون مقابل، وإدخال بعضهم السُّرور علىٰ بعضٍ، وتقديم إخوانهم في ذلك علىٰ أَنفسهم؛ فإنَّه بذلك يقعُ الأُخوة الصَّادِقة، ثمَّ التعاضدُ في نُصرةِ الدِّين؛ الذي هو غايتهم الأَسمىٰ.

وإكرامُ الضيف وخدمته بأَنفسِهم إلاَّ بعذرٍ شرعي، ثم لا يرون أَنَّهم كافؤوه بإطعامه وخدمته بالإقامة عندهم وإحسانهم الظن به.

وإجابتهم لدعوة إخوانهم إلاَّ مَنْ كان طَعَامُهُ حرامًا، أَو إذا خُصَّ الأَغنياءُ بالدَّعوة دون الفقراء، أَو كان في مكان الوليمة شيءٌ من المعاصي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

ورفيع أَخلاقهم وحسنُ أَدبهم مع الصغير فضلاً عن الكبير، ومع البعيد فضلاً عن القريب، ومع الجاهل فضلاً عن العالم.

وأَهل الإيمان: يُصلحونَ ذات البين؛ لأنَّه من أَفضل أَبواب الخير، وقمَّة المعروف، ولأَنَّ إصلاحَ ذات البين يُفسد خُطط الشَّيطان وغاياته العظمة من إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وإفساد ذات بينهم.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ!» قَالُوا بَلَىٰ. قَالَ: «إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»(١).

وينهونَ عن الحسد؛ لأَنَّ الحسدَ يُورِثُ العداوة والبغضاء، وضُعْفَ الإيمان، ويزيد من حبِّ الدُّنيا وما فيها، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ! فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ؛ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»**(٢).

وأَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: يأمرون ببرِّ الوالدين، وطاعتهما في المعروف، والإحسان إليهما، وخفض الجناح والتلطُّف لهما، وترك التَّضجُّرِ والتأَفُّفِ منهما، وعدم إيذائهما، وخصوصًا عند الكبر، والدُّعاء والاستغفار لهما؛ لأَنَّهم يرون أَنَّ برَّ الوالدين من أَجلِّ العبادات، التي رغَّب بها الله تعالىٰ، وجعل جزاء ذلك جنَّة الخلد ورضاه سبحانه؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾**(٣).

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب «في إصلاح ذات البين» وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب «في الحسد» وصحَّحه الألباني.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(١).

وأَهلُ الإيمان: يأمرونَ بحسن الجوار، والرِّفق مع العباد، وصلة الرَّحم، وإفشاء السَّلام، ورحمة الفقراء والمساكين، والأَيتام، وأَبناء السَّبيل.

وينهون عن سوء الظَّن والتَّجسُّس واتِّباع عورات المسلمين؛ لأَنَّ ذلك يُفسد العلاقات الاجتماعيَّة، ويفرق بين الإخوان، ويزرع الفساد بينهم.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ؛ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَن اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»(٢).

وأَهلُ الإيمان: من صفاتهم الحميدة؛ أَنَّهم إخوةٌ في الله تعالىٰ، والمؤمنُ أَخو المؤمن، يُحبُّون لإخوانِهم ما يُحبُّونه لأَنفسِهم، ولا يَحملون عليهم حقدًا ولا غلاًّ؛ بل يَدعون لهم بظهر الغيب بالمغفرة، والهداية، والصَّلاح، والفلاح، والتَّوفيق، والسَّداد، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٢) رواه أَبو داود في (كتاب الأَدب) باب «في الغيبة» وصحَّحه الأَلباني.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢).

وأَهل الإيمان: يرون وجوبَ النصيحة لكلِّ مسلم، والتعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، عملاً بقول النَّبِيِّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»(٣).

وأَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: يحافظون علىٰ إقامةِ شعائر الإسلام والدِّين؛ كإقامةِ صلاة الجمعة والجماعة، والحجِّ، والجهاد، والأَعياد مع الأُمراء أَبرارًا كانوا، أَو فُجَّارًا؛ خلافًا للمبتدعة، وأَهل الأَهواء.

ويسارعون إلىٰ أَداء الصَّلوات المكتوبة، وإقامتها في أَوَّلِ وقتها مع الجماعة في المساجد- وأَوَّل أَوقاتها أَفضلُ من آخرها إلاَّ صلاة العشاء - ويأمرون بالخشوع والطُّمأنينة وحظور القلب فيها، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»(٤).

ويتواصون بقيام اللَّيل؛ لأَنَّه من هدي النَّبِيِّ ﷺ وسُنَّته، واللهَ تعالىٰ أَمرَ نبيَّه ﷺ بقيام الليل، والاجتهاد في طاعته جلَّ وعلا.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «من الإيمان أن يحب لأَخيه ما يحب لنفسه».

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان أنَّ الدين النصيحة».

(٤) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب «فضل صلاة الجماعة».

وأَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: يَثْبُتُونَ في مواقف الامتحان، وذلك بالصَّبر عند البلاء، والشُّكر عند الرَّخاء، والرِّضا بِمُرِّ القضاء، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

ولا يسأَلون اللهَ البلاءَ، ولا يتمنَّونَ ذلك البتَّةَ؛ بل يسأَلون الله تعالىٰ العافية والسَّلامة والسِّتر؛ لأَنَّهم لا يدرون هل يثبتون في البلاء؛ أَم لا؟ ولكن إذا ابتُلوا صبروا وثبتوا، وذلكَ لقوة إِيمانهم، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[(٢)].

وأَهل الإيمان الصَّادِقِ: لا يقنَطُون ولا ييأَسُون من رحمة الله – تبارك وتعالىٰ – عند المحن والشَّدائد؛ لأَنَّ اللهَ – جلَّ وعلا – قد حرَّمَ ذلك علىٰ عباده المؤمنين، ولكن – أَهل الإيمان – يعيشون أَيَّام البلاءِ علىٰ أَملِ الفرج القريب، والنَّصر المؤكَّد بإذن الله؛ لأَنَّهم يثقون بوعد الله تعالىٰ، ويعلمون أَنَّ مع العسر يسرًا، ومع الضِّيق فرجًا، ويبحثون عن أَسباب المحن في أَنفسهم قبل كلِّ شيء، ويرون أَنَّ المحنَ والمصائبَ لا تصيبهم؛ إلاَّ بما كسبت أَيديهم من المعاصي، والكبائر، والذنوب، أَو التقصير في الطَّاعة والإتباع، ويعلمون أَنَّ النصرَ وتأْييدَ الله تعالىٰ لهم قد يتأَخَّر؛ بسبب الوقوع في هذه المخالفات؛ لقولِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب «كان النبي ﷺ إذا يقاتل أَول النهار أَخر القتال». ورواه مسلم في (كتاب الجهاد والسير) باب «كراهية تمني لقاء العدو والأَمر بالصبر عند اللقاء».

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[١].

وأَهلُ الإيمان الصَّادِقِ: لا يعتمدون في المحن ونُصْرَةِ الدِّين علىٰ الأَسباب الأَرضية، والإغراءات الدُّنيوية، والسُّنن الكونيَّة؛ كما أنَّهم لا يغفلون عنها من باب الأَخذ بالأَسباب؛ كما أَمر ديننا العظيم بذلك، ويرون قبل ذلك أنَّ تقوىٰ الله تعالىٰ، والاستغفار من الذُّنوب والمعاصي، والاعتماد علىٰ الله – جلَّ وعلا – والشُّكر في الرَّخاء، والصَّبر عند البلاء؛ من الأَسباب المهمَّة في تعجيل الفرج بعد الشدَّة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

وأَهلُ الإيمان: من صفاتهم العزيزة؛ أنَّهم مُبتلون وممتحنون في دينِهم ودنياهم، والبلاءُ والامتحانُ كفَّارةٌ لهم من الذُّنوبِ والخطايا، ورفعة لهم في الدَّرجات والأَجر، وهم غرباءُ في الحياة الدُّنيا، وعابرو سبيلٍ منها إلىٰ دار القرار، والدُّنيا لهم كالسِّجن بالنسبة إلىٰ نعيم الآخرة الأَبدي؛ وهي سجنٌ لقلوبهم، وجوارحِهم بزينتها، وفتنتها، وشهواتها، ومعاصيها؛ إلاَّ ما أَباح لهم ربُّهم – جلَّ وعلا – منها؛ فهم فيها غير ملومين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾[٣].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاء بالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ؛ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[٤].

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١١.

(٤) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب «ما جاء في الصبر علىٰ البلاء» وصحَّحه الألباني.

وقالَ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ»(١).

وأَهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ: من صفاتهم التي تدُّل علىٰ عبوديتهم لله تعالىٰ أَنَّهم يَخشون الله وحده ولا يخافون أَحدًا سواه، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٢).

ولا تأْخذُهم رأْفةٌ في إِقامة حدود الله - عزَّ وجلَّ - وأَنَّهم صادقون مع الله تعالىٰ في عهدهم لنُصرة الدِّين، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

ومن صفاتهم العظيمة والمميَّزة؛ محبَّتهم لحكم الله تعالىٰ ولدينه العظيم والتَّسليم التَّامُّ لشرعه الحكيم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣).

ومن أَعظم صفاتهم؛ أَنَّهم يُحبُّون النَّبيَّ ﷺ وسُنَّته المطهرة محبَّةً قوية، لا تعدلها محبَّة أَحدٍ غيره كائنًا مَن كان، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٤).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الزهد والرقائق).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.　(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «حبُّ النبي ﷺ من الإيمان».

وصفوةُ القولِ في أَهل الإِيمان الصَّادقين المخلصين:

أَنَّهم قدوةُ الصَّالحين؛ الذين يهدون إلىٰ الحقِّ، ويرشدون إلىٰ الصِّراط المستقيم؛ بثباتهم علىٰ الحقِّ، وعدم تَقَلُّبِهِمْ واتِّفاقهم علىٰ أُمور العقيدة، وجمعهم بين العلم والعبادة، وبين التوكُّل علىٰ الله تعالىٰ، والأَخذ بالأَسباب، وبين التَّوسُّع في الدُّنيا والورع فيها، وبين الخوف والرَّجاء، والحبِّ والبغض، وبين الرَّحمة واللِّين للمؤمنين والمسلمين، والشدَّةِ والغلظة علىٰ أَعداء الدِّين من الكافرين والمشركين ومَن والاهم.

وأَنَّهم أَحسنُ النَّاسِ أَخلاقًا، وأَحرُصهم علىٰ زكاة أَنفسهم بطاعة الله تعالىٰ، وأَكملهم خُلُقًا وسيرةً؛ لا يتكلمون إلاَّ بالخير وبما ينفع النَّاس.

ومن صفاتهم: محبَّةُ بعضهم لبعض، وترحُّم بعضهم علىٰ بعض، وتعاونهم فيما بينهم، وسَدُّ بعضهم لنقصِ بعض، ولا يوالون ولا يعادون إلاَّ علىٰ أَساس الدِّين.

ويخافون من عقوبة كُفر النِّعمة وجحدها، ولذا تراهم أَحرص النَّاس شكرًا وحمدًا لله تعالىٰ، وأَدْوَمَهُم عليها في كلِّ نعمةٍ صغيرةً كانت، أَو كبيرة.

ومن ميِّزاتهم: عدم اختلافهم مع مَرِّ الزَّمان والمكان.

بعض صفات أهل الإيمان كما جاءت في القرآن

الإيمان الصَّادِقِ: الذي يحمله أَهل الإيمان الصَّادِقِ:

● هو الذي ينبعث من صميم القلب؛ بالاعتقاد الجازم، والتَّسليم التَّامِّ الذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ البتَّةَ؛ قائلاً: آمنا وصدقنا.

● وهو الذي ينطق به اللِّسان صادقًا بالإقرار بقوله: سمعنا وأَطعنا.

● وهو الذي تعمل بموجبه جميع الجوارح حقًّا وصدقًا ممتثلاً بالأَوامر.

فالإيمانُ الصَّادِقِ: هو التَّصديقُ بأَركانِ الإسلامِ والإيمانِ، وهو الذي يدعو إلىٰ جميع الأَعمالِ الشرعيَّة؛ كإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصومِ رمضانِ، وحجِّ البيتِ. وهو الذي يحمل علىٰ فعل الواجبات وترك المحرمات، وامتثال المأْمورات وترك المنهيات. وهو الذي يدعو إلىٰ جميع الأَعمال الصَّالحة النافعة الخيرة؛ كبرِّ الوالدين، وصلة الأَرحام، والإحسان إلىٰ الفقراء والأَيتام، ويحمل علىٰ صدق الحديث، وأَداء الأَمانة، والعدل في الأَقوال والأَحكام، والنَّصيحة لله تعالىٰ ورسوله ﷺ وعباده المؤمنين، ومحبَّة الخير لهم. وهو الذي يدعو إلىٰ كلِّ خلقٍ جميل وحسن؛ كالحياء، والكرم والصِّدق والصَّبر والشَّجاعة والإقدام وإفشاء السَّلام وطيب الكلام.

وقد ضربَ اللهُ تعالىٰ المثل للكلمةِ الطَّيبةِ -كلمة التَّوحيد- بالشَّجرةِ الطيبة - النَّخلة - أَصلها ثابت وفرعها في السَّماءِ؛ تؤْتي أُكلها كلَّ حين بإذن ربِّها؛ فكذلك شجرة الإيمان أَصلها ثابت في قلبِ أَهل الإيمانِ علمًا

واعتقادًا، وفرعها في السَّماءِ من الكلم الطيب والعمل الصَّالح والأَخلاق الفاضلة والآداب السَّامية، قال تعالىٰ في وصف أَهل الإيمان الصَّادقين:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

فهي إذًا خمسة صفة: أَنَّهم إذا ذُكر الله تعالىٰ وجلت قلوبهم: أَي خافت فأَدوا فرائضه، واجتنبوا محارمه.

* أَنَّهم إذا تليت عليهم آيات الله تعالىٰ ازداد إيمانهم بما يحصل لهم عند ذلك من الخوف والرَّجاء والرَّغبة والرَّهبة عند سماع الوعد والوعيد.

* أَنَّهم يتوكلون علىٰ الله تعالىٰ حقًّا وصدقًا، ويعتمدون عليه وحده في قضاء الحوائج وجلب المنافع، ودفع المضار.

* أَنَّهم يقيمون الصَّلاة ويؤْتون الزَّكاة بها كاملة بشروطها وأَركانها وواجباتها ومستحباتها، ويؤدونها في أَوقاتها مع الجماعة في المساجد.

* أَنَّهم ينفقون مما رزقهم الله تعالىٰ النَّفقات الواجبة والمستحبة.

فبالقيام بهذه الأَعمال الجليلة؛ صاروا مؤمنين حقًّا، واستحقوا من ربِّهم الدَّرجات العالية، والمغفرة لذنوبهم، والرزق الكريم الأَبدي، والنعيم المقيم في جنات عدن مما تشتهيه الأَنفس وتلذ الأَعين.

---

(١) سورة الأَنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

ما جاء في مُحكم التَّنزيل عن صفات أَهل الإِيمان الصَّادِقِ:

● فعن إيمانهم بالغيب، وإشفاقهم من الآخرة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[٧].

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٩.
(٤) سورة النمل، الآية: ٣.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٦) سورة الإنسان، الآية: ٢.
(٧) سورة المعارج، الآية: ٢٧.

● عن حبِّهم للهِ تعالىٰ، والتزامهم لأوامرِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[5].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[6].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٢١.
(٧) سورة النور، الآية: ٥١.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾(٣).

● وعن إيمانهم بالرُّسُلِ والكتبِ كافَّةً، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٦).

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٥١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

● وعن إقامتهمُ الصَّلاة، وإيتائهم الزَّكاة، وإنفاقهم في سبيل الله – جلَّ وعلا – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ – ٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٣) سورة الحج، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٨.

● وعن حُبِّهم لإخوانهم المسلمينَ، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٤) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ – ٩.
(٥) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٧.

● وعن إجتنابهم الفواحشَ والنَّواهيَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٣) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٧.
(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٥) سورة المعارج، الآيات: ٢٩ - ٣٣.

● وعن صفاتهم عامةً، وأخلاقهم الحسنة، قالَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(٦) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ – ١٨.

● وعن جزائهم في الحياةِ الدُّنيا قبلَ الآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٥) سورة الحجرات، الآية: ٧.

من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في أهل الإيمان وفي بعض صفاتهم المميزة

فالإيمانُ الحقُّ: هو الخوفُ مِنَ الجليلِ - جلَّ جلاله - يقود لفعلِ الجميلِ، والتَّوكل علىٰ العزيزِ الرحيم، فهذهِ هي أقوالُ الأئمَّةِ في صفاتِهم:

١- قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ عبدُ الله بن مسعودٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(الْمُؤْمِنُ يَطْبَعُ عَلَىٰ الْخِلاَلِ كُلِّهَا إلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبِ)[١].

وقالَ: (لاَ رَاحَةَ لِلمُؤْمِنِ دُونَ لِقَاءِ اللهِ)[٢].

٢- قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ أُبيُّ بنُ كعبٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(المؤمنُ بينَ أربعٍ: إن ابتُلِيَ صبرَ، وإن أُعطِيَ شكرَ، وإن قالَ صدقَ، وإن حَكَمَ عدلَ؛ فهو يتقلَّب في خمسة من النُّورِ، وهو الذي يقولُ اللهُ ﴿ نورٌ علىٰ نُور ﴾ كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلىٰ النُّورِ يوم القيامَةِ. والكافرُ يتقلبُ في خمسة من الظُّلْمِ؛ فكلامه ظلمةٌ، وعمله ظلمةٌ، ومدخله ظلمةٌ، ومخرجه ظلمةٌ، ومصيره إلىٰ الظُّلماتِ يوم القيامة)[٣].

---

(١) « كتاب الإيمان » ابن أبي شيبة: (٨٠) ص٣٥.

(٢) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص١٣٦.

(٣) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص٢٥٥.

٣- قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ عمَّارُ بن ياسرٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ؛ فقد جَمَعَ الإيمانَ: الإنصافُ من نفسك، والإنفاقُ من الإقتارِ، وبذلُ السَّلامِ للعالمِ)(١).

٤- قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضيَ اللهُ عنهُما:

(يأتي علىٰ النَّاسِ زمانٌ؛ يجتمعونَ ويُصَلُّون في المسجدِ، وليسَ فيهم مؤمنٌ)(٢).

٥- قالَ التَّابعيُّ الجليلُ؛ الحسنُ البَصريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المؤمن مَن يعلم أنَّ ما قالَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - كما قال، والمؤمن أحسن النَّاس عملاً، وأشدُّ النَّاس خوفًا؛ لو أنفق جبلاً من مالٍ، ما أَمِنَ دون أن يعاين، لا يزداد صلاحًا وبرًّا وعبادةً إلاَّ ازداد فرقًا يقول: لا أنجو. والمنافق يقول: سوادُ النَّاس كثيرٌ، وسَيُغْفَر لي، ولا بأس عليَّ؛ فَيَنْسَىٰ العملَ، ويتمنَّىٰ علىٰ اللهِ تعالىٰ)(٣).

وقالَ: (أنَّ العبدَ المؤمن؛ ليعملُ الذَّنبَ فلا يزال به كئيبًا)(٤).

وقالَ: (ضحكُ المؤمن؛ غفلةٌ من قلبه)(٥).

وقالَ رحمهُ اللهُ: (الرَّجاءُ والخوفُ مطيَّتا المؤمن)(٦).

---

(١) «كتاب الإيمان» ابن أبي شيبة: (١٣١) ص٤٨.
(٢) «كتاب الإيمان» ابن أبي شيبة: (١٠١) ص٤٠.
(٣) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص١٥٣.
(٤) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص١٥٨.
(٥) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص١٥٨.
(٦) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص١٥٦.

٦- قالَ الإمامُ الفضيلُ بنُ عياضٍ، رحمهُ اللّهُ تعالىٰ:

(المؤمنُ؛ قليلُ الكلامِ كثيرُ العملِ، والمنافقُ؛ كثيرُ الكلامِ قليلُ العملِ؛ كلامُ المؤمنِ حِكَمٌ، وصَمْتُهُ تفكُّرٌ، ونظرُهُ عِبَرٌ، وعملُه بِرٌّ، وإذا كُنتَ كذا؛ لم تزلْ في عِبادةٍ)(١).

وقالَ: (الغِبْطةُ من الإيمان، والحسدُ من النِّفاق. والمؤمن يغبطُ ولا يحسُدُ. والمنافق يحسُدُ ولا يَغبِطُ. والمؤمن: يستُرُ، ويعِظُ، وينصَحُ. والفاجر: يهتكُ، ويُعَيِّرُ، ويُفْشِي)(٢).

٧- قالَ الإمامُ الزّاهدُ؛ مالكِ بنِ دينارٍ، رحمهُ اللّهُ تعالىٰ:

(مثلُ المؤمنِ؛ مثلَ اللُّؤْلُؤَةِ أينما كانتْ حُسْنُها مَعَها)(٣).

وقالَ: (لا يصطلح المؤمن والمنافقُ حتىٰ يصطلحَ الذئبُ والجمل)(٤).

وقالَ: (يا هؤلاء! إنَّما المؤمن؛ مثل الشّاة المأْبورة التي قد أَكلت إبرة؛ فهي تأْكل ولا نفعَ عليها لما قد خالطه من الحزنَ بينَ يديهِ)(٥).

٨- قالَ التّابعيُّ الجليل؛ وهبُ بن مُنبِّه، رحمهُ اللّهُ تعالىٰ:

(المؤمنُ يُخالِطُ ليعلَم، ويَسكتُ ليسلمَ، ويتكلَّمُ ليفهمَ، ويخلو لينعم)(٦).

---

(١) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٨، ص٩٨.
(٢) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٨، ص٩٥.
(٣) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٢، ص٣٧٧.
(٤) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٢، ص٣٧٦.
(٥) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٢، ص٣٧٧.
(٦) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٤، ص٦٨.

٩- قالَ الإمامُ القدوةُ؛ سَلَمَةُ بنُ دينارٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(أفضلُ خصلةٍ ترجىٰ للمؤمن؛ أن يكون أشدَّ النَّاس خوفًا علىٰ نفسه، وأرجاه لكلِّ مسلم)[١].

١٠- قالَ الزَّاهدُ العابدُ؛ شقيقُ بن إبراهيم البَلْخي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المؤمنُ؛ مشغولٌ بخصلتينِ، والمنافقُ؛ مشغولٌ بخصلتين؛ المؤمنُ؛ بالعِبَرِ والتَّفكُّرِ، والمنافقُ؛ بالحرصِ والأمل)[٢].

وقالَ: (مثلُ المؤْمنِ؛ كمثلِ رجلٍ غرسَ نخلةً، وهو يخافُ أن يحملَ شوكًا)[٣].

١١- قالَ التَّابعي الزَّاهدُ مورقُ بن مشموخ العجلي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ما وجدتُ للمؤْمنِ في الدُّنيا مثلاً إلاَّ كمثلِ رجلٍ علىٰ خشبةٍ في البحرِ، وهو يقولُ: يارب! يارب! لعلَّ اللهَ أن يُنجيَهُ)[٥].

١٢- قالَ الحافظُ الواعظُ؛ قتادةُ بنُ دِعَامَة البصريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(كان المؤمنُ لا يُعْرَفُ إلاَّ في ثلاثة مواطنَ: بيتٌ يسترُهُ، أو مسجدٌ يعمُرهُ، أو حاجة من الدُّنيا ليسَ بها بأس)[٥].

---

(١) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص٣٣.
(٢) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٧١.
(٣) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٦٨.
(٤) « كتاب المصنف » ابن أبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٨٤ برقم: (١٦٩٩٦).
(٥) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص٣٤١.

١٣- قالَ الزَّاهدُ القدوةُ الرَّبانيُّ؛ حاتم بن عنوانَ الأَصمِّ، رحمهُ اللهُ:

(لا يغلبُ المؤمن عن خمسةِ أَشياءٍ: عن اللهِ عزَّ وجلَّ، وعن القضاءِ، وعن الرِّزقِ، وعن الموتِ، وعن الشَّيطانِ)(١).

وقالَ: (المنافقُ؛ ما أَخذ من الدُّنيا أَخذ بحرصٍ، ويمنع بالشَّكِّ، وينفق بالرِّياء، والمؤمن؛ يأْخذ بالخوف، ويمسك بالشِّدَّة، وينفق لله خالصًا في الطَّاعة)(٢).

١٤- قالَ الإمامُ التَّابعيُّ؛ مُطرِّفٌ بن عبد الله بن الشِّخِّير، رحمهُ اللهُ:

(لو وزنَ رجاء المؤمن خوفه؛ ما رجح أَحدهما صاحبه)(٣).

١٥- قالَ التَّابعيُّ عبدُ الله بن عُبيد بن عُمير اللَّيْثيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(العلم ضالَّةُ المؤمن يغدو في طلبه؛ فكلما أَصاب منه شيئًا حواه، ويطلب إِليه غيره)(٤).

١٦- قالَ الإمامُ الفقيهُ العابدُ؛ محمَّد بن عَجْلان القرشيُّ، رحمه الله:

(المؤمنُ يحبُّ المؤمن؛ حيثُ كان)(٥).

١٧- قالَ الإمامُ التَّابعيُّ العابد؛ الرَّبيع بن خُثَيْم الثَّوْريُّ، رحمهُ اللهُ:

(ما غائبٌ ينتظره المؤمن؛ خيرٌ من الموتِ)(٦).

---

(١)، (٢) « حلية الأَولياء » أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٨، ص٧٩.

(٣) « كتاب المصنف » ابن أَبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٧٨ برقم: (١٦٩٧٢).

(٤) « حلية الأَولياء » أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٣، ص٣٥٤.

(٥) « حلية الأَولياء » أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٨، ص٢٣.

(٦) « كتاب المصنف » ابن أَبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٣٩٤ برقم: (١٦٦٩٣).

١٨- قالَ التَّابعيُّ الإمامُ؛ مَسْروق ابن الأَجْدَع الهمْدانيِّ، رحمهُ اللهُ:

(ما من شيءٍ خيرٌ للمؤمن من لحدٍ قد استراح من هموم الدُّنيا، وأَمن من عذابِ اللهِ تعالىٰ)(١).

١٩- قالَ التَّابعيُّ الإمامُ الحافظُ طلحة بن مصرِّف المقرئ، رحمهُ اللهُ:

(المؤمن يجلب عليه ابليس من الشَّياطين أَكثر من ربيعة ومضر)(٢).

٢٠- قالَ التَّابعيُّ الإمامُ العابدُ؛ محمَّد بن سُوقة الغنويُّ، رحمهُ اللهُ:

(إنَّ المؤمن الذي يخاف الله لا يسمن ولا يزداد لونه إلاَّ تغيرًا)(٣).

٢١- قالَ سيِّدُ التَّابعينَ الإمامُ الحافظُ العابدَ الفقيهُ القدوةُ؛ طاووسٌ ابن كَيْسَانَ الفارسيُّ ثمَّ اليمنيُّ الجَنديُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ المؤمنَ لا يحرز دينه؛ إلاَّ حفرته)(٤).

٢٢- قالَ الأَمامُ التَّابعيُّ؛ خالدٌ بن مَعْدان الكلاعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ أَدنىٰ حالات المؤمن؛ أَن يكون قائمًا، وخير حالات الفاجر؛ أَن يكون نائمًا)(٥).

٢٣- قالَ الفقيه؛ هاني بن كلثوم بن شريك، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(مثل المؤمن الفقير؛ كمثل المريض عند الطبيب العالم بدائِه، تطلع

---

(١) «كتاب المصنف» ابن أَبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٠٢ برقم: (١٦٧١٥).
(٢) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٥، ص١٩.
(٣) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٣، ص٥.
(٤) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٤، ص٦.
(٥) «حلية الأَولياء» أَبو نعيم الأَصفهاني: ج٥، ص٢١١.

نفسه إلىٰ أَشياء يشتهيها لو أَصابها أَهلكته ؛ كذلك يحمي الله تعالىٰ المؤمن من الدُّنيا)[١] .

٢٤- قالَ التَّابعيُّ خَيْثمة بن عبد الرحمن الجُعْفيّ الكوفيُّ، رحمهُ اللهُ :

(طوبىٰ للمؤمن ؛ كيف يحفظُ في ذرِّيته من بعده)[٢] .

٢٥- قالَ الإمامُ الزَّاهد ؛ محمَّد بن المُنْكَدِر القرشيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(إنَّ اللهَ تعالىٰ يحفظُ العبدَ المؤمنَ في وَلَدِهِ وولدِ ولده، ويحفظُ في دويرته، وفي دويرات حوله ؛ فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين ظهرانيهم)[٣] .

فهذا قُلٌّ من كُثْر! من صفاتِ عبادِ الرَّحمنِ - أَهل الإيمان الصَّادِقِ والطَّاعة المطلقة - فإذا أَردنا - نحن المسلمين اليوم - الفلاحَ، والنَّجاحَ، والنَّجاةَ، والتَّوفيقَ، والسَّدادَ، والعِزَّةَ، والسِّيادةَ، والقيادة، وعدم العبوديَّة للأَقوياء من بني البشرِ ؛ بل إذا أَردنا خَيْرَيِّ الدُّنيا والآخرة وسعادتهما :

فعلينا التمسُّك بما كان عليه هؤلاء الكِرام العِظام من أَهلِ الإيمان الصَّادِقِ ؛ الذين سطر لنا التَّاريخ سيرتهم بماءِ العين، وعلينا أَن نتأَسَّىٰ بهم وبأَقوالهم وأَفعالهم ؛ فهم اقتدوا برسُولِ اللهِ ﷺ وتخلَّقوا بأَخلاقِهِ، وامتثلوا بأَوامرِهِ، فكانوا كما وصفهم اللهُ عزَّ وجلَّ :

---

(١) « حلية الأَولياء » أَبو نعيم الأَصفهاني : ج٦، ص١١٩ .
(٢) « كتاب المصنف » ابن أَبي شيبة ؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٤٩ برقم : (١٦٨٧٤) .
(٣) « حلية الأَولياء » أَبو نعيم الأَصفهاني : ج٣، ص١٤٨ .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[٢].

فالعملُ الصَّالحُ من أعظمِ صفاتِ أهلِ الإيمانِ الصَّادقِ!

والعملُ الصَّالحِ شرطٌ أساسيٌّ لرضوان الله تعالىٰ، ولدخول جنَّته جنَّة النَّعيم، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البينة، الآيتان: ٧ – ٨.

(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠ – ٧١.

خوارم الإيمان(*)

المعاصي وأثرها على الإيمان عند أهل السنة والجماعة

(*) الخوارمُ: جمعُ خارمٍ، من خَرَمَ الشَّيْءَ إذا شقَّه وقطعه. يُقال: انْخَرَمَ الكتاب، أي: نقص وذهب بعضه. والخارمُ هو التَّارك المفسد. ويقالُ: خوارمُ المروءة، وخوارمُ العدالة، أي: ما ينقض العدالة والمروءة، ويسقط الشَّهادة. ويرادفُ الخوارم: القوادحُ والقواصمُ. وبذلك يكون المعنىٰ المقصود من كلمةِ الخوارم: تلك النقائص التي تفقد الشَّيْءَ تمامه.

خوارم الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- المعاصي وأثرها علىٰ الإيمان.
- المعاصي تنقسم إلىٰ كبائر وصغائر.
- خطر المعاصي والذُّنوب عامَّة.
- خطورة الإصرار علىٰ المعاصي، والتهاون في فعل الصغائر.
- صغائر المعاصي قد تتحوَّل إلىٰ كبائر.
- حكم الإصرار علىٰ المعاصي.
- آثار المعاصي الوخيمة علىٰ العبد في دينه ودنياه وآخرته.
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ القلب.
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ الدِّين.
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ البدن.
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ الرزق.
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ العامة وعلىٰ الفرد.
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ المجتمع.
- من أقوال أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في المعاصي والذُّنوب.
- مكفِّرات الذُّنوب عند أهل السُّنَّة والجماعة.
- الوقاية والعلاج من المعاصي والذُّنوب.
- حكم مرتكب الكبيرة دون الشِّرك.
- أقوال أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في حكم أهل الكبائر.
- من أسباب سقوط العقوبة عن العصاة الموحدين.
- طبقات عصاة الموحِّدين يوم الدِّين.

المعاصي وأثرها على الإيمان (*)

فقد علمنا - بما مضىٰ - أَنَّ الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ والأَعمال الصَّالحة، وينقصُ بالمعاصي والذُّنوبِ.

وأَنَّ للإيمانِ - عند أَهل السُّنَّةِ والجماعة - شُعَبًا ودرجاتٍ متفاوتة؛ مَنْ استكمَلَها! فقد استكملَ الإيمان الصَّادِقِ، ومَن فرَّط فيها! فقط نَقصَ من إيمانِهِ بقدرِ هذا التَّفريط؛ سواءٌ كان ذلك بترك بعض الطَّاعاتِ والأَعمال الصَّالحة، أَو بارتكابِ بعض المحرَّماتِ أَو المنكرات.

(*) • المعاصي لغةً: أَصله من العصا وهو الاجتماع والائتلاف. ومنه قيل للخوارج: قد شقوا عصا المسلمين، أَي: فرَّقوا جماعتهم، والعصيان خلاف الطاعة، عصىٰ العبد ربَّه إذا خالف أَمره. وعصىٰ فلانٌ أَميره، أَي: لم يطعه. «تهذيب اللُّغة» و«لسان العرب» مادة: ع. ص. ا.

• المعاصي شرعًا: هي تركُ المأموراتِ، وفعلُ المحظوراتِ الشَّرعيَّة، أَو هي ترك ما أَوجبه الله تعالىٰ في كتابه أَو علىٰ لسانِ رسولِهِ ﷺ أَي: هي ارتكابُ ما نهىٰ اللهُ عنه، أَو رسولُهُ ﷺ؛ مِنَ الأَقوال، والأَعمال الظَّاهرة، أَو الباطنة.

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ: (المعصيةُ هي مخالفة الأَمر الشَّرعيّ؛ فمن خالف أَمر الله الذي أَرسل به رسله وأَنزل به كتبه؛ فقد عصىٰ) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٨، ص٢٦٩.

• أَلفاظ تدخل في معنىٰ العصيان في المصطلحات الشَّرعيَّة، منها: الفسقُ، الذَّنْبُ، الخَطيئةُ، السَّيِّئةُ، الحُوبُ، الإِثمُ، الفسَادُ، العُتُوُّ، الإِصرُ.

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ: (لفظُ المعصيَةِ والفُسُوقِ والكُفْر: فإذا أُطلقتِ المعصيةُ للهِ ورسُولَهُ دخلَ فيها الكُفْرَ والفُسُوقُ، كقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩] فأَطلق معصيتهم للرُّسل بأَنهم عصوا هودًا معصية تكذيب لجنس الرُّسُل؛ فكانت المعصية لجنس الرُّسل) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٧، ص٥٩.

وشُعَبُ الإيمانِ هيَ الأعمالُ الصَّالحةِ التي أمرنا اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - بها؛ فأعلاها «**لا إله إلاَّ الله**» وأدناها «**إماطةُ الأذىٰ عن الطَّريق**» وما بين ذلك شُعبٌ ودرجاتٌ متفاوتةٌ؛ منها ما هو إلىٰ أعلىٰ الشُّعبِ أقرب، ومنها ما هو إلىٰ أدنىٰ الشُّعب أقرب.

وكذلك **الكُفرُ** عند أهل السُّنَّةِ والجماعة: هو دركاتٌ وظلماتٌ وشُعبٌ وفروعٌ متعدِّدة، وهذهِ الشُّعبِ والدَّركاتِ - والعياذُ بالله - هيَ:

الشِّركُ، والنِّفاقُ، والظُّلمُ، والهوىٰ، والكبائرُ، والفُسُوقُ، والمعاصي، والذُّنوبُ، والفَسَادُ، والآثمُ، والخطيئةُ، والسَّيِّئَةُ، وغيرها من المصطلحات التي تُرادفها:

● فإنَّ بعضُ هذه الشُّعبِ والدَّركاتِ من الكُفرِ مخرجٌ من دين الإسلام - والعياذُ بالله - إذا كانت هذه الشُّعبةُ تنافي وتناقض أَصلَ الإيمان وتهدمُهُ وتذهبه، ويسمَّىٰ ذلكَ بالمصطلح الشَّرعِ: بالكُفر الأكبر، أو الشِّرك الأكبر، أو ما يُرادفهما من المصطلحاتِ الشَّرعيَّةِ.

وهذا النوع من الكُفرِ لا يغفره الله تعالىٰ البتَّةَ! إذا ماتَ العبدُ عليهِ!

ولا يغفر الله تعالىٰ هذا النوع من الكفرِ؛ إلاَّ بالتَّوبةِ الصَّادقَةِ النَّصُوح، وبتجديد الإيمان الصَّادِقِ، والدُّخول في الإسلام الحقِّ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾(٣).

● وبعض هذه الشُعب من الكُفرِ – عند أَهل السُّنَّةِ والجماعة – غيرُ مخرجٍ من دينِ الإسلام؛ لأنَّها لا تنافي أَصلَ الإيمان، ولكن يُنْقِصه ويُضْعِفه ولا يذهبه بالكلِّيَّةِ، أَي: ينافي كمالَهُ الواجبَ والمستحبَّ.

وهذا النوع من الكُفرِ يكون بتركِ بعضِ المأْموراتِ، وفعلِ بعضِ المنهيَّاتِ الشَّرعيَّةِ؛ من ارتكاب المعاصي والذُّنوب والآثام والخطايا، ويسمَّىٰ هذا النوع بالكفرِ الأَصغر، أَو الشِّرك الأَصغر، أَو كُفرٌ دون كفرٍ،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨ – ٧١.

وهذا النوع من الكفرِ - أي المعاصي والفسوق والذُّنوب - إذا مات صاحبه عليه؛ فهو تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ إن شاءَ عذَّبَهُ بعدلِه وحكمَتِه، وإن شاءَ عفا عنه وغفرَ لَهُ؛ بمنِّه وكرمِه ورحمتِه وإحسانِه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾(٢)(*).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(*) قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمه اللهُ تعالىٰ - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: وبغَّض إليكم الكُفر، والفسوق: وهي الذُّنوب الكبار، والعصيان: وهي جميع المعاصي، وهذا تدريج لكمال النعمة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (قال محمَّد بن نصر المروزي: لما كانت المعاصي بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر؛ فرَّق بينها؛ فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبرَ أنَّه كرَّهها كلَّها إلىٰ المؤمنين. ولَمَّا كانت الطَّاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيءٌ خارج عنه؛ لم يفرق بينها، فيقول: حبَّب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطَّاعات؛ بل أجملَ ذلك، فقال: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ ﴾ فدخل في ذلك جميع الطَّاعات؛ لأنَّه قد حبَّبَ إلىٰ المؤمنين الصَّلاة والزَّكاة، وسائر الطَّاعات حبَّ تديُّن؛ لأنَّ الله أخبرَ أنَّه حبَّب ذلك إليهم وزيَّنه في قلوبهم، لقوله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ ﴾ ويكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها، والفسوق، وسائر المعاصي، كراهة تدين؛ لأنَّ الله أخبر أنَّه كرَّه ذلك إليهم) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٤٢.

● أَقسَامُ المعاصي :

المعاصي تنقسمُ إلىٰ كبائر وصغائر :

المعاصي والذُّنوبُ التي هي دون الكُفر، أَو الشِّرك – عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة – تنقسمُ قسمين: كبائرَ، وصغائر.

● الكبيرةُ: هي كلُّ معصيةٍ يترتَّبُ عليها حدٌّ في الدُّنيا، أَو وعيدٌ في الآخرةِ، أَو لعنةٌ، أَو غضبٌ، أَو نارٌ، أَو عذابٌ.

● الصَّغيرةُ: هي كلُّ معصيةٍ لا يترتَّب عليها حدٌّ في الدُّنيا، ولا وعيدٌ في الآخرة، أَو لعنٌ، أَو غضبٌ، أَو عُقوبةٌ، أَو نفيُ الإيمانِ عن فاعلِه.

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ استدلُّوا علىٰ هذا التَّقسيم؛ بأَدلَّة من الكتابِ، والسُّنَّةِ، والإجماع، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾[1](*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾[2](**).

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

(*) هذه الآية صريحة الدلالة في تقسيم الذنوب إلىٰ كبائر وصغائر علىٰ خلاف بين العلماء في المقصود باللمم، قال الإمام ابن القيِّم، رحمه الله: (قول الجمهور: أنَّ اللَّمم صغائر الذنوب؛ كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصَّحابة ومن بعدهم) انظر: «مدارج السالكين» ج١، ص٣٤٣.

(**) قالَ القرطبيُّ، رحمه الله: (لمَّا نهىٰ تعالىٰ في هذه السورة عن آثام هي كبائر، وعَدَ علىٰ اجتنابها التخفيف من الصغائر، ودلَّ هذا علىٰ أنَّ في الذنوب كبائر وصغائر، وعلىٰ هذا جماعة أَهل التأويل وجماعة الفقهاء) «الجامع لأحكام القرآن» ج٥، ص ١٠٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1](*).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتُنِبَ الكَبَائِرَ »[2](**).

وعن أَبي هُريرةَ - رضي اللهُ عنه - قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ » قالوا: يا رسُولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قالَ: « الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ »[3].

وقالَ الإمامُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ: (والذُّنوبُ تنقسمُ إلىٰ صغائرِ وكبائرِ؛ بنص القرآنِ، والسُّنَّةِ، وإجماعِ السَّلفِ، وبالاعتبارِ)[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩ .

(٢) « رواه مسلم » في كتاب (الطهارة) باب: « الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة . . . » .

(٣) « رواه البخاري » في كتاب (الوصايا) باب: « قول الله تعالىٰ: وآتوا اليتامىٰ أموالهم » .

(٤) « مدارج السالكين » ج١، ص٣٤٢ .

(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا عملاً وإن صغر ﴿ إلاَّ أحصاها ﴾ أي: ضبطها وحفظها) .

(**) قال الإمام النووي، رحمه الله: (فسمَّىٰ الشرع ما تكفره الصَّلاة ونحوها صغائر، وما لاتكفرهُ كبائر) « شرح النووي علىٰ صحيح مسلم » ج٢، ص٨٥ .

● **خطرُ المعاصي والذُّنوب عامَّةً:**

المعاصي والذُّنوب بأَنواعها الكبيرة والصغيرة؛ شأْنُها عظيمٌ، وأَمرها كبيرٌ، وخطرها جسيمٌ عند الله - تبارك وتعالىٰ - وهيَ تدورُ ما بينَ الإِثم، والذَّنبِ، والخطيئَةِ، والسَّيِّئَةِ، والفَسادِ، والعُتُوِّ، والظُّلمِ، والفاحشَةِ، والفِسْقِ، والعصيانِ، والضَّلالِ، والكُفرِ، والشِّركِ.

والمعاصي عامَّةً لها عواقبَ خطيرةً علىٰ الأَفرادِ والمجتمعاتِ! وهيَ تُبعدُ عن رضوانِ اللهِ تعالىٰ، وعن رحمته الواسعة؛ بل هيَ من الأَسباب الرئيسة المقربةً إلىٰ سخطه الشَّديد، وعذابه الأَليم، ونار جهنَّم، والعياذُ بالله.

فالمعاصي! شؤمٌ وعار، وشرٌّ ودمار، وخزيٌ ونار؛ إنَّها تبدل صاحبها بالعزِّ ذلاً، وبالنِّعَم حرمانًا، وبالأَمنِ خوفًا، وبرَغَد العيش جوعًا، وباللِّباس عُرْيًا، وبالبركات مَحْقًا وذهابًا، وبالغنىٰ للشُّعوبِ فقرًا، وبالعفافِ فجورًا، وبالحياء استهتارًا، وبالعقل والحلم خفَّةً وطيشًا، وبالاجتماع فُرْقَةً واختلافًا، وبالاستقامة زيغًا وفسادًا، وبالتوادِّ والتَّراحم كراهيةً ونفرةً وبغضًا، وبالخصب شدَّةً وجَدْبًا، وبالجنَّة في الآخرة نارًا، وبالفرح بالطَّاعة همًّا وغمًّا، وبالحياةِ الطَّيبَةِ معيشةً ضنكًا!! ومن أَعظمِ عقوبات المعاصي وأَخطرها علىٰ العبدِ هيَ الطبعُ علىٰ قلبِهِ، والختم عليه، وغفلته وموته، وانتكاسه وظلمته وقسوته؛ حتىٰ يرىٰ صاحبها المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، وتحبُّ المعصية وتكره الطَّاعة، فلا يخشع لموعظة، ولا يستجيب لناصح؛ فهذا دليلٌ علىٰ ضعفِ الإيمانِ والإحسانِ في القلب، فكلما استمرَ صاحبها في فعل المعاصي وكسبِ الخطايا والذُّنوبِ؛ ابتعدَ عن مولاه أَكثر فأَكثر! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾(١).

وإذا مات قلب العبدِ بالمعاصي لا يشعر بعده بالعقوبات، ولا يحس بها؛ لأنَّه لا يرىٰ العقوبَة إلاَّ إذا نزلت في دنياه، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ »(٢).

إذن المعاصي! هيَ حربٌ للهِ تعالىٰ ورسُولِهِ ﷺ، وهيَ أَساسُ الدَّاءَ، وسببُ البلاءِ، وجلبُ النِّقَمِ، وتعجيلُ العقوبَةِ، وحرمانُ العلم والرِّزقَ؛ فهيَ متفاوتةٌ في شرورها وعقوباتها، فبعضها أَعظم من بعضٍ، وكلُّها شرٌّ، صغيرُها وكبيرها؛ لذلكَ جاءت نصوصٌ كثيرةٌ من الشَّارع الحكيم؛ تحذرُ من ارتكابِ المعاصي والذُّنوبِ عامَّةً، وتبينُ عقوباتها الشَّديدة، ومآلها الوخيم في الدُّنيا قبلَ الآخرة! وكلُّ ذلكَ لكي نبتعد عنها، ولئلا نتهاون بها ونألفُها، ولا نغترَّ بالإمهال وطول الآمل الذي هو من خُطوات الشَّيطانِ العدو الأكبر لابن آدم؛ فإنَّ الذُّنوبَ لا تُنسىٰ، والديَّان حيٌّ لا يموت! والحفظة الكرام لا يفطرون ولا يملون، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(٣).

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب صفة القيامة) باب « ٢٥ ». وقال حديثٌ حسن، وابن ماجة في (كتاب الزهد) باب « ذكر الموت والاستعداد له ».

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ – ٨.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٣].

وفي الحديثِ القُدسيِّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

«يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»[٤].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ! إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ؛ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٥].

ونصوص كثيرةٌ - أيضًا - تُذكرنا بالقصصِ الحقِّ عن القرون الخالية بما أصاب الأُمم الماضيَةِ؛ كيف نزلت بهم عقوبات الذُّنوب، وتجرَّعوا كؤوس الخسران والوبال، ولم تنفعهم الجموع والأولاد والأموال؟ وما أصحابهم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٤) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «تحريم الظلم».

(٥) رواه البخاري في (كتاب الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «بعثت بجوامع الكلم».

ذلكَ العذابِ؛ إلاَّ بسبب ذنوبهم، وبما كسبت أيديهم! قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٣٨ - ٤٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٥.

فالواجبُ علىٰ كلِّ مسلم صادقٍ في إيمانه! ترك جميع ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه ورسُوله ﷺ ولا فرق في ذلك بين الصَّغائر والمحقراتِ، والكبائرِ والموبقاتِ؛ فيجبُ البُعدُ عنها والخوفُ منها، والحذرُ علىٰ النَّفس وعلىٰ الأَهل والمجتمع من أَن تكون هذه المعاصي سببًا للوقوع في الفتنةِ، أَو الوقوع في عذابٍ أَليم، أَو من سوءِ العاقبةِ في الدُّنيا والآخرة، وتَوَقُّوا عقوباتها بالاستقامة، والتَّوبة إِلىٰ الله - عزَّ وجلَّ - واتِّعاظ بما حَلَّ بالعُصاةِ المفترين في الدُّنيا، المتَّبعينَ لخُطواتِ الشَّيطانِ؛ فالسَّعيدُ مَنِ اتَّعَظَ بغيرِهِ، والشَّقيُّ مَنْ وُعِظَ به غيرُه، واعلم! أَنَّ تركَ المعاصي والذُّنوب تعظيمٌ لحقِّ اللهِ تعالىٰ، وتعظيمٌ لما نهىٰ الله عنه ورسُوله ﷺ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

فاحذر - أَخي المسلم - خطر الذُّنوبَ والمعاصي؛ فما خسر الخاسرون إِلاَّ بسببها، وما حُرم المحرومون من الخير والنِّعمة إِلاَّ بأَسبابها وعقوباتها، واعلم! إِنَّ سُنَّةَ الله تعالىٰ في خلقهِ لا تُحَابي أَحدًا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٣.

ثمَّ اعلم! أنَّ لنا ربٌّ غفورٌ رحيمٌ كريمٌ يحبُّ عفوة؛ فبرحمته وحكمته – سبحانه – يحبُّ من عباده الرُّجوع إليه، والاستغفار والنَّدم على المعاصي والذُّنوب، ويحبُّ دوام الطَّاعاتِ، وإظهار الفضل إلىٰ رحمته، والاضطرار إلىٰ عفوه وغفرانه، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ! لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[١].

فاطلب – أخي المسلم – ما عند الله تعالىٰ من الخيرِ والنِّعم بطاعته سبحانه، والبُعد عن معصيته؛ لأنَّ الخيرَ لا يُنال إلاَّ بطاعته، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[٢].

ثمَّ اشكره علىٰ نعمه الظاهرة والباطنة؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٣].

واصدق في التَّوبة والنَّدامة والاستغفار، واعلم! أنَّ ابن آدمَ ليسَ بمعصومٍ من الذُّنوب والخطايا، ولكنَّ الواجب عليه إذا وقع فيه أن لا يصرَّ عليها؛ بل يبادر في حينها بالتَّوبة الصَّادقةِ النَّصوح، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[٤].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب «سقوط الذنوب بالاستغفار توبة».

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩ – ٧٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٤) رواه الترمذي في (كتاب صفة القيامة) باب «٤٩». وابن ماجة في (كتاب الزهد) باب «ذكر التوبة».

● **خُطورةُ الإصرارِ علىٰ المعاصي، والتَّهاون في فعلِ الصَّغائر :**

* فإنَّ الاستصغارَ والاستهانة بالمعاصي والذُّنوب والخطايا والآثام والتَّهاون في فعلها، ولو كانت صغيرةً! ليسَ من هديِّ النَّبيِّ الكريم ﷺ ولا من سُنَّتهِ المطهرة، ولا من هديِّ أَصحابه الكرام - رضي الله عنهم - ولا من هديِّ مَن تبعهم من أَئمَّة السَّلف العظام قاطبةً، رحمهمُ اللهُ تعالىٰ.

* وإنَّ عدمَ المُبالاةِ بالوقوع في المعاصي، والتَّساهُل في شأْنها، والإصرارَ عليها، والاستمرارَ بها، والتجاهل بعواقبها، وعدم العزيمة علىٰ التَّوبةِ؛ مخالفٌ لأُصولِ الدِّينِ الحقِّ الذي جاءِ به نَبِيُّ الإسلام الحنيف.

* وهو استخفافٌ بأَحكام الشَّريعة المطهرة؛ لأَنَّ كل ما نَهتْ عنه الشَّريعة الغرَّاء؛ فهو كبيرةٌ وعظيمةٌ ومعصيةٌ عند الله - جلَّ وعلا - يجب الحذرُ منه، والتَّوبةُ عند الوقوع فيه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: **« إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ »**[٢].

وقالَ ﷺ: **« إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ!**

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» ج١، ص٤٠٢ (مسند عبد الله بن مسعود) وصحَّح إسناده العلاَّمة أحمد شاكر في تحقيقه للمسند؛ ج٥، ص٣١٢ (٣٨١٨).

كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ؛ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ؛ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»(١).

وقالَ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»(٢).

وقالَ الصحابيُّ الجليلُ؛ أَنسُ بن مالكٍ، رضي اللَّهُ عنهُ:

(إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ؛ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ)(٣).

وقالَ حَبْرُ الأُمَّةِ؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، رضي اللَّهُ عنهما:

(لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ، ولاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ)(٤).

وقالَ الصَّحابيُّ الفقيهُ؛ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، رضي اللَّهُ عنه:

(إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وإِنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ)(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» ج٥، ص٣٣١ (عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه) وصحَّحه العلاَّمة الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٨٩).

(٢) «رواه الترمذي» في (أبواب تفسير القرآن) باب «سورة ويل للمطففين» وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» ج٣، ص١٢٧. والآية: ١٤، من سورة المطففين.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب: «ما يُتَّقَىٰ من محقرات الذنوب».

(٤) «جامع البيان» الإمام الطبرى: ج٨، ص٢٤٥.

(٥) «رواه البخاري» في (كتاب الدعوات) باب: «التوبة».

واعلم! أخي المسلم اللَّبيبِ؛ علَّمنا الله تعالىٰ وإيَّاك مخافته:

كما أنَّ الشَّارعَ الحكيم قد نهىٰ عن كبائر الذُّنوبِ والموبقاتِ! كذلك نهىٰ عن الصَّغائر والمحقرات؛ فالمؤمنُ الصَّادقُ مُكلَّفٌ بترك الصَّغائر كلِّها كما هو مُكلَّفٌ بترك الكبائر كلها، قالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴾(١)(*).

وصغائر الذُّنوب كثيرةٌ، ولا يُسلمُ منها أحدٌ - إلاَّ من رحمَ اللَّهُ - إلاَّ أنَّ الخطرَ يَكْمُنُ في التَّهاونِ بها، واستصغارها في النَّفسِ، والجرأة عليها بحيثُ لا يُبالي صاحبها بما يقترفه منها، ولا يخشىٰ عاقبتها، ويغفل عن التَّوبةِ منها، ومحوها بالحسناتِ، ويتعمد صاحبها تكرارها؛ حتىٰ يتحول إلىٰ منزلةِ الكبائرِ؛ لأنَّ التَّهاونَ بالذُّنوبِ والإصرار عليها دليلٌ علىٰ ضعفِ الإيمانِ في القلبِ، وقلَّة تعظيم العبد لربِّهِ، جلَّ في عُلاه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

(*) قالَ شيخُ المفسرينَ الإمامُ ابن جرير الطَّبري، رحمه اللَّهُ: (ظاهر الإثم وباطنه... سرَّه وعلانيته، والإثم: كلُّ ما عُصي الله به من محارمه، وقالَ مجاهد: الإثم المعاصي كلها).
وقالَ الإمامُ ابن كثير، رحمه اللَّهُ: (قال مجاهد: وذروا ظاهر الإثم وباطنه: معصيته في السِّر والعلانية. وفي رواية عنه هو: ما ينوىٰ مما هو عامل. وقال قتادة: وذروا ظاهر الإثم وباطنه: أي: سره وعلانيته قليله وكثيره. وقال السُّدي: ظاهره الزِّنا مع البغايا ذوات الرايات، وباطنه الزِّنا مع الخليلة والصَّدائق والأخدان. وقالَ عكرمة: ظاهره نكاح ذوات المحارم. والصَّحيح أنَ الآيةَ عامَّة في ذلك كله، وهي كقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ولهذا قالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴾ أي: سواء كان ظاهرًا أو خفيًا فإنَّ الله سيجزيهم عليه. قال ابن أبي حاتم: ... قال: سألتُ رسُولَ اللهِ ﷺ عن الإثم، فقالَ: «الاثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رواه مسلم).

وغالبًا ما يقع التّهاون بصغائرِ الذُّنوبِ اعتمادًا علىٰ الظَّنِ الذي لا يُغني عن الحقِّ شيئًا! بأَنَّ الهفواتَ وزلاتَ لا تُكتب علىٰ فاعله ولا عقوبة فيها، وهذا غيرُ صحيحٍ، وفقهٌ أعوجٌ، وفهمٌ خاطئٌ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾(٢).

وإنَّ منابعَ المعصية ووسائلها في عصرنا الحاضر كثيرةٌ لا حدَّ لها، ولم يسبق لها مثيلٌ علىٰ مرِّ العصور الخالية؛ فآثارها في النَّفس والمجتمع كبيرةٌ جدًّا وعظيمةٌ وأشدُّ خطرًا ممن سبق؛ لأنَّ أعوان شياطين الإنس من الفاسقين والفاجرين استغلوا كلَّ مبتكراتِ العصر؛ كالبثِ الفضائي، وشبكة الإنترنت، والهاتف الجوال وغيرها كثير؛ في نشر المعاصي بأنواعها، والتشجيع عليها، والترويج لها، مما زاد من منافذ الفتن، والتي قد يستهين النَّاس بها أمام حاجتهم إلىٰ استعمال هذه المبتكرات العصرية والتقنيات الحديثة، واعتمادهم عليها في حياتهم اليومية.

ولكن من رحمةِ اللهِ تعالىٰ بعباده؛ أنَّهُ بشَّرهم بمغفرةِ الصَّغائر إذا اجتنبوا الكبائر، وشرع لهم مكفِّرات كثيرة للذُّنوبِ، وجعل الحسنات تمحو السَّيئات؛ لكن حذَّرهم في الوقت نفسه من التَّهاونِ بصغائرِ الذُّنوبِ، وإهمال مجاهدة النَّفسِ علىٰ تركها والتَّوبة منها.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

ولكن بعضُ المسلمينَ – مع الأَسف الشَّديد – يتهاون في ارتكابِ الذُّنوبِ والمعاصي؛ اعتمادًا منهم علىٰ أَنَّها مغفورةٌ بالأَعمالِ المكفِّرةِ؛ كالعبادةِ والصَّدقة وغيرها! فهؤلاءِ الغافلون! هل سأَلوا أَنفسهم يومًا عن تلك الأَعمال؛ من صلاةٍ وصومٍ وحجٍّ، هل قُبلت منهم أَم لا؟ هل تكفي لمحو سيئاتهم أَم لا؟ ومَن الذي يعلم من الخلقِ أَنَّ اللهَ تعالىٰ سامحه في هفواتهَ وزلاتهِ؛ حتىٰ لا يتوقف عن فعلها ويترك التَّوبة منها! وهذا سيِّد البشرِ ﷺ – الذي غُفِرَ لَهُ ما تقدمَ من ذنبِهِ وما تأَخرَ – يقولُ:

«وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(١).

فهلْ يحقُ لأَحدٍ بعدَ النَّبيِّ ﷺ أَن يتركَ التَّوبةَ من صغائرِ الذُّنوبِ!

واعلم! أَنَّ السُّقوطَ في مستنقع التَّهاون بصَّغارِ المعاصي يشغلُ النَّفسَ عن التَّوبةِ، ويبعدُها عن القيام بالأَعمالِ المكفرةِ للذُّنوبِ، وقد يجر التَّهاون بالصَّغائرِ إِلىٰ هو أَكبر منها! لأَنَّ الجرأَةَ علىٰ الصَّغائر يفتحُ علىٰ النَّفسِ باب اعتيادها، لا سيما مع سهولة اقترافها؛ حتىٰ تتعود انتهاك حدود الله تعالى ومخالفة أَوامره ونواهيه؛ ثمَّ يسهِّلُ لها عدواه الشَّيطان بخطواته ما هو أَكبر من ذلك، ويزين لها طريق اقتراف الكبائر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٣).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب «استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة».
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.   (٣) سورة النور، الآية: ٢١.

ومما يزيدُ من خطرِ صغائرِ الذُّنوبِ والمعاصي؛ أَنَّها قد تجلبُ علىٰ فاعلها أَوزارًا من حيثُ لا يشعر! وقد يرتكبُ العبدُ ذنبٌ وهو لا يبالي بها، ويضربُ أَثره في الآفاق، فيكون سببًا في نشرِ الفتنِ، وتدمرِ الأَخلاق وهو لا يعلم! بل قد يكون هلاك العبد في كلمةٍ يطلقها! ويهوِّن بها لغيره محرمًا، أَو شبهةً، أَو يشجعهم علىٰ بعض المعاصي بإشارةٍ؛ فيحمل بذلكَ وزرَ كلِّ مَن اقتدىٰ به، أَو اعتمد كلامه وأَوَّله، وقد يوفَّقون هؤلاء للتَّوبةِ فيُغفر لهم - واللهُ غفورٌ رحيم - ولكنَّ صاحبُ الكلمةِ تجدهُ سارحٌ في غيِّه يحمل وزره وأَوزارهم! ثمَّ يتفاجأُ بها المسكينُ يوم القيامة عند الحساب!!

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَيُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(١)(*).

فلا تغفل - أَيُّها المسلم الكريم العزيز - عمَّا غفلَ عنه المجرمون الظَّالمون الظَّالمين في حياتهم الدُّنيا، واتَّبعوا أَهوائهم بفضل شيطانهم - الذي يكيد لهم - وكان أَمرهم فُروطا، ونسوا أَنَّ الملائكةَ الحفظةِ الكرام البَرارَ؛ يسجلونَ علىٰ ابنِ آدمَ كلَّ صغيرٍ ودقيقٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾(٢).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «حفظ اللسان».

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٣.

(*) قالَ الحافظُ ابن حجر - رحمه الله - في شرح الحديث: (لا يلقي لها بالاً. أي: لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنَّها تؤثر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]).

فهذا الذي غَفِلُ عنه المجرمون في الدُّنيا؛ فسيذهلهم خطره العظيم يوم الحسرةِ والنَّدامة عندَ الميزانِ يوم الحساب، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

واعلم! أَنَّ اللهَ تعالىٰ جليلٌ عظيمٌ، ومن عظمته - عزَّ وجلَّ - أَنَّهُ لا يخفي عليه خافية في ملكوته - سبحانه - فهو الرَّقيب العليم الخبير المطلع علىٰ السَّرائرِ؛ فلا تنظر أَيُّها العبدَ المسكينِ! إلىٰ صُغرِ الخطيئةُ، ولكنْ انظر إلىٰ مَن عصيت، قالَ اللهُ تعالىٰ علىٰ لسانِ عبدِهِ لقمان الحكيم:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

ويقولُ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[3].

واعلم أَخي المسلم العزيز: علَّمنا الله وإِيَّاك طريقَ الهُدىٰ:

أَنَّه حريٌّ بكلِّ مسلمٍ صادقٍ مع ربِّهِ - عزَّ وجلَّ - أَن لا يأْمنَ مكرَ اللهِ تعالىٰ، وشديد عقابه وأَليم عذابه، وأَن لا يُحَقِّرَ المعاصي والذُّنوب مهما كانت صغيرة أَو دقيقة، وأَن يبادر بالتَّوبة والاستغفار إِذا وقعَ منه ذنبٌ علىٰ

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) سورة لقمان، الآية، ١٦.

(٣) سورة ق، الآية، ١٦.

الفورِ، كما يجب عليه أن ينظرَ إلىٰ عظمةِ مَن عصاه وخالف أمره، لا إلىٰ صُغرِ معصيته التي ارتكبَها، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٢].

وقالَ التَّابعيُّ والإمامُ الرَّبانيُّ؛ بلالُ بن سَعْدٍ السَّكونيُّ، رحمهُ اللَّهُ:

(لاَ تَنْظُرْ إلىٰ صِغرِ الْخَطِيئَةِ، ولَكِنِ انْظرْ مَنْ عَصَيْتَ)[٣].

وقالَ الإمامُ القدوةُ؛ الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ، رحمهُ اللَّهُ تعالىٰ:

(بقَدْرِ ما يَصْغُرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ؛ يَعْظُمُ عِنْدَ اللهِ، وبِقَدْرِ ما يَعْظُمُ عِنْدَكَ؛ يَصْغُرُ عِنْدَ اللهِ)[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ - ١٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٣)، (٤) انظر: «الجواب الكافي» لابن القيم؛ ص١٤٩. دار ابن خزيمة.

● صغائرُ المعاصي قد تتحوَّلُ إلىٰ كبائر :

والصَّغائرُ من المعاصي والذُّنوبِ – عند أَهل السُّنَّةِ والجماعة – قد تعظُمُ وتتحوَّل إلىٰ كبائر الذُّنوبِ! لأَسباب عدة، نذكر منها[1] :

١– الإِصْرَارُ والْمُدَاوَمَةُ عَلَيهَا .

٢– اسْتِصْغَارُ المعصيةِ واحْتِقَارُهَا .

٣– الفَرَحُ بفعلِ المعصيَةِ الصَّغيرة، أَو الافْتِخَارُ بهَا .

٤– فعلُ المعصيةِ ثمَّ المجاهرةُ بها؛ لأَنَّ المجاهرَ غير معافىٰ .

٥– أَن يكونَ فاعلُ المعصيةِ الصغيرةِ عالمًا يُقتدىٰ به؛ لأنَّه إذا ظهر أَمام النَّاس بمعصيته، كَبُرَ ذنبه عندَ اللهِ تعالىٰ، وربَّما احتجَّ الجُهَّالِ بفعلِهِ .

فإنَّ التَّهاونَ في فعلِ الصَّغائرِ والمحقراتِ هو الخطوةُ الأُولىٰ التي توصل المسلمِ والمجتمع الإسلامي إلىٰ التَّهاونِ في ارتكاب الكبائرِ والموبقات والعظام، وما فشت الكبائر وكثرة الفواحش والمعاصي في بلادِ المسلمين؛ إلاَّ بعد أَن سبقها تهاون المسلمينَ في فعلِ الصَّغائرِ، والمداومةِ عليها، واستخاف بها ومجاهرتها، وعدم التَّوبةِ منها، وعدم تعظيم الله تعالىٰ والأَمن من مكرهِ – سبحانه – عند فعل المعاصي وارتكاب الذُّنوبِ .

ومن أَهمِّ أَسبابِ إِصرار عوام المسلمينَ علىٰ فعل الصَّغائرِ هو عدم إدراكهم لهذه الحقيقة! هي أَنَّ الصَّغائر المعاصي تتحوَّلُ إلىٰ كبائر المعاصي عندَ الإصرار عليها، والإصرارُ هو الثَّباتُ علىٰ المخالفة، والعزم علىٰ المعاودة،

---

(١) انظر : « مختصر منهاج القاصدين » للإمام أَحمد بن قدامة المقدسي؛ ص ٢٧٨ . دار البيان .

والإقامة علىٰ فعل المعصية مع العلم بأنَّها معصية دون الإستغفار أو التوبة.

وعدم إدراكهم بأنَّ الكبيرةَ عندما يرتكبها العبد وهو خائف وخجل من تقصيره؛ هي أرجىٰ في المغفرةِ من صغيرةٍ يُصرُ صاحبها عليها ولا يبالي بها مع علمه أنَّها لا ترضي الله تعالىٰ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فإنَّ الزِّنَا من الكبائرِ، وأمَّا النَّظرُ والمباشرَةُ فاللَّمَمُ منها مَغْفُورٌ باجْتنابِ الكبائرِ؛ فإن أصَرَّ علىٰ النَّظرِ أو علىٰ المباشرَةِ صَارَ كبيرَةً، وقد يكُونُ الإصْرارُ علىٰ ذلكَ أعظمَ من قليلِ الفواحِشِ؛ فإنَّ دَوَامَ النَّظرِ بالشَّهْوَةِ وما يَتَّصِلُ به من العِشْقِ والمعاشَرَةِ والمباشَرَةِ قد يكونُ أعظمَ بكثير من فسادِ زنَا لا إصْرَارَ عليهِ، ولهذا قالَ الفُقهاءُ في الشَّاهدِ العدلِ: أن لا يأْتيَ كبِيرَةً ولا يُصِرَّ علىٰ صغيرَةٍ... بل قد ينتهي النَّظرُ والمباشرَةُ بالرَّجُلِ إلىٰ الشِّرْكِ كما قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]... والعاشقُ المتيَّمُ يَصيرُ عبدًا لِمَعْشُوقِهِ مُنْقَادًا لَهُ أَسِيرَ القَلبِ لَهُ)[١].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٥، ص٢٩٣.

● حكمُ الإصرارِ علىٰ المعاصي:

فإنَّ صغائرَ الذُّنوبِ والمعاصي كثيرةٌ جدًّا، ويعدُّ العلماء صغار الذُّنوب صغائر؛ إذا خلت من الاستخفاف بها، والإصرار عليها، وكانت مما يحزن عليه العبد ويندم، وإلاَّ فإنَّهم يعدونها مع الاستخفاف والعزم والإصرار من الكبائر؛ كإطلاقِ البصرِ في المحرماتِ، وسماع ما يلهي عن القرآن، واللعب بما يصدُّ عن الذِّكرِ، وترك رد السَّلام، وبذاءةِ اللِّسانِ، وسوء معاملةِ النَّاسِ، وخداعهم، وغير ذلك.

فالإصرارُ علىٰ المعاصي ولو كانت صغيرة، والاستغراقُ والتَّوَغُّلُ فيها، والاستمرارُ عليها، وعدمُ الإقلاع عنها، وعدمُ الاستغفار والتَّوبة منها، وعزمُ القلب عليها والسُّكونُ إليها، أَو الفرحُ بفعلها، أَو مجاهَرتُها: فحكمُها عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ كحُكمِ مرتكب الكبائر، ويُخشىٰ علىٰ صاحبه من سوء العاقبة – والعياذُ بالله – لأَنَّ المعصيةَ عندهم بريدُ الكُفرِ والنِّفاقِ، وهي مشتقَّةٌ منه وآيلةٌ إليه ومفتاحٌ له، والإكثار منها يُنبت النِّفاقَ في القلب فيمرضه، وقد يؤدِّي به إلىٰ الوقوع في الكُفرِ والرِّدَّةِ؛ لأَنَّ المعاصي والذُّنوب – مع الإصرار والاستغراق فيها – تُحيط بصاحبها، وتستولي علىٰ قلبه وتَطْمِسُه وتميته، ويسدُّ منه كلَّ منافذ الخير، دونَ أَن يشعرَ؛ حتىٰ لا يبقىٰ فيه من الإيمان شيءٌ، وهذه هي معصيةُ الكُفر، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨١.

وقالَ حِبْرُ الأُمَّةِ؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهُما:

(لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ، ولاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإصْرَارِ)[1].

أي: أنَّ الكبيرةَ تُمحىٰ بالاستغفارِ، والصَّغيرةَ تكونُ كبيرةً بالإصرارِ.

قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(واعلمْ! أنَّ الإصرارَ علىٰ المعصيةِ يوجبُ من خوفِ القلبِ من غيرِ اللهِ، ورجائِهِ لغيرِ اللهِ، وحبِّهِ لغيرِ اللهِ، وذلهِ لغيرِ اللهِ، وتوكُّلِهِ علىٰ غيرِ الله ما يصيرُ به منغمسًا في بحارِ الشِّركِ، والحاكمُ في هذا ما يعلمُهُ الإنسانُ من نفسهِ إن كانَ له عقلٌ؛ فإنَّ ذلَّ المعصيةِ لا بُد أن يقومَ بالقلبِ فيورثَهُ خوفًا من غيرِ اللهِ، وذلكَ شركٌ، ويورثُهُ محبَّةً لغيرِ اللهِ، واستغاثةً بغيرِهِ في الأسبابِ التي توصلُهُ إلىٰ غرضهِ؛ فيكونُ عملُهُ لا باللهِ ولا للهِ، وهذا حقيقةُ الشِّركِ، نعمْ قد يكونُ معَهُ توحيدُ أبي جهلٍ، وعبَّادِ الأصنامِ، وهو توحيدُ الرُّبوبيَّةِ، وهو الاعترافُ بأنَّهُ لا خالقَ إلاَّ اللهُ، ولو أنْجىٰ هذا التَّوحيدُ وحدَهُ؛ لأَنْجى عبَّادَ الأصنامِ، والشَّأنُ في توحيدِ الإلهيَّةِ الذي هو الفارقُ بينَ المشركينَ والموحدينَ)[2].

وقالَ العلاَّمةُ المفسِّرُ أبو عبدِ اللهِ القُرطبيُّ، رحمهُ اللهُ: (قالَ علماؤنا الإستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، لا التَّلفظُ باللِّسانِ؛ فأمَّا مَن قالَ بلسانهِ أستغفر الله وقلبهُ مصرٌّ علىٰ معصيةٍ؛ فاستغفاره ذلك يحتاج إلىٰ استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر)[3].

---

(١) «مدارج السالكين» ج١، ص٤٠٣ – ٤٠٤. دار ابن خزيمة.

(٢) «جامع البيان» الإمام الطبري ج٨، ص٢٤٥.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» تفسير الآية (١٣٥) من سور آل عمران.

تنبيهٌ مهمٌّ! هل المعاصي والذُّنوب تُذْهِبُ الإيمان؟

فاعلم! إنَّ المعاصي والذُّنوب - عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة - تؤثِّر في الإيمانِ من حيث نقصه؛ بحسب قِلَّتها وكثرتها، لا من حيث بقاؤه وذهابه؛ فاقترافُ المعاصي بمفردها، والإصرارُ عليها، لا يُخْرِجُ من الدِّين، إن لم يقترن بها سبَبٌ من أَسبابِ الكُفرِ؛ **كاستحلالِ المعصيةِ؛ سواءً كان ذلك بالقلبِ، أَو اللِّسانِ، أَو الجوارحِ**؛ لأَنَّ استحلالَ المعصيةِ صغيرةً كانت أَو كبيرةً؛ كفرٌ أَكبرٌ إذا ثبت كونها معصية بدلالة قطعية.

فأَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لا يُكفِّرونَ المصرُ بالمعصيةِ - بمعنىٰ: المداوم عليها دون توبة أَو استغفار - لعدم اعتبارهم تكرار الذَّنبِ دلالة علىٰ استحلالِ القلبِ؛ الذي هو مناط الكفر في هذه الأَعمال، وإنَّما تعتبر صغيرته بتكرارها كبيرة! يُنَبَّه عليها؛ ليقلع عنها، ولكن يُخشىٰ علىٰ صاحبه سوء العاقبة لاحتمال انتكاس القلب برد الشَّرعِ في أَية لحظة.

ولا يصحُ الإحتجاج هنا بقاعدة: «تلازم الظَّاهر والباطن» ويقال: طالما أَنَّ ظاهر الحال هو تكرار المعصية؛ فهذا يدل علىٰ فساد الباطن وسقوط عقد القلب!

فأَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يقولون: إن كان الظَّاهر منحرفًا كان الباطن بحسبه، فإن كان ظاهر العمل معصية كان فاعلها فاسقًا باطنًا، وإن كان الفعل كفرًا كان الفاعل كافرًا؛ لأَنَّهم يجعلون الظَّاهر دليلاً علىٰ الباطن.

فالشَّارعُ الحكيمُ إذا أَطلقَ اسم الكفر علىٰ بعض الأَعمال - إمَّا بنص من الوحيين أَو بما يقوم مقامهم من القواعد الشَّرعيَّة - كان فاعله كافرًا،

وإذا أَطلقَ القول علىٰ مرتكب المعصية بأنَّه فاسق؛ فيكون فاعلها فاسقًا؛ فلا يقول أَحدًا إِنَّهُ مؤمن كامل الإِيمان البتَّة؛ بل يجب إثبات فسقه لما ظهر من حاله؛ لأنَّهم يثبتون التلازم بين الظاهر والباطن.

أَمَّا أن تؤخذ قاعدة التلازم لإثبات قدر زائد عن مجرد الوصف الثَّابت شرعًا لمرتكب الفعل، ويستنتج منها شئ بدون دليل قطعي؛ فهذا ما لا محل له! ومن هنا وقعت الخوارج في التكفير بالمعصية أَو الإصرار.

لأنَّ المقيم علىٰ المعاصي والمداوم عليه دون توبة؛ له حالتان:

● إمّا أَن يكون مصرًا؛ بدافع الشَّهوة الجامحة للمعصية أَو النفرة من فعل الأَمر مع التزامه وانقياده قلبياً له؛ فهذا هو العاصي الذي تعتبر صغيرته كبيرة باعتبار إصراره عليها.

● وإمَّا أَن يكون مصرًا عليها، أَي أَن ينعقد قلبه علىٰ عدم الترك للمعصية أَبدًا! فيكون بذلكَ معاندًا لله تعالىٰ في أَمره ونهيه، وهذا في حقيقته هو من سقط عقد قلبه، وذهب انقياده والتزامه وفسد اعتقاده؛ فهو كافر عندَ الله - سبحانه وتعالىٰ - وإن كنا لا نحكم بكفره ظاهرًا؛ حتىٰ يأْتي أَمرًا لا خلاف عليه في دلالته علىٰ الإستحلال؛ كأَن يعلن ذلك بنفسه، أَو بما يدل عليه، أَو يعلن أَنَّهُ اتَّخذَ هذا السَّبيل المغاير للشَّرع منهجًا ثابتًا له لا يتغير، ودعا النَّاس إليه وأَعلن محاسنه؛ فإنَّ هذا دليلٌ كافٍ علىٰ فساد اعتقاده واستحبابه لغير شرع الله تعالىٰ.

• أَسبابُ الوقوعِ في المعاصي:

١- فتنةُ الابتلاءُ بالخيرِ والشَّرِّ:

فالخيرُ والشَّرُّ بابٌ للامتحان في حياةِ الدُّنيا لابنِ آدمَ؛ فإذا رُزقَ الخيرَ وجبَ عليه الشُّكْرُ علىٰ النعمةِ، وإذا ابتُليىٰ بالشَّرِّ وجبَ عليهِ الصَّبْرَ علىٰ ضرهِ، وإلاَّ فلن يكون من الفايزينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(١).

قالَ حِبْرُ الأُمَّةِ عبدُ اللهِ بن عباس، رضي اللهُ عنهُما:

(نبتليكم بالشدَّةِ والرَّخاءِ، والصِّحةِ والسَّقم، والغنىٰ والفقر، والحلال والحرام، والطَّاعة والمعصية، والهدىٰ والضَّلال)(٢).

٢- فتنةُ الشَّيطانِ؛ العدوُ الأَكبر لابنِ آدم:

الشَّيطانُ هو من أَعظمِ أَسبابِ الوقوعِ في المعاصي؛ لأَنَّهُ العدو لدُّودِ لابنِ ادمَ، وهو أَخبثُ عدوٍّ وأَخطره! لأَنَّهُ يرنا ولا نراهُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٣).

والشَّيطانُ يبغض لابنِ آدمَ كلَّ الخيرِ من الأَعمال الصَّالحة المقربة إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ويحبب إليه كل المعاصي والفتن والفواحشة التي يبعده عن رضا اللهِ سبحانه؛ لأَنَّهُ يريدُ له الشَّرَّ في الدُّنيا والآخرةَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) «جامع البيان» للإمام الطبري، رحمه الله؛ ج١٧، ص٢٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١].

والشَّياطينُ نوعان: شياطين الإنس، وشياطين الجنِّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٢].

والمخرجُ من شياطينَ الجنِّ بجميع أَنواعها وأَشكالها، هو الاستعاذةُ باللهِ تعالىٰ منهم، ومن شرورهم أَعمالهم، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣].

وأَمَّا المخرجُ من شياطينِ الإنسِ؛ فهو الدُّعاءُ الله تعالىٰ بدفع شرِّهم وكيدهم علىٰ نحورهم، ثمَّ بالإحسان إليهم، والدَّفعُ بالتي هي أَحسن، ومقابلة السَّيئةِ بالحسنة؛ كما أَمرنا اللهُ عزَّ وجلَّ، قالَ تعالىٰ:

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤].

٣- فتنةُ الشِّرك باللهِ تعالىٰ:

هي أَشرَّ الفتنِ وأَشدُّها، وأَطغاها، وأَخبثها، وأَعظمها، وهي الفيصل بين المؤمنين والكافرين، وبينَ الجنَّةِ والنَّارِ، وإِنَّ أَعظمَ ما عُصي به الله تعالىٰ منذُ بدءِ الخليقةِ إلىٰ يومنا هذا هو الشِّركُ باللهِ تعالىٰ، قالَ عزَّ وجلَّ:

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

فعقوبة المشرك أقسىٰ العقوبات وأشدُّها ؛ ألاَ وهي الخلود الأبدي في نار جهنَّمَ ، والعياذُ باللهِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٢) .

وكلُّ ذنبٍ إذا ماتَ العبدُ عليها من غيرِ أن يتوبَ منهُ ؛ فهو تحت مشيئةُ اللهِ تعالىٰ يوم الحساب ؛ إن شاء غفرَ له ، وإن شاء عذبهُ ؛ إلاَّ الشِّركَ والكفر فإنَّ اللهَ تعالىٰ قد قطع رجاء صاحبه في المغفرة ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

٤ - فتنةُ معصيةِ الرَّسُولِ ﷺ ومخالفةِ أمرِه :

فإنَّ مخالفةَ أمر رسُولُ اللهِ ﷺ وعدم اتِّباع هديه ، وتبديل سُنَّتَهُ ؛ ضلالةٌ وبدعةٌ متوعدٌ من اللهِ تعالىٰ عليه بالخذلان والعذاب !

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤) .

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ - رحمهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية الكريمة :

(وقوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي : عن أَمرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسُنَّته وشريعته ؛ فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ؛ فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٨ .
(٤) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

وفاعله كائنًا مَن كان؛ كما ثبت في الصَّحيحين وغيرهما عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهَا أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» أي: فليحذر وليخشَ مَن خالفَ شريعةَ الرَّسُولِ باطنًا وظاهرًا. وقوله ﴿أن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفرٍ أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدُّنيا بقتلٍ أو حدٍّ أو حبسٍ أو نحو ذلك... كما روىٰ الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا؛ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا - قَالَ- فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ؛ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا»[1]).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[2].

قالَ الإمامُ ابنُ كثير - رحمهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشَّريعة التي جاء بها الرَّسُول ﷺ فصار في شق، والشَّرعُ في شقٍ، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحقُّ، وتبين له واتضح له. وقولُهُ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأُولىٰ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشَّارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأُمَّة المحمدية

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الفضائل) باب «شفقته ﷺ علىٰ أُمته ومبالغته في تحذيرهم».
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

فيما علم اتِّفاقهم عليه تحقيقًا؛ فإنَّهُ قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم، وقد وردت أَحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا في كتاب أَحاديث الأُصول، ومن العلماء من ادعىٰ تواتر معناها، والذي عول عليه الشَّافعيّ - رحمهُ اللَّهُ - في الاحتجاج علىٰ كون الإجماع حجَّةٌ تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل وهو من أَحسن الاستنباطات وأَقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها علىٰ ذلك، ولهذا توعد تعالىٰ علىٰ ذلك بقوله: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أَي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه علىٰ ذلك بأَن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجًا له، كما قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]. وقالَ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وجعل النَّار مصيره في الآخرة؛ لأَنَّ مَن خرجَ عن الهُدىٰ لم يكن له طريق إلاَّ إلىٰ النَّار يوم القيامة).

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[2].

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَىٰ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ »[٢].

فالواجب علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ؛ طاعة الرَّسُولِ ﷺ طاعةً مطلقًا والتَّسليمُ التَّامُ له ﷺ وعدم معصيته في كلِّ صغيرةٍ كانت أم دقيقة، وترك كلِّ قولٍ الاَّ قوله ﷺ وتقديم قوله علىٰ قول كلِّ أحدٍ من البشرِ كائنًا مَن كان؛ لأنَّ طاعته ﷺ سببٌ لرضا الله تعالىٰ ودخول الجنَّةِ، وإنَّ معصيته ﷺ ومخالفة أمرِه سببٌ للوقوعِ في الفتنةِ في الدُّنيا، وفي العذابِ في الآخرة، ولأنَّ اللهَ تعالىٰ قد فوضَ رسُوله الأمين ﷺ في التَّشريع، وجعلَ طاعة رسُولهِ ﷺ طاعةً له سبحانه، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٤].

---

(١) سورة النور، الآية: ٥١.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «الاقتداء بسُنَن رسول الله ﷺ».

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

٥- ضعفُ الإيمان واليقين باللهِ تعالىٰ والجهل به سبحانه:

فإنَّ عدم المراقبة اللهِ - عزَّ وجلَّ - وعدم الخوف منه، وعدم محبَّته وإجلاله وتعظيمه وخشيته؛ تضعف قلب العبد ويجعله يستخف بوعد اللهِ تعالىٰ ووعيده، والله الذي لا تخفىٰ عليه خافية، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾(١).

فإذا ضعُفَ الإيمانُ في قلب العبد يستهين عليه الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات؛ فإذا وقع في المعاصي؛ شعر بقسوة القلب وخشونته، وضيق في الصَّدر؛ ثمَّ الغفلة عن ذكر اللهِ تعالىٰ ودعائه، ويتبعها عدم إتقان العبادات والتَّكاسل عن الطَّاعاتِ، ثمَّ عدم التأَثُّرِ بآياتِ القُرآن الحكيم! لا بوعده ولا بوعيده، ولا بأَمره ولا نهيه، فيمل قلب صاحبه من سماع القرآن، ولا تطيق نفسه مواصلة قراءته؛ فكلما فتح المصحف كاد أَن يغلقه، واللهُ المستعان.

ثمَّ يقول صاحبُ القلب الضعيف ما لا يفعل، ويحتقر المعروف، ولا يهتم بالحسنات، ولا يغض بصره عن المحرمات، ولا يغضب إذا انتهكت محارم اللهِ تعالىٰ، ولا يهتم بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها بدعاء ولا صدقة ولا إعانة، ولا يشعرُ بالمسئولية في العمل لهذا دين العظيم!

ويقع في الشُّح والبُّخل، وحبُّ الدُّنيا والشَّغفِ بها والاسترواح إليها، والمغالاة في الاهتمام بالنَّفس مأْكلاً ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا، وكثرة الجدال والمراء المقسي للقلب، وغيرها من المعاصي التي هي من عمل الشَّيطان.

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٩.

ومنقذُ العبدِ ومخرجهُ من فتنةِ الوقوعِ في المعاصي والذُّنوبِ يكونُ:

بمناجاة اللهِ تعالىٰ والانكسار بين يديه - عزَّ وجلَّ - واستشعار بعظمة اللهِ تعالىٰ ومعرفة أَسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشُّعور في القلبِ وسريانه إلىٰ الجوارح؛ يقوي إيمان العبد باللهِ تعالىٰ.

ثمَّ بتدبر القرآن العظيم الذي أَنزله اللهُ تعالىٰ؛ تبيانًا لكلِّ شيءٍ ونورًا يهدي به - سبحانه - من شاء من عباده الصَّالحين.

وبلزوم حلق الذِّكر؛ الذي يؤَديِّ إلىٰ زيادة الإيمان لعدة أَسباب منها ما يحصل فيها من ذكر اللهِ تعالىٰ، وغشيان الرَّحمة، ونزول السَّكينة، وحف الملائكة للذاكرين، وذكر اللهِ تعالىٰ لهم في الملأ الأَعلىٰ، ومباهاته بهم الملائكة، ومغفرته لذنوبهم؛ كذلك طلب العلم الشَّرعيِّ الذي يؤدي تحصيله إلىٰ خشية اللهِ تعالىٰ وزيادة الإيمان به.

وبالاستكثار من الأَعمال الصَّالحةِ، وملء الوقت بها، والحرصُ علىٰ تنويع العبادات؛ التي هي من حكمة اللهِ تعالىٰ ورحمته لعباده؛ فمنها ما يكون بالبدن كالصَّلاة، ومنها ما يكون بالمال كالزَّكاة، ومنها ما يكون بهما معًا كالحجِّ، ومنها ما هو باللِّسان كالذِّكر والدُّعاء، وغيرها.

وكذلك بالإكثار من ذكر الموتِ هادم اللذَّةِ، وتذكر منازل الآخرة، وقصر الأَمل: التي هي التفكر في حقارةِ هذه الدُّنيا حتىٰ يزول التعلق بها من قلب العبد، وتعظيم حرمات اللهِ تعالىٰ، وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر؛ لأَنَّ التواضع في الكلام والمظهر دال علىٰ تواضع القلب للهِ تباركَ وتعالىٰ.

٦- الابتلاءُ بالمالِ والولدِ:

فإنَّ الأَموالَ والأَزواجَ والأَولادَ! سببٌ هامٌ من الأَسبابِ الرئيسَ للفتنِ ونسيانِ ذكرِ اللهِ – جلَّ في عُلاهُ – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

قالَ الإمامُ ابن كثيرٍ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: اختبار وابتلاء من اللهِ تعالىٰ لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢].

قالَ الإمامُ ابن كثيرٍ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: لا تنسوا ذكر الله تعالىٰ؛ فينسيكم العمل الصَّالح الذي ينفعكم في معادكم؛ فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، ولهذا قالَ تعالىٰ: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم، كما قالَ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]).

---

(١) سورة التغابن، الآيتان: ١٤ – ١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٩.

وقالَ – الصَّحابيُّ الفقيهُ – عبد الله بن مسعود، رضيَ اللهُ عنهُ:

(لا يقولنَّ أحدكم: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الفتنةِ! فإنَّهُ ليسَ منكم أحدٌ إلاَّ وهو مشتملٌ علىٰ فتنةٍ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فأيُّكم استعاذ؛ فليستعذ باللهِ تعالىٰ من مضلاَّتِ الفتن)[١].

فعَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهْوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ؛ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؛ فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فوَافَتْهُ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ! فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ».

قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:

« فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ! مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا! كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»[٢].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره. وابن عبد البر في «التمهيد» ج١٢، ص١٨٦. وابن القيم في «إغاثة اللهفان» ج٢، ص١٦٠!

(٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها».

«إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللهِ! مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(١).

٧- فتنةُ العشق والافتتان بالنِّساء:

فإِنَّ من الفتنِ التي كتبها اللهُ تعالىٰ لابنِ آدمَ وابتُلِيَ به هي فتنةُ النِّساءِ!

● قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(٢).

قالَ العلاَّمة القُرطبيّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآيةِ الكريمة:

(قولُهُ تعالىٰ: ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ بدأَ بهنَّ لكثرةِ تشوف النُّفوسِ إليهنَّ؛ لأَنهنَّ حبائلِ الشَّيطانِ وفتنةِ الرِّجالِ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ»(٣).

ففتنة النِّساء أَشدّ من جميعِ الأَشياءِ. ويُقال: في النِّساءِ فتنتان، وفي الأَولاد فتنةٌ واحدة؛ فأَمَّا اللتان في النِّساء: فإِحداهما أَن تؤدي إلىٰ قطع الرَّحم؛ لأَنَّ المرأَةَ تأْمر زوجها بقطعه عن الأُمهات والأَخوات. والثَّانية يُبتلىٰ بجمعِ المال من الحلال والحرام. وأَمَّا البنون فإِنَّ الفتنة فيهم واحدة، وهو ما

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب «ما يتقي من شؤم المرأة».

ابتلي بجمع المالِ لأجلهم . . . ؛ فعلى الإنسان إذا لم يصبر في هذه الأزمان أن يبحثَ عن ذات الدِّين ليسلم لَهُ الدِّين، قالَ ﷺ :

« تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ ؛ لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ »[١] . . . وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« لاَ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ ؛ فَعَسَىٰ حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ ، وَلاَ تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ ؛ فَعَسَىٰ أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَىٰ الدِّينِ ، وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ »[٢]) .

وقالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية أيضًا :

(يُخبر تعالىٰ عمَّا زين للنَّاسِ في هذه الحياة الدُّنيا من أنواع الملاذ من النِّساءِ والبنين، فبدأ بالنِّساءِ ؛ لأنَّ الفتنةَ بهنَّ أشد ، كما ثبت في الصَّحيح أنَّهُ ﷺ قالَ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » .

فأمَّا إذا كانَ القصد بهنَّ الإعفاف وكثرة الأولاد ؛ فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه : « وأنَّ خيرَ هذهِ الأمَّةِ مَن كانَ أكثرَها نساءً » ، وقولُهُ ﷺ :

« الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ؛ إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ ، وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ » . أخرجه النَّسائي، وروىٰ بعضه مسلم في صحيحه . وقولُهُ ﷺ في الحديثِ الآخرِ :

« حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ؛ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ ») .

---

(١) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب « الأكفاء في الدين » .

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب النكاح) باب « تزويج ذوات الدين » .

● وَعَنْ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ؛ جَابِرِ بْنِ عبدِ اللهِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ امْرَأَةً؛ فَأَتَىٰ امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهْيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا؛ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ! ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ ﷺ:

«**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ؛ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً؛ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ! فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»[١].

قالَ الإمامُ النووي – رحمه اللهُ – في شرحه لهذا الحديث:

(قالَ العلماءُ: معناهُ الإشارة إلىٰ الهوىٰ والدُّعاء إلىٰ الفتنةِ؛ بما جعل الله تعالىٰ في نفوسِ الرِّجالِ من الميلِ إلىٰ النِّساءِ والتَّلذذ بالنَّظرِ إليهنَّ، وما يتعلق بهنَّ؛ فهي شبيهة بالشَّيطانِ في دعائه إلىٰ الشَّرِّ بوسوستِهِ وتزيينه له. ويستنبط من هذا أَنَّهُ ينبغي لها أن لا تخرج إلاَّ لضرورةٍ، ولا تلبس ثيابًا فاخرة، وينبغي للرِّجلِ أَن لا ينظر إليها ولا إلىٰ ثيابها. وفيه أَنَّهُ لا بأْسَ بالرَّجلِ أَن يطلب امرأَته إلىٰ الوقاعِ في النَّهار وإن كانت مشتغلة بما يمكن تركه؛ لأَنَّهُ رُبَّما غلبت علىٰ الرَّجلِ شهوته؛ فيتضرر بالتأْخير في بدنه، أَو قلبه).

● وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ! وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ! فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[٢].

أَي: اتَّقوا فتن الدُّنيا وشهواتها من فتنةِ المالِ، وفتنةِ الولدِ، وفتنةِ الجاهِ،

---

(١) رواه مسلم في (كتاب النكاح) باب «ندب من رأىٰ امرأة فوقعت في نفسه إلىٰ أن ياتي امرأته أو جاريته فيواقعها».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الرقاق) باب «أكثر أهل الجنّة الفقراء، وأكثر أهل النّار النّساء، وبيان الفتنة بالنّساء».

واتَّقوا فتنةِ النِّساءِ، وتخصيصهنَّ بالذِّكرِ لعظم الفتنة بهنَّ من بينَ هذه الفتن! وهذه الشَّهواتُ كلُّها فتنٌ هالكَ؛ فمَن انساقَ فيها مع هواه وشهوته دون أن ينضبط بشَرْعِ اللهِ تعالىٰ؛ كانَ ما أُوتي منها شرًّا عليه، ومَن استقام فيها علىٰ طاعة اللهِ تعالىٰ، ووقف في هذه الدُّنيا الفانية عند حدودِ رَبِّ العالمينَ؛ فقد نجا من شرور هذه الفتن العظيمة؛ ففتنة الشَّهوةِ أَمرها خطيرٌ وشرُّها جسيمٌ؛ فكم من عابدٍ لله تعالىٰ حولته الشَّهوةُ إلىٰ فاسقٍ عاصٍ، وكم من عالمٍ حولته الشَّهوةُ إلىٰ جاهلٍ ضالٍ منحرفٍ، وكم أَخرجت أُناسًا من الطريق القويم؛ كانوا هم أَبعدُ النَّاسِ عن الضلالِ والانحراف.

● واعلم! أَخي القارىء الكريم: إنَّ من أَهمِّ أَسباب الفتنة بالنِّساء في عصرنا هذا؛ هي وسائل الأَعلام عامَّةً - المسموعة والمنظورة والمقروءة - التي تقع بين أَيدي الشَّباب - من ذكورٍ وإناثٍ - وفيها من الصُّورِ والكلام التي تثير الشَّهوةَ، وتعصفُ بالعاطفةِ، وتلهبُ نارَ العشقِ.

وكذلك ما يقوم به بعض النِّساء من سلوك شاذ في الملبس والمظهر سلوك يحط بهنَّ إلىٰ الفتنة، وخروجهنَّ متبرجاتٌ بأَجملِ ما عندهنَّ من لباسٍ، ومتحليات بأَجملِ الحليِّ، ومتطيبات بأَقوىٰ الطيب رائحة وأَلذها شمًّا؛ فلا تمر بأَحدٍ يشمه إلاَّ افتتن به أَو كاد!

وآفةُ الاختلاطِ التي عمت وطمت وأَصبحت سمة وعلامة، أَو هي بمثابة السُّم النَّاقعِ الذي يسري في أَوصال مجتمعاتنا؛ تكاد هذه الفتنةُ القاتلة أَن تاكلَ الأَخضر واليابس، وعطلة قدرًا كبيرًا من طاقته، وسبب كثيرًا من المفاسد والمنكرات بين الجنسين، ثمَّ كان نتيجته الوقوع بمعصية الزِّنا، والمعصيةُ تجلب غضب اللهِ تعالىٰ، والعياذُ باللهِ.

قالَ حَبْرُ الأُمَّةِ؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، رضيَ اللهُ عنهُما:

(**لَمْ يَكُنْ كُفْرُ مَنْ مَضَىٰ إلاَّ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ! وَهُوَ كَائِنٌ كُفْرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ**)[١].

وقالَ الإمامُ التَّابعيُّ؛ سعيدُ بن المسيبِ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(**ما خفتُ علىٰ نفسي شيئًا مخافةَ النِّساءِ!**) قالوا يا أَبا محمَّدٍ! إنَّ مثلكَ لا يريدُ النِّساءَ ولا تريده. قالَ: (**هو ما أَقولُ لكُم**).

وقد قالَ هذا الكلام وهو ابن أَربع وثمانين سَنَةً! وقد ذهبت إحدىٰ عينيه، وهو يعشو بالأُخرىٰ، وكانَ يقولُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(**ما يئسَ الشَّيطانُ من شيءٍ إلاَّ أَتاهُ من قبلِ النِّساءِ**)[٢].

وقالَ الإمامُ التَّابعيُّ؛ محمَّدُ بنُ سيرينٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**واللهِ! ما نظرتُ إلىٰ غيرِ أُمِّ عبدِ اللهِ** - يعني زوجته - **في يقظةٍ ولا منامٍ، وإنِّي لأَرىٰ المرأَةَ في المنامِ! فأَذكرُ أَنَّها لا تحلُّ لي؛ فأَصرفُ بَصَرِي عَنْهَا**)[٣].

وقالَ الإمامُ التَّابعيُّ؛ ميمون ابن مهران، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**لأَن أُوتمنَ علىٰ بيتِ مالٍ؛ أَحَبُّ إليَّ من أَنْ أُوتمنَ علىٰ امرأَةٍ**)[٤].

---

(١) رواه ابن أَبي شيبة في « المصنف »: (كتاب النكاح) باب « ما ذكر في الزِّنا وما جاء فيه » ج٤، ص٤٦ برقم (١٧٦٤٣).

(٢) انظر: « سير أَعلام النبلاء » للإمام الذهبي: ج٤، ص٢٣٧.

(٣) « تاريخ بغداد »: الخطيب البغدادي: ج٥، ص٣٣٦.

(٤) انظر: « سير أَعلام النبلاء » للإمام الذهبي: ج٥، ص٧٧.

وقالَ الإمامُ التَّابعيُّ؛ عطاءُ بن أَبي رباحٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(لو ائتمنتُ علىٰ بيتِ مالٍ لكنتُ أَميناً، ولا آمنُ نفسي علىٰ أمةٍ شوهاءٍ)(١).

● أمَّا أهمّ الأَسبابِ التي تعينُ علىٰ تجنب هذه الفتنة العظيمة، فهي:

١- الإيمان باللهِ تعالىٰ: إنَّ الإيمانَ باللهِ والخوفُ منه؛ هو صمامُ الأَمانِ والعاصم للعبد من الوقوعِ في الحرام، والانسياق وراء شهوة عارضة.

٢- غضُ البصرِ عن المحرماتِ: إنَّ النظرَ يثمرُ في القلبِ خواطر سيئة؛ ثمَّ تتطور إلىٰ فكرة، ثم إلىٰ شهوة، ثم إلىٰ إرادة وعزيمة، ثمَّ إلىٰ فعل للحرام! وهذا يعني رضا الشَّيطان، وغضب الرَّحمنِ

٣- مدافعةُ الخواطرِ الشَّيطانية: إنَّ الخاطرةَ السَّيئة في القلب إذا خطر، وانساق العبد لها ولم يدافعها؛ تطور إلىٰ فكرةٍ وإرادةٍ وعزيمةٍ وإقدامٍ، ثمَّ فعلٍ للحرام؛ فالواجب مدافعتها ومزاحمتها بالخواطر الطيبة.

٤- الزَّواجُ: خيرٌ علاجٍ لدفع فتنة النِّساءِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ؛ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢).

٥- الصِّيامُ لمن لم يستطع الزَّواج: لأَنَّهُ كلَّما قلَّ الأَكلُ؛ ضعفت الشَّهوة، وكلما ضعفت الشَّهوة؛ قلت المعاصي.

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج٥، ص٨٧.

(٢) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب «قولِ النَّبيِّ ﷺ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ لأَنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ».

٦- البُعدُ عن أَصدقاءِ السُّوءِ: لقولِ النَّبِيِّ ﷺ:

« الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »[١].

وقالَ ﷺ: « لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ »[٢].

٧- البُعدُ عن أَماكنِ الفتنِ: فيجبُ الفرارُ منها كفرارنا من الأَسدِ؛ ليسلما لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا.

٨- تطهيرُ البيوتِ من المعاصي: بجميع أَنواعها وأَشكالها؛ لأَنَّ البيوت في الأَصل يجب أَنْ تكون سببًا للطاعة لا المعصية!

٩- الحرصُ علىٰ استغلالِ الوقتِ في الطاعةِ: لأَنَّ الوقتَ نعمةٌ عظيمةٌ من نعمِ اللهِ تعالىٰ علىٰ العبدِ المؤمنِ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

« نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ »[٣].

١٠- تذكرُ دارُ الآخرة، وما فيها من نعيمٍ وعذاب: تذكر ما فيها من نعيمِ جنَّةِ الخُلدِ من الحور العين التي أَعدها اللهُ تعالىٰ لمن صبر عن معاصيه، ونار جهنَّمَ وعذابه؛ لمن عصا ربَّهُ، واتَّبعَ هواه وشهواته، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[٤].

فمَن تركَ العشقَ بالنِّساءِ والفتنةِ بهنَّ، وقطع أَسبابه التي تمده، وتجرَّع غصص الهجر ونار البُعادِ في بداية أَمره، وأَقبل علىٰ اللهِ تعالىٰ بصدقٍ؛

---

(١)، (٢) رواهما أَبو داود في (كتاب الأَدب) باب « من يؤمر أَن يجالس ».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « ما جاء في الرقاق وأَن لا عيش إِلاَّ عيش الآخرة ».

(٤) سورة الإِسراء، الآية: ١٩.

رُزقَ السَّلوَ وعزَّةَ النَّفس، وسُلِمَ من اللوعةِ والذِّلةِ والأَسرِ، ومُلئَ قلبه حريةً ومحبةً لله - عزَّ وجلَّ - تلك المحبَّةُ التي تلم شعث القلب، وتسدُّ خلته، وتشبع جوعته، وتغنيه من فقره؛ فالقلب لا يسر ولا يفلح، ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن؛ إلاَّ بعبادةِ ربِّه - سبحانه - وبحبِّهِ، والإنابة إليه.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(١).

٩- الشَّهوات:

وفتنةُ الشَّهواتِ تُدفع بالصَّبرِ واليقينِ والثبات عليهما، ولهذا جعلَ اللهُ تعالىٰ الإمامةَ في الدِّين بالصَّبرِ واليقين، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ أَعْطَاهُ حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ! فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٣).

فبكمالِ العقل والصَّبرِ تُدفع الشَّهوة، وبكمال البصيرة واليقين تُدفع الشُّبهة، ولا شك أنَّ الشَّهواتَ منها ما هو مباحٌ ومنها ما هو حرامٌ؛ فحلالها

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهَ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ».

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «حجبت النار بالشهوات».

ما أَحلَّهُ الله تعالىٰ ورَسُوله ﷺ وحرامها ما حرمهما، قالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»[1].

١٠- الشُّبهات :

فتنةُ الشُبهات : كالتشكيك في الدِّينِ، والوقوعِ في الشِّركِ أَو البدع، أَو اختلاط الأَمر علىٰ العبد ؛ فلا يميز بين الحقِّ والباطل، والمباح والمحرم؛ وفتنةُ الشُّبهات دواءها بتعلم العلم، وسؤال العلماء.

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(الفتنةُ نوعانِ : فتنةُ الشُّبُهاتِ - وهيَ أَعظمُ الفتْنَتَيْنِ - وفتنةُ الشَّهواتِ، وقد يجتمعانِ للعبدِ، وقد ينفردُ بإحداهما : ففتنةُ الشُّبُهاتِ تنشأُ من ضعفِ البصيرةِ وقلَّةِ العلمِ، ولا سيَّما إِذا اقترنَ بذلك فسادُ القَصْدِ، وحُصولُ الهوىٰ ؛ فهنالكَ الفتنةُ العُظمىٰ والمصيبةُ الكُبرىٰ ؛ فقلْ ما شئتَ في ضلالِ سَيِّئِ القصدِ الحاكمُ عليه الهوىٰ لا الهُدىٰ مع ضعفِ بصيرتهِ، وقلَّةِ علمِهِ بما بعثَ اللهُ به رسُولَهُ ؛ فهو من الذينَ قالَ اللهُ تعالىٰ فيهم :

﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَىٰ الأَنفُسُ ﴾ [النجم: ٢٣] . . .

وهذه الفتنةُ مآلها إِلىٰ الكُفْرِ والنِّفاقِ، وهي فتنةُ المنافقينَ، وفتنةُ أَهلِ البدَعِ على حسبِ مراتبِ بدعهم؛ فجميعُهُم إِنَّما ابْتدعوا من فتنةِ الشُّبُهاتِ التي اشْتَبَهَ عليهم فيها الحقُّ بالباطلِ والهُدىٰ بالضَّلالِ .

ولا يُنْجي من هذه الفتنةِ إِلاَّ تجريدُ اتِّباعِ الرَّسُولِ، وتحكيمُهُ في دِقِّ الدِّينِ وجلِّهِ، ظاهرِهِ وباطنِهِ، عقائدِهِ وأَعمالِهِ ، حقائقِهِ وشرائعِهِ ؛ فيتلقَّىٰ

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « الصَّبْرِ عَنْ مَحَارِمِ الله » .

عنهُ حقائقَ الإيمانِ وشرائعَ الإسلامِ... وهذه الفتنةُ تنشأُ تارةً من فهمٍ فاسدٍ، وتارةً من نقلٍ كاذبٍ، وتارةً من حقٍّ ثابتٍ خَفِيَ علىٰ الرَّجُلِ؛ فلم يظفر به، وتارةً من غرضٍ فاسدٍ وهوىً مُتَّبعٍ؛ فهيَ من عمىً في البصيرةِ وفسادٍ في الإرادةِ)[١].

ولا شكَّ أَنَّ الفتنَ التي يتعرضُ لها المؤمنونَ الصَّادقونَ في هذهِ الزَّمانِ كثيرةٌ متنوعةٌ؛ كفتنِ الشُّبُهاتِ والشَّهواتِ، وفتنةِ المالِ والجاهِ والشُّهرةِ، وفتنة غلبة الظَّلَمَةِ والطواغيت من تعذيب وتكذيب المؤمنين!

ولأَنَّ القُلوبَ تتقلبُ؛ فقد كان رَسُولُ اللهِ ﷺ ربَّهُ - جلَّ في عُلاه - الثَّبات علىٰ الحقِّ؛ فكان من أكثرِ دعائه ﷺ:

«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوب! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»[٢].

والثباتَ علىٰ دينِ الحقِّ له عدد أسباب ذكرها العلماء، منها:

* اللجوءُ إِلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإعلانُ الافتقارِ إليه؛ ظاهرًا وباطنًا.
* كثرةُ ذكرِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - ودعاءه في الشِّدةِ والرَّخاء.
* تدبر القُرآن العظيم، ومدارسته، والعمل بأحكامه.
* الدوامُ علىٰ الأعمال الصَّالحة، والبُعدُ عن المعصي والذُّنوب.
* القُربُ من أهلِ الخيرِ؛ من العلماء الصَّادقينَ، والدُّعاةِ العاملينَ.

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ج٢، ص١٦٠. (بتصرف).
(٢) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب «٩٥».

- **أَسبابُ عدم الوقوع في المعاصي:**

قالَ الإمامُ الزَّاهدُ العلاَّمة ابنُ القيِّمِ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(**الصَّبْرُ عن المعصيةِ ينشأُ من أَسبابٍ عديدةٍ:**

أَحدُها: **علمُ العبدِ بقبحها ورذالتها ودناءَتها**، وأَنَّ اللهَ إِنَّما حرَّمها ونهىٰ عنها صيانةً وحمايةً عن الدَّنايا والرَّذائل؛ كما يحمي الوالد الشَّفيق ولده عما يضره، وهذا السَّببُ يحملُ العاقلَ علىٰ تركها، ولو لم يعلق عليها وعيدٌ بالعذابِ.

السَّبَبُ الثَّاني: **الحياءُ من اللهِ** – سبحانه – فإِنَّ العبدَ متىٰ علم بنظره إليه ومقامه عليه، وأَنَّهُ بمرأىٰ منه ومسمع – وكان حييًّا – استحيىٰ من ربِّهِ أَن يتعرضَ لمساخطه.

السَّبَبُ الثَّالثُ: **مراعاةُ نعمهِ عليك، وإحسانه إليك**؛ فإِنَّ الذُّنوبَ تزيلُ النِّعمِ ولا بُدَّ، فما أَذنبَ عبد ذنبًا إِلاَّ زالت عنه نعمةٌ من اللهِ بحسبِ ذلكَ الذَّنب؛ فإِن تابَ ورجعَ رجعت إِليه، وإِن أَصرَّ لم ترجع إِليه، ولا تزال الذُّنوب تزيل عنه نعمة حتىٰ تسلب النِّعم كلها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

وأَعظمُ النِّعَمِ: الإِيمانُ، وذنبُ الزِّنا والسَّرقة وشُرب الخمر، وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها، وفي مثل هذا قيل:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيْلُ النِّعَمِ

وبالجملةِ فإِنَّ المعاصي نارُ النِّعَمِ تأْكلها كما تأْكل النَّار الحطب؛ عياذًا باللهِ من زوالِ نعمتِهِ، وتحويل عافيته.

السَّبَبُ الرابع: **خوفُ اللهِ وخشيةُ عقابه**، وهذا إنَّما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده، والإيمان به وبكتابه وبرسُولِهِ، وهذا السَّبَبُ يقوىٰ بالعلمِ واليقينِ، ويضعفُ بضعفهما، قالَ اللهُ تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقالَ بعضُ السَّلفِ: كفىٰ بخشيةِ اللهِ علمًا، والاغترارِ باللهِ جهلاً.

السَّبَبُ الخامس: **محبَّةُ اللهِ**، وهيَ أَقوىٰ الأَسبابِ في الصَّبرِ عن مخالفتِهِ ومعاصيهِ؛ فإنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعَ، وكلما قوي سلطان المحبَّةِ في القلبِ كانَ اقتضاؤه للطَّاعةِ وتركِ المخالفةِ أَقوىٰ، وإنَّما تصدرُ المعصيَةُ والمخالفةُ من ضعفِ المحبَّةِ وسلطانها، وفرقٌ بينَ من يحمله علىٰ تركِ معصيةِ سيِّده خوفه من سوطه وعقوبته، وبين من يحمله علىٰ ذلك حبُّه لسيِّدِهِ.

فالْمُحِبُّ الصَّادِقُ عليه رقيبٌ من محبوبِهِ؛ يرعىٰ قلبه وجوارحه، وعلامة صدق المحبَّة شهود هذا الرقيب ودوامه.

وههنا لطيفةٌ يجبُ التَّنبهُ لها! وهيَ أَنَّ المحبَّةَ المجردَةَ لا توجبُ هذا الأَثرِ ما لم تُقترنُ بإجلالِ المحبُوبِ وتعظيمه؛ فإذا قارنها بالإجلالِ والتَّعظيمِ أَوجبت هذا الحياءَ والطَّاعةَ، وإلاَّ فالمحبَّةُ الخاليةُ عنهما؛ إنَّما توجب نوع أُنسِ وانبساطِ وتذكرِ واشتياق، ولهذا يتخلفُ عنها أَثرها وموجبها، ويفتشُ العبدُ قلبهِ؛ فيرىٰ نوع محبَّةِ للهِ ولكن لا تحمله علىٰ ترك معاصيه، وسببُ ذلكَ تجردها عن الإجلالِ والتَّعظيمِ؛ فما عَمَّرَ القلبُ شيءٌ كالمحبَّةِ المقترنةِ بإجلالِ الله وتعظيمه، وتلكَ من أَفضلِ مواهب اللهِ لعبدِهِ، أَو أَفضلها، وذلكَ فضلُ اللهِ تعالىٰ يؤْتيهِ من يشاء.

السَّبَبُ السَّادس: **شرفُ النَّفسِ**، وزكاؤها، وفضلها، وأَنفتها، وحميتها؛ أَن تختارَ الأَسباب التي تحطُّها، وتضع من قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوي بينها وبين السَّفلَةِ.

السَّبَبُ السَّابع: **العلمُ بحكمِ المعصيةِ**:

قوةُ العلمِ بسوءِ عاقبةِ المعصية، وقبحِ أَثرها، والضَّررِ النَّاشيءَ!

* منها! من سوادِ الوجه، وظلمةِ القلبِ، وضيقهِ وغمهِ وحزنهِ وأَلمهِ وانحصارهِ، وشدَّة قلقه واضطرابه، وتمزق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوه، وتعريه من زينته، والحيرة في أَمره، وتخلي وليه وناصره عنه، وتولي عدوه المبين له، وتواري العلم الذي كان مستعدًا له عنه، ونسيان ما كان حاصلاً له، أَو ضعفه ولا بُدَّ، ومرضه الذي إذا استحكم به فهو الموت ولا بُدَّ؛ فإن الذُّنوبَ تُميتُ القلوبَ!

* ومنها ذلَّه بعد عزِّه. ومنها أَنَّه يصير أَسيرًا في يد أَعدائِهِ بعد أَن كان ملكًا متصرفًا يخافه أَعداؤه.

* ومنها أَنَّهُ يضعف تأْثيره؛ فلا يبقىٰ له نفوذٌ في رعيتِهِ؛ ولا في الخارجِ؛ فلا رعيته تطيعه إذا أَمرها، ولا ينفذُ في غيرهم.

* ومنها زوال أَمنه، وتبدله به مخافة؛ فأَخوف النَّاسِ أَشدَّهم إساءةً.

* ومنها زوال الأُنس والاستبدال به وحشة، وكلما ازداد إساءة ازداد وحشة. ومنها زوال الرِّضىٰ، واستبداله بالسَّخطِ.

* ومنها زوال الطَّمأْنينةِ باللهِ، والسُّكون إليه والإيواء عنده، واستبداله بالطَّردِ، والبُعد منه.

* ومنها وقوعه في بئر الحسراتِ؛ فلا يزال في حسرةٍ دائمةٍ! كلَّما نالَ لذَّةً نازعتْهُ نفسه إلىٰ نظيرها! إن لم يقض منها وطرًا، أو إلىٰ غيرها؛ إنْ قضىٰ وطره منها، وما يعجز عنه من ذلكَ أضعافَ أضعافَ ما يقدر عليه، وكلَّما اشتد نزوعه، وعرف عجزه؛ اشتدت حسرته وحزنه فيا؛ لها نارًا قد عذب بها القلب في هذه الدَّار قبل نار اللهِ الموقدة التي تطلع علىٰ الأَفئدةِ.

* ومنها فقره بعد غناه؛ فإنَّه كان غنيًا بما معه من رأْسِ مالِ الإيمانِ، وهو يتجر به ويربح الأَرباح الكثيرةَ؛ فإذا سلب رأْس ماله أَصبحَ فقيرًا معدمًا فإمَّا أَن يسعىٰ بتحصيل رأْس مالٍ آخرَ بالتَّوبةِ النَّصوحِ والجدِّ والتشمير، وإلاَّ فقد فاته ربحٌ كثيرٌ بما أَضاعه من رأْسِ ماله.

* ومنها نقصانُ رزقِهِ؛ فإنَّ العبدَ يُحرمُ الرِّزق بالذَّنبِ يصيبه.

* ومنها ضعفُ بدنِهِ! ومنها زوالُ المهابة والحلاوة التي لَبَسَهَا بالطَّاعةِ؛ فتُبدل بها مهانةً وحقارةً.

* ومنها حصول البغضة والنُّفرة منه في قلوبِ النَّاسِ.

* ومنها ضياع أَعزِّ الأَشياء عليه وأَنفسها وأَغلاها؛ وهو الوقت الذي لا عوضَ منه ولا يعود إليه أبدًا.

* ومنها طمع عدوه فيه وظفره به؛ فإنَّهُ إذا رآه منقادًا مستجيبًا لما يأْمره اشتد طمعه وحدث نفسه بالظَّفر به، وجعله من حزبه؛ حتىٰ يصير هو وليه دون مولاهُ الحقِّ.

* ومنها الطَّبعُ والرين علىٰ قلبه؛ فإنَّ العبدَ إذا أَذنبَ نكتَ في قلبهِ نُكتَةً سوداءَ؛ فإن تابَ منها صُقِلَ قلبهُ، وإن أَذنب ذنبًا آخرَ نكتَ فيه نُكتةً

أُخرىٰ، ولا تزال حتىٰ تعلو قلبه؛ فذلك هو الرَّان، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

* ومنها أنَّهُ يُحرم حلاوةَ الطَّاعةِ؛ فإذا فعلها لم يجد أثرها في قلبِهِ من الحلاوةِ والقوَّةِ ومزيد الإيمان والعقل والرَّغبةِ في الآخرةِ؛ فإنَّ الطَّاعةَ تثمرُ هذه الثَّمراتِ ولا بُدَّ.

* ومنها أَنْ تمنعَ قلبَهُ من تَرحلِهِ من الدُّنيا ونزولِهِ بساحةِ القيامة؛ فإنَّ القلبَ لا يزال مشتتًا مضيعًا حتىٰ يرحل من الدُّنيا وينزل في الآخرةِ؛ فإذا نزل فيها أقبلت إليه وفود التَّوفيق والعناية من كلِّ جهةٍ، واجتمع علىٰ جمع أَطرافه وقضاء جهازه وتعبئة زاده ليوم معاده، وما لم يترحل إلىٰ الآخرةِ ويحضرها؛ فالتعبُ والعناءُ والتَّشتُّتُ والكسلُ والبطالةُ لازمة لَهُ لا محالة.

* ومنها إعراض اللهِ تعالىٰ وملائكتِهِ وعباده عنه؛ فإنَّ العبدَ إذا أَعرضَ عن طاعةِ اللهِ واشتغلَ بمعاصيهِ أعرضَ اللهُ عنهُ فأَعرضت عنه ملائكته وعباده؛ كما أَنَّهُ إذا أَقبلَ علىٰ اللهِ تعالىٰ أَقبلَ اللهُ عليهِ وأَقبلَ بقلوبِ خلقِهِ إليه.

* ومنها أَنَّ الذَّنبَ يستدعي ذنبًا آخرَ، ثمَّ يقوىٰ أَحدُهما بالآخرِ فيستدعيان ثالثًا، ثمَّ تجتمعُ الثَّلاثةُ فتستدعي رابعًا، وهَلُمَّ جرًا حتىٰ تغمره ذنوبه، وتحيط به خطيئته، قالَ بعضُ السَّلَفِ: إنَّ من ثوابِ الحسنةِ الحسنةَ بعدها، ومن عقوبةِ السيئةِ السيئةَ بعدها.

* ومنها علمه بفوات ما هو أَحبُّ إليه، وخيرٌ لَهُ منها من جنسها وغيرُ جنسها؛ فإنَّهُ لا يجمعُ اللهُ لعبدِهِ بينَ لذَّةِ المحرماتِ في الدُّنيا، ولذَّةُ ما في الآخرةِ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فالمؤمنُ لا يذهب طيباته في الدُّنيا بل لا بُدَّ أن يترك بعضَ طيباته للآخرةِ، وأمَّا الكافرُ فإنَّهُ لا يؤمن بالآخرةِ؛ فهو حريصٌ على تناولِ حظوظِهِ كلِّها، وطيباته في الدُّنيا.

* ومنها عِلْمُهُ بأنَّ أعمالَهُ هيَ زاده ووسيلته إلىٰ دارِ إقامتِهِ؛ فإن تزودَ من معصيةِ اللهِ أوصله ذلكَ الزَّاد إلىٰ دارِ العُصَاةِ والْجُنَاةِ، وإن تزودَ من طاعته وصل إلىٰ دارِ أهلِ طاعته وولايته.

* ومنها علمه بأنَّ عملَهُ هو وليُّهُ في قبرِهِ، وأنيسَهُ فيه، وشفيعَهُ عندَ ربِّهُ والمخاصم والمحاج عنه؛ فإن شاءَ جعلَهُ لَهُ، وإن شاءَ جعلَهُ عليهِ.

* ومنها علمه بأنَّ أعمال البِرِ تنهض بالعبدِ، وتقوم به وتصعد إلىٰ الله به؛ فبحسب قوة تعلقه بها يكون صعوده مع صعودها، وأعمال الفجور تهوي به وتجذبه إلىٰ الهاوية، وتجره إلىٰ أسفلِ سافلينَ؛ بحسبِ قوةِ تعلقه بها يكون هبوطه معها، ونزوله إلىٰ حيث يستقر به، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فلمَّا لم تُفتحْ أبوابَ السَّماءِ لأعمالهم؛ بل أُغلقت عنها! لم تُفتحْ لأرواحهم عندَ المفارقةِ؛ بل أُغلقت عنها، وأهل الإيمان والعمل الصَّالح لما كانت أبواب السَّماءِ مفتوحة لأعمالهم حتىٰ وصلت إلىٰ اللهِ — سبحانه —

فتحت لأَرواحهم حتىٰ وصلت إليه تعالىٰ، وقامت بين يديه؛ فرحمها، وأَمر بكتابة اسمها في عليين.

* ومنها خروجه من حصن َالله الذي لا ضيعة علىٰ من دخله؛ فيخرج بمعصيته منه إلىٰ حيثُ يصير نهبا للصُّوصِ وقطاعِ الطُّريقِ؛ فما الظَّنُ بمن خرج من حصنِ حصينٍ لا تدركه فيه آفة إلىٰ خربةٍ موحشةٍ هي مأْوىٰ اللصُّوصِ وقطاع الطُّريقِ؛ فهل يتركون معه شيئًا من متاعه.

* ومنها أَنَّهُ بالمعصيةِ؛ قد تعرض لِمَحْقِ بركتِهِ.

وبالجملةِ! فآثارُ المعصيةِ القبيحةِ؛ أَكثرَ من أَن يحيطَ بها العبدُ علمًا.

وآثارُ الطَّاعةِ الحسنةِ؛ أَكثر من أَن يحيطَ بها علمًا؛ فخيرِ الدُّنيا والآخرة بحذافيرِهِ في طاعةِ اللهِ، وشر الدُّنيا والآخرة بحذافيره في معصيتِهِ.

وفي بعضِ الآثارِ، يقولُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ: (**مَنْ ذَا الَّذِي أَطَاعَنِي؛ فَشَقِيَ بِطَاعَتِي؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي عَصَانِيَ؛ فَسَعِدَ بِمَعْصِيَتِي**).

السَّبَبُ الثَّامن: **قصرُ الأَملِ**، وعلمه بسرعة انتقاله؛ وأَنَّهُ كمسافرٍ دخلَ قريةٍ، وهو مزمعٌ علىٰ الخروجِ منها، أَو كراكبٍ قال في ظِّلِ شجرةٍ، ثمَّ سارَ وتركها؛ فهو لعلمه بقلة مقامه، وسرعة انتقاله؛ حريص علىٰ تركِ ما يثقله حمله، ويضره ولا ينفعه؛ حريص علىٰ الانتقالِ بخيرِ ما بحضرته؛ فليسَ للعبدِ أَنفع من قصرِ الأَملِ، ولا أَضرَّ من التَّسويفِ وطولِ الأَملِ.

السَّبَبُ التَّاسع: **مجانبةُ الفُضولُ**؛ في مطعمِهِ ومشربِهِ وملبسِهِ ومنامِهِ واجتماعِهِ بالنَّاسِ؛ فإِنَّ قوةَ الدَّاعي إِلىٰ المعاصي إِنَّما تنشأُ من هذهِ الفضلاتِ؛ فإِنَّها تطلب لها مصرفًا، فيضيق عليها المباح؛ فتتعداه إِلىٰ

الحرام، ومن أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه؛ فإنَّ النَّفسَ لا تقعدَ فارغةً؛ بل إن لم يشغلها بما ينفعها؛ شغلته بما يضرهُ ولا بُدَّ.

السَّبَبُ العاشر: **ثباتُ شجرة الإيمانِ في القلبَ:**

وهو الجامع لهذه الأسبابِ كلِّها ثباتُ شجرة الإيمانِ في القلبِ؛ فصبرُ العبدِ عن المعاصي! إنَّما هو بحسبِ قوةِ إيمانِهِ؛ فكلَّما كانَ إيمانه أقوىٰ كانَ صبره أتَمَّ، وإذا ضعفُ الإيمان ضعف الصَّبر.

فإنَّ مَن باشر قلبه الإيمان بقيامِ اللهِ عليه، ورؤيته لَهُ، وتحريمه لما حرَّم عليه، وبغضه لَهُ ومقته لفاعله، وباشر قلبه الإيمان بالثَّوابِ والعقابِ والجنَّةِ والنَّارِ؛ امتنع من أَن لا يعمل بموجب هذا العلم.

ومن ظن أَنَّهُ يقوىٰ علىٰ تركِ المخالفاتِ والمعاصي بدونَ الإيمانِ الرَّاسخِ الثَّابتِ؛ فقد غلطَ! فإذا قوي سراجُ الإيمانِ في القلبِ وأَضاءَت جهاته كلِّها به، وأَشرقَ نوره في أَرجائهِ سرىٰ ذلك النُّورِ إِلىٰ الأَعضاءِ وانبعث إِليها؛ فأَسرعت الإجابة لداعي الإيمان.

وانقادت له طائعة مذللة غير متثاقلة ولا كارهة؛ بل تفرح بدعوته حين يدعوها كما يفرح الرَّجلُ بدعوة حبيبه المحسن إليه إلىٰ محلِ كرامتِهِ؛ فهو كلُّ وقتٍ يترقب داعيه، ويتأهب لموافاته، واللهُ يختص برحمته من يشاء، واللهُ ذو الفضل العظيم)[١].

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين وباب السعادتين» باب (طريق تحصيل الصبر عند المصيبة): ص ٤٤٨ – ٤٥٥. دار ابن القيم.

آثار المعاصي الوخيمة على العبد
في دينه ودنياه وآخرته

فاعلم! أَخي المسلم الفطن؛ علَّمنا اللهُ تعالىٰ هديَ نبيِّنا ﷺ :

كما أَنَّ الطَّاعاتِ، والأَعمالِ الصَّالحة؛ لها آثارٌ طيبةٌ ونافعةٌ ومباركةٌ.

فإِنَّ المعاصيَ والذُّنوبِ والآثام والخطايا - كذلك - لها آثارٌ سيئةٌ ومؤلمةٌ، والعواقبُ الوخيمةٌ، والقبيحةٌ، والمذمومةٌ؛ تُضرُّ بالقلبِ والبَدَنِ في الدُّنيا والآخرة، بما لا يعلمه إِلاَّ الله؛ سبحانهُ وتعالىٰ.

والمعصيةُ مُرَّةُ المذاقِ؛ لا يقبلُ عليها إِلاَّ من تجردَ من الإِيمانِ الصَّادقِ، وخلعَ لباسَ التَّقوىٰ الذي هو خيرُ لباسٍ!

ومن ميزةِ المعصيةِ؛ أَنَّها يُولدُ عند العاصي بعد فعلِ معصيته فورًا! أَن يشعرَ بالنَّدم، ويتجرع كؤوس الحسرة والأَلم، ويتمنىٰ أَنَّهُ ما وقعَ في هذه المعصية البتَّة، ولا أَقبلَ عليها أَصلاً!! فالمعصيةُ إِذًا سببُ حدوثِ الأَضرارِ والشُّرورِ، ونُزولِ العقوباتِ الإِلهي؛ فما ينزلُ بلاءٌ إِلاَّ بالذُّنوبِ، ولا يُرفعُ إِلاَّ بالتَّوبةِ الصَّادقةِ النَّصُوحِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[1].

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٠.

قالَ العلاَّمةُ أبو الفرج عبد الرَّحمن ابن الجوزي، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(ينبغي لكلِّ ذي لُبٍّ وفطنةٍ أَنْ يحذرَ عواقبَ المعاصي؛ فإنَّهُ ليسَ بينَ الآدمي وبينَ اللهِ تعالىٰ قرابةٌ ولا رحمٌ! وإنَّما هو قائمٌ بالقسط، حاكمٌ بالعدلِ، وإنْ كانَ حلمهُ يسعُ الذُّنوبَ؛ إلاَّ أنَّهُ إذا شاءَ عفا؛ فعفا كلَّ كثيفٍ من الذُّنوبِ، وإذا شاءَ أَخذ، وأَخذ باليسير؛ فالحذر الحذر!!

ولقد رأَيتُ أقوامًا من المترفين كانوا يتقلَّبونَ في الظُّلمِ والمعاصي - الباطنة والظاهرة - فتُبِعُوا من حيثُ لم يحتسبوا! فَقُلعت أُصولهم وانتقض بنيانهم، ونُقص ما بنوا من قواعد أَحكموها لذراريهم، وما كانَ ذلكَ؛ إلاَّ أنَّهم أَهملوا جانب الحقِّ - عزَّ وجلَّ - وظنوا أَن ما يفعلونه من خيرٍ يقاوم ما يجري من شرٍّ؛ فمالت سفينة ظنونهم؛ فدخلها من ماءِ الكيد ما أَغرقهم!!

ورأَيتُ أقوامًا من المنتسبينَ إلىٰ العلمِ أَهملوا نظرَ الحقِّ - عزَّ وجلَّ - إليهم في الخلواتِ؛ فمَحا محاسن ذكرهم في الجلواتِ؛ فكانوا موجودينَ كالمعدومينَ، لا حلاوةَ لرؤْيتهم، ولا قلبَ يحنُّ إلىٰ لقائهم.

فاللهَ اللهَ في مراقبةِ الحقِّ - سبحانه - فإنَّ ميزانَ عدله تَبِينُ فيه الذَّرة، وجزاؤه مراصد للمخطئ ولو بعد حين، وربما ظنَّ أنَّهُ العفو، وإنَّما هو إمهال.

وللذُّنوبِ عواقب سيئة! فاللهَ اللهَ! الخلوات الخلوات! البواطن البواطن! النِّيات النِّيات؛ فإنَّ عليكم من اللهِ عينًا ناظرة! وإيَّاكم والاغترار بحلمه وكرمه؛ فكم قد استدرج، وكونوا علىٰ مراقبة الخطايا، مجتهدين في محوها، وما شيء ينفع كالتَّضرُّعِ معَ الحميةِ عن الخطايا فلعلَّه، وهذا فصل إذا تأمله المعامل لله تعالىٰ نفعه. ولقد قالَ بعضُ المراقبينَ للهِ تعالىٰ:

قدرتُ علىٰ لذَّة هي غاية وليست بكبيرة؛ فنازعني نفسي إليه؛ اعتمادًا علىٰ صغرها! - وعظم فضل الله تعالىٰ وكرمه - فقلتُ لنفسي: إن غلبتَ هذهِ فأَنتَ أَنتَ، وإذا أَتيتَ هذهِ فمَنْ أَنتَ؟ وذكرتها حالة أَقوام كانوا يفسحون لأَنفسهم في مسامحة كيف انطوت أَذكارهم، وتمكن الإعراض عنهم؛ فارعوت، ورجعت عمَّا همت به)[1].

قالَ - رحمه الله - في موضعٍ آخر: (تذكرتُ في سببِ دخولِ جهنَّم؛ فإذا هو المعاصي! فنظرتُ في المعاصي؛ فإذا هي حاصلة من طلبِ اللَّذاتِ! فنظرتُ في اللَّذاتِ؛ فرأَيتها خدعًا ليست بشيءٍ! وفي ضمنها من الأَكدارِ ما يصيرها نغصًا، فتخرج عن كونها لذات؛ فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضي بجهنَّم لأَجل هذه الأَكدار؛ فمِنَ اللَّذاتِ الزِّنا! فإنْ كانَ المرادُ إراقَةِ الماءِ؛ فقد يُراقُ في حلالِ! وإنْ كانَ في المعشوقِ؛ فمرادُ النَّفسِ دوامُ البقاءِ معَ المعشوقِ؛ فإذا هي ملكتَهُ فالمملوكِ مملولٌ، وإنْ هو قاربَهُ ساعةً، ثمَّ فارقَهُ؛ فحسرةُ الفراقِ تربو علىٰ لذَّةِ القُربِ، وإنْ كانَ ولدٌ لَهُ من الزِّنا؛ فالفضيحةُ الدَّائمةُ، والعقوبةُ التَّامةُ، وتنكيسُ الرأْسِ عند الخالقِ والمخلوق.

وأَمَّا الجاهلُ! فيرىٰ لذَّتَهُ في بلوغ ذلك الغرض! وينسىٰ ما يجني مما يكدر عيش الدُّنيا والآخرة! ومن ذلكَ شُربُ الخمرِ؛ فإِنَّهُ تنجيسٌ للفَمِ والثَّوبِ، وإبعادٌ للعقلِ، وتأثيراته معلومة عند الخالق والمخلوق. فالعجبُ! ممن يؤثرُ لذَّةَ ساعَةٍ؛ تجني عقابًا، وذهاب جاه، وربُّما خرجَ بالعربدةِ إلىٰ القتلِ، وعلىٰ هذا فَقِسْ جميع المذوقاتِ! فإنَّ لذاتها إذا وزنت بميزان العقل؛ لا تفي بمعشار عشير عواقبها القباح في الدُّنيا والآخرة، ثمَّ هي

(١) انظر: «صيد الخاطر» فصل: (عواقب المعاصي، أو نهاية العصاة).

نفسها ليست بكثير شيءٍ؛ فكيف تُباعُ الآخرة بمثل هذا؟! سُبْحانَ! مَن أَنعمَ علىٰ أَقوامٍ؛ كلَّما لاحت لهم لذَّة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيما يجني، وتلمحوا ما يؤثر تركها؛ فرجحوا الأَصلح، وطمس علىٰ قلوب؛ فهي ترىٰ صورة الشَّيءِ، وتنسىٰ جناياته، ثمَّ العجبُ أَن نرىٰ من يبعد عن زوجته وهو شاب؛ ليعدو في الطريق، فيقالَ ساعي؛ فيغلب هواه لطلبِ ما هو أَعلىٰ وهو المدح؛ كيف لا يترك محرمًا ليمدح في الدُّنيا والآخرة، ثمَّ قدر حصول ما طلبت من اللَّذاتِ وذهابها، وأَحسب أنَّها قد كانت وقد هانت وتخلصت من محنها! أَين أَنت من غيركَ! أَين تعب عالم قد درس العلم خمسين سنة! ذهب التعب، وحصل العلم، وأَين لذَّة البطال ذهبت الرَّاحة، وأَعقبت النَّدم)[١].

فإنَّ آثارَ الذُّنوبِ والمعاصي؛ وخيمةٌ وكبيرةٌ جدًّا علىٰ مرتكبها، أَو أُسرته، أَو مجتمعه، أَو أُمَّته؛ بل علىٰ الأَرضِ والسَّماءِ والدَّوابِ والأَنعامِ والطيورِ والوحوشِ، وغيرها، وقد عدَّ العلماءُ آثاراً كثيرةً للمعاصي في الدُّنيا قبل الآخرة، ولإحياء القلوب وتنبيه المسلمين لخطورة المعاصي؛ سأَوردُ هنا ما ذكره الإمامُ ابنُ القيِّم - رحمه اللهُ - في عقوباتِ المعاصي في كتابه العظيم الجليل: «الجوابُ الكافي لمن سأَل عن الدَّواء الشَّافي»[٢].

فإنَّهُ كعدته إمامٌ في الفنِّ الذي يتكلمُ فيه، وما علينا بعد قولهِ إلاَّ تدبرُ ما كتبه من العلم، وتمعن في معانيه الحكيمة، والعمل بمقتضاه، ونسأَلُ اللهَ أَن يُعيننا علىٰ شرور أَنفوسنا الأَمارةُ بالسُّوءِ؛ إنَّهُ وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه:

---

(١) انظر: «صيد الخاطر» فصل: (المتعة الزائفة).

(٢) انظر: «الجواب الكافي» ص١٢٣ - ٢٠٥. دار ابن خزيمة (بتصرف).

● آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ القلبِ:

١ – ضررُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ قلب العبد؛ كضَرَرِ السُّمُوم علىٰ الأَبدانِ! علىٰ اختلافِ درجاتها في الضَّرَرِ؛ فهيَ داءٌ وعِلَّةٌ، ووبالٌ وآفةٌ!

هل في الدُّنيا والآخرة شرٌّ؛ إلاَّ وسَبَبُهُ الذُّنوبُ والمعاصي؟ لأَنَّ المعاصي بريدُ الكُفرِ؛ كما أَنَّ القُبلَةَ بريدُ الجماعِ! والغناءَ بريدُ الزِّنا! والنَّظرَ بريدُ العِشْقِ! والمرضَ بريدُ الموتِ! قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« إنَّ العَبْدَ إذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فإذَا هوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وإنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ »[١].

٢ – حرمانُ العلم: فإنَّ العلمَ حياةُ القُلُوب من العمىٰ، ونورُ الأَبصارِ من الظُّلمةِ، وقوةُ الأَبدانِ من الضَّعفِ، وهو شفاءُ الصُّدورِ، ورياضُ العُقولِ، ولذَّةُ الأَرواحِ، وأُنسُ المستوحشينَ، ودليلُ المتحيرينَ في السَّراءِ والضَّراءِ، وبه يُطَاعُ الله تعالىٰ، وبه يُعْبَد، وبه تُوصل الأَرحام، وبه يُعْرَفُ الحلالُ من الحرامِ؛ وهو إمامُ العملِ، والعمل تابعه؛ فتعلمهُ للهِ تعالىٰ خشيةٌ، وطلبهُ عبادةٌ، ومدارسته تسبيحٌ، والبحث عنه جهادٌ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقةٌ؛ يبلغُ به العبدُ منازلَ الأَحرارِ، والدَّرجاتِ العُلىٰ في الدُّنيا والآخرةِ، ويرفعُ اللهُ تعالىٰ به أَقوامًا! فيجعلهم في الخلقِ أَئمَّةً وسادةً وقادةً يُقتدىٰ بهم؛ فيلهمهُ اللهُ تعالىٰ للسُّعداءِ، ويحرمه من الأَشقياءَ!

---

(١) «رواه الترمذي» في (أبواب تفسير القرآن) باب «سورة ويل للمطففين» وحسَّنه الأَلبانيُّ والآية: ١٤، من سورة المطففين.

فالعلمُ نورٌ وهبةٌ؛ يقذفُهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ - في قلبِ الْمُؤْمنِ الْمُتَّقي الصَّادقِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

والمعصيةُ تُطفىءُ ذلكَ النُّورَ، وتُعْمِي بصيرةَ القلبِ، وتسدُّ طُرُقَ العلمِ، وتحْجُبُ مواردَ الهدايَةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٢).

ولَمَّا جلسَ الإمامُ الشَّافعيُّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - بينَ يدي إمامِ دارِ الهجرةِ الإمامِ مالكٍ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - وقرأَ عليه؛ أعجبَهُ ما رأىٰ من وُفورِ فِطْنَتِهِ، وتوقُّدِ ذكائِهِ، وكمالِ فهمِهِ، فقالَ رحمهُ اللهُ:

(إنِّي أرَىٰ اللهَ قَدْ أَلقىٰ عَلَىٰ قَلْبِكِ نُورًا؛ فَلاَ تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ).

وقالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

شَكَوْتُ إِلَىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي — فَأَرْشَدَني إِلَىٰ تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَقَالَ اعْلَمْ! بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ — وَفَضْلُ اللهِ لاَ يُؤْتَىٰ لِعَاصِي.

٣- وَحْشَةٌ يجدها العاصي في قلبه؛ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ، لا توازنُها ولا تقارنُها لَذَّةٌ أصلاً، ولو اجتمعتْ له لذَّاتُ الدُّنيا بأَسْرِهَا! لم تَفِ بتلك الوحشةِ - وهذا النعمةُ لا يُحِسُّ به إلاَّ من في قلبه حياةٌ - وكلَّما كثرت الذُّنوب اشتدت الوحشة، ولو لم تُتْرَكِ الذُّنوبَ إلاَّ حذرًا من الوقوع في تلكَ الوحشةِ؛ لكان حريًّا بالعاقلِ تركها!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

ووحْشَةٌ تَحْصلُ بينه وبين النَّاسِ، ولا سيما مع أَهلِ الخير والصَّلاح من عبادِ اللهِ المؤمنين الصَّادِقِينَ، وكلَّما قويت تلك الوحشَّةُ؛ بَعُدَ منهم، ومن مجالسهم، وحُرِمَ بركةَ الانتفاع بهم! وقَرُبَ من حزبِ الشَّيطانِ بقدر ما بَعُدَ من حزبِ الرَّحمنِ! ثمَّ تَقْوىٰ هذهِ الوحشَّةُ؛ حتَّىٰ تتمكن وتستحكم فتتعدىٰ! فتقعُ بينَهُ وبينَ امرأَتِهِ وولدِهِ وأَقاربِهِ؛ بل بينَهُ وبينَ نفسِهِ! فتراهُ مستوحِشًا بنفسِهِ! قالَ الإمامُ العابدُ الفضيلُ بن عياض، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(إنِّي لأَعْصِيَ اللهَ؛ فَأَرَىٰ ذَلِكَ فِي خُلُقِ دابَّتِي وَامْرَأَتِي).

٤- ظُلمةٌ يجِدُها العاصي في قلبه حقيقةً، يُحِسُّ بها كما يُحِسُّ بظلمةِ الليلِ البهيم الأَلْيَل؛ فتُوهِنُ قلبَهُ وبَدَنَهُ، وتحرمه الطَّاعةَ والعبادة.

فالإيمان والطَّاعة؛ نورٌ في القلب ينعكسُ علىٰ الجوارح، والكُفرُ والفُسوقُ والعصيانُ؛ ظلماتٌ بعضُها فوْقَ بعضٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

٥- المعاصي تضعفُ في قلبِ العبدِ تعظيمَ اللهِ ووقارَهُ - جلَّ جلاله - شاءَ العبدُ أم أَبىٰ، ولو تَمكَّنَ وقارُ اللهِ وعظمتُه في قلبه لما تجرَّأَ علىٰ فعل المعاصي؛ فإنَّ عظمة الله وجلالَه في قلب العبد تقتضي تعظيمَ حُرُماتِهِ، وهذا التَّعظيمُ يحول بينه وبين المعاصي، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.

٦- المعاصِي تضعفُ القَلْبَ عن إرادتِهِ؛ فإذا ضَعفت؛ قُويتْ إرادةُ المعصيةِ فيه، وضَعُفَتْ إرادةُ التَّوبةِ شيئًا فشيئًا إلىٰ أَنْ تَنْسَلِخَ مِنَ القَلْبِ بالكليةِ؛ فلو ماتت إرادةُ التَّوبةِ في القلبِ لما تاب إلىٰ اللهِ تعالىٰ صاحبه، فتراهُ يأْتي مِنَ الاستغفارِ وتوبةِ الكذَّابين باللِّسانِ شيْئًا كثيرًا، وقلبه معقودٌ بالمعصيةِ مُصِرٌّ عليها عازمٌ علىٰ مُواقَعَتِها متىٰ أَمكَنَه، وهذا من أَعظم الأَمراضِ، وأَقربها إلىٰ الهلاكِ، والعياذُ بالله؛ لأَنَّ المعاصي تصدُّ عَنِ التَّوْبَةِ، وَصَاحِبهُ أَسيرُ شَيْطانه، وسَجِينُ شهواته، ونفسه الأَمَّارةِ بالسُّوءِ.

٧- تكرارُ المعاصي؛ يُورثُ القلبَ إلفَها ومحبَّتَهَا؛ حتىٰ يفتخرَ صاحبُه بالمعصية فلا يعافي؛ لأَنَّ المعصية تُهَوِّنُ أُختَها وتصغِّرُها؛ فكثرتُها تُضْعِفُ في القلب تعظيمَ الذُّنوب؛ فيرىٰ الكبائرَ العظامَ الجِسَامَ من الصَّغائر.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[١].

فينسىٰ صاحبُ المعاصي أَمرَ اللهِ - جلَّ وعلا - ونهيَه ودينَه؛ أَنساهُ اللهُ تعالىٰ نفسَه وعقلَه، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ؛ فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ »[٣].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٥.
(٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٧ - ١٨.
(٣) رواه البخاري في (كتاب الأدب) باب « ستر المؤمن علىٰ نفسه ».

٨- المعاصي والذُّنوب إذا تكاثَرَت؛ تطبع علىٰ القلب، وتوقعُ الوحشةَ والانتكاسَ فيه، وتخلِّط عليه الخيرَ والشر، والحقَّ والباطلَ، والمعروفَ والمنكر؛ فيكون صاحبُهُ من الغافلينَ؛ لأَنَّ القلبَ يصدأ من المعاصي؛ فإذا ازدادت غلبَ الصدأُ حتَّىٰ يَصيرَ رانًا، ثمَّ يغلِبُ حتَّىٰ يصيرَ طبعًا وختمًا وقفلاً؛ فيصيرُ في غِشَاوَةٍ وغلاف، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢).

٩- المعاصي والذُّنوب؛ تُضْعِفُ سَيْرَ القلبِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ والدَّار الآخرة، أَوتُعوِّقُهُ، أَو توقِفُه، وتقطعُهُ عن السَّيرِ؛ فلا تَدَعُهُ يخطو إلىٰ اللهِ خُطوةً، هذا إن لم تردَّه عن وجهتِهِ إلىٰ ورائه! فالذَّنْبُ يحجُب الواصلَ، ويقطعُ السَّائرَ، ويُنكِّسُ الطَّالب.

وإنَّما يسيرُ القلبُ إلىٰ اللهِ بالطَّاعَةِ والتَّقوىٰ؛ فإذا مَرِضَ بالذُّنوبِ ضَعُفَت تلك القوةُ التي تُسَيِّرهُ، فإنْ زالت بالكلِّيَّةِ؛ انقطعَ عن اللهِ تعالىٰ انقطاعًا يَصعُبُ تدارُكُهُ، ثمَّ يُلقي اللهُ الرُّعْبَ في قلب صاحبه؛ لأَنَّ المعاصي تميتُ القلبَ، أَو تمرضُهُ، أَو تضعِفُ قوَّتُهُ؛ حتَّىٰ ينتهي ضعفه إلىٰ الأَشياءِ الثَّمانيةِ التي استعاذ منها النَبِيُّ ﷺ، بقولِهِ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالَ»(٣).

(١) سورة الصف، الآية: ٥. (٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب «التعوذ من غلبة الرجال».

١٠- المعاصي والذُّنوب تميتُ غيرةَ القُلوب؛ التي أَصلُها كراهةُ القبائح وبُغضها! وتَذْهَبُ بحيائهِ الذي هو أَصل كُلِّ خير! وتَطمُسُ نورَه، وتُعْمي بصيرته، وتُمرضه، وتسدُّ طُرق العلم، وتَحْجُبُ مواردَ الهداية.

والغيرةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ العُلىٰ، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ! وَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»(١).

والغيورُ قد وافقَ ربَّهُ - سبحانه - في هذهِ الصِّفةِ من صفاتِهِ الكريمة، ومَن وافقَ اللهَ تعالىٰ في صفةٍ من صفاتِهِ؛ قادَتْهُ تلكَ الصِّفةُ إليه بزمامه، وأَدخلتْهُ علىٰ ربِّهِ، وأَدنتْهُ منه، وقرَّبَتْه من رحمته، وصيرَّتَهُ محبوبًا لَهُ؛ فإِنَّهُ سبحانه! رحيمٌ يحبُّ الرُّحماءَ، كريمٌ يحبُّ الكرماءَ، عليمٌ يحبُّ العلماءَ، قويٌّ يحبُّ المؤْمن القويَّ، وهو أَحبُّ إِليه من المؤْمنِ الضَّعيفِ؛ حييٌّ يحبُّ أَهل الحياء، جميلٌ يحبُّ أَهل الجمال، وِترٌ يحبُّ أَهل الوِتْر، ولو لم يكن في الذُّنوبِ والمعاصي؛ إلاَّ أَنَّها توجبُ لصاحبِها ضدَّ هذهِ الصِّفاتِ وتمنعُهُ من الاتِّصافِ بها؛ لكفىٰ بها عقوبةً!

وصاحبُ المعاصي كلَّما اشتدَّتْ ملابستُهُ للذُّنوب؛ أَخرجتْ من قلبِهِ الغَيْرَةَ علىٰ نفسِهِ وأَهلِهِ وعمومِ النَّاسِ، وقد تَضْعُفُ في القلبِ جدًّا حتَّىٰ لا يَسْتَقْبح بعدَ ذلكَ القبيحَ لا من نفسِهِ ولا من غيرِهِ، وإذا وَصَلَ إِلىٰ هذا الحدِّ فقد دخلَ في بابِ الهلاكِ! وأَكثرُ العُصَاةِ لا يقتصرون علىٰ عدم الاستقباح؛ بل يحسنون الفواحش ويدعون إليه ويحثهون عليه.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب «قول النبي لا شخص أَغير من الله».

١١ - المعاصي والذُّنوب؛ تُلْقِي الخوفَ والرُّعْبَ واليأْس والكآبة في قلوب أَصحابها؛ فترىٰ العاصي دائمًا خائفًا مرعوبًا كئيبًا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

فإنَّ الطَّاعةَ حِصْنُ اللهِ الأَعظمُ الذي مَن دخلَهُ كان من الآمنين من عُقوبةِ الدُّنيا والآخرة، ومَن خَرَجَ منه أَحاطتْ به المخاوفُ من كلِّ جانبٍ؛ فمَن أَطاع اللهَ انقلبت مخاوِفُه أَمْنًا، ومَن عصاه انقلبت مآمنه خوفًا.

فلا تجد العاصي إلاَّ وقلبهُ كأَنَّهُ بين جناحي طائرٍ، إن حَرَّكَتِ الرِّيحُ الباب، قالَ: جاء الطَّلَبُ، وإن سمعَ وقعَ قدم؛ خاف أَن يكون نذيرًا بالعطب، يحسب أَنَّ كلَّ صيحةٍ عليه، وكلَّ مكروه قاصدًا إليه!

فمَن خاف اللهَ تعالىٰ؛ أَمَّنه اللهُ من كلِّ شيءٍ، ومَن لم يخَفِ اللهَ تعالىٰ؛ أَخافه اللهُ من كلِّ شيءٍ.

١٢ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تمرض القلبَ، وتصرفُه عن صحَّته واستقامته إلىٰ مرضه وانحرافه، وتأْثيرُه في القلوبِ؛ كتأْثير الأَمراض الفتَّاكة في الأَبدان؛ بل أَشدُّ من ذلكَ؛ لأَنَّه لا دواء لها إلاَّ تركها! وقد أَجمعَ السَّائرونَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ أَنَّ القلوبَ لا تُعطىٰ مُناها حتَّىٰ تصلَ إلىٰ مولاها، ولا تصلُ إلىٰ مولاها حتَّىٰ تكونَ صحيحةً سليمةً، ولا تكونُ كذلك حتَّىٰ ينقلبَ داؤها فيصيرَ نَفْسَ دوائِها، ولا يصحُّ لها ذلك إلاَّ بمخالفةِ هواها؛ فهواها مرضُها، وشفاؤها مخالفتُهُ؛ فإنْ استحكمَ المرضُ؛ قتل أَو كاد.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

١٣- المعاصي والذُّنوبُ؛ تحقِّر النُّفوسَ وتصغِّرها، وتَقْمَعُها، وتُدَسِّيها، وتُذلها، وتحطُّ من قدرها؛ حتَّىٰ تكون أصغر شيءٍ وأحقره.

أمَّا الطَّاعةُ فإنها تنمِّيَ النُّفوس وتزكِّيها وتكبِّرها وتُعلِّيها، قال الله تعالىٰ:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[١].

أي: قد أفلح من كبَّرها وأعلاها بطَّاعَةِ اللهِ تعالىٰ وأظهرَها، وقد خسرَ مَن أخفاها وحقَّرها وصغَّرها بمعصيةِ اللهِ تعالىٰ؛ فالعاصي يَدُسُّ نفسه في المعصيةِ، ويُخفي مكانها؛ يتوارى من الخلقِ من سوء ما يأتي به، وقد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله تعالىٰ، وانقمع عند الخلق.

فالطاعةُ والبِرُّ تكبِّرُ النَّفسَ وتُعزُّها وتعليها؛ حتَّىٰ تصيرَ أشرفَ شيءٍ وأكبرَه، وأزكاه وأعلاه ، ومع ذلكَ؛ فهيَ أذلُّ شيءٍ، وأحقرُهُ وأصغرُهُ للهِ تعالىٰ، وبهذا الذُّلِّ حصلَ لها هذا العِزُّ والشَّرفُ والنُّمو؛ فما صغَّر النُّفوسَ مثلُ معصيةِ اللهِ تعالىٰ، وما كبَّرها وشرَّفها ورفَعها مثلُ طاعةِ اللهِ تعالىٰ.

١٤- المعاصي والذُّنوبُ؛ تورِثُ الذُّلَّ والمهانةَ، وتحقِّر النُّفوسَ وتصغِّرها ولا بُدَّ؛ فإنَّ العزَّ كلَّ العزِّ في طاعةِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - والذُّلَّ كلَّ الذُّلِّ في معصيةِ اللهِ جلَّ جلاله، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[٣].

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

١٥- المعاصي والذُّنوب؛ تُفْسِدُ العقلَ وتُؤثِّرُ فيه، وتذهبُ بنورِه؛ فإذا طفئ نورُه ضعُف ونقَص وغابَ، وما عصىٰ الله تعالىٰ أحدٌ حتَّىٰ يغيب عن عقله؛ فإنَّهُ لو حضرَهُ عقلُهُ لحجزَهُ عن المعصيةِ، وهو في قبضةِ ربِّهِ - جلَّ في عُلاه - وتحت قَهْرِه، وهو في دار وعلىٰ بساطه، ومطَّلعٌ عليه، وملائكته سهودٌ عليه ناظرون إليه، واعظُ القُرآن ينهاه، وواعظُ الإيمان ينهاه، وواعظُ الموت ينهاه، وواعظُ النَّار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خَيْرِ الدُّنيا والآخرة أضعافُ أضعافِ ما يحصُلُ لَهُ من السُّرورِ واللَّذة بها؛ فهل يُقْدِمُ علىٰ الاستهانةِ بذلك كلِّه ذو عقل سليم؟!

ولا شكَّ أنَّ المعصية؛ إن لم تُفسد العقل كليًّا! فهي تنقص من كماله، فلا تجد عاقلين أحدهما مطيعٌ لله تعالىٰ والآخر عاصٍ؛ إلاَّ وعقل المطيع منهما أوفر وأكملُ، وفكره أصحُّ. ورأْيه أسدُّ، والصَّوابُ قرينه.

١٦- المعاصي والذُّنوبُ؛ تُضَيِّقُ الصَّدرَ وتوحشه؛ فيجدُ المذنبُ نفسه مستوحشًا، وكلَّما كثُرتِ الذُّنوب؛ اشتدَّتِ الوحشةُ!

فمن أعظم أسباب ضِيقِ الصَّدر؛ الإعراضُ عن طاعة الله تعالىٰ، وتعلقُ القلب بغيرِهِ، والغفلةُ عن ذكره، ومحبَّةُ ما سواه؛ فإنَّ مَن أحبَّ شيئًا غيرَ الله تعالىٰ عُذِّبَ به، وسجن قلبه في محبَّتِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

● آثارُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ الدِّين:

١٧- المعاصي تَجُرُّ المعاصي، وتزرعُ أَمثالها، ويولِّدُ بعضُها بعضًا؛ كما أَنَّ الطَّاعات تجر الطَّاعات؛ حتىٰ يَعِزَّ علىٰ العبدِ مفارقتُها والخروج منها فيصبح صاحبها أَسير المعاصي والشَّهوات مدمنًا عليها لا يستطيع مفارقتَها.

فالعبد إذا عمل حسنةً؛ قالت أُخرىٰ إلىٰ جنبها: اعملني أَيضًا؛ فإذا عَمِلَها، قالت الثَّالثةُ كذلك، وهلُمَّ جرًّا، فتضاعَفَ الرِّبحُ، وتزايدتِ الحسنات. وكذلك جانب السيئاتُ أَيضًا؛ حتَّىٰ تصيرَ الطَّاعاتُ والمعاصي هيئاتٍ راسخةً، وصفاتٍ لازمةً، وملكاتٍ ثابتةً.

فلو عطَّل المُحسنُ الطَّاعةَ لضاقت عليه نفسُهُ، وضاقت عليه الأَرض بما رحبت. ولو عطَّل المُجرمُ المعصيةَ! وأَقبل علىٰ الطَّاعةِ؛ لضاقت عليه نفسُهُ، وضاق صدرُهُ، وأَعيتْ عليه مذاهبُه؛ حتَّىٰ يُعاودَها.

وإنَّ كثيرًا من الفُسَّاقِ ليواقعُ المعصيةَ من غيرِ لذَّةٍ يجدُها ولا داعيةَ إليها إلاَّ لما يجدُ من الأَلم بمفارقتها.

ولا يزالُ العبدُ يعاني الطَّاعةَ ويأْلفُها ويحبُّها ويؤْثرُها؛ حتَّىٰ يُرسلَ اللهُ - سبحانَهُ وتعالىٰ - برحمته إليه الملائكةَ؛ تؤزُّهُ إليها أَزًّا، وتحرِّضُهُ عليها، وتُزْعِجُهُ عن فراشه ومجلسه إليها.

ولا يزالُ يأْلفُ المعاصي ويحبُّها ويؤْثرُها؛ حتَّىٰ يرسلَ اللهُ تعالىٰ عليه الشَّياطينَ؛ فتؤزّه إليها أَزًّا.

فالأَوَّلُ قوَّىٰ جُنْدَ الطَّاعةِ بالمدد؛ فصاروا من أَكبرِ أَعوانِهِ، وهذا قوَّىٰ جندَ المعصيةِ بالمدَد ؛ فكانوا أَعوانًا عليه.

١٨- المعاصي والذُّنوب من أهمِّ أسبابِ حرمان الطَّاعةِ:

فلو لم يكن للذَّنبِ عقوبةٌ! إلاَّ أن يصدَّ عن الطَّاعة؛ لكانت كافيًا في ضررِهِ؛ فالمعاصي تحرِّمُ من الطَّاعاتِ، وتقطَعُ طُرق الأعمال الصَّالحةِ.

فحرمانُ الطَّاعةِ سببُهُ الذُّنوب وارتِّكاب المعاصي؛ يحرمُ العبدَ الطَّاعاتِ ولذَّةَ المناجاتِ، ولذَّةَ العباداتِ، ولذَّةَ القيامِ، ولذَّةَ البُكاءِ، ولذَّةَ العُبوديَةِ للهِ تعالىٰ، وغيرها من العباداتِ الجليلةِ.

ولذلك ينبغي علىٰ المسلم الصَّادقِ؛ أن يحذرَ المعاصي بجميع أنواعها؛ لأن كثيرًا من النَّاس يتساهلون بالصَّغائرِ ولا يلقون لها بالاً، ولا يعطونها أهميةً، وهي في الحقيقةِ من أهمِّ أسبابِ التَّهاونِ في الطَّاعاتِ والعباداتِ؛ فإذا تكاسل العبدُ فيها أتىٰ العقاب الإلهي! أنَّ اللّٰهَ تعالىٰ لا يذيقه حلاوة الإيمان، ولا يعطيه حلاوة الطَّاعةِ، وهذا من العقابِ أن يحرمَ العبدُ الطَّاعاتِ، وأن يحرمَ التَّوفيقَ إلىٰ العباداتِ؛ التي هي السَّبب في السَّعادةِ في الدَّارين، ولذلك قالَ اللّٰهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١).

وقالَ الإمامُ التَّابعيُّ؛ الضَّحاكُ بن مزاحم الهلالي، رحمهُ اللّٰهُ تعالىٰ:

(ما نعلم أحدًا حفظَ القُرآنَ؛ ثمَّ نسيَهُ؛ إلاَّ بذنبٍ، ثمَّ قرأَ:

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(٢)).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٠.

١٩- المعاصي والذُّنوبُ؛ تُورِثُ صاحبَها الهوانَ عندَ ربِّهِ - جلَّ في عُلاه - وسقوطَ منزلته وكرامته، وإذا هانَ العبدُ علىٰ اللهِ تعالىٰ؛ لم يكرمه أحدٌ! فيرفعُ اللهُ تعالىٰ مهابتَه من قلوبِ الخلقِ؛ فيهونُ عليهم، ويستخفُّون به، كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾[1].

وقالَ سيِّدُ التَّابعينَ؛ الإمامُ الحسنُ البصريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**هَانُوا عَلَيْهِ؛ فَعَصَوهُ، وَلَو عَزُّوا عَلَيْهِ؛ لَعَصَمَهُمْ!**).

٢٠- المعاصي والذُّنوبُ؛ تورثُ العبدَ لعنةَ اللهِ تعالىٰ، ولعنةَ رَسُولِهِ ﷺ وملائكتِهِ الكرام؛ فقد لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

شاربَ الخمرِ وساقيها وعاصِرَها ومُعْتَصِرَها وبائِعها ومشتريها وآكل ثمنِها وحامِلها والمحمولةَ إليه، ولَعَنَ ﷺ الرَّاشي والمرتشي والرَّائشَ.

ولعنَ المحلِّلَ والمحلَّلَ له، ولعنَ آكلَ الرِّبا ومُوكله وكاتِبهَ وشاهِدَيه، ولعنَ مَن لعنَ والدَيْه، أَو انتسبَ إلىٰ غيرِ أَبيهِ، ولعنَ من غيرَّ منار الأَرضِ - وهي أَعلامها وحدودها - ولعنَ زوَّاراتِ القبورِ والمتَّخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج، ولعنَ مَن اتَّخذَ شيئًا فيهِ الرُّوحُ غرضًا يرميهِ بسهمٍ، ولعنَ مَن أَتىٰ بهيمةً، ولعنَ مَن وَسَمَ دابةً في وجهها، ولعنَ مَن أَتىٰ امرأَةً في دُبُرها.

ولعنَ من آوىٰ مُحْدِثًا، ولعنَ الواشمةَ والمستوشِمَةَ، والواصلة والمستوصِلَة، ولعنَ السَّارقَ، ولعنَ الرَّجلَ يَلْبسُ لِبْسَةَ المرأَة، والمرأَة تَلْبس لِبْسَةَ الرَّجل، ولعنَ مَن ذَبَحَ لغيرِ اللهِ تعالىٰ، ولعنَ المصوِّرين، ولعنَ مَن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوطٍ، ولعنَ مَن ضارَّ مُسلمًا أَو مَكَرَ به، ولعنَ مَن أَفسدَ امرأَةً علىٰ زوجها، أَو مملوكًا علىٰ سيِّده، ولعنَ مَن سبَّ الصَّحابة.

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.

وقد لعنَ اللهُ تعالىٰ مَن أفسدَ في الأرضِ، وقطعَ رحمَهُ، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾(١).

وممَّن لعنَهُمُ اللهُ تعالىٰ مَن آذىٰ اللهَ، وآذىٰ رَسُولَهُ ﷺ، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٢).

ولعنَ مَن كتَمَ ما أنزلَ اللهُ تعالىٰ من البيِّناتِ والهدىٰ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾(٣).

ولعنَ اللهُ الذينَ يرمونَ المحصناتِ الغافلاتِ بالفاحشة، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٤).

ولعنَ مَن جعلَ سبيل الكافرين أهدىٰ من سبيلِ المؤْمنينَ، قالَ تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾(٥).

وقد لعنَ اللهُ تعالىٰ ورَسُولهُ ﷺ أشياءَ أُخرىٰ غير هذه.

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ٥١ ـ ٥٢.

٢١- المعاصي والذُّنوبُ؛ تورثُ حرمانَ دعوة الرَّسُول ﷺ والملائكةِ إنَّ اللّٰه تعالىٰ أمرَ نبيَّهُ ﷺ وملائكتَهُ المقربون؛ أن يستغفروا للمؤْمنينَ.

قالَ اللّٰهُ تعالىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3].

فهذا دعاءٌ مباركٌ من الملائكةِ الكرامِ للمؤْمنينَ الصَّادقينَ التَّائبينَ المتَّبعين لكتابه، وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ الذين لا سبيلَ لهم غيرُها؛ يطلبونَ لهم أعلىٰ درجاتِ الجنَّات، ويختمون طيب دعائهم بإثبات العزَّةِ والحكمةِ لله تعالىٰ وحده، ثمَّ يقرونَ أنَّهُ مَن فازَ بهذهِ العطايا الرَّبانية والمنح الآلهية؛ فإنَّ هذه أعلىٰ درجاتِ العطاء؛ فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدَّعوة.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

٢٢ـ المعاصي والذُّنوبُ توجِبَ القطيعةَ بين العبدِ المسكين المحتاجُ وبينَ ربِّهِ ـ جلَّ وعلا ـ القويِّ الغنيِّ الكريم، وإذا وقعت القطيعةُ! انقطعت أَسبابُ الخير كلُّها! واتَّصلَتْ به أَسبابُ الشَّرِّ بجميع أَنواعه وأَشكاله.

فأَيُّ توفيقٍ وفلاحٍ ونجاحٍ ورجاءٍ، وأَيُّ عيشٍ لمن انقطعَتْ عنه أَسبابُ الخير بجميع طُرقه، ويستدعي ذلك الأَمرُ نسيان الله تعالىٰ لعبدِهِ العاصي، ويُوكِّله إِلىٰ نفسه الأَمَّارة بالسُّوءِ، وشيطانه الذي يتربَّص به الدَّوائر؛ وهذا يعني: الهلاك الذي لا يُرجىٰ معه نجاةٌ!! قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

فاللهُ تعالىٰ يأمرُ في هذه الآية عباده المؤمنون بتقواه، وينهاهم عن التشبُّه بمن نسيهم من عباده! من الذين تركوا تقواه، ثمَّ أَخبرَ أَنَّ عاقبتهم بأَنَّهم أَنساهم أَنفسهم، أَي: أَنساهم مصالحهم، وما ينجيهم من عذابه الأَليم، وما يوجب لهم الحياة الأَبدية، وكمال لذتها وسرورها ونعيمها؛ فأَنساهم اللهُ تعالىٰ ذلكَ كله جزاء لما نسوا من عظمته وخوفه، والقيام بأَمره؛ فترىٰ العُصاةَ مهملون لمصالح أَنفسهم مضيعونَ لها، وقد أَغفل اللهُ تعالىٰ قلبهم عن ذكره؛ فاتَّبعوا هواهم، وكان أَمرهم فرطا! أَي: انفرطت عليهم مصالح دنياهم وآخرتهم، وقد فرطوا بمعاصيهم بسعادتهم الأَبدية، واستبدلوا بها أَدنىٰ ما يكون من لذَّةٍ، واللهُ المستعان.

---

(١) سورة الحشر، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

٢٣- المعاصي والذُّنوب؛ تُوجب كراهيةَ اللهِ - عزَّ وجلَّ - للعُصاةِ من عبادِهِ المذنبين، قالَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - في الذين لا يُحبُّهم:

﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[٧].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[٩].

وقالَ تعالىٰ عن كراهيته للفارينَ من الزَّحفِ، والمتخاذلينَ عَنِ القتالِ:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[١٠].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.
(٩) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(١٠) سورة التوبة، الآية: ٤٦.

٢٤- المعاصي والذُّنوبُ؛ تُخرِجُ صاحِبَها من دائرة الإحسان، وتمنعه ثوابَ المحسنين والمؤْمنين الصَّادقين؛ فإنَّ الإحسانَ إذا باشرَ القلبَ منعه من فعلِ المعاصي؛ لأنَّ المُحْسِنَ يعبدُ اللهَ تعالىٰ كأنَّهُ يراه، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية! فضلاً عن الوقوع فيها.

فإذا خرج من دائرة الإحسانِ فاته صحبة رفقته الخاصة وعيشهم الهنيء ونعيمهم التَّام؛ فإنَّ أَراد اللهُ تعالىٰ به خيرًا أَقرَّهُ في دائرةِ عموم المؤْمنينَ؛ فإنَّ عصاهُ بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الإيمانِ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«**لاَيَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَمُؤْمِنٌ، وَلاَيَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَمُؤْمِنٌ، وَلاَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَمُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**»(١).

٢٥- المعاصي والذُّنوبُ؛ تَسْلُبُ صاحِبَها أَسماءَ المدح والشَّرف والثَّناءِ الذي أَطلقه اللهُ تعالىٰ لعباده الصَّادقين، مثلَ اسمِ:

المؤْمن، والبرِّ، والمحسن، والمتقي، والوَرِع، والصَّالح، والعابد، والأَوَّاب، العامل، المطيع، وأَمثالها من الأَسماء الحسنة.

بل! تَكْسُ صاحبها أَسماءَ الذَّمِّ والصَّغار، مثل:

الفاجرِ، والعاصي، والمذنب، والمخالف، والمفسد، والطالح، والجاحد، والخبيثِ، وأَمثالها من الأَسماء القبيحة.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان باب «بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ إرادة نفي كماله».

● آثارُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ البدن:

٢٦- المعاصي والذُّنوبُ والآثامُ والسَّيئاتُ؛ توهِن البَدَن:

فإنَّ المؤمنَ قوَّتُهُ من ربِّه - جلَّ وعلا - ثمَّ من قلبه، وإيمانه، وعقيدته، وكلَّما قوِيَ إيمانهُ بربِّه - سبحانه - قوِيَ قلبه؛ ثمَّ قوِيَ بدنُه.

وأمَّا العاصي والفاجرُ! وإن كان قويُّ البدن؛ فهو أضعفُ شيءٍ عندَ الحاجة؛ فتخُونه قوتُهُ عندَ أحوجِ ما يكون إلىٰ نفسه.

وتأمَّل أخي المسلم: قوةَ أعداءِ الإسلامِ من فارسٍ والرُّوم وغيرهم؛ كيف خانتهم قوة أبدانهم، عندما كانوا أحوج ما يكون إليها، فقهرهم وغلب عليهم أهل الإيمان؛ بقوَّةِ قلوبهم أوَّلاً، ثمَّ بقوة أبدانهم؛ لأنَّ العبدَ بقوَّةِ إيمانه يستطيع أن يفجرَ الطَّاقات، ويظهر قدرات، ويتغلب علىٰ وساوس الشَّيطانِ، ويقهر الخوف واليأسَ، ويحول الضَّعفَ إلىٰ القوَّةِ والانهزام إلىٰ التَّميز، والتَّعاسة إلىٰ السَّعادةِ.

٢٧ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تُوجب عقوباتٍ شرعيَّةً علىٰ العاصي لارتكابه الجرائمَ، وهذه العقوبات هي: الحدودُ، والكفَّاراتُ، والتَّعزيرات.

● أمَّا الحدودُ فهي: قتلُ المرتدِّ، وحدُّ الزِّنىٰ واللِّواط، وحدُّ السَّرقة، وحدُّ القذف، وحدُّ شرب الخمر.

● وأمَّا الكفاراتُ فمنها: كفَّارةُ قتل الخطإ، وكفَّارة الظِّهار وكفَّارة الجماع نهارَ رمضان والوطءُ في الإحرام وفي الحيض والنِّفاس وكفَّارة اليمين.

● وأمَّا التعزيراتُ: فهي حَسَبَ ما يراه الحاكمُ المسلمُ، وأنَّه مما يردَعُ ويزْجُرُ.

٢٨ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تُوجب عقوباتٍ قدريَّةً من الله تعالىٰ علىٰ العاصي؛ لارتكابه الجرائمَ، ومخالفته لأَوامر الله تعالىٰ، وهي نوعان:

● عقوباتٌ قدريَّةٌ علىٰ القُلوب: آلامٌ وُجودِيَّةٌ يُضْرَبُ بها القلبُ، وقطعُ المواد التي بها حياتُه وصلاحُه عنه، وإذا قُطِعت عنه؛ حصلَ له أَضدادُها.

وعقوبةُ القلب أَشدُّ العقوبتين، وهي أَصلُ عقوبةُ الأَبدانِ، وهذه العقوبة تقوىٰ وتتزايُد؛ حتَّىٰ تسري من القلب إلىٰ البدن، كما يسري أَلمُ البدن إلىٰ القلب؛ فإذا فارقتِ النَّفسُ البدنَ صار الحكمُ متعلِّقًا بها فظهرت عقوبةُ القلب حينئذٍ، وصارت علانيةً ظاهرةً، وهي المسمَّاة بعذاب القبر، ونسبته إلىٰ البرزخ كنسبة عذاب الأَبدان إلىٰ هذه الدَّار.

● عقوباتٌ قدريَّةٌ علىٰ الأَبدان: وهي نوعان: نوعٌ في الدُّنيا، ونوعٌ في الآخرة، والمقصودُ: أَنَّ عقوباتِ السيِّئاتِ تتنوَّع إلىٰ عقوباتٍ شرعيةٍ، وعقوباتٍ قَدَريَّةٍ. وهي: إمَّا في القلب، وإمَّا في البدن، وإمَّا فيهما، وعقوباتٍ في دار البَرزخ بعد الموت، وعقوباتٍ يوم حشر الأَجساد.

والخلاصة: أَنَّ العقوباتِ القدَريَّة:

هي ما يصيب الإنسانَ في دينه، أَو دنياه، أَو كليهما: من الفتن، والمحن، والابتلاء؛ بسائر المصائب علىٰ أَشكالها، وهي ثلاثةُ أَنواعٍ:

منها ما يكون لرفع الدَّرجات، ومنها ما يكون لتكفير السَّيئات، ومنها ما يكون عقابًا للإنسان علىٰ ظلمه وعدوانه، وعصيانه لرَبِّه؛ جلَّ وعلا.

وهذه الدَّرجةُ الأَخيرةُ؛ عامَّةٌ للمُسلمِ والكافرِ؛ كلٌّ علىٰ حسبِ ذنبِه وجُرمِه.

● آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ الرِّزقِ:

٢٩- المعاصي والذُّنوبُ من الأَسباب الرئيسة للحرمان من الرِّزقِ. كما أَنَّ التَّقوىٰ مجلبةٌ للرِّزقِ؛ فترك التَّقوىٰ مجالبة للفقر، وما استجلب رزق بمثل ترك المعاصي، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

وَلا شكَّ أَنَّ المعاصي جميعًا - سواء كانت في حقِّ اللهِ تعالىٰ أَو في حقوق العباد - هي من أَسبابِ ضيقِ الرِّزق ونكدِ والعيش؛ حتىٰ وإِن أَنعم اللهُ تعالىٰ علىٰ العاصي ببعض النِّعم - استدراجًا له - فإِنَّها لا تأْتيه إِلاَّ منغصة منزوعة البركة؛ بسبب ذنوبه ومخالفته.

ورِزْقُ الله تعالىٰ لعباده خاص وعام: فأَمَّا الخاص فيكون لبعض عباده دون بعض، بما يفتح الله تعالى عليهم من أَبواب الرِّزق دون غيرهم، كما فتح - سبحانه - لبعض عباده في أَبواب التِّجارة؛ فإِنَّهم لا يخسرون فيها أَبدًا.

وأَمَّا الرِّزق العام فبما ينزل الله تعالىٰ لعباده من غيث السماء، ويخرج لهم من خيرات الأَرض مما يحتسبونه وينتظرونه، ومما لا يحتسبونه ولا يتوقعونه، والله يرزق من يشاء بغير حساب، فينتفع بهذا الرِّزق البشرُ والحيوان والأَشجار، ثم يعود نفع ذلك لبني آدم.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

٣٠– المعاصي والذُّنوبُ؛ تمحَقُ النِّعم الحاصلةَ، وتقطَع النِّعم الواصلة، أَي: تُزِيل النِّعم، وتحلُّ النِّقم؛ فما زالت عن العبد نعمةٌ إلاَّ بذنب، ولا حلَّت به نقمة إلاَّ بذنب؛ فلا يغيِّر الله تعالىٰ نعمته التي أنعمَ بها علىٰ أَحدٍ من عباده؛ حتَّىٰ يكونَ هو الذي يغيِّر ما بنفسه؛ فيُغيِّر طاعتَهُ بمعصيته، وشكره بكفره، وأَسباب رضاه بأَسباب سخطه؛ فإذا غيَّرَ غُيِّرَ عليه جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظَلاَّم للعبيد، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

فإنَّ نعم الله تعالىٰ ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته؛ فإنَّ ما عند الله لا ينال إلاَّ بطاعته، وقد جعل الله تعالىٰ لكلِّ شيءٍ سببًا وآفةً؛ سببًا يجلبه، وآفةً تبطله؛ فجعل أَسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفاتها المانعة منها معصيته، فإذا أَراد حفظ نعمته علىٰ عبده أَلهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أَراد زوالها عنه خذله حتىٰ عصاه بها.

٣١– المعاصي والذُّنوبُ من الأَسباب التي تُزيل البركةَ من المال، وقد تُتْلِفُه أَو تمحقه، ومن ذلك أَنَّ مَن كَذَبَ في بيعه وشرائه، وكَتَمَ العيوبَ في السِّلعة؛ عُوقِبَ بمحق البركة، وما محقت البركة من الأَرض إلاَّ بمعاصي للخلق، وما نحن فيه اليوم من ظروف إقتصاديةٍ عالميةٍ صعبةٍ؛ إلاَّ تثبت ذلك النقمة.

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

● آثارُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ العامَّة وعلىٰ الفرد:

٣٣- المعاصي والذُّنوبُ من الأَسباب التي تُعَسِّر أُمور العاصي، وهذا من أَعظم ما يصيب العاصي: فلا يتوجَّهُ لأَمرٍ؛ إلاَّ يجدهُ مُغلَقًا دونه، أَو متعسِّرًا عليه، والعبد الذي يتَّقي الله تعالىٰ؛ يجعل له من أَمره يُسرًا؛ فمَن لم يتَّقِ الله؛ جَعَلَ له من أَمره عُسرًا.

ويا لله العجبُ! كيف يجد العبد أَبوابَ الخير والمصالح مسدودةً دونه، وطرقها معسرة عليه، وهو لا يعلم من أَين أُتِيَ؟ قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾(١).

٣٤- المعاصي والذُّنوبُ؛ مَدَدٌ من الإنسان لعدوِّه الأَكبر؛ لأَن النَّفس أَوَّل مَدْخَلِ الشَّيطان للإنسان؛ فإذا تمكَّن الشَّيطانُ من دخوله؛ فإنَّه يفسد عليه: ثغر العين، وثغر الأُذن، وثغر اللِّسان، والفَمِ، واليد، والرِّجْل؛ إذن فالمعاصي سلاحٌ ومَدَدٌ يُمِدُّ بها العبد أَعْدَاءَهُ، ويعينه بها علىٰ نفسه؛ فيقاتلونه بسلاحه، والجاهل يكون معهم علىٰ نفسه، وهذا غاية الجهل والسفه.

٣٥- المعاصي والذُّنوبُ من عقوباتها علىٰ صاحبها: المعيشة الضَنْكُ في الحياة الدُّنيا، وفي عالم البرزخ، وفي دار الآخرة، ويا لها من العذاب والشَّقاء! نسأَل الله تعالىٰ العافية والسَّلامة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾(٢).

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

فالطَّاعة؛ ينشرح لها صدرُ العبد وينفسح، ويجد فيها سعادته.

والمعصية؛ يُضَيِّق لها الصدرَ؛ فيجد العاصي من الحرج والضيق كأنَّه يختنق من دُخان المعصية؛ لأَنَّ من أَعظم أَسباب ضيقِ الصَّدر؛ الإعراضَ عن الله تعالىٰ، وتعلُّق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبَّةِ سواه.

ولا تقرُّ العين، ولا يهدأُ القلبُ، ولا تطمئنُّ النَّفس إلاَّ بعبادة إلاهها ومعبودها الحقِّ؛ لأنَّ كلَّ معبودٍ سواه باطل! فمَن قرَّت عينه بالله تعالىٰ؛ قرَّت به كلُّ عين، ومَن لم تقر عينُه بالله تعالىٰ؛ تقطَّعت نفسه علىٰ الدُّنيا حسراتٍ؛ فيبحث عن السَّعادة فى الأَرزاق والأَسباب الدُّنيوية الفانية! ولا يجد نفسه إلاَّ في معيشةٍ ضنك!

فنجد الكفَّار عندهم جميع أَسبابِ السَّعادة الدُّنيويةِ؛ فعندهم المال والجمال والسَّلطان! ولكن مع كلِّ ذلك هم في معيشةِ الضنك، ولا تظهر عليهم الشَّقاوة من بعيد؛ لأَنَّها متعلقة بالرُّوح والقلب!

والمعيشة الضنك لا يتمناها أَحدٌ من بني البشر؛ بل إنَّ كلَّ النُّفوسِ تنفر منها؛ لأَنَّها حياة الشَّقاء، حياة القلق، حياة الضَّياع، حياة التَّشاؤم، حياة الإحباط، حياة اليأْس، وهلُّمَ جرًّا من الشَّقاوةِ.

---

(١) سورة الأَنعام، الآية: ١٢٥.

● آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ المجتمع:

٣٦- المعاصي والذُّنوبُ شؤْمُهما؛ يعمُّ الإنسانَ، والحيوانَ، والنباتَ؛ لأنَّه إذا نزل البلاءُ علىٰ الأَرض؛ فإنَّه يعمُّ الجميعَ! فالعاصي لا يكفيه عقابُ ذنبه؛ حتَّىٰ يبوءَ بلعنة من لا ذنبَ له.

قالَ الإمامُ - التَّابعي الجليل - مجاهد بن جبر، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ البهائِمَ تَلعنُ عُصاةَ بني آدمَ؛ إذا اشتدَّت السَّنَةُ وأَمْسَكَ المَطرُ، وتقول: هذا بشُؤمِ مَعْصِيَةِ ابن آدم)[١].

٣٧- المعاصي والذُّنوبُ؛ من الأَسباب المهمَّة في ظهور الفساد في:

البرِّ، والبحر، والجوِّ؛ من الخسفِ، والمسخ، والزلازل، والبراكين، وفساد البلاد والعباد، وسببٌ للبلايا والكُروبِ، وضيق الأَرزاقِ، ومحق البركاتِ، لأَنَّ أُصول المعاصي والذُّنوب الجالبة؛ للفقر، ونزول الأَوبئة، وامتناع المطر، وظهور الفاحشة والمجاهرة بها، ومنع الزكاة، وبخس المكاييل والموازين ،والحكم بغير ما أنزل الله، وغير ذلك، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢].

والبركةُ شيءٌ زائدٌ عن العطاءِ؛ فإنَّ بني البشرِ اليوم! قد فتح عليهم من العطاء ما لم يفتح عليهم من قبل! ولكن كثيرًا منهم يشكون القلَّةِ والضِّيق والنقص والحاجة؛ تطور الطِّب والدَّواء، ولكن ازدادت الأَمراضُ والأَدواء

---

(١) « حلية الأَولياء » أبو نعيم الأَصفهاني: ج٣، ص٢٨٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

واجتاحت الأَوبئة الأَرض والأَجواء؛ تزايدت القوة! وكثرت لأَنظمة والقوانين والمنظمات والهيئات! ولازال العالم يشكي تزايد الحروب وسفك الدماء! وكثرة النزاعات والخصومات.

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ - رحمهُ اللهُ - في «زاد المعاد»:

(ومَن له معرفةٌ بأَحوالِ العالمِ ومبدئه؛ يعرف أَنَّ جميعَ الفسادِ في جوهِ ونباتِهِ وحيوانِهِ، وأَحوالِ أَهلِهِ؛ حادث بعد خلقه! بأَسبابٍ اقتضت حدوثه، ولم تزل أَعمال بني آدم ومخالفتهم للرُّسلِ تحدث لهم من الفسادِ العامِّ والخاصِ ما يجلب عليهم من الآلام والأَمراض والأَسقام، والطواعين والقحوط، والجدوب، وسلب بركات الأَرض وثمارها،ونباتها، وسلب منافعها، أَو نقصانها أَمورًا متتابعة يتلو بعضها بعضًا؛ فإنْ لم يتسع علمك لهذا! فاكتف بقوله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ونزِّل هذه الآية علىٰ أَحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأَنت ترىٰ كيف تحدث الآفات والعلل كلَّ وقتٍ في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أُخر متلازمة، بعضها آخذ برقاب بعض، وكلَّما أَحدث النَّاسُ ظلمًا وفجورًا؛ أَحدث لهم ربُّهم - تبارك وتعالىٰ - من الآفات والعلل في أَغذيتهم وفواكههم، وأَهويتهم ومياههم، وأَبدانهم وخلقهم، وصورهم وأَشكالهم وأَخلاقهم من النقص والآفات، ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم.

ولقد كانت الحبوب من الحنطة وغيرها أَكثر مما هي اليوم، كما كانت

البركة فيها أعظم! وقد روى الإمامُ أحمد بإسناده؛ أنَّهُ وجدَ في خزائنِ بعض بني أُمية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمر! مكتوب عليها هذا كان ينبت أيام العدل. وهذه القصة ذكرها في «مسنده» على أثر حديث رواه.

وأكثر هذه الأمراض والآفات العامَّة؛ بقيةُ عذابٍ عُذِّبت به الأمم السَّالفة، ثمَّ بقيت منها بقية مرصدة لمن بقيت عليه بقية من أعمالهم، حكمًا قسطًا، وقضاء عدلاً، وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلى هذا بقولِهِ في الطَّاعون: «إِنَّهُ بَقِيَّةُ رِجْزٍ، أَوْ عَذَابٍ أُرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ» [مسلم].

وكذلك سلطَ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - الرِّيحَ علىٰ قومٍ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ، ثمَّ أبقىٰ في العالمِ منها بقية في تلك الأيام، وفي نظيرها عظة وعبرة.

وقد جعلَ اللهُ - سبحانه - أعمالَ البرِّ والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بُدَّ منه؛ فجعل منع الإحسان والزَّكاةِ والصَّدقةِ سببًا لمنع الغيثِ من السَّماءِ، والقحط والجدب، وجعل ظلم المساكين، والبخس في المكاييل والموازين، وتعدي القوي على الضعيف؛ سببًا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرَّعايا ظهرت في صور ولاتهم! فإنَّ اللهَ - سبحانه - بحكمته وعدله يظهر للنَّاسِ أعمالهم في قوالبِ وصور تناسبها؛ فتارة بقحط وجدب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامَّة، وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السَّماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشَّياطين عليهم تؤزهم إلى أسباب العذاب أزًّا؛ لتحق عليهم الكلمة، وليصير كلٌّ منهم إلى ما خلق له، والعاقل يسيِّرُ بصيرته بين أقطار العالم؛ فيشاهده وينظر مواقع عدل الله

تعالىٰ وحكمته، وحينئذ يتبين له أَنَّ الرُّسُلَ وأَتباعهم خاصة علىٰ سبيل النَّجاة، وسائر الخلق علىٰ سبيل الهلاك سائرون، وإلىٰ دار البوار صائرون، واللهُ بالغٌ أَمره، لا معقب لحكمه، ولا راد لأَمره، وباللهِ التَّوفيق)[١].

٣٨- المعاصي والذُّنوبُ كانت سببًا لإهلاك الأُمم السَّابقة: لا شك أَنَّ جميع الأَضرار في الدُّنيا والآخرة تحصُلُ بسببِ المعاصي والذُّنوب.

● فما الذي! أَخرج الأَبوين من الجنَّة، دار اللَّذَّة، والنَّعيم الدَّئم، والبهجة، والسُّرُور، إلىٰ دار الآلام، والأَحزان، والمصائب؟

● والذي! أَخرج إبليسَ من مَلَكوت السَّماء، وطرَدَه، ولَعَنَه، ومسخَ ظاهره وباطنَه؛ فجعل صورتَه أَقبح صورة وأَشنَعَها، وباطنَه أَقبحَ من صورته وأَشنعَ، وبُدِّل بالقرب بُعدًا، وبالرحمة لعنةً، وبالجمال قبُحًا، وبالجنَّة نارًا تَلَظَّىٰ، وبالإيمان كُفرًا، وبموالاة الولي الحميد أَعظمَ عداوةٍ ومُشاقَّةً، وبزَجَلِ التَّسبيح والتَّقديسِ والتَّهليل زَجَلَ الكفر والشِّركِ والكَذِبِ والزُّورِ والفُحْشِ وبلباس الإيمانِ لباسَ الكُفرِ والفُسوق والعصيان؟ فهان علىٰ اللهِ تعالىٰ غايةَ الهوانِ، وسقطَ من عينه غايةَ السُّقوطِ، وحلَّ عليه غَضَبُ الرَّبِّ تعالىٰ؛ فأَهواه، ومَقَتَهُ أَكبرَ المقت فأَرداه؛ قوَّدًا لكلِّ فاسقٍ ومجرمٍ! رضيَ لنفسه بالقيادةِ بعد ذلكَ العبادةِ والسِّيادةِ؟!

● وما الذي! أَغرق أَهلَ الأَرض كلَّهم في عهد نبيِّ اللهِ نوحٍ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - حتَّىٰ علا الماءُ فوق رؤُوس الجبال؟

● وما الذي! سلَّط الرِّيح علىٰ قوم عادٍ؛ حتَّىٰ أَلقتهم موتىٰ علىٰ وجه

---

(١) «زاد المعاد في خير هدي العباد» ج٤، ص٣٦٢.

الأَرض؛ كأنَّهم أَعجازُ نخلٍ خاويةٍ، ودمَّرت ما مَّرت عليه من ديارهم وحُروثهم وزُروعهم ودوابِّهم؛ حتَّىٰ صاروا عبرةً للأُمم إلىٰ يوم القيامة؟

● وما الذي! أَرسلَ علىٰ قومِ ثمودَ الصَّيحةَ؛ حتَّىٰ قطَّعتْ قُلوبَهم في أَجوافهم، وماتو عن آخرهم؟

● وما الذي! رفع قرىٰ قوم لوط؛ حتَّىٰ سمعتِ الملائكة نباحَ كلابهم؛ ثمَّ قَلَبَها عليهم فجعل عاليها سافلَها، فأَهلكَهُم جميعًا؛ ثمَّ أَتْبَعَهُمْ حجارةً من السَّماء أَمطرَها عليهم؛ فجَمَعَ عليهم من العقوبةِ ما لم يَجْمَعْه علىٰ أُمَّةٍ غيرهم، ولإخوانهم أَمثالها، وماهي من الظالمين ببعيد؟

● وما الذي! أَرسل علىٰ قوم شُعَيْبٍ سحابَ العذاب كالظُّللِ؛ فلما صار فوق رؤوسهم؛ أَمطر عليهم نارًا تَلَظَّىٰ؟

● وما الذي! أَغرقَ فرعونَ! وقومَه في البحر؟ وأَذهَبَ مُلكه وجبروته، ورُبوبيَّته التي ادَّعاها زورًا وبهتانًا؟

● وما الذي! خسفَ بقارون الذي كان يملك مفاتيح خزائن الأَرضِ، وخسف بداره، وماله، وأَهله؟

● وما الذي! أَهلك القُرون من بعد نوحٍ؛ بأَنواع العقوباتِ والعذاب، ودمَّرها تدميرًا؟

● وما الذي! أَهلكَ قومَ صاحبِ يَس بالصَّيحة؛ حتَّىٰ خَمَدوا عن آخرهِم هالكين؟

● وما الذي! بعث علىٰ بني إسرائيل قومًا أُولي بأْسٍ شديدٍ؛ فجاسوا خلال الدِّيار، وقتلوا الرِّجال، وسَبَوُا الذُّرِّيَّةَ والنِّساءَ، وأَحرقوا الدِّيار،

ونهبوا الأَموالَ؛ ثمَّ بَعَثَهُم عليهم مرةً ثانيةً؛ فأَهلكوا ما قدروا عليه، وتبَّروا ما عَلَوْا تتبيرًا؟

● وما الذي! سلَّط علىٰ بني إسرائيل أَنواعَ العقوبات والعذابِ؛ مرةً بالقتل والسَّبْي وخرابِ البلاد، ومرةً بجَوْر الملوك، ومرةً بمسخِهم قردةً وخنازيرَ، وآخر ذلك قسم الرَّبُّ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

لا شكَّ أَنَّ هذه العقوباتِ كلَّها! أَصابت هؤلاء القومَ جميعًا، وما أَهلَكَهم إلاَّ ذنوبهم، وإصرارُهم علىٰ ارتكاب المعاصي.

٣٩ـ المعاصي والذُّنوبُ؛ مواريثُ الأُمم الهالكة:

واعلم: أَنَّ كلَّ معصيةٍ من المعاصي؛ هي ميراثٌ عن أُمَّةٍ من الأُمم التي أَهلكها الله تعالىٰ بذنوبهم؛

* فاللِّواطُ: ميراثٌ عن قومِ لوطٍ!

* وأَخذُ الحقِّ بالزَّائدِ ودفعهُ بالنَّاقص: ميراثٌ عن قومٍ شعيبٍ!

* والعلوُّ في الأَرضِ بالفسادِ: ميراثٌ عن قوم فرعونَ!

* والتكبُّر والتجبُّر: ميراثٌ عن قوم هودٍ!

فالمعاصي ثيابُ بعضِ هذهِ الأُمم، وهمْ أَعداءُ اللهِ ـ جلَّ وعلا ـ والعاصي لا بسٌ ثيابهم!

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٧.

٤٠- المعاصي والذّنوبُ، والإعراضُ عن الدّينِ! من الأَسبابِ الرئيسَة في حلول الهزائم للأُمم، وذهابِ ملكهم، قالَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

(٢) سورة محمد ﷺ، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.

من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في المعاصي والذنوب

١ - قالَ أَميرُ المؤْمنينَ عُمر بنُ الخطابِ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(لا تَصْحَبِ الفجَّار لتعلَم من فجورهم، واعتزلْ عَدُوَّك، واحذر صديقَك إلاَّ الأمين، ولا أَمين إلاَّ مَن خَشِيَ الله، وتخَشَّع عند القبور، وذُلَّ عند الطَّاعة، واستَعْصِمْ عند المعصية، وَاسْتَشِرِ الذين يخشونَ الله)[١].

وقالَ: (يا أَهل مكَّةَ! اتَّقوا اللهَ في حَرَمِكم هذا: أَتدرون من كان ساكنَ حرمكم هذا من قبلكم؟ كان فيه بنو فلان فأَحَلُّوا حرمته فهَلَكُوا، وبنو فلان فأَحلُّوا حرمته فهلكوا؛ حتىٰ عَدَّ ما شاء الله. ثمَّ قال: والله! لأَن أعملَ عَشْرَ خطايا بغيره؛ أَحبّ إِلَي من أَنْ أَعمل واحدةً بمكة)[٢].

وقالَ - رضيَ اللهُ عنهُ - لفضيل بن زيد الرقاشي:

(لا يُلهيك النَّاسُ عن ذات نفسك؛ فإنَّ الأَمر يخلص إِليك دونهم، ولا تقطَع النَّهار بكيتَ وكيت؛ فإنَّه محفوظٌ عليك ما قلت، ولم ترَ شيئًا أَحسن طلبًا، ولا أَسرع إدراكًا من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديم)[٣].

---

(١) « الدُّر المنثور » للسيوطي؛ ج٧، ص٢٢.

(٢) « شعبُ الإيمان » للبيهقي؛ ج٧، ص٥٦٧.

(٣) « كتابُ الزُّهد » للإمام وكيع بن الجراح؛ ج٢، ص٥٣٧.

٢- قالت أُمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ أبي بكر الصدِّيق، رضيَ اللهُ عنهُما:

(أَقِلُّوا الذُّنوب! فإنَّكم لن تَلْقَوا اللهَ بشيءٍ أفضلَ من قِلَّة الذُّنوب)[١].

وكتبت عائشة - رضيَ اللهُ عنهُا - إلىٰ مُعاوية، رضيَ اللهُ عنهُ: (أمَّا بَعْدُ: فإنَّ العبدَ إذا عمل بمعصيةِ اللهِ؛ عاد حَامِدُه من النَّاس ذامًّا)[٢].

٣- قالَ أبو الدَّرداءُ - رضيَ اللهُ عنهُ - لسالم بنِ أبي الجعدِ:

(لِيَحْذَر امرؤٌ أن تَلْعَنَهُ قلوبُ المؤْمنين من حيثُ لا يشعُر. ثمَّ قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا. قال: العبد يَخْلو بمعاصي الله - عزَّ وجلَّ - فيُلْقي اللهُ بُغضَه في قلوب المؤْمنين من حيثِ لا يشعُرُ)[٣].

وكتب أبو الدَّرداء - رضي الله عنه - إلىٰ سلمة بن مخلد: (أمَّا بعد: فإنَّ العبد إذا عملَ بطاعة الله؛ أحبَّه الله، وإذا أحبَّه الله؛ حبَّبه إلىٰ خلقه، وإذا عمل بمعصية الله؛ أبغضه الله، فإذا أبغضه؛ بغَّضه إلىٰ خلقه)[٤].

٤- سَأَلَ رجلٌ ابن عبَّاس - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: أرأيتَ رجلاً كثير الذُّنوب، كثير العمل، أو رجلٌ قليلُ الذُّنوب، قليلُ العمل؟ قالَ:

(مَا أَعْدِلُ بالسَّلامَةِ شَيْئًا)[٥].

---

(١) «كتاب الزهد» للإمام وكيع بن الجراح؛ ج٢، ص٥٣٥.
(٢) «كتاب الزهد» للإمام أحمد بن حنبل؛ ج٢، ص١٤٦.
(٣) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص٢١٥.
(٤) «كتاب الزهد» للإمام أحمد بن حنبل؛ ج٢، ص٥٦.
(٥) «كتاب الزهد» للإمام وكيع بن الجراح؛ ج٢، ص٥٣٥.

٥- قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ أبو أيوب الأنصاريُّ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(**إنَّ الرَّجُلَ ليعملُ الحسنةَ؛ فيتَّكِلُ عليها، ويعمل المُحقَّرات؛ حتَّىٰ يأْتيَ اللهَ وقد حُظر بِهِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليعملُ السَّيِّئةَ؛ فيفرق منها؛ حتَّىٰ يأْتي اللهَ آمنا**)[١].

٦- قالَ التَّابعيُّ الجليلِ؛ عروة بن عامر المكِّيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**تُعرض عليه ذنوبه يوم القيامة؛ فيَمُرُّ بالذَّنب من ذنوبه يقول: أمَّا أنِّي كنت منك مشفقًا؛ فيُغفر له**)[٢].

٧- قالَ الإمامُ التَّابعيّ؛ الحسن البصريّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**إنَّ المؤمن ليذنب الذَّنبَ؛ فما يزال كئيبًا؛ حتَّىٰ يدخل الجنَّة**)[٣].

٨- قالَ التَّابعيُّ الزَّاهد؛ طَلْق بن حَبيب العَنَزِيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**التَّقوىٰ عملٌ بطَاعةِ اللهِ، رجاءُ رحمةِ اللهِ، علىٰ نورٍ مِنَ اللهِ، والتَّقوىٰ تركُ معصيةِ اللهِ، مخافةَ عقابِ اللهِ، علىٰ نورٍ مِنَ اللهِ**)[٤].

٩- قالَ الإمامُ الزَّهدُ عبدُ الحرمينِ؛ الفضيلُ بن عياض، رحمهُ اللهُ:

(**بقدرِ ما يَصْغُرُ الذَّنْبُ عندكَ يعظم عندَ اللهِ، وبقدر ما يعظم عندك يَصْغُرُ عندَ اللهِ**)[٥].

---

(١) «كتاب الزهد» للإمام عبد الله بن مبارك؛ ص٥٢ - ٥٣.

(٢) «كتاب الزهد» للإمام عبد الله بن مبارك؛ ص٥٢.

(٣) «كتاب الزهد» للإمام أحمد بن حنبل؛ ج٢، ص٢٣٦.

(٤) «كتاب المصنف» ابن أبي شيبة؛ (كتاب الإيمان) ج١١، ص٢٣ برقم: (١٠٤٠٥).

(٥) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج٨، ص٤٧٢.

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (إذا لمْ تَقْدر علىٰ قيامِ اللَّيلِ وصيامِ النَّهارِ؛ فاعلم! أَنَّكَ محرومٌ كبلتكَ خطيئتُكَ)[١].

١٠- قالَ الإمامُ المجاهدُ؛ عبد الله بن المبارك، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(قيلَ لوهيبٍ: يجدُ طعمَ العبادَةِ مَنْ يَعْصي؟ قالَ: ولا مَنْ يَهُمُّ بالمعصيةِ)[٢].

١١- قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم الجوزيَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(من أَعجبِ الأَشياءِ: أَن تعرفَه ثمَّ لا تُحبَّهُ، وأَن تسمعَ داعِيَهُ ثمَّ تتأخَّرَ عن الإجابة، وأَن تعرِفَ قَدْرَ الربح في معاملتِهِ ثمَّ تعامِلَ غيرَهُ، وأَن تعرِفَ قَدْرَ غضَبِهِ ثمَّ تتعرَّضَ له، وأَن تذوقَ أَلمَ الوَحْشَةِ في معصيتِهِ ثمَّ لا تَطْلُبَ الأُنسَ بطاعتِهِ، وأَن تذوقَ عَصْرةَ القلبِ عند الخَوْض في غيرِ حديثِه والحديث عنه؛ ثمَّ لا تشتاقَ إلىٰ انشراح الصَّدْرِ بِذِكْرِهِ ومناجاتِهِ، وأَن تذوقَ العذابَ عند تعلُّقِ القلبِ بغيرِهِ، ولا تهربَ منه إلىٰ نعيم الإقبالِ عليه والإنابةِ إليه!

وأَعجبُ من هذا: علمُكَ أَنَّكَ لا بُدَّ لك منهُ، وأَنَّكَ أَحوجُ شيءٍ إليهِ، وأَنت عنه مُعْرِضٌ، وفيما يبعِدُك عنه راغبٌ!)[٣].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج٧، ص٤٣٤.

(٢) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج٨، ص١٩٩.

(٣) «الفوائد» لابن القيم ص١١٩ . دار ابن خزيمة.

● **مُكفِّراتُ الذُّنوب عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ:**

* اتَّفقَ أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّهُ لا يَسْلم أَحَدٌ من البشرِ ممن أَسلم وجههُ للهِ تعالىٰ من جنسِ الذَّنبِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾[٢][*].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: « كُلُّ بَنِي آدمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »[٣].

وإذا أَرادَ العبدُ المؤْمنُ؛ الكمال والسَّلامةِ من الذُّنوبِ، وجعل هذا الأَمرَ غايته! فهو يطلب المستحيل؛ لأنَّه من السَّعي لبلوغ ما لم يُطلب من العبد بلوغه، وينبغي أَن لا يشغلَ نفسه بذلكَ، وإلاَّ وقعَ في الفتورِ واليأْسِ! إذا ظنَّ أَنَّ هذا غايةُ التَّديُّن، وهدف الالتزام بالدِّين! ولكنَّ عليه أَنْ يجعله غايته الأَسمىٰ، والمطلوب الشَّرعيُّ من العبد الصَّالح الصَّادقِ؛ هو تحقيق أَقرب النَّتائج إليه، بشرطِ أَنَّ لا يكون ذلك علىٰ حساب الاعتماد التَّقصير وتأْصيلَهُ في النَّفسِ، ومن ثمَّ فقدان الثِّقةِ به.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦١.   (٢) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٣) رواه ابن ماجة في (كتاب الزُّهد) باب « ذكر التوبة » وصححه الألباني.

(*) قال العلاَّمة ابن حزم، رحمه الله: (إذا بلغ المسلم؛ فقد صار في نصاب من يكتب له الخير، ويكتب عليه الشر، ولا يمكن أَن يكون أَحد سلم من ذنب – فذكر الآيتين – ثمَّ قال: فصحَّ: أنَّه لا أَحد إلاَّ وقد ظلم نفسه واكتسب إثمًا) « المحلىٰ »: ج٨، ص ٤٧٥.

وهذا هو معنىٰ قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا وَلاَ، أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَال: «وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»(١).

فإنَّ في هذا الحديثِ الجليل معنًى لطيفاً؛ يقطعُ الطَّمعَ علىٰ المؤْمنِ أن يبلغَ حقيقة التَّديُّن والقيام بحقوقِ اللهِ تعالىٰ؛ بل المطلوبُ من العبدِ أن يسدِّدَ ويقارب؛ فكأنَّ الإصابة غير ممكنة، ولكن كلَّما كانَ سهمُ العبدِ أقربَ إلىٰ الإصابةِ؛ فهو أقربُ للسَّلامَةِ.

لأنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ الإنسانَ في هذهِ الحياةِ، وجعلَ لَهُ أجلاً يكتسب فيه الأعمالُ الصَّالحاتِ؛ فمَنْ قدمَ علىٰ اللهِ تعالىٰ بميزانِ حسناتٍ راجحٍ؛ فهو النَّاجينَ بإذن الله تعالىٰ؛ بغضِّ النَّظرِ عمَّا وقع فيه من السَّيِّئاتِ! إذا مات علىٰ التَّوحيدِ، وعلىٰ ملَّةِ إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وهذا الأمرُ جليٌّ للنَّاظرِ إلىٰ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ؛ أنَّ مرادَ اللهِ تعالىٰ من العبدِ ليسَ مجرَّد السَّلامَةِ من المخالفةِ؛ بل المراد بقاء العلاقة بين العبدِ وربِّهِ جلَّ في عُلاه، أي: أن يطيعه العبد فيُؤْجر، ويذنب فيستغفر، وينعم عليه فيشكر، ويقتِّر عليه فيدعوه ويطلب منه، ويضيِّق عليه أكثر فيلجأُ ويضطر، وهكذا، وقد ورد في بعض الآثار: «أنَّ العبدَ الصَّالح يغفلُ أو ينسىٰ فيضيِّق اللهُ عليه ببلاء؛ حتَّىٰ يسمع صوته بالدُّعاءِ والالتجاءِ».

ووردَ أيضًا: «أنَّ العبدَ المؤْمن يكثر من الذِّكرِ، ولا يستغفر؛ فيقدِّر اللهُ عليه الذَّنبَ؛ ليسمعَ صوته في الاستغفارِ».

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب: «القصد والمداومة علىٰ العمل».

* واتَّفقَ أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّ اجتناب الكبائر مع فعل الفرائض؛ يُكَفِّر اللهُ تعالىٰ به الصَّغائر، وكذلك الاستكثارُ من الحسناتِ والطَّاعات، والأَعمالِ الصَّالحةِ مطلقًا؛ تُكفِّرُ كثيرًا من السَّيِّئاتِ والذُّنوب.

وأَنَّ جميعَ الأَعمال الصَّالحة من الحسناتِ والطَّاعاتِ والقُرُباتِ؛ تكونُ بالقلب، وباللِّسان، وبالجوارح، قالَ اللهُ تباركَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[٣].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٤].

وقالَ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ؛ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ؛ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»[٥].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٧٥ ــ ٧٦.

(٤) رواه الترمذي في (كتاب البر والصلة) باب: «ما جاء في معاشرة النَّاس» وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم في (كتاب الطهارة) باب: «خروج الخطايا مع ماء الوضوء».

* واتَّفقوا: علىٰ أنَّ التَّوبةَ الصَّادقةَ النَّصُوحَ الخالصة من المعاصي والذُّنوب - أيًّا كان الذَّنب؛ كفرًا أم كبيرةً أم صغيرةً - مقبولةٌ عندَ اللهِ تبارك وتعالىٰ؛ إذا اجتمعت فيها شُروطُها، وهي:

الإقلاعُ عن الذَّنب، والندمُ علىٰ ذلك، والعزمُ علىٰ عدم العودة إليها في المستقبل، وردُّ المظالم إلىٰ أهلها إن وُجدَت، والاعتصامُ بالصِّراطِ المستقيم، وأن يكون ذلك طلبًا لثواب الله ورحمته، وهربًا من عذابه وعقوبته، وأن تكون قبل الموت.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[1].

والتَّوبةُ: هي رجوع العبد من معصية اللهِ تعالىٰ إلىٰ طاعته، والقيامُ بأمره، والاهتداءُ بهديه، وطلبُ مغفرته، ورضوانه سبحانه.

أي: هي الندم الذي يورث عزمًا وقصدًا، والندم هو الذي توجع القلب عنده شعوره بفراق المحبوب، وعلامته طول الحزن والبكاء.

والتَّوبةُ: يجب أن تكون خصلةً لازمةً دائمةً لكلِّ مسلمٍ صادقٍ علىٰ قدر استطاعته، ولا يلزم أن تكون من ذنبٍ معيَّن، وقد صدقَ مَنْ سَمَّها من العلماءِ بـ «وضيفة العمر»! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2].

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

* واتَّفقوا: علىٰ أَنَّ الاستغفارَ والإنابةَ إِلىٰ الله تعالىٰ بصدق؛ يُكَفِّرُ الذُّنوبَ، ويمنع من وقوع العذاب، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[٤].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عَبدًا أَصَابَ ذَنْبًا! فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لِعَبْدِي - ثَلاثًا - فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥. (٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠. (٤) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٥) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب «قوله تعالىٰ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ﴾».

والاستغفارُ: هو طلبُ المغفرة من الله تعالىٰ، ويكون بالقلب واللِّسان والجوارح، ويجبُ أن يكون الاستغفارُ خصلةً لازمةً دائمةً؛ لكلِّ مسلم علىٰ قدر استطاعته، ولا يلزمُ أن يكون من ذنبٍ معيَّن، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْلَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ؛ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(٢).

* وصيغ الاستغفار: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ»، «رَبِّ اغْفِرْ لِي»، «غُفْرَانَكَ».

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي؛ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ».

قَالَ ﷺ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا؛ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا؛ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٣).

---

(١) سورة هود، الآية: ٣.

(٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب «سقوط الذنوب بالاستغفار وتوبة».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب «أَفْضَلِ الاِسْتِغْفَارِ».

● الْمُنَجياتُ مِنَ الوقُوعِ في المعاصي والذُّنوب :

إنَّ من رحمةِ اللهِ - تبارَكَ وتعالىٰ - ولطفه ومنِّه لعبادِهِ؛ أَنْ بَيَّنَ لهم طُرُقَ النَّجاةِ من العذابِ قبل النُّزول بهم في حياةِ الدُّنيا قبل الآخرة.

وإنَّ هذه الطُرُق هي مُنجياتُ لعباده المذنبينَ الذين استحقوا عقوبةَ اللهِ تعالىٰ بسبب ارتكابهم المعاصي والذُّوبِ.

أي أَنَّ هذِهِ الْمُنجياتُ هي الوقايةُ والعلاج من الوقوع في المعاصي والذُّنوب؛ قبل نزول العُقوبات الإلهية عليهم، وتُنجيهم - أَيضًا - من المهالك والدَّمار، والجرائِمِ، والمصائِبِ إذا حلَّت بهم.

وبإختصار فهي طُرُق السَّعادَةِ في الدَّارين، ومن هذه المنجيات :

١- التَّوبةُ النَّصُوحِ والاستغفار الدَّئم:

التَّوبَةُ الصَّادقَةُ، والاستغفارُ المستمرُ من جميعِ المعاصي والذُّنوبِ والخطايا والأَثام - كبيرها وصغيرها - وعدم الغفلةِ منهما، وجعلهما وضيفةً للعمرِ؛ هما من أَكدِ الطُرق المنجية من العذابِ، قالَ اللّهُ تعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾(١).

والتَّوبةُ : هيَ الرُّجوعُ بصدقٍ عن المعصيَةِ إلىٰ طاعةِ اللّه تعالىٰ.

والغَفلَةُ : هيَ الانشغالُ بمعصيَةِ اللهِ تعالىٰ عن طاعتِهِ سبحانه.

والمسلمُ الصَّادِقُ العاقلُ! هو الذي يُقَوِّمُ نفسه، ويُخالفُ هواهُ، ويتَّبعُ أَمرَ رَبِّهِ، ويأْخذ بزمامِ نفسه إلىٰ ما فيه مرضاته؛ جلَّ في عُلاه.

---

(١) سورة التحريم، الآية : ٨.

وإنْ جنحتْ نفسه يومًا إلىٰ ارتكابِ المعاصي والانغماس في الشَّهواتِ المحرمَةِ؛ يعلم أنَّ ربَّهُ غفورٌ رحيمٌ، وأنَّهُ مهما أَسرفَ في الذُّنوبِ! ثمَّ تاب منها صادقًا؛ فإنَّ اللّهَ تعالىٰ يغفرها جميعًا، قالَ اللّهُ تعالىٰ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ؛ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»(٢).

والقُنوط من رحمةِ اللّهِ تعالىٰ؛ هو أن يجزم العبدُ في قرار نفسهِ؛ بأنَّ اللّه تعالىٰ؛ لا يرحمه ولا يغفر له ولا يتجاوز عن سيئاته البتَّة؛ بل يعذبه! وهذا القنوط بذاته؛ ذنبٌ وكبيرةٌ من الكبائر؛ لأنَّ اللّه تعالىٰ يقولُ:

﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٣).

* والمسلم الصَّادقِ! يجعلُ نفسه وقَّافًا عند حدود الشَّرعِ؛ ملتزمًا بالأوامرِ والنَّواهيه، ولا يدع نفسه يحدثه بالمعصية، وإن كانت معصية صغيرة؛ وإنْ وقعَ فيها! فهو يُبادرُ بالتَّوبةِ منه، والندم والاستغفار علىٰ ما صدرَ منه؛ ثمَّ ينظرُ إلىٰ مقاديرِ ذنوبِهِ؛ فيطلبَ لكلِّ معصيةٍ منه حسنةً تناسبها؛ فيأتي من الحسناتِ بمقدار تلك السَّيئاتِ؛ فمثلاً: يُكَفِّرُ سماع الملاهي؛ بسماع القُرآن ومجالس الذِّكر، ويُكَفِّرُ مسح المصحف بغير طهارة بإكرامه وكثرة القراءة فيه، ويكفِّر شرب الخمر بالتصدق بالشَّراب الحلال،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب الزُّهد) باب «ذكر التوبة» وحسنه الألباني.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

وعلىٰ هذا فيسلكُ سبيلَ المضادة؛ فإنَّ الأَمراضَ إنَّما تُعالجُ بضدها؛ فهذا الحكم هو ما بين العبد، وبينَ اللهِ تباركَ وتعالىٰ.

وأَمَّا مُظالم العباد؛ ففيها - أيضًا - معصية اللهِ تعالىٰ؛ لأَنَّ اللهَ نهىٰ عن ظُلم العبادِ؛ فالظَّالمُ لهم قد تعدىٰ حُدود الله تعالىٰ وارتكب ما نهىٰ عنه؛ فيتدارك المسلمُ ذلكَ بالندم والعزم علىٰ ترك مثل ذلك في المستقبل، والإتيان بالحسنات المضَّادة لتلك المظالم؛ فيقابل إيذاء النَّاس بالإحسان إليهم، ويكفِّر غصب الأَموال بالتصدق بماله الحلال، ويكفِّر تناول أَعراضهم بالثَّناء عليهم؛ هذا فيما يتعلق بحقِّ اللهِ تعالىٰ؛ فإذا فعل ذلك لم يكفه! حتَّىٰ يخرج من مظالم العباد، ومظالمهم إمَّا في النُّفوسِ، أَو الأَموال، أَو الأَعراض، أَو إيذاء القلوب.

* وأمَّا الذي استهوته الشَّياطين وزينوا لَهُ سوء عمله فرآه حسنًا؛ فإذا وقعَ في وَحْلِ المعاصي ومستنقع الذُّنوبِ؛ استلذَّ من ذلكَ، وظلَّ قابعًا في ظلامِ الفجورِ والخطايا، نسيًا أَنَّ عليه رقيبٌ عتيقٌ! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾[١].

وقد صدقَ مَن قال:

(إِذَا مَا خَلَوتَ الدَّهْرَ يَوْمًا؛ فَلاَ تَقُلْ: خَلَوتَ! وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ!
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اليَومَ أَسْرَعُ ذَاهِبَ، وَأَنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ؟).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

٢- التَّقوىٰ:

التَّقوىٰ معناها: أَنْ يجعلَ العبدُ بينه وبينَ ما يخاف ويحذر؛ وقايةً.

وتقوىٰ اللهِ تعالىٰ تكون؛ بطاعته وامتثال أَوامره، واجتناب ما نهىٰ عنه سبحانه. أَي: أَن يفعلَ العبدُ ما أَمرَهُ اللهُ تعالىٰ رجاء ثوابه، وأَن تترك معصية الله خوفًا من عقابه، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿وَحَقَّ تُقَاتِهِ﴾ معناها: أَنَّ الإنسانَ لا يترك شيئًا مِّمَّا أَمر اللهُ تعالىٰ به إِلاَّ وفعله، وأَن لا يفعل شيئًا مِّمَّا نهىٰ اللهُ عنه؛ بأَن يتجنبَ كلَّ ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه وزجر، ومَنْ فعلَ ذلكَ؛ فقدْ اتقىٰ اللَّهَ تعالىٰ حقَّ تقاته.

قالَ الصَّحابيُّ الفقيه؛ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أَي: أَن يُطاعَ؛ فلا يُعصىٰ، وأَنْ يُذكرَ؛ فلا يُنسىٰ، وأَنْ يُشكر؛ فلا يُكفر)(٢).

وتقوىٰ الله تعالىٰ في السِّرِّ والعَلن: هي أَن يعمل العبُد بطاعة الله علىٰ نور من الله؛ يرجو ثوابه، ويترك معصيته، ويخاف غضبه وعقابه، ويجعل بينه وبين سَخَطِ الله وقايةً تَقيه من ذلك، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) رواه حاكم في «المستدرك»: ج٢، ص٢٩٤. بإسنادٍ صحيح.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٨.

فتقوىٰ اللهِ تعالىٰ جماعُ الخيراتِ، وحصونُ البركاتِ، وأكثرُ خصال المدح ذكرًا في كتابِ اللهِ تعالىٰ؛ فما من خيرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ، ولا ظاهرٍ ولا باطنٍ؛ إلاَّ والتَّقوىٰ موصلةٌ إليه، ووسيلةٌ له، ودليلٌ عليه. وما من شرٍّ عاجلٍ ولا آجلٍ، ولا ظاهرٍ ولا باطنٍ، إلاَّ والتَّقوىٰ حرزٌ منه حصين، ودرعٌ منه مكين. وهي دعوةُ الأنبياءِ، وشعارُ الأُولياءِ والأَصفياء والصَّالحينَ.

وهيَ وصيةُ اللهِ تعالىٰ للأَولينَ والآخرينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾[1].

واللهُ – تباركَ وتعالىٰ – هو أَهل التَّقوىٰ والمغفرة، هو الأَهلُ وحدهُ أَنْ يُخشىٰ ويعظم ويجل ويكرم؛ فحقٌّ علىٰ المسلمِ الصَّادقِ! أَن تكونَ التَّقوىٰ هي المقصدهُ الأَسنىٰ والبغيةُ العُظمىٰ، وأَن يقفَ عندها، ويتامل فيها، ويتدبر في معانيها؛ لعل الله تعالىٰ أن يجعله من أَهلها.

وسُئِلَ أَميرُ المؤْمنينَ؛ عليُّ بن أَبي طالب – رضيَ اللهُ عنهُ – عن معنىٰ التَّقوىٰ، فقالَ: (**الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرَّحيلِ**). وصدق القائل:

(خلِ الذُّنوبَ؛ صغيرها وكبيرها هذا التُّقَىٰ! واصنع كماش فوق أَرضِ الشَّوكِ يحذر ما يرىٰ؛ لا تحقرنَّ صغيرةً؛ إِنَّ الجبالَ من الحصىٰ).

والتَّقيُّ من عباد اللهِ تعالىٰ الصَّالحينَ يكون: ذو ضمير مرهف، وخشية

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

مستمرة، وحذر دائم، يتوقىٰ أَشواك الطريق، ويحذر سراديب الحياة، وجِل من تجاذب كلاليب الرَّغائب والشَّهوات، ونوازع المطامع والمطامح.

وأَصل التَّقوىٰ أَن يعلمَ العبدُ ما يتقِّ! ثمَّ يتقي ذلكَ، وتبلغ التَّقوىٰ تمامها وكمالها؛ حين يتقي العبدُ رَبَّهُ - جلَّ في عُلاه - من مثقالِ الذَّرةِ، وحتىٰ يترك بعض ما يرىٰ أَنَّهُ حلال؛ خشيةَ أَن يكون حرامًا، ليكون ذلك العملُ حجابًا بينه وبين الحرام، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

* من ثمرات التَّقوىٰ الصَّادقَ:

محبَّةُ الله تعالىٰ، ورحمته في الدُّنيا والآخرة، وسبب لعونه ونصره وتأْييده - سبحانه - وطريق لولايته، وهي الميزان الذي يقرب العبد من رَبِّهِ - جلَّ في عُلاه - أَنَّها أَفضلَ ما يتزود به العبد في طريقه إلىٰ الله تعالىٰ.

وأَنَّ العاقبةَ للمتقين في الدُّنيا والآخرة، وأَهل التَّقوىٰ هم ينتفعون بالموعظة ويؤثر فيهم الذِّكر، ويتفكرون في الآيات ويهتدون بذلك.

وهي تبعث في القلبِ النُّورَ، وتقوي بصيرته؛ فيميز بين ما ينفعه وما يضره، وتعطي العبد قوة لغلبة الشَّيطان، وتفريج الكرب وتيسير الأُمور.

وهي حصن الخائف وأَمانه من كلِّ ما يخاف ويحذر؛ من سوء ومكروه في الدُّنيا والآخرة، والنَّصر علىٰ الأَعداء ورد كيدهم، والنَّجاة من شرهم. وصفوةُ القولِ: التَّقوىٰ هيَ الطريقُ إلىٰ جنَّةِ الخُلدِ.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

٣- الدُّعاءُ:

الدُّعَاءُ: هُو الرَّغبَةُ وَالرَّهبَةُ وَالتَّوجُّهُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، والاسْتِغَاثَةُ والاسْتِعَانَةُ بِهِ - سبحانه - أي: هُوَ سُؤالُ العَبدِ المسلمِ رَبَّهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - علىٰ وَجهِ الابتهالِ إليهِ؛ إمَّا بالسُّؤالِ، أَو بالخضُوعِ والتَّذلُّلِ، والرَّجَاءِ والخوفِ والطَّمَعِ، والتَّقديسِ والتَّحميدِ.

والدُّعَاءِ: هو سِمَةُ العبوديَّةِ، وعُنوانُ التَّذلُّلِ والخضوعِ والاستكانَةِ، وهو إظهارُ الافتقارِ والتَّزلفِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ودليلُ الصِّدْقِ في اللُّجُوءِ والرَّجَاءِ والرَّغبَةِ والطَّمَعِ والخوفِ والرَّهبَةِ، وهو الانْطِرَاحُ بين يَدَي اللهِ تعالىٰ، والاعتِصَامُ بِهِ سبحانَهُ، والتَّبَرُّؤُ مِنَ الحَولِ والقُوَّةِ، واستِشعَارُ الذِّلَّةِ البشَرِيَّةِ، وفِيهِ الثَّنَاءُ علىٰ اللهِ تعالىٰ، وإِضَافَةُ الجودِ والكَرَمِ إليهِ سبحانَهُ؛ فهو لُبُّ الْعِبَادَةِ ومُخُّهَا ورُوحُهَا، وهو مِنْ لَوَازِمِ ومُقْتَضَيَاتِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ؛ فَصَرْفُهُ للهِ تعالىٰ عِبَادَةٌ وتوحِيدٌ، وصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكٌ وتَنْدِيدٌ.

والدُّعَاءُ مِنْ أَجَلِّ العِبَادَاتِ وأَنْفَعِهَا، ولَهُ درجَةٌ سَامِيَةٌ، ومَنْزِلَةٌ رفِيعَةٌ وأَهَمِّيَةٌ كُبْرَىٰ، وقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِهِ آيَاتٌ وَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾[(١)].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[(٢)].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « الْدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » وَقَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٤.

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [١].

وقالَ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ تعالَىٰ مِنَ الدُّعَاءِ» [٢].

وقالَ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ؛ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» [٣].

وقالَ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ؛ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» [٤].

والدُّعاءُ والالتجاءُ إلىٰ اللهِ – تباركَ وتعالىٰ – هو السِّلاحُ الحقيقيُّ للمؤْمنِ الصَّادق، وهو من أقوىٰ الأسبابِ في دفعِ المكروهِ، وحصولِ المطلوبِ، ومن أنفعِ الأدويةِ؛ لدفعِ البلاءِ والعذابِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥].

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب «ما جاء في فضل الدعاء» وصحّحه الألباني، والآية: ٦٠ من سورة غافر.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب «ما جاء في فضل الدعاء» وحسنه الألباني.

(٣) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب «من لم يسأل الله» وحسّنه الألباني.

(٤) رواه أبو داود في (كتاب الوتر) باب «الدعاء» وصحّحه الألباني.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥ – ٥٦.

٤- اتِّباعُ رَسُولِ اللهِ محمَّد بن عبد الله ﷺ :

ومن الْمُنجياتِ من الوقوع في المعاصي والذُّنوب؛ قبل نزول العُقوبات الإلهية؛ اتِّباعُ الرَّسُولِ ﷺ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، والاقتداء بسُنَّتِهِ والتأسي بهديه ﷺ في جميع الاعتقادات، والأَقوال، والأَفعال والمنهيات، أَي: العمل بمثل عمله ﷺ وعلىٰ الوجه الذي عمله ﷺ من إيجاب، أَو ندب، أَو إباحة، أَو كراهة، أَو حظر، مع توفر الإرادة والنيَّةِ في كلِّ ذلك.

لأَنَّ اتِّباعَ الرَسُولِ ﷺ أَحد ركائز هذا دين العظيم، ومن مُسلمات الشَّريعة، ومن الأُمور المعلومة من الدِّين بالضَّرورةِ، وهو طريق النَّجاةِ والسَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ، وقد استفاضت النُّصوصُ الشَّرعيَّةُ في بيانِ ذلك والتأْكيدِ عليه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي»[٥].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٥) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب «الترغيب في النكاح».

■ وحالُ المسلمين في الاتِّباعِ أربعة أنوعٍ:

* مَن يمتثل الأَوامر ويجتنب النواهي؛ فهذا أَكملُ أَحوال أَهل الدِّين، وأَفضل صفاتِ المتقين، وهو الذي يستحق جزاء العاملين وثواب المطيعين.

* مَن لا يمتثل الأَوامر ويقع في النواهي؛ فهذا أَخبثُ أَحوال المكلفين، وشر صفاتِ المتعبدين، وهو الذي يستحق عذاب عن عدم طاعة الأَوامر، وعذاب المُقْدِمِ علىٰ ارتكاب النواهي.

* مَن يمتثل الأَوامر ويقع في بعض النواهي، وهو الذي يستحق عذاب المجترئ علىٰ انتهاك الحرمات وتجاوز الحدود؛ لأنَّه تورط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة.

* مَن لا يمتثل الأَوامر ولا يقع في النواهي؛ فهذا يستحقُ عذاب ترك الطَّاعاتِ، والغفلة عن القُرباتِ.

■ والمخالفةُ ضدُّ الاتباع:

وتكون مخافة اتِّباع الرَّسُولِ ﷺ في الاعتقاد والقول والفعل والترك.

* المخالفة في الاعتقاد: هي اعتقادُ بخلاف ما اعتقده النَّبِيُّ ﷺ كأَن يستحل العبد ما عُلم بالضرورة تحريمه من دين الإسلام، أَو يوجب ما علم بالضرورة حلَّه، أَو تحريمه من الدِّين.

* المخالفةُ في القولِ: هي ترك امتثال ما اقتضاه قولُ الرَّسُول ﷺ ودلَّ عليه من وجوبٍ، أَو حظرٍ.

* المخالفةُ في الفعل: هي عدول عن فعله ﷺ مع كونه واجبًا.

* المخالفةُ في الترك: هي فعل ما تركه ﷺ أَو أَمرَ بترك مع كونه محرمًا.

■ **أَفعالُ الرَّسُولِ ﷺ من حيث الاتباع والتأَسي؛ ثلاثة أَقسام هي:**

١- **الأَفعالُ الجبليةُ**: كالقيامِ والقُعودِ والشُّربِ والنَّومِ، ونحو ذلك، وهي نوعان من جهة التأَسي والاتباع:

● نوع جاء النَّصُ الشَّرعيُّ عن الفعل بإيجابه أَو ندبه؛ كالأَكل باليمين، والشُّرب ثلاثًا وقاعدًا، والنَّوم علىٰ الشق الأَيمن؛ فهذا يشرع التأَسي والاقتداء به ﷺ في كلِّ ذلك.

● ونوع لم يأْت نصٌّ دلَّ علىٰ مشروعيته، وهو باق علىٰ الأَصل من حيث الإباحة للجميع؛ كلبس الجبة والعمامة وإطالة الشعر، ونحو ذلك؛ لأَنَّها كانت بمقتضىٰ العُرفِ.

واَختلاف العلماءُ في هذا النوعِ علىٰ قولين من جهةِ الندبِ:

* أَنَّ التأَسي والاقتداء به ﷺ في هذا النوع مندوب، وقد كان ابن عمر - رضي الله عنه - يفعل مثل ذلك وإن كان قد فعله ﷺ اتفاقًا ولم يقصده.

* أَنَّهُ لا يشرع التأَسي والاقتداء به ﷺ في مثل هذه الأَفعال، وهذا قول وفعل جمهور الصَّحابة، رضي الله عنهم أَجمعين.

٢- **الأَفعال التي عُلِمَ أَنَّها من خصائصهِ ﷺ**:

ذكرَ العُلماءُ في باب خصائصه ﷺ أُمورًا من المباحات والواجبات والمحرمات بعضها متفقٌ علىٰ حكمه بالنسبة له ﷺ وبعضها الآخر فيه خلافٌ؛ فمن المباح له: الزيادةُ علىٰ أَربعِ نسوةٍ في النكاح، والنكاح بلا مهرٍ، ونكاح الواهبة نفسها. ومن الواجب عليه: وجوب التَّهجد وقيام اللَّيلِ. ومن المحرم عليه: الأَكل من الصَّدقة، وأَكل ذي الرائحة الخبيثةِ؛ كالثُّومِ والبصل.

فهذه خصائص لا يشاركه فيها أحدٌ، ولا يُقتدىٰ ويتأسى به ﷺ.

ويلحق بهذا: ما خصَّ به الرَّسُولُ ﷺ بعض أصحابه دون بعض؛ كشهادة خزيمة التي جعلها ﷺ تعدل شهادة رجلين. وأضحية أبي بردة الذي ضحىٰ بجذعة من المعز، وقالَ ﷺ لَهُ: «اذْبَحْهَا وَلَنْ تَصْلُحَ لِغَيْرِكَ»[1]. كما يلحق به ما خص به ﷺ أهل بيته - رضي الله عنهم - كالمنع من أكل الصَّدقة.

٣- الأفعالُ التَّعبدية: وهي الأفعال غير الجبلية، وغير الخاصة به ﷺ؛ التي يقصد بها التَّشريع؛ فهذه الأفعالُ مطلوبٌ الاقتداء والتأسي به ﷺ، وهي الأَصل في أفعاله ﷺ قالَ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

وهذه نوع من الأفعالِ الرَّسُولِ ﷺ صفتها الشَّرعيَّة تختلف من حيث الإيجاب، أو الندب؛ بحسب القرائن.

■ قواعدُ مهمةٌ في اتِّباعِ الرَّسُولَ ﷺ:

● إنَّ دينَ الإسلامِ مبنيٌّ علىٰ الوحي والنقل، لا علىٰ العقل والاستنباط! فما جاءنا من الأمر والنهي في القُرآنِ أو السُّنَّةِ؛ وجبَ علىٰ المسلمِ قبوله والمبادرة إلىٰ امتثاله؛ فعلاً، أو تركًا.

● الواجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ؛ البحث عن الحكمِ الشَّرعيِّ، والتثبت فيه قبل إتيانِ العمل، وذلك في جميعِ أُموره؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الأضاحي) باب «قول النَّبيِّ ﷺ لأبي بردة: ضح بالجذع من المعز، ولن تجزي عن أحد بعد».

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ؛ فَهُوَ رَدٌّ»[١] .

● سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ وحيٌ من اللهِ تعالىٰ، وحكمها كحكم القُرآنِ في اتِّباع أوامره ونواهيه لقوله ﷺ : «أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[٢] .

● ما تركه الرَّسُولُ ﷺ من جنسِ العباداتِ ولم يفعله – مع وجود المقتضي لفعله علىٰ عهده ﷺ – ففعله بدعة، وتركه سُنَّة؛ كالاحتفالِ بالمولدِ، وإحياءِ ليلةِ الإسراءِ والمعراج، والهجرةِ، ورأْسِ السَنَةِ، ونحوها.

● فليعلم! كل مسلمٍ صادقٍ أَنَّ كلَّ ما يحتاجُ إليه النَّاس في أُمور دينهم ودنياهم وآخرتهم؛ فقد جاءت الشَّريعةُ الغراءُ ببيانه وإيضاحه، وبكلِّ دقيقه وجليله، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٣] .

وقالَ تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٤] .

● الأَصلُ في العبادات؛ التَّعبد والامتثال لأَوامر الله تعالىٰ ولرَسُولِهِ ﷺ ، دون الالتفاتِ إلىٰ المعاني والحكمة منها، وإن كانت في كثيرها ظاهرة، وقد لا تظهر في بعضها. والبحث عن الحكمة يكون من بابِ التَّفكُرِ والإستئناس بها ولزيادة التَّقوىٰ ومعرفة عظمة الله تعالىٰ، وليس التنطع في استخراجها، أَو ربط القيام بالتنفيذ والعمل بمعرفتها.

● مشقةُ العبد المسلمِ! ليست مقصودة في الشَّريعةِ الغراء، والمرادُ منه

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الأقضية) باب «نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ» .
(٢) رواه أَبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب «فِي لُزُومِ السُّنَّةِ» .
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٦ .   (٤) سورة المائدة، الآية: ٣ .

هو اتِّباعِ أَوامرِ الشَّرعِ واجتناب النواهي بقدر الاستطاعة؛ لأَنَّ الأَصلُ في الشَّريعة هو التيسير ورفع الحرج عن العباد، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٢).

● اتِّباعُ الرَّسُولِ ﷺ لا يتحقق شرعًا؛ إلاَّ إذا كان عمل العبد المسلم موافقًا لأُمورٍ شرعيَّةٍ، منها:

* سببُ العبادة: فإذا تعبد المسلم بعبادة مقرونة بسببٍ غير شرعيٍّ؛ فهي بدعة مردودة علىٰ صاحبها لا تقبل منه؛ مثل إحياء ليلة السَّابع والعشرين من شهر رجبٍ بالتهجد! بدعوة أنَّها ليلة الإسراء والمعراج؛ فالتهجد في الأَصلِ عبادةٌ جليلةٌ عظيمةٌ؛ لكنها عندما قُرِنَ بهذا السَّبب الذي لم يثبت شرعًا؛ أَصبح بدعة ضلالةً!

* جنسُ العبادة: فإذا تعبد المسلم بعبادة لم يُشْرَعْ جنسها شرعًا؛ فهي مردودةٌ وغير مقبولة كالتضحية بفرس؛ لأَنَّ الأَضاحي لا تكون إلاَّ من جنس بهيمة الأَنعام، وهي: الإبلُ، والبقرُ، والغنمُ.

* تحديدُ العبادة: العباداتُ توقيفية شرعًا؛ مقدارًا وكيفيةً وزمانًا ومكانًا؛ فلا يستطيع أَحد - كائنًا مَن كانَ - الزيادةُ عليها في المقدار أَو العدد، أَو في الكيفية، أَو في تغير زمانها أَو مكانها.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «الاقتداء بسُنَن رسول الله ﷺ».

■ منزلةُ اتِّباع الرَّسُولِ ﷺ في الشَّرع:

* الاتباعُ شرطٌ لقبولِ العباداتِ: فكلُّ عبادةٍ يتقربُ بها العبدُ المسلمِ إلىٰ الله تعالىٰ؛ يجب أن تكون موفقةً لما جاء به الرَّسُول ﷺ وإلاَّ فهي مردودةٌ غير مقبولة في الميزان، ولا تزيدُ صاحبها من الله تعالىٰ إلاَّ بُعداً.

* الاتباعُ أصلٌ من أُصول الإسلام: لا يتحققُ إسلام العبد إلاَّ بتحقيق أصلين عظيمين: أحدهما الإخلاصُ في العبودية. والثاني: متابعة الرَّسُول ﷺ أي: أن لا نعبده إلاَّ بما شرع - سبحانه - ولا نعبده بعبادة مبتدعة.

فالإخلاص وإفراد اللهُ تعالىٰ وحده بالعبادة هو حقيقة شهادةُ أن لا إله إلاَّ الله، والاتباع والتأسي بالرَّسُول ﷺ هو حقيقة شهادةُ أنَّ محمَّداً رَسُول الله؛ فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله تعالىٰ إلاَّ بهما، ولا يتحقق إسلام عبد ولا يقبل منه قول ولا عمل ولا اعتقاد؛ إلاَّ إذا حقق هذين الأَصلين وأتىٰ بمقتضاهما، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1].

* الاتباعُ سببٌ لدخولِ الجنَّةِ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَىٰ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»[2].

* الاتباعُ دليلٌ لمحبَّةِ الله عزَّ وجلَّ: قالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «الاقتداء بسُنَن رسول الله ﷺ».

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

* الاتباعُ طريقٌ لتحصيلِ حقيقة محبَّة رَسُولِ اللهِ ﷺ :

قالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَامٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «الآنَ يَا عُمَرُ»(٢).

ولا سبيلَ لتحصيلِ المحبَّة الصَّادقة للنَّبِيِّ ﷺ إلاَّ عن طريق اتِّباعه سُنَّته ﷺ وهديه في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، والحرص في الوصول لكمال فيه.

* الاتباعُ السبيل الوحيد للنَّجاةِ من عذاب الله تعالىٰ:

فاتِّباعُ الرَّسُولِ ﷺ والتأسي به؛ هو سبيل الوحيد فقط للنَّجاةِ من الوعيد الشَّديد المترتب لمخالفته ﷺ في الدُّنيا والآخرة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٤).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «حبُّ الرَّسُول ﷺ من الإيمان».
(٢) رواه البخاري في (كتاب الأيمان والنذور) باب «كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ».
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢. (٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

* الاتباعُ من الصِّفاتِ اللازمةُ للمؤمنين الصَّادقين:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٢).

وقد نفىٰ اللهُ - عزَّ وجلَّ - الإيمانَ! عن الذين أَعرضُوا عن طاعة الرَّسُولِ ﷺ واتِّباع سُنَّتِهِ، ولم يرضُوا بحكمه؛ فقال تعالىٰ:

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣).

* الاتباعُ علامةٌ صادقةٌ من علاماتِ التَّقوىٰ:

فاتِّباع الرَّسُولِ ﷺ والتأسي به وبهديه؛ من أكبرِ علاماتِ ودلائل تقوىٰ القلب وصحة إيمانه؛ لأنَّ الاتباعَ هو من تعظيم شعائر الله تعالىٰ، والتي هي أَوامره وأَعلام دينه الظاهرة، واتِّباعُ الرَّسُولِ ﷺ من أَبرزها وأَعلاها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ ﴾(٤).

---

(١) سورة النور، الآية: ٥١.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٢.

■ الوسائل المعينة علىٰ اتِّباعِ الرَّسُولِ ﷺ:

* الإخلاصُ للهِ تعالىٰ في القولِ والعمل.

* تقوىٰ اللهُ تعالىٰ في السِّر والعلن.

* الخوفُ من اللهِ تعالىٰ؛ خوفًا صادقًا كأنكَ تراهُ، سبحانه.

* اللجوءُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ في السَّراء والضَّراءِ.

* التَّضرعُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإظهار الافتقار له في كلِّ حالٍ.

* التَّجردُ في طلبِ الحقِّ واتِّباعه.

* التَّفقُهُ في الدِّينِ، وتعلمُ الأَحكام الشَّرعيَّة.

* فهمُ النُّصوصُ الشَّرعيَّة، وتدبر معانيها.

* تعلمُ سيرة الرَّسُولِ ﷺ والتفقه فيها.

* تعلمُ سيرة الصَّحابةُ الكرام - رضي اللهُ عنهم - والتفقه فيها.

* اتِّباعُ طريقة أئمة السَّلفِ الصَّالحِ في العلمِ والعمل.

* الصُّحبةُ الصَّالحةُ.

٥- الأَمرُ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر:

● المعروفُ: هو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً. أَي: هو كل ما تعرفه النَّفس من الخيرِ، وتطمئن إليه. ويدخل فيه كل ما أَمرَ به الشَّارع الحكيم.

● والمنكرُ: ضدُّ المعروفِ. أَي: هو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً، وسمِّي منكرًا؛ لأَنَّ أَهل الإيمان ينكرونه، ويستعظمون فعله. ويدخل فيه كل ما نهىٰ عنه الشَّارع الحكيم.

● الأَمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر: هو من أَعظم الواجبات، وأَكبر المهمات، وهو شعيرةٌ من شعائر الإسلام، وقد عدَّهُ بعض العُلماء ركنًا سادسًا من أَركانه، وهو من الصِّفاتِ اللازمة للمؤمنين الصَّادقين، وسببًا لخيريةِ هذهِ الأُمَّة المرحومة، وأَنَّ تركه يؤدي لوقوع اللعن والإبعاد، ونزول الهلاك، وانتفاء الإيمان عمَّن قعد عنه؛ حتىٰ لو كان بعمل القلب، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان».

● مراتبُ الأَمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر:

* الإنكارُ باليد مع القدرة: وهذا خاصٌّ بمَن لَهُ ولاية من مسؤول، أَو محتسب ممن يقدر علىٰ ذلك، وهكذا المرء مع أَهله وأَولاده، يأْمرهم بالصَّلاةِ وسائر الواجبات، وينهاهم عمَّا حرمه الله تعالىٰ ونهىٰ عنه.

* الإنكارُ باللِّسانِ: إن عجز المحتسب عن الإنكار باليد؛ فيعظهم ويذكرهم، ويعاملهم بالأَسلوب الحسن مع الرفق، ويستعمل الأَلفاظ الطَّيبة والكلمات المناسبة؛ حتىٰ لو قوبل بالسوءِ!

* الإنكار بالقلب: وهي آخر المرتب، ولا رخصة لأَحدٍ في تركها البتَّه؛ بل يجب ترك المنكر كليًّا، وبغضه بغضًا تامًّا ومستمرًا.

● وسائله وأَساليبه: يكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

الدعوة بالحكمة: تكون بحسب حال المدعو وفهمه، وقبوله، ومن الحكمة: العلم، والحلم، والرفق، واللين، والصَّبرُ علىٰ ذلك.

والموعظة الحسنة: تكون مقرونة بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والمجادلة بالتي هي أَحسن؛ لأَنها أَدعىٰ للاستجابة عقلاً ونقلاً، وعرفًا.

ووسائل الخير كثيرة لا تحصر؛ فيسلك الدَّاعي فيها أَفضل الطُرق، وأَدعاها للقبول والاستجابة، ومنها:

الخطب في أَيام الجمع والأَعياد والمجامع العامَّة، والعناية بتربية الأَولاد، ونشر العلم الشَّرعيّ، والإحسان إلىٰ النَّاس بالقول والفعل، والكتابة والنَّصيحة المباشرة لصاحب المنكر، ومعاونة الذين يأْمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وشد أَزرهم.

● قصصٌ نبويةٌ في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:

* فعَنْ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ؛ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ! وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ». قِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لاَ وَاللهِ، لاَ آخُذُهُ أَبَدًا، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ[١].

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ؛ فَصَلَّىٰ ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ، ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّىٰ ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ، ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ:

«إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»[٢].

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ

---

(١) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب «طرح خاتم الذهب».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الاستئذان) باب «مَن ردَّ فقال: عليك السلام».

اللهِ ﷺ جَالِسٌ؛ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ تَحجَّرْتَ وَاسِعًا».

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ! فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ؛ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ؛ صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ» أَوْ قَالَ: «ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ»[١].

● فوائدُ وثمراتُ القيام بشعيرةِ الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر:

١- تحقيق وصف الخيرية في هذه الأُمَّةِ المباركة: قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

٢- الفلاح في الدَّارين: قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

٣- صلاحُ الفرد والمجتمع: قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٤].

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب الطهارة) باب «الأرض يصيبها البول» وصحّحه الألباني.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

٤- نيلُ رحمة الله تعالىٰ الموعد للمؤمنين الصَّادقين؛ الذين من صفاتهم اللازمة لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

٥- إقامةُ الدِّين الإسلامي وشريعته الغراء، وحفظ العقيدة وتوحيدها؛ لتكون كلمة الله تعالىٰ هي العليا.

٦- إقامةُ حجة الله تعالىٰ علىٰ خلقه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٢].

٧- النَّجاةُ من عذابِ الدُّنيا والآخرة، ورفع العقوبات العامَّة:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[٣].

٨- تحقيق نصر الله تعالىٰ الموعود للمؤمنين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.
(٤) سورة الحج، الآيتان: ٤٠ - ٤٠.

٩- عدم التَّشبه بالمنافقين: قالَ اللهُ تعالىٰ في وصف المنافقين:

﴿ الْـمُنَافِقُونَ وَالْـمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْـمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١).

١٠- خروجُ المسلم الذي يأمرُ بالمعروف وينهىٰ عن المنكر من عهدة التكليف؛ لأنَّهُ مكلفٌ بتغيير المنكر وإزالته بحسب إستطاعته، وقد حكىٰ اللهُ تعالىٰ عن الذين حذروا المعتدين في السَّبْتِ لما قيل لهم:

﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(٢). كان جوابهم: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾.

١١- تحصيلُ الثَّوابُ من الله تعالىٰ، وأداء حقِّهُ سبحانه:

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»(٣).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

(٣) رواه مسلم في (كتاب صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا) باب «بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلاةِ الضُّحَى، وَأَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْمَلَهَا ثَمَانٍ».

حكم مرتكب الكبيرة

حُكْمُ مُرْتَكَبِ الكَبيرَةِ الَّتي هِيَ دُونَ الشِّرْكِ، أَو الاسْتِحْلالِ:

مرتكبُ الكبيرة: هم أهل الذُّنوب والمعاصي من المسلمينَ؛ الَّذينَ عملوا السَّيئات، وارتكبوا ذنوبًا دونَ الكُفْرِ؛ كالذين يأْكلونَ الرِّبا، أَو يشهدونَ الزُّورَ، أَو يعقونَ الوالدينِ، أَو يقطعونَ الرَّحمَ، أَو يزنون، أَو يشربون الخمر، أَو يسرقون، أَو يغتابون النَّاس، أَو يقعون يالنميمة، أَو يقتلون النَّفسَ بغير الحقِّ، أَو الذين يأْكلونَ أَموالَ اليتامىٰ ظلمًا، إلىٰ غيرِ ذلك من الأَعمالِ التي ينافي صفات المؤمنِ!

فأَهلُ السُّنَّة والجماعةِ قاطبةً:

*** أَجمعوا علىٰ أَنَّهم لا يُكفِّرونَ مرتكبَ الكبيرةِ من أَهلِ التَّوحيدِ أَلبتَّة، ولا يُخرجونه من الدِّينِ والملَّةِ، ولا يَحكُمُونَ عليه بالخلود في النَّارِ إن دخلها أَبدًا؛ مالَمْ يستحِلَّ ذنبه!**

*** ولا يَسلبونَ اسم الإيمان منه كاملاً؛ إذا عَمِلَ معصيةً، أَو ذنبًا لا يُكَفِّر فاعِلَه، أَو ترك ما لا يُكفِّر تاركُه من الواجباتِ.**

*** ولا يُخرجُونه من الإيمانِ بالكلِّيةِ؛ إلاَّ بفعلِ ناقضٍ من نواقضه؛ الاعتقادية، أَو القولية، أَو الفعلية، أَو شركٍ يفعله.**

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يقولونَ:

أَنَّ مرتكبَ الكبيرةِ من أَهل القبلة؛ لا يُنفىٰ عنه مُطلقُ الإيمانِ، ولا يُخرجُ منه بكبيرته، وفسوقه، وبارتكابه المعاصي والموبقات، وكذلكَ لا يُوصف بالإيمان التَّامّ - أيضًا - وإنَّما ينقُصُ إيمانُه بهذه الذُّنوب والكبائر؛ فلا يذهبُ عنه الإيمانُ بالكليَّة؛ بل يبقىٰ معَهُ مُطلقُ الإيمان - أَي: أَصلُ الإيمان أَو الإيمانُ المجمل - لأَنَّ ارتكاب الكبيرة ليس سببًا للخُلودِ في نارِ جهنَّم، والخلود لا يكون؛ إلاَّ بالشِّركِ بالله تعالىٰ.

فهو في الدُّنيا مؤمنٌ ناقصُ الإيمان؛ مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته؛ فلا يُعطىٰ الاسمَ المطلقَ، ولا يُسلبُ مطلقَ الاسم، وإذا مات مصرًّا عليها، ولم يتُب منها؛ فإنَّ أَمره في الآخرةِ إلىٰ الله تعالىٰ، وهو تحت مشيئته - سبحانه وتعالىٰ - ورحمته؛ إنْ شاءَ غَفرَ لَهُ وعَفا عنهُ، وإنْ شاءَ عَذَّبَهُ؛ لكن يكون آخر أَمرهُ إلىٰ الجنَّةِ، والحمدُ للهِ.

أَي: أَنَّ مُرتكِبَ الكبيرةِ! إنْ كانَ من أَهل التَّوحيدِ والقبلةِ، ولم يستحلُ ذنبهُ![1] فَلَهُ حُكمانِ عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ حُكمٌ في الدُّنيا، وحُكمٌ في الآخرة:

---

(١) استحلالُ الذَّنبِ! معناه: استحلالُ أَمرٍ ما هو محرمٌ قطعًا بإجماع المسلمين.

* أَي: اعتقاد المسلم أَنَّ عملهُ الذي يعملهُ حلالاً بعكس ما يعتقده المسلمين؛ فهذا عملُ الأغبياء والسُّفهاء؛ فلا يطلع عليه ولا يُحكم به؛ إلاَّ بلسان صاحبه، أَو بلسان حاله الذي يطابق لسان مقاله؛ فإن صرَّحَ بالاستحلال! تبين ذلك منه، وحكم عليه به، وإلاَّ فلا! ولو كان مجرد الفعل استحلالاً! لكفر كل مرتكب كبيرة، وكان من أَهلِ النَّار خالدًا فيها مخلدًا! وهذا نقيض ما يعتقده أَهل السُّنَّة والجماعة.

* وإنْ كانَ جاهلاً؛ فإنَّهُ يعذر بجهله، ولا يعاجل بالتكفير؛ حتىٰ يبين له الحكم الشَّرعي، =

● **حُكمُهُ في الدُّنيا:**

أَنَّهُ مؤْمنٌ ناقصُ الإيمانِ، مؤْمنٌ بإيمانِهِ، عاصٍ للهِ تعالىٰ، فاسقٌ بكبيرته، وظلمه لنفسه، ولا يصحُّ أَن يُعطىٰ لهُ اسمُ الإيمان المطلق؛ بل يكون معه مطلقُ الإيمان، واسم الإسلام، ويستحِقُّ من المعاملة باسم الإسلام ما يستحقُّه سائر المسلمين.

فإن كانَ الذَّنبُ الذي ارتكبه، لا حَدَّ فيه، أَو فيه حَدٌّ، وتاب منه، قَبِلَ اللهُ تعالىٰ توبتَهُ بفضلِه ومَنِّه وكرمه – سبحانه وتعالىٰ – أَو فيه حدٌّ، وأُقيمَ عليه الحدُّ؛ فهو كفَّارةٌ له، ويصبحُ حكمُه حكمَ عامَّةِ المسلمين، ولله الحمد والمنَّة.

● **حُكمُهُ في الآخرةِ:**

أَنَّهُ يكونُ تحتَ مشيئَةِ اللهِ – تبارك وتعالىٰ – إِن لم يَتُبْ من كبيرته، وفسقه، وظلمه، ومعاصيه، ولم يُقم عليه الحَدُّ؛ فأَمره في الآخرة إِلىٰ رَبِّ العالمين – جلَّ في عُلاه – إِنْ شاءَ عَفا عنهُ، وغفرَ لَهُ ذنبه، وأَدخله الجنَّةَ من أَوَّلِ وَهْلةٍ؛ وذلك برحمته وفضله ومنِّه وكرمه وإحسانه.

= وتقام عليه الحجة بوضوحِ وتزل شبهته؛ فإن أَصرَّ مع قيام الحجة عليه؛ كفر، وإلاَّ فالأَصلُ في المسلم البقاء علىٰ دينه وإسلامه.

* وأَمَّا المسلم الذي يموتُ علىٰ كبيرةٍ من غير توبةٍ؛ كالذي مات علىٰ الزِّنا، ولم يتب، والذي مات علىٰ السرقة، ولم يتب، والذي مات يتعامل بالرِّبا، ولم يتب، والذي مات علىٰ عقوق الوالدين، أَو مات علىٰ قطيعة الرَّحم، أَو مات علىٰ الغيبة والنميمة؛ فهذا الذي تحت المشيئة؛ بشرط أَنَّهُ لم يستحلها معصيتها؛ يعني أَنَّهُ كان يعلم أَنَّ الزِّنا حرامٌ! لكن فعله بغلبة الشَّهوة، أَو كالذي يعلم أَنَّ الرِّبا حرامٌ! لكن فعله حبًّا للمال.

أَمَّا مَن استحلَ الرِّبا، ورأىٰ أَنَّ الرِّبا حلال، أَو الزِّنا حلال، أَو عقوق الوالدين حلال؛ فهذا كافرٌ بالإجماع؛ لأَنَّهُ مكذبٌ للهِ تعالىٰ ولرسوله ﷺ في تحريم هذه الأَشياء.

وإن شاء عذَّبه بقدر ذنبه، وذلك بعدله - سبحانه وتعالىٰ - لأنَّهُ مستحقٌّ للعقاب، ولكنه لا يستحقُّ الخلودَ في النَّار؛ بل يخرجُ من النَّار بما معه من الإيمانِ، وإن كانَ مثقالَ ذرَّةٍ؛ فلا بُدَّ لَهُ من دخولِ الجنَّة؛ لأنَّهُ لا يخلُد في النَّارِ موَحِّدٌ.

لأنَّ الإيمانَ - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة - يقبلُ التبعيضَ والتَّجزئةَ، وبقليله يُخرجُ اللهُ مِنْ النَّار مَنْ دَخَلَها؛ بفضله ورحمته ومنِّه وكرمه.

وبهذا يتبيَّن أنَّ المعاصي والذُّنوب - ولو كانت من الكبائر - لا تؤثر علىٰ أصل الإيمان من حيث بقاؤه أو ذهابه، وإنَّما تؤثِّر فيه من حيث زيادته ونقصانه، ولهذا فإنَّ المؤمنين يتفاضَلُون في إيمانهم؛ فمنهم المُقْتَصِدُ، ومنهُمُ الظَّالمُ لنفسه، ومنهم السابقٌ بالخيرات، ولكلٍّ درجةٌ عند الله تباركَ وتعالىٰ.

● ومن هذا القاعدةُ الجليلةُ الشَّرعيَّةُ: فإنَّ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة:

لا يُكفِّرونَ أحدًا من أهلِ القبلةِ؛ إلاَّ بذنبٍ يزولُ به أصلُ الإيمان.

● وفي مقابل ذلك: أجمعوا علىٰ كُفرِ من ارتكب محرَّمًا معلومًا تحريمُه من الدِّين بالضَّرورةِ، مُستحلاً له؛ لأنَّ فيه مُكابَرَةً وتكذيبًا صريحًا لله - تبارك وتعالىٰ - ولرَسُولِهِ ﷺ ولا شكَّ أنَّ هذا النوع من الكفرِ البواح.

أدلة أهل السنة والجماعة في حكم أهل الكبائر من الكتاب والسنة والإجماع

● أوَّلاً- الأدلَّةُ من كتابِ اللهِ جلَّ في عُلاه:

* قولُ اللهِ - تباركَ وتعالىٰ - في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(١)(*).

وجه الدلالةِ من الآيةِ الكريمةِ: أنَّ كلَّ الذُّنوبِ ما دون الشِّرك باللهِ تبارك وتعالىٰ؛ فهو داخلٌ تحت المشيئة.

أي: إنَّ العبدَ إذا مات علىٰ الشِّركِ بدون توبة؛ فإنَّ اللهَ - جلَّ وعلا - لا يغفر له أبدًا، والمشركُ مخلَّدٌ في نار جهنَّم إلىٰ أبد الآبدين - والعياذ بالله - وإذا مات العبد الموحِّد مرتكبًا ما دون الشِّرك من الذُّنوب والمعاصي، ولو كانت من الكبائرِ والعظامِ، ولو لم يتُب منها، ولو جاء بقرابِ الأرض خطايا؛ فإنَّه يدخلُ تحت مشيئة الله - سبحانه وتعالىٰ - إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه بذنبه، قال الله تبارك وتعالىٰ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨، ١١٦.

(*) للبسط في تفسير هذه الآية الكريمة؛ انظر: «تفسير الطبري» و«تفسير ابن كثير» و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: ج١، ص٨٤. و«تعظيم قدر الصلاة» للإمام المروزي، و«الإيمان الأوسط» لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص٣٦.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١].

قالَ العُلماءُ، رحمهم الله: هذه الآية الكريمة أرجىٰ آيةٍ في كتابِ اللهِ تعالىٰ! كيف لا؟ وهي قد أشرعت أبواب الأمل في وجوه البائسين، وضمنت خط العودة للتائهين، وهي دعوةٌ لجميعِ العُصاةِ من المسلمينَ والكُفَّارِ إلىٰ التوبةِ والإنابة؛ ثمَّ أخبرَ بأنَّ اللهَ تعالىٰ يغفرُ الذُّنوب جميعًا لمن تاب منها وأناب، ورجع عنها صادقًا، وإنْ كانتْ ذنوبه مثل زبد البحر.

وفي الآيةِ بشاراتٌ عظيمةٌ، منها:

أضاف اللهُ تعالىٰ العبادَ إلىٰ نفسهِ؛ لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم.

وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذُّنوبِ؛ فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب أُولىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ﴾ فالألفُ واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، ثم أكدَ كلَّ ذلك بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ أي: كل ذنب كائنا ما كان؛ إلاَّ ما أخرجه النَّصُّ القرآني، وهو الشِّرك باللهِ تعالىٰ!

ثمَّ ختمها بقوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤنين المحسنين ظنهم بربهم الصَّادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافدين لسوْ الظَّن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته علىٰ عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين إليه في طلب المغفرة.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

* ومن أدلَّةِ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

في هذه الآية الكريمة: أثبتَ اللهُ تعالىٰ الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين، وأثبتَ لهم أُخوَّةَ الإيمان؛ فسمَّىٰ اللهُ المقتول أخًا للقاتل، وقال في القاتل بغير حقٍّ: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ ﴾.

فأثبتَ اللهُ تعالىٰ الأُخوة الإيمانية بين القاتل وأولياء الدَّم؛ فأثبت لهما وصف الإيمان مع كونهما متقاتلتين، فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)(*).

أَي: أنَّ القتلَ كبيرةٌ من الكبائر، ومع ذلك؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ لم يَسلُبْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨. (٢) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ — ١٠.

(*) للبسط في تفسير هذه الآية الكريمة؛ انظر: «تفسير القرطبي» و«تفسير ابن كثير» و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: ج١، ص٢١٠. و«تفسير البغوي» و «تفسير ابن سعدي».

عن هؤلاء المقاتلين اسمَ الإيمان، وسمَّاهم المؤمنين، وإخوة في الدِّين، وأَمرَ بالإصلاح بينهما، رغم الاقتتال، وبغي بعضهم علىٰ بعض، ولم يَنْفِ عنهم الأُخوَّة؛ لا فيما بين المقتتلين، ولا فيما بينهما وبين بقيةِ المؤمنين؛ بل أُثبتت أُخوَّة الإيمان لهم مطلقًا؛ فالإيمانُ والأُخوَّة الإيمانيَّة لا يزولان مع القتال؛ كغيره من الكبائر التي هي دون الشِّرك (*).

* ومن أدلَّةِ أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة، قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾(١)(**).

قالَ العُلماءُ، رحمهم الله: أَي: كلُّ ما سلف، وما هنا للعموم؛ لأَنَّها اسمٌ موصولٌ، يعني كلَّ ما تقدم؛ فهو مغفور لَهُ.

والتَّوبةُ واجبةٌ من كلِّ ذنبٍ، وأَعظمها وأَوجبها التَّوبةُ من الكفر إلىٰ الإيمانِ، ثمَّ يليها التَّوبةُ من كبائرِ الذُّنوبِ، ثمَّ من صغائرِ الذُّنوبِ.

وللتوبةِ خمسة شروطٍ: الإخلاص للهِ، الندم علىٰ ما فعل من المعصية، وأَن يقلع عن الذَّنب الذي هو فيه، والعزم علىٰ أَن لا تعود في المستقبل، أَن تكون قبل الموت.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(*) انظر: «كتاب الأم» للإمام الشافعي، رحمه الله؛ ج٤، ص٢١٤.

(**) قال الحافظ ابن عبد البر، رحمه الله: (ومعلوم أَنَّ هذا بعد الموت لمن لم يتب؛ لأَنَّ الشرك ممَّن تاب منه – قبل الموت – وانتهىٰ عنه غفر له، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعًا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف﴾) «التمهيد» ج١٧، ص١٦.

● ثانيًا– الأَدلَّةُ من سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ :

قولُهُ ﷺ : «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ، ولاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ»(١).

وقولُهُ ﷺ : «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(٢).

وعن عُبادة بن الصَّامت – رضي الله عنه – وكانَ شَهِدَ بدرًا، وهو أَحدُ النُّقباء ليلة العقبة: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ، وحولهُ عصابةٌ من أَصحابه:

«بَايِعُونِي علَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ولاَ تَسْرِقُوا ولاَ تزنُوا ولاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ، ولاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُم وأَرْجُلِكُمْ، ولاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ؛ فَمَنْ وَفَّىٰ مِنكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ، إنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». فَبَايَعْنَاهُ علىٰ ذلك(٣)(*).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «تحريم الكبر وبيانه».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنّة».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «علامة الإيمان حبُّ الأنصار».

(*) ووجه الدلالة أنَّ الذُّنوب المذكورة في الحديث: إن أُقيم علىٰ صاحبها الحد؛ فهو كفارة له، وإن مات مصرًا علىٰ الكبائر؛ فهو تحت المشيئة، وهذا لا يكون إلاَّ فيما دون الشِّرك، وهو دليلٌ علىٰ بقاء الإيمان؛ فلو كان إصابة هذه الذُّنوب كفرًا لكان حكمه القتل والردَّة، ولا يكون كفارة، وعلىٰ هذا القول أجمع أهل السُّنَّة والجماعة. انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي؛ ج٢، ص٤١. و«فتح الباري» لابن حجر؛ ج١، ص٦٥. و«تعظيم قدر الصلاة» للإمام المروزي؛ ج٢، ص ٦١٦، ٦١٧. وقال الإمام الشافعي، رحمه الله: (لم أَسمع في الحدود حديثًا أبيَن من هذا) «كتاب الأم» ج٦، ص١٣٨.

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لاَ يَلْقَىٰ اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»[١].

وقالَ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ... وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»[٢][*].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ:

«مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟! قَال: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ».

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ» ثَلاَثًا!

ثُمَّ قَالَ ﷺ فِي الرَّابِعَةِ: «عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ».

فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ، وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ[٣].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنَّة قطعًا».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب: «فضل الذكر والدعاء والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ».

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة، ومن مات مشركًا دخل النَّار».

(*) قال الإمام ابن رجب، رحمه الله: (فمَن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملأها - أو ما يقارب خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة؛ لكن هذا مع مشيئة الله - عزَّ وجلَّ - فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه ثمَّ كان عاقبته أن لا يخلد في النَّار؛ بل يخرج منها ثمَّ يدخل الجنَّة) «جامع العلوم والحكم»: ص٣٧٤.

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْه - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيل - عليه السَّلام - فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّة» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَق؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ»[١](*).

ومن أدلَّةِ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة؛ أحاديث الشَّفاعة؛ كقولُ النَّبِيِّ ﷺ:

«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ.

وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ.

وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»[٢].

وقولُهُ ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[٣].

وقولُهُ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ؛ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[٤].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة، ومن مات مشركًا دخل النَّار».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ».

(٣) رواه أبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب: «في الشفاعة».

(٤) رواه البخاري في (كتاب المظالم) باب: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ».

(*) (وجه الدلالة من الحديث: أن من مات على التوحيد، وكان عليه بعض الذنوب كالزنا، والسرقة؛ فإنَّه لا تخرجه من الإيمان بالكلية بل يكون ناقص الإيمان، والدليل على ذلك أنَّه يدخل الجنَّة، ولكنه تحت المشيئة) انظر «شرح مسلم» للنووي: ج٢، ص٤١. و«فتح الباري» ج٣، ص١١١.

وأمَّا الدليلُ علىٰ نقصانِ إيمانِهِ بكبيرتِهِ:

قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ»[1].

فلما نفىٰ عنه الإيمان؛ دلَّ علىٰ أَنَّ إيمانه ليس بكامل. ولا يظنُّ ظان بأَنَّ نفي الإيمان عنه نفي لإيمانه كله؛ لأَنَّ الأَحاديثَ يفسرُ بعضها بعضًا ويبين بعضها بعضًا؛ فلما ثبتت النُّصوصُ بإثباتِ الإيمانِ لمرتكبِ الكبيرةِ؛ دلَّ علىٰ أَنَّ النَّفيَ إنَّما هو لنفي الكمالِ الواجب لا نفي أَصلِ الإيمانِ.

قالَ الحافظُ ابن حجر رحمهُ اللهُ: (والمراد بالنفي: كمال الإيمان... وقد صرح ابن حبان - من رواية ابن أَبي عدي عن حسين المعلم - بالمراد ولفظه: (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان) ومعنىٰ الحقيقة هنا الكمال، ضرورة أَنَّ مَن لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرًا).

وقالَ الإمامُ النووي - رحمهُ اللهُ - في شرح هذا الحديث:

(فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أَن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الأَلفاظ التي تطلق علىٰ نفي الشيء ويراد نفي كماله... كما يقال: لا علم إلاَّ ما نفع، ولا مال إلاَّ الإبل، ولا عيش إلاَّ عيش الآخرة).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب المظالم) باب: «النهبى بغير إذن صاحبه».

● ثالثًا– الأَدلَّةُ من الإجماعِ:

أي من أقوال أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة:

١– قالَ خليفةُ رَسُول الله ﷺ أبو بكر الصدِّيق، رضي اللهُ عنه:

(إيَّاكُمْ وَالْكَذِبِ؛ فَإنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبُ الإيمانِ)(١).

٢– قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ أبو هريرة، رضي اللهُ عنه: (الإيمانُ نَزِهٌ؛ فَمَنْ زَنَا فَارَقَهُ الإيمانُ، فإنْ لامَ نَفْسَهُ وَراجَعَ؛ راجعَه الإيمان)(٢).

٣– قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ أبو الدَّرداء، رضي اللهُ عنه:

(مَا الإيمانُ؛ إلاَّ كَقَمِيصِ أَحَدِكُمْ يَخْلَعُهُ مَرَّةً وَيَلْبَسُهُ أُخرىٰ، واللهِ مَا أَمِنَ عَبْدٌ عَلَىٰ إيمانهِ إلاَّ سُلِبَه فَوَجَدَ فَقْدَه)(٣).

٤– وقد ثَبَتَ عن حَبْرِ الأُمَّة عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أَنَّه كان يدعو غلمانه؛ غلامًا غلامًا! فيقول:

(أَلا أُزَوِّجُكَ؟ مَا مِنْ عَبْدٍ يزني إلاَّ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ نُورَ الإيمانِ)(٤).

وسأَلَهُ عكرمة؛ كيفَ يُنزَعُ الإيمانُ منه؟ قالَ:

(هَكَذَا – وشَبَّكَ بينَ أَصابعِهِ ثمَّ أَخرجها –؛ فإنْ تَابَ عَادَ إليه هكَذا، وشَبَّكَ بينَ أَصابعِه)(٥).

---

(١) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٦، ص١٠٩٠ (١٨٧٣).

(٢) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٦، ص١٠٩٠ (١٨٧٠).

(٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٦، ص١٠٩١ (١٨٧١).

(٤) « فتح البارى » ج١٢، ص٥٩، و« شرح أصول الاعتقاد » اللالكائي: (١٨٦٦).

(٥) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب: « إثم الزُّناة ».

٥- قالَ الإمامُ أبو حنيفة، رحمه اللهُ تعالىٰ: (ولا نُكفِّر مُسلِمًا بذَنْبٍ منَ الذُّنوبِ، وإنْ كانَتْ كبيرةً، إذا لم يَستَحِلُّها)[١].

٦- قالَ الإمامُ مالك، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(لو أنَّ رَجُلاً رَكِبَ الكَبائِرَ كُلَّها بعدَ أن لا يُشرك باللهِ؛ ثمَّ تخلَّىٰ من هذهِ الأهواءِ والبدَعِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ)[٢].

٧- قال الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(مَنْ تَوَلَّىٰ يومَ الزَّحفِ، لا مُتحرِّفًا لقتالٍ، ولا مُتحيِّزًا إلىٰ فئةٍ؛ خفتُ عليه - إلاَّ أن يعفوَ اللهُ - أن يكونَ قد باءَ بسخطٍ منَ اللهِ)[٣].

وقالَ - رحمه الله - في وصيته: (وجُعلَ الآخرةُ دارَ قرارٍ، وجزاءً بما عُمِلَ في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ؛ إن لم يَعْفُهُ جلَّ ثناؤُه)[٤].

٨- قال الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالىٰ:

(يَخرجُ الرَّجلُ من الإيمانِ إلىٰ الإسلام، ولا يُخرِجُه من الإسلامِ شيءٌ إلاَّ الشِّرك بالله العظيم، أو رَدُّ فريضةٍ من فرائض اللهِ - عزَّ وجلَّ - جاحدًا بها؛ فإن تركَها كسلاً، أو تهاونًا كان في مشيئة الله، إن شاءَ عذَّبه، وإن شاءَ عفا عنه)[٥].

---

(١) « متن الفقه الأكبر » الإمام أبو حنيفة.

(٢) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج٦، ص٣٢٥.

(٣) « كتاب الأم » ج٤، ص ١٦٩.

(٤) « مناقب الشافعي » للبيهقي؛ ج١، ص ٤٢٩.

(٥) « طبقات الحنابلة » ابن رجب الحنبلي: ج١، ص٣٤٣. ضمن رسالة مسدد بن مسرهد.

٩- قالَ الإمامُ أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، رحمةُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ المعاصيَ والذُّنوبَ لا تُزيلُ إيمانًا، ولا تُوجبُ كُفرًا، ولكنَّها إنَّما تَنْفي منَ الإيمانِ حقيقتَهُ وإخلاصَهُ، الذي نَعَتَ اللهُ بهِ أَهلَهُ واشترطَه عليهم في مواضعَ من كتابِهِ)[1].

١٠- عقدَ الإمامُ البخاريُّ؛ بـ «صحيحه» بابًا في (كتاب الإيمان): قطعَ فيهِ بأَنَّ المعاصي لا يُكفَّر مرتكبها، فقالَ، رحمه الله تعالىٰ:

بابُ: المعاصي من أَمرِ الجاهليَّةِ، ولا يُكَفَّرُ صاحِبُها بارْتِكابِها إلاَّ بالشِّرك؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». وقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.

١١- قالَ الإمامُ أبو جعفر الطحاوي الحنفيُّ - رحمةُ اللهُ تعالىٰ - في عقيدته «العقيدة الطحاوية»:

(ولاَ نُكَفِّر أَحدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَالمْ يَسْتَحِلَّهُ). وقالَ أيضًا:

(وأَهلُ الكبائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ في النَّارِ لا يُخلَّدونَ؛ إذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدونَ، وَإنْ لَمْ يَكُونُوا تَائبينَ).

١٢- قالَ الإمامُ أبو الحسن الأشعريُّ، رحمةُ اللهُ تعالىٰ:

(ونَدينُ بأَن لا نُكفِّرَ أَحدًا من أَهلِ القِبْلَة بذَنبٍ يَرتكبُهُ؛ كالزِّنا والسَّرقة وشُربِ الخمر، كما دانت بذلكَ الخوارجُ، وزَعَمَت أَنَّهم كافرون. ونقول: إنَّ مَن عَمِلَ كبيرةً من هذه الكبائر مثلَ الزِّنا والسَّرقة

---

(١) «كتاب الإيمان»: ص٤٠؛ تحقيق الألباني.

وما أَشبهها، مستحلاً لها غيرَ معْتقدٍ لتحريمها؛ كان كافرًا)[١].

١٣- نقلَ الإمامُ أَبو بكر الإسماعيليّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - اعتقادَ أَهل الحديث وأَهل السُّنَّة والجماعة، وقالَ:

(ويقولونَ: إنَّ أَحدًا من أَهلِ التَّوحيدِ، ومَنْ يُصلِّي إلىٰ قبلَةِ المسلمينَ؛ لو ارتكبَ ذنبًا، أَو ذنُوبًا كثيرة؛ صغائر، أَو كبائر مع الإقامة علىٰ توحيدِ اللهِ، والإقرارِ بما التزمه وقبله عن اللهِ؛ فإنَّه لا يُكفَّر به، ويَرْجُوْنَ له المغفرةَ، قَاَل اَللهُ تعالىٰ: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾)[٢].

١٤- قالَ الإمامُ ابن بطة العكبريّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وقد أَجمعت العلماءُ - لا خلافَ بينهم - أَنَّه لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ من أَهلِ القبلة بذنبٍ، ولا نُخرجهُ من الإسلامِ بمعصيةٍ؛ نَرجو للمُحسنِ، ونَخافُ علىٰ الْمُسيئِ)[٣].

١٥- ونقلَ الإمامُ أَبو إسماعيل الصَّابونيّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - اعتقادَ أَئمَّة السَّلف، أَصحاب الحديث، أَهل السُّنَّة والجماعة، وقالَ:

(ويَعتقدُ أَهلُ السُّنَّة: أَنَّ المؤمنَ، وإن أَذنبَ ذنوبًا كثيرةً؛ صغائرَ كانت، أَو كبائر؛ فإنَّه لا يُكَفَّرُ بها، وإن خَرَجَ من الدُّنيا غير تائبٍ منها، ومات علىٰ التَّوحيدِ والإخلاصِ؛ فإنَّ أَمره إلىٰ اللهِ - عزَّ وجلَّ - إنْ شاءَ

---

(١) «الإبانة عن أُصول الديانة» الإمام الأشعري: باب: «في إبانة قول أَهل الحق والسُّنَّة».
(٢) «اعتقاد أَهل الحديث» الإمام الإسماعيلي: ص٤٣. تحقيق د. محمد الخميس.
(٣) «الشرح والإبانة علىٰ أُصول السُّنَّة والدِّيانة» المسمىٰ بـ «الإبانة الصغرىٰ»: ص٢٩٢. تحقيق د. رضا بن نعسان مُعطي.

عفا عنه، وأَدخَلَهُ الجنَّةَ يومَ القيامة سَالِمًا غانمًا، غير مبتلىٰ بالنَّار، ولا مُعاقَب علىٰ ما ارتكبه من الذنُوبِ، واكتسبه ثمَّ استصحبه – إلىٰ يوم القيامة – من الآثام والأَوزار. وإن شاء عاقبه وعَذَّبه مُدَّةً بعذاب النَّار، وإذا عَذَّبه لم يُخَلِدْه فيها بل أَعتقه وأَخرجه منها إلىٰ نعيمِ دارِ القرار)[١].

١٦– قالَ الإمامُ البغويُّ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اتَّفقَ أَهلُ السُّنَّة: علىٰ أَنَّ المؤمنَ لا يَخرجُ عن الإيمانِ بارتِكابِ شيءٍ من الكبائر، إذا لم يَعتقد إباحَتها، وإذا عَمِلَ شيئًا منها؛ فمات قَبلَ التوبَةِ، لا يخلد في النَّار؛ كما جاء به الحديث؛ بل هو إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقَدرِ ذنُوبِه، ثمَّ أَدخَلَهُ الجنَّةَ برحمَتِه)[٢].

١٧– قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(من أُصُول أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة: أَنَّ الدِّينَ والإيمانَ قَولٌ وعَمَل: قولُ القَلب واللِّسان، وعملُ القَلبِ واللِّسَان والجوارِح، وأَنَّ الإيمانَ يَزيدُ بالطَّاعة وينقُص بالمعْصية. وهُم مَعَ ذلك: لا يُكَفِّرون أَهلَ القبلة بمُطْلَقِ المَعَاصي والكبائر، كما يَفْعلُه الخَوارج؛ بل الأُخُوَّة الإيمانية ثَابتةٌ مع المعاصي؛ كما قال سبحانه في آية القصَاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾... ولا يَسلبونَ الفاسِقَ المِلِّي الإسلام بالكليَّة، ولا يخَلِّدونَهُ في النَّار، كما تقوله المُعتزلة؛ بل الفَاسِقُ يَدخُل في اسمِ الإيمانِ المُطْلق؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ وقَد لا يَدخُل

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: ص٢٧٦. تحقيق د. ناصر بن عبر الرحمن الجديع.
(٢) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص١٠٣.

في اسم الإيمان المُطلق؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾... ونقول: هُو مُؤْمنٌ ناقصُ الإيمان، أو هو مُؤْمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكَبيرته؛ فلا يُعطىٰ الاسم المطلق، ولا يُسلبُ مُطلق الاسم)[١].

١٨- قالَ الإمامُ ابن أَبي العزِّ الحنفيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ متَّفقون كُلُّهم: علىٰ أنَّ مرتَكِبَ الكَبيرَةِ لا يَكْفرُ كُفرًا يَنْقُلُ عن المِلَّة بالكليَّة، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كَفَرَ كُفرًا يَنْقلُ عن المِلَّة؛ لكان مرتدًّا يُقْتَلُ علىٰ كُلِّ حال، ولا يُقْبَلُ عفْوُ وليِّ القِصاص، ولا تجري الحدودُ في الزِّنىٰ والسَّرقة وشرب الخمر، وهذا القَولُ معلومٌ بُطلانُه وفَسادُه بالضَّرورة من دين الإسلام. ومتَّفقون علىٰ أنَّه لا يَخْرُجُ من الإيمان والإسلام، ولا يَدْخُلُ في الكُفر، ولا يَستحِقُّ الخُلُودَ في النَّارِ مع الكافرين)[٢].

١٩- قالَ الإمامُ ابن رجب الحنبليِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(من أَسباب المغفرة: التَّوحيدُ، وهو السببُ الأَعظم؛ فمَن فقده، فَقَدَ المغفرة، ومَن جاء به؛ فقد أَتىٰ بأَعظم أَسباب المغفرة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فمَن جاء مع التَّوحيد بقُرابِ الأَرض - وهو ملؤها أَو ما يُقارب ملأها - خطايا؛ لقيه اللهُ بقُرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله - عزَّ وجلَّ - فإن شاء

(١) «العقيدة الواسطية» بحاشية الشيخ ابن مانع: ص٨١. تحقيق أشرف عبد المقصود.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» ابن أبي العز الحنفي: ص٤٤٢. تحقيق شعيب الأرنؤوط.

غَفَرَ له، وإن شاء أَخذه بذنوبه، ثمَّ كان عاقبته أن لا يُخلَّد في النَّار؛ بل يخرج منها، ثمَّ يدخل الجنَّة.

قال بعضُهُم: الموحِّد لا يُلقىٰ في النَّار كما يُلقىٰ الكفَّار، ولا يَلقىٰ فيها ما يَلقىٰ الكفَّار، ولا يَبقىٰ فيها كما يبقىٰ الكفَّارُ؛ فإن كمُلَ توحيدُ العبد وإخلاصُه لله فيه، وأَقام الشُّروط كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عندَ الموت، أَوجبَ ذلك مغفرةَ ما سلف من الذُّنوب كلها، ومنعه من دخول النَّار بالكليَّة.

فمَن تحقَّق بكلمة التَّوحيد قَلبُه، أَخرجت منه كلَّ ما سوىٰ الله محبةً، وتعظيمًا، وإجلالاً، ومهابةً، وخشيةً، ورجاءً، وتوكُّلاً، وحينئذ تُحْرَقُ ذنوبه وخطاياه كلُّها، ولو كانت مِثلَ زبد البحر، وربما قلَّبتها حسناتٍ - كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات - فإنَّ التَّوحيدَ هو الإكسيرُ الأَعظمُ؛ فلو وُضعَ ذرَّةٌ منها علىٰ جبالِ الذُّنوب والخطايا؛ لقلَّبها حسناتٍ؛ كما جاء في «المسند» وغيره)[1].

١٩- قالَ العلاَّمةُ حافظُ ابن أَحمد الحكميّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وَلاَ نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَــلَّدٌ ! بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ وَإِلَىٰ الْجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ

«وَلاَ نَقُولُ إِنَّهُ» أي: الفاسق بالمعاصي التي لا توجب كفرًا «في النَّارِ مُخَلَّدٌ» هذه هي المسأَلة الرابعة من مسائل الفصل «بَلْ نَقُولُ أَمْرُهُ»

(١) «جامع العلوم والحكم» للإمام ابن رجب الحنبلي؛ ج٢، ص٤١٦ - ٤١٧ (شرح حديث الثاني والأربعون).

مردود حكمه «لِلْبَارِي» في الجزاء والعفو «تحت مشيئة الإله النافذة» في خلقه «إِنْ شاءَ» الله عزَّ وجلَّ «عَفَا عَنْهُ» وأدخله الجنَّة من أوَّلِ وهْلَةٍ برحمته وفضله «وَإِنْ شَاءَ آخَذَهُ» أي: جازاه وعاقبه «قَدْرَ ذَنْبِهِ» الذي مات مصراً عليه.

كما في «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه:

«بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، ولاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُم وأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ؛ فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا! فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ؛ فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ».

فَبَايعْنَاهُ علىٰ ذلك.

«وَإِلَىٰ الْجِنَانِ يَخْرُجُ» من النَّار «إِنْ» كان «مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ» كما تقدم في أحاديث الشَّفاعة، وإنَّه لا يخلَّدُ في النَّارِ أحدٌ مات علىٰ التَّوحيدِ؛ بل يخرج منها برحمة أرحم الراحمين ثمَّ بشَفاعةِ الشَّافعين)[١].

(١) انظر: «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول» ص١١٩١.

من أسباب سقوط العقوبة عن عصاة الموحدين

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ متَّفقونَ قاطبةً : علىٰ أَنَّ اللهَ – سبحانه وتعالىٰ – قد جعلَ لعبادِهِ المؤْمنينَ المذنبينَ المخطئينَ الَّذينَ يقعونَ في الذُّنوبِ والمعاصي وأَرتكاب الخطايا؛ أسبابًا لنجاتهم من عقوبةِ ذنوبهم ومعاصيهم التي توعَّدَ اللهُ – جلَّ وعلا – عليها في الدُّنيا والآخرة؛ فبهذه الأَسباب فتح الله تعالىٰ لهم أَبوابَ رحمتِه؛ منًّا منه – جلَّ ثناؤه – وتفضُّلاً وكرمًا.

وذلكَ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الإنسانَ وجعلَ في جبلتِهِ الميل للمعصيةِ، لم يجعلهُ ملكاً معصومًا من الذُّنوبِ والخطايا؛ حتَّىٰ لو كان من عبادِهِ المخلصينَ الصَّادقينَ المؤْمنينَ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »[١].

ولكنَّ المؤْمنَ الصَّادقَ يُطيعُ رَبَّهُ – جلَّ في عُلاه – ويجتهدُ في طاعتِهِ قدر استطاعته؛ ممتثلاً بأَمرِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

واذا وقعَ المؤْمنُ في معصيةٍ! فالدُّنيا كلُّها تضيقُ عليه؛ بل أَنَّهُ يشعرُ بالذَّنبِ كأَنَّهُ جبلٌ وقعَ عليه؛ لأَنَّهُ يستحضر رقابةَ اللهِ تعالىٰ عليه.

---

(١) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد) باب « ذكر التوبة » وحسَّنه الأَلباني.

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٦٩ .

ومن رحمةِ اللهِ تعالىٰ – التي وسعت كلَّ شيءٍ – علىٰ عباده المؤمنينَ أن جعلَ لهم مخرجًا وفرجًا من تلكَ الذُّنوبِ، وأسدلَ عفوه علىٰ عِصاةِ الموحدين في مختلف مراحلهم؛ سواءً في الدُّنيا، أو في عالمِ البرزخِ، أو في يومِ الحساب، وفي دارِ القرارِ؛ ما التزموا بما أمرهم به من أسبابٍ وأعمالٍ تسقط العقوبةَ عنهم؛ بفضله، ومنِّه، وكرمه، سبحانه وتعالىٰ.

وقد دلَّ علىٰ ذلكَ: الكتابُ، والسُّنَّةُ، وأقوالُ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة [١]، ومنها:

١– التَّوبَةُ الصَّادِقَةُ، والاستغفارُ الدَّائم:

تعدُّ التَّوبةُ الصَّادقةُ والاستغفارُ الدَّائم؛ من أهمِّ الأسبابِ المسقطة للعقوبةِ عن عُصاة الموحدين في الدَّارينِ؛ بشرطِ أنْ يكونَ الاستغفارُ مستمرًا وبقلب موقنٍ بالإجابة، وتكونَ التَّوبَةُ نصوحًا صادقةً، وخالصةً من القلبِ، ولم تكن مقتصرةً علىٰ نطقِ اللِّسان؛ بل تكونُ خصلةً لازمةً دائمةً للعبد الصَّادقِ، وكذلك يصحبها النَّدمُ علىٰ ما فات من ارتكاب المعاصي والذُّنوب، والاستغفار منها، وعزمُ القلب علىٰ عدم العودة إليها أبدًا، وإذا كان في ذلك الذَّنب حقٌّ لآدميٍّ لَزِمَ استحلاله منه إن أمكن؛ فإذا اجتمعَت في التَّوبةِ هذه الشروطُ؛ كانت صادقة، ويقبلها اللهُ تعالىٰ مهما عظم ذلك الذَّنب؛ بمنِّه وفضله ورحمته، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ ج٧، ص٤٨٦ – ٥٠١. و«شرح العقيدة الطحاوية» لأبي ابن العز الحنفي؛ ص٤٥١ – ٤٥٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٢].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ؛ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ »[٣].

والتَّوبةُ الصَّادقةُ الخالصةُ للهِ تعالىٰ أمرُها عظيمٌ عندَ اللهِ – جلَّ جلاله – فقد وَعَدَ اللهُ – سبحانه وتعالىٰ – بالمغفرة والعفو مَنْ تابَ وأنابَ؛ حتىٰ لو كان الذَّنبُ من أكبر الكبائر، وهي الشِّرك باللهِ تعالىٰ، أو قتل النَّفسِ بدون حقٍّ، أو الزِّنا، أو الرِّبا، أو غيرها من الكبائر العظام؛ بل وعدَ اللهُ – جلَّ وعلا – التَّائبينَ الصَّادقينَ أن يبدلَ سيئاتهم حسنات، فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤].

والاستغفارُ يتضمَّنُ التَّوبَةَ؛ بل هو التَّوبةُ نفسُها، والتَّوبةُ تتضمَّنُ

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٩ – ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد) باب « ذكر التوبة » وحسَّنه الألباني.

(٤) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨ – ٧٠.

الاستغفارَ، وكلٌّ منهُمَا يدخُلُ في مُسمَّىٰ الآخَرِ عندَ الإطلاقِ؛ أمَّا عندَ الاقترانِ، كقولِ اللهِ تبارَكَ وتعالىٰ:

﴿ وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾[1].

وقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[2].

* فالاستغفارُ يعني: طلبَ المغفرةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ، وطلبَ وقايةِ شرِّ ما مضىٰ من الذَّنبِ ومحوِهِ، وإزالةِ أثرِهِ، قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3].

* والتَّوبةُ تعني: طلبَ جلبِ المنفعةِ، وطلبَ وقايةِ شرِّ ما يَخافُهُ في المستقبلِ من ذنوبِهِ، والعزمُ علىٰ عَدَمِ ارْتِكابِها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَتُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣.

(٢) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

٢ـ الحسناتُ الماحيَةِ والأَعمالُ الصَّالحةِ:

الحسناتُ الماحيةِ هي: طاعةُ اللهِ تعالىٰ مطلقًا، وانقيادُ لشرعِهِ ولسُنَّةِ نبيِّه ﷺ واتِّباع هديه الكريم، أَي: هي الطَّاعاتُ المقبولَةِ عندَ اللهِ تعالىٰ، والطَّاعاتُ هي الأَعمالُ الصَّالحةِ التي أَمرَ به اللهُ تعالىٰ مطلقًا في شرعه وعلىٰ لساني نبيِّه ﷺ؛ فإذا كانَ عملُ العبدِ صالحًا؛ خالصًا لوجهِ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ، وموافقًا لشرعِهِ، وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ في كيفيته، ويأْتي في مكانِهِ وزمانِهِ الَّذي حدَّدَهُ الشَّارع الحكيم؛ فإنَّه باتِّفاق أَهل السُّنَّة والجماعة يُكَفِّرُ الذُّنوبَ والمعاصي؛ فإنَّ الحسنةَ بعشرِ أَمثالها والسيئةَ بمثلها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾[١].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٢].

وقالَ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ؛ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»[٣].

وقالَ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب البر والصلة) باب «ما جاء في مُعاشرة النَّاس» وحسَّنه الألباني.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الطهارة) باب «خُروج الخطايا مع ماء الوضوء».

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «صَومُ رمضانَ احْتسابًا من الإيمانِ».

وقالَ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِركِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَنزَعَتْ مُوقَهَا فَسقَتْهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»(١)(*).

وقالَ ﷺ: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»(٢)(**).

وقالَ ﷺ: «مَنْ حَجَّ للهِ؛ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٣).

وقالَ ﷺ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ الدَّيْنَ»(٤).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء) باب «حديث الغار».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب «فضل التهجير إلىٰ الظهر».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الحج) باب «فضل الحج المبرور».

(٤) رواه مسلم في (كتاب الإمارة) باب «من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلاَّ الدَّين».

(*) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (هذه سقت الكلب بإيمانٍ خالصٍ؛ فغفرَ لها، وإلاَّ فليسَ كل بغي سقت كلبًا يغفر لها) «منهاج السُّنَّة» ج٣، ص١٨٣.

(**) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (هذا الذي نحىٰ غصن الشوكَ عن الطريق؛ فعله إذ ذاك بإيمانٍ خالصٍ، وإخلاصٍ قائمٍ بقلبه؛ فغفرَ لَهُ بذلك) «منهاج السُّنَّة» ج٣، ص١٨٣.

٣- المصائبُ المُكفرة:

هي المصائب، أَو المكروهات، أَو الآلام والعذاب؛ الَّتي تُصيبُ العبدَ المسلمَ في نفسِهِ، أَو في مالهِ، أَو أَهلهِ، ويتأذىٰ بها، وإنْ صغرت.

فإذا صبرَ العبدُ علىٰ المصائب بجميع أنواعها وأشكالها، واحتسب أَجرها، وقوية يقينه باللهِ تعالىٰ، وشكرَهُ وحمدهُ، وذكرهُ كثيرًا، واستغفرَ لذنبه، وتوكَّل عليه حقَّ توكله، وصدقَ مع الله تعالىٰ؛ فقد فاز بالثَّوابِ الجزيل، وكُفِّرت خطاياه وإن كبرت، وتجاوز عنه سيئاته وإن عظمت!

وإن سَخِطَ العبدُ! اكتسب إثمًا، وبقيت خطاياه، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

وقالَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ - حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلاَّ كَفَّرَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٢].

وقالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً! فَمَا فَوْقَهَا؛ إِلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٢) رواه البخاري في (كتاب المرضىٰ) باب «ما جاء في كفارة المرض».

(٣) رواه البخاري في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ؛ فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي! فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ ﷺ:

«أَجَلْ؛ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ: لَكَ أَجْرَانِ؟ قَالَ ﷺ:

«نَعَمْ! مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ؛ إِلاَّ حَطَّ اللهُ سَيِّئَاتِهِ؛ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ؛ لَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وكَانَ خَيْرًا، وإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، وكَانَ خَيْرًا»(٢).

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ أَبو هُريرة، رضي اللهُ عنهُ:

«مَا مِنْ مَرَضٍ يُصِيبُنِي! أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحُمَّىٰ؛ لأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنِّي، وَإِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُعْطِي كُلَّ عُضْوٍ قِسْطَهُ مِنَ الأَجْرِ»(٣).

وكذلكَ ما يحصل للعبدِ المؤمنِ من المحنِ، والأهوالِ، والكُرباتِ، والظُّلماتِ، والشَّدائد؛ من ساعةِ موتِهِ إِلىٰ عرصاتِ القيامَةِ، وإِلىٰ أن يُنجيهِ اللهُ تعالىٰ من الحسابِ يوم القيامة، وإِلىٰ دخولِهِ جنَّةَ الخُلدِ؛ فهذه كفَّارةٌ لَهُ.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب المرضىٰ) باب «أشدُّ النَّاس بلاءً الأنبياء».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» في (أول مسند الكوفين) عن صهيب بن سنان، رضي الله عنه؛ برقم: (١٨٦٣٠). وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٤٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب: «الأدب المفرد» باب (يُكتبُ للمريضِ ما كانَ يعملُ وهو صحيحٌ) وصححه الألباني.

٤ـ ما يُعْمَلُ للميِّتِ من أعمالِ البرِّ:

إنَّ أثارَ الأعمال الصَّالحة للمؤْمنينَ؛ تصلُ للعبدِ المسلمِ في حياتهِ وبعد مماته؛ كالدُّعاءِ لَهُ بالمغفرةِ والرَّحمةِ، والاستغفارِ لَهُ من الذُّنوبِ، والتَّرَحُّمِ عليهِ، والصَّلاةِ علىٰ جنازتهِ، وزيارةِ قبرهِ، والحجِّ عنه، ونحو ذلك من الأَعمال الصَّالحة الثابتَ شرعًا؛ فذلكَ شفاعةٌ لَهُ عندَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾[٤].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[٥].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٢) سورة محمد ﷺ، الآية: ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٤.
(٥) رواه مسلم في (كتاب الوصية) باب «ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته».

وقالَ ﷺ: «قَدْ تُوُفِّيَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الحَبَشِ؛ فَهَلُمَّ! فَصَلُّوا عَلَيْهِ»(١).

وقالَ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ؛ فَيَقُومُ عَلَىٰ جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا؛ إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»(٢).

وقالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَىٰ الْمَيِّتِ؛ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»(٣).

وقالَ ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ! وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»(٤).

ومن أدعيةِ النَّبِيِّ ﷺ في صلاةِ الجنازةِ:

«اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ»(٥).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الجنائز) باب «الصفوف علىٰ الجنازة».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الجنائز) باب «مَن صلَّىٰ عليه أربعون شُفِّعوا فيه».

(٣) رواه أبو داود في (كتاب الجنائز) باب «الدُّعاءُ للميِّت» وحسَّنهُ الألبانيُّ.

(٤) رواه أبو داود في (كتاب الجنائز) باب «الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في «المستدرك» ج١، ص٣٧٠.

(٥) رواه مسلم في (كتاب الجنائز) باب «الدُّعاءُ للميتِ في الصلاة».

٥ ـ عذابُ القبر :

فمن عقيدةِ أهل السُّنَّةِ والجماعة : أنَّ عذابَ القبرِ حقٌّ، بالكتاب، والسُّنَّةِ، والإجماعِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ؛ إِذْ حَادَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تُلْقِيهِ! وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ، أَوْ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ»؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «فَمَتَىٰ مَاتَ هَؤُلاءِ»؟ قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا؛ فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»[3].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦. (٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب «عرضِ مقعدِ الميِّتِ من الجنَّةِ أو النَّارِ عليه».

« إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ! وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ : أَمَّا أَحَدُهُمَا ؛ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ ؛ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ »[١] .

ومن عقيدةِ أهل السُّنَّةِ والجماعة : أَنَّ ما يحصلَ للعبدِ المؤمنِ في قبرهِ من الفتنةِ، والضغطةِ، والرَّوعةِ؛ يُكَفِّرُ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - بهِ خطاياهُ وسيئاتهُ، قالَ النَّبيُّ ﷺ :

« إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ! فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ؛ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ؛ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ »[٢] .

وضمَّةُ القبرِ أوَّلُ ما يلاقيه الميتُ في عالمِ البرزخِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ :

« إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً ! وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا ! نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ »[٣] .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حِيْنَ تُوفِّيَ :

« هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْمَلائِكَةِ ؛ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ »[٤] .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ، فَقَالَ ﷺ :

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الوضوء) باب « ما جاء في غسل البول » .

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الذبائح) باب « أبواب الزهد » وحسنه الألباني .

(٣) رواه الإمام أحمد في « مسنده » عن عائشة، رضي الله عنها . وصححه الألباني في « الصحيحة » برقم : (١٦٩٥) .

(٤) رواه الترمذي في (كتاب الجنائز) باب « ضمة القبر وضغطته » وصححه الألباني .

«لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ القَبْرِ ؛ لأَفْلَتَ هَذَا الصَبِيُّ»[١] .

ومن عقيدةِ أَهل السُنَّةِ والجماعة : أَنَّ أَعمالَ ابن آدمَ لم تنقطع بموته! ولم يقف عدَّادِ الحسناتِ والسَّيئاتِ ؛ بلَ أَنَّ من أَعماله الصَّالحة حسناتٌ جاريةٌ إلىٰ قيام السَّاعة ، ومن أَعماله الطالحة سيئاتٌ جاريةٌ .

فأَمَّا الأَعمالُ الصَّالحة : كمن تصدَّق بصدقة جارية ، أَو علَّم علمًا نافعًا ، أَو دلَّ غيره علىٰ عمل صالحٍ ، أَو كان له ذرية يعملون بعد موته بطاعات ، وكل ذلك مما يجعل للميت مجالاً لزيادة الحسنات .

وأَما الأَعمالُ الطالحة : فهو لمن دلَّ غيره علىٰ عمل فاسد ، أَو ابتدع بدعة ، وغير ذلك مما تجري سيئات أَعمالهم علىٰ فاعلها ، وعلىٰ الميت ، الذي كان سببًا في فعل تلك السيئات والبدع .

ولذا! من عظيمِ حكمة الله تعالىٰ ؛ أَنَّ ميزانَ العبد المسلم بعد موته لا اعتبار لها ؛ بل الحكمُ الأَخير لميزان أَعماله في آخر المطاف في ميزان الحقِّ يومَ الحسابِ ، والتي بعدها تكون الحياةُ الآبدية من دخول الجنَّةِ ، أَو النَّارِ .

وهذا المعنىٰ يتجلَّىٰ في قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[٣] .

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ج٤ ، ص١٢١ . وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم : (٢١٦٤) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٨ .　(٣) سورة القارعة ، الآيتان : ٦ – ٧ .

٦- الشَّفاعةُ يومَ القيامَةِ:

والشَّفاعَةُ من رحمةِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - لعبادِهِ المؤمنين يوم القيامة: يوم الحسرة والنَّدامة، يومَ لا ينفع مالٌ، ولا بنونَ؛ إلاَّ مَن أتَىٰ الله بقلبٍ سليم.

فشفاعةُ النَّبيِّ ﷺ لأُمَّته، ثمَّ شفاعةُ غيرِهِ؛ ممَّن يأذنُ اللهُ تعالىٰ لهم بالشفاعةِ في ذلك اليوم العصيب - واللهُ المستعانُ - وهم الملائكة، والنبيُّون، والشُّهداءُ، والصدِّيقون، والصَّالحون، والمؤْمنون.

وأَعظمُ الشَّفاعاتِ في ذلكَ اليوم الرهيب: شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ لأُمَّته:

- شفاعته ﷺ لأَهلِ الموقف لفصلِ القضاء بينهم؛ هي المقام المحمود.
- شفاعته ﷺ لأَهل الجنَّة؛ أَن يدخلوا الجنَّة.
- شفاعته ﷺ لرفع درجات بعض أُمَّته ممَّن يدخلون الجنَّةَ إلىٰ درجاتٍ عليا.
- شفاعته ﷺ لطائفةٍ من أُمَّته يدخلون الجنَّة بغير حساب.
- شفاعته ﷺ في أَقوامٍ قد تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم؛ فيشفع فيهم ليدخلوا الجنَّة، وفي آخرين قد أُمِرَ بهم إلىٰ النَّار أَن لا يدخلوها.
- شفاعته ﷺ في إخراج عصاة الموحِّدين من النَّار؛ فيشفع لهم ﷺ فيدخلون الجنَّة.
- ثم يُخرِجُ الله - تبارك وتعالىٰ - من النَّار أَقوامًا بغير شفاعة؛ بل بفضله ورحمته وكرمه.

٧- رحمةُ اللهِ - الغفور الرَّحيم -؛ وعفوُه، ومغفرتُه، وكرمُه:

عفوُ أَرْحَمِ الرَّاحمين، وتجاوزه عمَّا يستحقون من عبادِهِ المذنبينَ الموحدينَ من العقابِ والعذابِ الأَليم؛ أَهمُّ وأَعظمُ أسبابِ نجاة العبد الموحِّد من نارِ جهنَّم، وعذابه المهين، وفوزه بالجنَّة النَّعيم الدَّائم.

وكلُّ ذلكَ يكونُ بفضلِ اللهِ - تباركَ وتعالىٰ - وحده لا شريك له، وبرحمته الواسعة، ومنِّه العظيم، وكرمه وفضله الجزيل، وإحسانه الكبير؛ من غير شفاعةِ أَحدٍ، والحمد لله رَبِّ العالمين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[٦].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ ربِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨ - ١١٦.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٦.
(٣) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٠.
(٥) سورة الحج، الآية: ٦٠.
(٦) سورة النساء، الآية: ٤٣.

الْيَوْمَ؛ فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ؛ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ؛ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ»(١).

وقالَ ﷺ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ؛ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ»(٢).

وقالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ، وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ؛ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا؛ ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٢).

نسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرش العظيم؛ أن يجعلنا من عباده الصَّالحين العاملين المتَّقين الموحِّدين؛ الذين ينالون رحمتَهُ، وفضلَهُ، وجنَّتَه.

ونسألُهُ - جلَّتْ قدرتُه - أن يعاملنا؛ بلطفه وإحسانه، ويتجاوز عن سيئاتنا يومَ القيامة؛ برحمته وفضله ومنِّه؛ آمين! آمين! ياربَّ العالمين.

---

(١)، (٢) رواهما مسلم في (كتاب التوبة) باب «قبول توبة القاتل وإن كثر قتله».

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الذبائح) باب «الدعوات؛ فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده» وصححه الألباني.

طبقات عصاة الموحدين يوم الدين

فالذي دلَّ عليهِ الكتابُ، والسُّنَّةُ، والإجماعُ من أَقوالِ أئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ: أَنَّ عُصاةَ الموحِّدينَ يومَ القيامة، وإنْ استحقُّوا العقوبةَ؛ فإنَّهم لا يُخلدُّونَ في النَّارِ، وذلكَ بفضلِ اللهِ - جلَّ وعلا - ومنِّهِ وكرمِهِ.

وأَنَّ عُصاةَ أَهلِ التَّوحيدِ يومَ القيامةِ ثلاثُ طبقاتٍ:

الطَّبقةُ الأُولىٰ: قومٌ رجَحَت حسناتُهم بسيِّئاتِهم؛ فأُولئكَ يَدخُلونَ الجنَّةَ من أَوَّلِ وَهْلةٍ، ولا تَمَسُّهم النَّارُ أَبَدًا.

الطَّبقةُ الثَّانية: قومٌ تَساوت حسناتُهم وسيِّئاتُهم، وتكافأَت فقصَّرتْ بهم سيِّئاتُهم عن الجنَّة، وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النَّار، وهؤلاء هُم أَصحابُ الأَعرافِ - في أَصحِّ أَقوال أَهلِ العلم - الذين ذَكَر اللهُ - تبارك وتعالىٰ - أَنَّهم يوقَفونَ بين الجنَّةِ والنَّارِ، ما شاء اللهُ أَن يوقفوا؛ ثمَّ يُؤْذَنُ لهم في دخولِ الجنَّةِ، والحمدُ للهِ.

الطَّبقةُ الثَّالثة: قومٌ لَقُوا اللهَ تعالىٰ مُصرِّينَ علىٰ كبائرِ الإثمِ والفواحش، ومعهم أَصلُ التَّوحيد؛ فرجَحَتْ سيِّئاتُهم بحسناتِهم؛ فهؤلاء مستحقُّون للوعيد، وهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم؛ فمنهم من يشفع له فلا يُعَذَّبُ، ومنهم الذين يدخُلون النَّارَ بقَدرِ ذنوبِهم، فمِنْهُمْ مَن تأخذُه النَّار إلىٰ كعبيه، ومنهم مَن تأْخُذه إلىٰ أَنصافِ ساقَيه، ومنهم

مَن تأْخُذُه إلىٰ ركبتيه، ومنهم مَن تأْخُذُه إلىٰ حِقْوَيْه، ومنهم مَن فوقَ ذلك؛ حتَّىٰ إنَّ منهم مَن لم يحرَّم منه علىٰ النَّار إلاَّ أثرَ السُّجودِ، حرَّم اللهُ علىٰ النَّار أن تأْكُلَ أثرَ السُّجودِ.

وهؤلاءِ هُمُ الَّذين يأْذن اللهُ تعالىٰ بالشفاعة فيهم لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ ولغيرهِ من الأنبياء من بعده، والأولياءِ، والملائكةِ، ومَن شاءَ اللهُ أن يُكرِمَه بها؛ فيَحُدُّ لهم حدًّا فيُخرجهم، ثمَّ يَحُدّ لهم حدًّا فيُخرجهم، ثمَّ هكذا، فيُخرج مَن كان في قلبه وزنُ دينارٍ من خير، ثمَّ مَن كان في قلبه نصفُ دينارٍ من خير، ثمَّ بُرَّةٍ من خير، ثمَّ خردلةٍ، ثمَّ ذرَّةٍ، ثمَّ أدنىٰ من ذلك إلىٰ أن يقولَ الشفعاءُ: (ربَّنا لَمْ نَذَرْ فيها خيْرًا).

ويُخْرِجُ اللهُ تعالىٰ من النَّارِ أقوامًا لا يَعلمُ عدَّتَهم إلاَّ هُو؛ بدون شفاعةِ الشَّافعين، ولن يخلد في النَّار أحدٌ من الموحِّدين، ولو عمِلَ أيَّ عملٍ، ولكن كلُّ مَن كان منهم أعظمَ إيمانًا وأخفَّ ذنبًا كان أخفَّ عذابًا في النَّار وأقلَّ مكثًا فيها وأسرع خروجًا منها، وكلُّ مَن كان أضعفَ إيمانًا وأعظمَ ذنبًا كان بضدِّ ذلك، والعياذ بالله.

وهذا مقامٌ! ضلَّتْ فيه الأفهامُ، وزَلَّتْ فيه الأقدامُ، وهدىٰ اللهُ تعالىٰ الَّذين آمنوا لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنه - سبحانه - واللهُ يهدي مَن يشاء إلىٰ صراطٍ مُستقيم[1].

---

(١) انظر: «معارج القبول» للعلاّمة حافظ بن أحمد الحكمي؛ ج٣، ص١١٩٦. دار ابن الجوزي، بتصرف يسير.

نواقض الإيمان
عند أهل السنة والجماعة

نواقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة

● تعريفاتٌ لا بُدَّ منها:

تعريفُ: النَّاقض، الرِّدة، الكُفر، الشِّرك، النِّفاق، الفسق، الظُّلم، الهوىٰ، الموالاة والمعاداة.

● قواعدُ وضوابطُ في التَّكفير.

* موقف أَهلِ السُّنَّة والجماعة من مسأَلة التَّكفير.

* خطورة تكفير المسلم.

* التفريق بين التَّكفير المطلق والتَّكفير المعيَّن.

* اعتبار الظَّاهر في مسائل الكفر والإيمان.

* الوعد والوعيد.

* تكفير من ثبت كفره.

* ما يمحو الكفر بعد وقوعه علىٰ المعيَّن.

● موانع التكفير:

العجز، الجهل، الخطأ، التأْويل، الإكراه، التَّقليد.

● نواقضُ الإيمان وأَنواعها.

● أَسبابُ تركِ الإيمانِ والإعراضُ عنه.

تعريفاتٌ ضروريةٌ لا بُدَّ منها

أرىٰ مِنَ الضَّروريِّ - أخي المسلم الكريم - قبلَ البدءِ ببيانِ عقيدةِ السَّلفِ الصَّالح - أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - في نواقض الإيمان؛ أَنْ أُبيِّنَ بعضَ المصطلحاتِ، والمفاهيم، والقواعدِ، والأُسُسِ، والضوابطِ العقدية؛ عندهم في بابِ الكُفرِ ومسائله؛ حتىٰ تُعيننا علىٰ فهم هذه النَّواقض، ونسلم من الوقوع في المخلفاتِ الشَّرعيَّة.

وتحديدُ المصطلحاتِ العقديَّةِ؛ أَمرٌ ضروريٌّ، ومهمٌّ جداًّ! لفهمِ عقيدةِ السَّلفِ الصَّالح - أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - قبلَ الخوضِ في أَبوابِهِ وفصولِهِ؛ لأنَّ الأَحكامَ مبنيَّةٌ علىٰ التَّعريفِ الصَّحيح المتفقِ عليهِ عندَ أَهلِ الفنِّ؛ فإذا لَمْ نَفْهَم التَّعريفَ الصَّحيحَ لمصطلحاتِهِمْ وقَواعِدِهِم العَقدِيَّةِ، وبوضوحٍ شاملٍ وكاملٍ؛ فلَنْ نتَّفقَ معهمْ ابتداءً علىٰ فهمِ عقيدَتِهِم.

والاصطلاحُ ضروريٌّ لكلِّ علمٍ؛ كالموضوعِ نفسِهِ سواءً بسواءٍ؛ فلا يمكنُ الخوضُ في أيِّ علمٍ من العلومِ؛ ما لم تُحدَّدْ مسائلُه، ومنهجُه، ومصطلحاتُه، وغايتُه؛ لأنَّ لكلِّ علمٍ من العلومِ؛ مصطلحاتِهِ الخاصَّةَ بهِ التي تعارفَ عليها المختصُّونَ فيه، تدلُّ عليها، وترشدُ إليها، والشُّروعُ في أيِّ علمٍ من العلومِ يتوقَّفُ علىٰ تحديدِ مصطلحاتِهِ تحديداً دقيقًا بيِّنًا؛ حتَّىٰ يمكنَ تمييزُ مسائِلِه من غيرِهِ من العلومِ.

قالَ علماءُ الفنِّ: (إنَّ الاصطلاحَ لغةً: الاتِّفاقُ)[١].

والاصطلاحُ: (هو اتِّفاقُ طائفةٍ علىٰ وضعِ أمرٍ لأمرٍ؛ حتىٰ إذا أُطلقَ انصرفَ إليه)[٢]. و(هو اتِّفاقُ طائفةٍ علىٰ وضعِ اللَّفظِ بإزاءِ المعنىٰ، وقيل: هو إخراجُ الشيءِ عن معنًى لغويٍّ إلىٰ معنًى آخرَ لبيانِ المرادِ)[٣].

الاصطلاحُ في العلومِ الشرعيةِ:

هو ما تعارفَ عليه علماءُ المسلمينَ من الألفاظِ والتَّراكيبِ، في التَّعبيرِ عن مقاصدِهم الشَّرعيَّةِ؛ لكلِّ علمٍ من العلومِ الإسلاميَّةِ.

(والتعبيرُ عن الحقِّ بالألفاظِ الشَّرعيَّةِ النبويَّةِ الإلهيَّةِ؛ هو سبيلُ أئمَّةِ السَّلفِ الصَّالحِ، أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ)[٤].

ومصطلحاتُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ؛ تنقسمُ قسمَيْنِ:

١- المصطلحاتُ العقديَّةُ الشَّرعيَّةُ: هي تلكَ الألفاظُ الجامعةُ المانعةُ الدَّافعةُ للشبهةِ والمزيلةُ للبسِ؛ الَّتي وردَتْ في الكتابِ، والسُّنَّةِ، أو في أقوالِ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، أو لَمْ ترِدْ، ولكنْ دلَّتْ عليها المعاني الصحيحةُ، أو استنبطَها الأئمَّةُ من أصولِ الشَّريعةِ وقواعدِها.

٢- المصطلحاتُ العقديَّةُ الفاسدةُ: هي تلكَ الألفاظُ التي لَمْ ترِدْ في الكتابِ، والسُّنَّةِ، ولا في أقوالِ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، أو هي من ألفاظِ الكتابِ والسُّنَّةِ، ولكنها حُرِّفَتْ واستُعمِلَتْ في غيرِ مواضعِها.

---

(١) «كتاب التعريفات» الجرجاني: ص٢٨.

(٢) «حاشية الباجوري علىٰ ابن قاسم» ج١، ص٢٠.

(٣) «كتاب التعريفات» الجرجاني: ص٢٨.

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» ابن أبي العز: ص٧٠.

● تنبيهٌ مهمٌ! وفائدةٌ عزيزةٌ!:

اعلم! أخي المسلم الكريم؛ علَّمنا الله تعالىٰ وإيَّاك طريق الهداية:

أنَّ من أعظمِ الأُصولِ؛ الَّتي تميَّز بها أهلُ السُّنَّةِ والجماعة – الفرقة النَّاجيَّة والطَّائفة المنصورة – عن سائرِ الفِرَقِ المبتدعة الضَّالة:

*** أنَّ مُسمَّىٰ الإيمانَ عندهم: شُعَبٌ، ومراتبٌ، ودرجاتٌ متفاوتة؛ كما ثبتَ ذلك استنباطًا من الأدلَّة الشَّرعيَّة المرعيَّة المحكمة.**

*** وما يقابل الإيمان ويضادُّه! من الكُفْرِ، والشِّرْكِ، والنِّفاقِ، والفِسْقِ، والظُّلمِ، والهوىٰ؛ كذلك هيَ: شُعبٌ ومراتبٌ ودركاتٌ.**

*** وإنَّ هذهِ المصطلحات: تنقسم – عندهم – باعتباراتٍ متنوعةٍ؛ من حيث حكمها، وبواعثها، وأسبابها، ومن حيث أصلها، أو أنَّها طارئةٌ؛ فتنقسم إلىٰ قسمين: أكبرَ، وأصغرَ.**

فالأكبرُ منه: مخرجٌ من الملَّة؛ لأَنَّهُ شرطٌ في أصل الإيمان.

والأصغرُ منه: غير مخرج من الملَّة؛ لأنَّهُ لم يكون شرطًا في أصل الإيمان.

فهذا التَّقسيم المحكم! مأخوذٌ من الاستقراءِ والتَّأملِ والتَّدبُّر؛ لأنَّ أئمَّةَ أهل السُّنَّة والجماعة الأعلام، والعلماء الشَّريعة العظام؛ لما استقرءوا ما جاءت به النُّصوصُ؛ من الكتاب، والسُّنَّةِ؛ ظهر لهم هذا التَّقسيم الشَّرعيّ البديع.

*** وبهذا التَّقسيم الدَّقيقُ؛ الذي هو قسطاسُ الحقِّ في تنزيل الأحكام الشَّرعيَّة المرعيَّة علىٰ المكلفِ؛ بالقسط والعدل:**

سَلِموا من الوقوعِ في التَّناقضِ، والتَّعميمِ في الحكمِ، والإفراطِ والتَّفريطِ، وكانوا بهذا الميزان الحقِّ؛ امتدادٌ حقيقيٌّ لما كان عليه الصَّحابة الكرام؛ رضي اللهُ عنهم أجمعين.

والإيمانُ عند أَهل السُّنَّة والجماعة؛ كشجرةٍ! أَصلها ثابتٌ في الأَرض، وفروعها في السَّماء؛ فالأَصل إذا ذهب؛ ذهبت الشَّجرة - هو مخرج من الإسلام - والأَغصان إذا قطع؛ نقص من الشَّجرة، ولكنَّ الأَصل باقٍ! أَي: هو غير مخرجٍ من الإسلام! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وبعد هذا التوضيح الموجَزِ؛ نبدأُ بتعريفِ المصطلحاتِ العقديَّة عند أئمَّة السَّلفِ الصَّالحِ - أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - فأقولُ وبالله التَّوفيق:

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤ - ٢٥.

« ١ »

« تعريفُ النَّاقض »

النَّاقضُ في اللُّغة:

الْمُفْسِدُ لِمَا أُبرِمَ مِنْ عَقْدٍ، أَو بناءٍ؛ فهو بمعنىٰ: ناكثِ الشَّيْءِ، ومنشرِ العقدِ، والنَّقضُ ضدُّ الإبرام، ونقضت الحبل نقضًا؛ حَلَلْتُ بَرْمه.

ونقيضكَ؛ هو الذي يخالفك، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴾[٤].

والفرقُ بينَ النَّاقضِ والضدِّ:

فالنَّاقضُ بما يمتنع فيه الارتفاع والاجتماع: مثل إثباتُ الشَّيْءِ ونفيهِ،

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٩١ – ٩٢.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٦.

ومثل الحركة والسُّكون؛ فهذان أَمران متناقضان! لأنَّهما لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فإنْ وجدَ أَحدهما ارتفع الآخر، وإنْ ارتفع وجد الآخر؛ فلا تتصور شيئًا متحركًا وساكنًا في الوقتِ نفسهِ.

أَمَّا الضدَّانِ؛ فيمتنع اجتماعهما! لكن يمكن افتراقهما جميعًا، مثل: الأَبيض والأَسود[١][*].

النَّاقضُ في الاصطلاحِ:

هو الاعتقادُ، أَو القولُ، أَو الفعلُ المكفِّرِ؛ الَّذي يزيل الإيمانَ ويقطَعُهُ، ثمَّ ينتفي بهذهِ الأُمورِ؛ إيمانُ العبدِ ويزوُلُ، ويُخرِجُهُ من دائرةِ الإسلام والإيمان، إلىٰ حظيرةِ الكُفر والرِّدَّة، والعياذُ باللهِ.

أَي: هو إتيان ضدِّ ما عليه الإسلام والإيمان، ويقع ذلك في أَيِّ نوعٍ من أَنواعِ التَّوحيدِ؛ لأنَّهُ إذا أَسلم العبدُ وآمن؛ فلا يكون مسلمًا ومؤْمنًا؛ حتَّىٰ يبرأَ من ضدِّ الإسلام والإيمان، وهو الشِّرك والكفر؛ ثم إذا خالف ذلك؛ فقد جاء بناقض.

وفي «المصطلحِ الفقهيِّ» عند الفقهاء، رحمهُمُ اللهُ تعالىٰ: يُطلق اسمُ المرتدِّ علىٰ الذي يُنْقضُ إيمانُهُ؛ بهذهِ المُكفِّراتِ الثَّلاثَةِ.

وفي كُتبِ الفقهِ؛ بابٌ يُسمَّىٰ: (باب المرتَدِّ وأَحكامِهِ).

---

(١) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب»: ج٧، ص٢٤٢، و«تهذيب اللُّغة» ص٨، ج٣٤٤. و«مصباح المنير»: ص٧٦٢. و«التعريفات»: ص٢٤٥.

(*) فائدةٌ: اعلم! أنَّ المكفرات من الاعتقاد والقول والعمل؛ تَنقُضُ الإيمان وتزيله، أمَّا سائر المعاصي والذُّنوب؛ تُنقِصُ الإيمان ولا تزيله.

«٢»

«تعريفُ الرِّدَّة»

الرِّدَّةُ في اللُّغةِ:

صَرفُ الشيءِ بذاته، أَو بحالةٍ من أَحوالِهِ، يُقالُ: رددته فارْتَدَّ، ويُقالُ: رَدَّهُ: أَي: صَرَفَهُ. وردَّ الشَّيْءَ عليه: لم يقبله منه.

والارتِدادُ والرِّدَّةُ: الرُّجوعُ في الطريقِ الَّذي جاء منه؛ لكن الرِّدَّة تَخْتَصُّ بالكُفرِ، والارتداد يُستعمل فيه وفي غيره، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبارِكُمْ﴾[١]. أَي: لا ترجعوا.

والرِّدَّةُ: اسمٌ من الارتدادِ، وهو التَّحوُّلُ والرُّجوعُ عن الشَّيْءِ إِلىٰ غيرِهِ، ومنهُ الرُّجوعُ عِنَ الإسلام. والمرتدُ: أَي: الرَّاجعُ، وهو الَّذي رجعَ عن دينِهِ، وكَفَرَ بعدَ إِسلامِهِ[٢].

الرِّدَّةُ في الاصطلاحِ:

هي الكُفرُ بعد الإِسلام طوعًا؛ إِمَّا باعتقاد، أَو بفعل، أَو بقول، أَو شكٍّ، أَو ترك؛ يصدر من مسلمٍ عاقلٍ بالغٍ؛ فيخرجه عن دينه، ويهدر دمَهُ ومالَه، ولو كان مازحًا، أَو معاندًا.

والمرتدُ: هو الَّذي يطرأُ عليه الكُفْرُ؛ بعد إِسلامِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.

(٢) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب»: ج٣، ص١٧٢. و«المفردات في غريب القرآن» ص١٩١. و«النهاية في غريب الحديث» ج٢، ص٢١٤.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ؛ فَاقْتُلُوهُ»(٢).

والرِّدَّةُ – عند أهل السُّنَّة والجماعة – نوعانِ:

الرِّدَّة المجرَّدة: وهي الرِّدَّة التي تطرأُ علىٰ الشَّخصِ، ولا يتبعها حربٌ ولا أذىٰ علىٰ الإسلام والمسلمين؛ فالأَصلُ في حكمه أَن يُستتاب قبل أَن يُقتل – كالكافر الأَصلي – فإنْ تابَ وعادَ من كفرِهِ قُبِلَ منه؛ وإلاَّ قُتِل(٣).

الرِّدَّة المغلَّظة: وهي الرِّدَّة التي تطرأُ علىٰ الشَّخصِ، ويتبعها حربٌ وأَذىٰ علىٰ الإسلام والمسلمين؛ فالأَصلُ في حكمه؛ أَنْ لا يُستتاب، ولا تُقبل توبته بعد القدرة عليه – كالزنديق – ويُقتل علىٰ كفرِهِ.

واتَّفق أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّ الرِّدةَ لا تصحُّ إلاَّ من عاقل؛ فأَمَّا مَن لا عقلَ لهُ كالطفل، والمجنون، ومَن زال عقله بإغماءٍ أَو نوم، أَو مرض، أَو شُرْبِ دواءٍ يُباح شربه فلا تَصحُّ ردَّته، ولا حُكمَ لكلامه بغير خلاف(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب «لا يعذب بعذاب الله».

(٣) ومن العلماء من يرىٰ أَنَّهُ لا تُقبلُ توبته في درء حد الرِّدة عنه.

(٤) انظر كتب الفقه: «الأم» للإمام الشافعي، ومختصر المزني بحاشيتها: ج٥، ص١٦٥. وج٦، ص١٤٥ و«نهاية المحتاج» للرملي؛ ج٧، ص٤١٣. و«روضة الطالبين» للنووي؛ ج١٠، ص٦٤. و«قيلوبي وعميرة» ج٤، ص١٧٤. و«المبسوط» للسرخسي؛ ج١٠، ص٩٨. و«بدائع الصنائع» للكاساني؛ ج٩، ص٤٢٨٢. و«فتح القدير» لابن همام؛ ص٦٨٦. و«البحر الرائق» لابن نجيم؛ ج٥، ص١٢٩. و«حاشية رد المحتار» لابن عابدين؛ ج٤، ص٢٣١. و«حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير» ج٤، ص٣٠١. و«بلغة =

«٣»

«تعريفُ الكُفرِ»

• الكُفْرُ في اللُّغةِ :

هو السَّترُ والتَّغطية . يُقالُ لمن غطَّىٰ درعه بثوبه : قد كَفَرَ درعَهُ . والمكَفَّرُ: الرَّجل المتغطِّي بسلاحه .

ويُقالُ : كَفَّرَ الزَّارع البذر في الأَرض : إذا غطَّاهُ بالترابِ .

وسُمِّيَ اللَّيلُ كافرًا لتغطيتهِ كلَّ شيء ، وعلىٰ البحرِ : لسترهِ ما فيه .

ومن هنا جاء تسمية الكفَّاراتِ بهذا الإسم ؛ لأنَّها تُكَفِرُ الذُّنوب ، أَي : تسترها ؛ مثل كفَّارةُ الأَيمانِ ، وكفَّارةُ الظِّهارِ .

والكُفر : ضِدُّ الإيمان ؛ سُمِّيَ بذلك لأنَّه تغطيةٌ للحقِّ .

والكُفر جُحود النِّعمة ، وهو نقيضُ الشُّكر .

والكَافرُ: جاحدٌ لأَنْعُمِ الله تعالىٰ [١] .

= السالك» ج٢، ص٤١٦ . و«فتح العلي المالك» للعليش؛ ج٢، ص٢٨١ . و«المغني» لابن قدامة؛ ج٩، ص٣ . و«الكافي» ج٣، ص١٥٥ . و«المقنع» ج٣، ص٥١٤ . و«مطالب أُولي النهىٰ» ج٦، ص٢٧٥ . و«المبدع في شرح المقنع» ج٩، ص١٧٠ . و«غاية المنتهى» ج٣، ص٣٣٥، و«المحلىٰ» لابن حزم؛ ج١١، ص١٨٨، و«إعلام الموقعين» لابن القيم؛ ج٣، ص١٣١ . و«مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ ج٧، ص٤٧١ .

(١) انظر معاجم اللُّغة : «لسان العرب» ج٥، ص١٤٤ . و«معجم مقاييس اللُّغة» مادة : كفر . و«القاموس المحيط» : فصل الكاف، باب الراء . و«تاج العروس» : ج١٤، ص٥٠ . و«مفردات القرآن» ص٧١٤ . و«المعجم الوسيط» ص٧٩١ .

● **الكُفرُ في الإصطلاحِ:**

هو كلُّ اعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو عملٍ؛ ينافي الإيمانَ، وهو علىٰ شُعَبٍ، ومراتبَ متفاوِتَةٍ.

أَي: هو نَقيضُ الإيمانِ وضدُّهُ، أَو هو: عدمُ الإيمانِ.

والإيمانُ: هو الإقرار التَّام ظاهرًا وباطنًا؛ بما جاء به الرَّسولُ ﷺ من الإيمان باللهِ، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدَرِ خيرِهِ وشَرِهِ، والعملُ بهِ ظاهرًا وباطنًا. أَي: هو جميعُ الطَّاعاتِ الباطنةِ والظَّاهرةِ.

والكُفرُ: هو ما يناقض هذا الإيمان؛ من اعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو عملٍ.

والكُفرُ في الأَصلِ: هو الكُفر بالله - جلَّ في عُلاه - وعدمُ الإيمانِ بهِ - سبحانه وتعالىٰ - أَو عدم الإيمان بما جاءَ بهِ رَسُوله ﷺ من التَّشريعِ والحكمِ، أَو إنكار شيءٍ من ذلك، أَو إنكار بعضه، أَو الإيمان ببعضه دون بعض؛ سواء كان معه تكذيب، أَو لم يكن معه تكذيب؛ بل مجرَّد شكٍّ وريْبٍ، أَو توقُّفٍ، أَو إعراضٍ، أَو حَسَدٍ، أَو كِبْرٍ، أَو بُغْضِ الدِّين، أَو بُغْضِ الرَّسول ﷺ أَو سبِّه، أَو عداوَتِه، أَو اتِّباعٍ لبعض الأَهواء الصَّادَّة عن اتِّباعِ حُكمِ اللهِ سبحانه تعالىٰ.

ويقعُ الكُفر: باعتقادِ القلبِ، وبالفعلِ، وبالقولِ، وبالشَّكِ، وبالتركِ.

إذن! الإيمان والكُفر نقيضان؛ لا يجتمعان أَلبَتَّةَ! ولا يتفقانِ أَبدًا!

فمتىٰ وُجد أَحدُهُما؛ انتفىٰ الآخر علىٰ فور!

ومن المقرَّرِ في المعقول: أَنَّ النَّقيضين لا يجتمعان، ولا يرتفعان.

● والكُفْرُ ذُو أُصُولٍ، وشُعَبٍ مُتفاوتَةٍ:

فمنَ الكُفْرِ ما يُوجبُ الخروجَ من ملَّةِ الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك؛ لأنَّ الكُفرَ في لسانِ الشَّرعِ كفرانِ: الأكبر والأصغر.

فَيَرِدُ ذكر الكُفرِ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة؛ مرادًا به - أحيانًا - الكُفر الأكبر، أي المخرجُ عن الملَّة، وأحيانًا الكُفر الأصغر غير المخرج عن الملَّة.

وذلكَ أنَّ للكُفرِ شُعَبًا كما أنَّ للإيمانِ شُعَبًا، وكما أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، فكذلك الكُفر قولٌ وعمل. والمعاصي والذُّنوبُ؛ كلُّها من شُعبِ الكُفر، كما أنَّ الطَّاعاتِ والحسناتِ؛ كلُّها من شُعبِ الإيمان.

وحقيقةُ الكُفرِ إذا أُطلقَ في النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ؛ فينحصرُ في الكفر الأكبرِ المخرج من الملَّةِ، إلاَّ إذا جاءَ النَّصُّ مُقيدًا علىٰ الكُفرِ الأصغر.

ومن أُصولِ عقيدةِ أهل السُّنَّةِ والجماعَةِ:

أنَّهُ مِنَ المـمكنِ أنْ يجتمعَ في العبدِ الإيمان، وبعضُ شُعبِ الكُفر أو النِّفاق الَّتي لا تنافي أصلَ الإيمان وحقيقتَه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾[1](*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2](**).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧. (٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (استدلوا به علىٰ أنَّ الشخص قد تتقلب به الأحوال؛ فيكون في حالٍ أقربَ إلىٰ الكفر، وفي حالٍ أقرب إلىٰ الإيمان). وقال العلاَّمة ابن سعدي - رحمه الله - في هذه الآية: (وفي هذه الآيات دليلٌ علىٰ أنَّ العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلىٰ أحدهما أقرب منه إلىٰ الأُخرىٰ).

(**) قال الإمام ابن القيِّم - رحمه الله - في هذه الآية: (أثبت لهم الإيمان به مع مقارنته =

● والكُفَّارُ في حُكمِ الشَّرعِ صنفان:

الصنفُ الأوَّلِ: كفَّارٌ أَصليُّونَ؛ أَي الذينَ لم يدخُلُوا في دينِ الإسلامِ أَصلاً، وهُم: الدَّهريون، والفلاسفةُ، والمشركون، والمجوسُ، والوثنيُّون، وأَهلُ الكتابِ من اليهود والنَّصارىٰ، وغيرهم من أُمم الكُفر؛ فهؤلاء قد دلَّ علىٰ كُفرهمُ الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ، وموتاهُم مُخلَّدون في النَّار، ويَحرمُ عليهم دخولُ الجنَّة، وأَمرُهُمْ معلومٌ من الدِّينِ بالضَّرورةِ.

فهؤلاء الكفَّار؛ يجب علىٰ المسلمين دعوتهم إلىٰ الإسلام حتىٰ يستجيبوا؛ فإن لم يستجيبوا، وجبَ قتالُهم متىٰ استطاعوا ذلك؛ حتىٰ يدخلوا في الإسلام، أَو يدفعوا الجزيةَ وهم صاغرون، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

الصنفُ الثَّاني: المرتدُّونَ؛ الذينَ ينتسبونَ إلىٰ الإسلام، ولكن يصدُرُ منهُم اعتقادٌ، أَو فعلٌ، أَو قولٌ، يُناقضُ إسلامهُم؛ فيُكفَّرونَ بذلك، وإنْ قاموا ببعضِ شعائرِ الإسلامِ؛ كالباطنيَّةِ ومَن في حكمهم، وغُلاةِ الشيعَةِ، والقاديانيَّةِ، ونحوهم.

= الشرك؛ فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسوله، لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله، وإن كان معه تصديق لرسله، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم عن الإيمان بالرسل واليوم الآخرة؛ فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر) «مدارج السالكين» ج١، ص٢٨٢.

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

● والكُفرُ في الشَّرعِ نوعانِ: كفرٌ أكبر، وكفرٌ أصغر:

■ النوع الأَول: كفرٌ أكبرُ مُخرجٌ من الملَّةِ:

هو ما يناقضُ الإيمانَ، ويُبطلُ الإسلامَ، ويُوجبُ الخلودَ في النَّارِ.

ويقعُ بالاعتقادِ، وبالقولِ، وبالفعلِ، وبالشَّكِّ والرَّيبِ، وبالتَّرك، وبالإعراض، وبالاستكبار.

ولهذا الكُفرِ أنواع كثيرة؛ مَن لقيَ اللهَ تعالىٰ بواحدٍ منها لا يُغفر لَهُ البتَّة، ولا تنفعه الشَّفاعة يوم القيامةِ، ومن أهمها:

١- كُفرُ الإنكارِ والجُحودِ والتَّكذيبِ:

هو الكُفرُ الذي يكونُ ظاهرًا وباطنًا، مثل: اعتقادِ كَذِبِ الرُّسُلِ، وأَنَّ إخبارهُم عن الحقِّ بخلافِ الواقع، أَو ادِّعاءِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جاءَ بخلافِ الحقِّ، وكذلك مَن ادَّعىٰ أَنَّ اللهَ تعالىٰ حرَّم شيئًا أَو أَحلَّه مع علمهِ بأَنَّ ذلكَ خلافُ أَمرِ اللهِ ونهيهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًىٰ لِّلْكَافِرِينَ﴾(١).

٢- كفرُ الإباءِ والاستكبارِ مع التَّصديقِ:

هو عدمُ الانقيادِ والإذعانِ لرَسُولِ اللهِ ﷺ ظاهرًا مع العلم بهِ ومعرفتهِ باطنًا، وذلكَ بأَنْ يُقرَّ أَنَّ ما جاءَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ حقٌّ من ربِّهِ؛ لكنَّهُ يرفُضُ اتِّباعَهُ؛ أَشرًا، وبَطرًا، واحتقارًا؛ للحقِّ وأَهلِهِ: ككفرِ إبليسَ؛ فإِنَّهُ لم يجحدْ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

أمرَ اللهِ تعالىٰ ولم يُنكرهُ، ولكن قابلَهُ بالإباءِ والاستكبارِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾[١].

٣- كفرُ الشَّكِّ:

الشَّكُّ: هو ضدُّ اليقينِ. وحالهُ بأَنْ لا يجزمَ صاحبهُ بصدقِ النَّبيِّ ﷺ ولا كذبهِ؛ بَلْ يشُكُّ في أمرهِ، ويترَدَّدُ في اتِّباعهِ؛ إذ المطلوبُ شرعًا هو اليقينُ التَّامُّ بما جاءَ بهِ الرَّسُول ﷺ من ربِّهِ حقٌّ، لا مِرْيَةَ فيهِ.

فمَنْ تَرَدَّدَ في اتِّباعِ مَا جاءَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ، أو جوَّزَ أن يكونَ الحقُّ خلافهُ، أو ظنَّ ذلكَ؛ فقد كفَرَ كُفرَ شكٍّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[٢].

٤- كُفرُ الإعراضِ:

بأَن يُعرِضَ العبدَ بسمعهِ وقلبهِ عمَّا جاءَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ؛ فلا يصدِّقُ ذلكَ ولا يكذِّبُهُ، ولا يُواليه ولا يُعاديه، ولا يُصغِي إلىٰ ما جاءَ بهِ، ويتركُ الحقَّ لا يتعلَّمه ولا يعمَلُ به، ويَهْرُبُ من الأماكنِ التي يُذكَرُ فيها الحقُّ؛ فهو كافرٌ كُفرَ إعراضٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[٣].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

٥- كفرُ النِّفاق:

هو إظهارُ الإسلامِ والخيرِ، وإبطانُ الكُفرِ والشَّرِ.

أَي: هو مخالفةُ الباطنِ للظَّاهرِ، وإظهارُ القولِ باللِّسانِ، أَو الفعلِ؛ بخلاف ما في القلبِ من الاعتقادِ.

والمنافقُ: يخالفُ قولُهُ فِعْلَهُ، وسرُّهُ علانيتَهُ؛ فهو يدخُلُ الإسلامَ من بابٍ، ويخرُجُ من بابٍ آخرَ، أَي: يدخلُ في الإسلامِ ظاهرًا، ويَخرجُ منه باطنًا؛ فهذا هو النفاقُ الأكبرُ، قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾(١).

٦- كُفرُ السَّبِّ والاستهزاءِ:

هذا النوعِ من الكُفرِ يقعُ بالاستهزاءِ، أَو الانتقاصِ، أَو السَّبِّ، أَو السُّخريةِ؛ بشَيْءٍ من دينِ الإسلامِ العظيمِ، ممَّا هو معلومٌ من الدِّينِ بالضَّرورةِ؛ سواءً كان الشَّخصُ هازلاً، أَو لاعبًا، أَو مُجاملاً للكفَّارِ، أَو في حالِ المشاجرَةِ، أَو في حالِ الغضَبِ، ونحوها؛ فقد أَجمعَ الأئمَّةُ قاطبةً علىٰ كُفرِ فاعلِهِ وقائلِهِ، قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.

٧- كُفرُ البُغْضِ:

هذا النوعِ من الكُفرِ يقعُ بكُرْهِ دينِ الإسلام، أو بُغضِ شيءٍ من أحكامِهِ، أو شيءٍ من شرعِ اللهِ تعالىٰ المنزَّلِ، أو كُرْهُ نبيِّ الإسلام محمَّد بن عبد الله ﷺ، أو ما جاء به من الشَّرعِ، أو شيءٍ من ذلك، أو تمنَّىٰ أنَّه لم يكُن هذا الدِّين، أو هذا الرَّسُولِ، أو هذه الأحكام الشَّرعيَّةِ، أو كُره شيءٍ ممَّا أجمَعَ عليه أهلُ العلمِ؛ بأنَّهُ من الدِّين.

لأنَّ البُغض والكُره؛ ضد التَّعظيم، والتَّعظيمُ معناهُ: القبولُ والانقيادُ والتَّسليمُ لشيْءٍ بالمحبَّةِ، والمحبَّةُ: شرطٌ من شروطِ «لا إله إلاَّ الله» إذًا هيَ شرطٌ من شروطِ التَّعظيم، ومن شروطِ الإسلامِ؛ تعظيم هذا الدِّين، ومن تعظيمِ هذا الدِّينِ محبَّتَهُ، ومحبَّةَ اللهِ تعالىٰ، ومحبَّةَ رَسُولِهِ الأمين محمَّد بن عبد الله ﷺ، ومحبَّةَ ما أنزلَ اللهُ تعالىٰ من شرعِهِ الحكيم من أوامرِهِ ونواهيهِ، ومحبَّةَ أوليائهِ المتقينَ الصَّادقين الصَّالحين.

والبُغض؛ يناقضُ كلَّ هذا؛ فيناقضُ المحبَّةَ والقبولَ والانقيادَ والتَّسليمَ، ويزيدُ العداوةَ والكراهيةَ للحقِّ ولأوليائِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

● وهذهِ الأنواعُ منَ الكُفرِ؛ مُوجبَةٌ للخُلُودِ في النَّارِ، ومُحبطَةٌ لجميعِ الأعمالِ؛ إذا ماتَ صاحبُها عليها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[2].

---

(١) سورة محمَّد ﷺ، الآية: ٩.

(٢) سورة البينة، الآية: ٦.

■ **النوعُ الثَّاني: كُفرٌ أَصغَرُ غيرُ مُخرجٍ من المِلَّةِ:**

هو ما لا يناقِضُ أصلَ الإيمانِ؛ بل يُنقِصُهُ ويضعفُهُ، ولا يسلُبُ صاحبَهُ صفةَ الإسلامِ وحصانتهِ، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: «كفرٌ دون كفر» ويكونُ صاحبُهُ علىٰ خطرٍ عظيمٍ من غضب اللهِ تعالىٰ، ومتعرضًا للوعيدِ إذا لم يَتُبْ منهُ؛ وقد أطلقَهُ الشَّارعُ علىٰ بعضِ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ سبيلِ الزَّجرِ والتَّهديدِ؛ لأنَّها من خِصَالِ الكُفرِ، وهي لا تَصلُ إلىٰ حَدِّ الكُفر الأكبرِ، وما كانَ من هذا النَّوع؛ فهو من كبائرِ الذُّنوبِ والمعاصي.

وصاحبُهُ في الآخرةِ؛ تحت مشيئةِ اللهِ تعالىٰ؛ إنْ شاءَ عذبَهُ، وإنْ شاءَ عفا عنهُ، أي: هذا النوعُ من الكُفرِ مُقْتَضٍ لاستحقاقِ الوعيدِ والعذابِ دون الخلودِ في النَّارِ، وصاحبُ هذا النوعِ ممَّن تنالُهم شفاعةُ الشَّافعين.

ولهذا النَّوعِ من الكُفرِ صورٌ كثيرةٌ، منها:

١ – كفرُ النِّعمةِ:

فسببُ الكُفر فيه؛ هو الانشغالُ بالنِّعمةِ عن واهبها، أو عدم القيام بحقِّها علىٰ الوجهِ الشَّرعيِّ، وذلكَ بأَنْ لا يعترفَ العبدُ بنعمَةِ اللهِ تعالىٰ عليهِ، أو بنسبُ هذه النعمةِ إلىٰ غيرِ اللهِ – جلَّ في عُلاه – بلسانِهِ دونَ اعتقادِهِ، أو يُنْكِرَ معروفًا أسداه إليه أحد العباد، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

كقولِ الرَّجلِ: هذا مالي ورثتُهُ عن آبائي علىٰ سبيلِ إسنادِ النِّعمَةِ إلىٰ آبائِهِ، أو قولِ أحدِهم: لولا فلانٌ لم يكن كذا، وغيرها ممَّا هو جارٍ علىٰ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣.

أَلسنةِ كثيرٍ من عوامِ النَّاسِ، والمرادُ أنَّهم ينسبونه إلىٰ أُولئك، مع علمهم أنَّ ذلك كانَ بتوفيقِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ.

ومن ذلك - أيضًا - تسميةُ الأبناءِ بعبدِ الحارثِ، وعبدِ الرَّسُول، وعبد الحسينِ، ونحوها؛ لأنَّه عَبَّدَه لغيرِ اللهِ تعالىٰ، معَ أنَّهُ يعلمُ أنَّ اللهَ تعالىٰ هو الذي خالقَهُ وأنعمَ عليه (*).

٢- كفرانُ العشيرِ والإحسان:

فعن ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«أُريتُ النَّارَ؛ فإذا أكثَرُ أهلِهَا النِّساءُ، يَكْفُرنَ». قيل: أيكفرن بالله!

قال: «يَكْفُرنَ العَشير، وَيَكْفُرنَ الإحْسَانَ؛ لو أَحْسَنْتَ إلىٰ إحْداهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَط»(١).

٣- الحلفُ بغيرِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

الحلف بغيرِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - من الكفرِ الأصغرِ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ:

«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ، أو أَشْرَكَ»(٢).

وانعقدَ إجماعُ أهلِ السُّنَّة والجماعة علىٰ أنَّ هذا النوعِ من الشِّركِ

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «كفران العشير، وكفر بعد كفر».

(٢) «رواه الترمذي في (كتاب الأيمان) باب «في كراهية الحلف بغير الله» وصحَّحه الألباني.

(*) تنبيهٌ مهمٌّ! اعلم أنَّ كُفرَ النِّعمةِ؛ يمكنُ أن يتحول إلىٰ الكفرِ الأكبرِ المخرج من الملَّة، وذلك إذا جحدَ العبدُ واهبَ النِّعمةِ وفضله عليه، ويرد الفضل لنفسه وجهده من دون اللهِ تعالىٰ، كما أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حال قارونَ، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٧٨ - ٨٢].

والكُفرِ في النُّصوصِ؛ هما من النوع الأصغر الذي لا يخرجُ صاحبَه من الإسلام، ما لم يُعَظِّم المحلوف به في قلبِ الحالِف؛ كعظمةِ اللهِ تعالىٰ.

ولكنَّ الحلفَ بغير اللهِ تعالىٰ في حُكم الشَّرعِ؛ حرامٌ ومنكرٌ بالإجماعِ؛ فلا يجوز الحلف بغير اللهِ - جلَّ وعلا - كائنًا مَن كان؛ فمنها أنَّهُ لا يجوز الحلف بالنَّبِيِّ ﷺ ولا بالكعبةِ، ولا بالأمانةِ، ولا بحياةِ أحدٍ ولا بشرف فلان، وكل هذا لا يجوز البتَّة؛ لأن الأحاديث الصَّحيحة دلتْ علىٰ منع ذلكَ منعًا باتًا، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَلاَ مَنْ كَانَ حَالِفًا؛ فَلاَ يَحْلِفْ إِلاَّ بِاللهِ»[١].

وقالَ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ؛ فَلَيْسَ مِنَّا»[٢].

وقالَ ﷺ: «لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلاَ بِالأَنْدَادِ، وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ تَحْلِفُوا بِاللهِ؛ إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»[٣].

وقالَ ﷺ: «أَلاَ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ؛ مَنْ كَانَ حَالِفًا! فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ»[٤].

٤- قتالُ المسلمِ:

لقول النَّبِيِّ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٥].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب المناقب) باب: «أيام الجاهلية».
(٢) رواه أبو داود في (كتاب الأيمان) باب «في كراهية الحلف بغير الله» وصحَّحه الألباني.
(٣) رواه أبو داود في (كتاب الأيمان) باب «في كراهية الحلف بالآباء» وصحَّحه الألباني.
(٤) رواه البخاري في (كتاب الأيمان والنذور) باب: «لا تحلفوا بآبائكم».
(٥) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر».

وقولُهُ ﷺ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[١]. فهذا النوع من الكُفر غيرُ مخرجٍ من الملَّةِ باتِّفاقِ الأئمَّةِ؛ لأنَّ المتقاتلين لم يفقِدوا صفات الإيمان، لقول اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٢].

٥ - الطَّعنُ في النسبِ، والنِّياحةُ علىٰ الميِّتِ:

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ»[٣].

٦- الانتسابُ إلىٰ غيرِ الأَب:

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ! فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ؛ فَهُوَ كُفْرٌ»[٤].

وقالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لِغَيرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إلاَّ كَفَرَ، ومَنِ ادَّعَىٰ قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٥].

● وأنواعُ الكُفر الأَصغر كثيرةٌ يتعذَّرُ حَصْرُها؛ فكلُّ ما جاءت به النُّصُوصُ الشَّرعيَّةُ من تسميته كفرًا، ولم يصل إلىٰ حدِّ الكُفر الأَكبر، أَو النِّفاقِ الأَكبر، أَو الشِّرك الأَكبر، أَو الفسق الأَكبر، أَو الظُّلم الأَكبرِ؛ فهو كفرٌ أَصغر.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارًا».

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «إطلاق اسم الكفر علىٰ الطعن في النسب والنياحة».

(٤)، (٥) رواه البخاري في (كتاب الفرائض) باب «مَن ادعىٰ إلىٰ غير أبيه».

« ٤ »

« تعريف الشِّرك »

● الشِّرْكُ في اللُّغةِ:

هو المقارنةُ وخلافُ الانفرادِ، ويُطْلَقُ علىٰ المعاني الآتية:

المُخالطَةُ، والمُصاحبَةُ، والمشاركَةُ.

والمشاركَةُ: هو أَنْ يكونَ الشَّيْءُ بينَ اثنين لا ينفردُ بهِ أَحدهما؛ فتقول: شاركْتُه في الأَمر، وشركته فيه أَشركته شركًا، ويأْتي شركة، ويقال: أَشركته، أَي: جعلته شريكًا[١].

الشِّرْكُ في الاصطلاحِ:

هو اتِّخاذُ الندِّ معَ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - سواءً كان هذا الندُّ في الربوبيَّة، أَو في الأُلوهيَّة، أَو في الأَسماءِ والصفات، أَي: جعلُ شريكٍ مع الله في توحيدِهِ، ولذا يكون الشِّركُ ضدَّ التَّوحيدِ، كما أَنَّ الكُفرَ ضدُّ الإيمان، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

والشِّركُ لا يتوقَّف علىٰ أَن يعدِلَ العبدُ أَحدًا باللهِ تعالىٰ فقط! بل إِنَّ حقيقةَ الشِّركِ أَن يأْتيَ العبدُ أَعمالاً هي من العبوديَّةِ التي خصها الله تعالىٰ لذلته، ويصرفها لغيره سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب»: ج٧، ص٩٩. و«تاج العروس» ج٧، ص١٤٨. و«تهذيب اللُّغة» ج١٠، ص١٧. و«معجم مقاييس اللُّغة» ج٣، ص٢٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

وغالبُ الشِّرك - عند النَّاس - يقع في هذا النوع، أَي: هي في توحيد الأُلوهيَّةِ؛ كالشَّخصِ الذي يدعو مع اللهِ - تبارك وتعالىٰ - غيرَهُ، أَو يَصرفُ له شيئًا من أَنواعِ العبادةِ، كالذَّبحِ، والنَّذرِ، والخوفِ، والرَّجاءِ، والمحبَّةِ، والخشيَةِ، والإنابةِ، والدُّعاءِ، والتَّوبةِ، والتَّعظيمِ والإجلالِ، والاستعانَةِ، والطَّاعَةِ، والتَّوكُّلِ عليه، واعتقادِ أَنَّ غيره - سبحانه - حاضرٌ وناظرٌ في كلِّ مكانٍ، وإثباتُ التَّصرفِ لَهُ، وغيرها.

● والشِّركُ أَعظمُ الذُّنوبِ إطلاقًا؛ لأَنَّه تشبيهُ المخلوقِ بالخالقِ في خَصائصِهِ؛ ومن الخصائص الإلهية:

* الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه.

* التفرُّد بِمِلْكِ الضَّرَرِ والنفعِ والعطاءِ والمنعِ.

* العبوديَّةُ المطلقةُ له، بأَن تكونَ العبادةُ كلُّها له وحده لا شريكَ لَهُ، مع غاية الانقياد والتَّسليم والحبِّ والذُّلِّ.

● فمَن أَشركَ مع اللهِ تعالىٰ أَحدًا؛ فقد شبَّهه به - سبحانه - وهذا من أَقبح التَّشبيه: تشبيهُ هذا العاجز الفقير بالذَّات؛ بالقادر الغنيِّ بالذَّات.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

والظُّلمُ: هو وضعُ الشَّيْءِ في غيرِ موضعِهِ.

● فمَن عَبَدَ غيرَ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - فقد وَضَعَ العبادةَ في غيرِ موضعها، وصرَفَها لغير مُستحقِّها، وهذا من أَعظمِ الظُّلمِ.

● واللهُ تعالىٰ يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا إلاَّ الشِّركَ؛ لمن لم يَتُبْ منه.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

قالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[١].

● والشِّركُ يُحْبِطُ جميعَ الأعمالِ، واللَّهُ تعالىٰ لا يقبَلُ من المشركِ عملاً، وما عَمِلَه من أعمالٍ سابقةٍ تكون هباءً منثورًا، قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢]. وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[٣].

● والمشرِكُ حُرِّمَتْ عليهِ الجنَّة، وهو مُخَلَّدٌ في النَّارِ، والعياذُ باللَّهِ.

قالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٤].

● والمشركُ حلالُ الدَّمِ والمالِ، قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥].

● والمشركُ إذا ماتَ؛ فلا يُغسَّلُ، ولا يُكفَّن، ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمين، وإنَّما يُحْفَرُ له حفرةٌ بعيدةٌ عن النَّاس، ويُدفَنُ فيها! ولا كرمة له!

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٥.

والشِّركُ في الشَّرعِ نوعانِ: شركٌ أكبرُ، وشركٌ أصغرُ.

● الشِّرْكُ الأكبرِ: هو بمعنىٰ الكُفر الأكبر؛ يُحْبِطُ جميعَ الأعمال، ويُخرِجُ صاحبَهُ من الإسلام، ويخلِّدُهُ في النَّارِ، إذا ماتَ عليه، ولم يَتُبْ منه، ولا تَنفعه شفاعةُ الشَّافعين يومَ القيامة.

والشِّركُ الأكبرِ: هو صرفُ شيءٍ من العبادة لغير الله تعالىٰ؛ كدعاء غير الله، ومحبَّة غيره تعالىٰ كمحبَّته، والخوف من غيره تعالىٰ، والاعتقاد بأنَّ غيره يضرُّ وينفع، أو التَّسويةِ بين الله وغيره في الخشية، والتقرُّب بالذَّبائح والنُّذورِ لغيرِ الله، والتَّوكُّلِ علىٰ غير اللهِ؛ فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالىٰ، والاعتقادُ بقدرةِ الأنبياءِ والصَّالحين والأولياءِ علىٰ التَّصرُّفِ في الكون مع اللهِ تبارك وتعالىٰ.

وكذلك طاعةِ غيرِ اللهِ تعالىٰ في الحكمِ والتَّشريع؛ بأَنْ يتخذَ مشرعًا لَهُ سوىٰ اللهِ تعالىٰ، أو شريكًا للهِ في التَّشريعِ؛ يرتضىٰ بحكمهِ، ويدين به في التَّحليلِ والتَّحريمِ؛ سوءًا كانت هذه من جنسِ التَّحاكم إلىٰ القوانين وضعية، أو العادات القبلية، أو نحو ذلك.

إلىٰ غير ذلك من العباداتِ التي يجب أَن تُصْرَفُ للهِ تعالىٰ وحده لا شريكَ لَهُ، لهُ الحمدُ، وله الملكُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

والشِّركُ الأكبرِ ثلاثة أقسام:

١- الشِّركُ في ربوبيةِ اللهِ تعالىٰ: هو جعل شريكٍ للهِ تعالىٰ في الملك، أو التَّدبير، أو الخلق، أو الرِّزق، وغيرها من خصائصِ الرَّبِّ جلَّ وعلا.

٢- الشِّرك في أُلوهية الله تعالىٰ: هو اعتقاد أنَّ غير الله - عزَّ وجلَّ - يستحقُّ أن يُعبد، أو صَرْفُ شيءٍ من العبادة لغير الله تبارك وتعالىٰ.

٣- الشِّرك في أَسماء الله تعالىٰ وصفاته: هو جعل مماثل لله تعالىٰ في شيء من أسمائه أو صفاته أو وصفه - سبحانه - بشيءٍ من صفات خلقه.

فمَن سمَّىٰ غير الله تعالىٰ؛ باسمٍ من أَسمائه؛ معتقداً اتصافَ هذا المخلوق بما دلَّ عليه هذا الاسم ممَّا اختصَّ الله تعالىٰ به، أو وَصَفَهُ بصفةٍ من صفاته - سبحانه - الخاصة به؛ فهو مشركٌ بالله تعالىٰ في أسمائه وصفاته.

وكذلك مَن وصَفَ الله - تبارك وتعالىٰ - بشيءٍ من صفات المخلوقين؛ فهو مشركٌ بالله تعالىٰ في الصِّفات.

فهذِهِ ثلاثةٌ أنواعٍ من الشِّركِ الأكبرِ؛ الذي يرتد به فاعله، أو معتقده عن ملَّةِ الإسلامِ؛ فإذا مات علىٰ هذا النوع من الشِّرك!

فلا يُصلىٰ عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله؛ بل ماله يكون لبيتِ مالِ المسلمين، ولا تُؤكل ذبيحته، ويحكم بوجوب قتله، ويتولىٰ ذلك ولي أَمر المسلمين؛ إلاَّ أنَّهُ يستتاب قبل قتله؛ فإن تابَ؛ قبلت توبته، ولم يقتل، وعومل معاملة المسلمين.

● **الشِّرْكُ الأَصغرِ**: هو ما وَرَدَ في النُّصُوصِ الشَّرعيَّة من تسميةِ بعض الذُّنوب شركًا، ولم يصلْ إلىٰ حدِّ الشِّرك الأكبر، ولكنه ذريعةٌ خطيرةٌ إليه، ووسيلةٌ للوقوع فيه، وهو أَعظمُ وأكبرُ من الكبائرِ.

وهذا النَّوْعُ من الشِّركِ؛ لا يُخرجُ صاحبَهُ من الإسلام، ولا يَنفي عنه أَصلَ الإيمان، ولكن يُنافي كمالَه الواجب.

وحكمه: أَنَّه إذا مات عليه، ولم يتب منه؛ فهو تحت المشيئة، وأَمرُهُ إلىٰ الله تعالىٰ، إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه، ولو عُذِّب لا يُخلَّد في النَّار، وتنالُه شفاعةُ الشافعين بإذن الله تعالىٰ.

والشِّركُ الأَصغرُ قسمان:

القسم الأَول: شركٌ باللِّسان والجوارح، وهو أَلفاظٌ وأَفعال:

فالأَلفاظُ: كالحلفِ بغير الله، وقول: ما شاء الله وشِئْتَ! ويجوز أَن يُقال: ما شاء الله ثمَّ شاء فلان، والأَفضل أَن يقال: ما شاء الله وحده.

ومنه التَّسْمِيَةُ: بملكِ الملوكِ، أَو قاضي القضاة، والتعبيدُ لغير الله تعالىٰ؛ كتسمية الشخص بعبد النَّبي، وعبد الحسين، وغيرها.

والأَفعال: كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أَو دفعه، وتعليق التمائم خوفًا من العين، والتطيُّر والتَّشاؤُمُ من أَشياءٍ عند رؤيتها أَو سماعها، والامتناعِ عنِ العملِ المَنويِّ فعلُه بسبب ذلك التَّشاؤُم.

وغيرها من الأَعمال التي تخالفُ الشَّرع، وهي من الشِّرك.

القسم الثاني: شركٌ خَفِيٌّ، وهو شركُ النيَّة، أَي: يقصُدُ بعمله الرِّياء والسُّمعة، وإرادةَ الدُّنيا ببعض الأَعمال.

«٥»

«تعريفُ النِّفاقِ»

• النِّفاقُ في اللُّغةِ:

هو مأْخوذٌ من النَّفَقِ، وهو السَّرَبُ في الأَرضِ الَّذي يُستترُ فيه؛ سُمِّيَ النفاق بذلك؛ لأَنَّ المنافق يستر كُفره ويغيبه.

وقيل: إنَّه مأخوذٌ من نافقاءِ اليَرْبُوعِ، وهو: بابُ جُحرِهِ؛ لأَنَّه في ظاهره أَرضٌ مستوية وباطنُهُ حفرةٌ قد أَعَدَّها اليربوعُ للتخلُّص من الخطَرِ وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أَن يخدع الصيَّاد؛ فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يُبْطِن (١).

• النِّفاقُ في الاصطلاحِ:

هو إظهارُ الإسلامِ والخيرِ، وإبطانُ الكُفرِ والشَّرِ، أَي: هو مخالفةُ الباطن للظاهر، وإظهار القول باللِّسان أَو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد وهو إظهار متابعة ما جاء به الرَّسولُ ﷺ مع إبائه وجَحْدِهِ بالقلب.

والمنافق: يخالفُ قولُهُ فعلَهُ، وسرُّهُ علانيتَهُ؛ فهو مظهرٌ للإيمان ومبطنٌ للكُفر، أَي: فهو يدخلُ الإسلامَ من بابٍ، ويخرجُ من بابٍ آخرَ، ويدخلُ في الإيمانِ ظاهرًا، ويَخرجُ منهُ باطنًا.

---

(١) انظر معاجم اللُّغة (مادة: نفق): «لسان العرب» ج١٠، ص٣٥٨. «تاج العروس» ج١٣، ص٤٦٣. و«معجم مقاييس اللُّغة» ج٥، ص٤٥٤. و«مفردات القرآن» ص ٨١٩.

والنِّفاقُ: هو مصطلحٌ شرعيٌّ لم تعرِفْهُ العربُ بهذا المعنىٰ الخاصِّ، وإن كانَ أَصلُهُ الذي أُخذَ منهُ في اللُّغةِ معروفًا [١].

قالَ اللّٰهُ - تباركَ وتعالىٰ - عَنِ المنافقينَ في كتابِهِ العزيزِ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ۝١٧ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ۝١٨ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝١٩ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[٤].

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج١٠، ص٣٥٩. و«مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية: ج٧، ص٣٠٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٤) سورة التوبة، الآيات: ٦٤- ٦٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[٢].

ولهذا قد جعَلَ اللهُ تعالىٰ المنافقينَ شرًّا مِنَ الكافرينَ، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٣].

وذلكَ لأنَّ النِّفاقَ داءٌ عُضالٌ، وانحرافٌ خلقيٌّ خطيرٌ في حياةِ الأفرادِ، والمجتمعاتِ، والأُمم؛ فخطرهُ عظيمٌ، وشرهُ جسيمٌ، وشُرورُ أَهلِهِ كثيرةٌ، وتبدُو خطورتُهُ الكبيرةُ حينما تظهرُ آثارُهُ المدمرةُ علىٰ الأُمَّةِ كافةً؛ إذ يقوم بعملياتِ الهدمِ الشَّنيعِ من الداخلِ، بينما صاحبهُ آمنٌ لا تُراقبهُ العُيونُ، ولا تحسبُ لَهُ حسابًا لمكرِهِ ومكايدِهِ وتلونِهِ؛ إذ يتَسمَّىٰ بأَسماءِ المسلمينَ، ويظهرُ بمظاهرهم، ويتكلمُ بألسنتهم؛ بأنَّهُ ناصحٌ أَمين!

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٣.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٣ - ٧٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

● الزِّنديقُ والزَّنْدَقَةُ:

وهناكَ مُصطلحٌ آخر عندَ الفُقهاءِ للمنافقِ؛ فإنَّهم يطلقونَ عليهِ لفظُ «الزِّنديق» وهو في الأصلِ لفظٌ أعجميٌ مُعربٌ، عندما كثرت الأعاجم في المسلمين، تكلموا بلفظ الزِّنديق؛ فشاعتْ بعدها في لسانِ الفقهاءِ[١].

والزِّنديقُ: هو نفسُ المنافقِ؛ من حيثُ إنَّهُ يعتقدُ عقائدَ كُفريَةً، ويُظهر شعائرَ الإسلام، ولكن الزِّنديقَ في الغالبِ يُظهر كُفرهُ وإلحادَهُ، ويدعو إليه؛ إمَّا عَلنًا، أَو بطُرُقٍ غير مباشرة، ويُعرَفُ عنه ذلك.

وقد أُطلِقَ لفظُ «الزِّنديق» لأَوَّلِ مرَةٍ علىٰ أتباع الدِّياناتِ الوثنية من المجوسية والزرادشتية والمانوية والمزدكية، أَو بالقائلينَ بمذهبِ الدَّهريَّةِ، أَو علىٰ الدَّجالين، ومدعو النُّبوةِ، أَو علىٰ الَّذينَ يعتقدونَ بوجودِ قوتينِ أَزليتينِ في العالمِ؛ هُما قوةُ النُّورِ والظَّلامِ.

ثمَّ اتَّسعَ معنىٰ المصطلحُ تدرجيًا؛ فشمِلَ كلَّ مارقٍ عن الشَّريعةِ؛ ببدعَةٍ مُكَفِّرَةٍ؛ كما اطلقَهُ بعض أئمَّةُ السَّلفُ علىٰ الجهميَةِ، وعلىٰ بعض أَصحابِ البدعِ الظَّالَةِ، أَو مَن خالفَ مبادىءَ الاسلامِ الاساسيةِ علنًا؛ من الملحدينَ والشُّوعيين والعلمانية، وما شاكلهم. وكذلكَ يطلقُ «الزِّنديق» علىٰ كلِّ مَن يحيىٰ حياة المجونِ من الشُّعراءِ والكُتابِ والفلاسفة.

والزَّنادقةُ: جمعوا في عقائدِهم كلَّ شرًا من الكُفرُ الصَّريح، والرِّدَّةُ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن لفظ الزنديق: (هو لفظ أعجمي معرَّب؛ أُخِذَ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وعُرِّب) «بغية المرتاد» ص ٣٣٨.

وقال ابن حجر– رحمه الله – عن لفظ الزنديق: (الزنديق فارسي معرَّب أصله «زنده كرد» أي: يقول بدوام الدهر؛ لأنَّ زنده: الحياة، وكرد: العمل) انظر: «فتح الباري» ج١٢، ص ٢٧٠. و(زنده كرد) أي: الذي يرىٰ الحياة المادية ولا يؤمن بالغيبيات.

الظَّاهرةِ؛ كإنكارِ وجودِ اللهِ تعالىٰ، وقولهم بالحلولِ، وتأْليهم البشر، وتشبيههم الله تعالىٰ بخلقه، وإنكارهم النُّبوةِ من بعضهم، وادعاءُ النُّبوة من بعضهم الآخر! وقولهم بالتناسخ، وإنكارهم البعث وما يتبعه من الجنَّة والنَّار، واستحلالهم المحرمات، وجحدهم الواجبات، وغير ذلك من نواقض الإسلام.

قالَ شيخُ العارفينَ؛ سهل بن عبد الله التُّسْتَري، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(إنَّما سُمِّي الزِّنديقُ زنديقًا؛ لأَنَّهُ وَزَنَ دِقَّ الكلام بِمَخبولِ عقلِهِ، وقياسِ هوىٰ طبعِهِ، وتركَ الأَثرَ والاقتداء بالسُّنَّةِ، وتأَوَّلَ القُرآن بالهوىٰ فسبحان مَن لا تُكَيِّفُهُ الأوهام)[1].

ودعوةُ الزَّنادقةِ خلَّفَ آثارًا سيئةً، وعواقبَ وخيمةً علىٰ الأُمَّةِ؛ فهم أَوَّلُ مَن وضعوا الأَحاديث الموضوعة لإفساد الدِّينِ، وخصوصًا في رفع شأْنِ العقلِ وتقديمه علىٰ النقلِ؛ فتزندقت بعدها بعض الفرق الإسلاميَّة؛ كما هو الحال في غُلاة الشِّيعةِ، والخطابية من المعتزلة، والاتحادية من المتصوفة وغيرهم ممن سلكوا مسلكهم. وكما أَشعلوا ثورات سياسية، وأَفسدوا البلاد والعباد؛ كما فعلت القرامطة والإسماعيلية والمقنعية، وغيرهم من فرق الزَّنادقة.

إذن! «الزِّنديقُ» تعني من أَبطن الكُفرَ وأَظهرَ الإسلام؛ سواءٌ كان هذا الكُفر: المانوية، أَو الفرعونية، أَو الفينيقية، أَو البربرية، أَو العلمانية، وغيرها من المذاهب، أَو النعرات، أَو القوميات المناهضة والمناقضة لدينِ الإسلام؛ فلهؤلاء جميعًا يجمعهم عنصر واحدٌ هو إِبطانهم للكفر واخلاصهم له.

ولكنهم مع هذا! فهم حريصون أَشدَّ الحرص علىٰ التمسك بكلمة

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج١٣، ص٣٣٢.

الإسلامِ في الظَّاهر؛ إمَّا خشية من انتقام الأُمَّةِ لهم، أو خبثًا لترويج مذاهبهم وعقائدهم الباطلة تحت عباءة الإسلام.

فالزَّندقةُ اليوم! أشدُّ خطرًا علىٰ الإسلام وتعاليمه من أسيادهم القُدامىٰ؛ إذ كان في الماضي للمسلمين دولة وخليفة وقضاة؛ يحمون بيضة الإسلام ويدافعون عن عقيدتها، وكان الزَّنادقةُ يخشون سطوتهم وبأسهم.

أمَّا اليوم! - فإنَّ للهِ وإنَّ إليه راجعون! ولا حوة ولا قوة إلاَّ بالله - فلا دولة تذود عن عقيدة المسلمين ومقدساتهم؛ حتىٰ عن أعراضهم؛ بل أعراضهم اليوم معرضٌ لخطر الزَّنادقة، بواسطة وسائل التعليم والإعلام المسعورة التي تتسابق علىٰ نهش دين الإسلام، ونشر غُثاء الزَّنادقة الجدد ومرتزقةُ الغرب الكافر، ومجونهم في جسد الأُمَّة، واللهُ المستعان!!

والزِّنديقُ: في مصطلح أُصول الفقه وأحكامهُ؛ أنَّهُ أخصُّ من المرتَدِّ؛ فكلُّ زنديقٍ مرتدٌّ، وليس كلُّ مرتدٍّ زنديقًا.

والزِّنديقُ: إذا تمكَّنَ منه الحاكمُ المسلمُ، وعُرف كُفرُه؛ يُقتَلُ، ولا يُستتاب، في أرجح أقوال أهل العلم، ولكن إذا تاب قبل أن يَتَمكَّنَ منه الحاكمُ، وحَسُنَتْ توبتُه، وتبَّرأ مما كان عليه من الكُفر، واعترَفَ بذلك وأظهَر توبتَه؛ في هذه الحال تُقبَلُ توبتُهُ، ولا يُقتَلُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)(*).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٤.

(*) انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم؛ ج٣، ص١٤٢ - ١٤٣. و«الصارم المسلول» لابن تيمية؛ ص٣٤٠. وما بعدها.

وقد اجتهدَ خلفاءُ المسلمين في تتبُّعِ الزَّنادقةِ، وقتلهم واستئصالهم من المجتمع؛ حفاظًا علىٰ الدِّين وأَهله؛ كما قَتَلهم أَمير المؤمنين عليُّ بن أَبي طالب، رضي الله عنه[١]، وكذلك اشتهر الخليفةُ العباسيُّ المهديُّ - رحمه الله - في تتبُّعِ الزَّنادقةِ والقضاءِ عليهم، ووصَّىٰ مَن بعده بذلك[٢].

● أَنواعُ النِّفاقِ:

النِّفاقُ؛ كالكُفرِ والشِّركِ والفسقِ دركاتٌ ومراتب؛ منها ما هو مخرجٌ من الإسلام، ومنها ما هو غير مخرجٍ منه؛ فالنِّفاقُ في الشَّرعِ نوعانِ:

أَوَّلاً- النِّفاقُ الأَكبر؛ المخرج من المِلَّة، والموجب للخُلود في الدَّركِ الأَسفلِ من النَّارِ:

هو إبْطانُ الكُفرِ في القلب، وإظهارُ الإيمان علىٰ اللِّسان والجوارح، ويترتَّب علىٰ هذا النَّوع ما يترتَّب علىٰ الكُفر الأَكبر؛ من حيث انتفاءِ الإيمانِ عن صاحبِه، وخلودِه في جهنَّم؛ لكنَّ المنافق أَشدُّ عذابًا من الكافر العادي؛ لأَنَّه في الدَّركِ الأَسفل من النَّار؛ إذا مات عليه، أَي: في أَسفلِ طبقةٍ من طبقات النَّار، وهي أَغلظُها عذابًا، وأَشدُّها نَكَالاً.

والمنافق: إذا لم يُظهر ما في باطنه من مخالفة الدِّين، وأَظهر الأَعمال الظاهرة من الإسلام؛ فهو في الظاهر مسلم، وتجري عليه أَحكامُ الإسلام الظاهرة في الدُّنيا، ويعامَلُ معاملةَ المسلمين؛ لأَنَّنا لم نؤمَرْ بالشَّقِّ عن ما في القلوب، وهذا الأَمرُ في الأَصل خارجٌ عن نطاقِ وقدرةِ ابن آدم قاطبةً؛ لأَنَّ

---

(١) كما روىٰ ذلك البخاري، رحمه الله. انظر: «فتح الباري» لابن حجر؛ ج١٢، ص٢٦٧.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير؛ ج١٠، ص١٤٩ - ١٥٨.

الإيمانَ الظَّاهِرَ الذي تجري عليه الأَحكامُ في الدُّنيا لا يستلزم الإيمانَ الباطنَ الذي يكون صاحبُه من المؤمنين حقًّا.

والنِّفاقُ: الذي ذُكِرَ في القرآن المراد به النِّفاقُ الأَكبرُ المنافي للإيمان؛ بخلاف الكُفرِ؛ فإنَّه يأْتي - أَحيانًا - بمعنىٰ الكُفر الأَصغر، وكذلك الظُّلمُ والفسقُ والشِّركُ، أَمَّا في السُّنَّة؛ فقد ورد ذكر النِّفاق الأَصغر.

والمنافقونَ: شرٌّ محضٌ، وهم أَسوءُ أَنواع الكفَّار وأَضرهم؛ لأَنَّهم ساووا الكُفَّارَ في الكُفرِ، وزادوا علىٰ كُفرهم الكذبَ والمراوغةَ، والخداعَ للمؤمنين وتضليلهم؛ فيكون ضررهم شديدًا، والحذر منه قليلاً، بخلاف الكُفَّارِ، ولذلك أَخبرَنا اللهُ تعالىٰ عن صفاتِهم في القرآنِ بالتَّفصيل، ووصَفهم بصفاتِ الشَّرِّ كلِّها؛ لكي لا يقع المؤمنون في حبائِلِهم وخداعهم، ومن صفاتهم:

● الكُفرُ وعدمُ الإيمانِ.

● التولِّي والإعراض عن حكمِ اللهِ تعالىٰ وحكمِ رَسُولِهِ ﷺ والتَّحاكم إلىٰ الطاغوت.

● الاستهزاءُ بالدِّينِ وأَهلِهِ، والسُّخرِيَةِ منهم، وحبُّ شيوع الفاحشةَ في الذين آمنوا، والفرح بما يصيبهم من ضراء، والاستياء بما يمكن اللهُ لهم.

● الْمَيْلُ بالكليَّةِ إلىٰ أَعداءِ الدِّين، ومظاهرَتِهم بالنَّفس والمال، ومناصرَتِهم علىٰ المؤمنين والمسلمين.

● التَّستُّرُ ببعضِ الأَعمالِ المشروعةِ؛ للإضرارِ بالمؤمنين والإفساد بينهم.

● الإفسادُ في الأَرضِ، وادعاءُ الإصلاح، والتَّناجي بالإثم والعدوان ومعصيةِ الرَّسُولِ ﷺ، والأَمرُ بالمنكر، والنَّهي عن المعروف.

● لحنُ في القول، والحلفُ الكاذب، وإخلاف الوعد، وعدم الوفاء بالعهود، وخيانة الأمان، والغدر، الرِّياء، والبخل والخوف والجبن، والهلع.

والمنافقون: يظهرونَ علىٰ السَّاحةِ عندما تنتصرُ دعوةُ الحقِّ، ويستأْصلُ الكُفر وأَهلُهُ، ويذهب سلطان الكافرين، وحركة النِّفاق في صدر الإسلامِ؛ ظهرت في المدينة بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر الكُبرىٰ.

ومن أَنواعِ النِّفاقِ الأَكبرِ:

مَن أَظهرَ الإسلام وهو مكذِّب بما جاء به الله تعالىٰ، أَو بعض ما جاء به الله، أَو كذَّب الرَّسول ﷺ، أَو بعض ما جاء به الرَّسول ﷺ، ومثل مَن لم يعتقد وجوب طاعته ﷺ، أَو أَبغض الرَّسول ﷺ، أَو آذىٰ الرَّسُول ﷺ، أَو كره الانتصار لدين الرَّسول ﷺ أَو سُرَّ بكسر راية الدِّين، أَو الاستهزاء والسُّخرية بالمؤمنين؛ لأَجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ، أَو التولِّي والإعراضِ عن الشّرعِ، إلىٰ غير ذلك من الاعتقاداتِ الكُفريَّة المخرجَةِ من الملَّة.

وهذا الصِّنفُ من المنافقين موجودٌ في كلِّ زمانٍ ومكان.

ثانياً- النِّفاقُ الأَصغرُ؛ غيرُ المخرج من الملَّة:

هو اختلاف السرِّ والعلانيةِ في الواجبات، أَي: إظهارُ العبدِ أَمرًا مشروعًا، ويبطنُ أَمرًا مُحرمًا؛ يُخالفُ ما أَظهرَهُ؛ فمَن فعلَ ذلكَ؛ فقد فعلَ خصلة من خصال النِّفاقِ الأَصغرِ.

ويسميه أَهل العلم: «نفاقُ دون نفاق» أَو «النِّفاقُ العملي»؛ لأَنَّهُ يتعلق بالأَعمالِ، وليس في الاعتقاد.

وحكمُ هذا النوعِ من النِّفاقِ؛ أنَّهُ مُحَرَّمٌ، وكبيرةٌ من كبائرِ الذُّنوبِ والمعاصي، ومَن فعلَ خصلةً من خصالِهِ؛ فقد تشبَّه بالمنافقين، وعمل شيئًا من أعمالهم؛ مع بقاء أصلِ الإيمان في القلب، وصاحبه لا يَخرجُ من المِلَّة؛ بإجماعِ أهلِ العلمِ، ولا يُنفىٰ عنه مطلقُ الإيمان، ولا مُسمَّىٰ الإسلام، وهو مُعَرَّضٌ للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النَّار، وصاحبه ممن تناله شفاعةُ الشَّافعينَ بإذن اللهِ تبارك وتعالىٰ.

وهذا النَّوْعُ من النِّفاقِ؛ خطرُهُ عظيمٌ، وأمرُهُ جسيمٌ، وعاقبتهُ وخيمٌ؛ لأنَّهُ مقدِّمة وطريق ووسيلةٌ للنِّفاق الأكبر، وذريعةٌ إليه، ومدخلٌ ممهدٌ لدخول الشَّيطانِ منه، وذلك لمن سَلَكَهُ، وكان ديدنَه.

واعلم! كما أنَّ المعاصي بريد الكُفرِ، وكما يُخشىٰ علىٰ مَن أصرَّ علىٰ المعصيةِ أن يسلَبَ الإيمانَ منه عند الموت؛ كذلك يُخشىٰ علىٰ مَن أصرَّ علىٰ خصال النِّفاقِ أن يسلَبَ الإيمانَ منه؛ فيصبحَ منافقًا خالصًا، والعياذُ باللهِ، ومن الأمثلةِ علىٰ النِّفاقِ الأصغرِ:

- الكذبُ في الحديث متعمدًا؛ بحيث مَن سمعَ كلامهُ صدَّقه.
- إخلافُ الوعدِ متعمدًا، أي: في نيَّتِهِ أنْ لا يُفي بما وعد به.
- خيانةُ الأمانةِ إذا اوتُمنَ، أي: في نيَّتِهِ أنْ لا يُفي بما اوتُمنَ به.
- الفجورُ في الخصومةِ، أي: يعدلُ عن الحقِّ إلىٰ الباطلِ متعمدًا؛ فيدَّعي ويحتج بالباطل والكذب؛ ليأخُذَ ما لايجوز لَهُ أخذه.
- الغدرُ بالعهودِ، أي: إذا عاهدَ؛ غدر، ولم يُفِ بالعهدِ.
- الرِّياءُ الذي لا يكون في أصل العمل.

قالَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«أَربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[١].

وقالَ ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[٢].

وقالَ ﷺ: «آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»[٣].

وقالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ؛ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[٤].

فهذهِ علاماتِ النِّفاقُ الأَصغر! التي حذَّرنا النَّبِيُّ ﷺ منها، وهي تدلُّ علىٰ مدىٰ انحطاطِ المنافقِ في أَخلاقِهِ؛ فهو غير صادق مع ربِّهِ سبحانه، ومع نفسه، ومع مَن حوله! فأخلاقه كلها مبنية علىٰ التدليس والخداع، ويُخشىٰ عليه إن استمرَ علىٰ حاله؛ أَن يُبتلىٰ بالنِّفاقِ الأكبر! وذلكَ إذا استحكمَت به هذه الصِّفاتِ؛ فينزعُ اللهُ تعالىٰ من قلبه الإيمانَ، ويبدلهُ نفاقًا، عقوبةً منه، وزجرًا لهُ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ

---

(١)، (٢) رواهما البخاري في (كتاب الإيمان) باب «علامة المنافق».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «علامة الإيمان حب الأنصار».

(٤) رواه مسلم في (كتاب الإمارة) باب «ذم مَن مات ولم يغز».

﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(١).

لهذا كان الصَّحابةُ الكرام – رضي اللهُ عنهم – من أَشدِّ النَّاس حرصًا وأَعظمهم بُعدًا عن هذه الأَخلاق الذَّميمةِ؛ خشيةَ أَن يشملهم ذلك الوصف المشين.

قالَ التَّابعيُّ الإمامُ الحجَّة الحافظ؛ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَىٰ إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)(٢).

وقَالَ التَّابعيُّ الفقيهُ؛ الحسنُ البصريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ، وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَىٰ النِّفَاقِ)(٣).

وَقَالَ الإمامُ القُدوةُ العابدُ؛ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَىٰ عَمَلِي؛ إِلاَّ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا)(٤).

فاعلم! أَخي المسلم: أَنَّ النِّفاقُ داءٌ عضالٌ، ومرضٌ خطرٌ؛ يُهدِّد المجتمع الإسلامي، ويزعزع كيانه؛ إذا فشىٰ فيه، وانتشر بين أَفراده؛ فإِنَّهُ يقضي علىٰ الروابط الاجتماعية الصَّادقة، ويعدم الثِّقة بينهم، ويسودُ الحذر والحيطة، والشَّك والريبة؛ محل الثِّقة والأَمانة.

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ – ٧٧.

(٢ –٤) رواهم البخاري في (كتاب الإيمان) باب «خوف المؤمن من أن يحبط عمله...».

« ٦ »

« تعريفُ الفِسْقِ »

● **الفِسْقُ في اللُّغةِ:**

هو الخروجُ عن الشَّيْءِ، أَو القصدِ، وهو الخروجُ عن الطَّاعَةِ.

والفِسْقُ: هو الجَوْرُ، والفُجُور، والميل إِلىٰ المعصيةِ، والفسادِ، والخُبْثِ.

ويُقالُ: إذا خرجت الرُّطبةُ من قشرها؛ قد فسقَت الرُّطبةُ من قِشْرِها، والفارةُ عن جُحرها، وسُمِّيتِ الفأْرةُ فُوَيْسِقة - تصغير فاسقة - لما فيها من الخبث والفسق.

والتَّفْسيقُ: ضِدُّ التَّعديل، وإذا قيل: فَسَّقَ فلان في الدُّنيا فِسْقًا؛ أَي: إذا اتَّسَعَ فيها وهَوَّنَ علىٰ نفسه، واتَّسَعَ بركوبه لها، ولم يُضيِّقها عليه.

والاسمُ: فاسقٌ، والجمعُ: فُسَّاق وفَسَقة [(١)].

● **الفِسْقُ في الاصطلاحِ:**

هو العصيانُ، وعدمُ إِطاعةِ أَمرِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - أَو التَّركُ أَمرِ اللهِ تعالىٰ والخروجُ عن طاعتِهِ، وعن طريقِ الحقِّ والاستقامةِ والإنابة، والدُّخولُ في سبيل الْجَوْرِ، والفجورِ، والفسادِ، والضرَرِ؛ فتارةً يكون الْخُروجُ فعلاً، وأُخرىٰ يكون اعتقادًا وفعلاً؛ فيشملِ الكافِرَ، والْمُسلمَ العاصي.

---

(١) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب» ج١٠، ص٣٠٨. و«معجم مقاييس اللغة» ج٤، ص٥٠٢. و«مفردات الراغب»: ص: ٥٧٢، و«مصباح المنير» ص١٨٠.

أَي: هو خروجُ العبدِ عن أَوامرِ الشَّريعةِ؛ بارتكابِ الكبائرِ، وتركِ الواجباتِ، والفاسقُ: هو مَن ارتكبَ كبيرةً، أَو أَصرَّ علىٰ صغيرةٍ.

وإذا قيلَ: رَجُلٌ فاسِقٌ! أَي: عصىٰ أَمرَ الشَّرعِ، وجاوزَ حُدودَهُ.

ويُقالُ: فَسَقَ العبدُ عن أَمرِ ربِّهِ؛ أَي خَرَجَ عن طاعتِهِ؛ بارتكابِ الكبائرِ والمعاصي قَصدًا، أَو أَصرَّ علىٰ الصَّغائرِ بغيرِ تأْويلٍ، وينبغي أَن يُقيَّدَ بعدمِ التأْويلِ في ارتكابِ الكبائرِ؛ لأَنَّ الباغي ليسَ بفاسقٍ، وأَمَّا استحلالُ المعصيةِ - بمعنىٰ اعتقادُ حلِّها - فكُفرٌ؛ صغيرةً كانت، أَو كبيرة [١].

والفِسْقُ: أَعمُّ من الكُفرِ؛ حيثُ إِنَّهُ يشمُلُ الكُفرَ وغيره من الكبائر التي دونه، ويقعُ اسم الفِسْق علىٰ المرءِ بالقليلِ من الذُّنوبِ والمعاصي وبكثيرها؛ لكن الذي تُعُورِفَ عليه عند العُلماءِ والعامَّة فيما كان كثيرًا.

ولفظُ الفَاسِقِ: لا يُطلقُ! إلاَّ علىٰ الكافرِ، أَو المسلمِ العاصي بالكبائرِ العظَّام أَو بالبدعِ، وليسَ عندَهُ في الظَّاهِرِ من الحسناتِ ما يُكفِّرُ عن ذنوبِهِ؛ إِذًا يُسمَّىٰ الكافر فاسقًا، والفاسق من المسلمينَ فاسقًا - أَيضًا - ومنها؛ فإِنَّ كلَّ كافرٍ وعاصٍ ومبتدعٍ؛ فاسقٌ، وليسَ العكس، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢].

وقد وردَت لفظة «الفِسْقِ» بمشتقاتها وصيغها اللُّغويَةِ المتعدِدَةِ في القرآنِ أَربعًا وخمسينَ مرةً؛ كلُّها جاءت في معرضِ الذَّمِ والقُبحِ للمتصِّفينَ بها.

---

(١) انظر: «مفردات الراغب»: ص: ٥٧٢. و«المحرر الوجيز» لابن عطية؛ ج١، ص١٥٥. و«روح المعاني» الآلوسي: ج١، ص٢١٠. و«فتح القدير» الشوكاني: ج١، ص٧٥. و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي؛ ج١، ص٢٤٥. و«تفسير ابن كثير» ج١، ص٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٩.

والفِسْقُ إذا أُطلقَ في النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ: يُراد به ـ أَحيانًا ـ الكُفرِ المخرجُ من الإسلام، وأَحيانًا أُخرىٰ يُرادُ بهِ الذُّنوبِ والمعاصي التي هي دُونَ الكُفرِ؛ بحسب درجةِ المعصيةِ، وحالِ العاصي نفسِه.

ويجبُ مُراعاةُ القواعدِ الشَّرعيَّةِ عندَ إطلاقِ وصفُ فِسْقٍ علىٰ العبدِ المسلمِ، منها: وقوعُ ما يوجبُ الفِسْقَ بمسمَّاه الشَّرعيِّ، وقيامُ الحجَّةِ وانتفاءُ الجهلِ، وأَن لا يكونَ هناكَ شبهةٌ أَو تأْويلٌ سائغةٌ.

● **أَنواعِ الفِسْقِ:**

الفِسْقِ في الشَّرعِ نوعانِ: فسقٌ أَكبر، وفسقٌ أَصغر.

■ **الفِسْقُ الأَكبرِ:** هو رديفُ الكُفرِ الأَكبرِ، والشِّركِ الأَكبرِ؛ يُخرجُ صاحبَهُ من الإسلام، وينفي عنه مطلقَ الإيمانِ، ويخلِّدُهُ في النَّارِ، إذا ماتَ عليه، ولم يَتُبْ منهُ، ولا تنفعُهُ شفاعةُ الشَّافعين يَومَ القيامَةِ، والفِسْقُ في عموم آياتِ القرآنِ إذا أُطلقِ؛ فالمرادُ بهِ الفسقَ الأَكبر، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

■ **الفِسْقُ الأَصغرِ**: كالكفر الأَصغر والشِّرك الأَصغر من حيث التقسيم فهو فسقٌ دون فسقٍ؛ يحصلُ بارتكابِ الكبيرةِ، أَو الإِصرارُ علىٰ الصَّغيرةِ، ويُطلقُ علىٰ مرتكبي المعاصي التي لا تنفي عن صاحبها أَصلَ الإيمان، أَو مطلقَ الإيمان، ولا تسلبُهُ صفةَ الإسلامِ وحصانته؛ فهو فاسقٌ بكبيرتهِ، مؤْمنٌ بإيمانهِ، وأَمَّا حكمهُ في الآخرةِ: فهو تحتَ مشيئةِ اللهِ تعالىٰ؛ إِنْ شاءَ غفرَ لَهُ برحمتِهِ، وإِنْ شاءَ عذبَهُ في النَّارِ بعدلِهِ، ومآلُهُ إِلىٰ الجنَّةِ فيما بعد.

قالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾[٧].

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٦٧.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٨.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٣.
(٥) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٦) سورة النور، الآية: ٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾[٣].

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ »[٤].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

« إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً؛ يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ ﷺ:

« الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ »[٥][*].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب « خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ».

(٥) رواه الإمام أحمد في « مسنده » عن أنس بن مالك. وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم: (٣٦٥٠).

(*) « الرويبضة »: (هو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، والغالب أنَّهُ قيل: للتَّافه من النَّاس لربُوضهِ في بيته، وقلة انبعاثه في الأُمور الجسيمة) انظر: « لسان العرب » مادة: « ربض ».

● من أحكامِ التَّعاملِ معَ المسلمِ الفاسقَ:

* هجرُ الفاسقِ مشروعٌ؛ بثلاثةِ شروطٍ:

أَن يتحققَ وصفُ الفسقِ في المراد هجرُه، وأَنْ يكونَ الفاسقُ مُجاهرًا بفسقه، وأَنْ تكونَ المصلحة من هجرِهِ راجحة والمفسدة مأْمونة.

* الصَّلاةُ علىٰ جنازةِ الفاسقِ؛ تجبُ علىٰ عامَّةِ المسلمينَ وجوبًا كفائيًا؛ لبقاءِ حرمةِ الإِسلامِ فيه، وأَمَّا أَئمَّةِ المسلمينَ وأَهل العلم والفضلِ؛ فالأَولىٰ في حقهم ترك الصَّلاةِ علىٰ بعضِ الفُساقِ من بابِ الزَّجرِ والرَّدعِ، ومنهم:

قاتلُ نفسهِ، والغالُ للغنيمةِ، وقاطعُ الطَّريقِ، والمجاهرُ بفسقه، وغيرهم.

* الفاسقُ المجاهرُ بفسقه؛ تجوزُ غيبته فيما جاهرَ به ولا حرمةَ لَهُ، أَمَّا إِذا استترَ، ولم يعلن بفسقهِ؛ فإِنَّ غيبته حرامٌ؛ إِلاَّ لمصحلة.

* لا يجوزُ أَن يولَّىٰ الفاسقُ إِمامَةَ الصَّلاةِ، ولو صلَّىٰ بغيرِهِ؛ صحت صلاتهم ولا يعيدونها سواءٌ كانت الصَّلوات الخمس أَو الجمعةِ أَو العيدين.

* خبرُ الفاسقِ لا يقبلُ؛ حتَّىٰ يُتثبَّت منه؛ إِلاَّ إِذا كانَ من الأَخبارِ الَّتي لا يمكن معرفتها إِلاَّ من خلالِ قولِ هذا الفاسقِ؛ فإِنَّ خبرَهُ مقبولٌ فيها.

* انتشارُ الفسقِ في المجتمعِ الإِسلامي! مؤذنٌ بآثارٍ مدمرةٍ، ونتائجَ وخيمةٍ؛ تشمل الفرد والجماعة؛ فيجبُ علىٰ كلِّ مَن لَهُ ولايةٌ، أَو قدرةٌ علىٰ المنع؛ أَنْ يمنعَ الفُسَّاقَ من نشرِ فسوقهم ورذيلتهم في المجتمع، وذلك بالطُّرقِ الشَّرعيَّةِ التي لا تؤول إِلىٰ مفاسد أَكبر.

«٧»

«تعريفُ الظُّلم»

● **الظُّلْمُ في اللَّغةِ:**

اسمٌ من ظلمه يظلمه ظلمًا، ومظلمة. والظُّلْمَةُ: عدمُ النُّور، وجَمعُها: ظُلُمات، ويُعَبَّرُ بها - أيضًا - عن الجهلِ، والشِّركِ، والفِسقِ.

وأَصلُ الظُّلمِ: وضعُ الشَّيْءِ في غيرِ موضعِهِ المختصِّ به؛ إمَّا بنُقصانٍ أَو بزيادَةٍ، وإمَّا بعُدولٍ عن وقتهِ أَو مكانِهِ، ومن ذلكَ قيلَ للبنِ إذا قُدِمَ للشُّربِ قبلَ أَن يستخرجَ زُبده، قيل له: الظليم والظليمة والمظلوم.

والظُّلمُ: هو التَّعدِّي عن الحقِّ إلىٰ الباطلِ، وهو ضد العدل وانحراف عنه. وأَصلُهُ: الجور، ومجاوزة الحد، والميل عن القصد[1].

● **الظُّلمُ في الاصطلاحِ:**

هو الجورُ والعدوانُ، ومنع الحقِّ ومجاوزته، والميلُ عن العدلِ؛ إمَّا بتغييرٍ، أَو نقصانٍ، أَو زيادةٍ غيرِ مشروعة.

والظُّلمُ: التَّصرُّفُ في حقِّ الغيرِ بغيرِ حقٍّ، وهو التَّعدي علىٰ الآخرينَ في أَموالهم أَو أَعراضهم، ومن فعلَ شيئًا من ذلكَ؛ فقد ظلمَ نفسه، وظلم غيره.

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج١١، ص٣٧٣. و«مقاييس اللُّغة» ج٣، ص٤٦٨. و«المصباح المنير» ص١٤٦. و«المفردات» (ظلم) ص٥٧٣ و«التعريفات» ص١٤٤. و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي، مادة (ظلم). و«الموسوعة الفقهية الميسرة» للقلعجي؛ ج٢، ص١٣٤٠.

أي: هو التَّعدِّي عن الحقِّ الشَّرعيِّ إلىٰ الباطلِ؛ سواء كان التَّعدِّي قولاً، أَو فعلاً، وقيل: هو مجاوزةُ الحدِّ الذي سَمَح به الشَّرعُ، أَو ارتكابُ معصيةٍ مُسقِطةٍ للعدالةِ، مع عدمِ التَّوبةِ والإصلاح.

● والظُّلْمُ: ذنبٌ عظيمٌ وإثمٌ مرتعه وخيم! وهو سببٌ كلِّ شرٍّ وفسادٍ، وكلِّ بلاءٍ وعقابٍ؛ فهو منبع الرَّذائل والموبقاتِ، ومصدر الشُّرورِ والسَّيئاتِ، وعنه تصدر سلاسل العيوب والآفات؛ متىٰ فشا الظُّلمُ في أُمَّةٍ آذنَ اللهُ تعالىٰ بنهايتها، ومتىٰ شاع في بلدةٍ! فقد انعقدت أَسباب زوالها وتحوُّل لباسها؛ فبه تفسد الدِّيار، وتخرب الأَوطان، وتدمر الأَمصار، وبه ينزل غضب الواحد الجبار القهار - سبحانه - قالَ اللهُ تباركَ تعالىٰ:

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[3].

● والظُّلْمُ - عندَ أَهل السُّنَّة والجماعة - مراتبُ متفاوتَةٌ:

يطلَقُ علىٰ الكفرِ والشِّركِ، وعلىٰ غيره من الكبائرِ، وما دونه من الذُّنوب والمعاصي؛ لأَنَّ كلَّ معصيةٍ مهما دقَّتْ؛ ففيها ظلمٌ، وأَقلُّ أَحوالِهِ؛ أَنْ يظلِمَ العبد نفسه.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٩.
(٢) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٥.

● **الظُّلمُ ثلاثةُ أنواعٍ :**

* ظُلمٌ بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ – سبحانه وتعالىٰ – وأعظَمُهُ : الكُفر، والشِّرك، والنِّفاق، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

* ظُلمٌ بينهُ وبين العبادِ، والمخلوقاتِ، ويكون بالتَّعدِّي علىٰ حقوقهم، وهي : أعراضُهم، وأبدانُهم، وأموالُهم، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾(٢) .

* ظُلمٌ بينهُ وبين نفسِهِ، ويكون بتجاوز حدود الله تعالىٰ؛ بارتكاب الذُّنوب والمعاصي، واتِّباعِ طريق الشَّيطانِ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ فَمِنْهُمْ ظَـٰلِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾(٣) . وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾(٤)(*) .

وكلُّ هذهِ الثَّلاثةُ في الحقيقة ظلمٌ للنفسِ؛ فإنَّ الإنسانَ أوَّلَ ما يهمُّ

---

(١) سورة لقمان، الآية : ١٣ . (٢) سورة الشُّورىٰ، الآية : ٤٠ .
(٣) سورة فاطر، الآية : ٣٢ . (٤) سورة النمل، الآية : ٤٤ .

(*) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله : (فالظُّلمُ ثلاثةُ أنواع : فالظلمُ الذى هو شرك لا شفاعة فيه! وظلم النَّاس بعضهم بعضًا لا بُدَّ فيه من إعطاءِ المظلوم حقَّه؛ لا يسقط حقُّ المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطىٰ المظلوم من الظالم، كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة؛ فالظالمُ المطلق ما له من شفيع مطاع، وأمَّا الموحد فلم يكن ظالمًا مطلقًا؛ بل هو موحد مع ظلمه لنفسه، وهذا إنَّما نفعه فى الحقيقة إخلاصه لله؛ فبه صار من أهل الشَّفاعة .
ومقصودُ القرآنِ بنفي الشَّفاعةِ نفي الشِّرك، وهو أن أحدًا لا يعبد إلاَّ الله، ولا يدعو غيره، ولا يسألُ غيره، ولا يتوكل علىٰ غيرهِ لا فى شفاعة ولا غيرها؛ فليس له أن يتوكل علىٰ أحدٍ فى أن يرزقه، وإن كانَ اللهُ يأتيه برزقه بأسبابٍ. كذلك ليس له أن يتوكل علىٰ غير الله فى أن يغفرَ له، ويرحمه فى الآخرة، وإن كانَ اللهُ يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها؛ فالشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا! ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع، وتلك قد بينَ الرَّسُول ﷺ أنَّها لا تكون إلاَّ لأهل التَّوحيدِ والإخلاص؛ فهي من التَّوحيد ومستحقها أهل التوحيد) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٧٩ .

بالظُّلم! فقد ظلمَ نفسه وجنىٰ عليه، وعرضه لعذابِ اللهِ الأَليم؛ فقد قالَ اللهُ تعالىٰ عند ذكر العُصاةِ، والمذنبين، والظَّالمين:

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١].

● والظُّلم: مُحَرَّمٌ شرعًا؛ بجميع أَنواعه وصوره، حرَّمه الله تعالىٰ علىٰ نفسه، وعلىٰ عباده؛ لما فيه من المخالفة لأَمره تعالىٰ، ولما فيه من التَّعدِّي علىٰ حقوقِ العبادِ، وتَوَعَّدَ الله الظالمينَ بعذاب أَليم في الدَّارين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[٣].

بل أَمرَ اللهُ تعالىٰ بمجاهدة الظُّم والظَّالمينَ، وبرفع الظُّلم عن المظلومين، وقد أَرسل رُسُلَهُ وأَنزلَ كُتُبه؛ لإقامة القسط ورفع الظُّلم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[٤].

فرفعُ الظُّلمِ، والإنكارُ علىٰ الظَّالمِ، والدِّفاع عن المظلومين؛ واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ؛ بحسبِ قدرته وطاقته ووسعه، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا؛ فكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظالِمًا؟ قَالَ: « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْه »[٥].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٨.
(٢) سورة طه، الآية: ١١١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٥) رواه البخاري في (كتاب المظالم والغصب) باب « أعن أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا ».

● والله – تبارك وتعالىٰ – مُنزَّهٌ عَنِ الظُّلمِ بجميعِ صورِهِ:

والظُّلمُ: مستحيلٌ علىٰ اللهِ – جلَّ في عُلاه – لأنَّهُ تعالىٰ يُوصَفُ بمحامدِ الصِّفاتِ، وينزَّهٌ عن جميعِ النَّقائِصِ، والظُّلم مَنْقَصَةٌ؛ إذْ هو التَّعدِّي ومجاوزة الحدِّ، وكلاهما محالٌ علىٰ رَبِّ العباد – جلَّ شأنه – بل هو – سبحانه وتعالىٰ – الذي خَلَقَ المالِكِينَ وأَملاكَهم، وتفضَّل عليهم بها، وعَهِدَ لهم الحدودَ، وحرَّم وأَحلَّ وفضلَّ؛ فلا مُعقِّبَ لحكمه – تبارك وتعالىٰ رَبِّ العالمين – ولا رَادَّ لقضائِهِ؛ جلَّ جلاله وعَظُمَ شأْنه، قالَ تعالىٰ:

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفارِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – أَنَّهُ قَالَ:

«يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً؛ فَلاَ تَظَالَمُوا...»[٤][*].

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٤) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «تحريم الظلم».

(*) انظر: «المفردات» (ظلم) ص٥٧٣. و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي، مادة (ظلم). و«الموسوعة الفقهية الميسرة» للقلعجي؛ ج٢، ص١٣٤٠. و«مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية: ج٢٨، ص١٨٣.

● والظُّلمُ في الشَّرعِ نوعان: ظلمٌ أكبرُ، وظلمٌ أصغرُ.

■ الظُّلمُ الأكبرُ: هو رديفُ الكُفر الأكبر، والشِّرك الأكبر؛ يُخرجُ صاحبه من الإسلام، وينفي عنه مطلقَ الإيمان، ويخلِّدُه في النَّار، إذا مات ولم يتُبْ منه، ولا تنفعُهُ شفاعةُ الشَّافعينَ يومَ القيامة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١).

وأعظمُ الظُّلمِ الذي لا يُعادله ظلمٌ علىٰ الإطلاقِ! والذي لا يغفرُ اللهُ تعالىٰ - الغفور الرَّحيم الكريم - لصاحبه إذا مات عليه؛ ألا وهو الشِّركُ باللهِ - تبارك وتعالىٰ - ربِّ العالمين، خالقِ كلِّ شيءٍ ومليكِه، وحده لا شريك له؛ فالشِّركُ الظُّلمُ العظيمُ لا يغفره اللهُ تعالىٰ البتَّة؛ إلاَّ بالإقلاعِ عنه، والتَّوبةِ منه صادقًا قبل الموتِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(٢).

والشِّركُ أعظمُ الظُّلمِ؛ لأنَّ صاحبه وضعَ العبادَةَ في غير موضعها، وصرفها عن اللهِ تعالىٰ - الخالق الرَّازق ربِّ العالمين - إلىٰ مخلوقٍ ضعيفٍ مثلهُ؛ لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا. أي: هو صرف العبادةِ، أو بعضِ أنواعها لغير اللهِ تعالىٰ؛ كدعاءِ غيرِه، والسُّجود لغيرِه، والذَّبح والنَّذر لغيره، ونبذ شرعه، والتَّحاكم إلىٰ سواه، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٤].

ومِمَّا يَدُلُّ – أيضًا – علىٰ أَنَّ الظُّلمَ يُطلق في النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ، ويرادُ به الكُفر والشِّرك، قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾[٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[٧].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٨].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٢.
(٣) سورة هود، الآية: ١٨.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٣١.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٩.
(٨) سورة النمل، الآيتان: ٣٣ – ٣٤.

■ **الظُّلمُ الأَصغرُ**: هو مادون الشِّرك الأَكبرِ، أَي: هو كالشِّركِ الأَصغرِ، والكفرِ الأَصغرِ، هو ظلمٌ دون ظلمٍ، لا ينفي عن صاحبه أَصلَ الإِيمان، أَو مطلقَ الإِيمان، ولا يسلُبُه اسم الإِسلام، والظُّلمُ الأَصغرُ نوعان:

* ظُلمُ النَّفس بارتكاب الكبائر، واقتراف الذُّنوب والمعاصي؛ فيما بينها، وبين اللهِ جلَّ في عُلاه.

* ظُلمُ النَّفسِ بينه وبين العباد؛ بالتَّعدِّي علىٰ حقوقهم، والإِضرار بهم في دينهم، أَو دنياهم؛ فهذا النوع من الظُّلمِ الذي لا يتركه الله تعالىٰ البتَّة، ولا بُدَّ فيه من أَخذ الحقِّ للمظلومِ من الظَّالمِ، ويتعرض بسبب ذلك الظَّالمُ للعذاب والتطهير، والقصاصُ يوم القيامَةِ يكون بالحسناتِ والسَّيئاتِ، وليس بالدينار والدرهم! وكفىٰ بهذا حاجزًا عن الظُّلم، وكفىٰ به رادعًا وواعظًا للعبد المسلم في أَن يتخفف من حقوق العباد، ويخرج من هذه الدُّنيا الفانية سالمًا غانمًا بالحسناتِ والبقيات الصَّالحاتِ، ولا يطلبه أَحد من العباد بمظلمة في دين، أَو نفس، أَو مال، أَو عرض، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

وقالَ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾(١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٣) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٤) .

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ثَلاَثَةٌ : دِيوَانٌ لاَ يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا ، وَدِيوَانٌ لاَ يَتْرُكُ اللهُ منه شَيْئًا ، وَدِيوَانٌ لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ ؛ فَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليه الْجَنَّةَ ﴾ وَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لاَ يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا ؛ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ من صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلاَةٍ تَرَكَهَا ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لاَ يَتْرُكُ

(١) سورة فاطر، الآية : ٣٢ .
(٢) سورة النمل، الآية : ٤٤ .
(٣) سورة النساء، الآية : ٦٤ .
(٤) سورة الأعراف، الآية : ٢٣ .

اللهُ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ لاَ مَحَالَةَ»(١).

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الظُّلْمُ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ، وَظُلْمٌ لا يَتْرُكُهُ. فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ، قَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ؛ فَظُلْمُ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَ يَتْرُكُهُ اللهُ؛ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؛ حَتَّىٰ يُدَبِّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»(٢).

وقالَ العلاَّمةُ ابن السَّعديّ – رحمهُ اللهُ – في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ:

(﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣).

قالَ اللهُ تعالىٰ فاصلاً بين الفريقين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأَمنُ من المخاوف، والعذاب والشَّقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم؛ فإن كانوا لم يلبِسوا إيمانَهم بظلمٍ مطلقًا، لا بشركٍ، ولا بمعاصٍ؛ حصل لهم الأَمنُ التَّامُّ، والهداية التَّامَّة، وإن كانوا لم يلبِسوا إيمانَهم بالشِّرك وحده، ولكنَّهم يعملون السَّيئاتِ؛ حصل لهم أَصلُ الهداية، وأَصلُ الأَمنِ، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة: أَنَّ الذين لم يحصُل لهم الأَمران؛ لم يحصُل لهم هدايةٌ، ولا أَمنٌ؛ بل حظُّهم الضلالُ والشَّقاءُ).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» ص٢٨٢ رقم (٢٠٠٩) عن أنس، وحسَّنه الألباني بشواهده في «الصحيحة» برقم (١٩٢٧) ومن هذه الشواهدة حديث عائشة السابق.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٨١ – ٨٢.

«٨»

«تعريفُ الهوىٰ»

● الهوىٰ في اللُّغةِ:

الهَوَاءُ: ممدودُ الجَوِّ ما بين السَّماء والأَرض، والجمعُ: الأَهْوِيةُ، وأَهْلُ الأَهواءِ، واحدها هَوًى، وكُلٌّ فراغ هواء.

وقلبُ هواءٌ: فارغٌ، وفي القُرآنِ: ﴿ وَأَفْئِدَتُهم هَوَآء ﴾[١]. أي: لا عقولَ لهم، والهَوَاءُ والخَواءُ: واحدٌ.

وهَوَىٰ يَهْوِي هَوِيًّا: أَي: سَقَطَ من فوقٍ إِلىٰ أَسْفَلِ.

وأَهْوَىٰ يَدَهُ وبيده إِلىٰ الشَّيْءِ ليأْخذه.

والهَوَىٰ مقصورٌ: هَوَىٰ النَّفْس، وهي: إِرادتُها، والجمعُ: الأَهْوَاء.

والهَوَىٰ: محبَّةُ الإِنسان الشَّيْءِ، وغَلَبَتُهُ علىٰ قلبِهِ، قالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ ﴾[٢].

أَي: نَهَاهَا عن شَهَوَاتها، وما يدعو إِليه من المعاصي والذُّنوب.

وقوله تعالىٰ: ﴿ كالذي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطين ﴾[٣].

أَي: ذَهَبَت بهَوَاه وعَقله، وقيل: اسْتَهْوَتْه استَهامَتْه وحَيَّرَتْه.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

والهَوَىٰ يكون بمعنىٰ: الميلِ، والحُبِّ، والعِشْقِ، ويكون في مدخل الخير والشرِّ، ويكون بمعنىٰ إرادة الشيء وتمنِّيه.

ولكن متى تُكُلِّمَ بالهَوَىٰ مطلقًا: لم يكن إلاَّ مذمومًا؛ حَتَّىٰ يُنْعَتَ بما يُخرجُ معناه؛ كقولهم: هَوًى حَسَنٌ، وَهَوًى موافقٌ للصواب.

ولم يَرِدْ ذكرُ الهوىٰ في القرآن؛ إلاَّ بصيغة الذمِّ! [١].

ويتبين مِمَّا سبق أَنَّ مفردات مادة (الهوىٰ) يغلب عليها الذمُّ مطلقًا؛ فهي تدورُ حولَ الميل إلىٰ خلافِ الحقِّ، والسُّقوط، والخَواءِ، والتَّسَرُّع، والوقوع في الشَّهوات المحرَّمة، واستحواذِ الشَّياطين، والحيرة، والضلال، والجنون، والفجور، والظلم، وغير ذلك من المعاني المذمومة؛ التي يهوي بصاحبه في الدُّنيا إلىٰ كلِّ داهيةٍ، وفي الآخرةِ إلىٰ الهاويةِ.

وقالَ العلاَّمَةُ التهانَويُّ، رحمهُ اللّٰهُ تعالىٰ:

(الهوىٰ: مصدر هواه إذا أَحبَّه واشتهاه، وجمعه الأَهواء، ثمَّ سُمِّي به المهوي المشتهىٰ محمودًا كان أَو مذمومًا، ثمَّ غلب علىٰ غير المحمود.

يقال: فلانٌ اتَّبع الهوىٰ؛ إذا أُريد ذمُّه، وفلان من أَهلِ الأَهواء؛ لِمَنْ زاغَ عن طريقة أَهل السُّنَّة والجماعة)[٢].

---

(١) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب» ج١٥، ص٣٧٠. و«القاموس المحيط» ص١٧٣٥. و«مختار الصحاح»: ص: ٢٩٢. و«مصباح المنير» ص٢٤٦. و«المفردات» ص٨٤٩. و«روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم الجوزية؛ ص٢٣.

(٢) «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي؛ ص١٧٤٥. مكتبة لبنان.

● **الهوىٰ في الاصطلاح:**

الهوىٰ: خلافُ الهُدىٰ والحقِّ؛ فهو مَيْلُ النَّفسِ إلىٰ ما ترغبه، والطبعِ إلىٰ ما يلائمه، والقلبِ إلىٰ ما يُحبُّه؛ بخلاف ما يحبُّه الشَّارعُ الحكيم ويأمرُ به، أي: إذا هو خروج عن حدِّ الاعتدال. ويكون ذلك في الشَّهوات، وفي الحبِّ المذموم، والعقائد، والآراء والأفكار، والمذاهب(١).

فما خَرَجَ عن مُوجبِ كتاب اللهِ تعالىٰ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فهو هوًى، ويُسَمَّىٰ صاحبُهُ: صاحبَ الهوىٰ؛ فكلُّ مَن لم يتَّبع العلمَ والحقَّ؛ فهو صاحب الهوىٰ؛ لأنَّ الهوىٰ ضدُّ اتِّباعِ النُّصُوصِ الشَّرعيَّةِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

ولذا لم يَرِدْ لفظُ الهوىٰ في القرآن؛ إلَّا بصيغةِ الذمِّ! فالهوىٰ: هو سببٌ للإعراض عمَّا جاء به المرسلون من الحقِّ والهُدىٰ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(٣).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (ولهذا كان ممن خرج عن موجب الكتاب والسُّنَّة من المنسوبين إلىٰ العلماء والعبَّاد يجعل من أهل الأهواء، كما كان السَّلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أنَّ كل من لم يتبع العلم؛ فقد اتَّبع هواه، والعلم بالدِّين لا يكون إلَّا بهدي الله الذي بعثَ به رسوله ﷺ) «الاستقامة»: ج٢، ص٢٢٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١][*].

وسُمِّي الهوىٰ هوًى؛ لأنَّهُ يهوي بصاحبهِ إلىٰ الضَّلالَةِ والفرقَةِ، ثمَّ إلىٰ النَّارِ – والعياذُ باللهِ – قالَ حَبْرُ الأُمَّةِ عبد الله بن عبَّاس، رضي اللهُ عنهُما: (إِنَّمَا سُمِّيَ هَوًى؛ لأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَىٰ النَّارِ)[٢].

إذن! اتِّباعُ الهوىٰ: هو ما تميل إليه النَّفس مما لم يبحه الشَّرع ويكون خلاف مقصوده؛ لأنَّ مقصدَ الشَّارعِ الحكيمِ من وضعِ الشَّريعةِ الغراء؛ هو إخراج المكلَّفِ عن داعية هواه؛ حتى يكون عبدًا صادقًا للهِ تعالىٰ اختيارًا، كما هو عبد للهِ تعالىٰ اضطرارًا.

فأمَّا صاحب الهوىٰ! لا حكَمَةَ له ولا زمام، ولا قائد له ولا إمام، إلهه هواه؛ حيثما تولت مراكبه تولىٰ، وأينما سارت ركائبه سار؛ فآراؤه العلمية، وفتاواه الفقهية، ومواقفه العملية؛ تبع لهواه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

لأنَّ صاحب الهوىٰ! ليس له معايير ضابطة، ولا مقاييس ثابتة، يردُّ الدَّليلَ إذا خالف هواه لأدنىٰ احتمال، ويستدل به علىٰ ما فيه من إشكالٍ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٥.

(٢) «الشرح والإبانة» «الإبانة الصغرىٰ»؛ لابن بطة: ص١٢٤.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(*) انظر «دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها» د. ناصر العقل؛ ص٢٦.

أَو إجمال، وإذا لم يستطع ردَّ الدليل لقوته؛ حمله علىٰ غير وجهه، وصرفه عن ظاهره إلىٰ احتمال مرجوح بغير دليل.

والمطلوبُ الشَّرعيِّ من المسلم الصَّادق الذي يؤمن باللهِ واليوم الآخر! هو الاستسلامُ للهِ تعالىٰ المطلق، والانقياد التَّامُّ له بالطَّاعة والعبادة؛ الذي هو أَصل دين الإسلام؛ فمن أَسلم وجهه لله تعالىٰ صادقًا، ووقف عند حدوده خائفًا؛ فقد اهتدىٰ، ونال الدَّرجات العُلىٰ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[1].

وأَمَّا مَن اتَّبعَ نفسه هواها؛ فإِنَّ عاقبتَهُ الهلاك، والخذلان! وذلك أَنَّ المعاصي والبدع؛ منشأَها من تقديم الهوىٰ علىٰ الشَّرع، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[2].

فاعلم! أَخي المسلم اللَّبيب: إِنَّ فسادَ الدِّين يقع بالاعتقادِ الباطل، أَو بالعملِ خلاف الشَّرع! فالأَوَّلُ يكون بالبدع، والثاني باتِّباع الهوىٰ، وهذان هما أَصلُ كلُّ شرٍّ وفتنةٍ وبلاءٍ وعذابٍ في الدَّارين، وبهما كُذِّبت الرُّسُل، وعُصيَ الرَّبُّ سبحانه، وحلَّت العُقوباتِ، ودُخلت النَّار، ولذلك ما ذكر اللهُ تعالىٰ الهوىٰ في كتابه الكريم؛ إِلاَّ علىٰ سبيلِ الذمِّ، وأَمر بمخالفته، وبين أَنَّ العبدَ إِنْ لمْ يتَّبع الحقَّ والهُدىٰ؛ اتَّبعَ هواه فضَلَّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٧– ٣٩.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٢).

● **مظاهرُ اتِّباع الهوىٰ:**

١- التَّعلقُ بالأَشخاصِ والصُّور، ويسمَّىٰ العشق، وهو ما يكون من حبٍّ مزموم، وعشق بين جنسين، ويقع - أيضًا - بين جنس متماثل.

٢- التَّعلقُ بالأَشخاصِ ليسَ حبًّا لشخصهِ، وإنَّما لعلمه، أَو لدينه! ومما لا شكَّ إنَّ محبَّةَ الصَّالحين مما يُتقربُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ؛ لكن إذا اتُّبع الهوىٰ فيها جُعِلَ هذا المتعلق يسمع الشَّخصِ ويطعه طاعةً عمياء؛ حتَّىٰ لو كان علىٰ خلافِ الحقِّ ويعادي من أَجله، ويجعله من الحبِّ في الله والبغض في الله.

٣- اتِّباعُ أَخطاءِ الآخرين بغير ضوابط الشَّرعيَّة: بحجة الدِّفاعِ عن الحقِّ والأُمَّةِ؛ وإن كان التَّتبعِ من باب النقد البناء ليستفاد منه؛ فلا مانع.

٤- انكارُ بعض المنكرات دون البعض؛ لهوًى في نفسه.

٥- تضخيمُ بعض الأُمور مع التساهل فى غيرها؛ فتجدهم يمدحون فى ما تهواهم أَنفسهم ويضخمنه، ويبالغون فى ذمِّ ما لا تهواه أَنفسهم.

٦- الجدلُ بالباطلِ، وعدمُ الاعترافِ بالخطاءِ.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

٧- التقصيرُ في محاسبةِ النَّفسِ، ورؤيتها بعين الكمال.

٨- إضاعَةُ الوقتِ؛ بما تهواه النَّفس.

● **بعضُ آثارِ مظاهر اتِّباع الهوىٰ:**

الاستقامَةُ الجوفاء، مرضُ القلبِ وقسوته، الاستهانة بالذُّنوبِ، اضلالُ الآخرينَ وإبعادهم عن الحقِّ، الحرمانُ من توفيقِ اللهِ تعالىٰ، ضعفُ العزيمةِ، مدخل واسع للشَّيطان، سوء الخاتمة، العقوبةُ الأُخروية.

● **من أَسبابِ اتِّباعِ الهوىٰ:**

الدلالُ والدَّلعُ من الصِّغرِ، مجالسةُ أَهلِ الأَهواءِ، ضعفُ المعرفةِ باللهِ تعالىٰ والدَّارُ الآخرةِ، تقصيرُ الآخرين في نصيحته، جهلُ آثارِ اتِّباعِ الهوىٰ الوخيم، عدمُ إِدراكِ خطر اتِّباعِ الهوىٰ.

● **علاجُ اتِّباعِ الهوىٰ:**

الخوفُ من الله تعالىٰ في السِّر والعلن، والدُّعاءُ المستمر، والعلم بأَنَّ السَّعادةَ الدُّنيوية والأُخروية في ترك اتِّباعِ الهوىٰ، واكتشافُ مرضِ اتِّباعِ الهوىٰ، واستحضارُ عواقبِ اتِّباعِ الهوى.

الإرادةُ والعزيمةُ القويةُ علىٰ إصلاح النَّفس، وتعويد النَّفسِ علىٰ مخالفتها فيما تهوىٰ، ولو في أَشياء مباحة لاتحريمًا لها، إنما تعويدًا لها، وتصور العبد أَنَّ تلك الأَهواءِ التي في حقِّ غيرهِ؛ هي في نفسه.

الالتفافُ حول الصَّالحين، ومحاسبةُ النَّفس علىٰ الدوام، والبُّعدُ عن مصاحبةِ أَهلِ الأَهواء والبدع، والوقوف علىٰ سيرهم وعواقبهم الأَليمة.

الصَّبرُ علىٰ الشَّهواتِ، والصَّبرُ علىٰ الطَّاعاتِ، وغضُّ البَّصرِ.

● حكمُ اتِّباعِ الهوىٰ:

خلقَ اللهُ تعالىٰ الإنسانَ وفطرة فيه الميل، وجعله جبلَّة فيه؛ فهو ضرورةٌ في بقائه؛ كميله للطعام والشُّراب والنِّكاحِ؛ فالهوىٰ مستحث لها لما يريده، كما إنَّ الغضبَ دافع عنه ما يؤْذيه؛ فلا ينبغي ذمُّ الهوىٰ مطلقًا ولا مدحه مطلقًا، كما إنَّ الغضب لا يذم مطلقًا، ولا يمدح مطلقًا، وإنما يذم المفرط من النَّوعين، وهو ما زاد علىٰ جلب المنافع ودفع المضار، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه؛ أنَّهُ لا يقف فيه علىٰ حدِّ المشروع! أَطلق ذمُّ الهوىٰ والشَّهوة والغضب؛ لأنَّهُ يندُر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده! فلذلك لم يذكر في القرآن والسُّنَّةِ إلاَّ ذمومًا؛ إلاَّ ما ورد منه مقيدًا بما يخرج معناه عن الذمِّ.

فاتبَّاعِ الهوىٰ مطلقًا؛ هو أَصلُ الضَّلال والكُفر، وما تابَعَهُ من البدعِ والمعاصي وكبائر الذُّنوب، وأَنَّ ذلك يتفاوت تفاوتًا عظيمًا:

* فإذا اتُّبع الهوىٰ في الكُفر، وما يُناقض الإيمانَ، وجُعلَ من الهوىٰ إلهًا يُعبدُ ويُطاعُ من دون الله - تبارك وتعالىٰ - ففي هذه الحال، إذا أُطلقَ الهوىٰ في النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ؛ يُراد به الكُفرُ الأَكبر المخرِجُ من الإسلام.

* وإذا اتُّبع الهوىٰ في المعصية التي هي دون الكُفر؛ كشُربِ الخمر والزِّنا والسَّرقةِ وغيرها من المعاصي، وما لا يُناقض أَصلَ الإيمان ولا يُنافيه؛ ففي هذه الحال، إذا أُطلقَ الهوىٰ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة؛ يُرادُ به الفِسقُ والمعصيَةُ والكبائرُ من الذُّنوب؛ التي هي دون الكُفر الأَكبر، أَي: هو كُفرٌ أَصغرُ غيرُ مخرجٍ من الإسلام.

● أَقسامُ الهوىٰ:

١- الهوىٰ في الشُّبهاتِ: ويكون في الآراء والأَفكار والمعتقدات، ويعتبرُ هذا النوع من أَشدِّ أَنواع الهوىٰ خطرًا! لأَنَّهُ قد يترتب علىٰ صاحبه الخروج من الإسلام بدون التَّوبةِ! لأَنَّ صاحبه لايعرف أَنَّهُ علىٰ خطأٍ حتَّىٰ يتوب منه! فأئمَّةُ السَّلف عندما كانوا يتكلموا عن الهوىٰ، وذم الهوىٰ، وأَهل الأَهواءِ والبدع؛ كانوا يقصدون هذا النوع.

٢- الهوىٰ في الشَّهواتِ: وهو قسمان:

* الهوىٰ في الشَّهواتِ المحرمةِ: وهذا من اسمه يتبين حكمه؛ فحكمه إِنَّهُ محرمٌ، ويمكن أَنْ يؤدي في الغالبِ إِلىٰ سوءِ الخاتمةِ، والعياذُ باللهِ.

* الهوىٰ في الشَّهواتِ المباحةِ: الشَّيْءُ الَّذى يهواهُ المسلمُ في الأَصل قد يكون مباحًا؛ إِلاَّ أَنَّهُ من الممكن أَن ينتقلَ إِلىٰ محذورٍ! وذلك عندما تصل الشَّهوةُ المباحة إِلىٰ محرمٍ، أَو تقود إِلىٰ التقصير في الطَّاعةِ، أَو التَّكاسل فيها، أَو تنتقل إِلىٰ الشَّهوةِ المذموم حينما يكثر منها بحيث يستغرق وقتًا كان من الأَفضل أَن يصرف هذا الوقت في الطَّاعة.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

● **والهوىٰ في الشَّرع نوعان:**

الهوىٰ بمعنىٰ الكفر الأكبر، والهوىٰ بمعنىٰ الكفر الأصغر؛ لأنَّ اتِّباعَ الهوىٰ ليسَ علىٰ منزلةٍ واحدةٍ في حكم الشَّرعِ؛ فمنه ما يكون كفرًا، أو شركًا أكبر، ومنه ما يكونُ كبيرةً، ومنه ما يكون صغيرةً من الصَّغائرِ.

* فإنْ اتَّبعَ العبدُ هواهُ؛ حتَّىٰ قادَهُ إلىٰ تكذيبِ الرَّسُولِ ﷺ أو الاستهزاء بهِ، أو الإعراض عنه؛ فهذا مُشركٌ شركًا أكبر.

وهكذا الأمرُ مع كلِّ مَن قادَهُ الهوىٰ إلىٰ ارتكابِ ما دلت الأدلةُ الشَّرعيَّةُ علىٰ أنَّهُ شركٌ أكبر، أو كفرٌ أكبر؛ كدعاءِ الأمواتِ، أو جحد المعلوم بالضَّرورةِ، أو ترك الصَّلاةِ، أو استحلال الزِّنا، أو الخمر.

* وإنْ اتَّبعَ العبدُ هواه؛ فحلفَ بغيرِ اللهِ تعالىٰ، أو رأىٰ بعمله؛ فهو مشركٌ شركًا أصغر.

* وإنْ اتَّبعَ العبدُ هواهُ؛ ففعلَ بدعةٍ غيرَ مكفِّرةٍ؛ فهو مبتدعٌ.

* وإنْ اتَّبعَ العبدُ هواهُ؛ ففعلَ كبيرةً؛ كأكلِ الرِّبا، أو ارتكاب الزِّنا، أو شُربِ الخمرِ من غيرِ استحلالٍ؛ فهو فاسقٌ.

* وإنْ اتَّبعَ العبدُ هواهُ؛ ففعلَ صغيرةً؛ فهو عاصٍ غير فاسقٍ.

وبهذا يتبينُ أنَّ اتِّباعَ الهوىٰ يقودُ إلىٰ أُمورٍ متفاوتةٍ؛ فلا يصحُ أنْ يُقالَ: إنَّ مَن اتَّبعَ هواهُ؛ فهو كافرٌ بإطلاقٍ.

إذن! اتِّخاذُ الهوىٰ إلهًا يكون باتِّباعه والانقياد إليه، وهذا قد يقودُ صاحبهُ إلىٰ اقترافِ الشِّركِ الأكبرِ، أو الأصغرِ، أو البدعةِ، أو الكبيرةِ، أو الصَّغيرةِ، لكن الحكم علىٰ كون الفعل - الذي قاد الهوىٰ إليه - كفرًا

أَكبر، أَو أَصغر؛ يُرجع فيه إلىٰ قواعدِ الشَّريعةِ وأَدلتها التفصيلة الأُخرىٰ.

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمهُ اللهُ:

(الضابطُ في الشِّركِ الأَكبرِ أَنَّهُ ما أَخرجَ من الملَّةِ، وهذا يرجع علىٰ أَنَّكَ إذا وجدتَ حديثًا ما أَنَّ هذا شرك، انظر إلىٰ قواعدِ الشَّريعة بالنُّصوصِ الأُخرىٰ؛ فإن كان مثله يخرج من الملَّةِ؛ فهو شركٌ أَكبر، وإن كان لا يخرج؛ فهو شركٌ أَصغر. إذاً لا بُدَّ إذا جاءت النُّصوصُ بأَن هذا شرك أَن نعيدَ هذا النص إلىٰ القواعدالعامَّة للشَّريعةِ؛ إذا وردت النُّصوص بالشِّركِ، ولكنه بمقتضىٰ القواعد العامَّة للشَّريعةِ لا يخرج من الإِسلام؛ فهو شركٌ أَصغر، مثل قوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

أَمَّا بالنسبةِ لجعل المعاصي كلُّها شركًا: فهذا نعم بالمعنى العام؛ لأَنَّ المعاصي إنما تصدر عن هوىٰ، وقد سمىٰ الله تعالىٰ مَن اتَّبعَ هواه متخذاً له إلهًا، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾.

إذن! عندنا ثلاثةُ أَشياءِ:

الإِطار العام: وهو أَن كلَّ معصية فهي نوعٌ من الشِّرك؛ لأَنَّها صادرة عن الهوىٰ، وقد جعل الله تعالى من اتخذ هواه إلهًا جعله متخذاً له إلهًا.

الثاني: الشِّرك إذا أُطلق؛ فهل نحمله علىٰ الشِّرك الأَكبر أَم الشِّرك الأَصغر؟ نقول: ننظرُ إلىٰ القواعد العامَّةِ في الشَّريعة؛ إن اقتضىٰ أَن يكون خارجًا عن الإِسلام؛ فهو أَكبر، وإلاَّ فلا)[١].

---

(١) انظر: «لقاء الباب المفتوح» ج١٣، ص١٩٢.

■ الهوىٰ بمعنىٰ الكُفر الأكبر: قالَ اللهُ تعالىٰ في محكمِ التَّنزيل:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾(١)(*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(٣).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٣. (٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(*) قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: مهما استحسن من شيءٍ، ورآه حسنًا في هوىٰ نفسه؛ كان دينهُ ومذهبه).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - في هذه الآية الكريمة:

(فمَن كان يعبد ما يهواه؛ فقد اتخذ إلهه هواه، فما هويه إلهه؛ فهو لا يتألّه مَن يستحق التألّه؛ بل يتألّه ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبّة؛ كمحبّة المشركين لآلهتهم، ومحبّة عباد العجل له، وهذه محبّة مع الله لا محبّة لله، وهذه محبّة أهل الشِّرك، والنفوس قد تدعي محبّة الله، وتكون في نفس الأمر محبّة شرك تحب ما تهواه، وقد اشركته في الحبِّ مع الله، وقد يخفىٰ الهوىٰ علىٰ النَّفس؛ فإن حبَّك الشيء يعمي ويصم) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٨، ص٣٥٩.

وقال العلاّمةُ محمَّد الأمين الشنقيطي - رحمهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(وإيضاح أقوال العلماء المذكورة في هذه الآية: أنّ الواجب الذي يلزم العمل به، هو أن يكون جميع أفعال المكلف مطابقة لما أمره به معبوده - جلَّ وعلا - فإذا كانت جميع أفعاله تابعة لما يهواه؛ فقد صرف جميع ما يستحقه عليه خالقه من العبادة والطاعة إلىٰ هواه، وإذن فكونه اتخذ إلهه هواه في غاية الوضوح).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[٢].

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين – رحمهُ اللهُ – في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾:

(فدل ذلك علىٰ أَنَّ كلَّ مَن قدَّمَ هوىٰ نفسه علىٰ هُدىٰ رَبِّهِ؛ فهو قد اتخذ إلهًا غيره، ولهذا يمكننا أن نقولَ: إنَّ جميعَ المعاصي داخلة في الشِّرك في هذا المعنىٰ؛ لأنَّه قدمها علىٰ مرضاةِ اللهِ تعالى وطاعته! فجعل هذا شريكًا لله – عزَّ وجلَّ – في تعبده له واتِّباعه إيَّاه؛ فالشِّرك أمره عظيم، وخطره جسيم؛ حتىٰ الرَّجل إذا تصدق بدرهم وهو يلاحظ لعل النَّاس يرونه ليمدحوه، ويقولون: إنَّه رجلٌ كريمٌ يعتبر مشركًا مرائيًا، والرِّياءُ شرك، وأخوف ما خاف النَّبيُّ ﷺ علىٰ أُمَّتِهِ الشِّرك الخفي، وهو الرِّياء؛ فعلىٰ هذا نقول: الذي جعل مع الله إلهًا آخر! إن كانت وصفًا خاصًّا بالكافر العنيد؛ فإنَّها تختص بمن يعبد الصنم والوثن، وإن كانت للعموم فهي تشمل كل من اشتغل بغير الله عن طاعته، وتقدم ذكر الأَمثلة والأَدلة علىٰ ما ذكرنا)[٣].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٣) انظر: «لقاء الباب المفتوح» ج٤، ص١٣٣.

■ الهوىٰ بمعنىٰ الكفر الأصغر : قال الله تعالىٰ في محكم التنزيل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) سورة النازات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

«٩»

«تعريفُ الموالاةِ والمعاداةِ»

• الموالاةُ والمعاداةُ في اللُّغةِ:

الموالاةُ: هيَ الْمَحَبَّةُ؛ فكلُّ مَن أَحببتَه ابتداءً من غيرِ مُكافأةٍ؛ فقد أَوْلَيْته ووالَيتَهُ، أَي: أَدْنَيتَهُ من نفسكِ. والولايةُ ضدُّ العداوةِ.

وباختصارٍ: هيَ الْمَحَبَّةُ والنُّصرةُ والاتِّباعُ، واللفظُ مُشْعِرٌ بالقربِ والدُّنوِّ من الشَّيْءِ[١].

والْمُعاداةُ: مصدرُ عادىٰ يُعادي معاداة.

والعداءُ والعداوةُ: الخصومةُ والمباعدةُ؛ وهي الشُّعورُ المتمكِّنُ في القلبِ بقصدِ الإضرارِ، وحبِّ الانتقامِ، والعدوُّ ضدُّ الصَّديقِ.

وملخصُهُ: هيَ التَّباعدُ والاختلافُ والبُّغضُ والكراهيةُ، وهيَ ضدُّ الموالاةِ تمامًا[٢].

---

(١) انظر معاجم اللغة، مادة (ولي): «تهذيب اللُّغة» للأزهري؛ ج١٥، ص٤٥٢. و«لسان العرب» لابن منظور؛ ج١٥، ص٤٠٩. و«تاج العروس» للزبيدي؛ ج٢٠، ص٣١٠. و«القاموس المحيط» لفيروزآبادي؛ ص١٧٣٢.

(٢) انظر معاجم اللُّغة، مادة (عدو): «لسان العرب» لابن منظور؛ ج١٥، ص٣٦. و«تاج العروس» للزبيدي؛ ج١٩، ص٦٦٢.

● **الموالاةُ والمعاداةُ في الاصطلاح:**

أَصلُ الموالاةِ هي الحُبُّ، وأَصلُ المعاداةِ هي البُغضُ، وينشأُ عنهما من أَعمال القلب والجوارح ما يدخُلُ في حقيقةِ الموالاةِ والمعاداةِ؛ كالنُّصرةِ، والتَّعاضُدِ، والمحبَّةِ والإكرامِ والاحترامِ والأُنسِ والمعاونةِ والجهادِ، والهجرةِ.

فالموالاةُ إذًا: الاقترابُ من الشَّيءِ والدُّنُوُّ منه عن طريق القول، أَو الفعل، أَو النيَّة، وتكون بين المحبوبَيْنِ ظاهرًا وباطنًا، ولا تتحقَّقُ الموالاةُ في الله تعالىٰ؛ إلاَّ بالمحبَّةِ والنُّصرةِ مجتمعتين معًا.

والمعاداةُ ضدُّ كلَّ ذلكَ، وهي البُغضُ، والبُعدُ، والعداوةُ، والتبرِّي، والمجانبة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

ومن هنا يتبينُ جليًّا؛ أنَّه لا يكادُ يُوجَدُ فرقٌ بين المعنَيَيْن اللُّغويِّ والشَّرعيِّ، وأنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - قد أَوجَبَ علىٰ المؤمنين أن يقدِّموا كاملَ الموالاةِ للهِ تعالىٰ، ولرَسُولِه ﷺ ولكتابِهِ، ولدينِهِ، ولعبادِهِ المؤمنين، وللمسلمين عامَّةً؛ لأنَّ المؤْمنَ أخو المؤْمنِ، ولا تكون ولايتُهُ إلاَّ لأخيه المؤْمن، وأنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - وليُّ المؤمنين ومولاهم، قالَ تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

وكذلك أَوجَبَ اللهُ – تبارك وتعالىٰ – علىٰ المؤمنين أن يوجِّهوا كاملَ عدائهم للكافرين والمشركين والوثنيِّين والملحدين والمنافقين، ومَنْ تابعَهم؛ لأنَّ بعضَهم أولياءُ بعضٍ، قالَ سبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[٤].

ولا يتحقَّق الولاءُ للمؤمنينَ والمسلمينَ إلاَّ بالبراءِ من المشركينَ والكافرينَ لأنَّ المعنيَيْن لا يتحقَّقان معًا! فهما ضدَّان لا يجتمعان أبدًا؛ فمتىٰ تمكَّن أَحدُهُما في القلب انتفىٰ نَقيضُه، وإذا زال أَحدُهما خَلَفَهُ الآخَرُ؛ لأنَّ حبَّ اللهِ تعالىٰ يقتضي حبَّ أَوليائه وأَحبَّائه، كما يقتضي هذا الحبُّ؛ بغضَ الشَّيطانِ وأَتباعِهِ وحزبه؛ فاجتماعُ المحبَّتَين مُحالٌ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[٢][*].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(*) قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله: (والولايةُ: ضدُّ العداوة، وأصلُ الولاية: المحبَّةُ والقُربُ، وأصلُ العداوة: البُغضُ والبُعد. وقد قيل: إنَّ الوليَّ سمِّي وليًّا من موالاته للطاعات، أي: متابعته لها، والأوَّل أصحُّ، والوليُّ: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي: يقربُ منه، ومنه قوله ﷺ: « أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ » أي: لأقربِ رجلٍ إلى الميِّت... فإذا كان وليُّ الله هو الموافق المتابع له فيما يحبُّه ويرضاه، ويُبغضه ويَسخطه، ويأمر به وينهىٰ عنه؛ كان المعادي لوليه معاديًا له) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » ص٥٣.

وقال الإمام ابن القيِّم، رحمه الله: (لا تصحُّ الموالاة إلاَّ بالمعاداة؛ كما قال تعالىٰ عن إمام الحنفاء المحبِّين أنَّه قال لقومه: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ ٧٥ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ۝ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ فلم يصحَّ لخليل الله هذه الموالاةُ والخُلَّةُ إلاَّ بتحقيق هذه المعاداة؛ فإنَّه لا ولاء إلاَّ لله، ولا ولاء إلاَّ بالبراءة من كلِّ معبود سواه قال تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ ٢٦ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: جعل هذه الموالاة لله، والبراء من كلِّ معبودٍ سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياءُ وأتباعُهم بعضُهم عن بعض، وهي كلمة: « لا إله إلاَّ الله » وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلىٰ يوم القيامة) « الداء والدواء » ص ٣٣١.

● وجوبُ الموالاةِ بينَ المسلمين:

أَهلُ السُّنَّة والجماعة: يعتقدون أَنَّ الموالاةَ والمعاداةَ واجبةٌ علىٰ جميع المسلمينَ شرعًا، وهي عبادةٌ يجبُ أَن يتعبَّدوا اللهَ تعالىٰ بها؛ بل هي من لوازم شهادة التَّوحيدِ ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ وشرطٌ من شُرُوطها، وهي أَصلٌ عظيمٌ من أُصول العقيدة والإيمان، وركنٌ ركينٌ من أَركان التَّوحيد؛ فيجب علىٰ كلِّ المسلمين مراعاتُها والعملُ بها، وقد جاءت النُّصوصُ الكثيرةُ في الوحيَينِ الشَّريفَينِ لتأْكيدها، وتثبيتها عندَ المسلمينَ، منها قوله تعالىٰ:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠ – ٨١.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾(١)(*).

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٥).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٥) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «حبُّ النبي ﷺ من الإيمان».

(*) قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: (أي: إن لم تجانبوا المشركين، وتوالُوا المؤمنين، وإلاَّ وقعت الفتنةُ في النَّاس؛ وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر؛ فيقع بين النَّاس فسادٌ منتشرٌ عريضٌ طويل).

وقال ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، ولاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ»[١].

وعن جرير - رضي الله عنه - قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يبايعُ، فقلتُ: يا رَسُول الله ابْسِطْ يَدكَ حتىٰ أُبايِعَكَ، واشتَرِطْ عليَّ فأنتَ أعلم! قالَ:

«أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ»[٢].

فهذه الآياتُ والأَحاديثُ كلُّها صريحةٌ واضحةٌ ومبيَّنةٌ تثبتُ أَنَّ عقيدةَ «الموالاة والمعاداة» أَصلٌ عظيمٌ من أُصول هذا الدِّين العظيم، وأَنَّهُ لا موادَّة ولا نصرةَ ولا موالاةَ مع الكُفَّار وأَعداء الدِّين البتَّة، ومع مَن حادَّ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ ولو كانوا من أَخصِّ الأَرحام، وعلىٰ جميع أَجناسهم.

واعلم! أَخي المسلمَ العزيزَ؛ أَعزَّك اللهُ تعالىٰ في الدَّارين: أَنَّ مَن حقَّق هذا الأَصلَ العظيمَ من أُصولِ الدِّينِ القويم؛ فهو من المؤمنين - حقًّا وصدقًا - المخلصينَ المجاهدينَ المؤيَّدينَ بنصر الله تعالىٰ وتوفيقه؛ لأَنَّ إتمامَ هذا الأَصلِ من كمال الإيمان، وتمام العبوديَّة، وتحقيقٌ للتَّوحيد الخالص (*).

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب الآداب) باب «مَن يؤمر أن يجالس» وحسَّنه الألباني.

(٢) رواه النسائي في (كتاب البيعة) باب «البيعة علىٰ فراق المشرك» وحسَّنه الألباني.

(*) قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله: (إنَّ تحقيقَ الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحبَّ إلاَّ لله، وأن لا يبغض إلاَّ لله، ولا يوالي إلاَّ لله، ولا يُعادي إلاَّ لله، وأن يُحبَّ ما أَحبَّه الله، ويُبغضَ ما أَبغضه الله، ويأمر بما أمر الله به، وينهىٰ عمَّا نهىٰ الله عنه، وأنَّك لا ترجو إلاَّ الله، ولا تخاف إلاَّ الله؛ وهذا هو ملَّة إبراهيم، وهذا هو الإسلام الذي بَعَثَ اللهُ به جميع المرسلين) «الاحتجاج بالقدر» ص٦٢ . وقال رحمه الله: (فاتِّباعُ سُنَّة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا، هي موجب محبَّة الله؛ كما أنَّ الجهادَ في سبيله وموالاة أَوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها) «التحفة العراقية» ص١٠١ .

● **الموالاةُ والمعاداةُ من أُصولِ الدِّين:**

فأهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يعتقدونَ أنَّ عقيدةَ الموالاة والمعاداة من الأُصول المهمَّة في الدِّين، وركنٌ من أَركان العقيدة، وتوحيدِ العبادة، ولها مكانةٌ عظيمةٌ في الشَّريعة الإسلاميَّة؛ تتَّضحُ بالوجوه الآتية:

أوَّلاً- أنَّها جزءٌ من شهادةِ التَّوحيد ﴿أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ معناها: البراءةُ من كلِّ ما يُعبدُ من دون الله تعالىٰ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١].

والطَّاغوتُ: هو كلُّ ما يُعبد من دونِ اللهِ تعالىٰ، وكلُّ مَن جاوَزَ حدَّه ودعا إلىٰ عبادة نفسه، وتهجَّم علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ في العبادةِ والطَّاعَةِ.

ثانيًا- أنَّها شرطٌ في صحَّة الإيمانِ، وأَوثقُ عُراه، وبتحقيقها يكون الفوز بمرضاة الله تعالىٰ، قال الله - عزَّ وجلَّ - في ذمِّ المنافقين:

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ: المُوَالاةُ في اللهِ والمُعَادَاةُ في اللهِ، والحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ»[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠ - ٨١.

(٣) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني برقم (٩٩٨).

ثالثًا- أنَّه بتحقيق هذه العقيدة؛ يستكمل الإيمان، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمانَ»(١).

رابعًا- أنَّها سببٌ لتذوّقِ المؤمن حلاوةَ الإيمانِ، ولذَّةَ اليقينِ؛ لأنَّ الحبَّ في اللهِ، والبُغضَ في اللهِ؛ بابٌ عظيمٌ من أبوابِ الخيرِ في الآخرة، وسببٌ من أسباب حلاوةِ الإيمانِ في الدُّنيا، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ»(٢).

خامسًا- لأنَّ مَنْ أَحَبَّ غيرَ اللهِ - سبحانَهُ وتعالىٰ - ودينه وأهله؛ حُبًّا كَحُبِّهِ للدِّينِ الحَقِّ وَأَهْلِهِ؛ كانَ كافرًا باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣).

سادسًا- أنَّها الصِّلَةُ التي علىٰ أساسِها يقوم المجتمع الإسلامي الربَّاني، ويكملُ بُنيانه، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه»(٤).

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب السنة) باب «الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه»، وصحّحه الألباني.

(٢) رواه البخاري في كتاب (الإيمان) باب «مَن كره أن يعود في الكفر».

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب (الإيمان) باب «من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

● أقسامُ النَّاسِ في الموالاةِ والمعاداةِ:

أَهلُ السُنَّةِ والجماعة: يُقَسِّمُونَ النَّاس في الموالاةِ والمعاداةِ إِلىٰ ثلاثة أَقسامٍ؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ العزيزُ، والسُّنَّةُ المطهَّرةُ:

أوَّلاً- مَن يستحقُّ الموالاة والحبَّ المطلق:

وهم المؤمنون الخُلَّصُ الذين آمنوا بالله تعالىٰ ربًّا، وبرسوله ﷺ نبيًّا، وقاموا بشعائرِ الدِّين؛ علمًا وعملاً واعتقادًا، مخلصين لله - عزَّ وجلَّ - وانقادوا لأَوامرِ الله تعالىٰ، وأَوامرِ رسوله ﷺ، وانتهوا عمَّا نهىٰ الله عنه، ونهىٰ عنه رسوله ﷺ، وأَحبُّوا في الله، وأَبغضُوا وعادَوا في الله؛ فيجب علىٰ المسلمين حبُّهم ونصرتُهم وموالاتُهم أَينما كانوا، وفي كلِّ عصرٍ ومصرٍ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١][*].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ»[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب (المظالم) باب «لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه».

(*) قال العلأمة ابن السعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (لمَّا نهىٰ الله عن ولاية الكفَّار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وذكر مآل تولِّيهم أنَّه الخسرانُ المبينُ، أخبر تعالىٰ مَنْ يجب ويتعيَّن ولايته. وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فولاية الله تُدْرَكُ بالإيمان والتقوىٰ؛ فكلُّ مَنْ كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، ومَنْ كان وليًّا لله فهو وليٌّ لرسوله، ومَنْ تولَّىٰ اللهَ ورسولَه كان تمام ذلك تولِّي مَنْ تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود؛ بإقامتهم الصَّلاة بشروطها وفروضها ومكمِّلاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقِّيها منهم... فتدلُّ - هذه الآية الكريمة - علىٰ أنَّه يجب قصر الولاية علىٰ المذكورين والتبرِّي من ولاية غيرهم).

وقالَ ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(١).

وقالَ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ»(٢).

ثانيًا- مَن يستحِقُّ الموالاةَ والحبَّ من جهةٍ، والمعاداةَ والبُغضَ من جهةٍ أُخرىٰ:

وهم عصاةُ المؤمنين؛ فتجتمع فيهم المحبَّةُ والعداوةُ؛ يُحبُّون لما فيهم من الإيمانِ والطاعةِ والتقوىٰ، ويُبْغَضُون لما فيهم من المعصيةِ والفجورِ التي هي دون الكُفر والشِّرك، مثل: المسلم العاصي الذي خَلَطَ عملاً صالحًا، وآخر سَيِّئًا، والذي يهملُ بعض الواجباتِ، ويفعلُ بعضَ المحرَّمات التي لا تصل إلىٰ الكُفر؛ فأمثالُ هؤلاء يكون لهم من الموالاةِ بقدرِ ما يظهرون من الخير، ومن المعاداة بقدر ما يَظهر منهم من الشَّر؛ كما يجب مناصحةُ هؤلاء، وعدمُ السُّكُوتِ علىٰ معاصيهم؛ بل يؤمرون بالمعروف ويُنهونَ عن المنكر وتُقامُ الحدودُ والتعزيراتُ عليهم حتىٰ يَكفُّوا عن معاصيهم ويتركوا سيِّئاتهم كما فعل النَّبِيُّ ﷺ مع رجل اسمهُ عبد الله وكان يُلقَّبُ بحِمَار؛ عندما أُتِيَ به، وهو شارب للخمر، ولعنه بعض الصَّحابة، رضي الله عنهم.

فقالَ ﷺ: «لاَ تَلْعَنُوهُ! فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه»(٣).

ومع هذا! فقد أقامَ ﷺ عليه الحدَّ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب (المظالم) باب «نصرة المظلوم».

(٢) رواه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب «تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم».

(٣) رواه البخاري في كتاب (الحدود) باب «ما يكره من لعن شارب الخمر».

ثالثًا- مَن يستحِقُّ المعاداةَ والبغضَ المطلق:

وهُمُ الكُفَّارُ الخُلَّصُ الذين يَظهرُ كُفرُهم وشركُهم وزندقتُهم، وعلىٰ اختلافِ أجناسهم من اليَهُود والنَّصارىٰ، والمشركين، والملحدين، والوثنيين، والمجوس، والمنافقين، أو مَن تبعهم من أصحاب المذاهب الهدَّامة، والأحزابِ العلمانيَّة، وما هم في حكمهم.

وهذا الحكمُ ينطبقُ - أيضًا - علىٰ مَن فعَل المكفِّراتِ من المرتدِّين والمشركين المنسوبين للإسلام: كوقوعِهِ في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام، أو أشرك بالله - تبارك وتعالىٰ - في عبادته أحدًا من عباده، أو صَرفَ لهم نوعًا من أنواع العبادة؛ كدُعاء غير الله، أو الاستغاثة بغيره، أو التَّوكُّل، أو الذَّبح، أو النَّذر لغيره تعالىٰ، أو سَبَّ الله تعالىٰ ورَسُوله ﷺ أو دينه العظيم، أو ترك الصَّلاة المفروضة، أو فصل الدِّين عن الحياة؛ اعتقادًا بأنَّ دينَ الإسلام لا يلائِمُ هذا العصر! أو نحو ذلك من أعمال الرِّدَّةِ - بعد إقامة الحجة عليه واستكمال شروط التكفير وانتفاء موانعه - فعلىٰ جميع المسلمين أن يُجاهدُوا هذا النوعَ من المرتدِّين، ويُضيِّقوا عليهم مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، ولاَ يتركُوهُمْ يَعيثُونَ في الأرضِ الفَسَادَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

واعلم أخي المسلم العزيز! أنَّ بُغضَ الكُفرِ والشِّرك وأهلِهِ؛ علامةُ صدق الإيمان، وإخلاص التَّوحيد، وحبِّ العقيدة، وإعلان الموالاة لله تعالىٰ

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣. وسورة التحريم، الآية: ٩.

ولدينه العظيم، ولرسُوله الأمين ﷺ ولعباده المؤمنين الصَّادقين الموحِّدين.

وأنَّ بُغض الكُفر والشِّرك يستلزم بُغض أهله، والبراءة منهم ومما يعبدونه من دون الله تعالىٰ؛ ثمَّ محاربتهم والتَّصدِّيَ لهم، وكشف خُطَطهم، والتَّحذيرَ من مكائدهم وأفكارهم، وبيانَ فسادها وخُبثها؛ فهذا من أعلىٰ مراتب الموالاة والمعاداة في اللهِ تباركَ وتعالىٰ (*).

وأنَّ الأصلَ في معاداةِ الكفارِ وبغضهم؛ أن تكون ظاهرةً لا خفيةً، وذلكَ حفظًا للدين وأهله؛ كما أعلنها إمام الحنفاء وأبو الأنبياء إبراهيم خليل الرَّحمن - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - قالَ اللهُ تباركِ وتعالىٰ:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(١).

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(*) قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: (وليُعلم أنَّ المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدىٰ عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإنَّ الله - سبحانه - بعث الرُّسل، وأنزل الكُتب ليكون الدِّين كلُّه لله، فيكون الحبُّ لأوليائه، والبغضُ لأعدائه، والإكرامُ لأوليائه، والإهانةُ لأعدائه، والثواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه. وإذا اجتمعَ في الرَّجل الواحد خيرٌ وشر، وفجورٌ وطاعة، ومعصيةٌ، وسُنَّةٌ وبدعة: استحقَّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقَّ من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشرِّ؛ فيجتمعُ في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة؛ فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير، تُقطع يده لسرقته، ويُعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتَّفق عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة، ومَن وافقهم عليه) «مجموع الفتاوىٰ» ج٢٨، ص٢٠٩.

● حقوقُ ومقتضياتِ الموالاةِ في اللهِ تعالىٰ:

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يرونَ أنَّ الموالاةَ في الله تعالىٰ لها مقتضياتٌ وحقوقٌ يجب أن يؤدِّيها المسلم؛ حتى يَكملَ إسلامه وإيمانه وصدقه، وينجوَ من الوقوع في شِراك الكُفر - والعياذُ بالله - منها:

أوّلاً- الهجرةُ من بلاد الكُفر إلىٰ بلاد المسلمين، ويُستثنىٰ من ذلك المستضعفُ، ومَن لا يستطيعُ الهجرة لأَسبابٍ شرعيَّة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[1].

ثانيًا- الانضمامُ إلىٰ جماعةِ المسلمين، وعدمُ التفرُّق عنهم، والتعاونُ معهم علىٰ البرِّ والتقوى، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

ثالثًا- أن يُحبَّ للمسلمين ما يحبُّ لنفسه؛ من الخير ودفع الشرِّ، والحرص علىٰ محبَّتهم، ومجالستهم، ومشاورتهم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

رابعًا- عدمُ التجسُّس عليهم، أو نقلِ أخبارهم وأسرارهم إلىٰ عدوِّهم، وكفُّ الأذى عنهم، وإصلاحُ ذات بينهم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾(٢).

قالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٣).

خامسًا- نصرةُ المسلمين علىٰ أعدائهم، وعدمُ التخلِّي عنهم البتَّة، في حال العسر واليسر، والشِّدَّة والرَّخاء، في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، ومعاونتُهم بالنفس والمال واللِّسان، ومشاركتُهم في أفراحهم وأحزانهم، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٤).

سادسًا- أداءُ حقوقهم من عيادة المريض، واتِّباع الجنائز، والرفق بهم، واللين والرقَّة والذلّ وخفض الجناح لهم، والدُّعاء والاستغفار لهم، والسَّلام عليهم، والرفق بضعفائهم، وعدمِ غشِّهم في المعاملة، أو أكل أموالهم

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

بالباطل، أَو البيع علىٰ بيعهم، أَو الخطبة علىٰ خطبة أَخيه المسلم، وعدم هجره فوق ثلاثِ ليالٍ.

سابعًا- عدمُ انتهاك حرمات المسلمين: من تكفيرهم، واستحلال دمائهم، أَو أَعراضهم، أَو أَموالهم، أَو ظُلمهم، أَو سبِّهم وشتمهم، أَو لعنهم، أَو التعدِّي عليهم، أَو سوء الظنّ بهم، أَو السخرية منهم، أَو غيبتهم، أَو الوقوع في النميمة والإفساد فيما بينهم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ١١ - ١٢.

● **مقتضياتُ معاداةِ الكافرين:**

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يرونَ أَنَّ المعاداةَ في اللهِ – تبارك وتعالىٰ – تقتضي أُمورًا في حياة المسلم الصَّادق يجب مراعاتها، والأَخذُ بها؛ حتىٰ يسلَمَ من الوقوعِ في الكُفرِ أَو الشِّرك، وموافقة أَهله، منها:

أَوَّلاً– بغضُ الشِّرك والكُفر وأَهله، ومذاهبه بأَنواعها، وإِضمارُ العداوة لهم، وإِعلانُ البراءة منهم، ومن كُفرهم، وشركهم ومعتقداتهم وقوانينهم، وتشريعاتهم الشِّركيَّة، ومن آلهتهم، وما يعبدون من دون الله تعالىٰ، وعدمُ الرضىٰ بها جميعًا؛ كما أَعلن ذلك أَبو الأَنبياء، وإِمامُ الحنفاء، نبيُّ الله وخليله إِبراهيم – عليه الصَّلاة والسَّلام – براءتَهُ من أَبيهِ وقومه ومن جميع الكافرين والمشركين من دون خوفٍ ولا تردُّد، وسط ملَّة الكُفر جميعًا، وهو وحيدٌ بينهم، ولكن كان قويًّا بربِّه الكريم، واثقًا من نصرته، ولم يستثنِ منهم أَحدًا، ولم يوالِ منهم إِلاَّ مَن آمن باللهِ تعالىٰ وحده وكفر بما يعبد من دونه، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

ثانياً– عدمُ اتِّخاذ الكفَّار أَولياءَ وأَعوانًا وأَنصارًا، أَو الميل إِليهم من المصاحبة والاستناد والاعتماد، وعدمُ مودَّتهم، أَو تعظيمهم وتوقيرهم وإِكرامهم، أَو البشاشة والطلاقة في وجوههم، ومفاصلتُهم مفاصلةً كاملةً؛ حتىٰ لو كانوا من ذوي القربى والخواصِّ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ – ٢٨.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾(١).

ثالثًا- هَجْرُ بلاد الكُفر عامةً، وعدمُ السُّكنىٰ فيها، وعدمُ تكثيرِ سَوادِهم، وعدمُ السَّفَرِ إليها إلاَّ للضرورة مع القدرة علىٰ إظهار شعائر الدِّين، والدعوة إليه، والاعتزاز به، مع عدم المعارضة لقول النَّبيِّ ﷺ:

«أَنا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ...»(٢).

رابعًا- عدمُ التشبُّه بهم فيما هو من خصائصهم، دينًا ودُنْيا: فمن التشبُّه في أُمور الدِّين التشبُّه بشعائر دينهم، وطرقِ عباداتِهم، أَو ترجمة كتبهم وتيسيرها للاطلاع، أَو أَخذُ علومهم بِرُمَّتِها؛ بدون تمحيصٍ وتنقيةٍ، وبدون ضوابطَ شرعيَّةٍ، أَو استعارةُ قوانينهم ومناهجهم في الحكم والتربية، والعملُ بها، وإلزامُ النَّاس عليها.

وفي أُمور الدُّنيا؛ التشبُّه بهم في أَخلاقهم وآدابهم وعاداتهم الخاصَّة بهم؛ كطريقة الأَكل والشرب واللباس، أَو التسمِّي بأَسمائهم، ونحوها من عاداتهم وتقاليدهم، وما لم ينتشر في المسلمين، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَنْ تَشَبَّهَ بقَوْمٍ؛ فَهُوَ مِنْهُمْ»(٣).

لأَنَّ التشبُّه يُورثُ نوعًا من المودَّةِ والموالاةِ والإعجابِ في الباطن، والمحبَّةُ في الباطن تورث المشابهةَ في الظَّاهر.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب السِّير) باب «كراهية المقام بين أظهر المشركين» وصححه الألباني.

(٣) رواه أَبو داود في (كتاب اللباس) باب «في لبس الشهرة». وصححه الأَلباني.

خامسًا- عدمُ مناصرةِ الكفَّار، أَو مدحِهم، أَو الثَّناءِ عليهم، أَو نشرِ فضائلهم، أَو إِعانتهم، أَو التآمرِ معهم ضدَّ المسلمين، أَو نقلِ أَسرار المسلمين إِليهم، أَو الركون إِليهم، أَو الاستعانة بهم إِلاَّ عندَ الضرورة وعلىٰ كفَّار أَمثالهم؛ بل يجب هجرُ صحبتهم ومجالسهم، وعدمُ اتِّخاذهم بطانةً وحاشيةً لحفظ أَسرار المسلمين، أَو إِعطائهم الفُرَصَ للقيام بأَهمِّ أَعمالهم، وقد خوَّنهم الله تباركَ وتعالىٰ؛ إِذ قالَ جلَّ وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١).

سادسًا- عدمُ مشاركة الكفَّار في أَعيادهم وطُقُوسهم الدِّينية، أَو تهنئتهم عليها، وقد فسَّر أَكثرُ أَهل العلم من أَئمَّة السَّلف - رحمهم الله - قول الله تعالىٰ في صفات المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾(٢).

أَي: أَعيادَ الكفَّار والمشركين. وكذلك عدمُ تعظيمهم بالقول أَو الفعل كمخاطبتهم بالسيِّد والمولىٰ.. ونحوها، وقد أَذلَّهم الله تعالىٰ وأَخزاهم.

سابعًا- عدمُ الترحُّم عليهم، أَو الاستغفار لهم؛ لأَنَّ هذا العمل يتضمَّن حبَّهم، وتصحيح ما هم عليه من الفساد والباطل، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨. (٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٣٣.

ثامنًا- عدمُ مداهنَةِ الكفَّار ومُجاملتهم ومداراتهم علىٰ حساب الدِّين، أَو السكوت علىٰ ما هم عليه من المنكر والباطل، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾[٢].

تاسعًا- عدمُ التَّحاكُم إِليهم، أَو الرِّضىٰ بحكمهم، أَو ببعض حكمهم، وترك اتِّباع أَهوائهم، ومتابعتهم في أَي أَمر من أُمورهم؛ لأَنَّ متابعتهم يعني تركَ حكم الله تعالىٰ، وحكم رسوله ﷺ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[٤].

عاشرًا- عدمُ اتِّباع الكفَّار والمشركين، أَو طاعتهم فيما يأْمرون به، أَو يُشيرون إِليه، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[٥].

---

(١) سورة القلم، الآية: ٩.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

حادي عشر – عدمُ بدئهم بتحيَّةِ الإسلام: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ».

قال النَّبيُّ ﷺ: «لاَ تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ؛ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»(٣)(*).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩. (٢) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

(٣) رواه مسلم في (كتاب السَّلام) باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب السلام».

(*) **أحكام موافقة الكفار:** فقد بسط العلماء القول في أحكام موافقة الكفَّار في كتب العقائد، وملخَّصها: أنَّ للمسلم في موافقته للكفَّار ثلاث حالات، وهي كالآتي:

الحالة الأولىٰ: موافقتهم في الظاهر والباطن: وهي تولِّي الكفَّار بالإطلاق؛ وذلك بالمودة، والميول، والتشبُّه، والالتجاء، والاستنصار، والانقياد لهم فيما يشتهون، ونحوها؛ فهذه هي «الموالاة المطلقة» فهي ردَّةٌ، وكُفرٌ أكبرُ، مخرج عن ملَّة الإسلام إجماعًا؛ ولو ادَّعىٰ صاحبه الإسلام، أو أعلن بعض شعائره.

الحالة الثانية: موافقتهم في الباطن دون الظاهر: فهذه – أيضًا – كُفر مخرج عن الملَّة بالإجماع؛ لأنَّها من النفاق العقدي (نفاقٌ أكبر).

الحالة الثالثة: موافقتهم في الظاهر دون الباطن: وهذه الموافقة علىٰ نوعين:

* أن تكون الموافقة بسبب الإكراه؛ كالضرب والقتل والتعذيب، بالفعل لا بمجرَّد التهديد اللفظي، وأن يغلبَ علىٰ ظنِّه أنَّه إذا امتنع أُوقع به ذلك فورًا؛ ففي هذه الحالة لا يُكَفَّر المسلم ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته.

* أن يوافقَ الكُفَّار والمشركين في الظاهر مع مخالفتهم في الباطن – وهو ليس في سلطانهم – وذلك لغرض دنيوي؛ كحُبِّ الرياسة، أو طمع في جاه ومنزلة، أو مال، أو أرض، أو الخوف علىٰ مصالحه من الضرر؛ فيواليهم ويدافعُ عن باطلهم أو يسكت عنه، أو يتَّبع نظمهم ويطبِّق قوانينهم؛ إرضاءً لهم، وإيثارًا لحظِّه من الدُّنيا وحبًّا للراحة، وطلبًا =

● موالاةُ الكُفَّارِ درجات:

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يرونَ أَنَّ موالاةَ المؤْمنينَ بعضهم لبعض، ومعاداتهم للكُفَّار والمشْركين؛ واجبٌ شرعًا، ومعاداة بعضهم لبعض، وموالاتهم للكُفَّار والمشْركين؛ محرمٌ شرعًا.

ويرونَ أَنَّ الموالاةَ يقعُ علىٰ شُعَبٍ ودرجاتٍ متفاوته؛ منها ما يُوجب الرِّدَّةَ وذهابَ الإسلام - والعياذُ بالله - ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرَّمات؛ فالتولي أَخصُّ من الموالاة؛ فكلُّ من تولَّىٰ الكُفَّار؛ فهو كافرٌ مرتد، وليس كلُّ موالاةٍ للكُفَّار يُكفِّرُ صاحبها.

إِذن! موالاةُ الكُفَّار - عندهم - نوعان: موالاةٌ مكفِّرةٍ، وموالاةٌ محرَّمةٍ لا تخرج من المِلَّةِ.

= للسلامة العاجلة؛ فيكون بذلك قد تخلَّىٰ عن ركن من أَركان توحيد العبادة، وهو المعاداة في الله تعالىٰ والموالاة فيه؛ فيُوجب هذا الترك ردَّتهُ وكُفره عن الدِّين، ولا تنفعه كراهيته لهم في الباطن؛ كما دلَّت علىٰ ذلك النصوص الشرعيَّة.

الفرق بين عقيدة المعاداة وبين البر والقسط والإحسان!

معاداتنا للكفَّار المعبَّر عنها بالبراء منهم لا تعني الإساءة لهم بالأَقوال أَو الأَفعال، وتجاوز ما وضعه لنا ديننا الحنيف من شروط وضوابط في المعاملة معهم، وهذه الشروط والضوابط مبنيَّة علىٰ أَساس العدل والإحسان؛ دون محبَّة القلب وميله، وأَباح الإسلام تبادل المصالح بيننا وبينهم بما يعود بالنفع علىٰ المسلمين، وقرَّر شيئًا من التسامح مع بعض الفئات من الكُفَّار المسالمين والمعاهدين غير الحربيِّين - لا المساعدين علىٰ حربنا وإخراجنا من ديارنا - بشرط أَلاَّ يكون علىٰ حساب الدِّين. والشارع الحكيم يأمر بحسن المعاملة مع الجميع ما داموا غير محاربين، وهذا لا يعني موالاتهم ومحبَّتهم؛ لأَنَّ البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتواد المنهي عنه في الشريعة الإسلاميَّة. أَمَّا إِذا كان هؤلاء الكُفَّار محاربين فإِنَّ صلتهم محرَّمة شرعًا بالإجماع.

أَوّلاً- الموالاةُ الكُبرىٰ، أَو العُظمىٰ:

يُخرج صاحبهُ من الإسلام، ويُسقطه في الكُفر والرِّدَّةِ - والعياذُ بالله - فهي موالاةٌ تامَّة، وتكون مشتملة علىٰ حبٍّ دينِ الكفَّارِ، وحبٍّ ظهورِ علىٰ المسلمينَ، أَو العمل علىٰ ذلك، وتكون بالقلب أَو بالعمل، أَو بكليهما.

* أمَّا التولِّي بالقلبِ: فيكون بحبِّهم وحبٍّ مَن يُحِبُّهم، وتوادِّهم والرِّضا عنهم، ومعاداة وبغض مَن يبغضهم، وموافقتُهم بالقلب والميل إليهم بالباطن؛ كمحبَّةِ الديمقراطيين من أَجلِ الديمقراطية، ومحبَّةِ البرلمانيين المشرعين، ومحبَّةِ العلمانين والقوميين، ونحوهم، من أَجل توجهاتهم وعقائدهم.

* وأَمَّا التولِّي بالفعل: فيكون بنصرة الكفَّار والدِّفاع عنهم، والتَّحالف معهم ضدَّ المسلمينَ، أَو بمعاونتهم علىٰ إنزالِ العذابِ والفتنةِ بالمسلمين، أَو إعانتهم بالمالِ والبدنِ والرأْي؛ فكلُّ مَن أَعانَ الكُفَّارَ علىٰ المسلمينَ؛ فهو كافرٌ مرتدٌّ؛ كإِعانة النَّصارىٰ أَو اليهود اليوم علىٰ المسلمين، أَو التَّحالف مع الكفَّارِ وعقدُ معهم حلفًا لمناصرتهم، ولو لم تقع النُّصرةُ فعلاً! لكنَّ الوعد بها، والتعاقد معهم والتحالف علىٰ ذلك.

* وأَمَّا التولِّي بالقلبِ والفعلِ: فتكون بموافقتهم في الظَّاهر والباطن؛ أَي: انقياد لهم بالظاهرِ، والميلُ لهم في الباطن؛ كجعل الديمقراطية في الحكم بديلاً للتَّشريع الإسلامي.

ثانيًا- الموالاةُ الصغرىٰ، أَو المقيدة، أَو المحرَّمة:

هي الموالاةُ دون موالاةٍ، وتكون دون صور الموالاة الكُبرىٰ بمراتب، وهي من الكبائر العظام، والمعاصي الجسام، وصاحبُها علىٰ شفا هلكة، ومُتعرِّضٌ للوعيد، ولكن لا يُخرج من الإسلام.

وتكون بالمودَّةِ والميلِ والمداهنَةِ، أَو ما فيه إعزازٌ لبعضِ الكفَّارِ من إكرامهم، أَو تقديمهم في المجالس، أَو اتِّخاهم عمالاً، ونحو ذلك؛ وذلك لغرضٍ دنيويٍّ؛ من أَجل مآرب مادية، أَو روابط عرقيةٍ، أَو قبليَّةٍ، مع سلامة الاعتقاد، وبغضِ دينهم، وعدم إضمار نيَّة الكفر والرِّدَّة عن الإسلام، ومعه العلم بالمعصية، والخوف من الذَّنبِ، ويكون شأْنُ صاحبه في ذلك شأْنَ كثير من العُصاة الذين يقترفون بعض الذُّنوبِ دون استحلالها، ولكلِّ ذنبٍ حظُّه وقسطُه من الوعيد الذَّمِّ؛ بحسب نيَّة الفاعل وقصده.

وكذلك مَن يتجسس لصالحِ الكُفَّارِ لمصلحةٍ دنيويةٍ؛ فاختلف العلماء في حكم قتله، مع اتِّفاقهم أنَّه إن قُتِل! فإِنَّهُ يُقتل حدًا، ولا يُقتل ردةً! إذا عُلِمَ أَنَّهُ يؤْمنُ بالله تعالىٰ ورَسُولِهِ ﷺ ويبغض الكُفَّار بقلبِهِ؛ لكن حمله علىٰ ذلك مصلحة دنيوية تعلق بها، ويستشهدون لهذا بقصة حاطبٍ، وقصة سعد بن عبادة، وهذا لا يغض من شأْن الصَّحابة الكرام؛ وإِنَّمَا هي أَخطاءٌ وقع فيها مَن وقع؛ رضي اللهُ عنهم أَجمعين.

فتلك موالاة محرَّمة؛ لكن لا تصل إِلىٰ درجةِ الكفر.

● موالاةٌ جائزةٌ عندَ الضَّرورةِ:

هي موالاةٌ باللِّسانِ دون القلب عند الضَّرورةِ، وعند خوف الفتنة من الكفَّارِ بالتعذيب الفعلي؛ كما قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾(١).

كما في قصةِ الصَّحابي الجليل عمَّار بن ياسر - رضي الله عنه - عندما عَذَّبَهُ الكفَّار وأرغموه علىٰ النيل من النَّبيِّ ﷺ فجاء يبكي ويخشي علىٰ نفسه الرِّدة؛ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ!»(٢).

وهذا نوع من الموالاةِ تكون في حالِ ضعف المسلمين، ويدخل فيه ما قد يلجأُ إليه بعض المسلمين الذين يقيمون في بلاد الكُفرِ من تطبيقِ أحكام الكفَّارِ وقوانينهم؛ فعليهم أن يجتهدوا في تطبيق أحكام الله تعالىٰ ما وجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً؛ فإن عجزوا، فلهم أن يأخذوا حقوقهم، ولو عن طريق محاكم هؤلاءِ الكفَّارِ طالما كانوا مضطرين لذلك؛ حتَّىٰ لا تضيع حقوقهم؛ فهذا من أنواع الموالاة الجائزة؛ أن يُوالي بلسانه وقلبه مطمئنٌ بالإيمان، طالما كان مضطرًا إلى ذلك.

---

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» تفسير الآية: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

● **ما يُظنَّ أَنَّهُ من الموالاةِ، وهي ليس بموالاةٌ:**

كالتعامل مع الكفَّارِ؛ بتجارةٍ، أَو إجارةٍ، أَو عاريةٍ، أَو رهنٍ، أَو بيعٍ، أَو شراءٍ، أَو تخلُّقٍ معهم بالأَخلاقِ الطَّيبةِ، أَو تبادل الهديةُ معهم، وذلك من باب دعوتهم؛ لعل الله تعالىٰ أَن يهديهم للحقِّ، أَو نحو ذلك.

فالتعامل مع الكُفَّار في هذه الأُمور جائزٌ شرعًا بإتِّفاق المسلمين، ولا علاقةَ لهُ بالموالاةِ والمعاداة.

فالنَّبِيُّ ﷺ قَبِلَ ماريةَ -رضي اللهُ عنها- هديةً من المقوقس عظيم الأَقباط، ورهن درعه عند يهودي في صاعٍ من شعير، وعاقد اليهود وعاهدهم علىٰ أَن يشاركوا مع المسلمين في قتال بقية الكفَّار والمشركين، وعقد عهدًا مع خُزَاعة، وأَحيانًا عقد عهودًا فيها حيفٌ علىٰ المسلمين في الظاهر؛ ولكن العاقبة للمتقين، كما حدث في صلح الحديبية، وعاد جاره اليهودي عند مرضه، وأَذنَ ﷺ لأُمِّ حبيبةَ - رضي اللهُ عنها - أَن تصلَ أَباها أَبا سفيان عندما جاءها المدينة قبل إسلامه، وكذلك أَذنَ ﷺ لأَسماء بنت أَبي بكر - رضي اللهُ عنها - عندما جاءت أَمها بصلتها، وأَمرنا الله تعالىٰ في كتابه الكريم؛ ببرِّ الوالدين، ولو كانا كافرين، أَو مشركين، إلىٰ غير ذلك من الأَدلَّة.

« ١٠ »

« قواعدُ وضوابطُ في التَّكفير »

فإنَّ أَهلَ السُّنَّةِ والجماعَةِ لها خصائصٌ تمتازُ بها عن غيرِها من أَهلِ المللِ والنِّحلِ؛ تلكَ الخصائصُ التي تميَّزَ بها السَّلفُ الصَّالحِ من هذِهِ الأُمَّةِ المرحومَةِ، ومَن تبعهم بصدقٍ وإخلاصٍ وإحسانٍ، والتي يجدر بكلِّ مسلمٍ صادقٍ ممن انتسبَ إليهم أَن يأْخذَ بها؛ حتَّىٰ ينال ما نالوه من خيرٍ وفضلٍ؛ فمن تلكَ الخصائصِ التي تميزَ بها أَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ هيَ الوسطيَّةُ.

فالوسطيَّةُ؛ من أَعظمِ ما يتميَّز به أَهل السُّنَّةِ والجماعة عن غيرهم! فكما أَن أُمَّةَ الإسلام وسطٌ بينَ الأُممِ التي تجنحُ إلىٰ الغُلُوِّ الضَّار، والأُممِ التي تميلُ إلىٰ التَّفريطِ المهلكِ؛ فهم متوسطون - أَيضًا - بينَ فِرَقِ الأُمَّةِ المبتدعَةِ التي انحرفت عن الصِّراط المستقيم، وهدي نبيِّه الأَمين ﷺ.

فالوسطيَّةُ إذًا! هيَ سببُ خيريَّةِ هذِهِ الأُمَّةِ وبقائها، ولا تزالُ هي بخيرِ ما حافظتْ علىٰ هذِهِ الخَاصيَّةِ التي تتميَّزُ بها، وهي الاعتدالَ والاستقامةَ علىٰ صراطِ اللهِ تعالىٰ القويم؛ فإذا خرجتْ عن الوسطِ إلىٰ أَحدِ جانبيه ففرَّطتْ؛ فقد هلَكت! فإنَّ التَّطرُّفَ مَهْلَكةٌ، والتَّطرُّفُ لا يختَصُّ بالغُلُوِّ والإفْراط فقط! وإنَّما الغلُوُّ والإفْراطُ تطرُّف، والتَّقصيرُ والتَّفريطُ تطرُّفٌ أَيضًا، وكِلاَهُما مهلكةٌ للفردِ والمجتمع؛ فالَّذي يُفرِّط في حقِّ اللهِ - جلَّ في عُلاه - ويقصِّرُ في القيام به؛ هو مُتَطرِّف! والذي يتطَّرف إلىٰ جهةِ

الغُلُوّ والتَّشدُّد والتَّزمُّت؛ يُوجِبُ ما ليس بَواجبٍ، ويُحَرِّمُ ما ليسَ بمحرَّمٍ، ويكفِّرُ المسلمينَ ويُفَسِّق الصَّالحين! فيسْتَحِلُّ دِماءَهم وأَمْوالَهم، ويخرُج عن جماعتهم؛ فيثيرُ الفوضىٰ ويسعىٰ في الأَرضِ فسادًا عظيمًا، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤].

ووسطيةُ أَهل السُّنَّةِ والجماعة تتجلىٰ في شتىٰ الأُمور؛ سواء كان في باب العقيدة، أَو الأَحكام، أَو السُّلوك، أَو الأَخلاق، أَو غير ذلك، ومن أَهمِّ مظاهر تلك الوسطية؛ فهم وسطٌ في مسأَلةِ التكفيرِ، هذهِ المسأَلة الدَّقيقةِ الجليلة التي ضَلَّتْ فيها كثيرٌ من الأَفهام، وزلَّت فيها كثيرٌ من الأَقدام؛ فهدىٰ الله تعالىٰ أَهلِ السُّنَّة والجماعةِ إلىٰ التوسطِ والاعتدالِ؛ فإِنَّهم يُخَطِّئُون ولا يُكفِّرون أَحدًا من أَهل القِبلة بكلِّ ذنبٍ! بل الأُخوَّة الإِيمانيةُ ثابتةٌ عندهم مع المعاصي؛ فامتازوا بالعلمِ والعدلِ والرَّحمةِ.

فيعلمون الحقَّ الموافقَ للسُّنَّةِ السالمَ من البدعة، ويعدلون مع مَن خرج منها ولو ظلمهم، ويرحمون الخلق، ويحبون لهم الخيرَ والهدىٰ والصَّلاحَ؛ بخلاف أَهل الإِفراطِ في التكفير! الذين يتميَّزون بالجهل والظُّلم؛ فقد جعلوا مَن ليسَ بكافرٍ كافرًا، وبخلاف أَهلِ التَّفريط! الذين تخبُّطُ في فهم معنىٰ الإِيمان الصحيح عند أَهل السُّنَّة والجماعة؛ فقد غَلَوْا في الجهة المقابلة! فجعلوا الكفرَ ليس بكفرٍ؛ فخلطواُ الحقَّ بالباطل؛ فهدىٰ اللهُ تعالىٰ الذين آمنوا لِما اختلف فيه من الحقِّ بإذنه سبحانه.

ومن أَهمِّ أَسباب هذه الإِفراط والتفريط؛ هو عدمُ الاعتماد علىٰ فهم السَّلف الصَّالح لنصوصِ الكتاب والسُّنَّةِ، وعدمُ التمييز بين السُّنَّة والبدعة، واتِّباعِ الظنِّ وما تهوىٰ الأَنفسُ، والتأْويل المنكر!

أَوَّلاً- موقف أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ من مسأَلةِ التَّكفيرِ:

من أُصولِ عقيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ: أَنَّهم لا يكفِّرونَ أَحداً بِعَيْنِهِ من المسلمينَ ارتكبَ مكفِّراً؛ إِلاَّ بعد إقامة الحجَّة التي يُكَفَّرُ تاركُها به؛ فتتوفَّرُ الشُّروطُ، وتنتفي الموانعُ، وتَزُولُ الشُّبهةُ عن الجاهل والمتأَوِّل (*).

وكذلك لا يُكَفِّرونَ الْمُكْرَهَ؛ إذا كانَ قلبُهُ مطمئنًّا بالإيمانِ؛ بل لا يكفِّرون أَحداً من المسلمين بكلِّ ذنبٍ، ولو كان من كبائر الذُّنوب التي هي دونَ الشِّرك؛ فإِنَّهم لا يحكمون علىٰ مرتكبها بالكفر، وإنَّما يحكمون عليه بالفسقِ ونقصِ الإيمانِ؛ ما لم يستحِلَ ذنبَهُ، وإذا مات العبدُ علىٰ ذنبهِ؛ فَأَمرُه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، إن شاءَ عذَّبه، وإن شاءَ غفرَ لَهُ؛ خلافًا للفرقِ الضَّالَّةِ الَّتي تَحْكُمُ علىٰ مرتكبِ الكبيرةِ بالكفرِ، أَو بالمنزلةِ بينَ المنزلتينِ.

ومن مُمَيِّزات عقيدتهم في هذه المسأَلةِ: أَنَّهم يُفرِّقُونَ بين الحُكْمِ المطلق علىٰ أَصحاب البدع بالمعصية أَو الكفر، وبين الحكم علىٰ شخص مُعَيَّن صدرت عنه بدعة من البدع بأنَّه عاصٍ أَو فاسقٌ أَو كافرٌ؛ فلا يحكُمُون عليه بذلك حتَّىٰ يُبَيَّنَ له الحقُّ، وذلك بإقامة الحجَّةِ وإزالة الشُّبهة؛ ولا يكفِّرون المعَيَّن إلاَّ إذا تحقَّقَت فيه الشُّروطُ، وانتفت الموانعُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾(1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(2).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨. (٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(*) واعلم! أَنَّ ذلك يكون في الأُمور الخفية التي تحتاج إلىٰ كشف وبيان، بخلاف الأَشياء الظاهرة؛ مثل جَحْد وجودِ الله، وتكذيب الرسول ﷺ وجحدِ عموم رسالته، وختمهِ للنبوة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

« كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مُتَواخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَىٰ الآخَرَ عَلَىٰ الذَنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ! لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ - أَو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ! - فَقُبِضَ أَرْواحُهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العالمين، فَقَالَ لِهَذا الْمُجْتَهِد: كُنْتَ بِيَ عَالِمًا، أَو كُنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِب: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده! لتكلَّمَ بكلمة أَوبَقَتْ دنياه وآخرته)[١].

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ لا يكفِّرونَ أحدًا من أهلِ القبلَةِ بمُطلقِ المعاصي والذُّنوبِ؛ كما هو صنيعُ مخالفهم من أهلِ البدعِ والأهواء كالخوارج! ولا يَسْلُبُونَ الفاسقَ المليَّ الإيمانَ بالكلِّيةِ، ولا يخلِّدونه في النَّارِ! كما تفعله المعتزلةُ، وإنَّما مُعتقدهم في صاحب الكبيرة والمعصيةِ؛ أنَّهُ مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، أو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان؛ فلا يُعطى الاسمَ المطلق، ولا يُسْلَبُ مُطلق الاسم. كما أنَّهم لا يُكفِّرونَ مخالفيهم لمجرَّد المخالفة، وإنَّما يعتقدون في الفِرَق أهلِ القبلةِ؛ أنَّ حُكمهم هو حُكم أهلِ الوعيد من أهلِ الكبائر والمعاصي مِن هذه الأُمَّة الذين لهم حُكم الإسلام في الدُّنيا، وهم في الآخرة داخلون تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ فإنْ شاءَ غَفَرَ لهم - برحمته سبحانه - وإنْ شاءَ عذَّبهم - بعدله سبحانه - ثمَّ مآلهم إلىٰ الجنَّة.

(١) رواه أبو داود في (كتاب الأداب) باب «في النهي عن البغي» وصحَّحه الألباني.

قالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمهُ اللهُ - بعد ذكرِ الخوارجِ:

(وإذا كانَ هؤلاءِ الَّذينَ ثبتَ ضلالُهم بالنَّصِّ والإجماعِ؛ لم يكفَّروا مع أَمرِ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ بقتالهم! فكيف بالطوائفِ المختلفةِ الَّذينَ اشتبهَ عليهم الحقُّ في مسائلَ غلط فيها مَن هو أَعلمُ منهم؟ فلا يحلُّ لأَحدٍ من هذه الطوائفِ أَن تكفِّر الأُخرىٰ، وتستحلَّ دَمَها ومالَها، وإِن كانت فيها بدعة محققَّة؛ فكيف إِذا كانت المكفِّرةُ لها مبتدعةً أَيضًا؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أَغلظ، والغالب أَنَّهم جميعًا جُهَّال بحقائقِ ما يختلفون فيه)[١].

وقالَ - رحمه الله - عندَ ذكرِ أَهلِ الأَهواءِ والبِدَعِ مِنَ الفِرَقِ الثِّنتَينِ والسَّبعينَ فِرْقَة؛ الذين وعدُوا بالنَّارِ:

(إِنْ لم يكونوا في نفسِ الأَمرِ كفَّارًا! لم يكونوا منافقين؛ فيكونون من المؤْمنين، فيُستغفر لهم ويُترحَّم عليهم، وإِذا قالَ المؤْمنُ: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ يقصدُ كلَّ مَن سبقَهُ من قرونِ الأُمَّةِ بالإِيمانِ، وإِنْ كانَ قد أَخطأَ في تأْويلٍ تأَوَّله! فخالفَ السُّنَّةَ، أَو أَذنبَ ذنبًا؛ فإِنَّهُ من إِخوانِهِ الَّذينَ سبقوهُ بالإِيمانِ؛ فيدخلُ في العمومِ، وإِنْ كانَ من الثِّنتينِ والسَّبعينَ فِرْقَةً؛ فإِنَّهُ ما من فِرقَةٍ إِلاَّ وفيها خَلْقٌ كثيرٌ ليسوا كفَّارًا! بل مؤْمنونَ فيهم ضَلاَلٌ وذنبٌ يستحقُّونَ الوعيدَ؛ كما يستحقُّهُ عُصاة المؤْمنينَ، والنَّبيُّ ﷺ لم يخرجهم مِنَ الإِسلامِ؛ بل جعلهم من أُمَّتِهِ، ولم يقل: إِنَّهم يخلَّدونَ في النَّارِ؛ فهذا أَصلٌ عظيمٌ ينبغي مراعاته)[٢].

تنبيهٌ مهمٌّ! هذه الفِرَقُ معدودةٌ من جُملة المسلمينَ عندَ أَهلُ السُّنَّةِ

---

(١) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٣، ص٢٨٣.

(٢) انظر: « منهاج السُّنَّة » ج٥، ص٢٤٠ - ٢٤١.

والجماعة؛ إذا كان أخطأهم في بعض مسائل عقيدتها، ولكن إذا كان باطنُ مذهبهم معاندة الرَّسُولِ ﷺ أَو تقوم حقيقة مذهبها علىٰ تعطيل الصَّانع، أَو إبطال الاحتجاج بالشَّريعةِ، أَو إبطال التكاليف الشَّرعيَّةُ! أَو نشوء الفرقة هو إبطان الكفر وتعطيل الشَّريعة ونحوها، وكلٌّ هذه الأُمور تتجلىٰ من خلال مقالات أَئمَّتها وما يؤول إليه كلامهم! فإذا كان هذا حالهم! فلا تَعد هذه الفرقة من جملة المسلمينَ!

* فبينما نجد فريقًا يتسرعون في إطلاقِ الكفر! فيكفرون بالكبيرةِ، ولا يحكمون بإسلامِ من نطق بالشَّهادتين وصلىٰ وصام وأَدىٰ فرائض الإسلام؛ ما لم يتحققوا من إسلامه بشروط حددوها لم ترد في الكتاب ولا السُّنَّة.

* وفريقًا آخر! فرط تفريطًا عظيمًا؛ فمنعوا التكفير مطلقًا، ويرونَ أَنَّ مَن تلفظ بالشَّهادتين؛ لا يمكن تكفيره بحالٍ! بل قالوا: إِنَّهُ لا يجوزُ تكفير شخص بعينه، وإِنَّما إطلاقَ الكفرِ يكون علىٰ الأَعمال! وبهذا هم لا يكفرون أَحدًا البتَّة حتَّىٰ المرتدين ومدعي النُّبوةَ وجاحدي وجوب الصَّلاةِ ونحو ذلك من الأَمور التي أَجمع أَهل العلم علىٰ خروج أَصحابها من دائرة الإسلام.

أَمَّا أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة: فقد هداهم الله تعالىٰ لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنه؛ لالتزامهم بالدليل الشَّرعيِّ؛ فهم لا يمنعون التكفير بإطلاق ولا يكفرون بكلِّ ذنب ولم يقولوا: إن تكفير المعين غير ممكن، ولم يقولوا بالتكفير بالعموم دون تحقق شروط التكفير، وانتفاء موانعه في حقِّ المعين، ولم يتوقفوا في إثبات وصف الإسلام لمن كان ظاهره التزام الإسلام؛ بل يحسنون الظَّن بأَهل القبلةِ الموحدين، ومَن أَتىٰ بمكفر، واجتمعت فيه الشُّروط، وانتفت في حقِّه الموانع؛ فإِنَّهم لا يجبنون، ولا يتميعون، ولا يتحرجون من تكفيره.

ثانيًا- خُطورةُ تكفيرِ المسلمِ:

تكفيرُ المسلمَ! من الأَحكام الشَّرعيَّةِ التَّوقيفيَّةِ الذي يستمدُّ قُوَّتَهُ ونفوذَه منها؛ والتي يجبُ التقيُّدَ بها مطلقًا، وهو من حقِّ اللهِ تعالىٰ وحده، وحقِّ رَسُولِهِ ﷺ كالتحليل والتحريم والإيجاب؛ يثبتُ بأَدلَّة الكتابِ والسُّنَّةِ وبإجماع أَئمَّةِ الأُمَّةِ المعتبرينَ، وليس للعباد حقٌّ فيه البتَّةَ؛ فلا ينبغي إطلاقُهُ علىٰ أَحدٍ إلاَّ بدليلٍ شرعيٍّ واضحٍ وثابتٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

ولا يُطلق حُكم التَّكفير! بمجرَّدِ الهوىٰ، أَو جهلٍ، أَو قياسٍ عقليٍّ، أَو ظنِّيٍّ، أَو إطلاقُهُ علىٰ مَن خالفنا - وإن كان المخالف مُكَفِّرًا لنا - فإنَّ المسلمَ! لا يُكَفَّرُ بأَيِّ حالٍ من الأَحوالِ؛ إلاَّ إذا جحدَ أَمرًا معلومًا من الدِّينِ بالضَّرورةِ، أَو تركَ ذلكَ عنادًا، أَو استكبارًا واستهتارًا، أَو إعراضًا، أَو كانَ في شكٍّ منه وتردُّدٍ.

ولقد نهىٰ الشَّارعُ الحكيمُ عن تكفيرِ المسلمِ! من دونِ بُرهانٍ واضحٍ، ودليلٍ ساطعٍ؛ نهيًا شديدًا، وحذَّرَ من الوقوعِ بذلكَ تحذيرًا عظيمًا، ووردَ من الأَدلَّةِ الشَّرعيَّةِ المشتملةِ علىٰ التَّرهيب العظيم من تكفيرِ المسلم، والأَدلَّةِ الدالَّة علىٰ وجوبِ صيانةِ عرضهِ وحرمتِه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١)(*) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(٢) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾(٤) .

إذن! بابُ التكفيرِ بابٌ خطيرٌ؛ فقدْ هابَهُ السَّلفُ الصَّالح وأئمَّتهم، وتحرزوا منه غاية التحرز؛ عملاً بمقتضىٰ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ القاطعةِ في ذلك، وتحقيقًا للمقاصد السَّاميَّةِ للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ الغراء، وتظهرُ كلُّ ذلكَ جليًّا عند استعراض الدلةُ الكتاب والسُّنَّةِ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦ .

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١١ .

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .

(*) قال الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ أي: فتأنَّوا في قتلِ مَن أشكَل عليكم أمْره، ولا تتقدَّموا علىٰ قتلِ أحَدٍ إلاَّ علىٰ قتلِ مَن علِمْتُموهُ يقينًا حربًا لكم وللهِ ولرسوله ﷺ) .

قاعدةٌ جليلةٌ عظيمةٌ : (مَنْ ثَبتَ إسْلاَمُهُ بيَقِينٍ؛ فَلاَ يَزُولُ بِشَكٍ) .

أي : مَن كانَ إسلامهُ صريحًا ؛ لا يخرج منه إلاَّ بكفرٍ بواحٍ صريحٍ .

فقد اتَّفقَ أئمَّةُ أهل السُّنَّةِ والجماعَةِ علىٰ هذه القاعدة العظيمة؛ فكانوا أعظمَ النَّاس ورعًا في باب التَّكفير، وأبعدهم من ذلك؛ لأنَّهم كانوا يفقهونَ أحكام مسألَةِ التكفير، ويعلمونَ أنَّ تكفيرَ المسلم مسألَةٌ خطيرةٌ، ويترتَّبُ عليه آثارٌ عظيمةٌ؛ فيجب عدمُ الخوض فيها دون دليلٍ بَيِّنٍ، وأنَّ الأَصلَ في المسلمِ الظَّاهرِ العدالةِ بقاء إسلامه وبقاءُ عدالته؛ حتىٰ يتحقَّق زوالُ ذلك عنه بمقتضىٰ الدَّليل الشَّرعيِّ، وعملاً بالقاعدَةِ الفقهيةِ الثابتة : (اليقينُ لا يزولُ بالشَّكِّ) فالشَّكُ طارئٌ عارضٌ، والأَصلُ هو اليقين (*) .

(*) قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ الله : (فليس لأحدٍ أن يكفِّر أحدًا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط؛ حتىٰ تُقام عليه الحجَّة، وتُبيَّن له المحجَّة، ومَن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بشك؛ بل لا يزول إلاَّ بعد إقامةِ الحجَّة، وإزالةِ الشُّبهة) « مجموع الفتاوىٰ » ج١٢، ص٥٠١ .
وقال، رحمه الله : (وليسَ لأحدٍ أن يكفِّرَ أحدًا من المسلمينَ وإن أخطأ؛ حتىٰ تُقامُ عليه الحجَّةُ، وتبينُ له المحجَّةُ، وَمَنْ ثَبتَ إسلامُهُ بيقينٍ لَمْ يَزُلْ ذلكَ عنهُ بالشَّكِّ ؛ بَلْ لا يَزُولُ إلاَّ بعدَ إقامَةِ الحُجَّةِ وإزالَةِ الشُّبْهَة) « مجموع الفتاوىٰ » ج١٢، ص٤٦٦ .
وجاء في كتاب « البحر الرائق » ج٥، ص١٣٤ : (روىٰ الطحاوي عن أصحابنا : لا يخرج الرجل من الإيمان إلاَّ جحود ما أدخله فيه، وما يشكُّ في أنَّهُ ردَّة لا يحكم به؛ إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشَّكِّ مع أن الإسلام يعلو، وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام . وفي « الفتاوىٰ الصُّغرىٰ » : الكفر شيءٌ عظيمٌ؛ فلا أجعل المؤمن كافرًا متىٰ وجدت رواية أنَّهُ لا يكفر . وفي « الخلاصة » وغيرها : إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلىٰ المفتي أن يميل إلىٰ الوجه الذي يمنع التكفير تحسينًا للظَّنِّ بالمسلم . زاد في « البزازية » : إلاَّ إذا صرح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل حينئذ . وفي « التتارخانية » : لا يكفر بالمحتمل؛ لأنَّ الكفر نهاية في العقوبة! فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمال لا نهاية) .

إذن! مَنْ دخلَ في الإسلامِ بيقينٍ ظاهرٍ؛ لا يخرجُ منه إلاَّ بيقينٍ صريحٍ؛ لأنَّ اليقينَ لا يُزَال بالشَّكِّ، واليقينُ المخرجُ من الإسلامِ أن ينكرَ معلومًا من الدِّينِ بالضَّرورةِ، أو يستحل حرامًا قطعيًا لا شكَّ فيه، أو يصدر عنه قولٌ، أو فعلٌ لا يحتملُ تأويلاً غير الكُفْرِ؛ كأَنْ يسجدَ لصنمٍ بغيرِ إكراهٍ، أو يدوس علىٰ المصحفِ الشَّريفِ، أو يرميهِ في القاذوراتِ، أو يسبَّ اللهَ تعالىٰ، أو رَسُوله ﷺ أو كتابه بعبارةٍ صريحةٍ لا لبسَ فيها ولا شبهةَ، ونحو ذلك من الأُمورِ المكفِّرةِ. ومنها ينبغي الاحتراز من التَّكفير ما وجدَ إلىٰ ذلك سبيلاً؛ فباب التَّكفير بابٌ خطيرٌ وعظيمٌ، مَن لم يعرف الواجبَ فيه يَزِلُّ ويَضِلُّ، وقد توقَّفَ فيه كبار الأئمَّة فسَلِموا، وأقدم عليه المبتدئُون فسقطوا! وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ أن يُكَفِّرَ أحدٌ أحدًا دونَ برهانٍ، قال ﷺ:

«أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِر، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ؛ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[1].

وقالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذلِك إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ»[2].

وقالَ ﷺ: «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ؛ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذلِك»[3].

وقالَ ﷺ: «مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ؛ فَهُوَ كَقَتْلِه»[4].

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان حال إيمان مَن قال لأخيه: يا كافر».
(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم».
(٣)، (٤) رواه البخاري في (كتاب الأدب) باب «ما يُنهىٰ من السِّباب واللَّعن».

وقالَ ﷺ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيه: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»[١].

وعن عُبادة بن الصَّامِتِ - رضي الله عنه - قال: دَعانا النَّبِيُّ ﷺ فَبايَعْناهُ، فقالَ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ «السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ؛ إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[٢].

فاعلم! أخي المسلم: أنَّ كلمةَ التكفيرِ! كلمةٌ خطيرةٌ مهلكةٌ؛ يجبُ أن يتريثَ العبدُ كثيرًا، ويتوقفُ طويلاً قبل أنْ ينطقَ بهذهِ الكلمة؛ لأنَّ خطورتها تعود علىٰ قائلها وعلىٰ الموصوف بها في الدَّارين.

ولأنَّ التَّكفيرَ حُكمٌ شرعيٌّ؛ يترتَّب عليه أُمورٌ خطيرةٌ جدًّا؛ من إباحةِ الدَّم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النِّكاحِ، وغيره مما يترتب علىٰ الرِّدَّةِ! فكيفَ يسوغُ للمؤمنِ أن يُقْدِمَ عليهِ لأدنىٰ شُبْهَةٍ من شخصٍ قد أظهرَ إسلامُهُ ونطقَ بالشَّهادتين؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[٣].

وقد أجمع أَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ علىٰ أَنَّ الشَّخصَ المُكفَّرِ يترتَّب علىٰ كُفره أَحكامٌ شرعيَّةٌ يجب تنفيذُها، منها:

١- عدمُ حلِّ زوجته - المسلمة - لَهُ، وتحريمُ بقائها؛ لأَنَّ المرأةَ المسلمة لا يصحُّ أَن تكون زوجةً لكافرٍ بالإجماعِ.

٢- عدمُ جواز بقاء أولادهُ تحت سلطانه؛ لأَنَّهُ لا يؤتمن عليهم،

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الأدب) باب «مَن أكفرَ أخاه بغير تأويلٍ فهو كما قال».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الفتن) باب «سترون بعدي أُمورًا تنكرونها».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب «لا يعذب بعذاب الله».

ويخشىٰ أنَ يؤثرَ عليهم بكفرِهِ، وبخاصةً أَن عودهم طريٌّ، وهم أَمانةٌ في عنقِ المجتمع الإسلامي.

٣- إنَّهُ فَقَدَ حقَّ الولايةِ والنُّصرةِ علىٰ المجتمعِ الإسلاميِّ بعدَ أَن مرقَ منه، وخرج عليه! بالكفرِ الصَّريحِ، والرِّدَّةِ البواحِ، ولهذا يجب أَن يقاطعَ، ويفرضَ عليه حصارٌ أَدبي من المجتمعِ؛ حتىٰ يفيق لنفسه، ويثوب إلىٰ رشده.

٤- وجوبُ محاكمته أَمام القضاء؛ لتنفيذ حدِّ الردَّة عليه، وهو القتلُ؛ لأنَّه كفر بعد إسلامه، وذلك بعد استتابته، وإقامة الحجَّة، وإزالة الشُّبه.

٥- أنَّهُ إذا ماتَ علىٰ ردَّته وكُفره؛ لا تجري عليه أَحكامُ المسلمين؛ فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورثُ، كما أنَّه لا يَرثُ إذا مات له موروثٌ قبلَه.

٦- إنَّهُ إذا مات علىٰ الكفر؛ وجبت عليه لعنةُ اللهِ تعالىٰ، والملائكةِ والنَّاسِ أَجمعين، والخلودُ الأَبديُّ في النَّار - والعياذُ باللهِ - ولا يُدعىٰ له بالرَّحمةِ، ولا يُستغفرُ له.

وهذهِ الأَحكامُ الخطيرةُ توجبُ علىٰ مَن يتصدىٰ للحكمِ بتكفيرِ عبادَ اللهِ تعالىٰ أَن يتريثَ مراتٍ ومراتٍ! قبل! أَن ينطقَ ما يُسجل عليه!

مما لا شكَّ فيه! أَنَّ خطرَ التكفيرِ يتعدىٰ الأَفرادَ إلىٰ أَن يصلَ خطرهُ إلىٰ المسلمين جميعًا؛ فهو تقنيطٌ للمسلمين من رحمَةِ اللهِ تعالىٰ، وإهدارٌ للدَّمِ المعصوم، وإبطال قواعد الزَّواج والتوارث، والترحم علىٰ موتىٰ المسلمين، وفشو الجهل، وخفاء العلم بالدِّين، وتشويه سماحة الإسلام، واختلال الأَمن العام للمسلمين، وإلىٰ غيرَ ذلكَ من الأَخطار المدمرة.

ثالثًا- التَّفريقُ بينَ التَّكفيرِ المطلَقِ والتَّكفيرِ المعيَّنِ:

من أُصولِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مسأَلَةِ التَّكفيرِ: اعتمادهم علىٰ قاعدةٍ عظيمةٍ مميَّزَةٍ؛ وهي التَّفريق بين التَّكفيرِ المطلَقِ، والتَّكفيرِ المعيَّنِ.

أَي: بين تكفير الأَوصاف من القولِ، أَو النوعِ، أَو الفعلِ، وبين تكفير العين، أَو الأَعيان، أَو القائل، أَو الفاعل.

وهذا فرقٌ عظيمٌ لمن فتحَ اللهُ تعالىٰ عليه بتوفيقه وتسديدِهِ، وبه سلِموا من الوقوعِ في الخطأِ؛ لأَنَّ إِسقاطَ الكفرِ علىٰ المعيَّنِ مع وقوعِهِ فيما هو كفرٌ شرعًا! ليسَ بلازمٍ دائمًا، لما يعرضُ لهُ من موانعَ تجعله لا يؤاخذُ بذلكَ، وإِن تلبسَ به، وهذا ما يُسمَّىٰ عندَ الأُصوليين بـ «عوارض الأَهلية».

وهذا لا يعني ترك إِطلاق الكفرِ علىٰ القولِ، أَو الفعلِ، أَو الاعتقادِ الذي دلَّت النُّصوصُ الشَّرعيَّةِ، أَو الإِجماع علىٰ أَنَّهُ كُفرٌ!

وهذه القاعدةُ مبنيةٌ علىٰ أَصلٍ شرعيٍّ قائم بذاته، وهو أَن التَّكفيرَ العام؛ كالوعيدِ العام يجبُ القولُ بإِطلاقه وعمومه، وأَمَّا الحكم علىٰ المعينِ بأَنَّهُ كافرٌ، أَو مشهودٌ له بالنَّارِ؛ فهذا يقف علىٰ الدَّليلِ المعينِ.

* فالتَّكفيرُ المطلقِ: هو ثُبوتُ كفرِ مَن أَتىٰ بقولٍ، أَو فعلٍ معينٍ بالدليل الشَّرعيِّ؛ كقولِ: مَن قالَ كذا! فقد كَفَرَ، أَو مَن فعلَ كذا! فقد كَفَرَ، هكذا بإِطلاقِ الكفرِ دونَ تنزيلِ حكمهِ علىٰ شخصٍ بعينه.

أَي: هو تنزيلُ حكمِ الكفرِ علىٰ السَّبَبِ، لا علىٰ فاعل السَّبَبِ، وتجريم الفعل لا الفاعل! ولذلك يكفي فيه النَّظرُ في الدَّليلِ الشَّرعيِّ من حيث كونه قطعي الدَّلالةِ علىٰ الكفرِ الأَكبرِ، وأَنَّهُ ليسَ من محتملة الدلالة، مع النظر في قطعية دلالة الفعل، أَو القول نفسه علىٰ الكفرِ.

* أَمَّا التكفيرُ المعيَّن: فهو تنزيلُ حكمِ التَّكفيرِ علىٰ الشَّخصِ المعيَّنِ الذي قالَ، أَو فعلَ السَّببَ المكفرِ؛ فلا بُدَّ فيه إضافةِ إلىٰ النَّظرِ في تجريمِ الفعلِ - كما في التَّكفيرِ المطلقِ - إلىٰ حالِ الفاعلِ، أَو القائلِ من حيث ثبوت الفعل عليه، وانتفاء موانع الحكم في حقه، أَي: استفاء شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة، رحمهُ اللَّهُ تعالىٰ:

(التَّكفيرُ لَهُ شروطٌ وموانعٌ قد تنتفي في حقِّ المعيَّنِ، وأَنَّ تكفيرَ المطلقِ لا يستلزم تكفير المعيَّنِ؛ إلاَّ إذا وجدت الشُّروط وانتفت الموانعُ... والدَّليلُ علىٰ هذا الأَصل: الكتاب والسُّنَّة، والإجماع، والاعتبار...)[1].

لأَنَّهُ منَ الممكنِ! أَن يقولَ المسلمُ قولاً، أَو يفعلَ فعلاً؛ قد دلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ، وإجماعُ الأُمَّةِ علىٰ أَنَّه كفرٌ وردَّةٌ عن الإسلام لا شكَّ فيه! ولكن لا تلازُم - عندهم - بين القول بأَنَّ هذا كفرٌ، وبين تكفير الشَّخصِ بعينه؛ فليس كلُّ مَن فعلَ مكفرًا يُحكم بكفره بإطلاق؛ فقد يكون القولُ أَو الفعلُ كفرًا؛ لكن لا يُطلقُ الكفرُ علىٰ القائل أَو الفاعل إلاَّ بشرطه؛ لأَنَّه لا بُدَّ أَن تثبُتَ في حقِّه شروطُ التَّكفير وتنتفيَ موانعُه.

فالمرءُ! قد يكونُ حديثَ عهدٍ بالإسلام، وقد يكون جاهلاً جهلاً يعذر بمثله؛ فإذا بُيِّن له رجعَ، وقد ينكرُ شيئًا متأَوِّلاً أَخطأَ بتأويله، وقد تكون عنده شبهة؛ فإذا زالت الشبهة رجع - أَمَّا إذا أَصرَّ بعد قيام الحجة فإنَّهُ يكفر - وغير ذلك من الموانع التي تمنعُ من التَّكفير.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج١٢، ص٤٨٧ - ٤٨٩.

فأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يُطلقونَ القولَ في التَّكفير، فيقولونَ: مَن قال كذا، أَو فعل كذا؛ فهو كافرٌ، وعندما يتعلَّق الأَمرُ بالشَّخصِ المعيَّن الذي قاله أَو فعله، لا يحكمون بكُفره إِطلاقًا؛ حتىٰ تجتمع فيه الشُّروطُ، وتنتفي عنه الموانعُ، فعندئذٍ تقومُ عليه الحجَّةُ التي يكفُرُ تاركُها، وهذه قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعدهم التي يتميَّزون بها عن غيرهم.

لأَنَّ التَّكفيرَ ليس حقًّا لأَحدٍ، يحكُم به علىٰ مَن يشاءُ وفق هواه؛ بل التَّكفير حكمٌ شرعيٌّ، فيجب الرُّجوعُ في ذلك إِلىٰ ضوابط الشَّرعِ؛ فمن كفَّرهُ اللهُ تعالىٰ ورسوله ﷺ وقامت عليه الحجَّةُ؛ فهو كافر.

قالَ شيخُ الإِسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فقد يكون الفعلُ أَو المقالةُ كفرًا، ويُطلق القول بتكفير مَن قالَ ذلكَ؛ فهو كافرٌ؛ لكنَّ الشَّخص المعيَّن الذي قالَ ذلك القولِ، أَو فعلَ ذلك الفعلِ! لا يحكمُ بكُفرهِ؛ حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّةُ التي يكفُر تاركُها. وهذا الأَمرُ مطَّردٌ في نصوص الوعيد عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فلا يُشهد علىٰ معيَّن من أَهل القبلة بأَنَّهُ من أَهلِ النَّارِ؛ لجواز أَن لا يلحقه، لفوات شرطٍ أَو لثبوت مانع)[1].

إِذن! من الضروريِّ أَنْ نُفرِّقَ بين النَّوع والعين في التَّكفير؛ ذلك أَنَّهُ ليس كلُّ ما هو كفرٌ يُكَفَّر به شخص بعينه؛ فينبغي التَّفرقة بين الحكم علىٰ القول بأَنَّه كفر، والحكْم علىٰ صاحبه المعيَّن بأَنَّه كافرٌ؛ لأَنَّ المتأَوِّلَ والجاهلَ والمعذورَ؛ ليس حكمُه حُكم المعاند والفاجر.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج٣٥، ص٣٨٢.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فالمتأوِّل الجاهلُ والمعذورُ! ليس حكمُه حُكْمَ المعاند والفاجر؛ بل قد جعلَ اللهُ لكلِّ شيءٍ قدرًا)[١].

وقالَ أيضًا: (وإذا عُرِفَ هذا فتكفير المعيَّن من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنَّه مع الكفار - لا يجوز الإقدام عليه؛ إلاَّ بعد أن تقوم علىٰ أحدهم الحجة بالرساليَّة؛ التي يبيِّن بها لهم أنَّهم مخالفون للرُّسُل، وإن كانت مقالتهم هذه لا ريب أنَّها كفرٌ، وهكذا الكلام في جميع تكفير المعيَّنين، مع أنَّ بعضَ هذه البدع أشدُّ من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ماليس في بعضٍ؛ فليس لأحدٍ أن يُكفِّر أحدًا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتىٰ تُقام عليه الحجَّةُ، وتُبيَّنَ له المحجَّةَ، ومَن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشَّكِّ؛ بل لا يزول إلاَّ بعد إقامة الحجَّةِ، وإزالة الشُّبهة)[٢].

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ؛ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

« لاَ تَلْعَنُوهُ! فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ »[٣].

---

(١) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٣، ص٢٨٨.

(٢) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج١٢، ص٥٠٠.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب « ما يُكره من لعن شارب الخمر، وإنَّهُ ليس بخارج ». وانظر لفقه الحديث في « فتح الباري » ج١٢، ص٧٦ - ٨٠.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فنهىٰ عن لعنهِ مع إصرارِهِ علىٰ الشُّربِ! لكونه يحبُّ اللهَ ورَسُوله؛ مع أَنَّهُ لعنَ في الخمرِ عشرةً... ولكن لعن المطلقِ، لا يستلزم لعن المعيَّنِ الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق، ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسُّنَّة مشروطًا بثبوتِ شروطٍ، وانتفاء موانع)[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عِنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَىٰ بَنِيهِ فقال: إِذَا أَنا مُتُّ؛ فأَحْرِقُوني، ثُمَّ اسْحَقُوني، ثُمَّ اذْرُونِي في الرِّيحِ في البَحْرِ؛ فوَاللهِ! لئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبُني عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أحدًا، قال: فَفَعَلُوا ذَلِكَ به. فقالَ لِلأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ؛ فإذَا هُو قَائِمٌ، فقالَ لهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْت؟ فقالَ: خَشْيَتُكَ يَارَبِّ! - أَو قال - مَخافَتُكَ؛ فَغفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»[٢].

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فهذا رجلٌ شكَّ في قدرة اللهِ، وفي إعادَته إذا ذُرِيَ؛ بل اعتقد أنَّه لا يُعَادُ، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين؛ لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخافُ اللهَ أن يُعاقبَهُ؛ فغُفِرَ له بذلك، والمتأوِّل من أهل الاجتهاد الحريص علىٰ متابعة الرَّسُول ﷺ أولىٰ بالمغفرة من مثل هذا)[٣].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج١٢، ص٣٢٩.

(٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب «في سعة رحمة الله تعالىٰ، وأنها سبقت غضبه».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٢٣١.

فإذا توضح هذا الأمر العظيم، فاعلم! أخي المسلم اللَّبيب:

أنَّ تكفيرَ المعيَّنِ منَ الْجُهالِ وأمثالهم! لا يجوزُ الإقدامُ عليه؛ إلاَّ بعد إقامة الحُجَّةِ عليهم، والحُجَّةُ يجب أن تكون علىٰ مستوىٰ فهمهم، ويُعطىٰ لعقولهم منازِلُها؛ حتَّىٰ يستوعِبُوا الحجَّةَ والأدِلَّة، ويدركوا به المقصود من مراد الشَّارع علىٰ وجه الإجمال.

ومن نظرَ في سيرة السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم بإحسان من الأئمَّة الكرام؛ عرف حقيقة هذا القول جليًّا، وعلم أنَّ هذا هو مذهبُهم، وهذه طريقتهُم، ورأىٰ ما هم عليه من العدل والإنصاف، وقول الحقِّ، والثبَّاتِ عليه، والحرصُ علىٰ إنقاذِ الخلقِ وهدايتهم، وإنارة بصائرهم، لما خصَّهم الله تعالىٰ به من العلم النَّافع، والعمل الصَّالح.

وما أروعَ وأجملَ موقف الصَّحابيِّ البطل؛ ربعي بن عامر – رضي الله عنه – عندما دخل على رستم قائد بلاد الفارس في معركة القادسية؛ ومعه رمحٌ مُسلَّم، وثوب ممزق، وفرس كبير معقور؛ بلغ من العمر عتيًا!

فقال له رستم الفارسي المجوسي! بعجرفة القوة، وهو يضحك، ومعه وزراؤه وقادته، وما يقارب مائتين وثمانين ألفًا من الجنود: ماذا جاء بكم؟ جئتم تفتحون الدُّنيا! بهذا الفرس المعقور والرمح المسلم والثوب الممزق؟!! فقال له ربعي – رضي الله عنه وأرضاه – بلسانِ الواثقِ:

(إنَّ الله! ابتعثنا لنخرجَ العباد من عبادةِ العباد إلىٰ عبادة رَبِّ العباد، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام، ومن ضيق الدُّنيا إلىٰ سعة الدُّنيا والآخرة).

رابعًا- اعتبارُ الظَّاهرِ في مسائلِ الكفرِ والإيمانِ (*):

من الأُصولِ المميِّزةِ لأَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مسائل الكُفر والإيمان:

أَنَّهم يحكُمُونَ علىٰ النَّاس بالكفرِ والإيمانِ علىٰ ظواهرِهم؛ فإن أَظهرَ الكفر حَكَموا عليه بالكفر، وإن أَظهرَ الإيمانَ حكَمُوا عليه بالإيمان من دون أن يَتَتَبَّعُوا بواطنَهم؛ لأَنَّ معرفةَ ما في القلوبِ من خصائصِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - وحده لا شريك له؛ فجعلَ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - ظاهرَ النَّاسِ دليلاً علىٰ بواطنهم؛ ثمَّ أَعطاهمُ الحقَّ في الحُكمِ علىٰ البواطنِ؛ بمقتضىٰ ما يبدوا لهم من ظواهرهم؛ فإن أَظهروا الإسلامَ حُكِمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وإن أَظهروا الكُفر حُكِمَ لهم بالكُفر ظاهرًا وباطنًا.

لأَنَّ ظاهرَ العبدِ - عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - هو الوجهُ الآخَرُ لقلبه وباطنه، وأَنَّه انعكاسٌ مباشرٌ له لا يتخلَّفُ عنه ولا يُغايرُه، وإذا كان الباطنُ صالحًا كانَ الظَّاهرُ كذلك، وإذا كانَ الباطنُ فاسدًا كان الظَّاهرُ كذلك فاسدًا بحسبه، وإذا انتفىٰ الظَّاهرُ دلَّ ذلك علىٰ عدمِ ما في القلب، وإذا نَقَصَ دلَّ علىٰ نَقْصِ ما في القلب، وكذلك العكس.

ومن هنا جُعلَتِ الأَعمالُ الظَّاهرةُ في الشَّرعِ؛ مناطَ الحكم في الدُّنيا علىٰ حال العبد، وذلك بالنظر إلىٰ ظاهر أَعماله دونَ الباطن؛ فيُحْكَمُ عليه بإثبات الإسلام لهُ، أَو الكفر؛ فمَن أَظهرَ الإسلامَ حكمنا بإسلامه، ومَن أَظهر الكُفرَ حكمنا بكُفره، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا

(*) انظر فصل: «التلازم بين الظَّاهر والباطن» ص (٢١٩) من هذا الكتاب.

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١)(*).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللَّهُ عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ »(٢)(**).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب « فإن تابوا وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ».

(*) قال العلامة الشوكاني – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة: (والمراد هنا: لا تقولوا لمن ألقىٰ بيده إليكم واستسلم لست مؤمنًا؛ فالسلم والسَّلام كلاهما بمعنىٰ الاستسلام، وقيل: هما بمعنىٰ الإسلام، أي: لا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلام – أي كلمته وهي الشهادة – لست مؤمنًا، وقيل: هما بمعنىٰ التسليم الذي هو تحية الإسلام، أي: لا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم التسليم فقال: السَّلام عليكم: لست مؤمنًا، والمراد نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به علىٰ إسلامه، ويقولوا إنَّه إنَّما جاء بذلك تعوذًا وتقيَّة).

(**) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (« وحسابهم علىٰ الله »، أي: في أمر سرائرهم... وفيه دليلٌ علىٰ قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظَّاهر) « فتح الباري » ج١، ص١٠٥.

وقال الإمام البغوي رحمه الله: (وفي الحديث دليلٌ علىٰ أنَّ أمور النَّاس في معاملة بعضهم بعضًا؛ إنَّما تجري علىٰ الظَّاهر من أحوالهم دون باطنها، وأنَّ من أظهرَ شعار الدِّين أجري عليه حكمه، ولم يُكشفْ عن باطن أمره، ولو وُجدَ مختونٌ فيما بين قتلىٰ غُلف؛ عزل عنهم في المدفن، ولو وجدَ لقيط في بلد المسلمين حُكمَ بإسلامه) « شرح السُّنَّة » ج١، ص٧٠.

خامسًا- الوعدُ والوعيد [*]:

من أُصولِ عقيدة أَهل السُنَّة والجماعة: الإيمانُ بنصوص الوعد والوعيد؛ يؤمنون بها، ويقُرُونها كما جاءت، ولا يَتعَرَّضون لها بالتأْويل، وَيُحَكِّمُونَ نصوص الوعد والوعيد، لقولِ الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً﴾[1].

ويعتقدونَ بأَنَّ عواقبَ العبادِ مُبهمةٌ لا يَدْري أَحدٌ - كائنًا مَن كان - بما يُخْتَمُ له، والمؤْمنُ لا يأْمَنُ مَكْرَ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - أَن يستَدْرِجَهُ من حيثُ لا يحتسبُ، أَو يعذِّبَهُ بذُنُوبهِ، وكذلكَ فإِنَّهُ لا ييأَسُ من رحمةِ اللهِ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨، والآية: ١١٦.

(*) «الوعد والوعيد»: ● الوعد: يستعمل في الإخبار بالخير والثواب، ويستفاد منها الحث والتحفيز علىٰ العمل، وهو ناشئ عن فضل الله - سبحانه وتعالىٰ - ورحمته ومنّه وكرمه، وقد وردت النصوص الشرعية المتضمنة وعد الله تعالىٰ لأَهل طاعته من الموحدين بالثواب والجزاء الحَسَن والنعيم المقيم، والوعد يوجب حُسن الظن بالله تعالىٰ؛ فإِنَّه لا بُدَّ أَن يتحقق، ويستحيل أَن يتخلف، وهو حق للعباد علىٰ ربهم؛ لأَنَّ الله - عزَّ وجلَّ - أَوجب الثواب علىٰ نفسه، ومقتضىٰ الوعد هو تحقيق الإيمان قولاً وعملاً، وعدم فعل شيء يناقضه.

● الوعيد: يستعمل في الإخبار بالشر والعقاب، ويستفاد منها الزجر و التحذير، وهو ناشئ عن عدل الله تعالىٰ وغضبه، وقد وردت النصوص الشرعية التي فيها توعدٌ للعصاة بالعذاب والنكال، ومقتضىٰ الوعيد الكفر الاعتقاديُ والعمليُ، أَو فعل الكبائر اعتقادًا أَو عملاً. وكلاهما يكونان بأُمور في الدُنيا، أَو في الآخرة، وكل منهما يكون حسّيًا أَو معنويًا، وهما إِخبارٌ عن استحقاق الجزاء دون إيقاعه؛ حتىٰ يتوفرَ شرطه وينتفي مانعه، وذلك لتحقيق الترغيب والترهيب علىٰ أَكمل الوجوه. والوعيد يتميز من الوعدِ أَنَّهُ فاقد لحتمية التحقيق؛ لأَنَّ إِخلاف الوعد مذمةٌ! ولكن إِخلاف الوعيد يعتبر من الكرم؛ لأَنَّ الوعيد هو تهديد وعقوبة؛ لذلك اعتبرت العرب العفو من مكارم الأَخلاق.

- سبحانه وتعالىٰ - أبدًا ما دامَ هو علىٰ الصِّراطِ المستقم من الإيمانِ والتَّوحيدِ والسُّنَّةِ؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً؛ قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيعملُ عَمَلَ أَهْلِ الجنَّةِ؛ فِيما يَبْدو لِلنَّاس، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ! وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعملُ عَمَلَ أَهْلِ النَّار؛ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاس، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ!»[٢].

وقالَ ﷺ: «إنَّ أَحدكُمْ لَيعْمَلُ بِعَمِلِ أَهْلِ الجنَّةِ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبيْنَهَا إِلاَّ ذِراعٌ، فَيَسْبقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها، وَإِنَّ أَحدكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إِلاَّ ذِراعٌ، فَيَسْبقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[٣].

فسبيلُ النَّجاةِ والفوزِ برضوانِ اللهِ تعالىٰ - عِنْدهمَ - وسطٌ بينَ الأمنِ والإياسِ، وبينَ الخوفِ والرَّجاءِ، قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أهلِ الإيمان:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب «لا يُقال: فلانٌ شهيد».

(٣) رواه مسلم في (كتاب القدَر) باب «كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله».

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

فالواجب علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ أَن لا ييأسَ، ولا يقنطَ، ولا يأْمنَ؛ بل يكون أَمره بين الخوف والرَّجاءِ؛ فيخافُ الله تعالى، ويحذر ارتكاب المعاصي، ويجتهد في التَّوبةِ والدُّعاء المستمر والعمل الصَّالح، ويرجو رحمة الله تعالىٰ وعفوه وكرمه ومنِّه، ولا يأْمن من مكره - سبحانه - البتَّة؛ فيستمر علىٰ المعاصي ويتساهل بها؛ بل يعبدُ اللهُ تعالىٰ بين الخوف والرَّجاء، أَي: يحسن ظنَّ باللهِ تعالىٰ، ويرجو رحمته، مع خوفه الدَّائم من عقابه وغضبه ونقمته؛ بسبب معاصيه وسيئاته.

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعة: يشهدونَ لمن ماتَ علىٰ الإِسلامِ والتَّوحيدِ وعلىٰ عبادةِ اللهِ وحده بظاهرِ إِسلامهِ علىٰ العمومِ؛ بأَنَّهُ من أَهلِ الجنَّةِ - إِنْ شاءَ اللهُ - كما وعدَهُمُ اللهُ سبحانه؛ فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

وقالَ النَّبيُّ ﷺ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وَقَالَ ﷺ : «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

ويشهدونَ بأنَّ الكفَّارَ، والمشركين، والمنافقين ومَن شايعهم؛ من أَهلِ النَّار، أَو مَن يدينُ بدينٍ غيرِ دينِ الإسلام؛ فهم مُخَلَّدون في النَّارِ إلىٰ أَبدِ الآبدينَ، لا ينجونَ منها البتَّة إن ماتوا علىٰ ذلك، وذلك لعظيم جُرمهم في حقِّ اللهِ تعالىٰ، قال اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾[٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٦].

ويشهدونَ أَنَّ مَن ماتَ علىٰ الشِّركِ دخلَ النَّارَ قطعًا، أَو مَن أَظهرَ

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب « الدليل علىٰ أنَّ من مات علىٰ التوحيد دخل الجنَّة ».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « المكثرون هم المقلون ».

(٣) سورة البقرة، الآية : ٣٩ .

(٤) سورة البينة، الآية : ٦ .

(٥) سورة النساء، الآية : ١٤٥ .

(٦) سورة التوبة، الآية : ٢٣ .

الكفرَ الأكبرَ؛ اعتقادًا، أو قولاً، أو عملاً؛ حُكِمَ عليه به، وعُومِلَ معاملةَ الكفَّارِ في الدُّنيا، وفي الآخرةِ هو من المخلدين في النَّارِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ النَّارَ»[4].

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ: لا يجزمونَ لأَحدٍ من أَهلِ القبلةِ بجنَّةٍ ولا نارٍ كائنًا مَن كان؛ إلاَّ مَن جزمَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ولكن يوكلون أَمرهم إِلىٰ اللهِ تعالىٰ، ويرجون للمحسنِ ويخافون علىٰ المسيءِ.

ولذا! فهم يشهدونَ لكلِّ مَن شهدَ لهم الرَّسُولُ ﷺ بالجنَّةِ أَو النَّارِ؛ فيشهدونَ للعشرةِ المُبشَّرةِ بالجنَّةِ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ – ١٥١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الجنائز) باب «مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ وَمَنْ كَانَ آخِرُ كلامه».

«أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»[١].

وقد ثَبَتَ لكثيرٍ مِنَ الصَّحابَةِ - رضيَ اللهُ عنهُم - الشَّهادةُ بالجنَّةِ:

كَعُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، وَآلِ يَاسِرٍ، وَبِلاَلِ بْنِ رَبَاحٍ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَأُمِّ عِمَارَةَ، وَأُمِّ أَيْمَنَ، وَفَاطِمَةَ ابْنَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةَ، وَصَفِيَّةَ، وَحَفْصَةَ، وَجَمِيعِ زَوْجَاتِهِ ﷺ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وأَمَّا مَن جاءَتِ النُّصوصُ بأَنَّهم من أهلِ النَّارِ؛ فَيَشْهَدُونَ لهُم بذلكَ:

منهُم أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَّىٰ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَىٰ بِنْتُ حَرْبٍ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، وغيرُهُم مِمَّن ثَبَتَ في حقِّهِم ذلكَ.

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ: يعتقِدُونَ بأَنَّ الجنَّةَ لا تجبُ لأحدٍ - كائنًا مَن كانَ - وإن كانَ عملُهُ صالحًا وحسنًا؛ إلاَّ أن يتغمَّدَهُ اللهُ تعالىٰ بفضلِهِ ومَنِّهِ وكرَمِهِ؛ فيدخُلُهَا برحمَتِه وبإحسَانه - عزَّ وجَلَّ - قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب المناقب) باب «مناقب عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه» وصححه الألباني.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » فَقِيلَ : وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ : « وَلاَ أَنَا ؛ إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ » (٢) .

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ: لا يُوجبونَ العذابَ لكُلِّ مَن توجَّهَ إليهِ الوعيدُ مِنَ المسلمينَ - في غيرِ ما يقتضي الكُفرَ، أَو مَن لَم يستحلَّ ذَنبَهُ - فقد يغفِرُ اللَّهُ تعالىٰ لَهُ بما فعلَهُ من طاعاتٍ، أَو شفاعاتٍ، أَو توبَةٍ، أَو بمصائبَ، وأَمراضٍ مُكفِّرَةٍ، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النور، الآية : ٢١ .

(٢) رواه مسلم في (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) باب «لن يدخل أحد الجنَّة بعمله؛ بل برحمة الله تعالىٰ» .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٥٣ .

(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٢٩ .

(٥) سورة طه، الآية : ٨٢ .

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ»(١).

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ:

لا يحكُمونَ علىٰ المعيَّنِ مِنَ المسلمينَ؛ بأنَّهُ من أَهلِ النَّارِ، وإذا حكمُوا عليه! بفعله للمعاصي والذُّنوب؛ فلا يشهدُونَ لَهُ بالخلودِ فيهِ؛ لاحتمالِ توبتهِ وحُسْنِ خاتمتِهِ، وإن كان لا بُدَّ مِنَ الحكمِ؛ فيُقَيِّدُونَ الحكمَ بالموتِ علىٰ الكفرِ؛ لأنَّ العبرَةَ بما يُختَمُ بِهِ للمرءِ:

* فإن خُتِمَ لَهُ بالإيمانِ! فهو من أَهلِ الجنَّةِ - إن شاءَ اللَّهُ - مهما كان لَهُ قبلَ ذلكَ مِنَ الأَعمالِ غيرِ الصَّالحَةِ.

* وإن خُتِمَ لَهُ بالكُفرِ! فهو من أَهلِ النَّارِ خالداً فيهَا، وإن كان لَهُ قبلَ ذلكَ مِنَ الأَعمالِ الصَّالحةِ.

* ومَنْ عُرِفَ عنهُ الكُفرُ، ولم يظهَرْ منهُ قبلَ الموتِ ما يدُلُّ علىٰ توبتِهِ وإيمانِهِ؛ حُكِمَ عليهِ بالكُفرِ والخلودِ بالنَّارِ، والعياذُ باللهِ.

* وهذهِ القاعدَةُ الجليلةُ تُطَبَّقُ - أيضًا - علىٰ مَن ثَبَتَ كُفْرُهُ ورِدَّتُهُ مِنَ المسلمين.

* أَمَّا الكُفَّارُ الأَصليُّونَ؛ فهُم مُخَلَّدُونَ فِي نارِ جهنَّم إِلىٰ أبدِ الآبدينَ؛ إلاَّ مَن دخلَ منهم الإسلامَ وأَعلنه، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الجماعة والإمامة) باب «فضل التهجير إلىٰ الظهر».

فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1] .

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ :

يعتقدُونَ بأنَّ لكُلِّ مخلُوقٍ أجلاً هو بالغهُ، وأنَّهُ لن تمُوتَ نفسٌ إلاَّ بإذنِ اللهِ تعالىٰ كتابًا مُؤَجَّلاً؛ فإذا جاءَ أجَلُهُمْ لا يستأْخرُونَ ساعةً ولا يستقدِمُونَ، وإن ماتَ أو قُتِلَ؛ فإنَّما يموتُ لانتِهاءِ أجلِهِ المسمَّىٰ لَهُ في الكتاب المبين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً ﴾[2] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ قُل لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[3] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة هود، الآيات : ١٠٦ - ١٠٧ .
(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٤٥ .
(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٥٤ .
(٤) سورة غافر، الآية : ٦٧ .

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ:

* يَعْتَقِدُونَ اعتقادًا جازمًا صادقًا؛ بأَنَّ وَعْدَ اللهِ - جَلَّ في عُلاهُ - لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بالْجَنَّةِ؛ حَقٌّ لا ريبَ فيه.

* وَوَعِيدَهُ بتَعْذِيبِ الْعُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُذْنِبِينَ فِي النَّارِ؛ حَقٌّ.

* وَوَعِيدَهُ بتَعْذِيبِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ؛ حَقٌّ.

* لاَ يُخْلِفُ اللهُ - جَلَّ وَعَلاَ - وَعْدَهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[1].

وَلَكِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وَعَدَ بالْعَفْوِ عَنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ؛ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَبِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَأَنْ لاَ يُخَلَّدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَبدًا، وَنَفَاهُ عَنْ غَيْرِهِمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨ والآية: ١١٦.

سادسًا- تكفيرُ مَن ثبتَ كفره:

من الأُصولِ المهمة لاعتقاد أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ المتفقَ عليه:

تكفيرُ الكافرِ الذي ثبتَ كفرُهُ بأَدلَّةِ الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماع، وذلك إذا تحققت شروطُه، وانتفت موانعه؛ لأَنَّ التَّكفيرَ حكمٌ شرعيٌ؛ يجبُ التَّسليم لَهُ؛ كتسليمِ المسلم ببقيةُ الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، وتكفيرُ الكافرِ من عقائدِ المسلمِ؛ كالاعتقادِ بإسلامِ المسلمِ.

* فإذا جاءَ حكمُ التَّكفير في الشَّرعِ علىٰ صورةِ الخبرِ؛ وجبَ تصديقه والإيمان به مطلقًا؛ بدون تردُّدٌ.

* وإذا جاءَ علىٰ صورةِ الأَمرِ؛ وجبَ الاستسلام التَّامُّ لَهُ، والانقيادُ الكاملِ لحكمِهِ، والعمل بموجب أَوامرِهِ.

وهكذا يجبُ أَن يكونَ موقف المسلم الصَّادق من جميع أَحكام الشَّريعةِ الغراء، ويكون شعاره: (آمنا وصدقنا، سمعنا وأَطعنا) وكفىٰ!

والحكمُ بالكفرِ أَتىٰ في الشَّرعِ الحكيم علىٰ وجهين:

* كفرٌ بالمعيَّن: أَي الحكمُ بالكفرِ علىٰ الأَعيانِ أَو الطوائف؛ كشخصٍ سمَّاهُ اللَّهُ تعالىٰ، أَو نبيُّهُ ﷺ: كفرعونِ وهامانِ، أَو أَبي لهبٍ، أَو أَبي طالبٍ، أَو عبد الله ابن أُبي بن سلول، وغيرهم كثير، أَو كحكمِ اللهِ تعالىٰ في اليهودِ والنَّصارىٰ، وغيرهم؛ فيجبُ علىٰ المسلمِ الصَّادقِ تكفيرَهُ، والبراءة منه، ومن شركه، وكفره، وإعلانُ ذلكَ، ولا مجال للاجتهادِ في تأْويلِ هذهِ النُّصوصُ الشَّرعيَّةِ البتَّة.

* كفرٌ بالوصفِ يقومُ بهِ المعيَّن: كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَنْ يُشْرِكْ

بِاللهِ ﴾ أو ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ ﴾ فهذا النوعُ من التَّكفيرِ المعيَّنِ؛ يجبُ التحقيقُ فيه من قبلِ عالمٍ راسخٍ مجتهدٍ في ثبوتِ هذا الوصفِ في ذاك المعين، وخلوه من جميع العوارضِ؛ ثمَّ تنزيل حكم الكفر عليه إذا ثبت في حقِّهِ وانتفت الموانع؛ لأنَّ الحكم بكفر الأعيان من المسلمينَ! هي من المسائلِ الشَّائكةِ والدَّقيقةِ، وهي شديدةِ الخطورةِ؛ يترتب عليها عواقبٌ كثيرةٌ وخيمةٌ؛ لذا فهي بصفةٍ عامَّةٍ لها ضوابط صارمة، تحتاج لنظر، واجتهاد دقيق للتحقق من توافر شروط إيقاع الحكم وانتفاء موانعه، وهذا الأمر مما يستعصي علىٰ عامَّةِ النَّاسِ إدراكه، وهي ليس للدعاة والمفكرين والمثقفين، وإنَّما هي لأهلِ العلمِ والاجتهادِ المتمكنين، أو أهل القدرةِ والسُّلطانِ من العلماءِ القُضاةِ.

لأنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة - كما علمنا مما سبق - هم أعظمُ النَّاسِ ورعًا في مسألةِ التَّكفيرِ، وفي تنزيلِ حكم الكفرِ في المعيَّنِ، وإنَّ أئمَّتهم يحترزون من تكفير المعيَّن من المسلمين ما وجدُوا إلىٰ ذلك سبيلاً، وبيَّنوا خُطورةَ الإقدام علىٰ ذلك دون دليلٍ واضحٍ، وبرهانٍ ساطعٍ، وعلمٍ جامعٍ نافعٍ؛ لكنَّ هذا الورعَ العظيم! لم يمنعهم من إنزال حكم الكُفرِ علىٰ مَن ثبتَ في حقِّهِ الكُفرِ؛ بشُروطهِ الشَّرعيَّةِ، وبضوابطه الدَّقيقةِ، ولذا! لم يتردَّدوا لحظةً! في تكفير مَن كَفَّرهُ اللهُ تعالىٰ، ورَسُولُه الأمين ﷺ.

لأنَّ هذا الورع في باب التَّكفير! لا يعني - عندهم - إغلاق باب الرِّدَّةِ، أو الحكم بالإسلام علىٰ مَن دلَّ الدليلُ الشَّرعيُّ علىٰ كفرهِ وردتِه؛ لأنَّ الانحراف في مسألَة التكفير، لا يُقابل بانحراف آخر لا يقل خطرًا عنه! وهو عدم تكفير الكافر! والعياذُ بالله تعالىٰ.

وذلكَ لأنَّ النُّصوصَ الشَّرعيَّةِ؛ دلَّتْ بوضوحٍ علىٰ جوازِ تكفيرِ الكافرِ الأَصلي، أَو مَن ارتكب عملاً، أَو قولاً مكَفِّرًا من المسلمينَ؛ بل جعلوا تكفيرَهُ من أُصولِ اعتقادهم، وحكموا بكُفرِ مَن لم يُكَفِّر الكافر، أَو يشُكُّ في كُفره، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٣].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ النَّارَ»[٤].

وقالَ ﷺ: «العَهْدُ الَّذي بيْنَنا وبَيْنَهُم الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ»[٥].

وقالَ ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ»[٦].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ – ١٥١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الجنائز) باب «في الجنائز، ومَن كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله».

(٥) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب «ترك الصلاة» وصححه الألباني.

(٦) رواه أبو داود في (كتاب الجهاد) باب «النهي عن قتل من اعتصم بالسجود» وصحّحه الألباني.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَامَ الفَتْحِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ؛ فَلَمَّا نَزَعَهُ، جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ! فَقَالَ ﷺ: «اقْتُلُوهُ»[١][*].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ أَعْمَىٰ كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ؛ فَيَنْهَاهَا، فَلاَ تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ! قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ؛ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ! فَقَالَ: «أَنْشُدُ اللهَ رَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلاَّ قَامَ» فَقَامَ الأَعْمَىٰ يَتَخَطَّى النَّاسَ، وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّىٰ قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلاَ تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً؛ فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ؛ فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّىٰ قَتَلْتُهَا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ»[٢].

وقالَ الإمامُ سفيان بن عيينة، رحمهُ اللهُ: (القرآنُ كَلامُ اللهِ - عزَّ وجلَّ - مَن قالَ مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ، ومَن شكَّ في كفرِهِ؛ فهو كافرٌ)[٣].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الحج) باب «دخول الحرم ومكة بغير إحرام».

(٢) رواه أبو داود في (كتاب الحدود) باب «الحكم فيمن سبَّ النبي ﷺ» وصححه الألباني.

(٣) «كتاب السُّنَّة» ج١، ص١١٢. الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل.

(*) وقوله: (متعلق بأستارِ الكعبةِ) أي: تائبًا وطالبًا للأمانِ. وقوله ﷺ: «اقتلوه» لأنَّهُ ضمَّ إلىٰ ردَّتِهِ شتمَ النَّبيِّ ﷺ والطعن بالدِّين، ومحاربة الإسلام والمسلمين.

وقالَ الإمامُ الأَوزاعيُّ، رحمهُ اللهُ : **(مَن شتمَ أَبا بكرٍ الصدِّيق – رضي الله عنه – فقد ارتدَّ عن دينه، وأُبيحَ دمه)**[١].

وقالَ الإمامُ مالكٍ، رحمهُ اللهُ : **(الذي يَشتمُ أَصحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ليسَ لهُ سهمٌ – أَو قال – نصيبٌ في الإسلامِ)**[٢].

وقالَ الإمامُ أَحمد بن حنبل، رحمهُ اللهُ : **(القدريُّ الذي يقولُ : إنَّ اللهَ لم يَعلمِ الشَّيءَ حتىٰ يكونَ ؛ هذا كافرٌ)**[٣].

قيلَ للإمامِ أَحمد : إنَّ الحسينَ بن عليٍّ الكرابيسيَّ – وكان من الفقهاء – يقول : إنَّ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ، ومَن لم يقل إنَّ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ ؛ فهو كافرٌ! فقالَ الإمامُ أَحمد : **(بل هو الكافرٌ! قاتله اللهُ، وأَيُّ شَيْءٍ قالتْ الجهمية ؛ إلاَّ هذا؟)**[٤].

وقالَ الإمامُ أَبو بكر محمَّد بن إسحاق بن خُزيمة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(مَنْ لَمْ يُقرَّ بأَنَّ اللهَ علىٰ عَرْشِهِ قَدْ استَوىٰ فَوقَ سَبعِ سَماواتِهِ ؛ فهو كافرٌ! حلالُ الدَّمِ، وكانَ مالهُ فَيئًا) قالَ الإمامُ الذَّهبيُّ – رحمهُ اللهُ – معلِّقًا :

(وكلامُ ابن خزيمة هذا – وإن كان حقًّا – فهو فجٌّ، لا تحتملُهُ نفوسُ كثيرٍ من متأخري العلماء!) ثمَّ ساقَ قول ابن خزيمة في كفر من قالَ بأَنَّ القرآنَ مخلوقٌ : **(القُرآنُ كلامُ اللهِ تعالىٰ، ومَن قالَ : إنَّهُ مخلوقٌ ؛ فهو كافرٌ يستتاب! فإنْ تابَ، وإلاَّ قُتِلَ، ولا يدفنُ في مقابرِ المسلمين)**[٥].

---

(١)، (٢) « الإبانة الصغرىٰ » ص١٦٢ . للإمام ابن بطة .

(٣) « كتاب السُّنَّة » ص٥٢٩ . للإمام الخلال .

(٤) ذكره العلاَّمة أَحمد شاكر في ترجمته للإمام أَحمد في مقدمة تحقيقه « للمسند » ص٧٨ .

(٥) انظر : « سير أَعلام النبلاء » ج١٤، ص٣٧٣، ٣٧٤ .

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ – رحمهُ اللهُ – وهو يتكلم في الدُّروز:

(كُفْرُ هؤلاءِ مما لا يختلفُ فيه المسلمون؛ بل مَن شكَّ في كفرهم؛ فهو كافرٌ مثلهم! لا هُم بمنزلةِ أهلِ الكتابِ ولا المشركين؛ بل هم الكفرة الضَّالونَ؛ فلا يُباحُ أكلِ طعامهم ...)[١].

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (مَن اعتقدَ ما يعتقده الحلاَّج من المقالاتِ التي قُتل الحلاج عليها؛ فهو كافرٌ مرتدٌّ باتِّفاقِ المسلمين! فإنَّ المسلمينَ إنَّما قتلوه علىٰ الحلولِ والاتحادِ، ونحو ذلك من مقالاتِ أهل الزَّندقةِ والإلحادِ؛ كقوله: أنا الله! وقوله: إلهٌ في السَّماءِ وإلهٌ في الأرضِ... وقولُ القائل: إنَّهُ قُتلَ مظلومًا قولٌ باطلٌ؛ فإنَّهُ وجبَ قتلهُ علىٰ ما أظهرهُ من الإلحادِ أمرٌ واجبٌ باتِّفاق المسلمينَ؛ لكن لما كان يُظهر الإسلام ويُبطن الإلحاد إلىٰ أصحابه؛ صار زنديقًا! فلما أُخذَ وحُبس أظهر التَّوبةَ، والفقهاء متنازعون في قبول توبة الزِّنديق؛ فأكثرهم لا يقبلها ...)[٢].

قالَ – أيضًا – رحمهُ اللهُ: (صَنَّفُ الرَّازيُّ كتابهُ في عبادةِ الكواكبِ والأصنام، وأقام الأدلةَ علىٰ حسن ذلك، ومنفعته ورغَّبَ فيه! وهذهِ ردَّةٌ عن الإسلام باتِّفاقِ المسلمينَ، وإن كانَ قد يكونُ تابَ منه، وعادَ إلىٰ الإسلامِ)[٣].

إذن! دلَّت النُّصوصُ الشَّرعيَّةِ، وأقوالِ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ؛ علىٰ جواز تكفير الكافر، أو مَن ارتكبَ عملاً، أو قولاً مكفِّرًا من المسلمينَ.

---

(١) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٣٥، ص١٦٢.

(٢) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٢، ص٤٨٠ – ٤٨٦.

(٣) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٤، ص٥٥.

وقد نقلَ العلاَّمة القاضي عياض – رحمه الله – إجماعَ العلماءِ علىٰ ذلكَ! عندما نقلَ صوابَ أقوالِ المجتهدين في أُصولِ الدِّين، حيثُ قالَ:

(**وقائلُ هذا كلِّه كافرٌ بالإجماعِ علىٰ كُفْرِ مَن لم يكفِّر أحدًا من النَّصارىٰ واليهود، وكُلّ مَن فارقَ دينَ المسلمين، أَو وقفَ في تكفيرهم، أَو شكَّ**)[١].

وَعَدَّ الإمامُ محمَّد بن عبد الوهاب – رحمهُ اللهُ – عدمَ تكفيرِ الكفَّار والمشركين، أَو الشَّك في كُفرهم؛ من نواقض الإسلام، ونقلَ الإجماعَ علىٰ ذلك – أَيضًا – فقال: (**مَن لم يُكَفِّر المشركينَ، أَو شكَّ في كُفرهم، أَو صحَّحَ مذهبهم؛ كفَرَ إجماعاً**)[٢].

وقالَ العلاَّمةُ حمد بن ناصر بن مَعمر النَّجديُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فإنَّ كثيرًا من المسائلِ التي ذكرها العلماء في مسائلِ الكفرِ والردَّةِ، وانعقد عليها الإجماع؛ لم يرد فيها نصوصٌ صريحةٌ بتسميتها كفرًا، وإنَّما يستنبطها العلماءُ من عمومِ النُّصوصِ؛ كما إذا ذبحَ المسلمُ نُسُكًا متقربًا به إلىٰ غيرِ اللهِ؛ فإنَّ هذا كفرٌ بالإجماعِ! كما نصَّ علىٰ ذلكَ النَّوويُّ وغيره، وكذلكَ لو سجدَ لغيرِ اللهِ؛ فإنَّ قيلَ هذا شركٌ؛ لأَنَّ الذَّبحَ عبادةٌ، والسُّجودَ عبادةٌ؛ فلا يجوزُ لغيرِ اللهِ تعالىٰ؛ كما دلَّ علىٰ ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ وقوله: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ فهذا صريحٌ في الأَمرِ بهما، وأَنَّهُ لا يجوز صرفها لغير اللهِ؟ فينبغي أَن يُقالَ: فأَينَ الدَّليلُ

---

(١) انظر: «الشِّفا بتعريف حُقوق المصطفىٰ» ص٨٤٦ فصل: «في تحقيق القول في إكفار المتأولين» تحقيق: عبده علي كوشك، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء.

(٢) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب» القسم الخامس، الرسائل الشخصية؛ ص٢١٣.

المصرح بأنَّ هذا كفر بعينه؟ ولازمَ هذهِ المجادلة الإنكار علىٰ العلماءِ في كلِّ مسألةٍ من مسائلِ الكفرِ والرِّدَّةِ التي لم يرد فيها نصٌّ بعينها)(١).

وسُئِلَ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبد الله بن عبد الرَّحمن أَبا بطين؛ عمن يرتكب شيئًا من المكفراتِ؟ فأجاب - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - قائلاً :

(ما سألتُ عنه؛ من أنَّهُ هل يجوزُ تعيين إنسان بعينه بالكفرِ؛ إذا ارتكبَ شيئًا من المكفراتِ؟ فالأمرُ الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ وإجماعُ العلماءِ علىٰ أنَّهُ كفرٌ - مثل الشِّرك بعبادةِ غير اللهِ سبحانه - فمَن ارتكبَ شيئًا من هذا النوعِ أو جنسهِ؛ فهذا لا شكَّ في كفرهِ، ولا بأسَ بمن تحققت منه شيئًا من ذلك، أن تقولَ؛ كفرَ فلانٌ بهذا الفعلِ! يبين هذا؛ أن الفقهاءَ يذكرون في باب حكم المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم كافرًا، ويفتتحون هذا الباب بقولهم؛ «مَن أشركَ باللهِ كفر، وحكمه أنَّهُ يُستتابُ؛ فإنْ تابَ، وإلاَّ قُتِلَ» والاستتابةُ إنَّما تكون مع معيَّنٍ. ولما قالَ بعض أهل البدع عند الشَّافعيُّ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ! قال! : «كفرت باللهِ العظيم»!) وكلامُ العلماءِ في تكفيرِ المعيَّنِ كثيرٌ.

وأعظمُ أنواعِ الكفرِ؛ الشِّركُ بعبادةِ غيرِ اللهِ، وهو كفرٌ بإجماعِ المسلمين، ولا مانع من تكفير من اتَّصفَ بذلك؛ كما أنَّ مَن زنىٰ قيل: فلانٌ زان، ومَن رابىٰ، قيل: فلانٌ مراب. وأمَّا قولك؛ إذا ظهرَ من إنسانٍ الكفرَ، وقامت عليه الحجَّةُ، وامتنعَ إنسانٌ من تكفيرهِ؟ فكأنَّكَ تُشيرُ إلىٰ حالِ أهلِ هذهِ المشَاهدِ؛ التي يقعُ عندها الشِّركُ الأكبرِ! ومن المعلوم؛ أنَّهُ لا يصحُ إسلامُ إنسانٍ؛ حتَّىٰ يكفُرَ بالطَّاغوتِ، وهو كلُّ ما عبدُ من دونِ اللهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ

---

(١) انظر: «مجموع الرسائل والمسائل والفتاوىٰ» ص١٤٣.

(٢) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب» القسم الخامس، الرسائل الشخصية؛ ص٢١٣.

بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ . وفي الحديث الصَّحيح : « مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللَّهِ ؛ حَرُمَ مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ » والكفر بذلك ؛ البراءة منه ، واعتقاد بطلانه)[١] .

وسُئِلَ فضيلةُ الشَّيخُ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين - رحمهُ اللهُ - هل يجوز تكفير المسلم المعين؟ وهل لذلك ضوابط وشروط ، أَم لا ؟

فأَجاب : (نعم ! يجوز لنا أَن نطلقَ علىٰ شخصٍ بعينه أَنَّهُ كافرٌ ؛ إذا تحققت فيه أَسباب الكفرِ ، فلو رأَينا رجلاً ينكر الرِّسالة ، أَو رجلاً يبيح التَّحاكم إِلىٰ الطَّاغوت ، أَو رجلاً يبيح الحكم بغير ما أَنزلَ اللهُ ، ويقول : إِنَّهُ خيرٌ من حكمِ اللهِ ؛ بعد أَن تقومَ الحجَّةَ عليه ؛ فإِنَّنا نحكم عليه ؛ بأَنَّهُ كافرٌ .

فإذا وجدت أَسباب الكفر ، وتحققت شروطه ، وانتفت الموانع ؛ فإنَّنا نكفر الشَّخصَ بعينه ، ونلزمه بالرُّجوعِ إِلىٰ الإسلامِ ، أَو القتل) .

وقالَ ، رحمهُ اللهُ : (إذا تمت شروط التَّكفيرِ في حقِّهِ ؛ جاز إِطلاق الكفر عليه بعينه ، ولو لم نقل بذلك ما انطبق وصف الرِّدَّةِ علىٰ أَحدٍ) .

وقالَ ، رحمهُ اللهُ : (للحكمِ بتكفيرِ المسلمِ شرطان :

أَحدهما : أَن يقومَ الدَّليلُ علىٰ أَنَّ هذا الشَّيْءَ مما يكفر .

الثَّاني : انطباقُ الحكم علىٰ مَن فعلَ ذلكَ ؛ بحيث يكون عالمًا بذلك ، قاصدًا له ؛ فإِن كانَ جاهلاً ، لم يكفر بذلك)[٢] .

---

(١) انظر : « الدُّرر السَّنية في أَجوبة النجدية » ج١٠ ، ص٤١٧ - ٤١٨ .

(٢) انظر : « مجموع فتاوىٰ ورسائل » ج١ ، ص١٢٤ - ١٢٦ .

إذن! عُلماءُ - أَهل السُّنَّةِ والجماعةِ - قديمًا وحديثًا؛ يُكفِّرونَ المسلم الذي يَقَعُ في الكفرِ؛ إذا قامت عليه الحجَّةُ، وانتفت عنه الموانع، وإنَّ عدمَ تكفيرِ الأَعيانِ مطلقًا؛ ليس من طريقتهم، ولا هي مفخرةٌ ولا منقبةٌ؛ بل هي مخالفةٌ صريحةٌ لعلماءِ الأُمَّةِ؛ الذين لا يجتمعون علىٰ ضلالةٍ، ولا علىٰ ترك الحقِّ البتَّة؛ بنصٍّ نبويٍّ كريمٍ! لأَنَّ عدمَ التَّكفيرِ؛ منافٍ للواقعِ وتكذيبٍ للوقائعِ، ومخالفٌ لحقيقةِ الإيمانِ؛ لأَنَّ اللّٰهَ تعالىٰ يقولُ:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

إلاَّ أَنَّ العلماءَ! نَبَّهُوا إلىٰ خطورةِ هذا الأَمرِ؛ إذا صدرَ من غير أَهل العلم المعتبرين؛ لأَنَّ التكفيرُ حكمٌ شرعيٌّ جليلٌ؛ لا يطلق علىٰ معينٍ إلاَّ بشروطه الشَّرعيَّة الدقيقة، ومَن ثبتَ في حقِّهِ تلك الشُّروطُ، وانتفت عنه الموانعُ؛ أُطلقَ عليه حكم الرِّدَّة، لكنَّ الحكمَ الكُفْرِ لا يستطيع أَحدٌ تنزيله بحقِّه الشَّرعيِّ في المعيَّنِ؛ إلاَّ العلماء الرَّاسخين في العلم.

واعلم! أَخي المسلم: أَنَّ غيرَ العلماءِ من الدُّعاةِ والمثقفينَ والعوام غيرُ مكلَّفينَ شرعًا بتكفير مسلمٍ صدر منه كفرًا؛ بل هذا الأَمرُ للعلماء فقط، وهذا لا يعني عدم تكفيرِ المعيَّن، ولكن يعني عدم الجُرأَةُ علىٰ هذا الأَمر الخطير؛ بل المطلب من هؤلاءِ تكفير أَعيان الكفَّارِ الذين كفرهم ظاهرٌ وثابتٌ لا يحتاج إلىٰ أَدلة دقيقة؛ من أَمثال اليهود، والنَّصارىٰ، والمشركين، والوثنيين، والملحدين، والزَّنادقة، ومَن سلك مسلكهم، أَو الذين يحاربونَ الإسلام والمسلمين علنًا، ويبيحون دمائهم.

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٢.

ثمَّ اعلم! أنَّ مسألةَ تكفيرِ المسلمِ الذي وقع في الكفرِ؛ من المسائل العظيمةِ الدقيقة في العقيدة؛ قد لا يتبين أحيانًا لكبارِ العلماءِ! فضلا عن غيرهم، وفي بعضِ الأحيانِ يكون تنزيل حكم التَّكفيرِ في بعضِ المعيَّنين محلُ خلافٍ بينَ أهلِ العلمِ، وذلك لوجودِ أدلَّةٍ ظاهرها عندهم التَّعارض، ومن هنا فإنَّ عدمَ تكفيرِ المعيَّنِ في هذه الحالة؛ ليسَ من بابِ التكذيب للهِ تعالىٰ ولرَسُولهِ ﷺ بل هو اتِّباع لبعضِ الأدلة الشَّرعيَّةِ لاعتقاد من المجتهد؛ أنَّهُ أقوىٰ في الدلالةِ، أو أصرح في العبارةِ، أو أثبتُ، ونحوه.

فاهتمامُ أهل السُّنَّة والجماعةِ! في تكفير الكفَّار والمشركين، أو مَن ثبتَ كُفره، أو ردَّته من المسلمينَ عن الإسلام؛ ليس لهوًى في النَّفسِ، ولا لعصبية جاهلية؛ وإنَّما يريدون التعبُّد للهِ - تبارك وتعالىٰ - بذلك العمل الشَّرعيِّ، وكذلك القيام بواجب الولاء والبراء؛ فمعرفةُ حالِ الشَّخصِ من إيمان، أو كفر، تُحقِّق للمؤمنِ التعبُّدَ بمحبَّتِه؛ إن كان مؤمنًا أو مسلمًا، وكراهيَّته إن كان كافرًا، أو منافقًا؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ أَحَبَّ لله، وأَبْغَضَ لله، وأَعْطَىٰ لله، ومَنعَ لله؛ فَقَد اسْتَكمَلَ الإيمان»[1].

فتكفيرُ أهلِ السُّنَّة والجماعة للكفَّارِ وغيرهم، وعداؤهم لهم، وبُغضهم إيَّاهم؛ ما هو إلاَّ استجابةٌ للهِ - عزَّ وجلَّ - قالَ اللهُ تباركَ وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2].

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب «الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه» وصحَّحه الألباني.

(٢) سوره البقرة، الآية: ١٦١.

وكذلك حبُّهم للعبدِ نفسه! إذا دخلَ في الإيمان بعد الكُفر؛ استجابةٌ للهِ - جلَّ وعلا - قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾[1].

فمُوالاةُ أَهل السُّنَّة والجماعة ومُعاداتُهُم للعبدِ مبنيةٌ علىٰ أَساس صفات الإيمان والكُفر التي تُلازمُه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[2].

فالإنسانُ! إمَّا مسلمٌ، أَو كافرٌ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[3].

والتَّكفيرُ لَهُ ضوابطٌ شرعيَّةٌ محكَمةٌ، من شُروطٍ وموانع؛ فإذا ثبتت الشُّروطُ، وانتفت الموانعُ، وتبينت الحجَّةُ، وأُقيمت المحجَّةُ علىٰ العبدِ؛ فإنَّ عدم التَّكفيرِ بعدها تكذيبٌ للحكمِ الشَّرعيِّ؛ لأَنَّهُ كما لا يجوز شرعًا تكفير المسلمِ، فكذلك لايجوزُ عدم تكفير الكافر المنطبقة عليه شروط التكفيرِ! وهذا هو معتقد أَهل السُّنَّةِ والجماعَةِ.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الإنسان، الآيتان: ٢ - ٣.

« ١١ »

« موانعُ التّكفيرِ »

فإنَّ شريعةَ اللهِ ـ جلّت قدرته ـ وسطٌ بينَ إفراطِ وتفريطِ، وبينَ غلوٍّ وجفاءٍ، وهيَ دينُ الحقِّ الّذي ارتضاه الله تعالىٰ لعباده؛ منذُ أنْ نزلَ أبينا آدم ـ عليه الصّلاةُ والسّلامُ ـ إلىٰ الأرضِ لعمارتها وعبادة خالقها، وهو دين جميع الأنبياءِ والمرسلين إلىٰ أن تقومَ السّاعةُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[١].

ويومُ القيامةِ لا يُقبلُ عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ دينٌ سواه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢].

ومَن آمنَ بهذا الدِّينُ العظيم، واختارَ الإسلامَ لَهُ دينًا؛ فأصبحَ أحدٌ من المسلمينَ؛ فإنَّهُ لا يجوز الحكم بكفره إلاَّ بناقضٍ ينقض إسلامَهُ، وإذا وقعَ بإحدىٰ هذه النَّواقضِ، لا يُكفَّرُ مباشرةً؛ إلاَّ بعد قيام الحجَّةُ عليه وتُبيَّنَ لَهُ ذلكَ بوضوحِ، وتُزالُ عنه الشُّبهة؛ فإنْ أصرَّ بعدَ ذلكَ علىٰ هذهِ النَّواقضِ التي بسببهِ يُكفَّرُ؛ فلا يجوز الحكم بإسلامهِ! وإلاَّ أصبحَ دينُ الإسلامِ ألعوبةً في أيديِّ السُّفهاءِ والمحرفين؛ كما هو حالُ في بقيةُ الأديانِ المحرفةِ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

ولكنَّ! المسلمُ لا يُكَفَّرُ بكلِّ فعلٍ أو قولٍ؛ إلاَّ إذا أنكر معلومًا من الدِّين بالضَّرورةِ، أو اعتقد اعتقادًا، أو قالَ قولاً، أو فعل فعلاً؛ قد انعقدَ الإجماعُ أو دلَّت الأدلَّةُ الشَّرعيَّةُ الصَّريحةُ علىٰ أنَّهُ كفرٌ ناقلٌ عن الإسلام.

ولا يُكَفَّرُ المسلمُ - أيضًا - بارتكابِ الكبائرِ والموبقاتِ، ولو جاءت النُّصوصُ واضحةً بلعنِ صاحبها، أو غضب الله تعالىٰ عليه، أو جاء فيها وعيدٌ شديدٌ بالعذابِ والنَّارِ؛ إلاَّ أن يستحلَّها؛ فعندئذٍ يُكَفَّرُ؛ لأنَّهُ استحالَّ محرمًا في الشَّرعِ، لا بمجرد فعله لذلكَ المحرَّم!

ولا يلزمُ كذلكَ من وقوعِ المسلمِ في مكفِّرٍ من المكفراتِ الواضحةِ الحكم بكفرهِ ابتداءً؛ حتَّىٰ ينقطع عذره! بتوافر الشُّروط، وارتفاع الموانع من الجهل والتأْويل والإكراه، والخطأ؛ لأنَّ تكفير المسلمِ المعيَّن - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - له موانعُ تَمْنَعُ من تنزيلِ الحكمِ عليه؛ إلاَّ بعدَ توفُّر الشُّروطِ، وانتفاءِ الموانعِ التي تمنعُ تكفيره.

ولكن! كثير من المسلمينَ اليوم؛ لا يعرفونَ هذه الموانع الشَّرعيَّة التي أجمع عليها علماء الأُمَّة، وإذا عرفها لا يفقهون معانيها ومقصدها؛ بل إنَّ أكثرَ العوامِ والمثقفين! لا يعرفون نواقضِ الإسلام التي أمرها يهمُّ كلَّ مسلمٍ؛ لكي يحافظ علىٰ عدم الخروج من دينهِ، وهو لا يعلم!

فمنها ابتُليتْ أُمتنا بفتنةٍ عظيمةٍ وقعت فيها - قديمًا وحديثًا - ألا وهي فتنة التَّكفيرِ، وفتنةِ عدم التَّكفير مطلقًا! وكلا الأمرين شرٌّ مستطيرٌ، وداءٌ عضلٌ قد فتك بها! لأنَّها تُخالف منهج علماء الأُمَّة المعتبرين؛ لكنَّ الفتنةُ تزدادُ خطرًا إذا خاض فيها العوام وغير مؤَهلين؛ لأنَّهم يخضون في مسألةٍ قد أبىٰ كبارُ العلماءِ الخوض في أبوابها، وإذا دخلوها! فما دخلوها إلاَّ بعلمٍ

مضبوطٍ بضوابطةٍ شرعيَّة محكَّمةٍ؛ لما في هذا الباب من خطرٍ عظيمٍ! لو فتح علىٰ مصراعيه، وتُرِكَ لكلِّ مَن هبَّ ودبَّ الخوضَ فيه؛ لهلكَ أقوامٌ وأقوامٌ، ولنزعت العصمة من دم المسلمِ بالشُّبهاتِ والآراء، وتفرَّق جماعة المسلمينَ، وواقعنا خيرَ شاهدٍ علىٰ ما نقول! واللهُ المستعان، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(١).

فموانعُ التَّكفيرِ – عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ – تنقسمُ إِلىٰ ثلاثةِ أَقسامٍ؛ كما قررها العُلماء من خلالِ الاستقراءِ، وهي:

أَوَّلاً– موانعُ في الفاعلِ: وهي ما يعرضُ للعبدِ؛ فتجعله لا يؤاخذُ بأَفعالِهِ وأَقوالِهِ، وتُسمَّىٰ عند الأُصوليين بـ «العوارض الأَهلية» وهي نوعان:

* عوارضُ غير مكتسبةٍ: وتُسمَّىٰ عوارضُ سماويةٍ، ونُسبت إِلىٰ السَّماءِ؛ لأَنَّها نازلةٌ منها بغيرِ اختيارِ العبدِ وإِرادته؛ فلا دخلَ لَهُ في اكتسابها، أَي: هي من قدرِ اللهِ تعالىٰ لا دخل للعبدِ فيها، وهي أَنواعٌ؛ كالصِّغَر والجنونِ والعتهِ والنوم والنسيان؛ فإِذا جني من اعتراهُ شيءٌ من هذه العوارض جنايةً؛ فلا إِثم عليه ولا يؤاخذ بشيءٍ من العقوباتِ لارتفاع خطاب التَّكليف عنه، وإِنَّما يؤْاخذُ بمل يتعلقُ بحقوق العبادِ؛ كالضمانِ، وقيم المتلفات والدِّياتِ، ونحوها؛ لأَنَّها من خطاب الوضع.

* عوارضُ مكتسبةٍ: هي التي لإِختيارِ العبدِ دخلٌ في اكتسابها، أَو ترك إِزالتها؛ بنفسه، أَو من غيره، وإِن كانَ كلُّ شيءٍ من قدرِ اللهِ تعالىٰ،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

وهي سبعةُ عوارضَ؛ ستةٌ من العبدِ، وهي: الجهلُ، والسَّفَهُ، والسُّكرُ، والهزلُ، والخطأُ، والسَفَرُ، وعارضٌ من غير إرادته، وهو: الإكراهُ.

ثانيًا- موانعُ في الفعلِ، أي في السَّبَبِ:

١- كونُ الفعلِ، أو القولِ غير صريح في الدَّلالةِ علىٰ الكُفرِ.

٢- كونُ الدَّليلُ الشَّرعيُّ الذي استُدِل به؛ غير قطعي في دلالته علىٰ أنَّ ذلكَ الفعلِ، أو القولِ مكفرًا. أي: لايدلُّ علىٰ الكفرِ صراحةً، ولكنَّهُ يحتمل الكفر وغيره، ومنه القول الذي ليس هو كفرًا في ذاته، ولكنَّهُ يؤوَّلُ إلىٰ الكفرِ؛ فهذا العمل محتمل الدَّلالة لا بُدَّ فيه من النَّظرِ في عدة أُمورٍ لتعيين دلالته؛ فينظر إلىٰ تَبيُّن قصد الفاعل، وفي قرائن الحال المصاحبة للعمل.

ثالثًا- موانعُ في الثُّبوتِ: ذلك بأَن لا يكونَ قد ثبت الكفر علىٰ فاعلِهِ، أَو قائلِهِ الثُّبوتَ الشَّرعيَّ، ويكون ذلك أَمَّا بالإقرار؛ أَي الاعتراف، أَو بالبينة؛ أي: شهادة شاهدين عدلين، ويثبتُ ذلكَ بطريق شرعيٍّ صحيحٍ، لا بظنٍ، ولا بتخرص، ولا بالاحتمالاتِ، أَو الشُّكوكِ.

فهذِهِ هي موانع التَّكفيرِ - عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - وهذه الموانعُ تعتبرُ من المسائلِ الخفية التي لا يعرفها إلاَّ الخاصة، ولكن لتنزيل حكمها علىٰ المعيَّنِ؛ تحتاج إلىٰ العلماء الرَّاسخين في العلم.

ولعلَّنا نقفُ مع كلِّ مانعٍ وقفةٍ قصيرةٍ؛ نستلهم منها ما ذكرهُ العلماءُ المعتبرين الذين شهدت لهم الأُمَّة بالعلم والفضل والثقة، وهذه الموانع هي:

العجزُ، الجهلُ، الخطأُ، التأْويلُ، الإكراهُ، التقليدُ.

أَوَّلاً- العجزُ:

إنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ سهلةٌ ميسَّرةٌ، ومُحكَّمةٌ شاملةٌ، ومانعةٌ جامعةٌ؛ لجميعِ نواحي الحياةِ البشَّريةِ، ومناسِبةٌ لجميع الأزمانِ، ولأَحوالِ البلادِ والعباد؛ حسبَ طاقاتهم وقدراتهم، وأَحكامُها مختلفةٌ، بحسب حالِ العبدِ من السَّعة والرَّخاء، والعبدُ في الشَّرعِ لا يُكلَّف ما لا يُطيق ولا يَقدرُ علىٰ أَدائه البتَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾[3].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ؛ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[4].

واتَّفق أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ: علىٰ أَنَّهُ إذا تعذَّرَ علىٰ المكلَّفِ القيامُ ببعضِ الواجبِ، وأَمكنَ القيامَ بالبعضِ الآخرِ، واتَّقىٰ اللهَ تعالىٰ ما استطاعَ؛ وجبَ عليهِ القيامُ بالممكنِ، وسقطَ عنهُ ما تعذَّر عليهِ، أَو عجزَ عنهُ.

ومنها كانت القاعدةُ الفقهيَّةُ: (الميسُورُ لا يسقُط بالمعْسُور)[5].

أَو (لا واجِبَ مع المأْمورات، ولا حرامَ مع ضرورةٍ)[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.   (٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٤) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «الإقتداء بسُنن رسول ﷺ».

(٥) انظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي: ص١٥٩. و«الأشباه والنظائر» لابن السبكي: ج١، ص١٥٩.

(٦) انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيِّم؛ ج٢، ص٢٢.

ومعنىٰ ذلكَ أَنَّ جميعَ الشُّروطِ والواجباتِ والأَركانِ؛ مقيَّدةٌ بحالِ القدرةِ والاستطاعَةِ، أَمَّا في حالِ العجزِ، وعدمِ القدرَةِ؛ فتسقُطُ عن المكلَّفِ؛ إمَّا إلىٰ بدلٍ، أَو مطلقًا؛ لأَنَّ شرطَ التَّكليفِ القدرةُ علىٰ المكلَّفِ بهِ، فما لا قدرةَ للمكلَّفِ عليهِ لا يصحُّ التَّكليفُ بهِ شرعًا.

وعلىٰ ضوءِ هذهِ الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ والقواعدِ المرعيَّةِ؛ اتَّفقُوا - أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - علىٰ أَنَّ العجزَ عن أَداءِ ما شَرَعَ اللّٰهُ تعالىٰ، أَو عن أَداءِ بعضِهِ؛ يُعتبرُ من موانعِ التَّكفيرِ؛ **إذا كان سَبَبُهُ انتفاءَ الإرادةِ، وعدمَ الاختيارِ والرِّضا والقصدِ بذلك، واتَّقىٰ صاحبُه اللّٰهَ تعالىٰ ما استطاع؛ فإنَّه معذورٌ غيرُ مؤاخَذٍ علىٰ ما تَرَكَهُ.**

كالذينَ بلغتهم دعوةُ الإسلامِ، وهم في دارِ الكُفرِ وأَسلَمُوا، ولكن لم يتمكَّنوا من الهجرةِ إلىٰ دار الإسلامِ، ولا الالتزامَ بجميعِ شرائعهِ وأَحكامهِ؛ لأَنَّهم ممنوعونَ من إظهارِ دينِ الإسلامِ، أَو ليسَ عندهم من يُعَلِّمهم جميعَ شرائعَ الدِّينِ وتعاليمهِ؛ فهؤلاءِ معذورونَ، وإِن ماتوا علىٰ حالهم هذهِ؛ فهم من أَهلِ الجنَّةِ؛ إنْ شاءَ اللّٰهُ تعالىٰ.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله تعالىٰ:

(فإنَّ أُصولَ الشَّريعةِ تُفرِّقُ في جميعِ مواردها بين القادرِ، والعاجزِ، والمفرِّطِ، والمتعديْ، ومَن ليس بمفرِّطٍ ولا متعدٍّ، والتَّفريقُ بينهما أَصلٌ عظيمٌ معتمدٌ، وهو الوسطُ الذي عليه الأُمَّة الوسطُ، وبه يظهرُ العدلُ بين القولين المتباينين)[1].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٢١، ص١٤١.

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (فمَن تركَ بعض الإيمانِ الواجبِ لعجزهِ عنه؛ إمَّا لعدمِ تمكُّنه من العلمِ: مثل أَن لا تبلغه الرِّسالة، أَو لعدم تمكنه من العمل؛ لم يكن مأمورًا بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدِّين الواجب في حقِّهِ، وإن كان من الدِّين والإيمان الواجب في الأَصلِ؛ بمنزلة صلاةِ المريضِ، والخائفِ والمستحاضة، وسائر أَهل الأَعذار الذين يعجزون عن إتمام الصَّلاة؛ فإنَّ صلاتهم صحيحةٌ بحسب ما قدروا عليه، وبه أُمروا إذ ذاك، وإن كانت صلاةُ القادر علىٰ الإتمام أَكمل وأَفضل، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»)[١].

وقالَ - أَيضًا - رحمه الله: (وكذلك الكفَّارُ؛ مَن بلغَهُ دعوةُ النَّبيِّ ﷺ في دار الكفر، وعلم أنَّه رسول الله فآمن بما أُنزل عليه، واتَّقىٰ الله ما استطاعَ - كما فعلَ النجاشيُّ وغيرُه - ولم تمُكنه الهجرةُ إلىٰ دار الإسلام ولا التزامُ جميع شرائع الإسلام؛ لكونه ممنوعًا من الهجرة، وممنوعًا من إظهار دينه، وليس عنده مَن يُعَلِّمُهُ جميعَ شرائع الإسلام؛ فهذا مؤمن من أَهل الجنَّة؛ كما كان مؤمن آل فرعونَ مع قوم فرعون، وكما كانت إمرأَةُ فرعونَ؛ بل وكما كان يوسفُ الصِّدِّيقُ - عليه السَّلام - مع أَهل مصر؛ فإنَّهم كانوا كفارًا، ولم يمكنه أَن يفعل معهم كلَّ ما يعرفه من دين الإسلام؛ فإنَّه دعاهم إلىٰ التَّوحيد والإيمان فلم يُجيبوه... وكذلك النجاشي وهو وإن كان ملكَ النَّصارىٰ فلم يطعه قومه في الدُّخول في الإسلام؛ بل إنَّما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هنالك أَحد

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٢، ص٤٧٨. والحديث رواه مسلم في (كتاب القدر) باب «في الأَمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله».

يصلِّي عليه؛ فصلَّىٰ عليه النَّبيُّ ﷺ بالمدينة . . . فالنجاشي وأَمثاله؛ سعداءُ في الجنَّة، وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون علىٰ التزامه؛ بل كانوا يحكمون بالأَحكام التي يمكنهم الحكم بها)[١] .

وقالَ - رحمهُ اللهُ - في كلامِهِ علىٰ الآمديِّ والرَّازيِّ :

(لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء به الرَّسُول ﷺ وحصل اضطراب في المعقول به؛ فحصل نقص في معرفة السَّمعِ والعقلِ، وإن كان هذا النقص هو منتهىٰ قدرة صاحبه لا يقدر علىٰ إزالته؛ فالعجز يكون عذرًا للإنسان في أَنَّ اللهَ لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التَّام . هذا علىٰ قولِ السَّلفِ والأَئمَّةِ في أَنَّ مَن اتقىٰ اللهَ ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحقِّ لم يعذب به)[٢] .

وقالَ الإمام ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(إنَّ ما أَوجبه اللهُ تعالىٰ ورَسُوله ﷺ أَو جعله شرطًا للعبادة، أَو ركنًا فيها، أَو وقَّفَ صحتها عليه؛ هو مقيَّد بحال القدرة؛ لأَنَّها الحال التي يؤمرُ فيها به، أَمَّا في حال العجز فغير مقدور ولا مأْمور؛ فلا تتوقَّفُ صحة العبادة عليه)[٣] .

---

(١) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج١٩، ص٢١٧ - ٢١٩ .

(٢) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٥، ص٥٦٣ .

(٣) انظر: « تهذيب سنن أَبي داود » ج١، ص٤٧ .

ثانيًا- الْجَهْلُ (*):

الجهلُ داءٌ عظيمٌ، وشرٌ مستطيرٌ! بل هو أَساسُ الشَّرِّ ووعائه، وما من صفةٍ تزري بالإنسانِ إلىٰ الحطيط كصفةِ الجهلِ؛ فالجهلُ عدو ابن آدم، والجاهلُ يفعل في نفسهِ ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، وهو عدو نفسهِ فكيفَ يكونُ صديقَ غيره، وصدقَ القائلُ: لا فقرَا أَعظم من الجهلِ (١).

---

(١) قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: (وجماعُ الشرِ الجهلُ والظُّلمُ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] إلىٰ آخرِ السُّورةِ، وذكر التوبة لعلمه - سبحانه وتعالىٰ - أَنَّهُ لا بُدَّ لكلِّ إنسان من أن يكونَ فيه جهلٌ وظلمٌ، ثمَّ يتوب الله علىٰ مَن يشاء؛ فلا يزال العبد المؤمن دائمًا يتبين له من الحقِّ ما كان جاهلاً به، ويرجع عن عملٍ كان ظالمًا فيه) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٣٤٨.

(*) ● الجهل في اللُّغة: (ضد العلم، أو نقيض العلم. والتجهيل: أن تنسب الشخص إلىٰ الجهل. والجهالة: أن تفعل فعلاً بغير علم. والمجهلة: ما يحملك علىٰ الجهل. والجاهلية: هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله تعالىٰ وبدينه الحنيف، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر، وغير ذلك من الأعمال والأفعال السيئة) انظر: «لسان العرب» ج١١، ص١٢٩ و«مختار الصحاح» ص٥٥.

● الجهل في الاصطلاح: خلو النفس من العلم، أو اعتقاد الشيءِ بخلافِ ما هو عليه؛ فإذا كان العلم هو حضور صورة الشَّيءِ في الذهن؛ فالجهلُ هو عدم حضور صورة الشَّيءِ في الذهن. وهو ثلاثة أقسام: جهلٌ بسيطٌ، وجهلٌ كاملٌ، وجهلٌ مركَّبٌ.

■ الجهل البسيط: هو عدم العلم بما من شأنه أن يكون عالمًا. أي: هو فهم مسألة ما؛ بدون إحاطة كاملة، أو أن يجهلَ الشيء وهو عالم بجهله.

■ الجهل الكامل: وهو خلاف العلم بالمسألةِ. أي: إنَّ صاحبها لايعلم من المسألة شيئًا.

■ الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقادٍ جازمٍ غير مطابق للواقع، وفهم الأمر خلاف ماهو عليه، أي: أن يجهل الشيء وهو لا يعلم بجهله؛ فهو إذًا غافل عن جهله ولا يدري بأنَّه جاهل؛ فيرىٰ نفسه عالماً به، فيتركب جهله من جهلين: جهل بالواقع، وجهل بهذا الجهل، فهذا الجهل من أسوء أنواع الجهل، ليس هو إلاَّ ظلمات بعضها فوق بعض. انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: ص٢٠٩. و«التعريفات» للجرجاني: ص٨٠.

والجهلُ صفةٌ مذمومةٌ قبيحةٌ! يجبُ علىٰ المرءِ أن يبذلَ ما بوسعه لرفعه عن نفسه؛ لأنَّ الجهلَ سببُ المعاصي بأنواعها، والمحرِّضُ عليها، والدَّافعُ إليها، وسببٌ في خسرانِ الدُّنيا والآخرة.

والجهلُ! لا يزولُ إلاَّ بالعلمِ النافعِ، والعلمُ: هو معرفةُ المعلُوم علىٰ ما هو بهِ في الواقعِ، والجهلُ ضدُّ العلم؛ لأنَّ الجهلَ هو تصوُّرُ الشَّيْءِ علىٰ خلافِ ما هو بهِ في الواقعِ.

ودواءُ الجهلِ السَّعيُ الجادُّ في السُّؤَالِ والتَّعلُّمِ، وخصوصًا في أُمور الدِّين؛ الَّتي لا يستقيمُ حالُ المرءِ إلاَّ بإقامتها، والمعروفُ أنَّ الإنسانَ الذي يعلم أنَّهُ لا يعلمُ الشَّيْءَ؛ قد اكتسب نصفَ العلمِ، وهو العلمُ بجهلهِ! وبقي النصفُ الآخرِ، وهو العلمُ بالشَّيْءِ المجهولِ، وسوفَ يصلُ إلىٰ العلمِ الثَّاني من خلالِ طلب العلمِ النافع، أو حُسن الإستفسارِ، أو السُّؤَالِ.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»(١).

وأعظمُ الجهلِ أن يجهلَ العبدُ المسلمِ علومَ دينهِ العظيم؛ التى لا يصحُ إسلامه إلاَّ بها، ولا يعذرُ بجهلها؛ بل يعاقبُ عليها في الآخرة؛ لأنَّهُ فرَّط في أمرِ دينه الذي هو عصمة أمره. والجهلُ في الدِّينِ؛ ينقسمُ إلىٰ قسمين:

- جهلٌ بالحكمِ الشَّرعيِّ: أي: لا يعلم العبدُ أحكامَ الشَّريعةِ.
- جهلٌ بالحالِ: أي: لا يعلمُ العبدُ حكمَ الشَّرعِ في المسألةِ المعينة.

فعلىٰ الإنسانِ العاقلِ! إذا سُئِلَ عن مسألةٍ، وهو لا يعرفه؛ فيقول: لا أعلم! فهذا الجهلُ يُسمَّىٰ جهلٌ بسيطٌ؛ لأنَّهُ لا إدراك للذِّهنِ فيه، بل

(١) رواه أبو داود في (كتاب الطهارة) باب «في المجروح يتيمم» وحسَّنه الألباني.

الذِّهن خالٍ، ولكن قد يتحول هذا الجهل جهلاً مركبًا؛ إذا سُئِلَ عن شيءٍ هو لا يعلمه، فيقول فيه بغير علم؛ فهذا يقال عنه إِنَّهُ جهلٌ مركبٌ.

ولهذا ينبغي علىٰ المسلم! أَن لا يُقحِمَ نفسهُ في شيءٍ يكون بسببه جاهلاً جهلاً مركبًا، وذلكَ إذا سُئِل عن شيءٍ؛ فإِنْ كانَ يعلمه أَجاب بما يعلم، وإِن كان لا يعلم؛ فإِيَّاهُ أَن يتساهلَ، ويجيبَ - ولو كان في غير العلوم الشَّرعيَّةِ - لأَنَّ من تساهل بهذا الأَمرُ لم يوثق به؛ بل ربَّما نُسب بسببه إِلىٰ عدم الأَمانةِ، أَو إِلىٰ الكذبِ واختلاقِ الأَشياء، وإِن كان في أَمرٍ شرعيٍّ؛ فإِنَّهُ محرَّمٌ! لأَنَّهُ لا يجوز للعبدِ أَن يُفتي في دينِ اللهِ بغيرِ علمٍ ولا هدىٰ؛ فالأَمرُ في هذا الباب يحتاجُ إِلىٰ تقوىٰ اللهِ تعالىٰ، إِن كان يعلم فليخبر، وإِن كان لا يعلم، فيقول: اللهُ أَعلم، وبه قد أَصاب فقه التَّقوىٰ.

لأَنَّ الإِسلامَ دينُ العلمِ، وقد بدأَت رسالته، بقولِ اللهِ تعالىٰ:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[1].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ؛ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ»[2].

ومن صورِ الجهلِ في الواقع:

● الجهلُ البسيطِ: هو الجهل بعلمٍ من العلوم، وهذا لا يُعتبرُ جرحًا، وليس علىٰ العبد - وخصوصًا في هذا العصر - أَن يتقنَ كل العلوم، وإِنَّما أَن يتقنَ علمًا اتقانًا تامًا، ثمَّ يطلعُ ببعضِ المعلوماتِ عن باقي العلومِ.

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب المقدمة) باب «فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم» وصحَّحه الأَلباني.

● الجهلُ المركبِ: أعظمها هو الجهل باللهِ تعالىٰ الذي خلق الإنسان ورزقه، وهذا الجهلِ يُعتبر مرادفًا للكفرِ، ومن أجله أَرسل اللهُ تعالىٰ رسُوله ليعلموا النَّاسَ بربِّهم – سبحانه – بأنَّهُ واحدٌ ليسَ له شريكٌ ولا ولد.

ثمَّ يتبعهُ الجهلُ بالدِّينِ: وهذا الجهلُ من أبشعِ صورِ الجهلِ علىٰ الإطلاقِ؛ لأنَّهُ معصيةٌ للهِ تعالىٰ؛ فكلُّ ابن آدم يكون إسلامه وإيمانه بقدر علمه وعمله؛ فإذا كان عالمًا عارفًا بدينه، عاملاً بأحكامه؛ فنصيبه بقدر علمه وعمله، وإن جهل فنصيبه من الإسلام هو الاسم منه فقط.

والقاعدةُ الشَّرعيَّةُ دلَّت علىٰ أنَّ كلَّ جهلٍ يمكنُ المكلفِ دفعه، لا يكونُ حجةً للجاهلِ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ قد بعثَ رُسُلَهُ – صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم – إلىٰ خلقهِ برسالاتهِ، وأوجب عليهم كافةً أن يعلموها، ثمَّ يعملوا بها؛ فالعلمُ والعملُ واجبان شرعيان أساسيان في حياةِ العبدِ.

وقد ذمَّ اللهُ – عزَّ وجلَّ – الجهلَ والجاهلين في كتابه الكريم، فقالَ تعالىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[2].

وقد تعوذَ النَّبيُّ ﷺ من الجهلِ؛ فكان من أدعيته ﷺ:

«اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[3].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩. (٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٣) رواه ابن ماجة (كتاب الدعاء) باب «ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته» وصحَّحه الألباني.

وقالَ الإمامُ التَّابعيُّ مسروق بن الأَجدع، رحمهُ اللهُ: (كَفَىٰ بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَىٰ اللَّهَ، وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ)(١).

والجهلُ ابتداءً! أمرٌ أصليٌّ في ابن آدم؛ ينبغي للمسلم رفعه عن نفسهِ ما استطاع ذلكَ، ومَن أَمكنه التعلمِ، ولم يتعلم أَثم، قالَ اللَّهُ تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾(٣).

فالعذرُ بالجهلِ مسأَلةٌ من المسائلِ التي خاض فيها كثيرٌ من النَّاسِ من غير علمٍ، وكما علمنا - ممَّا سبق - أَنَّ منهج أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ وسطٌ في كلِّ مسائل الدِّين وأُمورها؛ بين الغالي والجافي، والمفْرِط والمفرِّط، وكذلك هو وسطٌ في مسأَلةِ العذرُ بالجهلِ:

● فهناك مَن يجعل الجهل عذرًا بإطلاق في جميع المسائل، وفي جميع الأَحوال! من دون اعتبارٍ للضوابطِ التي وضعها أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ من أَن ينظر إلىٰ حال الجاهل، وسبب جهله، والمسأَلة التي جهل فيها؛ فعذروا من لا يصحُّ عذرُه، وأَدخلوا في دائرة الإسلام مَن لا يصحُّ إدخالُه؛ من المشركين والمرتدِّين ومَن تبعهم؛ بادعاء أَنَّهم جهلةٌ، مع كونهم يعيشون في بلاد الإسلام والمسلمين، ويسمعُونَ كلامَ الله تعالىٰ، وكلام رسوله ﷺ، وكلام العلماء والدُّعاة، وقد قامت عليهم الحجَّةُ بذلك؛ لكنهم آثروا الاستمرارَ علىٰ ما هم عليه؛ فهؤلاء لا عُذْرَ لهم.

---

(١) أَخرجه الدَّارميُّ في «سُنَنه» باب «في اجتنابِ الأَهواء».

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨. (٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

● وهناك مَن يمنعه بإطلاقٍ، وفي جميعِ الأحوالِ، وفي جميعِ المسائلِ! أي: يقولونَ بالتَّكفيرِ بالعمومِ من غيرِ استثناءِ عالمٍ، أو جاهلٍ لمن وقعَ في الشِّركِ أو الكفرِ؛ إذ لايمكن أن يكونَ مسلمًا مع شركة؛ سواء سواء كان هناك من يقيم الحجَّة عليه، أم لا! إذ القرآن حجَّةٌ بذاته؛ فأدَّىٰ بهؤلاء إلىٰ تكفير بعض المسلمين، وإخراجهم من دائرة الإسلام - مع أنَّه يشمُلُهُم العذرُ بالجهل - دون الاعتبار للضوابط والموانع التي قد تمنع من تكفيرهم.

●● والحقُّ وسطٌ بينهما، هو طريقةُ أهل السُّنَّة والجماعة؛ التَّفصيل في المسألة، والحكمُ علىٰ المعاني دون المباني؛ بضوابطه الشَّرعيَّة المحكَّمةِ! لأنَّ الجهلَ بأُمورِ الدِّينِ ومسائلِ الشَّرعِ؛ يدلُّ علىٰ انخفاض مَنْزِلةِ الجاهلِ، ونَقص إيمانهِ علىٰ قدرِ جهلهِ، والجهلُ - في الجملة - أحدِ موانعِ تكفيرِ المعيَّنِ؛ لأنَّ الإيمانَ يتعلَّق بالعلمِ، ووجود العلم بالمؤْمنِ بهِ؛ شرطٌ من شروطِ الإيمانِ، إذ لا يقومُ التَّكليف مع الجهلِ، أو عدم العلم، غير أنَّ العذرَ بالجهلِ مؤقَّت، وتوقيته متوقِّف علىٰ عدمِ توفُّرِ الأسبابِ وتحقُّق الشُّروطِ، أو في إمكانِ وجودها وتحقُّقها تقديرًا، ومنه يعلم أنَّ إثباتَ العذر مُطلقًا لا يسوغ، كما أنَّ نفي العذر بالجهل مُطلقًا لا يصحُّ أيضًا

والجهلُ - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - نوعانِ: جهلٌ يعذر فيه صاحبه، وجهل لا يعذر فيه؛ سواء كان ذلك في أُصول الدِّين وفروعه، أو في الكفر والمعاصي؛ لأنَّ من شروط الإيمان وجود العلم والمعرفةِ عند الشَّخصِ المؤمن به؛ لأنَّه لا تكليف إلاَّ بشرعٍ، ولا عقابَ إلاَّ بعد إنذار، والجهل أمرٌ أصليٌّ عند ابن آدم؛ يجب رفعُه - حسب الاستطاعة - والأُمَّة مكلفةٌ بتعليم الجاهل، وخصوصًا ما يتعلَّق بأُمور الاعتقاد؛ لذا فمَن أنكر أمرًا من أُمورِ

الشَّرع جاهلاً به، ولم يَبلُغه ما يوجب العلم بما جهله؛ فإنَّه لا يُكَفَّر؛ حتىٰ لو وقع في مظهرٍ من مظاهر الشِّركِ، أَو الكُفر؛ لأَسباب منها:

● أنَّه من الممكن أَن يكون حديثَ العهد بالإسلام، أَو أنَّه لم يكن يعلم بهذا المكفِّر قبلَ إسلامه، أَو أنَّه نشأَ ببادية بعيدة عن ديار العلم وأَهله، ولم يصله البلاغ.

● أَو أنَّه يعيش بدار الحرب؛ لأَسباب مشروعة.

● أَو يعيش في بلدٍ اندرست فيه آثارُ رسالة الإسلام والتَّوحيد، وفشا فيه الجهلُ بشكلٍ واضحٍ، وانقلبَتْ فيه موازينُ الشَّرعِ؛ فصار الشِّركُ فيه توحيدًا، والبدعةُ فيه سُنَّةً، وكثُرَ فيه الانحرافُ، وزُيِّنَ فيه الباطلُ والكُفر، ولُبِّسَ عليهم من قبل عُلمائهم، ولا يوجَدُ سواهم ممَّن يُعلمُونَ الإسلامَ الحقَّ؛ فلا يعرف الدِّين إلاَّ من خلالهم (*).

● أَو أنَّه وقع في المكفِّر وهو غيرُ قاصدٍ له؛ كأَن وقع عن طريق الخطأِ، أَو النسيان، أَو وقع عن طريق اجتهاد سائغ.

● أَو أَنَّ هذا المكفِّرَ ليس من المسائل الظاهرة المجمع عليها، والتي لا يعذرُ فيها المرءُ بجهلها؛ بل هي من المسائل الخفيَّة التي لا يطَّلع عليها إلاَّ العلماء، وتحتاج إلىٰ إيضاحٍ وبيان.

(*) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (وهؤلاء الأَجناس! وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان؛ فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوَّة ما يعرفون به الهدىٰ، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك، وفي أَوقات الفترات، وأَماكن الفترات؛ يثاب الرجل علىٰ ما معه من الإيمان القليل، ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه، ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣٥، ص١٦٥.

فمثلُ هذا الشَّخصِ! إذا وقعَ منهُ الكفرُ؛ لا يُكفَّر، ولا يَستحِقُّ العقوبةَ حتىٰ تُقامَ عليه الحُجَّة النبويَّة؛ لأنَّ الجهلَ ببعض الأُمور العقديَّةِ؛ قد وقعَ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ من غير قصدٍ مع بعض حُدثاءِ العهدِ بالإسلام من الصَّحابة - رضي اللهُ عنهم - ومع ذلك لم يكفرهم ﷺ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١)(*).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (إخبار عن عدله تعالىٰ، وأنّه لا يُعذب أحداً إلاّ بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرَّسُول إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨ - ٩] وكذا قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وقال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أنّ الله تعالىٰ لا يُدخل أحداً النّار؛ إلاّ بعد إرسال الرسول إليه).

وقال الإمامُ البغوي - رحمهُ اللهُ - في هذه الآية: (وذلك أنَّ اللهَ تعالىٰ أجرىٰ السُّنَّةَ أن لا يأخذَ أحداً إلاّ بعد وجود الذَّنب، وإنّما يكون مذنباً إذا أمر فلم يأتمر، أو نهي فلم ينته، وذلك بعد إنذار الرسل... وفيه دليلٌ علىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يعذبُ الخلق قبل بعثة الرَّسُول).

وقال العلاّمةُ الشنقيطي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (والآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأنَّ اللهَ تعالىٰ لا يعذب أحداً حتىٰ يقيم عليه الحجّة بإنذار الرُّسل، وهو دليل علىٰ عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة، وما ركز في الفطرة؛ فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فإنَّهُ قال فيها: حتىٰ نبعث رسولاً، ولم يقل حتىٰ نخلق عقولاً، وننصب أدلة، ونركز فطرة).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[٢] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٣] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[٤][*] .

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفر - وَكَانُوا أَسْلَمُوا يَومَ الفَتْحِ - قالَ : فَمَررنَا بشَجَرَةٍ، فَقُلنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ للكُفَّارِ سدرة يَعْكِفُونَ حَولَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يَدْعُونَها ذَاتُ أَنْوَاطٍ؛ فَلمَّا قُلنَا ذَلِكَ للنَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٦٥ . (٢) سورة الأنعام، الآية : ١٩ .

(٣) سورة التغابن، الآية : ١٦ . (٤) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : (أي : لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطف تعالىٰ بخلقه، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّه، رحمهُ اللَّهُ : (من النَّاسِ مَن يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يُعذر به؛ فلا يحكم بكفر أحد حتىٰ تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالىٰ : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ولهذا لو أسلم رجلٌ، ولم يعلم أنَّ الصَّلاةَ واجبة عليه، أو لم يعلم أنَّ الخمر يحرم، لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا؛ بل ولم يعاقب حتىٰ تبلغه الحجة النبوية . . . والصحيح الذي تدلُّ عليه الأدلة الشَّرعية؛ أنَّ الخطابَ لا يثبت في حقِّ أحدٍ قبل التمكن من سماعه .) انظر : « مجموع الفتاوىٰ » ج ١١، ص ٤٠٦ .

«اللهُ أَكْبَر! وَقُلْتُم وَالَّذِي نَفْسِي بيده؛ كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيل لِمُوسَىٰ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ: إِنَّكُمْ قَومٌ تَجْهَلُون؛ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(١)(*).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: إِنَّ رَجُلاً أَهْدَىٰ لِرَسُول اللهِ ﷺ رَاوِيَةَ خَمْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟» قَالَ: لاَ! فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِمَ سَارَرْتَهُ»

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في (كتاب السُّنَّة) باب «فيما أخبر به النبي ﷺ أنَّ أُمته ستفترق علىٰ اثنتين وسبعين فرقة» برقم: (٧٦) والترمذي في (كتاب الفتن) باب «ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم» والإمام أحمد في المسند: ج٥، ص٢١٨. وحسنه الألباني.

(*) قالَ الشيخُ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله تعالىٰ:

(قوله: «ونحن حُدثاء عهد بكفر» أي: قريبو عهد بالكفر؛ ففيه دليل أنَّ غيرهم لا يجهل هذا، وأنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة، ذكره المصنف) «تيسير العزيز»: ص ١٧٥.

وقالَ الشيخُ محمد حامد الفقي – رحمه الله – في تعليقه علىٰ كتاب «فتح المجيد» ص١٤١: (ليست ما طلبوه من الشرْك الأصغر، ولو كان منه لما جعله النبي ﷺ نظير قول بني إسرائيل: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ وأقسم علىٰ ذلك؛ بل هو من الشرْك الأكبر، كما أنَّ ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر، وإنَّما لم يكفروا بطلبهم؛ لأنَّهم حدثاء عهد بالإسلام، ولأنَّهم لم يفعلوا ما طلبوه، ولم يقدموا عليه؛ بل سألوا النبي ﷺ فتأمل!!).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّه، رحمهُ اللهُ: (فأنكر النبيُّ ﷺ مجرَّدَ مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلِّقين عليها سلاحهم؛ فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟ فمن قصد بقعةً يرجو الخيرَ بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك؛ فهو من المنكرات، وبعضه أشدُّ من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء، أو قناة جارية أو جبلاً أو مغارة، وسواء قصدها ليُصلِّيَ عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله – سبحانه – عندها، أو ليتنسَّك عندها، بحيث يخصُّ تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يُشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا) «اقتضاء الصراط المستقيم»: ج٢، ص١٥٧ – ١٥٨.

فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا؛ حَرَّمَ بَيْعَهَا» قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَ حَتَّىٰ ذَهَبَ مَا فِيهَا [١](*).

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ من رحمتهم للخلقِ في مسألةِ العذر بالجهلِ(**):

أنَّهم يفرقونَ في الحكمِ علىٰ المسلمينَ! بينَ أحكام الدُّنيا والآخرةِ، ويُراعونَ اختلافَ أحوالِ النَّاس ومُلابساتهم، وأماكنهم وأزمنتهم؛ من بلدٍ إلىٰ آخر، ومن زمنٍ إلىٰ آخر، وذلكَ في المسائلِ المجهولةِ؛ من جهةِ الوضُّوحِ والخفاءِ، والنَّظرُ في تفاوتِ مداركهم؛ من جهةِ القوَّةِ والضُّعفِ، ومن حيث انتشار العلم الصَّحيح النَّافع وأدواته ودعاته، وتُعرف أماكنُه بنشاط أهل العلم بالدَّعوة إلىٰ اللهِ تعالىٰ، والنهوض بالعلم؛ بحيث لا تخفىٰ مظانُّه ومدارسه وأهله، أي: بينَ مجتمعٍ ينتشر فيه العلمِ والتعليم، وبين زمن فتور

---

(١) رواه مسلم في (كتاب المساقاة) باب «تحريم بيع الخمر».

(*) قال الإمام ابن عبد البر، رحمه الله: (وفي هذا الحديث - أيضًا - دليلٌ علىٰ أنَّ الإثم مرفوعٌ عمَّن لم يعلم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ ومَن أمكنَهُ التَّعلُّمَ، ولم يتعلَّم؛ أَثِمَ! والله أعلم): «التمهيد» ج٤، ص١٤٥.

(**) قال شيخ الإسلام ابن تيميَّه، رحمهُ اللهُ: (وكثيرٌ من النَّاسِ قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات؛ حتىٰ لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيرًا مما بعث الله به رسوله، ولا يكونه هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة علىٰ أنَّه من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام؛ فأنكر شيئًا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة؛ فإنَّهُ لا يحكم بكفره، حتىٰ يعرف ما جاء به الرَّسُول) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج١١، ص ٤٠٧.

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (فإنَّهُ وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرَّسُولُ ﷺ لكن الرجل [القائل] قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده [من الدين] حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل [القائل أو الجاحد] لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئًا) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٢٣١.

العلمِ وضعف القائمين به! حتَّىٰ لا يبقىٰ من يبلِّغ العلم النَّافع؛ فينتشر الجهل ويضمحلُّ العلم الصَّحيحُ، ثمَّ يتبعها انتشارُ ما يخلفه! من العلوم الباطلة والدَّخيلة؛ ولذا! لا يشتركونهم جميعًا في معرفةِ الأُمورِ الضَّروريَةِ من مسائلِ الدِّين علىٰ درجةٍ واحدةٍ؛ بل قد يعرفُ البعضُ أُمورًا، لا يعرفها الآخرون بهذه الصيغةِ، أَو قد تكون بعض المسائل العقديَّة من المسلَّماتِ عند البعض، مع أَنَّ غيرَهم يجهَلُها تمامًا، أَو يعلمُ عِلْمَ الذي يخالفها؛ إِنَّها من المسلماتِ الصَّحيحةِ، ومنطلقٍ! موقفُ أَهل السُّنَّةِ والجماعةِ في هذه المسأَلة الدقيقة؛ هو من مشكاةٍ فقه قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ»[1](*) .

ومع هذا! فلا يعني أَنَّ الجهلَ - عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة - عذرٌ مقبولٌ لكلِّ مَن ادَّعاه! فالجهلُ عندهم درجاتٌ مختلفةٌ: فجهلُ ما هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورةِ من الأُمور الظَّاهرة؛ غير جهل ما دونه من الأُمور الخفيَّة؛ التي لا يعرفها إِلاَّ الخاصَّةُ! إِذًا:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب «قول النبي ﷺ لا شخص أغير من الله».

(*) قال العلأمة الشنقطي، رحمه الله: (ومن ذلك أَنَّهُ تعالى صرح بأَنَّ جميعَ أَهل النَّارِ قطع عذرهم في الدنيا بإِنذار الرُّسُل، ولم يكتف في ذلك بنصب الأَدلة، كقوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الملك: ٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] ومعلومٌ أَنَّ لفظةَ ﴿ كُلَّمَا ﴾ في قوله: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ صيغة عموم، وأَنَّ لفظة ﴿ الذين ﴾ في قوله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾صيغة عموم أَيضًا؛ لأَنَّ الموصول يعم كل ما تشمله صلته) انظر: «أَضواء البيان» ج٢، ص٣٣٦ - ٣٣٨.

● الجهلُ في المسائلِ الظَّاهرَةِ البيِّنَةِ الجلِّيَةِ، أو المعلومةِ من الدِّينِ بالضَّرورَةِ؛ كأُصول الدِّين من التَّوحيد، والشِّركِ، والإيمانِ، والمحرَّماتِ القطعيَّةِ، وما أجمعَ عليه أهلُ العلم من الفرائضِ والواجباتِ والمعلوماتِ؛ الَّتي أوضحها اللهُ تعالىٰ في كتابهِ العزيز، وبلَّغها رَسُولُهُ الأمين ﷺ أتمَّ البلاغ، ثمَّ بينها أهل العلم بمرِّ العصور؛ فأصبحت من شعار دين الإسلام؛ فالعذرُ بالجهلِ في هذه المسألة؛ غير مقبول لكلٍّ من ادعاه بعد بلوغ الحجَّةِ، وظهور المحجَّةِ (*).

(*) أقوالُ أهل العلم في المسائل الظَّاهرة، وما يندرج تحتها:

● قال الإمام أبو حنيفة النعمان، رحمه الله: (لا عذر لأحدٍ في جهله معرفة خالقه؛ لأنَّ الواجب علىٰ جميع الخلق معرفة الرَّب - سبحانه وتعالىٰ - وتوحيده، لما ترىٰ من خلق السَّموات والأرض وخلق نفسه وسائر ما خلق الله؛ فأمَّا الفرائض فمن لم يعلمها ولم تبلغه؛ فإنَّ هذا لم تقم عليه حجة حكيمة) «بدائع الصنائع» للكاساني؛ ج٩، ص٤٣٧٨.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (وعبادة الله وحده؛ هي أصلُ الدِّين، وهو التَّوحيد الذي بعث الله به الرُّسُل، وأنزل به الكُتب، فقال تعالىٰ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٣٩٧.

● قال العلاَّمة جلال الدِّين السيوطي، رحمه الله: (كل مَن جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب النَّاس؛ لم يقبل إلاَّ أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء، ويخفىٰ فيها مثل ذلك: كتحريم الزِّنا، والقتل، والسرقة، والخمر، والكلام في الصَّلاة، والأكل في الصَّوم، وقتل من شهد علىٰ غيره بارتكاب جريمة القتل فقُتِل؛ فإذا رجع الشَّاهد عن شهادته، وقال مع الشَّاهد الآخر: تعمدنا الكذب، ولم نعلم أنَّه يُقتل بشهادتنا؛ لأنَّ ذلك لا يخفىٰ علىٰ عوام النَّاس) «الأشباه والنظائر» باب (من يُقبل منه دعوىٰ الجهل ومن لا يقبل) ص٢٠٠.

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي، رحمه الله: (إذا زنا مَن نشأ في دار الإسلام بين المسلمين، وادَّعىٰ الجهل بتحريم الزِّنا؛ لم يُقبل قوله؛ لأنَّ ظاهر الحال يكذبه، وإن كان الأصل عدم علمه بذلك) «القواعد في مذهب الإمام أحمد» ص٣٢٣.

● الجهلُ في المسائلِ الخفيَّةِ التي لا يعلمها إلاَّ العلماءُ وطلبةُ العلم، ولا يعلمها عوام المسلمينَ (*)، ويخفىٰ فهمُ دليلها عليهم ولا يعلمها إلاَّ بعد التَّعلُم؛ كالمسائلِ العقديةِ الدَّقيقةِ المختلَف فيها، أَو كالمسائلِ التي لا يسع معرفتها المسلمُ إلاَّ بعد إعلامه بحكم الله تعالىٰ فيها، أَو المسائلِ التي تحتاجُ إلىٰ علمٍ بها لا يُدرك بالعقل المجرد؛ كمسائلُ الأَسماءِ والصِّفاتِ بتفاصيلها، أَو رؤْيَةُ اللهِ تعالىٰ في الآخرة، أَو المسائل التي يقع فيها المسلمُ خطأً لشبهةٍ وسوء فهمٍ، أَو يعتمد علىٰ أَحاديث ظنَّها ثابتة وهي ضعيفة أَو باطلة، أَو معرفة معتقدات الفِرَقِ التي تُخالف اعتقادَ أَهل السُّنَّة والجماعة ومقالاتهم التي تُخالفُ النُّصوصَ الشَّرعيَّة، أَو معرفة مسائل الفروع التي هي غير مُشْتَهرةٍ عند عامَّة المسلمين، وغيرها من المسائل المشابهة(**).

(*) قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ: (العلمُ علمانِ: علمُ عامَّة لا يسعُ بالغًا غيرَ مغلوبٍ علىٰ عقلِه جهلُه؛ مثلُ الصَّلواتِ الخمسِ، وأَنَّ للهِ علىٰ النَّاسِ صومَ شهرِ رمضانَ، وحجَّ البيتِ إذا استطاعوه، وزكاةَ أَموالهم، وأَنَّهُ حرَّمَ عليهم الزِّنا والقتلَ والسَّرقةَ والخمرَ، وما كان في معنى هذا، ممَّا كُلِّفَ العبادُ أَن يَعقلوه و يَعلموه ويُعطوه من أَنفسهم وأَموالهم، وأَن يَكُفُّوا عنه ما حَرَّم عليهم منه) انظر: «الرِّسالة» ص٣٥٧ – ٣٥٨.

(**) قالَ الإمامُ محمَّد بن عبد الوهاب، رحمهُ اللهُ: (لأَنَّ الشَّخصَ المعيَّن إذا قالَ ما يوجب الكفرَ؛ فإنَّهُ لا يُحكم عليه بكفرِهِ! حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّةُ التي بكفر تاركُها، وهذا في المسائل الخفيَّةِ التي قد يخفىٰ دليلُها علىٰ بعض النَّاسِ، وأَمَّا ما يقع منهم في المسائل الظَّاهرة الجليَّة، أَو ما يُعلم من الدِّينِ بالضَّرورةِ؛ فهذا لا يتوقَّف في كفر قائله، ولا تجعل هذه الكلمة عكازة تدفع بها في نحر من كفَّر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجَّةِ، ووضوح المحجَّة) «الدُّرر السَّنية» ج٨، ص٢٤٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: (لا يُكفِّرُ العلماءُ من استحلَّ شيئًا من المحرَّماتِ لقربِ عهده بالإسلام، أَو لنشأته ببادية بعيدة؛ فإنَّ حكمَ الكفرِ لا يكونُ إلاَّ بعد بلوغ الرسالة، وكثير من هؤلاءِ قد لا يكون قد بلغته النُّصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أَنَّ الرَّسُولَ بُعثَ بذلك؛ فيطلق أَنَّ هذا القولُ كفرٌ، ويكفر مَن قامت عليه الحجَّةُ التي يكفر تاركها، دون غيره. واللهُ أعلم!) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٢٨، ص٥٠١.

● والجاهلُ العاجزُ عن السؤالِ والعلم، أَو عدمُ وجود مَن يُعَلِّمُهُ؛ غيرُ الجاهلِ المتمكِّنِ المفرِّطِ التَّاركِ للواجب عليه، أَو المعرض عن طلب العلم الشرعيِّ، أَو المتكبِّر عنه، أَو الغافل عنه والمنشغل بلهو الحديث، أَو المقلِّد ما وجدَ عليه آبائه؛ فهذا لا عذر له عند الله تعالىٰ (*).

فمن العدلِ! ينبغي التَّفريقُ؛ بينَ الجاهلِ المتمكِّن من التعلُّم والفهم، القادر علىٰ معرفة الحقِّ إِن أَرادَ ذلكَ؛ لكنَّه مفرِّطٌ في طلب العلمِ، ثمَّ

(*) ● قال الإمام الشافعي، رحمه الله تعالىٰ: (لو عُذِرَ الجاهل لأَجل جهله؛ لكان الجهلُ خيرًا من العلم، إذ كان يحط عن العبد أعباء التَّكليف، ويريح قلبه من ضروب التَّعنيف؛ فلا حجة للعبد في جهله الحكم بعد التبليغ، والتَّمكين: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]). «المنثور في القواعد» للزركشي؛ ج٢، ص١٧.

● قال الإمام القرافي المالكي، رحمه الله: (القاعدة الشرعيَّة؛ دلَّت علىٰ أَنَّ كل جهلٍ يمكن المكلف دفعه؛ لا يكون حجة للجاهل؛ فإِنَّ الله تعالىٰ بعث رسُله إلىٰ خلقه برسائله، وأَوجب عليهم كافَّةً أَن يعلموها، ثمَّ يعملوا بها؛ فالعلم والعمل بها واجبان؛ فمَن ترك التَّعلم والعمل، وبقيَ جاهلاً؛ فقد عصىٰ معصيتين لتركه واجبين، وإِن علم ولم يعمل؛ فقد عصىٰ معصية واحدة بترك العمل، ومَن علم وعمل؛ فقد نجا) «الفروق» ج٤، ص٢٦٤.

● قال الإمام ابن اللحَّام الحنبلي، رحمه الله: (إذا تقرَّر هذا؛ فههُنا مسائل تتعلق بجاهل الحكم، هل هو معذور أَم لا؟ ترتبت علىٰ هذه القاعدة؛ فإذا قلنا: يُعذَر، فإِنَّما محله إذا لم يُقصِّر ويُفرِّط في تعلُّم الحكم، أَمَّا إذا قصَّر أَو فرَّط؛ فلا يُعذَر جزمًا). «القواعد والفوائد الأُصولية» القاعدة: ٨؛ ص٨٧.

● قال الشيخ العلاَّمة ابن باز، رحمه الله: (دعوىٰ الجهل والعذر به؛ فيه تفصيلٌ، وليس كل أَحد يعذر بالجهل؛ فالأُمور التي جاء بها الإسلام، وبينها الرَّسُول ﷺ للنَّاس، وأَوضحها كتاب الله، وانتشرت بين المسلمين؛ فإِنَّ دعوىٰ الجهل لا تُقبل! ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة وأَصل الدِّين! فإِنَّ الله – عزَّ وجلَّ – بعث نبيَّه ﷺ ليوضح للنَّاس دينهم ويشرحه لهم، وقد بلغ البلاغ المبين، وأَوضح للأُمَّة حقيقة دينها، وشرح لها كلّ شيء، وتركها علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وفي كتاب الله الهُدىٰ والنور) «فتاوىٰ وتنبيهات» ص٢٣٩. جمع أَشرف عبد المقصود.

أعرضَ عن ذلك تاركًا ما أوجبهُ اللهُ تعالىٰ عليه من واجبات الدِّينية، وخاصةً إذا وُجدَ في دار المسلمين؛ حيثُ فيها العلوم الشَّرعيَّةِ ومدارسها.

وبين الجاهلِ العاجزِ عن طلبِ العلمِ والفهم؛ عالةٌ علىٰ غيره!

فأمَّا الأوَّلُ! لا عذرَ له لتقصيره؛ لأنَّهُ انتفىٰ عنه وصف العجز؛ لتمكُّنه من العلم الذي هو شرطُ الإيمانِ؛ لأنَّ الشَّرعَ الحكيم أمرَ بالعلمِ والتعلُّم وسؤالِ أهل العلمِ؛ فهذا تركه لا يتعلمهُ، ولا يسعىٰ لذلكَ.

فالذي وقعَ في مظهرٍ شركيٍّ! ولم يعلم مناقضتَه للإسلام؛ كأن يكون حديث عهدٍ بالإسلامِ، أو يعيشُ في بلدِ جهلٍ، أو نشأَ في باديةٍ نائيةٍ، أو كانت المسألةُ خفيةً غيرَ ظاهرة؛ فإنَّهُ يُفرَّق بين قُبح المعصيةِ، وتسمية فاعلها بها؛ سواء قبل قيام الحُجَّة، أو بعده.

وبينَ كون مرتكبها لا يستحقُّ العقوبةَ في الدَّارَين؛ لأنَّ العقوبة والعذابَ متوقِّف علىٰ بلاغ الرسالة، فالمتلبِّس بالشِّرك؛ كالسَّاجد لغيرِ اللهِ تعالىٰ من وليٍّ أو صاحب قبرٍ؛ فهو مشركٌ مع اللهِ غيرَه في العبادة، ولو نطق بالشَّهادتين وقت سجوده؛ لأنَّهُ أتىٰ ما ينقض قولَه من سجود لغير اللهِ تعالىٰ؛ فمن حيث التسمية فهو مشرك بما حدثَ منه من معصية السُّجودِ لغيره تعالىٰ! لكنه قد يُعذر بجهله من جهة إنزال العقوبة التي لا تتمُّ في الدَّارَين إلاَّ بعد البيان، وإقامة الحُجَّة للإعذار إليه(*).

(*) قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: (فاسمُ المشرك ثبت قبل الرسالةِ؛ فإنَّه يُشرك بربِّه ويعدل به، ويجعل معه آلهةً أُخرىٰ، ويجعل له أنداداً قبل الرَّسُولِ، ويثبتُ أنَّ هذه الأسماء مقدم عليها، وكذلك اسم الجهل والجاهلية، يقال: جاهلية وجاهلاً قبل مجيء الرَّسول، وأمَّا التعذيب فلا) «مجموع الفتاوى» ج٢٠، ص٣٨.

قالَ الحافظُ ابن رجبٍ الحنبليُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وفي الجملةِ! فما تركَ اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ حلالاً إلاَّ مبينًا، ولا حرامًا إلاَّ مبينًا؛ لكن بعضه كان أظهر من بعض! فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدِّينِ بالضَّرورةِ من ذلك، لم يبقَ فيه شكٌّ، ولا يعذرُ أحدٌ فيه بجهله، في بلدٍ يظهرُ فيها الإسلام)[١].

وقالَ الإمامُ أبي محمَّد بن قدامة المقدسيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ولا خلافَ بين أهل العلمِ في كفرِ من تركها - أي الصَّلاة - جاحدًا لوجوب؛ إذا كان ممَّن لا يجهل مثله ذلك! فإنْ كانَ ممَّن لا يعرف الوجوبِ؛ كحديثِ الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام، أو باديةٍ بعيدةٍ عن الأمصارِ وأهل العلم؛ لم يحكم بكفره، وعرِّف ذلك، وتثبت له أدلة وجوبها؛ فإن جحدها بعد ذلك كفر، وأمَّا إذا كان الجاحد لها! ناشئًا في الأمصار بين أهل العلم؛ فإنَّهُ يكفر بمجرد جحدها، وكذلك الحكم في مباني الإسلام كلِّها، وهي الزَّكاة والصِّيام والحجُّ؛ لأنَّها مباني الإسلام وأدلة وجوبها لا تكاد تخفىٰ، إذا كان الكتاب والسُّنَّة مشحونين بأدلتها، والإجماع منعقد عليها)[٢][*].

---

(١) «جامع العلوم والحكم»: ص٨٣.

(٢) «المغني»: ج١٢، ص٢٧٥.

(*) قالَ الإمامُ ابن جرير الطَّبريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ: (القولُ في المعاني التي تُدركُ حقائقُ المعلوماتِ من أُمور الدِّين، وما يسعُ الجهلُ به منه، وما لايَسعُ ذلك فيه، وما يعذرُ بالخطأ فيه المجتهدُ والطَّالبُ، وما لا يعذرُ في ذلكَ فيه: اعلموا - رحمكم الله - أنَّ كلَّ مَعلُوم للخلقِ من أمرِ الدِّين والدُّنيا أن تخرج من أحدِ معنيين: من أن يكونَ؛ إمَّا معلومًا لهم بإدراك حواسِّهم إيَّاه. وإمَّا معلومًا لهم بالاستدلال عليه بما أدركتْهُ حواسُّهم، ثمَّ لن يعدو جميعُ أُمور الدِّين - الذي امتحن الله به عبادَهُ معنيين أحدهُما: توحيدُ الله تعالىٰ وعدلُه. =

لأنَّ الجهلَ عذرٌ مؤقَّتٌ - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - ومقيَّدٌ بعدم توفُّرِ بعض شروطه؛ فإذا وُجدت هذه الشُّروط؛ فالجهلُ لا يكون عذرًا حينها؛ بل يصبح ذمًّا وحجةً علىٰ صاحبه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ

= والآخرُ: شرائعهُ التي شرعها لخلقه من حلالٍ وحرامٍ وأقضيةٍ وأحكام. فأمَّا توحيدُهُ وعدلُهُ؛ فمُدْركَةٌ حقيقةُ علمِهِ استدلالاً بما أدركتْهُ الحواسُّ. وأمَّا شرائعُهُ فمُدرَكةٌ حقيقةُ علم بعضها حِسًّا بالسَّمعِ، وعلم بعضها استدلالاً بما أدركتْهُ حاسَّةُ السَّمع. ثمَّ القولُ فيما أُدركتْ حقيقةُ علمه استدلالاً علىٰ وجهين: أحدهُما: مَعذورٌ فيه بالخطأ والمخطئ، ومأجورٌ فيه علىٰ الاجتهادِ والفحصِ والطلبِ؛ كما قالَ رَسُول اللهِ ﷺ:
«مَنْ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» [رواه البخاري].
وذلك الخطأ لما كانت الأدلَّةُ علىٰ الصَّحيح من القولِ فيه مُختلفةً غيرَ مُؤْتلفةٍ، والأُصولُ في الدلالة عليه مُفترقةً غيرَ متفقةٍ، وإن كان لا يخلو من دليلٍ علىٰ الصَّحيح من القولِ فيه؛ فيميِّز بينه وبين السَّقيم منه، غيرَ أنَّهُ يغمضُ بعضُه غموضًا يخفىٰ علىٰ كثيرٍ من طُلابِهِ! ويلتبسُ علىٰ كثيرٍ من بغُاتِهِ. والآخرُ منهما غيرُ معذورٍ بالخطأ فيه مُكلَّفٌ قد بلغَ حدَّ الأمر والنَّهي، ومُكفَّرٌ بالجهلِ به الجاهلُ، وذلكَ ما كانت فيه الأدلَّةُ الدَّالةُ علىٰ صحَّتِهِ متَّفِقَةً غير مفترقة، ومؤتلفةً غيرَ مختلفةٍ، وهيَ مع ذلك ظاهرةٌ للحواسِّ... فأمَّا الذي لا يجوزُ الجهل به من دينِ اللهِ لمن كان في قلبه من أهلِ التَّكليفِ لوجودِ الأدلَّةِ متَّفقةً في الدَّلالةِ عليه غيرَ مختلفةٍ، ظاهرةً للحسِّ غيرَ خفيَّةٍ؛ فتوحيدُ اللهِ تعالىٰ ذكره، والعلمُ بأسمائه وصفاته وعدله، وذلك أنَّ كلَّ مَن بلغَ حدَّ التَّكليفِ من أهلِ الصِّحةِ والسَّلامةِ؛ فلن يعدمَ دليلاً وبرهانًا واضحًا يدلُّه علىٰ وحدانيةِ ربِّهِ - جلَّ ثناؤه - ويُوضحُ له حقيقةَ صحَّةِ ذلك؛ ولذلكَ لم يعذُر اللهُ - جلَّ ذكره - أحدًا كان بالصفة التي وصفت بالجهلِ به وبأسمائه، وألحقه إن مات علىٰ الجهل به بمنازل أهلِ العناد فيه تعالىٰ ذكره، والخلافِ عليه بعد العلم به، وبربوبيته في أحكام الدُّنيا، وعذابِ الآخرةِ...) انظر: «التبصير في معالم الدِّين» ص١١٢ - ١١٩.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(١)(*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)(**).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣)(***).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤. (٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(*) قال العلأمة الشوكاني – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (ثمَّ لما توجهت الحجة عليهم ذمهم بالجهل بمواضع الحق، فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وهذا إضراب من جهته – سبحانه – وانتقال من تبكيتهم بمطالبتهم بالبرهان إلىٰ بيان أنَّهُ لا يؤثر فيهم إقامة البرهان؛ لكونهم جاهلين للحق لا يُميِّزون بينه وبين الباطل: ﴿فَهُمْ مُعْرِضونَ﴾ تعليل لما قبله من كون أكثرهم لا يعلمون، أي: فهم لأجل هذا الجهل المستولي علىٰ أكثرهم، معرضون عن قبول الحق، مستمرون علىٰ الإعراض عن التوحيد، واتباع الرسول؛ فلا يتأملون حجة، ولا يتدبرون برهانًا، ولا يتفكرون في دليل... وختم الآية بالأمر بعبادته، فقال: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ فقد اتضح لكم دليل العقل، ودليل النقل، وقامت عليكم حجة الله).

(**) قال العلأمة القاسمي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم، أي: استأمنك بعد انقضاء أشهر العهد؛ فأجبه إلىٰ طلبه حتىٰ يسمع كلام الله، أي: القرآن الذي تقرؤه عليه، ويتدبره، ويطَّلع علىٰ حقيقة الأمر، وتقوم عليه حجة الله به؛ فإن أسلم ثبت له ما للمسلمين، وإن أبىٰ فإنَّه يرد إلىٰ مأمنه وداره التي يأمن فيها، ثمَّ قاتله إن شئت، وقوله تعالىٰ ﴿ذَلِكَ﴾ يعني الأمر بالإجار وابلاغ المأمن بسبب أنَّهم قوم لا يعلمون، أي: جهلة؛ فلا بُدَّ من إعطائهم الأمن حتىٰ يسمعوا ويفهموا الحق ولا يبقىٰ لهم معذرة).

(***) قال العلأمة ابن سعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق والتدبير، ولا في العبادة؛ فكيف تعبدون معه آلهة أُخرىٰ مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب وأسفه السفه).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾(٢).

وكونُ الرَّجلِ يُعذَرُ بالجهلِ - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - لا يعني ذلك إبقاءَ منزلتِهِ كما هي؛ بل تنْحَطُّ منزلتُهُ، وتسقُطُ حرمتُهُ، وينقصُ إيمانُه بقدرِ بُعْدِهِ عن الحقِّ والسُّنَّةِ، والصِّراطِ المستقيم، ويستحِقُّ بذلك العقوبةَ في الدَّارين.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٧.

ثالثًا- الْخَطأُ (*) :

إنَّ الخطأَ صفةٌ ملازمةٌ لابن آدمَ لا ينجو منهُ أحدٌ كائنًا مَن كانَ إلاَّ مَن عصمَهُ الله تعالىٰ من عبادِهِ الأنبياء والمرسلين - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - ولو نجا من الخطأ أحدٌ! لنجا منه الصَّحابةُ الكرام - رضي الله عنهم - الَّذينَ هم أفضلُ الخلقِ علىٰ الإطلاقِ بعد الأنبياء، قالَ النَّبيُّ ﷺ :

« كُلُّ ابْنِ آدمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »(١) .

وقالَ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ! فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ »(٢) .

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب صفةِ القيامةِ والرَّقائِقِ والورَع » وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة ».

(*) ● الخطأ في اللُّغة : (الخطأ ضدُّ الصواب . وأخطأ الطريق : عدل عنه . وأخطأ الرامي الغرر : لم يصبه . والخطأ : ما لم يتعمد . والخطء : ما تعمد . والمخطي : مَن أراد الصواب فصار إلىٰ غيره . والخاطي : مَن تعمد ما لا ينبغي . وقيل : هو العدول عن الجهة، أي : أنَّ المرء يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع منه خلاف ما يريد، فيقال : أخطأ فهو مخطئ، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل . والخلاصة : هو أنَّ المرء يريد ويقصد أمرًا؛ فيقع في غير ما يريد) انظر : « لسان العرب » ج١، ص٦٥ - ٦٨ . و« المفردات » ص٢٨٧ - ٢٨٨ .

● الخطأ في الاصطلاح : (هو كلُّ ما يصدر عن المكلَّف من قول، أو فعل؛ خال عن إرادته، وغير مقترن بقصد منه) انظر : « عوارض الأهليَّة عند الأصوليِّين » د . حسين الجبوري؛ ص٣٩٥ - ٣٩٦ . قال الجرجاني : (هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالىٰ إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة في العقوبة حتىٰ لا يؤثم الخاطيء ولا يؤاخذ بحدٍ ولا قصاص، ولم يجعل عذر في حقِّ العباد حتىٰ وجب عليه ضمان العدوان، ووجب به الدية) « التعريفات » : ص٩٩ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله : (الصَّحابة، والأئمةُ الأربعة، وجمهور السَّلف : يطلقون لفظ الخطأ علىٰ غير العمد؛ كما نطق بذلك القرآن والسُّنَّة في غير موضع) « مجموع الفتاوىٰ » ج٢٠، ص٢٤ . وهنالكَ الألفاظٌ متقاربةٌ في المعنىٰ وذات الصلة بالخطأ، مثل : الغلط، النسيان، السهو، الغفلة، والذهول .

وقالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ليسَ من شرطِ أَولياء اللهِ المتقين أَن لا يكونوا مخطئين في بعضِ الأَشياءِ خطأً مغفورًا لهم؛ بل ليسَ من شرطهم ترك الصَّغائرِ مطلقًا! بل ليس من شرطهم ترك الكبائر، أَو الكفر الذي تعقبه توبة)(١).

والخطأُ هو ما يصدر من العبد بغير قصدٍ؛ كسبقِ اللِّسانِ الذي ينطق بالكفرِ، أَو فعل المكفِّر، وهو لا يقصدهُ البتَّة، أَو لا يريدهُ؛ بل كان يقصد شيئًا غيره، ولو علم أَنَّهُ كفر لم يفعله؛ فالعبرةُ في الخطأ كمانعٍ من موانع التكفير؛ أَنْ يقصدَ المكلف بفعله إتيانَ الفعل المُكفِر، لا أَنْ يقصد الكفر به، وهذا المانعُ يبطلُ شرطَ العمد في الحكم علىٰ المعيَّن؛ لأَنَّ الحكمَ مترتبٌ علىٰ القصدِ. أَي: أَنَّ مَن عملَ عملاً ولم ينوه، أَو يقصده لعارضٍ؛ كالنوم، أَو النسيانِ، أَو الخطأ، أَو الإكراه؛ فإنَّ هذا العمل لا يترتب عليه من الآثار والأَحكام؛ ما يترتب علىٰ مَن قصد العمل وأَراده، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« إنَّ اللَّهَ تَجاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخطأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ »(٢)(*).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج١١، ص٦٧.

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب الطلاق) باب «طلاق المكره والناسي» وصحَّحه الأَلباني.

(*) قال الإمام ابن رجب الحنبلي، رحمه الله: (الخطأ: هو أَن يقصد بفعله شيئًا؛ فيُصادف فعله غير ما قصده، مثل: أَن يقصد قتلَ كافرٍ؛ فيُصادف قتله مسلمًا. والنسيان: أَن يكون ذاكرًا لشيءٍ؛ فينساه عند الفعل، وكلاهما معفوٌ عنه، بمعنىٰ أَنَّه لا إثمَ فيه، ولكن رفعُ الإثم لا يُنافي أَن يترتَّب علىٰ نسيانه حكم. كما أَنَّ مَن نسيَ الوضوء، وصلَّىٰ ظانًّا أَنَّه متطهِّرٌ؛ فلا إثم عليه بذلك؛ ثمَّ إن تبيَّنَ أَنَّه كان قد صلَّىٰ محدثًا؛ فإنَّ عليه الإعادة... والأَظهر - والله أَعلم - أَنَّ الناسي والمخطئ؛ إنَّما عُفي عنهما بمعنىٰ رفع الإثم عنهما؛ لأَنَّ الإثم مرتَّبٌ علىٰ المقاصد والنيَّات، والناسي والمخطيء لا قصدَ لهما؛ فلا إثم عليهما، وأَمَّا =

فاتَّفقَ أئمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ؛ علىٰ أنَّ الخطأَ غير المقصودِ من موانعِ التَّكفير في المسائلِ العلميَّةِ والعمليَّةِ؛ إذا كانَ الخطأُ اجتهادًا لطلبِ الحقِّ، ومتابعةِ النَّبيِّ ﷺ، وغير مقصودٍ لمخالفة الشَّرعِ؛ فهو خطأٌ مغفورٌ، ما لم تَقُم الْحُجَّةُ علىٰ صاحبِهِ، وأنَّ حكمَهُ حكمُ الجاهلِ والمتأوِّلِ؛ فلا يُكَفَّر إلاَّ بعد قيامِ الحجَّةِ عليه، وإن كانَ مجتهدًا فيما يسوغُ فيه الاجتهادُ؛ فله أجرُ الاجتهادِ، ولو أخطأَ! وأمَّا إن لم يكُنْ مجتهدًا، وأخطأَ؛ فيأْثمُ لتفريطه.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ؛ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ؛ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[١](*).

لأنَّ اللهَ – جلَّ في عُلاهُ – أمرَ المسلمين الصَّادقينَ؛ بطلبِ الحقِّ علىٰ قدرِ وسْعِهِم وطاقتهم، ولم يُكَلِّفهم ما لا يُطيقونَ؛ فإن لم يصيبوا الحقَّ في اجتهادهم الذي قصدوه؛ فلا يُكَلِّفُ اللهُ نفسًا إلاَّ وسعها، وهذا من كمالِ رحمته – سبحانه وتعالىٰ – بعباده المسلمين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**

= رفعُ الأحكام عنهما؛ فليس مرادًا من هذه النصوص؛ فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلىٰ دليلٍ آخر) «جامع العلوم والحكم» شرح الحديث التاسع والثلاثون.

(١) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ».

(*) قال الحافظ الخطيب البغدادي، رحمه الله: (فإن قيلَ: كيف يجوزُ أن يكون للمخطيءِ فيما أخطأَ أجرٌ وهو إلىٰ أن يكون عليه في ذلك إثمٌ أقرب لتوانيه وتفريطه في الاجتهاد حتىٰ أخطأَ؟ فالجوابُ: أنَّ هذا غلطٌ؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يجعل للمخطيء أجرًا علىٰ خطئه، وإنَّما جعل له أجرًا علىٰ اجتهاده، وعفا عن خطئه؛ لأنَّهُ لم يقصده، وأمَّا المُصيبُ؛ فله أجرٌ علىٰ اجتهاده، وأجرٌ علىٰ إصابته) «الفقية والمتفقه» ج١، ص٤٧٥. باب: (القول الاحتجاج لصحيح القياس ولزوم العمل به) رقم الحديث ٥١٦. دار ابن الجوزي.

رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٢ - ٩٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦.

فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ؛ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ؛ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا؛ ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ! أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ» (١)(*).

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وليسَ لأَحدٍ أَن يكفرَ أَحدًا من المسلمين – وإن أَخطأَ وغلط – حتَّىٰ تقام عليه الحجَّة، وتبين له المحجة، ومَن ثبتَ إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشَّكِّ؛ بل لا يزول إلاَّ بعد إقامة الحجَّة، وإزالة الشُّبهة)(٢).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « في الحض علىٰ التوبة والفرح بها ».

(٢) « مجموع الفتاوىٰ » ج١٢، ص٤٦٦.

(*) قالَ الإمامُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ: (إنَّ اللهَ تعالىٰ وضع الأَلفاظَ بين عباده تعريفًا ودلالةً علىٰ ما في نفوسهم؛ فإذا أَراد أَحدهم من الآخر شيئًا عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب علىٰ تلك الإرادات والمقاصد أَحكامًا بواسطة الأَلفاظ، ولم يرتب تلك الأَحكام علىٰ مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أَو قول، ولا علىٰ مجرد أَلفاظ مع العلم! أَنَّ المتكلمَ بها لم يرد معانيها، ولم يحط بها علما؛ بل تجاوز للأُمَّةِ عمَّا حدثت به أَنفسها، ما لم تعمل به، أَو تتكلم به، وتجاوز لها عمَّا تكلمت به مخطئة أَو ناسية، أَو مكروهة، أَو غير عالمة به؛ إذا لم تكن مريدة لمعنىٰ ما تكلمت به، أَو قاصدة إليه؛ فإذا اجتمع القصد والدلالة القولية أَو الفعلية ترتب الحكم؛ هذه قاعدةُ الشَّريعةِ، وهي من مقتضيات عدل الله وحكمته ورحمته؛ فإنَّ خواطرَ القلب وإرادة النفوس لا تدخل تحت الإختيار؛ فلو ترتبت عليها الأَحكام لكان في ذلك أَعظم حرج ومشقة علىٰ الأُمَّةِ، ورحمة الله تأبىٰ ذلكَ).

وقالَ، رحمه الله: (والغلط والنسيان وسبق اللِّسان بما لا يريده العبد؛ بل يريد خلافه، والتكلم به مكرها، وغير عارف بمقتضاه من لوازم البشرية لا يكاد ينفك الإنسان من شيء منه، فلو رتب عليه الحكم لحرجت الأُمَّة وأَصابها غاية التعب والمشقة؛ فرفع عنها المؤاخذة بذلك وكذلك الخطأ والنسيان والإكراه والجهل بالمعنى وسبق اللِّسان بما لم يرده والتكلم في الإغلاق ولغو اليمين؛ فهذه عشرة أَشياء لا يؤاخذ الله بها عبده بالتكلم في حال منها؛ لعدم قصده وعقد قلبه الذي يؤاخذه به) « إعلام الموقعين » ج٣، ص١٣٦ – ١٤٣.

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (وأمَّا التَّكفيرُ: فالصَّوابُ أنَّه من اجتهد من أُمَّة محمَّد ﷺ وقصد الحقَّ، فأخطأ لم يكفر؛ بل يُغفر له خطأُهُ، ومَن تبيَّن له ما جاء به الرَّسُولُ؛ فشاقَّ الرَّسُولَ من بعد ما تبيَّن له الهُدىٰ، واتَّبعَ غير سبيل المؤمنين: فهو كافرٌ، ومَن اتَّبعَ هواه، وقصَّر في طلبِ الحقِّ، وتكلَّم بلا علم: فهو عاصٍ مذنبٌ، ثُمَّ قد يكون فاسقًا، وقد يكونُ له حسناتٌ ترجح علىٰ سيئاته؛ فالتَّكفير يختلف بحسبِ اختلاف حال الشَّخص)[(١)].

وقالَ أيضًا: (إنَّ المجتهدَ في مثل هذا من المؤمنين إن استفرغَ وسعَهُ في طلب الحقِّ؛ فإنَّ الله يغفر له خطأَهُ، وإن حصل منه نوع تقصيرٍ؛ فهو ذنبٌ لا يجبُ أن يبلغ الكفرَ، وإن كان يطلقُ القولَ بأن هذا الكلام كفرٌ، كما أطلق السَّلفُ الكفرَ علىٰ مَن قال بعض مقالات الجهميَّة، مثل القول: بخلق القرآن، أو إنكار الرُّؤية، أو نحو ذلك، مما هو دون إنكار عُلوِّ الله علىٰ خلقه، وأنَّه فوق العرش؛ فإنَّ تكفير صاحب هذه المقالة كان عندهم من أظهر الأُمور؛ فإن التَّكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لايستلزم تكفير الشَّخص المعيَّن؛ حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّة التي يكفر تاركها)[(٢)].

وقالَ، رحمه اللهُ: (وقد اتَّفقَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة علىٰ أنَّ علماءَ المسلمين لا يجوزُ تكفيرُهم بمجرد الخطأْ المحض؛ بل كلُّ أحدٍ يؤخذُ من قوله ويتركُ إلاَّ رسول الله ﷺ وليس كلُّ مَن يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفَّر ولا يفسق؛ بل ولا يأثم؛ فإنَّ الله تعالىٰ قال في دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ففي الصحيح عن النَّبيِّ ﷺ: « أنَّ الله

(١) « مجموع الفتاوىٰ » ج١٢، ص١٨٠.
(٢) « الإستقامة » ج١، ص١٦٣.

تَعَالَىٰ قَالَ: قَدْ فَعَلت » . واتَّفق علماءُ المسلمين علىٰ أنَّه لا يكفَّرُ أحدٌ من علماء المسلمين المنازعينَ في عصمة الأنبياء، الذين قالوا: إنَّهُ يجوزُ عليهم الصغائرُ والخطأُ، ولا يُقَرُّونَ علىٰ ذلك لم يكفر أحدٌ منهم باتِّفاق المسلمين؛ فإنَّ هؤلاء يقولون: إنَّهم معصومون من الإقرار علىٰ ذلك، ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشَّافعيَّة، والمالكيَّة، والأَحناف، والحنابلة، والأَشعريَّة، وأهل الحديث، والتَّفسير، والصوفيَّة؛ الذين ليسوا كفارًا باتفاق المسلمين؛ بل أئمَّة هؤلاء يقولون بذلك)[1] .

وقال في مكانٍ آخر: (وأَجمعَ الصَّحابةُ، وسائرُ أئمَّة المسلمين: علىٰ أنَّه ليس كلُّ مَن قال قولاً أخطأ فيه أنَّه يُكَفَّر بذلك، وإن كان قولُه مخالفًا للسُّنَّة؛ فتكفير كلِّ مخطيء خلاف الإجماع؛ لكنْ للنَّاس نزاعٌ في مسائل التَّكفير، قد بسطتُ في غير هذا الموضوع)[2] .

وقالَ الإمامُ بدر الدِّين الزَّركشي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(واختلفَ العلماء في حكم أقوال المجتهدين؛ هل كلُّ مجتهد مصيبٌ، أو المصيبُ واحدٌ؟ . . . ذهب الشَّافعي، وأبو حنيفة، ومالك، وأكثرُ الفقهاءِ - رحمهم الله - إلىٰ أنَّ الحقَّ في أحدهما، وإن لم يتعيَّن لنا فهو عند الله متعيِّن؛ لاستحالة أن يكون الشيء الواحد في الزمان الواحد في الشَّخص الواحد حلالاً حرامًا، ولأَنَّ الصَّحابة تناظروا في المسائل واحتج كلُّ واحدٍ علىٰ قوله، وخطَّأَ بعضهم بعضًا، وهذا يقتضي أنَّ كلَّ

---

(١) انظر: « مجموع الفتاوىٰ » ج٣٥، ص١٠٠ . والحديث: رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب « بيان أنه - سبحانه وتعالىٰ - لم يكلف إلاَّ ما يطاق » .

(٢) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص٦٨٥ .

واحدٍ يطلبُ إصابةَ الحقِّ. ثمَّ اختلفوا هل كلُّ مجتهد مصيبٌ أم لا؟ فعند الشَّافعي أنَّ المصيبَ منهم واحدٌ، وإن لم يتعيَّن، وإنَّ جميعهم مخطيء إلاَّ ذلك الواحدُ، وبه قال مالك وغيرُه، وقال أبو يوسفُ وغيره)[١].

وقالَ الإمامُ الحافظ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وهذا الذي قلناهُ مِن اعتبارِ النيَّاتِ والمقاصدِ في الألفاظ ، وأنَّها لا تلزم بها أحكامها حتىٰ يكون المُتكلِّم بها قاصداً لها مُريداً لمُوجباتها؛ كما أنَّهُ لابُدَّ أن يكونَ قاصداً للتكلُّم باللَّفظ مُريداً له، فلابُدَّ مِن إرادتين: إرادةُ التكلُّم باللَّفظِ اختياراً، وإرادةُ مُوجَبِهِ ومقتضاهُ؛ بَل إرادَةُ المعنىٰ آكدُ مِن إرادة اللَّفظ؛ فإنَّه المقصود واللَّفظُ وسيلة، هو قولُ أئمَّة الفتوىٰ مِن علماء الإسلام) وقال: (وقد تقدَّم أنَّ الذي قال لمَّا وَجَدَ راحلته: « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » لم يَكفُر بذلكَ، وإن أتَىٰ بِصَرِيح الكُفر لكونِهِ لم يُرِدهُ، والمكره علىٰ كلمة الكفر أتىٰ بصريح كلمته، ولم يكفر لعدم إرادته، بخلاف المستهزئ والهازل؛ فإنَّهُ يلزمه الطلاق والكفر وإن كان هازلا! لأنَّهُ قاصد للتكلم باللَّفظ وهزله لا يكون عذرا له، بخلاف المكره والمخطئ والناسي؛ فإنَّهُ معذور مأمور بما يقوله، أو مأذون له فيه، والهازل غير مأذون له في الهزل بكلمة الكفر والعقود؛ فهو متكلم باللَّفظ مريد له، ولم يصرفه عن معناه إكراه ولا خطأ ولا نسيان ولا جهل، والهزل لم يجعله الله ورسوله عذرًا صارفًا؛ بل صاحبه أحقُّ بالعقوبة)[٢].

---

(١) « البحر المحيط في أصول الفقه »: ج٦، ص٢٤١.

(٢) « إعلام الموقعين »: ج٣، ص٨٤ – ٨٦.

رابعًا- التَّأْويلُ (*) :

فالتَّأْويلُ – عند أَهل السُّنَّة والجماعةِ – نوعانِ :

تأْويلٌ صحيحٌ، وتأْويلٌ فاسدٌ .

(*) ● التأْويلُ في اللُّغةِ : (التأْويلُ : فهو تفعيل من أَوَّل يؤوِّل تأْويلا، وثلاثيته، آل يؤول : أَي : رجع وعاد . والأَول : الرجوع، آل الشيء يُؤول أَوْلاً ومآلاً رجع، وأَوَّل إليه الشيء : رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشيء ارتددت ؛ فكل استعمالات التاويل اللُّغوية تفيدُ وتدور حول معاني الرجوع، والعود، والعاقبة، والمصير، والتفسير . وهذا يعني أَن تأويل الكلام هو الرجوع به إلىٰ مراد المتكلم، وإلىٰ حقيقة ما أَخبر به) انظر : « لسان العرب » ج١١، ص٣٢ – ٣٤ . و« تهذيب اللغة » ج١٥، ص٤٣٧ .

● التأويل في الاصطلاح : له ثلاثة معان :

١- (يراد بالتأويل ؛ حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنىٰ المراد بلفظ التأويل في الكتاب والسُّنَّة) انظر : « مجموع الفتاوىٰ » ج٣، ص٣٦ .

٢- (يراد بالتأويل ؛ التفسير والبيان والشرح وتدبر الكلام وتقديره) .

٣- (التاويل : هو صرف اللَّفظ عن المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح لدليل يقترن به، وهذا النوع من التاويل لم يعرفه أئمة السَّلف ؛ بل أَجمعوا علىٰ ذمُه) مثل تأويل معنىٰ يد الله تعالىٰ بالنعمة، أَو القدرة . ومثل تأويل استواء الله علىٰ عرشه بالاستيلاء، وهكذا!

وهذا المعنىٰ من معاني التأويل هو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأُصوله، وهو الذي عناه أَكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصِّفات، وترك تأويلها .

قالَ العلاَّمة ابن حزم، رحمه الله : (التاويل نقل اللَّفظ عمَّا اقتضاه ظاهره، وعمَّا وضع له في اللُّغة إلىٰ معنىٰ آخر ؛ فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان ناقِلُه واجبَ الطاعة فهو حق . وإن كان نقله بخلاف ذلك اطُّرح، ولم يلتفت إليه، وحُكم لذلك النقل بأَنَّه باطل) « الإحكام في أُصول الأَحكام » ج١، ص٤٣ . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك ؛ فلا يكون معنىٰ اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلاً علىٰ اصطلاح هؤلاء، وظنوا أَنَّ مراد الله تعالىٰ بلفظ التأويل ذلك، وأَنَّ للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلاَّ الله، ولا يعلمه المتأولون) . انظر : « مجموع الفتاوىٰ » ج٥، ص٣٥ . وج٣، ص٥٥ و٢٨٨ . وج٤، ص٦٨ . وج١٣، ص٢٧٠ – ٣١٣ .

- **التَّأْويلُ الصَّحيح المقبول:**

هو ما كانَ الظَّاهرُ فيه غير مراد لدليل قوي واضح يدل عليه، أَو هو معرفةُ مآلاتِ النُّصوص الشَّرعيَّة.

فكلمةُ التَّأْويلُ: وردت في القرآن الكريم ست عشرة مرَّة، وردت في السُّنَّة المطَّهرة في أكثرِ من حديثٍ، ومعناها يدور بين مدلولين اثنين:

١- التَّفسيرُ والبيانُ:

كقول اللهِ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[١].

أَي: ذلكَ تفسيرُ تلكَ الأَفعالِ المستغربةِ لكَ وبيانها.

وكقولِ النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٢][*].

٢- الحقيقةُ الَّتي يؤول إِليها الكلام ويرجع إِليها:

كقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[٣].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٢) رواه الإمام أَحمد في «مسنده» عن عبد الله بن عبَّاس، رضي الله عنهما. وصحَّحه الأَلباني في «السلسلةُ الصحيحة» برقم (٢٥٩٨).

(٣) سورة الأَعراف، الآية: ٥٣.

(*) قالَ الإِمامُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ: (ودعا النَّبيُّ ﷺ لعبد الله بن عبَّاس أَن يفقهه في الدِّين، ويعلمه التَّأْويل، والفرق بين الفقه والتَّأْويل؛ أَنَّ الفقه هو فهم المعنىٰ المراد، والتَّأْويل إِدراك الحقيقة التي يؤول إِليها المعنىٰ الَّتي هيَ أخيته وأَصله، وليس كل من فقه في الدِّين عرف التَّأْويل؛ فمعرفة التَّأْويل يختص بها الرَّاسخون في العلم، وليس المراد به تأويل التَّحريف وتبديل المعنىٰ! فإِنَّ الرَّاسخين في العلم يعلمون بطلانه، والله يعلم بطلانه) «إِعلام الموقعين»: ج١، ص٣٣٢.

أَي: هل ينظرونَ إلاَّ حقيقة وعاقبة أَمرهم من ورودهم علىٰ عذابِ اللهِ تعالىٰ واصطلائهم بالجحيم وأَشباه ذلك مما أَوعدهم الله به أَن يصيروا إِليه.

وكقول النَّبِيِّ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَّلْتُهُمَا كَاذِبَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: مَسْلَمَةُ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ وَالْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنْعَاءَ»(١).

● **التَّأْويلُ الفاسدُ غير المقبول:**

هو صرفُ الكلامِ عن ظاهرِهِ إِلىٰ مايُخالفُ ظاهره؛ بغير دليلٍ من الكتابِ، أَو السُّنَّةِ، أَو الإجماع؛ بل يكون بالرأْي والهوىٰ والخواطر.

أَي: هو نوعٌ من التَّحريفِ للمعنىٰ المراد من النُّصوصُ الشَّرعيَّةِ وتعطيلها؛ مثلما يفعل المتكلمون من تحكيمِ لمقدمات عقلية، ومقولات منطقية! توضع بين يدي النَّصِ ليجري معناه علىٰ وفاقها، أَو ادعاء معانٍ باطنية لايقوم عليها دليل من القرآن أَو السُّنَّة أَو لغة العرب؛ كما يفعل الباطنية، وغلاة المتصوفة.

ويضطرُ لهذا النوع من التَّأْويلِ؛ أَهل الأَهواء والبدع، وخاصةً في تفسير القرآنِ؛ لأَنَّ القرآن العظيم لايمكن لأَحدٍ - كائنًا مَن كانَ - تحريفه تحريفًا لفظيًّا؛ فيلجأُون إِلىٰ التحريف المعنوي، ويتركزُ خصوصًا في آياتِ الأَسماءِ والصِّفاتِ.

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الرؤيا) باب «ما جاء في رؤيا النبي ﷺ في الميزان» وصحَّحه الألباني.

أَمَّا في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ المطَهرَةِ؛ فهم يستخدمون حيلة عقلية يسقطون بها الأَحاديث الصَّحيحة الثَّابتة عن النَّبِيِّ ﷺ بدون برهانٌ الشَّرعيُّ! بحجَّةِ أَنَّ الأَحاديث الآحاد تُفيدُ الظَّنَّ لا تقبل في العقيدة؛ وبهذا فهم لا يحتاجون تحريف الأَحاديث لفظًا أَو معنًا، ولكن - أَحيانًا - يتجاسرون علىٰ التحريف اللَّفظي مع الأَحاديث المتواترة؛ إن استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً.

والتَّأْويلُ الفاسد: هو قطب الرحىٰ لكلِّ الفرق الضَّالةِ المبتدعة؛ الذين خالفوا هدي السَّلف الصَّالح وأَئمَّتها، وهم في منهجهم مضطربون حائرون شاكُّون، وليس لهم ضوابط يستقرون عليها؛ بل يتخبطون في الفهم، ولا يخضعون للكتاب والسُّنَّةِ، ولا لإجماعِ السَّلفِ! بل يخضعون لعقولهم القاصرة، وأَهوائهم المضلَّة، وآرائهم الفاسدة، وهم في اضطراب واختلاف، وليس لهم صراط مستقيم في فهم النُّصوصُ الشَّرعيَّة.

● والتَّأْويلُ: المقصودُ منه هنا؛ كمانع من موانع التَّكفير التي تمنع من لحوق الوعيد بالمعين! هو وضعُ النَّصِّ الشَّرعيِّ في غير موضعه، ومناقضًا لمدلوله؛ باجتهادٍ سائغٍ، أَو بتقليدٍ، أَو شبهةٍ تنشأ عن عدم فهم دلالة النَّصِّ، أَو فهِمَهُ فهمًا خاطئًا ظنهُ حقًّا، أَو ظنَّ غير الدليل دليلاً.

أَي: هو التلبُّسُ والوقوعُ في الكُفر متأَوِّلاً من غير قصدٍ لذلك؛ سواءً كان بالاعتقاد، أَو القول، أَو العمل.

فيُقدم المكلف علىٰ الفعل الكفري! وهو لا يراه كفرًا؛ فينتفي بذلك شرطُ العمد! فمن وقع في مثل هذه المخالفة الشَّرعيَّة لتأْويل معتبر! منع عنه لحوق الوعيد؛ فإنْ أُقيمت عليه الحجة وبُيِّنَ خطأه؛ ثمَّ أَصرَّ علىٰ فعله كَفَرَ حينئذٍ.

● فقد اتَّفق أئمَّةُ أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أنَّ التَّأْويلَ السَّائغَ الذي له وجهٌ في العلم، واللُّغة العربية، وأن لا يكون في أُصول الدِّين(*) يُعتبرُ من أوسعِ موانع تكفير المعيَّن؛ إذا كان سببُهُ القصور والخطأ في فهمِ الأدلَّة والنُّصوصِ الشرعيَّة، أو خفائها عليه، أو أنَّ النَّصَّ يتحملُ هذا الفهمَ من جهة مدلولاته اللُّغوية، أو الاستناد إلىٰ الشُّبه التي تصرفُ عن اتِّباع الحقِّ والصِّراط القويم؛ دون تَعمُّدٍ للمخالفة، أو المعارضة، أو التكذيب، أو الرَّدِّ، أو العناد، أو أن يكون متلاعبًا بالنُّصوص الشَّرعيَّة علىٰ محض الشَّهوة واتِّباع الهوىٰ؛ بل اعتقاد العكس أنَّهُ قد أصاب مراد الشَّارع، وبأنَّ الحقَّ معه، والتزمه بذلك بنيَّة الوصول إلىٰ الحقِّ، وغالبًا ما يكون هذا النوع من التَّأْويل الخاطئ في الأُمور الخفيَّة التي يكون العلم فيها غير الظَّاهر.

وحكمُ هذا النوعُ من التَّأْويل – عند أهلِ السُّنَّة والجماعة – من حيث العموم حكم الجاهل؛ لذلك فإنَّ الأدلَّة التي جاءت في عذر الجاهل، نفسها تنطبق علىٰ المتأوِّل باعتبار اتِّفاق مناط الحكم بينهما.

وإذا أخطأ صاحبهُ مع حُسن الاعتقاد، وقصد موافقة الشَّريعة، وكان من أهل الإيمان والصَّلاح؛ فهو معذورٌ حتىٰ تُقام عليه الحجَّة، وتزولَ عنه شُبهةُ التأْويل، وما أشكَلَ عليه فهمُهُ من النَّصِّ، أو ملابساتٌ أحاطت به، وإذا تبيَّن له الحقُّ رجع إليه؛ فإنَّ هذا التأْوُّلَ معفوٌّ عنه؛ إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا النوعُ من التَّأْويلِ كثيرُ الوقوع في الأُمَّة – حتَّىٰ وقعت في عهد

(*) قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم؛ إذا كان تأْويله سائغًا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم) «فتح الباري» ج١٢، ص٣٨٠. في كتاب (استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم) باب «ما جاء في المتأوِّلين».

الصَّحابة رضي الله عنهم - وهو مذمومٌ؛ إذا لم يُعطِّل بعضَ أحكام الشَّريعة المعلومة من الدِّين بالضَّرورةِ، ولكن يؤدِّي إلىٰ المخالفةِ دون القصد؛ فهو من قُبَيْلِ الخطأ الذي غالبًا ما يكون سببُهُ الجهل، أو هو يكون سببًا للجهل. وإن كان ممَّا يعطِّل بعض أحكام الشَّريعة؛ فهو أشدُّ ذمًّا؛ لأنَّه من أُصول الضَّلالِ والانحرافِ، وذريعةٌ للغلوِّ في الدِّين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١)(*).

وقد ثبت في السُّنَّةِ: أنَّ عمرَ بن الخطابِ - رضي اللهُ عنه - قالَ عن حاطب بن أبي بلتعة البدري - رضي اللهُ عنه - لَمَّا أرسلَ رسالة لأهلِ مكة قبل الفتح؛ يخبرهم بتجهيز المسلمين إليهم: (إنَّهُ منافق) واستأْذنَ النَّبيَّ ﷺ بقتله! لأنَّ هذا الفعل يُعد من الموالاة التي فيها مظاهرة المشركين علىٰ المسلمين، ولكن كان حاطب متأوِّلاً ظانًّا منه أنَّ ذلكَ لا يضره في إيمانه وإسلامه، وكان صادقًا في تأويله، وأنَّهُ لم يفعلها ردَّةً ولا كفرًا؛ فأقال النَّبيُّ ﷺ عثرته، ومنع أن يُحمل عليه حكم الكفر، أو النِّفاقِ الذي أطلقه عليه عمر، وكفَّ ﷺ عنهما، وعذرهما بالتأويل؛ فيما فعله حاطب، وما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(*) قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (قال ابن التين: أجرىٰ البخاري، قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيكم جناحٌ فيما أخطأتُم به ﴾ في كلِّ شيء. وقال غيره: هي في قضية مخصوصة، وهي ما إذا قال الرجل: يا بني، وليس ابنه... ولو سلِّم أنَّ الآية نزلت فيما ذُكر؛ لم يمنع ذلك من الاستدلال بعمومها، وقد أجمعوا علىٰ العمل بعمومها في سقوط الإثم) «فتح الباري» ج١١، ص٦٧١. في كتاب (الأيمان والنذور) باب «إذا حنث ناسيًا في الأيمان».

قاله عمر، رضي الله عنهم [١](*). وقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ في هذه الحادثة العظيمة؛ هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ [٢](**).

وثبتَ - أيضًا - في السُّنَّة: أنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ - رضي اللهُ عنه - قالَ لسعدِ بنِ عُبَادَةٍ - رضي اللهُ عنه - في حادثةِ الإفكِ أمام النَّبيِّ ﷺ:

(فإنَّكَ مُنَافِقٌ تُجادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ) [٣].

وثبت في السُّنَّة كذلك: أنّ أُسامة بن زيد - رضي اللهُ عنهما - لما قتلَ - في إحدىٰ الغزوات - الرَّجُل الذي قال: «لا إله إلاَّ الله» ظانًّا أنَّه قالها تعوُّذًا؛ فعاتبه النَبيُّ ﷺ عتابًا شديدًا، ومع هذا لم يلزمه بقود، ولا دية، ولا كفَّارة؛ لأنَّه فعل ذلك متأوِّلاً [٤].

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وإذا كان المسلم متأوِّلاً في القتال، أو التَّكفير؛ لم يُكفَّر بذلك؛ كما قالَ عمر بن الخطاب لحاطب بن أَبي بلتعة: يا رسُول الله دعني أَضرب عنق

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التفسير) باب «﴿ لا تتَّخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء ﴾».
وأخرجه - أيضًا - في «الأدب المفرد» باب (من قال لآخر: يا منافق! في تأويل تأوّله).

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٣) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب «حديث الإفك».

(٤) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب «بعث النبي ﷺ أُسامة بن زيد إلىٰ الحرقات».

(*) قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (وعذرَ حاطب ما ذكره؛ فإنَّهُ صنعَ ذلكَ متأوِّلاً أن لا ضررَ فيه) «فتح الباري» ج٨، ص٥٠٣.

(**) قال العلاَّمة المفسِّر محمد الأمين الشنقطي، رحمه الله: (وقد أجمع المفسرون علىٰ أنَّ هذه الآيات نزلت في حاطب بن أَبي بلتعة، وقصة الرسالة مع الظعنية لأهل مكة قبل الفتح بإخبارهم بتجهيز المسلمين إليهم) «أضواء البيان» ج٨، ص١٣٠.

هذا المنافق، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّه قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» وهذا في الصحيحين. وفيهما - أيضًا - من حديث الإفك: أَنَّ أُسيد بن الحضير، قال لسعد بن عبادة: «إِنَّك منافق تجادل عن المنافقين». واختصم الفريقان؛ فأَصلح النَّبيُّ ﷺ بينهم؛ فهؤلاء البدريون فيهم مَن قال لآخر منهم: إِنَّك منافق، ولم يكفِّر النَّبيُّ ﷺ لا هذا ولا هذا! بل شهد للجميع بالجنَّة. وكذلك ثبت في الصحيحين عن أُسامة بن زيد: أنَّه قتل رجلاً بعد ما قال: لا إله إلاَّ الله، وعظَّم النَّبيُّ ﷺ ذلك لما أخبرهُ، وقال: «يَا أُسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» وكرر ذلك عليه؛ حتىٰ قال أُسامة: تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أَكُن أَسْلَمْتُ إِلاَّ يومئذ! ومع هذا لم يوجب عليه قودًا، ولا دية، ولا كفارة؛ لأنَّه كان متأَوِّلاً ظنَّ جواز قتل ذلك القائل لظنه أنَّهُ قالها تعوذًا؛ فهكذا السَّلف؛ قاتل بعضهم بعضًا من أَهل الجمل وصفين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون)[١].

وقالَ، رحمه اللهُ: (والتَّكفيرُ هو من الوعيدِ؛ فإنَّهُ وإِنْ كانَ القولُ تَكْذِيبًا لما قالَهُ الرَّسُولُ، لكنْ قدْ يكُونُ الرَّجُلُ حديثَ عهدٍ بإِسلامٍ أَو نَشَأَ ببادِيةٍ بعيدَةٍ، ومثلُ هذا لا يكفرُ بجَحدِ ما يَجْحَدُهُ حتَّىٰ تَقُومَ عليهِ الحجَّةُ، وقد يكُونُ الرَّجُلُ لا يسمَعُ تلكَ النُّصُوصَ، أَو سمعها ولم تَثْبُتْ عندَهُ، أَو عارضها عندَهُ مُعارضٌ آخرُ أَوجَبَ تَأْوِيلَها، وإِن كانَ مُخْطِئًا، وكنت دائمًا أَذكُرُ الحديثَ الَّذي في الصَّحيحينِ في الرَّجُلِ الَّذي قال: «إِذَا أَنا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذروني فِي الْيَمِّ فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٢٨٣.

اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ، فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ فَقَالَ اللهُ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْت. قَالَ خَشْيَتُك: فَغَفَرَ لَهُ» فهذا رجُلٌ شَكَّ في قُدرَةِ اللهِ وفي إِعادتهِ إِذا ذُرِّيَ؛ بل اعتقَدَ أَنَّهُ لا يُعَادُ، وهذا كُفْرٌ باتِّفاقِ المسلمينَ؛ لكن كان جاهلاً لا يعلَمُ ذلكَ، وكانَ مُؤْمنًا يخافُ اللهَ أَن يُعاقبَهُ فَغَفَرَ لَهُ بذلكَ، والمتأَوِّلُ من أَهلِ الاجتهَادِ الحريصُ علىٰ مُتابعَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَولىٰ بالمغفرَةِ من مثلِ هذا)[١].

● واتَّفقَ أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة - أَيضًا - علىٰ أَنَّ هنالك تأْويلاتٍ لا يعذر بها، ولا تكون مانعًا من التَّكفير؛ كتأْويلات الباطنيَّة، والفلاسفة، وغيرهم من الغُلاة؛ لأَنَّ حقيقةَ أَمرهم هي تكذيبٌ للدِّين جملةً وتفصيلاً، أَو التكذيب لأَصلٍ لا يقوم الدِّين إِلاَّ به، أَو استحلال المحرَّمات الظَّاهرة المتواترة، أَو جحد وجوب المحرَّمات الظَّاهرة المتواترة، أَو عدم عبادة الله وحده؛ كإِنكار الفلاسفة لحشر الأَجساد، وقولهم إِنَّ اللهَ تعالىٰ لا يعلم الجزئيات، أَو القول بتحريف القرآن، أَو اعتقاد النفع والضرِّ في الأَموات؛ كما يفعله غُلاةُ القبوريِّين.. ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تعتمد علىٰ أُصولٍ شرعيَّةٍ.

قالَ العلاَّمَةُ ابن الوزير اليمانيّ، رحمهُ اللهُ: (لا خلاف في كفرِ مَن جحدَ ذلك المعلومَ ضرورةً للجميع، وتَستَّرَ باسم التأْويل، فيما لا يمكنُ تأْويلُه؛ كالملاحدة في تأْويل جميع الأَسماء الحسنىٰ؛ بل جميع القُرآن والشَّرائع، والمعاد الأُخرويّ من البعث، والقيامة والجنَّة والنَّار)[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٢٣١.

(٢) «إِيثار الحق علىٰ الخلق» فصل (في ذكر من يقول بالرجاء ومن يقول بالإِرجاء) ص٣٧٧.

وقالَ - أيضًا - رحمهُ اللهُ: (أَمَّا مَن كذَّبَ اللَّفظ المنزل أَو جحده؛ كفر متىٰ كان ممَّن يُعلمُ بالضَّرورةِ أَنَّهُ يعلمُه بالضَّرورةِ، وإنَّما الكلامُ في طوائف الإسلامِ الذين وافقوا علىٰ الإيمان بالتنزيل، وخالفوا في التأْويل؛ فهؤلاء لا يكفرُ منهم إلاَّ مَن كان تأويلُه تكذيبٌ، ولكنه سمَّاه تأْويلاً مخادعةً للمسلمين ومَكيدةً للدِّين؛ كالقرامطة الذين أنكروا وصفَ الله تعالىٰ بكونه موجودًا وعالمًا وقادرًا، ونحو ذلك من الصِّفات التي عَلِمَ الكافَّةُ بالضرورة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءَ بها علىٰ ظاهرها)[١].

وقالَ العلاَّمَةُ الملاَّ عليٌّ القاري الحنفيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وأَمَّا مَن يُؤوِّل النُّصوصَ الواردة في حشر الأَجساد، وحُدوث العالم، وعلم الباري بالجزئيات؛ فإنَّه يكفر، لما علم قطعًا من الدِّين أَنَّها علىٰ ظواهرها، بخلاف ما ورد في عدم خلود أَهل الكبائر في النَّار؛ لتعارض الأَدلَّة في حقِّهم)[٢].

وقالَ قوامُ السُّنَّةِ الإمامُ إسماعيل الأَصفهانيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المتأَوِّلُ إذا أَخطأَ، وكان من أَهل عقد الإيمان؛ نُظِرَ في تأْويله؛ فإن كان قد تعلَّق بأَمر يفضي به إلىٰ خلاف بعض كتاب الله، أَو سُنَّة يَقطع بها العذر، أَو إجماع؛ فإنَّه يكفر ولا يُعذر؛ لأَنَّ الشُّبهة التي يتعلَّقُ بها من هذا ضعيفةٌ لا تقوىٰ قوة يعذر بها؛ لأَنَّ ما شهد له أَصل من هذه الأُصول؛ فإنَّه في غاية الوضوح والبيان ...)[٣].

---

(١) «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ» ج٤، ص١٧٦.

(٢) «شرح الفقه الأكبر» ص٧٠.

(٣) «الحجة في بيان المحجة» ج٢، ص٥١٠.

خامسًا- الإكْرَاهُ:

الإكراه(*): هو إلزامُ الغيرِ قهرًا بما لا يريدُ! ففي هذهِ الحالة يكونَ المكرَه في حلٍّ مما يفعله، أَو يقولهُ؛ تلبيةً لرغبةِ المكرِهِ! دفعًا للأذىٰ عن نفسِهِ، أَو أَهلِهَ؛ فمَتىٰ أُكْرِهَ المسلمُ - إكراهًا حقيقيًا - علىٰ فعلِ كفرٍ أَو قوله؛ لم يكن بذلك القولِ والفعلِ كافرًا؛ أَي: إذا تظَّاهرَ بالكفرِ، وهو كارهٌ لَهُ غيرِ راضٍ عنه، وإنَّما فعله تقيَّةً لما حصل لهُ من الإكراهِ الفعليِّ؛ فهو في هذه الحالةِ معذورٌ؛ لأَنَّ قلبَهُ مطمئنًا بالإيمانِ، وغير راضي الكُفر، ولا اعتبار لعمله الظَّاهر! للعدم تحقق القصدِ، وانتفىٰ عنه الإختيار؛ فسقط عنه التَّكليف الشَّرعيُّ. وهذا من رحمَةِ اللهِ تعالىٰ بعبادِهِ ولطفِهِ بهم حيث لم يكلفهم ما يشق عليهم، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

فالإكراهُ علىٰ الكُفرِ بالقولِ أَو الفعلِ - بضوابطِهِ الشَّرعيَّةِ وشُروطِهِ

(*) • الإكراه في اللُّغة: هو المشقة والقهر والإجبار، ومنافاة الرضا والمحبَّة والاختيار، وجاء في المعجم: (كره: الشَّيء كرها، وكراهة وكراهيَّة: خلاف أحبَّه؛ فهو كريه ومكروه. وأكرهه علىٰ الأمر: قهره عليه. وكره إليه الأمر صيَّره كريهًا إليه. والمكره: ما يكرهه الإنسان، ويشق عليه، وجمعه: مكاره. ويقال الكره: بالضم المشقة، وبالفتح الإكراه. يقال: قام علىٰ كره، أي: علىٰ مشقة. وأقامه فلان علىٰ كره، أي: أكرهه علىٰ قيام. وقال الكسائي: هما لغتان بمعنىٰ واحد. وأكرهه علىٰ كذا حمله عليه كرهًا) انظر: «المعجم الوسيط» ج٢، ص٧٨٥، و«مختار الصحاح» ص٢٣٩.

• الإكراه في الاصطلاح: هو إلزام الغير بما لا يريده قهرًا، وهو انعدام الرضا، وإفساد الاختيار، وحمل المكره علىٰ أمر يكرهه؛ بالتخويف، والتهديد فيفعله، وهو منعدم الرضا، مسلوب الإرادة، فاقد الاختيار. وجاء في المعجم: (حمل الغير علىٰ أمر لا يريد مباشرته؛ بتخويف يقدر الحامل علىٰ ايقاعه، ويصير الغير خائفًا به، وقيل معناه: حمل الغير علىٰ أمر يكرهه، ولا يرضاه طبعًا، أو شرعًا) انظر: «التعريفات» ص٣٣. و«عوارض الأهلية عند الأصوليين» ص٤٧٢.

المرعيَّةِ - يعتبرُ من موانعِ التَّكفيرِ في حقِّ المعيَّنِ عندَ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ قاطبةً.

• قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

قالَ الإمامُ ابن كثيرٍ - رحمهُ اللهُ - في تفسيرِ هذهِ الآيةِ الكريمَةِ:

(وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ فهو استثناءٌ ممَّن كفرَ بلسانه، ووافقَ المشركين بلفظه مكرهًا؛ لما ناله من ضرب وأذًى، وقلبه يأبىٰ ما يقول، وهو مطمئنٌّ بالإيمان باللهِ ورسُولِهِ.

وعن ابن عبَّاس أنَّ هذه الآية نزلت في عمَّار بن ياسر؛ حين عذَّبَهُ المشركون؛ حتَّىٰ يكفر بمحمَّد ﷺ فوافقهم علىٰ ذلك مكرهًا، وجاء معتذرًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأنزل الله هذه الآية. وروىٰ ابن جرير عن أبي عبيدة محمَّد بن عمار بن ياسر، قال: أخذَ المشركون عمَّار بن ياسر؛ فعذَّبُوه؛ حتىٰ قاربَهم في بعض ما أرادوا؛ فشكا ذلك إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قالَ: مطمئنًا بالإيمانِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ». ولهذا اتَّفق العلماء علىٰ أنَّ المكرَهَ علىٰ الكُفرِ يجوزُ لهُ أن يواليَ إبقاءً لمهجته، ويجوز لهُ أن يأبىٰ! كما كان بلال - رضي اللهُ عنه - يأبىٰ عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لَمَّا عذَّبه مسيلمةُ الكذَّابَ وقطعه إربًا إربًا، وهو ثابتٌ علىٰ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

ذلك، والأفضل والأولىٰ أن يثبُتَ المسلمُ علىٰ دينه، ولو أفضىٰ إلىٰ قتله)[١] .

وقالَ الإمامُ أبو بكر الجصَّاص الحنفيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(هذا أَصلٌ؛ في جوازِ إظهارِ كلمة الكفرِ، في حالِ الإكراهِ)[٢] .

وقالَ القاضي أبو بكر بن العربيِّ المالكيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(لما سمحَ اللهُ تعالىٰ في الكُفرِ به، وهو أَصلُ الشَّريعة عند الإكراه، ولم يؤاخِذ به؛ حمَّلَ العلماءُ عليه فروع الشَّريعة؛ فإذا وقعَ الإكراهُ عليها لم يؤاخذ به، ولا يترتب الحكم عليه، وعليه جاء الأَثرُ المشهور عند الفقهاء: « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي؛ الخَطأُ، وَالنِّسْيَان، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ »)[٣] .

● وقالَ اللهُ تعالىٰ: **﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾**[٤] .

قالَ إمامُ المفسِّرينَ الإمامُ الطَّبريُّ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية:

(إلاَّ أَن تكونوا في سُلطانهم؛ فتخافوهم علىٰ أَنفسكم، فتُظهروا لهم الولايةَ بأَلسنتكم، وتُضمِروا لهم العداوةَ، ولا تُشايعوهم علىٰ ما هم عليه من الكفر، ولا تُعينوهم علىٰ مسلمٍ بفعل) .

---

(١) انظر: « تفسير ابن كثير » تفسير سورة النحل، الآية: ١٠٦ (بتصرف يسير) و« تفسير الطبري » ج١٤، ص١٢٢ .

(٢) « أحكام القرآن » للجصاص: ج٣، ص١٩٢ .

(٣) « أحكام القرآن » لابن العربي: ج٣، ص١١٨٠ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٨ .

وقالَ الإمامُ ابن كثير – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية الكريمة :

(أَي : إلاَّ مَن خاف في بعض البلدان، أَو الأَوقات من شرِّهم؛ فله أَن يتقيهم بظاهره، لا بباطنه ونيَّته) .

وقالَ العلاَّمةُ القُرطبيُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية :

(إنَّ المؤمن إذا كان قائمًا بين الكفَّار؛ فله أَن يداريهم باللسان؛ إذا كان خائفًا علىٰ نفسه، وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، والتقيَّةُ لا تحِلُّ إلاَّ مع الخوف والقتل، أَو القطع، أَو الإيذاء العظيم، ومَن أُكره علىٰ الكُفر؛ فالصحيحُ أَنَّ له أَن يتصلَّب، ولا يُجب إلىٰ التلفظ بكلمة الكفر؛ بل يجوز له ذلك) .

وقالَ العلاَّمةُ ابن سعديٍّ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية :

(أَي : تخافوهم علىٰ أَنفسكم؛ فيحلُّ لكم أَن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللِّسان، وإظهار ما به تحصل التُّقية) .

وقالَ حَبْرُ الأُمَّةِ عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما :

(**التُّقَاةُ التَّكَلُّمُ بِاللِّسَانِ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**)[١] .

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم :

« **إنَّ اللّٰهَ تَجاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ** »[٢] .

وقالَ الحافظُ ابن حجر العسقلاني، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(قالَ ابن بطال تبعًا لابن المنذر : أَجمعوا علىٰ أَنَّ مَن أُكرِهَ علىٰ الكُفر؛

---

(١) أَخرجه ابن أَبي حاتم في « تفسيره » ج٢، ص٦٢٩ . برقم : (٣٣٨٢) .

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب الطلاق) باب « طلاق المكره والناسي » وصحَّحه الأَلباني .

حتىٰ خشي علىٰ نفسه القتلَ؛ فكفرَ؛ وقلبُهُ مطمئنٌّ بالإيمان؛ أنَّه لا يحكم عليه بالكفر، ولا تبينُ منه زوجتُه)[١].

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللّٰهُ تعالىٰ:

(فأَباحَ – سبحانه – عند الإكراه؛ أَن ينطقَ الرَّجُلُ بالكفر بلسانه، إذا كان قلبه مطمئنًّا بالإيمان؛ بخلاف مَن شرح بالكُفر صدرًا، وأَباح للمؤمنين أَن يتَّقوا من الكافرين تُقاة، مع نهيه لهم عن موالاتهم)[٢].

● أَنواعُ الإكراهَ: الإكراهُ نوعانِ؛ إكراه ملجيء، وهو الإكراه التأَم والمعتبرُ، وإكراه غير ملجيء، وهو الإكراه النَّاقص وغير المعتبر.

١ – الإكراهُ التَّامُّ: هو الذي يقع علىٰ نفسِ المكره، ولا يبقىٰ للشَّخصِ معه قدرة ولا اختيار؛ كأَن يهدد الإنسان بقتله، أَو بقطع عضو من أَعضائه، أَو بضربٍ شديدٍ يفضي إلىٰ هلاكهِ، أَو بإتلافِ جميع ماله؛ فمتىٰ غلب علىٰ ظنه أَن ما هدد به سيقع عليه؛ جازَ لهُ القيام بما دفع إليه بالتهديد، باعتباره في حالةِ ضرورةٍ شرعيَّةٍ.

٢– الإكراهُ النَّاقص: هو التَّهديدُ، أَو الوعيد بما دون تلف النَّفسِ، أَو العضو؛ كالتخويفِ بالضَّربِ، أَو القيدِ، أَو الحبسِ، أَو إتلافِ بعض المال، وهذا النوع يفسدُ الرِّضا، ولكنَّهُ لا يفسد الاختيار! لعدم الاضطرار إلىٰ مباشرة ما أَكره عليه لتمكنه من الصَّبرِ علىٰ ما هدد به، وقد يلحق بهذا النوع، التهديد بحبس الأَب، أَو الابن، أَو الزوجة والأُخت والأُمِّ والأَخ، وهذا النوع من الإكراه لا إعتبار له؛ لأَنَّ الضَّررَ لا يلحق بالمكره فعلاً!

---

(١) «فتح الباري» ج١٢، ص٣٩٣. (كتاب الإكراه).

(٢) «الاستقامة» ج٢، ص٣١٩.

● شروطُ الإكراهِ عند أهل السُّنَّة والجماعة (*):

فليسَ كلُّ مَن ادعىٰ الإكراه قُبِلَ منه شرعًا كمانعٍ للتَّكفيرِ! بل لا بُدَّ من شروطٍ تتوفَّر لدىٰ المكرَه؛ ليكونَ الإكراهُ عذرًا شرعيًّا معتبرًا، ولكي لا يقع المسلمون في الكفرِ! ويرتكبوا المحرماتِ عند وجود أدنىٰ ضغطٍ، أو تهديدٍ؛ فقد ذكر العلماءُ المعتبرينَ الشُّروط التي يتحقق بها وجود وصف الإكراه المعتبر شرعًا، ومن هذه الشُّروط:

١- أن يكونَ المكرِه؛ قادرًا علىٰ تحقيقِ ما يهدد به؛ إمَّا لولايةٍ، أو تغلُّبٍ، أو فرط هجوم؛ لأنَّ الإكراهَ لا يتحقق إلاَّ بالقدرةِ؛ فإن لم يكن قادرًا لم يكن للإكراهِ اعتبار.

٢- أن يكونَ المكرَه؛ عاجزًا عن الدفاع عن نفسه؛ لا بمقاومة شخصيَّة، ولا باستغاثة، ولا بفرار؛ لأنَّه متىٰ استطاع أن يدفعَ عن نفسه بهذه الوسائل، ولم يفعل لا يعتبر مكرهًا.

٣- أن يكونَ ما يهدَّدُ به في الإكراه ممَّا لا طاقة للمرء به؛ كالضَّربِ الشَّديدِ يُفضي إلىٰ هلاكه، أو التَّعذيبِ الشَّديد؛ من قطعِ الأعضاء، والتَّحريق بالنَّار، أو القتل فعلاً؛ لأنَّ الذي نزلت بسببه آياتِ إعذار المكره وهو الصَّحابيُّ الجليل عمَّار ابن ياسر - رضي اللهُ عنهما - لم يقل ما قال

(*) انظر فقه هذه الشُّروط بأدلَّتها: «فتح الباري» ج١٢، ص٣٩٠. و«الأشباه والنظائر» للسيوطي؛ ص٢٠٩. و«بدائع الصنائع» ج٧، ص١٧٥. و«المغني» ج٧، ص١٢٠. و«نهاية المحتاج» للشافعي الصغير؛ ج٦، ص٤٤٦. و«عوارض الأهلية» للجبوري؛ ص٤٧٢. و«رفع الحرج في الشريعة» د. صالح بن حُميْد؛ ص٢٤٢. و«الإكراه وأثره في التصرفات» د. عيسىٰ شقرة؛ ص٤٣. و«الإكراه وأثره في عقود المعاوضات المالية» د. إبراهيم العروان؛ ص ٥٧. و«الإكراه في الشريعة الإسلامية» د. فخري أبو صفية؛ ص٣٠.

إلاَّ بعد أَن قتلَ والديه، وكسرت أَضلاعه، وعُذِّبَ في اللهِ عذابًا شديدًا؛ أَمَّا الشتمُ والسَّبُّ، والَّضربُ الذي يتحمله الإِنسانُ؛ فليس بإِكراه.

٤- أَن يكونَ التهديدُ فعليًّا، وليس مجرَّدَ إِطلاقٍ لفظيٍّ، وأَن يغلِبَ علىٰ ظنِّ المكرَه؛ أَنَّهُ إِذا امتنعَ أُوقعَ ما هدد به فورًا لا محالةَ، وقد رُفع السَّيفُ فوق رأْسِهِ حتىٰ يتحقق الإِكراه، أَي: أَن تكون العقوبةُ عاجلةً لا آجلةً؛ فلو قال المكرِه للمكرَه: إِن لم تفعل كذا وكذا؛ سأَقتُلك غدًا، أَو بعده؛ لا يُعتبَرُ في هذه الحال مكرهًا.

٥- أَن تتعلَّقَ العقوبةُ ببدن المكرَه؛ لا بماله، أَو ببدن غيره من أَقاربه؛ فلو قيل له: إِن لم تكفر؛ قتلنا أَباك، أَو أَخاك، أَو عذَّبناهما، أَو أَخذنا مالك وسلطانك؛ فليس له أَن يكفر، ولا يعتبر مكرها؛ لأَنَّ العقوبة لم تقع في حقِّ نفسه.

٦- أَن لا يظهر علىٰ المكرَه ما يدل علىٰ تماديه؛ فإِن ما أُبيح للضَّرورة يقدَّر بقدرها؛ فإِذا أُكره علىٰ قولٍ، أَو فعلٍ مكفِّرٍ؛ فلا يزيد علىٰ القدر الذي يزولُ به البلاء.

٧- أَن يظهرَ إِسلامه متىٰ زال عنه الإِكراه علىٰ الفورِ! فإِنْ أَظهره؛ فهو باقٍ علىٰ إِسلامه، والحمد لله، وإِن أَظهر الكفر واستمرَ به؛ حُكِمَ بكفرِهِ من حين نطقه للكفر، أَو فعله.

فإِذا اجتمعت هذه الشُّروط في المسلم المكره علىٰ قولِ الكفر أَو فعله؛ كانَ الإِكراه في هذه الحالة معتبرًا شرعًا، ولم يحكم بكفره؛ فحينئذ يجوز له القيامُ بما دُفع إِليه بالتهديد، باعتباره في حالةِ ضرورة شرعيَّة؛ فيباحُ له

عندئذ ما لا يُباح في ظروفٍ غيره؛ من إظهارِ ما يخالفُ الدِّين، ولا يَأثم إن نَطقَ بالكُفر أَو فَعَلَه؛ لأَنَّ في هذه الحالة؛ ينعدمُ في الإنسان الرِّضا، ويفسُدُ الاختيارُ تمامًا، وتنتفي عنه الإرادةُ والقصد.

أَمَّا ما دون ذلك؛ فيُدفعُ أَعظمُ المفسدتين بارتكاب أَدناهما؛ مثل حالِ نبيِّ اللّٰه شعيبُ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - مع قومه، إذ خيروه بين العودة إلىٰ الكفر، أَو الخروج من قريتهم، قالَ اللّٰهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[١].

ففي هذه الحالة؛ لا يُكَفَّر المسلمُ الذي وقعَ منه الكفر! ما دامت الموافقةُ باللِّسانِ، أَو الفعلِ دون القلب، وعنده من الكراهية والبغض للكفر وأَهله، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته؛ لأَنَّ القلبَ لا سلطانَ للمخلوق عليه، والإكراهَ ينال الجوارحَ فحسب! وليس ما تستقِرُّ به القلوب، وهذا شرطٌ لا بُدَّ منه - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - ومجمعٌ عليه؛ لأَنَّهم يفرقون بين الرِّضا الذي حقيقته طمأنينة القلب وانشراحه، وبين الاختيار الذي حقيقته مجرد تحقق القصد إلىٰ إيقاع الفعل الظَّاهر؛ سواء رضي عنه الفاعل أَم لا يرضىٰ؛ فالرِّضا بالكفر هو مناط التَّكليف.

---

(١) سورة الأَعراف، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

قالَ العلاَّمَةُ الشَّوكانيُّ – رحمهُ اللّٰهُ تعالىٰ – في قولهِ تعالىٰ :

(﴿ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ أَي : اعتقده، وطابت به نفسه، واطمأن إليه) .

وقالَ القاضي أَبو بكر بن العربيِّ المالكيُّ، رحمهُ اللّٰهُ تعالىٰ :

(وأَمَّا الكفرُ باللهِ؛ فذلك جائزٌ له – أَي : المكرَه – بغير خلاف؛ علىٰ شرط أَن يلفظ وقلبُهُ منشرحٌ بالإيمان؛ فإن ساعد قلبَه في الكفر لسانه كان آثمًا كافرًا؛ لأَنَّ الإكراهَ لا سلطانَ له في الباطن، وإنَّما سلطانه علىٰ الظَّاهر)[١] .

وقالَ الإمامُ ابن الجوزيِّ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية :

(﴿ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ أَي : ساكنٌ إليه، راضٍ به . ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ قال قتادة : مَن أَتاه بإِيثارٍ واختيارٍ . وقال ابن قُتيبة : مَن فتح له صدره بالقبول . وقال أَبو عبيدة : مَن تابعته نفسُه، وانبسط إلىٰ ذلك . يُقال : ما ينشرحُ صدري بذلك، أَي : ما يطيب)[٢] .

وقالَ الإمامُ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة :

(وأَمَّا قوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ فهو استثناء مِمَّن كفر بلسانه، ووافق المشركين بلفظه مكرهًا؛ لما ناله من ضرب وأَذًى، وقلبه يأْبىٰ ما يقول، وهو مطمئنٌّ بالإيمان بالله ورسُوله) .

---

(١) « أحكام القرآن » ج٣، ص١١٧٩ .

(٢) « زاد المسير في علم التفسير » ج٤، ص٤٩٦ .

وقالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فمَن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجةٍ عامدًا لها عالمًا بأنَّها كلمةُ كفرٍ؛ فإنَّهُ يكفر بذلك ظاهرًا وباطنًا، ولا يجوز أن يقالَ: إنَّهُ في الباطن يجوز أن يكونَ مؤمنًا، ومَن قالَ ذلك فقد مرقَ من الإسلام.

قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

معلومٌ أنَّهُ لم يُرِدْ بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط؛ لأنَّ ذلك لا يُكْرَه الرَّجل عليه، وهو قد استثنىٰ من أُكره ولم يُرِد مَن قال واعتقد؛ لأنَّهُ استثنىٰ المكرَه وهو لا يُكره علىٰ العَقد والقول، وإنَّما يُكره علىٰ القول فقط؛ فعُلم أنَّهُ أَراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضبٌ من اللهِ وله عذابٌ عظيمٌ، وأنَّهُ كافرٌ بذلك، إلاَّ مَن أُكره وهو مطمئنٌّ بالإيمانِ، ولكن مَن شرح بالكفر صدرًا من المكرَهين فإنَّهُ كافرٌ أيضًا؛ فصار كلُّ مَن تكلم بالكفر كافرًا إلاَّ مَن أُكره، فقالَ بلسانه كلمة الكفر، وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان)[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) « الصَّارم المسلول علىٰ شاتم الرَّسُول » ج٣، ص٩٧٥ – ٩٧٦.

● **الأَخذُ بالعزيمةِ والصَّبْرِ؛ أولىٰ من الأَخذ بالرُّخص:**

فأجمعَ أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّ مَن أُكْرِهَ علىٰ الكُفر - بالقول أَو الفعل - فاختارَ الصَّبر حتَّىٰ قُتِل؛ كان أعظمُ أَجرًا عند الله - تبارك وتعالىٰ - ممَّن اختار الرُّخصة؛ لأَنَّ الأَصل في الدِّين هو الصَّبر والثَّبات علىٰ الحقِّ، والإعذار بالتَّقيَةِ حالةٌ عارضةٌ لرفع الإثم والحرج فقط، وأَنَّ الأَخذَ بالعزيمةِ له منزلةٌ رفيعةٌ عند اللهِ - جلَّ في عُلاه - وأَولىٰ من الأَخذ بالرُّخص، ولو كانت مُباحة.

قالَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - عن صبر أَصحاب الأُخدود علىٰ دينهم:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾[1].

وعن خبَّاب بن الأَرَتِّ، قالَ: شَكونا إِلىٰ رَسولِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظلِ الكعبةِ، فقلنا: أَلاَ تستَنْصرُ لنا، أَلا تدْعو الله لنا؟ فقالَ ﷺ:

---

(١) سورة البروج، الآيات: ١ - ١١.

«قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ؛ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ...»(١)(*).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المطَّلِب، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَىٰ إِمامٍ جائِرٍ؛ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»(٢).

وقالَ الإمامُ البغويُّ، رحمهُ اللهُ: (وأجمعَ العلماءُ علىٰ أنَّ مَن أُكره علىٰ كلمةِ الكفر؛ يجوزُ له أن يقولَ بلسانه، وإذا قال بلسانه غيرَ معتقدٍ لا يكون كفرًا، وإن أبىٰ أن يقول؛ حتَّىٰ يُقتل كان أفضل)(٣).

وقالَ الحافظُ ابن بطَّال، رحمهُ اللهُ: (أجمعوا علىٰ أنَّ مَن أُكره علىٰ الكفر، واختار القتل؛ أنَّه أعظمُ أجرًا عند الله ممَّن اختار الرُّخصة)(٤).

● أمَّا مَن نَطَقَ بالكُفر، وقالَ: قصدتُ المزاحَ؛ فهو كافرٌ ظاهرًا وباطنًا؛ كما أجمع الأئمَّة علىٰ ذلك، إذ حُكم الكُفر يلزمُ الجادَّ، والهازلَ، والمازحَ، وفي حالِ مشاجرةٍ، وفي حال غضبٍ علىٰ السَّواء، وفي الآخرة أمرهم إلىٰ الله – جلَّ في عُلاه – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإكراه) باب «من اختار الضرب والقتل والهوان علىٰ الكفر».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣، ص١٩٥. وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ج١، ص٧١٦؛ برقم (٣٧٤).

(٣) «معالم التنزيل»: ج٥، ص٤٦.

(٤) «فتح الباري» ج١٢، ص٣٩٦ (كتاب الإكراه).

(*) قال العلاَّمةُ القرطبي، رحمه الله: (فوَصْفُهُ ﷺ هذا عن الأمم السالفة علىٰ جهة المدح لهم، والصبر علىٰ المكروه في ذات الله، وأنَّهم لم يكفروا في الظَّاهر، وتبطَّنوا الإيمان؛ ليدفعوا العذاب عن أنفسهم، وهذه حجةٌ مَن آثر الضرب، والقتل، والهوان علىٰ الرُّخصة) انظر: «تفسير القرطبي» ج١٠، ص١٢٤. عند تفسير الآية (١٠٦) من سورة النحل.

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[١].

فلم يعذرهم الله تعالىٰ بهذا العذر، مع أنَّهم كانوا خارجين في غزوة العسرة للقتال مع النَّبِيِّ ﷺ وقالوا تلك الكلمات علىٰ سبيل الهزل، وشغل الوقت في السَّفر! كما جاء في كُتبِ أَسباب النُّزول.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ولهذا قالَ سبحانه وتعالىٰ: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ولم يقل قد كذبتم في قولكم ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فلم يكذبهم في هذا العذر؛ كما كذبهم في سائر ما أظهروه من العذر الذي يُوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين؛ بل بيَّنَ أنَّهم كفَروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب)[٢].

وقالَ الإمامُ ابن قدامة المقدسيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ومَن سبَّ اللهَ تعالىٰ؛ كفر سواءً كان مازحًا، أَو جادًّا، وكذلك من استهزأَ بالله تعالىٰ، أَو بآياته، أَو برسله، أَو كتبه)[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٦٤ – ٦٦.

(٢) «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرَّسول» ج٣، ص٩٦٣ – ٩٦٤.

(٣) «المغني» ج١٠، ص١١٣.

وقالَ القاضي أَبو بكر بن العربيّ المالكيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(الهزل بالكفر كفر! لا خلاف فيه بين الأُمَّةِ؛ فإن التحقيق أَخو العلم والحق، والهزل أَخو الجهل والباطل)[١].

وقالَ العلاَّمةُ ابن الجوزي الحنبليّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(الجدُّ واللعبُ في إظهارِ كلمةُ الكفرِ سواءٌ)[٢].

وقالَ الإمامُ النووي الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(والأَفعالُ الموجبة للكفرِ، هي التي تصدر عن عمدٍ واستهزاءٍ بالدِّين صريح)[٣].

وقالَ العلاَّمةُ الفقه ابن نجيم الحنفيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ مَن تكلَّمَ بكلمةِ الكفر هازلاً، أَو لاعبًا؛ كفر عند الكلِّ، ولا اعتبار باعتقاده)[٤].

---

(١) « أَحكام القرآن » ج٢، ص٩٦٤.

(٢) « زاد المسير في علم التفسير » ج٣، ص٤٦٥.

(٣) « روضة الطالبين » ج١٠، ص٦٤.

(٤) « البحر الرايق شرح كنز الدقائق » ج٥، ص١٣٤.

سادسًا- التَّقليدُ (*):

● التَّقليدُ: هو التزامُ المكلَّفِ مذهبَ غيرِهِ بلا حجَّةٍ! أي: هو قبول قول القائلِ من غير أَن يعلمَ مستنده، ويتَّبع مَن لم يقم باتِّباعه حجَّةٌ، ولم يستند إلىٰ علمٍ.

إذن! التَّقليدُ هو اتِّباعُ المسلمُ غيره في حكمٍ شرعيٍّ من غيرِ دليلٍ شرعيٍّ، ولا اجتهادٍ في ذلكَ الحكمِ.

(*) ● التَّقليدُ في اللُّغةِ: هو من مصدر قلَّدَ، يُقلِّدُ، تَقْليدًا؛ علىٰ وزن: فَعَّلَ. وقلَّدَهُ المنصب؛ أي: أسنده إليه. وقلَّده في كذا؛ أي: تبعه فيه من غير تأمُّلٍ ولا دليلٍ، ومنه أيضًا: قلَّدته السَّيفُ أَلقيت حمالته في عنقه فتقلَّده. ويستعمل في تفويض الأَمر إلىٰ الشَّخصِ استعارة كأَنَّهُ ربط الأَمر بعنقه. ويُسمَّىٰ الشَّيء المحيط بالعنق قلادة، والجمع قلائد، وقلَّدَهُ القلادة: بمعنىٰ وضعها في عنقه. ومنه تقليد البدنة: أَي: يجعل في عنقها شيئًا يعلم أَنَّهُ هدي، قال تعالىٰ: ﴿ولا الهدي ولا القلائد﴾ فكأَن المقلِّد جعل الحكم الذي قلَّد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلَّده. والتقليدُ يستعمل لمعانٍ عديدة ذات دلالات سلبية وأَشهرها: الانقياد، والخضوع بلا اختيار، والاتباع من غير نظر ولا روية، والمحاكاة العمياء؛ كما يقال: (قلَّدَ القرد الإِنسان! أَي: حاكاه وتشبه به) انظر: «لسان العرب» ج٣، ص٣٦٧. و«مختار الصحاح» ص٥٨٤. و«إرشاد الفحول» للشوكاني؛ ص٢٦٥. و«الإِحكام» للآمدي؛ ج٤، ص٢٢١. و«المعجم العربي الأَساسي»: ص١٠٠٣.

● التَّقليدُ في الاصطلاح: (هو أَخذُ مذهب الغير ورأْيه للعمل به في الأَحكام الشَّرعيَّة والفرعية. أَو هو أَخذ القول من غير معرفة دليله، أَو قبول قول الغير من غير حجة ملزمة ومعلومة، أَو قول بلا حجَّة. أَو اتِّباع قول من ليس قوله حُجَّة. أَو اعتمادُ علىٰ رأْي الغير، أَو إِستناد إلىٰ قول الغير، أَو الرجوع إلىٰ قول لا حجة لقائله عليه، أَو قول الغير في الأَحكام الشَّرعيَّة من غير دليلٍ علىٰ خصوصية ذلك الحكم؛ علىٰ إِختلاف في عبارات. وملخصه هو: التزام المكلف في حكم شرعيّ مذهب مَن ليس قوله حجَّةٌ في ذاته. أَي: هو أَن يتبع المسلم غيره في قولٍ، أَو فعلٍ، أَو اعتقاد، أَو سلوك من غير دليلٍ، ولا نظرٍ، ولا تأملٍ، ودون إدراك ووعي) انظر: «إرشاد الفحول» للشوكاني؛ ص٢٦٥. و«الإِحكام» لابن حزم؛ ج٢، ص٨٣٦. و«التقليد وأَحكامه» سعد الشثري؛ ص١٦.

أي: كلُّ مَن اتَّبعتَ قولَهُ! من غير أَن يجب عليك قولُه دليلٌ شرعيٌّ يوجبُ ذلك القول؛ فأنت مقلِّده تقليدًا أعمىٰ! في الحقِّ والباطل، وفي الصَّوابِ والخطأ.

والتَّقليدُ بهذه الصُّورةِ هي صفةٌ سلبيةٌ لا تقع إلاَّ من الجانبِ الضَّعيفِ، وغيرِ مقبولٍ في دين اللهِ تعالىٰ، وهي صفةُ نقصٍ!

ولا خلافَ بين أَهل العلم أَنَّ التَّقليدَ ليس بعلمٍ، وأَنَّ المقلِّدَ لا يُطلق عليه اسمُ عالمٍ، ولا يجوزُ له أَن يُفتيَ؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ أَمرنا بسؤَالِ العُلماء وأَهل العلم! ومن شروطِ الفتوىٰ العلمَ بأَدلَّة العلومِ الشَّرعيَّة، والتَّقليدَ لا يكون إلاَّ مع عدمِ معرفةِ الدَّليلِ الشَّرعيِّ.

ولقد ذمَّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - التَّقليدَ الأَعمىٰ والتَّعصُّبَ الذَّميم، ونهىٰ عنهما، وحرَّمهما في كثيرٍ من الآياتِ، فقالَ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٤.

لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾[١] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[٢] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

● **أَمَّا الاتِّباعُ :** فهو الأَخذُ من الدَّليلِ الشَّرعيِّ والانقيادُ لَهُ، وهو مبنيٌّ علىٰ الحجَّةِ والدَّليلِ، وليسَ لأَقوالِ الأَشخاصِ . أَي : هو القولُ، أَو العملُ الذي أَوجبه الدَّليلُ الشَّرعيُّ .

والاتِّباعُ : هو الأَصلُ في الدِّينِ؛ لأَنَّهُ عملٌ بالوَحْيَيْنِ الشَّريفينِ، وهو اتِّباعُ ما أَنزل اللّٰهُ تعالىٰ؛ أَمَّا التَّقليدُ فهو حالةٌ مستثناةٌ من الأَصلِ[*] .

والمسلمون يُقسمون إِلىٰ ثلاثةِ أَقسامٍ؛ إِمَّا مجتهد، أَو مقلِّد، أَو متَّبع، والمقلِّد ليسَ عنده قدرة علىٰ البحث والنظرِ، أَمَّا المتَّبع؛ فإِن لم يكن عنده القدرة علىٰ الاستقلال في البحث وفهم الأَدلَّةِ واستنباط الأَحكام منها كالمجتهدِ؛ إِلاَّ أَنَّهُ يستطيع في الوقت نفسه فهم الحجَّة ومعرفة الدليل .

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .　　(٢) سورة الإسراء، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٣٣ .

(*) قالَ الإمامُ ابن القيِّم، رحمهُ اللّٰهُ : (وقد فرَّق أَحمد بن حنبل بين التَّقليدِ والإِتِّباع، فقال أَبو داود : سمعته يقول : الإِتِّباع أَن تتَّبعَ الرَّجلَ ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ وعن أَصحابه، ثمَّ هو من بعد في التَّابعين مخيَّرٌ) « إعلام الموقعين » ج٣، ص١٧٣ .

فإذا اتَّبعَ المسلمُ أئمَّةَ العلم المعتبرين - فيما تابعوا فيه النَّبِيَّ ﷺ وانقادُوا للأدلَّةِ - فيُعدُّ مُتَّبعًا لا مقلِّدًا؛ لأنَّهُ أخذَ أقوال الأئمَّةِ لدلالةِ الأدلَّةِ عليها؛ فيعدُّ هذا اتِّباعًا للأدلَّةِ لا لأقوالهم؛ بل هو اتَّبعَ ما معهم من البرهان السَّاطع، وهو الدَّليلُ الشَّرعيُّ (*).

(*) قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ: (جميع ما تقوله الأئمة شرحٌ للسُّنَّةِ، وجميعُ السُّنَّة شرحٌ للقرآنِ) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسُّيوطيِّ: ج٤، ص٢٤.

وقالَ الحافظُ ابن رجب الحنبليُّ، رحمهُ اللهُ: (فاقتضت حكمة الله - سبحانه - أن ضبطَ الدِّين وحفظه؛ بأن نصبَ للنَّاس أئمَّةً مجتمعًا على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى من أهل الرأي والحديث؛ فصار النَّاس كلهم يعولون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم، وأقامَ اللهُ مَن يضبطُ مذاهبهم ويحرر قواعدهم؛ حتى ضبط مذهب كل إمام منهم، وأصوله وقواعده وفصوله؛ حتى ترد إلى ذلك الأحكام ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لطفِ الله بعباده المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدِّين، ولولا ذلك: لرأى النَّاس العجاب من كلِّ أحمق متكلفٍ معجبٍ برأيه جريء على النَّاس وثاب؛ فيدعي هذا أنَّهُ إمام الأئمَّة، ويدعي هذا أنَّهُ هادي الأمَّة، وأنَّهُ هو الذي ينبغي الرُّجوع دون النَّاس إليه، والتعويل دون الخلق عليه. ولكن بحمد الله ومنته انسد هذا الباب الذي خطره عظيم وأمره جسيم، وأن حسمت هذه المفاسد العظيمة وكان ذلك من لطف الله تعالى لعباده وجميل عوائده وعواطفه الحميمة. ومع هذا فلم يزل يظهر من يدعي بلوغ درجة الاجتهاد! ويتكلم في العلم من غير تقليدٍ لأحد من هؤلاء الأئمة ولا انقياد؛ فمنهم مَن يسوغ له ذلك لظهور صدقه فيما ادعاه، ومنهم مَن رد عليه قوله وكذب في دعواه، وأمَّا سائر النَّاس ممن لم يصل إلى هذه الدرجة؛ فلا يسعه إلاَّ تقليد أولئك الأئمَّة، والدُّخول فيما دخل فيه سائر الأمَّة) انظر: «الرَّدُّ على مَن اتَّبع غير المذاهب الأربعة».

وقالَ إمامُ الحرمين الجوينيُّ، رحمه اللهُ: (أجمعَ المحققون! على أنَّ العوامَ؛ ليسَ لهم أن يتعلقوا بمذاهبِ أعيان الصَّحابةِ - رضي اللهُ عنهم - بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة؛ الذين سَبَروا ونظروا، وبوَّبوا الأبواب، وذكروا أوضاع المسائل، وتَعَرَّضوا للكلام على مذاهب الأولين، والسبب فيه أن الذين دَرَجُوا، وإن كانوا قدوةً في الدِّين، وأسوةً للمسلمين؛ فإنَّهم لم يتفننوا بتهذيب مسالك الاجتهاد وإيضاح طرق النظر والجدال وضَبْط المقال، ومن خلفهم من أئمَّة الفقه كَفَوا من بعدهم النظر في مذاهب الصَّحابة؛ فكان العاميُّ مأموراً باتِّباعِ مذاهب السَّابرين) «البرهان في أصول الفقه» ج٢، ص١١٤٦.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ؛ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً! فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١).

والاتباعُ؛ هو العلمُ الصَّحيحُ، والحجَّةُ في دينِ الإسلامِ؛ لأنَّ الاتِّباعَ هو قولُ اللهِ تعالىٰ، وقولُ رسُوله الأمين محمَّد ﷺ وقولُ الصَّحابةِ الكرام، وما سوىٰ ذلك يُسَمَّىٰ تقليدًا(*)، وقد دلَّتْ آياتٌ كثيرةٌ علىٰ وجوبِ الاتِّباع.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾(٤).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب العلم) باب «كيف يقبض العلم».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣. (٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

(*) قالَ العلاَّمةُ محمَّد الأمين الشّنقيطيُّ، رحمهُ اللهُ: (اعلم! أنَّ مما لا بُدَّ منه معرفة الفرق بين الاتباع والتقليد، وأنَّ محل الاتباع لا يجوز التقليد فيه بحال، وإيضاح ذلك: أنَّ كلَّ حكم ظهر دليله من كتاب الله، أو سُنَّة وسوله ﷺ أو إجماع المسلمين؛ لا يجوز فيه التقليد بحال؛ لأنَّ كلَّ اجتهاد يخالف النص؛ فهو اجتهاد باطل، ولا تقليد إلاَّ في محل الاجتهاد؛ لأنَّ نصوص الكتاب والسُّنَّة حاكمة علىٰ كلِّ المجتهدين؛ فليس لأحدٍ منهم مخالفتها كائنًا مَن كان. ولا يجوز التقليد فيما خالف كتابًا، أو سُنَّةً، أو إجماعًا؛ إذ لا أُسوة في غير الحق؛ فليس فيما دلَّت عليه النصوص إلاَّ الاتباع فقط، ولا اجتهاد ولا تقليد فيما دلَّ عليه نص؛ من كتاب أو سُنَّة سالم من المعارض، والفرق بين التقليد والاتباع أمرٌ معروف عند أهل العلم، لا يكادُ ينازع في صحة معناه أحدٌ من أهل العلم) انظر: «أضواء البيان» ج٧، ص٥٤٧.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٤)(*).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣. (٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥. (٤) سورة الزمر، الآية: ٥٥.

(*) قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي، رحمه الله: (أن شروط المجتهد التي يشترطها الأصوليون؛ إنما تشترط في الاجتهاد، وموضع الاتباع ليس محل الاجتهاد؛ فجعل شروط المجتهد في المتبع مع تباين الاجتهاد والاتباع، وتباين مواضعهما خلط وخبط كما ترىٰ، والتحقيق أنَّ اتباع الوحي لا يشترط فيه إلاّ علمه بما يعمل به من ذلك الوحي الذي يتبعه، وأنه يصح علم حديث والعمل به، وعلم آية والعمل به، ولا يتوقف ذلك علىٰ تحصيل جميع شروط الاجتهاد؛ فيلزم المكلَّف أن يتعلم ما يحتاج إليه من الكتاب والسُّنَّة، ويعمل بكلِّ ما علم من ذلك؛ كما كان عليه أوَّل هذه الأُمَّة من القرون المشهود لها بالخير) «أضواء البيان» ج٧، ص٥٥٠. وقال - أيضًا - رحمه الله: (والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة المسلمين؛ أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسُنَّة رسُول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه؛ حتىٰ يقوم دليلٌ صحيح شرعيٌّ صارف عن الظاهر إلىٰ المحتمل المرجوح) انظر: «أضواء البيان» ج٧، ص٤٣٨.

● **أَقسامُ التَّقليد وأَحكامه:**

١- **العالِمُ**: الذي عنده أَهلية الاجتهاد، ويتبين له الحقّ بالأَدلَّةِ الشَّرعيَّةِ الثَّابتةِ؛ فهذا لا يجوز له البتَّة! تقليد من خالفه فيما وصل إِليه بالاستدلال؛ بإِجماع أَهل العلم.

٢- **طالبُ علم**: الذي توافرت فيه أَهلية الاجتهاد؛ لا يجوز له تقليد غيره من الأَئمَّةِ المجتهدين فيما ذهبوا إِليه بأَنَّهُ هو الراجح؛ قبلَ أَن يصل إِليه باجتهاده إِلىٰ الحكم الشَّرعيّ، وذلكَ لقدرته علىٰ الوصول إِلىٰ الحكم بنفسه؛ لأَنَّهُ مكلَّفٌ شرعًا بالاجتهاد ليعرف ما كلَّفه الشَّرعُ به.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[١].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** »[٢].

٣- **العاميُّ**: الذي يعجزُ عن معرفةِ الأَحكامَ وطرق استنباطها من الأَدلَّةِ الشَّرعيَّةِ؛ فيجوزُ له بالإِجماع! تقليدُ مَن توافرت فيه أَهلية الاجتهاد من أَهل العلم، وذلكَ لرفع الحرج من الأُمَّةِ، ولصيانة المسلم عن التخبطِ في النُّصوص الشَّرعيَّةِ وأَحكامها، والقولُ علىٰ اللهِ تعالىٰ بغير علم.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[٤].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الَّذِينَ تسببوا في قتل مسلم بفتوىٰ خاطئة:

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «الاقتداء بسُنَن رسول الله ﷺ».

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٣. وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

« قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ! أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ »[١].

٤- تقليدُ الأعمىٰ : الذي يخالف الشَّريعة الإسلاميَّة؛ اتِّباعًا للهوىٰ! من تقليد الآباء، والسَّادة، ومشَايخ الطُّرق، والأحكام العصبية، أو تقليد الكفَّار؛ فهذا النوع من التَّقليدِ محرمٌ بالإجماع، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[٥].

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب الطهار) باب «في المجروح يتيمم» وصحّحه الألباني.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٥) سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤ - ٦٨.

● **أنواعُ التَّقليد:**

التَّقليدُ – عند أئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة – نوعان: تقليدٌ مباح، وتقليدٌ ممنوعٌ ومذموم(*).

١ – التَّقْلِيدُ الْمُبَاح:

يكون في حقِّ العاميِّ الذي لا يعرفُ طُرقَ الأَحكام الشَّرعيَّة، ويعجزُ عن معرفتها، ولا يمكنه فهمُ أَدلَّتها.

ومثل ذلك: تقليد العامي – الجاهل بالشَّرع – عالمًا معتبرًا عُرف بالعلم

(*) قالَ العلاَّمةُ الأُصولي المفسِّر محمَّد الأَمين الشَّنقيطيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:
(والتحقيق: أَنَّ التقليد منه ما هو جائز، ومنه ما ليس بجائز، ومنه ما خالف فيه المتأَخرون المتقدِّمون من الصحابة وغيرهم من القرون الثلاثة المفضلة... أَمَّا التقليد الجائز الذي لا يكاد يخالف فيه أَحدٌ من المسلمين؛ فهو تقليد العامي عالمًا أهلاً للفتيا في نازلات نزلت به، وهذا النوع من التقليد كان شائعًا في زمن النَّبيِّ ﷺ ولا خلاف فيه؛ فقد كان العامي يسأَل من شاء من أَصحاب رسول الله ﷺ عن حكم النازلة تنزل به؛ فيفتيه فيعمل بفتياه، وإذا نزلت به نازلة أُخرىٰ لم يرتبط بالصحابي الذي أَفتاه أَولاً؛ بل يسأَل عنها من شاء من أَصحاب رسول الله ﷺ ثمَّ يعمل بفتياه... وأَمَّا ما ليس من التقليد بجائز بلا خلاف؛ فهو تقليد المجتهد الذي ظهر له الحكم باجتهاده؛ مجتهدًا آخر يرىٰ خلاف ما ظهر له هو، للإجماع علىٰ أَنَّ المجتهد إذا ظهر له الحكم باجتهاد لا يجوز له أَن يقلد غيره المخالف لرأيه، وأَمَّا نوعُ التقليد الذي خالف فيه المتأَخِّرون الصَّحابة وغيرهم من القرونِ المشهودِ لهم بالخير؛ فهو تقليدُ رجلٍ واحدٍ معيَّنٍ دون غيره من جميع العلماء؛ فإنَّ هذا النوعَ من التقليد، لم يرد به نصٌّ من كتابٍ وسُنَّة، ولم يَقُل به أَحدٌ من أَصحابِ رسول الله ﷺ، ولا أَحَدٌ من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير وهو مخالفٌ لأَقوالِ الأَئمَّة – رحمهم الله – فلم يقل أَحدٌ منهم بالجمودِ علىٰ قول رجلٍ واحدٍ معيَّنٍ دون غيره من جميع علماء المسلمين؛ **فتقليدُ العالم المعيَّن من بدع القرن الرابع، ومن يدَّعي خلاف ذلك فليعيِّن لنا رجلاً واحدًا من القرون الثلاثة الأُولىٰ التزم مذهبَ رجلٍ واحدٍ معيَّن، ولن يستطيعَ ذلك أبدًا؛ لأَنَّه لم يقع البتَّة**) انظر: «أَضواء البيان» ج٧، ص٤٨٨.

والاجتهاد من أَهل الدِّين والصَّلاح من علماء أَهل السُّنَّة والجماعة الثُّقات في مسأَلة من مسائل الدِّين، أَو نازلة نزلت به، وهذا النوع من التقليد جائز، ولا خلاف في ذلك بين أَهل العلم، وكان معروفًا حتىٰ في زمن النَّبيِّ ﷺ ولكن هذا لا يمنع العاميّ أَن يطلبَ من مفتيه الدليل؛ لأَنَّ من حقِّه أَن يستوثقَ من الأَمر الذي سَيدينُ لله تعالىٰ به، وحتىٰ تطمئن نفسه ويستأْنس به، ولأَنَّه لا يجوز التقليد بأَي حالٍ من الأَحوال في مسأَلةٍ ظهر دليلها من الكتاب والسُّنَّة، أَو من إجماع الأُمَّة، ولأَنَّ كلَّ اجتهادٍ يخالف النصَّ! فهو اجتهاد باطل، إذ لا اجتهاد ولا تقليد فيما دلَّت عليه النُّصوص الشرعيَّة الصَّحيحة.

وهذا النوع من التقليد يقوم علىٰ اتِّباع الدليل الشَّرعي، وهو ما عبَّر عنه بعض العلماء بالاتِّباع؛ إذ العامي لا يتَّبع شخصًا لقوله؛ بل يتَّبع دليله الشَّرعي، ولا خلاف في جواز هذا النوع من التقليد.

فإذا جاز هذا النوع من التقليد للعامي؛ فإنَّه لا يجب عليه أَن يقلد مذهبًا بعينه في كلِّ المسائل؛ فإنَّ الحقَّ ليس محصورًا في مذهب واحد من المذاهب الإسلاميَّة المعتبرة؛ بل عليه أَن يتحرَّىٰ الحقَّ ويتَّبع الأَقرب للصَّواب، ويتَّقي اللهَ تعالىٰ ما استطاع ذلك؛ فمتىٰ ظهر له أَنَّ الحقَّ في خلاف مذهبه! وجب عليه الرجوع إلىٰ الحقِّ والتَّسليم له؛ لأَنَّ العملَ بالأَدلة الشَّرعيَّة هو الاتباع المأمور به شرعًا؛ عملاً بقوله تعالىٰ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣.

وفي مقابل ذلكَ! لا يجوز مطلقًا التنقلُ بين المذاهبِ تتبُّعًا للرُّخَصِ، وبحثًا عن الأَسهل علىٰ النَّفس، وأَقرب لهوىٰ وغرضه؛ فإنَّ ذلك من التَّلفيق المذموم والمنهي عنه شرعًا؛ لأَنَّ تَتَبُّعَ الرُّخَصِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، أَوْ تَقْلِيدٍ لِعَالِمٍ مُعْتَبَرٍ؛ يُؤَدِّي إِلىٰ التَحَلُّلِ من رِبْقَةِ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ، وهو عَمَلٌ بالهوىٰ من دُونَ دليلٍ، وخُصوصًا مَنْ كانَ هذا العمل دَيْدَنَهُ في مسائلِ الخلافِ.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(والذي عليه جماهير الأُمَّة: أَنَّ الاجتهادَ جائزٌ في الجملة، والتقليدَ جائزٌ في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد علىٰ كلِّ أَحدٍ ويُحرِّمون التقليد، ولا يوجبون التقليد علىٰ كلِّ أَحدٍ ويُحرِّمون الاجتهاد، وأَنَّ الاجتهادَ جائزٌ للقادر علىٰ الاجتهاد، والتقليد جائزٌ للعاجز عن الاجتهاد.

فأَمَّا القادرُ علىٰ الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلافٌ، والصحيح أنَّه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد، إمَّا لتكافؤ الأَدلَّة، وإمَّا لضيقِ الوقت عن الاجتهاد، وإمَّا لعدم ظهور الدليل له؛ فإنَّه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه، وانتقل إلىٰ بدله وهو التقليد، كما لو عجز عن الطهارة بالماء.

وكذلك العاميُّ؛ إذا أَمكنه الاجتهاد في بعض المسائل؛ جاز له الاجتهاد. فإنَّ الاجتهادَ منصبٌ يقبلُ التَّجزِّي والانقسام، فالعبرة بالقدرة والعجز)[١].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٢٢، ص٣٤٩.

وقالَ الحافظُ ابن عبد البر – رحمه الله – بعد كلام نفيس في ذمِّ التقليد والتشنيع علىٰ أهله في كتابه القيِّم «جامع بيان العلم وفضله»:

(وهذا كله لغير العامَّة؛ فإنَّ العامَّة لا بُدَّ لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنَّها لا تتبيَّن موقع الحجَّة، ولا تصل – لعدم الفهم – إلىٰ عِلْم ذلك، لأنَّ العلم درجات لا سبيل منها إلىٰ أعلها إلاَّ بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامَّة وبين طلب الحجة. ولم يختلف العلماء أنَّ العامَّة عليها تقليد علمائها، وأنَّهم المرادون بقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

وأجمعوا علىٰ أنَّ الأعمىٰ لا بُدَّ من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقِبلة إذا أشكلت عليه؛ فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنىٰ ما يدين به لا بُدَّ من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أنَّ العامَّة لا يجوز لها الفتوىٰ، وذلك – والله أعلم – لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم، والقول في العلم)(٢).

وقالَ الإمامُ ابن قدامة المقدسيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وأمَّا التَّقليدُ في الفروع؛ فهو جائزٌ إجماعًا! فكانت الحجَّة فيه الإجماع، ولأنَّ المجتهدَ في الفروعِ؛ إمَّا مصيبٌ، وإمَّا مخطىء مأثوم؛ بخلاف ما ذكرناه؛ فلهذا جاز التقليد فيها، بل وجبَ علىٰ العاميِّ ذلك... والإجماع منعقد علىٰ تكليف العاميِّ الأحكام، وتكليفه رتبة

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» ج٢، ص٩٨٩. باب (فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع).

الاجتهاد يؤدي إلىٰ انقطاع الحرث والنسل وتعطيل الحرف والصنائع؛ فيؤدي إلىٰ خراب الدُّنيا؛ ثمَّ ماذا يصنع العاميُّ إذا نزلت به حادثة إن لم يثبت لها حكم إلىٰ أن يبلغ رتبة الاجتهاد؛ فإلىٰ متىٰ يصير مجتهدًا، ولعله لا يبلغ ذلك أبدًا؛ فتضيع الأحكام! فلم يبق إلاَّ سؤال العلماء)[١].

وقالَ إمامُ أَهلِ السُّنَّةِ أَحمد بن حنبل، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ومَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لاَ يَرَىٰ التَّقْلِيدَ، وَلاَ يُقَلِّدُ دِينَهُ أَحَدًا؛ فَهُوَ قَوْل فَاسِق عِنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ رَسُولِهِ)[٢].

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد الأَمين الشّنقيطيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(لا خلاف بين أَهل العلم في أَنَّ الضَّرورةَ لها أَحوال خاصة تستوجب أَحكامًا غير أَحكام الإختيار؛ فكل مسلم أَجاته الضَّرورة إلىٰ شيءٍ إلجاء صحيحًا حقيقيًا؛ فهو سعة ما أمره ... وبهذا تعلم أَنَّ المضطرَ للتقليد الأَعمىٰ اضطراراً حقيقيًا؛ بحث يكون لا قدرة له البتَّة علىٰ غيره، مع عدم التفريط، لكونه لا قدرة له أَصلاً علىٰ الفهم، أَو له قدرة علىٰ الفهم قد عاقته عوائق قاهرة عن التعليم، أَو هو في أَثناء التعليم ولكنَّهُ يتعلم تدريجًا لأَنَّهُ لا يقدر علىٰ تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد، أَو لم يجد كفئًا يتعلم منه، ونحو ذلك! فهو معذور في التقليد المذكور للضَّرورةِ؛ لأَنَّهُ لا مندوحة عنه، أَمَّا القادر علىٰ التعلم المفرط فيه، والمقدم آراء الرجال علىٰ ما علم من الوحي؛ فهذا الذي ليس بمعذور)[٣].

---

(١) انظر: «روضة الناظر» ج١، ص٣٨٣ – ٣٨٤.

(٢) «طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي: ج١، ص٣١.

(٣) انظر: «القول السَّديد في حقيقة التقليد» ص٧٧.

٢- التَّقْلِيدُ المَمْنوع والمذموم:

هو اتِّباعُ قولِ الغيرِ من غيرِ معرفةِ دليلهِ الشَّرعيِّ، والتَّعصُّبُ لهُ، وإن ظهر له الحقُّ من الوحيين الشَّريفين؛ ما يخالف مذهبَهُ الذي يقلِّده، ومع ذلك يصرُّ علىٰ تقليد مذهبه فيما خالفَ الدَّليلَ الشَّرعيَّ الثَّابت.

ومثل ذلك: الشَّخص الذي يُقلِّدُ عالمًا بعينهِ، لم يعرف دليله بحيث لايخرجُ عن أَقوالهِ أَو أَفعاله؛ حتىٰ لو ثبتَ له عكسُ ذلك بالأَدلَّةِ الشَّرعيَّة الواضحة، فيُصرُّ علىٰ تقليده متمسِّكًا بأَقواله؛ طارحًا قول غيره ممَّا تعضده الأَدلَّة الشَّرعيَّة الصَّحيحة من الكتاب والسُّنَّة النبويَّة، وإجماع سلف الأُمَّة.

وهذا النوع من التقليد مذمومٌ وممنوعٌ ومحرَّمٌ شرعًا بالاتِّفاق، وهو يدلُّ علىٰ نقص في العقل أَو سفه فيه، وقلَّةٍ في العلم والدِّين؛ لأَنَّه يقوم علىٰ الجهل المركب، والتعصب المقيت، والانقياد الأَعمى بدون فهم الدليل الشَّرعي والرجوع إليه، وإلىٰ أَهله من العلماء المجتهدين العاملين بعلم السَّلف الصَّالح، ويكون صاحبه متعصِّبًا لمن يُقلِّده.

ولا خلاف بين أَهل العلم؛ أَنَّ التقليدَ ليس بعلمٍ! بأَيِّ صوره، وأَنَّ المقلِّدَ لا يطلق عليه اسم عالم ولا طالب علم، ولا يجوز له أَن يَفتيَ البتَّة؛ لأَنَّه غير عالم بالشَّرع! والله تعالىٰ أَمرنا بسؤال العلماء.

ولا يجوز لأَحد من المسلمين أَن يتعصَّبَ لمذهبه، وادِّعاء أَنَّه لا يجوز الانتقال عنه، وأَنَّ إمامه علىٰ الصواب المطلق! وغيره علىٰ خطأ، أَو هو في أعلىٰ درجات الكمال، وأَنَّ آراءه وأَقواله هي الشَّريعة، ويجب علىٰ الجميع اتِّباعه؛ لأَنَّه أَفضل من غيره وأَعلم، وأَن نوالي ونعادي ونخاصم فيه، أَو تنزيل الإمام المتبوع في اتباعه منزلة النَّبِيِّ ﷺ في أُمَّته.

فأَنَّ كلَّ هذه الأَعمال من الجهل والضَّلال، وهو من شأْن أَهل البدع والأَهواء، وأَهل الجاهلية؛ الذين يُنَصِّبون لهم شخصًا، أَو كلامًا يدعون إليه، ويوالون به، ويعادون عليه، وهو - أَيضًا - من الاختلاف المذموم، والذي يؤدِّي إلىٰ الخروج عن جماعة المسلمين، وتفريق كلمتهم، وصفوفهم وضعفهم، وإيقاد نار العداوة والبغضاء بينهم.

والموقف الصحيح في هذه المسأَلة؛ هو احترام جميع علماء الأُمَّة المعروفين بتمسُّكهم بالسُّنَّة وحُسن المعتقد والعلم والعمل، وموالاتهم، ومحبتهم، وتعظيمهم، وإجلالهم، والثناء عليهم بما هم عليه من العلم والتقوىٰ، والانتفاع من مذاهبهم واجتهاداتهم وكتبهم، وأَخذُ العلم عنهم دون التعصُّب لهم؛ لأَنَّهم ليسوا معصومين من الخطأ؛ إذ كلُّ عالم يُخطئ ويُصيبُ، والخطأُ مردودٌ علىٰ صاحبه مع بقاء فضله وقدره ما دام مجتهدًا؛ فهم معذورون ومأْجورون، لا يلحقهم ذمٌّ ولا عيب ولا نقص في ذلك.

والمذاهبُ الفقهيَّة الإسلاميَّةُ المعتبرة والمتَّبعة؛ هي ثروةٌ فقهيةٌ ثمينةٌ عظيمةٌ جليلةٌ؛ غزيرةٌ بالعلم، وغنيَّةٌ بالفقه، ومفيدةٌ للعقلِ؛ علينا أَن ندرسَها، ونستفيدَ منها، ومن اجتهاداتها واستنباطاتها القيمة والرائعة، ولا نَتعصَّب لها، ولا نردُّها مجملاً، ونتجنَّب ضعيفها وسقيمها وباطلها، ونأْخذ منها الحقَّ والصَّوابَ علىٰ ضوء الأَدلَّةِ الشَّرعيَّة؛ لأَنَّ هذه المذاهب قد حُرِّرَتْ وحُفظت، وخُدمت أَكثر من أَلف سنة، ودُونَ فيها المؤلفات؛ بأَن قيض الله تعالىٰ لها مجتهدون عظام، وأَئمَّة كرام؛ حفظوها وحرروا مسائلها دون غيرها من المذاهب. وكذلك أَنَّ اجتهادات الأَئمَّة الكرام أَصوب من اجتهادنا لأَنفسنا؛ لأَنهم كانوا أَكثرُ علمًا وتقوىٰ بإجماعُ الأُمَّة.

فيجب علىٰ كلِّ مسلمٍ - يؤمن بالله واليوم الآخر - البُعد عن التعصُّبِ الذميم لمذهب أَو لجماعة، أَو لرجلٍ - حيًّا كان أَو ميِّتًا - وتقديمهم علىٰ النُّصوص الشرعيَّة وإِجماع الأُمَّة؛ فلا ينبغي للمسلم هذا العمل؛ لأَنَّه من خصالِ أَهل الجاهلية! فهو تعصُّبٌ مذمومٌ وباطلٌ، ومحرمٌ بالإجماع(*).

(*) فاعلم أَخي المسلم! أَنَّ أَئمَّةَ الإِسلام قاطبةً، والأَئمَّة المجتهدون؛ جميعهم كانوا ينهونَ عن التقليد الأَعمىٰ بكلِّ أَشكاله وصوره، لأَنَّ التقليدَ من أَحدِ أَهمِّ أَسبابِ ضعفِ المسلمين والتنازعِ بينهم، وذهاب شوكتهم! والخيرُ كلُّ الخيرِ في الوحدةِ والاتِّباع، والرجوع في الخلاف إِلىٰ قول الله تعالىٰ، وقول رسوله ﷺ وإِجماع الأُمَّة، ولذلك لم نَرَىٰ الصَّحابة الكرام - رضي الله عنهم - يقلِّدون أَحدًا منهم بعينه في جميعِ المسائل! وكذلك الأَئمَّةُ الأَربعةُ العظام؛ أَبو حنيفةُ ومالكٌ والشَّافعيُّ وأَحمد - رحمهم الله - لم يأْمرُوا بالتقليد الأَعمىٰ أَبدًا! بل نهوا عن ذلك بكلِّ شدة، ولم يتعصَّبوا هم لآرائهم البتَّة، وكانوا يتركون آرائهم وأَقوالهم لحديث رسول الله ﷺ إِذا ثبت لديهم وصحَ، وكانوا ينقادون له بلا تردُّدٍ، ويتبعونه بكلِّ حذافره، وكانوا ينهون غيرهم عن تقليدهم دون معرفة أَدلَّتهم الشَّرعيَّة، وذلك لأَنَّهم كانوا أَئمَّةُ الهدىٰ، ومصابيحُ الدُّجىٰ، وأَئمةُ الدِّين والعلم والعمل، وكانوا يعلمون مقاصد الشَّريعة الغراء وأُصوله وقواعده حقًّا؛ فلا يليق بهم التعصُّب أَبدًا! لأَنَّ الاجتهادَ منزلةٌ رفيعةٌ جليلةٌ كريمةٌ عزيزةٌ! لا ينالها إِلاَّ مَن أُوتي حظًّا وافرًا من العلم والعمل، والعلم بذاته شرف لأَهله وسعادة؛ ينفي عنهم التعصُّب بكلِّ أَنواعه الذميم، ويُخرجهم منه إِلىٰ الحقِّ المبين، والمنهج القويم، والصِّراط المستقيم، وهدي النَّبيِّ الكريم، ويرفع درجاتهم عند رَبِّ العالمين؛ فيدخُلهم جنَّات النَّعيم، فينالون بالعلم النبويِّ خيريِّ الدُّنيا والآخرة، ولذلك نَرَىٰ أَنَّ جميعَ أَئمَّةِ أَهل السُّنَّة والجماعة قاطبةٌ - رحمهم الله - كانوا يتمسَّكون تمسُّكاً شديدًا بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ وهديه الكريم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ويردُّون كلَّ قولٍ يخالف السُّنَّة، وجميعهم متَّفقون علىٰ منعِ تقليدهم. ومن المفيد - أَخي القارئ - أَنْ نسوقَ بعضَ أَقوالهم في النهي عن التقليد المذموم:

- قال الإمام أَبو حنيفة، رحمه الله: (إِذا صحَّ الحديث فهو مذهبي).

وقال: (لا يحل لأَحد أَن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أَين أَخذناه).

- وقال الإمام مالك، رحمه الله: (إِنما أَنا بشر أَخطئ وأُصيب، فانظروا في رأيي؛ فكلّ ما وافق الكتاب والسُّنَّة فخذوه، وكلُّ ما لم يوافق الكتاب والسُّنَّة فاتركوه).

=

● هل يكون التّقليدُ عذرًا شرعيًّا؟

* ذهبَ جمهورُ أئمَّة أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ إلىٰ جواز التقليد في العقائد والأَحكام للعامي؛ الذي يعجز عن فهمِ الحجَّة، والنظر والاستدلال. ويحرمُ التَّقليد علىٰ العالم، أو طالبِ العلم الذي يستطيعُ النظر والاستدلالَ؛ إذا اجتهدَ وبانَ له الحقُّ في المسأَلة أَن يقلِّدَ غيره، سواءٌ كان ذلك في العقائد أَو الأَحكام؛ لورود الأَدلَّة في ذمِّ التقليد والمقلِّدين.

* واتفقُوا - أيضًا - علىٰ أَنَّ التقليدَ من موانع التكفير؛ لأَنَّ المقلِّدَ جاهلٌ لا يفهم الدليلَ أَو الحجَّةَ، ولا بصيرةَ له ولا فقه؛ فهو معذورٌ حتىٰ تقام عليه الحجَّة ويُعَلَّم؛ حالُه في العذر كحال الجاهل والمتأَوِّل.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - عن موقف الإمام أَحمد - رحمه الله - من ولاة الأَمر الذين قالوا بقول الجهمية: إنَّ القرآن مخلوق، وأَنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرة، وامتحنوا النَّاس علىٰ ذلك، وعاقبوهم إذا لم يجيبوا؛ بل كانوا يُكفِّرونَ مَن لم يوافقُهم:

= ● وقال الإمام الشافعي، رحمه الله: (كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أَهل النقل بخلاف ما قلت؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي).

● وقال الإمام أحمد، رحمه الله: (لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأَوزاعي، ولا الثوري؛ وخذ من حيث أَخذوا).

وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جدًا لا يمكن حصرها؛ لأَنَّهم كانوا أَئمَّة عظام، وكانوا يفقهون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. لذا نرىٰ أَنَّ كثيرًا من أَصحابهم وتلامذتهم نفَّذوا وصاياهم في ترك قولهم المخالف لسُنَّة صحيحة، وقالوا: هذا هو مذهب إمامنا، وإنَّه لو بلغته السُّنَّة لقال بها وعمل؛ فجزاهم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، وجمعنا وإيَّاهم مع الحبيب المصطفى ﷺ في دار الخُلد عند مليكٍ مقتدر، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

(ومع هذا فالإمام أحمد – رحمه الله تعالىٰ – تَرَحَّمَ عليهم، واستغفرَ لهم؛ لعلمه بأَنَّهم لم يُبيَّن لهم أَنَّهم مكذِّبون للرَّسُول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأَوَّلوا فأَخطأُوا، وقلَّدوا مَن قال لهم ذلك)[١].

وقال الإمام ابن القيِّم – رحمه الله – في بيان أَقسام أَهل البدع:

(وأَهلُ البدع موافقون لأَهلِ الإسلام ولكنهم مخالفون في بعض الأُصول كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم! فهؤلاء أَقسام:

* أَحدُها: الجاهل المقلِّد الذي لا بصيرة له؛ فهذا لا يكفَّر ولا يُفسَّقُ، ولا تردُّ شهادتُه؛ إذا لم يكن قادرًا علىٰ تعلُّم الهدىٰ، وحكمه حكمُ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدونَ سبيلاً؛ فأُولئك عسىٰ الله أَن يعفو عنهم وكان الله عفوًّا غفورًا.

* القسم الثاني: المتمكِّن من السؤال وطلب الهداية، ومعرفة الحقِّ، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته، ولذَّته ومعاشه وغير ذلك؛ فهذا مفرِّط مستحقٌّ للوعيد، آثمٌ بترك ما وجبَ عليه من تقوىٰ الله بحسب استطاعته؛ فهذا حكمُهُ حكم أَمثاله من تاركي بعض الواجبات؛ فإن غلبَ ما فيه من البدعة والهوىٰ علىٰ ما فيه من السُّنَّة والهُدىٰ: ردَّت شهادته، وإن غلبَ ما فيه من السُّنَّة والهُدىٰ: قُبلت شهادته.

* القسم الثالث: أَن يسأَل ويطلب، ويتبيَّن له الهُدىٰ، ويتركه تقليدًا، وتعصبًا، أَو بغضًا، أَو معاداةً لأَصحابه؛ فهذا أَقلُّ درجاته: أَن يكون فاسقًا، وتكفيره محلُّ اجتهادٍ وتفصيلٍ...)[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٢٣، ص٣٤٩

(٢) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية»: (الطريق السادس عشر) ص٢٣٣.

«١٢»

«ما يَمْحو الكُفر بعد وقوعه علىٰ المعيَّن !»

فقد أَجمع أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة؛ علىٰ أَنَّ الكُفرَ إذا ثبتَ في حقِّ المعيَّن ووقعَ عليه! لم يمحُه شيءٌ البتَّة! إلاَّ التَّوبةُ الصَّادقةُ النَّاصحةُ الخالصةُ، وبشروطها المعروفة (*)؛ لأَنَّ التَّوبةَ تجبُّ ما قبلها، وتمحُو جميعَ الخطايا والسَّيئات قاطبةً، والتَّائبُ من الذَّنبِ؛ كمَن لا ذنب له! والشِّركُ والكفرُ هما من أَكبرِ الذُّنوبِ علىٰ الإطلاقِ، والتَّوبةُ هي المانعُ الوحيدُ الذي يمنع إطلاقَ اسم الكُفر علىٰ المعيَّن بعد رجوعِهِ عن الكُفر الذي وقعَ فيه؛ بخلاف الموانع السَّابقة التي تمنعُ إلحاق الكُفر به ابتداءً؛ حتىٰ يزول المانع.

والتَّوبةُ من أَحبِّ الأَعمالِ إلىٰ اللهِ – عزَّ وجلَّ – وهي سببٌ للفلاحِ في الدُّنيا، والنَّجاةِ في الآخرة، وقدَ أَمرَ اللهُ تعالىٰ بها عباده المؤْمنينَ، ورغبهم فيها؛ وذلكَ لسعةِ فضلهِ ومنِّه وحلمه ورحمته، ويفرحُ بها – سبحانه – مع غناهُ عنهم أَجمعين، ويقبلها من عباده التَّائبين الصَّادقينَ من جميعِ الذُّنوبِ مهما عظمت! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[١].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(*) انظر شروط التوبة في فصل: «مكفرت الذنوب» ص(٥٩٧) من هذا الكتاب.

فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقبلُ توبةَ العبدِ الصَّادقِ المقبل إليه إقبالاً صادقًا خالصًا من كلِّ قلبه، ويغفرُ جميعَ الذُّنوب والخطايا، والمعاصي، والكُفر، والشِّركِ! وأَنَّ كلَّ مَن تابَ من عباده صادقًا، وأنابَ إلىٰ الله - جلَّ في عُلاهُ - خالصًا في هذه الدُّنيا قبل المماتِ؛ تابَ اللهُ عليه، وغفر له جميع ذنوبه، ولو كانت ذنوبه كالجبالِ الشَّامخاتِ! وليسَ شيءٌ يغفرُ جميع الذُّنوب؛ إلاَّ التَّوبة الصَّادقة الخالصة النصوح، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾(٤).

فالتوبةُ النُّصوح! تذهب السَّيئاتِ وتمحوها - بفضل الله تعالىٰ وعفوه وكرمه - بل تتبدل السَّيئات إلىٰ حسنات، ويجعلها الله تعالىٰ سببًا في

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٣ - ٧٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

دخول الجنَّة التي وعد الله تعالىٰ عباده الصَّالحين، وهذا يدل علىٰ فضل وشرف ومنزلة التوبة الصَّادقة، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾(١) .

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ؛ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »(٢) .

وقالَ ﷺ : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ؛ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ »(٣) .

وقالَ ﷺ : « اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ ؛ سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلاَةٍ »(٤) .

وقالَ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ؛ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ »(٥) .

---

(١) سورة الفرقان، الآيات : ٦٨ - ٧١ .

(٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة » .

(٣) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « قبول توبة القاتل وإن كثر قتلة » .

(٤) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب « التوبة » .

(٥) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب « في التوبة والاستغفار » .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ؛ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**»(١).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فثبتَ بكتابِ الله، وسُنَّة رسُوله ﷺ أَنَّ كلَّ مَن تابَ، تابَ الله عليه. ومعلومٌ أَنَّ مَن سَبَّ الرَّسُولَ من الكفَّارِ المحاربين، وقال: هو ساحرٌ، أَو شاعرٌ، أَو مجنونٌ، أَو معلَّمٌ، أَو مفتر، وتاب تابَ الله عليه. وقد كان طائفة يسبُّون النبيَّ ﷺ من أَهل الحرب؛ ثمَّ أَسلمُوا، وحَسُنَ إِسلامُهم، وقبِل النَّبيُّ ﷺ منهم: منهم أَبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمِّ النَّبيِّ ﷺ، وعبد الله بن سعد بن أَبي السرح، وكان قد ارتدَّ، وكان يكذبُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، ويقول: أَنا كُنتُ أُعَلِّمُه القُرآن؛ ثمَّ تاب، وأَسلم، وبايعه النَّبيُّ ﷺ على ذلك)(٢).

إِذن! مَن وقع في الكفرِ أَو الرِّدَّةِ؛ ثمَّ تابَ إِلىٰ اللهِ تعالىٰ صادقًا، وأَتىٰ

---

(١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب «قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة».

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٢٩١.

للإسلام مخلصًا، وعملَ لله تعالىٰ خالصًا؛ تابَ اللهُ تعالىٰ عليه، وبدل سيئاته حسنات؛ كما وعد الله تعالىٰ وهو لا يخلف الميعاد، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾[1].

فليبشر التَّائبُ من الكفر أَو الرِّدَّةِ بالخير والسَّعادة؛ لأَنَّ دخولَهُ الإسلامَ صادقًا؛ يجبُّ ما قبله ويهدمه؛ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لعمرو بن العاص، رضي الله عنه: « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ »[2].

ولا ينبغي للعبدِ أَن يشكَّ في ذلك البتَّة، وقد صرح أَئمَّة الإسلام بأَنَّ التوبةَ من الكفرِ مقبولة قطعًا؛ بخلافِ التوبة من المعاصي.

قالَ الإمامُ النَّوويُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(تَوبَة الكافِر من كُفْره مَقطُوع بقَبولها، وما سِواها من أَنواع التَّوبة هل قَبُولها مَقطُوع بِهِ أَمْ مَظْنُون؟ فيهِ خلاف لأَهلِ السُّنَّةِ، واختارَ إِمام الحرمينِ أَنَّهُ مَظْنُون، وهو الأَصحُّ، واللهُ أَعلم)[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ٨٦ - ٩٠.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب « كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ».

(٣) « شرح صحيح المسلم » ج١، ص٣٧٣.

وقالَ الحافظُ العراقي، رحمهُ اللهُ: (التوبة تكفر المعاصي الكبائر، وهو مجمع عليه؛ لكن هل تكفيرها قطعي أو ظني؟ أمَّا في التوبة من الكفر؛ فهو قطعي، وأمَّا في غيره من الكبائر فللمتكلمين من أهل السُّنَّة فيه خلاف. قال النووي: والأقوىٰ أنَّهُ ظنيٌ)[١].

فيجبُ علىٰ التَّائبُ الصَّادقُ! أن يقبلَ علىٰ اللهِ تعالىٰ بإخلاصٍ، ويشغلَ نفسه بطاعته، ويحُسن ظنَّ بربِّه الكريم، ويعلمَ أنَّهُ - سبحانهُ - يقبلُ التَّائبين بجميع ذنوبهم، ويكرم الطَّائعين بغير حساب، ويحبُّ المستغفرين، ويفرح بالعائدين الصَّادقين؛ فيقرِّبهم، ويدنيهم، ويسعدهم في الدَّارين، ويفتح عليهم أبواب الخير، وينور قلوبهم بالإيمان، ويحبِّب إليهم ذكره وطاعته.

فاحرص - أخي التَّائب - أن تكون من هؤلاء العائدين الصَّادقينَ المتقين، ولا تصغ إلىٰ وسوسة الشَّيطان؛ فإنَّهُ عدوكَ الأوَّلُ! ووظفته الأكبر تنفيرُ العبادِ من التَّوبة، وتقنيطهم منها! حتىٰ يستمر العبد في غيه وضلاله، ويقول له: كيف يقبل الله منك، وقد فعلت كذا وكذا! ولِمَ تضيق علىٰ نفسك وأنت مطرودٌ علىٰ كلِّ حالٍ؟ وهذا والله! من كذبه وتلبيسه وإضلاله؛ فإنَّ اللهَ - جلَّ في عُلاه - أرحم الرَّاحمين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

---

(١) «طرح التثريب» ج٨، ص٤٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

وأمَّا مَن ماتَ علىٰ الكُفر! ولم يتب منه؛ فقد استحقَّ الوعيدَ والخلودَ في النَّار إلىٰ أبد الآبدين، وتحقَّقَ فيه قولُ اللهِ تباركَ وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(٦).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الجن، الآية: ٢٣.

نواقض الإيمان

فقد علمنا فيما سبقَ - من هذا الكتاب - مضمونَ الإيمانِ عند أَهل السُّنَّة والجماعة: تعريفَه، حقيقتَه، شروطَه، أَركانَه، مراتبَه، درجاتِه، ثمراتِه، نِعَمَه، صفاتِ أَهله، وخوارِمَهُ بالكبائر والذُّنوب.

وعرفنا كلَّ ذلك على النَّحوِ الذي بيَّنه اللهُ - تبارك وتعالىٰ - لنا في كتابِه العزيز، وبيَّنه رسوله الأَمين محمَّد ﷺ في سُنَّته المطهَّرة، ومن خلال أَقوال أئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة، وفهمهم للإيمان ومسائله.

وتبيَّنَ لنا أَنَّ الإيمانَ ليسَ مجرَّد تصديقٍ بالقلب، أَو اللِّسانِ، أَو إِظهارِ الإيمان وادعائِه؛ بل إِنَّ للإيمان لوازِمَ يُلزم بها صاحبُه، وشُرُوطًا وأَركانًا، ومقتضياتٍ يقتضيها؛ لا يتحقَّق الإيمانُ، ولا يصحُّ إِلاَّ بها.

فتبيَّنَ لنا - أَيضًا - من هذا الفهم الصَّحيح للإيمان:

أَنَّ الملتزمينَ العاملينَ الصَّادقينَ بأَوامر اللهِ - تبارك وتعالىٰ - والمتباعدين عن نواهيه؛ هم الصَّادقون حقًّا وصدقًا في دعوىٰ الإيمان.

والسَّعيدُ مَن تمسَّكَ وعَملَ بهذا الإيمان؛ الذي كان يؤمن به النَّبِيُّ ﷺ وأَصحابه، والتَّابعون، ومَن تبعهم بإِخلاصٍ وصدقٍ وإِحسان.

والشقيُّ مَن صُرِفَ عن هذا الإيمانِ، وتركَ العمل بمقتضياته، أَو تركَ بعضَه، أَو تهاونَ فيه؛ بمداخلِ الشَّيطان وخُطواته؛ من جهلٍ، وتأْويلٍ،

وشُبهة، واتِّباعٍ للهوىٰ؛ فهو في حقيقةِ الأمرِ من الكاذبينَ، والغاشِّين لأنفسهم لا غير، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١).

فإذا تبيَّنَت لنا حقيقةُ الإيمان علىٰ النَّحوِ الذي رضيَه لنا ربُّنا - جلَّ جلاله وتقدَّستْ أسماؤه - وجبَ علينا أن نعرفَ أنَّ هذه الحقيقةَ لها نواقضُ تنقُضُ عُراها، عروةً عروةً؛ حتىٰ تُعرِّي صاحبها منها!

فالعبدُ المسلمُ قد يُتَّصَفُ بحقيقة الإيمان! كما بيَّنها أَهلُ السُّنَّة والجماعة، ولكن قد يَطرأُ عليه اعتقادٌ، أَو قولٌ، أَو عملٌ، أَو شكٌّ؛ يُخرجه من حقيقةِ الإيمان إلىٰ دائرة الكُفر، وهو لا يشعُرُ!!.

ونواقضُ الإيمان الاعتقاديَّةُ والقوليَّةُ والعمليَّةُ التي يُكَفَّر بها صاحبُها؛ كثيرةٌ جدًّا لا يمكن حصرُها هنا في هذا الكتاب، ولذلك سأُوردُ أُصولَ هذه النَّواقِضِ، وبعضَ الأمثلة عليها (*).

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(*) ومن شاء البسط في معرفة أدلّة نواقض الإيمان أكثر؛ فعليه الرجوع إلىٰ مصادرها في كُتب عقيدة أهلِ السُّنَّة والجماعة، وهي كثيرةٌ ومتوفِّرةٌ - ولله الحمد والمنَّة - وقد ذكرتُ بعضها في نهاية هذا الكتاب.

● **معرفةٌ مهمةٌ وضروريةٌ لا بُدَّ منها!:**

اعلم - أَخي الموحِّد - علَّمنا الله تعالىٰ وإيَّاك الإيمانَ الخالص:

أَنَّ الإيمانَ - عند أَهلُ السُّنَّة والجماعة - كما علمنا ممَّا سبق:

* اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيد بالطَّاعات، وينقص بالمعاصي، ويقبل التَّجزِئَةَ والتَّبعيضَ من حيث العمل به، والقيام بواجباته، وبقليله يُخرج الله تعالىٰ من النَّار من دخلها؛ فمرتكب الكبيرة - عندهم - لا يخرج من الإيمان؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، وفاسقٌ بكبيرته، وفي الآخرة تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ إنْ شاءَ غفرَ لَهُ، وإنْ شاءَ عذَّبَهُ.

* أَمَّا الإيمان من حيث الاعتقاد به، وقبوله، والتَّسليم له؛ كما جاء من عند الله تعالىٰ في النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ؛ فهو حقيقةٌ شرعيَّةٌ ثابتةٌ؛ متركبةٌ من أَجراءٍ يلازم بعضها بعضًا، ولا ينفصلُ واحدٌ منها عن باقيها، وكُليَّةٌ بأَركانها ومُسمَّاها لا يمكنُ أَن يتحققَ معناها إلاَّ باتصال بعضها ببعضٍ، ولا تقبَلُ التَّغيرَ والتَّقسيمَ والتَّجزِئَةَ والتَّبعيضَ، ولا التَّفرقةَ بينَ أَركانها وعناصرها، ولا تقبلُ الزِّيادةَ والنُّقصانَ، وهو وحدةٌ مترابطةٌ أَشدُّ التَّرابط، وتندَرِجُ تحتها أَجزاءٌ وفروعٌ كثيرةٌ، وهذه الأَجزاءُ متلازمةٌ شرعًا؛ بحيث إذا انتفىٰ جزء منها لزم انتفاء بقية أَجزائها، ولزم بالتالي انتفاء حقيقته؛ فيجب الإيمانُ بجميع أَركانها وأَجزائها ومسائلها جملةً واحدةً؛ كما جاء من عند الله تعالىٰ، فآمن به رَسُوله الأَمين ﷺ وأَصحابه الكرام - رضي الله عنهم - فمن آمن بمثل إيمانهم فهو مؤمنٌ، ومن آمن ببعضه وكفر ببعضه؛ فهو كافر.

أَي: أَنَّ الإيمانُ باللهِ تعالىٰ يقتضي الإيمان بالملائكةِ والكُتبِ والرُّسُلِ واليومِ الآخرِ؛ فمَن آمنَ بأَصلٍ، وكفرَ بآخرٍ؛ فهو كافرٌ، والتَّكذيبُ بجزئيةٍ

من جزئياتِهِ يَعدُّ كفرًا؛ فالمكذب برسُولٍ واحدٍ؛ تنتفي عنه حقيقة الإيمان من أَساسها، ويجب الحكم عليه شرعًا؛ بأَنَّهُ لا يؤْمنُ بالله تعالىٰ، ولا بالملائكة، ولا بالكتب، وبالرُّسُلِ، ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر! وان زعمَ أَنَّهُ يؤْمنُ بذلكَ؛ فزعمه باطلٌ مردودٌ عليه شرعًا؛ لأَنَّ حقيقةَ الإيمانِ لا تقبل التجزئة البتَّة! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

فالإيمانُ لا يتمُّ ولا يصحُّ ولا يُقبل عند الله تعالىٰ إلاَّ بالتَّصديقِ بجميع ما جاء بهِ الرَّسُولُ ﷺ من دين الإسلام وبجميع مفرداته واعتقادُ ذلكَ؛ لأنَّ جميعَ أَركانه مع فروعها؛ وحدةٌ متماسكةٌ تماسكًا تامًا! فإنَّ الإخلالَ بجزءٍ من أَجزائها يفقدها كيانها؛ فلا بُدَّ من الإيمانِ بكلِّ حقيقتها،

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٢.

والاعتقاد بكلِّ جزءٍ من أَجزائها؛ فمَن أَخلَّ بواحدٍ من أَجزاء هذه الوحدة الاعتقادية المتكاملة؛ فقد نزل عن أَدنىٰ مراتب الإيمان، ومن نزل عن أَدناه؛ فقد كفر، أَو مَن أَنكر شيئًا مما يجب الإيمان به يُسمَّىٰ كافرًا؛ فإنكارُ أَيِّ فرعٍ من فروع الإيمان، أَو جزءٍ من أَجزائها، أَو مسأَلةٍ من مسائلِهَا؛ هو كُفرٌ ببقيَّةِ الفروع والمسائل، وخروجٌ من دائرةِ الإيمان إلىٰ حظيرة الكُفر؛ إذا وجِدَت الشُّروط، وانتفَتِ الموانعُ، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2].

ففي هذه النُّصوصِ - وغيرُها كثيرة - دلالةٌ واضحةٌ وصريحةٌ علىٰ أَنَّ الإيمانَ والالتزامَ يجبُ أَن يكونَ كليًّا غيرَ منقوصٍ، والإيمانُ لا يقبل التجزئةَ في عناصرِه، وأَركانِه، ومسمَّاه.

والإيمان يَنتقِضُ بانتقاض عنصرٍ واحدٍ من عناصره؛ فمَن طعن في مسأَلةٍ جزئيةٍ من مسائله، أَو استحلَّ المعصية، أَو اعترض علىٰ أَيِّ شَعيرةٍ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ - ١٥١.

من شعائر الإسلام؛ كأنَّما طعنَ في الإيمان كلِّه؛ إذا كانَ ذلك عن غير شبهة ولا تأْويل، وانتفتِ الموانعُ، ووجدت الشُّروط.

فالإيمانُ ليس أَجزاءَ مفرَّقةً مُبَعْثَرةً نستطيعُ أَن نأْخذَ من أَركانها وعناصرها ما نشاء، ونترك ما نشاء، ثمَّ نبقىٰ في دائرة الإيمان!

فإنَّ مَن قال قولاً، أَو فعلَ فعلاً، أَو اعتقد أَمرًا؛ يدلُّ علىٰ إنكار شيءٍ من عناصر الإيمان، أَو أجزائه، أَو أَركانه؛ فقد نقضَ إيمانَه، وخرجَ من دائرة الإسلام، وتُطبَقُ عليه أَحكامُ الرِّدَّة، ولو أَتَىٰ ببعض أَجزاء الإيمان – مع وجود الشُّروط وانتفاء الموانع – وإذا لم يَتُبْ قبلَ الموت؛ يكون من المخلَّدين في النَّار – والعياذُ بالله – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾**[2].

وقالَ تعالىٰ: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾**[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

نواقض الإيمان وأنواعها

فاعلم أَخي المسلم العزيز: أَنَّهُ من الواجبِ علىٰ المسلم الصَّادقِ! أَن يحافظَ علىٰ نعمةِ الإيمانِ الَّتي أَنعمَ اللهُ تعالىٰ عليه، وأَن يبتعدَ عن كلِّ ما من شأْنِهِ أَن ينقصَ إِيمانه، أَو يخدشه فضلاً عمَّا يبطلَهُ وينقضَهُ، وأَوَّل ما يجبُ عليه أَن يبتعدَ عنه؛ هو أَن لا تتناقضَ معتقداته وتصوراته وأَقواله وأَفعاله مع إِيمانه وذلك حفاظًا عليه؛ لأَنَّ الإيمانَ هو أَغلىٰ وأَنفس ما يملكهُ، وما يوصف به العبدُ؛ فإِنَّما يشرف بوصفه بالإيمان، ويعلو به في الدَّارين، وبينما يكون مهينًا إذا سُلِبَ عنه وصف الإيمان! مهينًا عند الله – جلَّ في عُلاه – ومهينًا عند خلقه؛ فإذا فقد الإيمان! فقد خسرَ خُسرانًا مبينًا.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

فإذا علمنا هذا! وجبَ علينا – إِنْ كنا صادقين في عقيدتنا مع لقاء ربِّه جلَّ وعلا – أَن نعلَمَ أَنَّ هذه النواقضَ أَعظمُ الذُّنوبِ علىٰ الإطلاق؛ فمَن ارتكبَ ناقضًا من تلك النَّواقضِ، أَو وقعَ فيها؛ فإِنَّها تنقُضُ إِيمانَه وتهدِمُه؛ لأَنَّه لا يبقىٰ إِيمانٌ مع وجودِ أَحدِ هذهِ النواقض البتَّه؛ فهي تُحْبِطُ جميعَ الأَعمالِ الصَّالحة، وتُخرِجِ صاحِبَها من دائرةِ الإيمان والإسلامِ وملَّته إِلىٰ حظيرةِ الكفر وملَّته، وإِنَّ الله تعالىٰ لا يغفرُ لمن مات عليها؛ بل صاحبها

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥.

خالدٌ مخلَّدٌ في نارِ جهنَّم إلىٰ أبَدِ الآبدِين – والعياذُ بالله – قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾(٣).

وهذه النواقض هي: اعتقاداتٌ، أَو أَقوالٌ، أَو أفعالٌ تُزيل الإيمان وتفسده وتهدمه وتبطله؛ بشروطٍ وضوابطٍ، ونظرًا لخطورةِ هذه النواقض؛ فإِنَّهُ يتعينُ علينا العلم بها، ومعرفة أنواعها؛ مخافة الوقوع فيها.

قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَليلُ؛ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي!»(٤)(*).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٦.
(٣) سورة محمد ﷺ، الآية: ٣٤.
(٤) رواه البخاري في (كتاب المناقب) باب «علاماتِ النُّبوَّةِ في الإسلام».

(*) قالَ الإمامُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ: (قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الانعام: ٥٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ [النساء: ١١٥]. واللهُ تعالىٰ قد بيَّنَ =

فالكلامُ عن نواقضِ الإيمانِ: هي من بابِ معرفةِ الشَّرِّ والتَّوقِ منه! ومعرفة سبيلِ المجرمينَ والبعدُ عنه، وعن مصيرهم الحتم الوخيم؛ فهي إذًا! من أَهمِّ المعلوماتِ التي يجب أَن يعرفها كلُّ مسلم - مهما كان جهله - حتَّىٰ يعرف كيف ينجو من مواضع الخطر الجسيم؛ أَلاَ وهي الخروج من ملَّةِ الإسلامِ، وتجنب دخول حظيرة الكفر!

وكما أَنَّ هذه النَّواقض في دنيا المسلمين اليوم! قد عمَّت وطمَّت الكثير من بلادهم؛ حتىٰ أَصبحت أَمرًا مأْلوفًا بينهم! بل سُميت أَكثر تلك النواقض بأَسماءٍ محبَّبَةٍ للنُّفوسِ؛ تضليلاً للعبادِ!

= فى كتابه سبيلَ المؤمنينَ مفصَّلةً، وسبيلَ المجرمين مفصَّلةً، وعاقبةَ هؤلاءِ مفصَّلةً، وعاقبة هؤلاءِ مفصَّلةً، وأَعمال هؤلاءِ وأَعمال هؤلاء، وأَولياء هؤلاء وأَولياء هؤلاء، وخذلانَه لهؤلاء وتوفيقَه لهؤلاءِ، والأَسبابَ التى وفَّقَ بها هؤلاءِ، والأَسبابَ التى خذلَ بها هؤلاء، وجلَّىٰ سبحانه الأَمرين في كتابه، وكشفَهُما وأَوضحَهُما وبيَّنهما غايةَ البيانِ؛ حتىٰ شاهدتْهما البصائرُ كمشاهدةِ الأَبصار للضياءِ والظلام. فالعالمونَ باللهِ وكتابه ودينه عرَفوا سبيلَ المؤمنينَ معرفةً تفصيليةً، وسبيلَ المجرمين معرفةً تفصيليةً؛ فاستبانتْ لهم السبيلان كما يستبينُ للسالكِ الطريقُ الموصلُ إلىٰ مقصوده والطريقُ الموصلُ إلىٰ الهلكةِ؛ فهؤلاءِ أَعلمُ الخلقِ وأَنفعهم للنَّاس وأَنصحهم لهم، وهم الأَدِلَّاءُ الهداةُ... وأَمَّا مَن جاءَ بعدَ الصَّحابةِ؛ فمنهُم مَن نشأَ فى الاسلام غيرَ عالم تفصيلَ ضدِّهِ، فالتبس عليه بعضُ تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ فإنَّ اللَّبْسَ إنَّما يقعُ إذا ضَعُفَ العلمُ بالسبيلين أَو أَحدهما؛ كما قالَ عمرُ بن الخطَّابِ: إنَّما تُنقَضُ عُرىٰ الإسلام عُروةً عُروةً! إذا نشأَ فى الإسلامِ مَن لم يعرفِ الجاهليَّةَ. وهذا من كمال علم عمرَ - رضي اللهُ عنه - فإنَّهُ إذا لم يعرفِ الجاهليَّةَ وحكمها، وهو كلُّ ما خالفَ ما جاءَ به الرَّسُولُ ﷺ فإنَّهُ من الجاهليَّةِ؛ فإنَّها منسوبةٌ إلىٰ الجهلِ، وكلُّ ما خالفَ الرَّسُولَ ﷺ فهو من الجهلِ؛ فمن لم يعرفْ سبيل المجرمينَ، ولم تستبنْ لَهُ، أَوشكَ أَن يظنَّ فى بعض سبيلهم إنَّها من سبيلِ المؤمنينَ؛ كما وقعَ فى هذه الأُمَّةِ من أُمورٍ كثيرةٍ في باب الاعتقاد والعلم والعمل) «الفوائد» ص٢٥٥. دار ابن خزيمة.
وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» ج١٠، ص٣٠١ - ٣٠٢.

ولخطورة هذه النواقض؛ وجبَ علينا معرفتُها، والعلمُ بها، والفقه في مسائلها وأَجزائها، وبدقائق أُمورها، ومعرفة أَنواعها وأَشكالها وحالاتها.

وهذه النَّواقضُ لا يمكن فهما واستيعابُ أَحكامها! إلاَّ بفهمٍ صحيحٍ للإيمان؛ لأَنَّ النَّاقضُ هو حل، وحلُّ الشيءِ لا يكون إلاَّ بتصور ذلك الشيء؛ فمن لم يفهم الإيمان فهمًا صحيحًا علىٰ طريق أَهل السُّنَّة والجماعة! فإنَّ كلامه في النَّواقضِ، أَو حكمه فيه؛ يكون أَبعد عن الصَّواب؛ لأَنَّ حكمه في المسأَلةِ يكون من دونِ فقهٍ سديدٍ! فلذا حصل الخلل عند كثيرين ممن تكلموا في هذه المسأَلة الخطيرة بغير علمٍ صحيح؛ لأَنَّ علم هذه المسأَلة من العلوم الدقيقة، وهي من المباحثُ الفقهية العظيمة! التي بحثها الفقهاء في باب خاص بها، وسمَّوها: «باب حكم المرتد».

والذي يتكلم بهذه المسأَلة العظيمة! دون معرفة لغةِ العلماء لا يمكنه أَن يفهم معاني كلامهم، ولا مصطلحاتهم العلمية الدقيقة فهمًا صحيحًا يعينه في تزيل الحكم! لأَنَّ لغتهم الفقهية - التي هي لغةٌ محكَّمةٌ - لا يفهمها إلاَّ الذي تدرج بهذا العلم عن طريقهم؛ فمن قرأَها بلغة المثقفين والصحفيين أَتىٰ بعجبٍ! وحكمَ علىٰ أَساسِ فهمه للمسأَلةِ، لا علىٰ أَساسِ فهم المسأَلة بقواعدها وضوابطها الشَّرعيَّة الحكيمة! وحتَّىٰ لو فهم أَنَّ أَحدهم فهمَ الإيمانَ فهمًا صحيحًا؛ لا يعني هذا أَنَّهُ تمكن من إنزال الحكم في المسأَلةِ؛ لأَن إنزال الحكم غير معرفة الأَحكام! تحتاج إلىٰ علم أَخرٍ أَعمقٍ؛ له ضوابطها وشروطها وموانعها؛ فهذا العلمَ لا يعلمه إلاَّ أَهل العلم المتمكنين؛ لأَنَّ إنزال الحكم في النَّوازل، أَو علىٰ معيَّن من أَصعب العلوم! الذي تحتاج إلىٰ فقهٍ دقيقٍ، وعلمٍ جليلٍ.

وأمَّا نواقضُ الإيمان: فهي مفسداته ومبطلاته ومحبطاته؛ فالإيمان ينتقض بالرِّدَّةِ؛ كما ينتقضُ الوضوء بالحدثِ.

والنَّواقضُ: هي تلكَ الأعمال القلبية، أو المتعلقة بالجوارح، أي: تقَعُ؛ بالاعتقاد والقول والعمل التي ثبت بالأَدلَّةِ الشَّرعيَّةِ، والتي تهدمُ أركانَ الإيمانِ وتنقُضُ عُرَاه، أي: أنَّها تنقضُ دين المسلمِ، وتنقله من ملَّةِ الإسلامِ إلىٰ ملَّةِ الكفرِ، أي: إلىٰ الكفر بعد الإيمان! والعياذُ باللهِ.

ومَن أتىٰ بناقضٍ من نواقضِ الإيمانِ؛ المجمع عليه عند أئمَّةِ أهل السُّنَّةِ والجماعة؛ فهو مرتدٌّ كافرٌ! يُدعىٰ إلىٰ الإسلامِ؛ فإنْ أبىٰ! يُقتل ردَّةً؛ لأَنَّ المرتد - كما عرَّفه العلماء - هو الذي يكفر بعد إسلامه؛ باعتقادٍ، أو شكٍّ، أو قولٍ، أو عملٍ؛ إذن نواقض الإيمان من حيث التقسيم العام أربعة أنواعٍ: إعتقادٌ، وشكٌّ، وقولٌ، وعملٌ.

* فالاعتقادُ: هو الكفرُ الذي يقع باعتقاد القلبي؛ مثل الإباء، والإعراض، والاستحلال، وما شابه ذلك.

* والشَّكُّ: هو ضدُّ اليقين المنافي للتصديق الجازم الذي لا ريب فيه، والإيمان هو التَّصديق الذي لا ريب فيه ولا تردد؛ فإذا شكَّ العبدُ أصبح عنده ريبٌ أو تردد؛ فهذا ليس بمؤمن.

* والقولُ: هو الذي يُدخل العبد في الإيمان، وذلك بنطقِ قولٍ واضحٍ بينٍ، وهو لفظُ الشَّهادتين، وكذلك يخرج العبد من الإيمان بقولٍ واضحٍ وبينٍ؛ الذي ينقضُ أصلَ الإيمان.

* والعملُ: هو الذي ينقض به الإيمان، ويكون مخالفًا لأصله، أو

يكون العمل مخالفًا لما يجب عليه من العمل الظَّاهرِ الذي فيه تعظيم الرَّبِّ - جلَّ في عُلاه - وإفراده بأُلوهيته، وما شابه ذلك.

فنواقض الإيمان ترجع إلىٰ نواقض اعتقادية منها ناقض الشَّكِّ، أَو نواقض قولية، أَو نواقض عملية، ومنهجُ أَهل السُّنَّة والجماعة؛ وسطٌ في تحديدِ هذه النَّواقض:

* بينَ الغالي الذي تشدَّدَ في هذه النَّواقض، وأَدخلَ فيها ما ليس منها.

* وبين الجافي الذي تساهلَ في أَمر هذه النَّواقضِ، وجعلَها مجرد محرماتٍ، أَو كبائر؛ لا تُخرِجُ صاحبها من الإسلام.

ويمكنُ حصرُ هذه النَّواقِضِ، وتلخيصُها في النِّقاطِ التَّاليَّة:

١- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في ربوبيَّته.

٢- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أُلوهيَّته.

٣- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أَسمائه وصفاته.

٤- نواقضُ عمومِ الدِّين.

١- نواقضُ توحيدِ اللهِ تعالىٰ في ربوبيَّته :

● **توحيدُ الرُّبوبيَّة [١] :**

(هو الإقرار بأنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - رَبُّ كلِّ شيءٍ ومالِكُه وخالِقُه ورازِقُه، وأنَّه هو المحيي والمميتُ النَّافعُ الضَّارُّ المتفرِّدُ بإجابة الدُّعاءِ عند الاضطرار؛ الذي له الأَمرُ كلُّه، وبيده الخيرُ كلُّه؛ القادر علىٰ كلِّ شيءٍ، ليسَ لَهُ في ذلك شريك) [٢] .

أَي : الاعتقادُ الجازمُ والإقرارُ التَّامُّ؛ بأَنَّ اللهَ تعالىٰ وَحْدَهُ رَبُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ، لا شريكَ لَهُ، هو الخالقُ، وهو مدبِّرُ العالَم، والمتصرِّفُ فيه، والقادر عليه، وأَنَّه خالقُ العِباد، ورازِقُهُم، ومحييهم، ومميتهم، ولا مُعَقِّبَ لحُكمِه، ما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكن، وكلُّ مَن في السَّموات والأَرض عبدٌ له وفي قبضته، وتحت قهره - سبحانه وتعالىٰ - والإيمانُ بقضاء اللهِ وقَدَرِه، وبوحدانيَّته في ذاته، وخُلاصَتُهُ هو :

« **توحيدُ اللهِ تعالىٰ بأَفعاله** » .

إذن! فكلُّ اعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو فعلٍ؛ يصدر من عبدٍ مخلوقٍ! فيه إنكارٌ لفعلٍ من أَفعالِ اللهِ تعالىٰ، وهي من خصائِصِ ربوبيَّة اللهِ - جلَّ في عُلاه - أَو بعضِهَا؛ فهي كفرٌ ورِدَّة بالإجماع!

كوصفِ أَحدٌ من الخلقِ بأَيِّ صفةٍ من صفاتِ اللهِ تعالىٰ الذاتية، أَو الفعلية المختصة به سبحانه؛ كالخلقِ، أَو الرِّزقِ، أَو علمِ الغيبِ، أَو التَّصرفِ

---

(١) انظر : (توحيد الربوبية) : ص (٢٤١) من هذه الكتاب .

(٢) « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب؛ ص ٢٥ .

في الكونِ؛ حتَّىٰ لو أثبت هذه الصِّفاتِ لله تعالىٰ، وكذلكَ إنكارِ الخلقِ للخالقِ - سبحانه وتعالىٰ - أي: إنكارٌ لوجودِ الخالق الصَّانع الرَّازق المحيي المميت، أو إسناد الخلقِ إلىٰ غيرِ الله تعالىٰ؛ كالقولِ بأنَّ الكونَ خُلِقَ صدفةً، أو أنَّ الطبيعةَ هيَ الخالقة، والقول بقدم العالم، أو ادِّعاء شيءٍ من هذه الخصائِصِ لأحدٍ من خَلْقِهِ؛ كادِّعاءِ الرُّبوبيَّةِ، كما ادعىٰ فرعون ذلكَ:

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾(١)(*).

أو ادِّعاءُ خالقٍ مشارِكٍ لله - سبحانه وتعالىٰ - في الخلق والإيجاد والتدبير، أو إسناد إليه خصائص ربوبية الله تعالىٰ، وإن لم يكن مساويًا له من كلِّ وجه، أو ادِّعاءُ المُلْك، أو الرِّزق، أو التَّصرفُ من دون الله تعالىٰ، أو أن تؤخذَ أحكام الدِّين في عبادة اللهِ تعالىٰ والتحليل والتحريم عن غيره، أو الادِّعاء بأنَّ اللهَ تعالىٰ قد خلقَ الخلقَ وأهملهم، وغيرها من الأُمورِ التي هي من أفعال الله تعالىٰ وخصائِصِه سبحانه، ويَكْفُرُ كلُّ مَن يُصدِّقُ بهذه الدَّعوىٰ، أو يؤمن بها، ومَن مات! وقد وقعَ في شيءٍ من ذلكَ؛ فقد ماتَ علىٰ الشِّركِ والعياذُ بالله، وهو شركُ الرُّبوبيَّة، ودخلَ تحتَ قولِ اللهِ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(٢).

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤. (٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(*) فماذا كانَ حالهُ في أحضانِ الموج وقد أدركهُ الغرق؟! قال الله تعالىٰ وصفًا لحاله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] فأغرقه الله تعالىٰ إمعانًا في إبطال دعواه؛ إذ كيف يغرق الرَّبُّ في ملكه الذي يُسيِّره؟! الله أكبر! ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3].

لأَنَّ اللَّهَ - جلَّ في عُلاه - جعل التَّوحيد الخالص، وعدم الشِّرك في عبادته؛ شرطًا لرضوانه، ودخولِ جنَّته؛ جنَّةَ النَّعيم، فقالَ تعالىٰ:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[4].

والشِّركُ باللهِ تعالىٰ أعظمُ الذُّنوبِ إطلاقًا وأقبحهُ؛ لأَنَّهُ تشبيهُ المخلوقِ العاجز المحتاج الفقير الحقير؛ بالخالقِ العظيم القادر الجبار القهار المتكبر؛ الغنيِّ في جميع خصائصه، وهذا من أقبح التَّشبيه؛ لأنَّهُ ظلمٌ عظيمٌ في حقِّ ربِّ العالمين وملكه - جلَّ في عُلاه - قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٣.

ومن الأَمثلة علىٰ الشِّرك في توحيد الرُّبوبيَّة:

• الاعتقادُ: بأَنَّ لله تعالىٰ شريكًا في الخَلْق، والرِّزق، والإحياء، والإماتة، والتَّدبير. أَو شرك النَّصارىٰ الذين يقولون: الله ثالث ثلاثة.

• الاعتقادُ: بأَنَّ الأَولياء لَهم تصرُّفٌ في الكون مع الله تعالىٰ. أَو أَنَّ أَرواح الأَموات تتصرف بعد الموت.

• اعتقادُ: تأْثير وتصرُّف غير الله تعالىٰ؛ من الأَبراج، والكواكب، ومساراتها، ومواقعها علىٰ حياةِ النَّاس.

• اعتقادُ أَنَّ الاستسقاء بالنجوم مصدر السُّقيا، وإنَّها تنزل الغيث بدون مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ.

• الاعتقادُ: بأَنَّ المخلوقَ يمكنُهُ أَن يَرزُقَ المخلوقَ، أَو يمنَعَ عنه الرِّزقَ، أَو يمكنه أَن يَضُرَّ، أَو ينفَعَ من دونِ الله تعالىٰ.

• الاعتقادُ: بأَنَّ أَحدًا من دونِ الله تعالىٰ يعلمُ الغيب.

• اعتقادُ: حلولِ الله تعالىٰ في خلقه، أَو أَنَّ الله في كلِّ مكان.

• الاعتقادُ: بأَنَّ الشِّفاءَ من الطَّبيبِ، أَو من الدَّواء، أَو اعتقادُ التَّوفيق في حياة العبد من ذكائه، أَو جُهْدِهِ واجتهادِهِ من دون الله تعالىٰ، أَو أَنَّ الإنسان يخلق أَفعاله.

• الاعتقادُ: بأَنَّ للمخلوقِ حقًّا في سَنِّ القوانينِ وتشريعِهَا، وهي تلك النُّظُمُ التي تحكُمُ في أَموالِ النَّاسِ وأَعراضِهِم.

وغيرُها من الاعتقاداتِ التي تُناقِضُ الإيمانَ وتُبطلُه.

٢- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أُلوهيَّته:

توحيدُ الأُلوهيَّة [١]: هو إفرادُ اللهِ تعالىٰ بأَفْعَالِ العِبَادِ.

ويُسَمَّىٰ أيضًا: «توحيدُ العبادة» ومعناهُ الاعتقادُ الجازمُ والإيمان التَّامُّ؛ بأَنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - هو الإلهُ الحقُّ ولا إلهَ غيره، وكلُّ معبودٍ سواهُ باطلٌ، وإفرادُه تعالىٰ بالعبادةِ والخضوعِ والطَّاعةِ المطلقة، وأَن لا يُشركَ بهِ أَحدٌ كائنًا مَن كان، ولا يُصْرَفُ شيءٌ من العبادةِ لغيرِهِ تعالىٰ؛ كالصَّلاة، والصِّيام، والزَّكاة، والحجِّ، والدُّعاء، والاستعانة، والنَّذر، والذَّبح، والتَّوكُّل، والخوف والرَّجاء والحُبِّ، والإنابة، والخشية، والتَّذلُّل، وغيرها من أَنواع العبادة الظَّاهرة والباطنة، وأَن يُعْبَدَ اللهُ بالحُبِّ والخوفِ والرَّجاءِ جميعًا، وعبادتُه ببعضها دونَ بعضٍ ضلال، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[١].

وكانت دعوةُ جميعِ الأَنبياءِ والرُّسُلِ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - إلىٰ توحيد العبادة، وكان أَوَّلُ ما يدعون إليه هي عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءةِ من الشِّرك بجميع أَنواعِهِ، وأَلوانِهِ، وصُوَرِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[٢].

فتوحيدُ الأُلوهيَّة: هو اعتقادُ المسلم بإفرادِ اللهِ - جلَّ وعلا - بالعبادةِ والخضوعِ والطَّاعةِ المطلقةِ، وأَن لا يُشرَكَ به أَحدٌ كائنًا مَن كان، ولا

---

(١) انظر: (توحيد الأُلوهيَّة): ص (٢٤٣) من هذه الكتاب.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦. (٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

يُصرَفَ شيءٌ من العبادة لغيره سبحانه وتعالىٰ. أي: أنَّ اللّٰهَ تعالىٰ وحدَهُ هو المعبودُ بحقٍّ، وأنَّ ما سواهُ من المعبوداتِ كلِّها باطلٌ؛ لا تستحقُّ أيَّ شيءٍ من العبادة؛ فمَنِ اعتقدَ غيرَ هذا الذي آمنَ به المؤمنونَ، أو قالَ قولاً، أو فعلَ فعلاً، يُنافي هذا المعنىٰ، أو أنكرَ حقَّ اللّٰهِ تعالىٰ في أُلوهيَّته، أو انتقَصَ شيئًا منه، أو صرَفَ شيئًا منه لغيره؛ فقد كفَرَ، وارتدَّ عن الإسلام؛ إذا وجدتِ الشُّروط، وانتفت الموانع، قالَ اللّٰهُ تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[١].

فإنَّ أكثرَ الأُمم السَّابقة، وأكثرُ النَّاسِ في الإسلام - أيضًا - وقَعُوا في الشِّرك، أو الكُفر في توحيدِ الأُلوهيَّة؛ لأنَّهم لم يكُونُوا ينكِرُونَ ربوبيَّةَ اللّٰه تعالىٰ؛ بل أقرُّوا بأنَّ اللّٰه - تبارك وتعالىٰ - هو الرَّبُّ والخالقُ والرَّازق والمحيي والمميتُ، ولكنَّهم صرَفُوا شيئًا من العبادةِ لغيرِهِ تعالىٰ؛ فجعلَهُم اللّٰه في عِداد الكافرين بإشراكهم غيرَه في العبادة.

وعبادةُ اللّٰهِ تعالىٰ وحده لا شريكَ له؛ هي غايةُ الخالقِ من خَلْقِ عباده، ولذلك هي موضوع الامتحان للعبادة في الدُّنيا؛ إذن نفيُ استحقاق الخالق للعبادة، وإثباته لغيره من مخلوقاته؛ ناقضٌ للإيمان والإسلام؛ فكلُّ اعتقادٍ، أو قولٍ، أو عملٍ يتضمَّن أحدَ هذين الأمرين يُخرج صاحبَهُ من الإسلام.

قالَ اللّٰهُ تعالىٰ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٣).

الأَمثلةُ من نواقضِ الإيمانِ في توحيدِ الأُلوهيَّة والعبادة:

- **عَدمُ إفرادِ الله - تبارك وتعالىٰ - بالشَّعائرِ والنُّسُكِ:**

هو اعتقاد شريك لله تعالىٰ في الأُلوهيَّةِ؛ فمَن اعتقدَ أنَّ غيرَ اللهِ يستحقُ العبادة مع الله تعالىٰ، أو يستحق أن يصرفَ لَهُ أيُّ نوعٍ من أنواعِ العبادةِ مع الله - جلَّ في عُلاه - فهو مشركٌ في الأُلوهيَّةِ.

أَي: هو عبادةُ أَحدٍ مع الله - تبارك وتعالىٰ - أو دونَ اللهِ سبحانه؛ كالصَّلاة، والرُّكوعِ، والسُّجودِ، والصَّوم، والطَّوافِ، والذَّبحِ، والنَّذرِ، والخشوعِ، والتَّذَلُّلِ، وحلقِ الرأْسِ؛ لغيرِ الله تعالىٰ.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

أَو دعاءُ غير الله تعالىٰ، أَو الدُّعاء مع الله – جلَّ وعلا – في جلب المرغوب أَو دفع المرهوب، أَو الاستغاثة بغيره – سبحانه وتعالىٰ – في جلبِ خيرٍ، أَو دفع ضرٍّ.

أَو التَّوَكُّلُ علىٰ غيره – سبحانه وتعالىٰ – أَو الاستعاذة بغيره، أَو الخوف من غيره تعالىٰ، أَو الرَّجاء، أَو الخضوع لغيره، أَو التَّقرب إِلىٰ غيره تعالىٰ؛ بأَيِّ نوعٍ من أَنواعِ العبادة، أَو طاعة غير الله تعالىٰ الطاعةَ المطلقة.

أَو اعتقدَ: أَنَّ اللهَ تعالىٰ لا يُخشىٰ منه، أَو لا يستعان به، أَو لا يتوكل عليه، أَو مَن سخرَ، أَو استخفَ بعبادةٍ من العباداتِ؛ كالصَّلاةِ والصَّوم والزَّكاةِ والطوافِ، أَو بشيءٍ من شعائر الإِسلام المجمع عليه، أَو أَيِّ فعلٍ، أَو قولٍ يعدُّه الشَّارع الحكيم عبادةً.

أَو مَن نفىٰ استحقاق الله – جلَّ في عُلاه – لهذه العباداتِ، أَو مَن أَنكرَ استحقاقه للطَّاعةِ، أَو لم يمتثل أَمره – سبحانه – ويجتنب نهيه، أَو مَن ادَّعىٰ أَنَّ شرعَ اللهِ تعالىٰ لا يصلح في زمنٍ معيَّنٍ، أَو لا يستحقُ الامتثال، أَو التطبيق، أَو مَن أَثبتَ شيئًا من هذه العبادات لغير الله تعالىٰ، أَو مَن ادعىٰ لنفسه استحقاقه لتلك العبادات، أَو أَمر النَّاس بممارستها من أَجله، أَو مَن صدقه في ذلك.

أَو مَن أَحبَّ أَن يُعبدَ من دون اللهِ؛ كمن أَحبَّ أَن يسْجَدَ لَهُ، أَو يرْكَعَ لَهُ، أَو يتَوَكَّلَ عليه، أَو غير ذلك من المعاني التي لا ينبغي التوجه بها إِلاَّ إِلىٰ الخالق وحده؛ فإِذا صرف واحدًا من هذه الأَعمال لغير الله تعالىٰ؛ فقد وقع في الشِّرك، والعياذُ بالله.

● **عدمُ إفرادِ اللهِ – تبارك وتعالىٰ – بالولاءِ والمحبَّة:**

المحبَّةُ: هي من أَجلِ أَنواعِ العباداتِ، ومن أَوجب الواجباتِ؛ لأَنَّ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ هي أَصل دين الإِسلامِ؛ فبكمالها يكمل الإِيمان، وبنقصها ينقص التوحيدُ؛ فيجبُ علىٰ العبد المسلم محبَّةِ ما أَحبَّهُ اللهُ تعالىٰ، وبغض ما يبغضه اللهُ تعالىٰ، والموالاةُ والمعاداة فيه، وإلتزام شرعه سبحانه.

وهذه المحبَّةُ هي محبَّة العبودية المستلزمة للإِجلالِ والتَّعظيمِ والذِّلِ والخضوعِ وكمال الطاعة؛ الَّتي لا تصلح إلاَّ للهِ تعالىٰ وحده لا شريك لَهُ؛ فمَن صرفها لغير اللهِ تعالىٰ؛ فقد أَشرك به الشِّرك الأَكبر.

كمَن أَحبَّ غيرِ اللهِ – تبارك وتعالىٰ – كحُبِّ اللهِ، أَو عظَّمَ غيره؛ كتعظيم اللهِ تعالىٰ؛ سواءً كان هذا المعَظَّمُ، أَو المدعُو ملكًا، أَو نبيًّا، أَو وليًّا، أَو قبرًا، أَو حَجَرًا، أَو شَجَرًا.

أَمَّا محبَّة النَّبيِّ ﷺ فهي تابعة لمحبَّة اللهِ – جلَّ في عُلاه – لازمة لها، وتتمثل هذه المحبَّة في متابعته ﷺ وتقديم قوله وأَمره علىٰ قول وأَمر غيره؛ بل قد نفىٰ النَّبيِّ ﷺ إيمان العبد بدون تحقيق محبَّته؛ فقال ﷺ:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ! حتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكثرَ من...».

● عدمُ إفرادِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - بالحكمِ والتَّشريع:

هو الطَّاعة والانقياد لغير الله - تبارك وتعالىٰ - في امتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهيه؛ كاعتقاد أنَّ حكمَ غيرَ اللهِ تعالىٰ أفضل من حكم اللهِ تعالىٰ، أو هو مثله، أو اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ، أو إطاعةُ من يحكم بغير شرع الله تعالىٰ عن رضًى.

أو اعتقاد أنَّ شرْعَ اللهِ تعالىٰ لا يصلُحُ لهذا الزَّمانِ، أو لهذا المكان، أو اعتقاد أنَّ للعبد المخلوق حقَّ تشريعٍ ما لم يأذن به اللهُ تعالىٰ؛ مِنَ التَّحليلِ والتَّحريمِ وسَنِّ القوانين مخالف لما جاء في كتاب اللهِ تعالىٰ، أو في سُنَّةِ نبيِّه الأمين ﷺ، أو مَن ادَّعىٰ ذلكَ لنفسه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

واعلم أخي المسلم الموحد: أنَّه يَكْفُرُ مَن أتىٰ شيئًا من هذهِ النَّواقضِ، أو رضيَ بها، أو عَمِلَ بعضها، أو غير ذلك من النَّواقضِ الَّتي تَخُصُّ توحيدَ العبادة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٢١.

٣- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته :

توحيدُ الأَسماءِ والصِّفاتِ[١] : هو الاعتقادُ الجازمُ بأَنَّ اللهَ - جلَّ في عُلاه - له الأَسماءُ الحسنىٰ والصِّفاتُ العُلىٰ، وهو متَّصَفٌ بجميعِ صفاتِ الكمالِ المطلَقِ من جميعِ الوجوهِ بنُعُوتِ العظَمَةِ والجَلالِ والجمال، ومنزَّهٌ عن جميعِ صفاتِ النَّقص؛ متفرِّدٌ بذلك عن جميعِ الكائنات .

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة : يَعْرِفُونَ ربَّهم - جلَّ وعلا - بصفاته الواردةِ في القرآن والسُّنَّة، ويَصفُونَ ربَّهم بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفهُ به رسولُهُ ﷺ ولا يُحرِّفُون الكَلِمَ عن مواضِعِهِ، ولا يُلحدُون في أَسمائه وآياته، ويُثبتون لله ما أَثبته لنفسه من غيرِ تمثيلٍ، ولا تَكْييفٍ، ولا تَعْطيلٍ، ولا تَحْريفٍ، وقاعدتهم في كلِّ ذلك قولُ الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٢] .

وينفونَ ما نفاهُ الله تعالىٰ عن نفسه، أَو ما نفاه رسُوله الأَمين ﷺ من صفاتِ النَّقص مع اعتقادهم ثبوت كمال ضدَّ الصِّفة المنفية عن الله تعالىٰ .

وأَمَّا فيما لم يرد نفيه ولا إِثباته في الكتابِ والسُّنَّة : فطريقتهم التَّوقفُ في اللَّفظِ، والاستفصال في المعنىٰ؛ فأَمَّا اللَّفظ : فيتوقفون فيه فلا يثبتونه لعدم وروده، ولا ينفونه؛ لأَنَّهُ قول علىٰ الله تعالىٰ بغير علم .

وأَمَّا معناه : فيستفصلون عنه؛ فإِن أُريد به باطل؛ ينزه الله تعالىٰ عنه ردوه، وإِن أُريد به حقٌّ؛ لا يمتنع علىٰ الله تعالىٰ قبلوه .

---

(١) انظر : (توحيد الأَسماء والصفات) : ص (٢٤٧) من هذه الكتاب .

(٢) سورة النازعات، الآية : ٥٨ .

وصفاتُ اللهِ – تباركَ وتعالىٰ – ثلاثة أقسام:

● صفاتٌ ذاتيةٌ: هي التي لم يزل ولا يزال الله تعالىٰ متصفًا بها؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسَّمع، والبصر، والوجه، واليدين.

● صفاتٌ فعليةٌ: هي الصِّفات المتعلقة بمشيئةِ الله تعالىٰ وقدرته؛ إن شاءَ فعلها، وإن شاءَ لم يفعلها؛ كالمجيءِ، والنُّزول، والغضب، والفرح.

● ذاتيةٌ باعتبار، وفعليةٌ باعتبار آخر: كصِّفةِ كلامه تعالىٰ؛ فإنَّ الكلام باعتبار أَصله ونوعه صفه ذاتية؛ لأَنَّ الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام وأَفراده صفة فعلية؛ لأَنَّ الكلام متعلق بمشيئته تعالىٰ.

وأَهل السُّنَّة والجماعة: عندهم القول في الصِّفات كالقولِ في الذات؛ أَي: من حيث الثبوت ونفي المماثلة، وعدم العلم بالكيفية؛ فكما أَنَّ ذات الله تعالىٰ ثابتة حقيقة؛ كذلك صفاته ثابته حقيقة. وكذا القول في بعض الصِّفات؛ كالقول في بعضها الآخر! فبهذا فهم يردُّون علىٰ الذين يثبتون بعض الصِّفات وينفون بعضها. وعندهم! الاتفاق في الأَسماءِ لا يقتضي التساوي في المسميات: أَي أَنَّ الاشتراك في الأَسماءِ والصِّفاتِ لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات كما دل علىٰ ذلك السَّمع والعقل والحس.

فإنَّ الله – تبارك وتعالىٰ – أَثبتَ لنفسه في كتابه العزيز، وعلىٰ لسان نبيِّه الأَمين محمَّد ﷺ؛ أَسماءً وصفاتٍ، ونفىٰ – سبحانه – كذلك عن نفسه صفاتٍ؛ فمَن انتقَصَ شيئًا مّما أَثبتَهُ الله لنفسه أَو نفاه، أَو أَثبت لله تعالىٰ شيئًا مّمّا نفاه عن نفسه؛ فقد كَفَر، مع وجود الشُّروط وانتفاء الموانع.

وقوادِحُ توحيدِ الأَسماءِ والصِّفاتِ، أَي: الإلحاد فيه هي أَربعةٌ:

التَّحريف، والتَّمثيل، والتَّعطيلُ، والتَّكيف، أي: تسمية الله تعالىٰ، أو وصفه؛ بما لا يَليقُ به سبحانه، قالَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْـحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْـحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

ومن الأَمثلة علىٰ ذلك:

● إنكارُ! أَو جَحْدُ أَسماءِ اللهِ تعالىٰ، أَو صفاتِه العُلىٰ، أَو بعضِ أَسمائه، أَو بعضِ صفاته، أَو إثباتُ صفاتٍ لله تعالىٰ؛ نفاها الله عن نفسه.

● الإلحادُ في أَسماءِ الله الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ، أَو نفيُها، أَو جحدُ معانيها، أَو تحريفُها عن الصَّواب، وإخراجُها عن الحقِّ المرادِ؛ بالتأْويلاتِ الباطلة، أَو تعطيلُ صفاتُ الكمال ونعوت الجلال الثَّابتة في الكتاب والسُّنَّة عن الله - تباركَ وتعالىٰ -؛ كمَن نفىٰ صفة القدرة، أَو القيومية، أَو السَّمع والبصر، أَو الاستواء، أَو علم، أَو كلام إلىٰ غيرها؛ كما يقولُ الجهميَّة: إنَّها أَلفاظٌ مجرَّدَةٌ؛ لا تتضمَّنُ صفاتٍ ولا معاني!

● جعلُ للهِ تعالى مماثلاً في شيءٍ من أَسمائه وصفاته، أَو وصفه تعالىٰ بشيءٍ من صفات خلقه؛ كمن سمَّىٰ غير الله تعالىٰ باسمٍ من الأَسماءِ الله تعالىٰ؛ معتقدًا اتِّصاف هذا المخلوق بما دلَّ عليه الاسم مما اختص الله تعالىٰ به، أَو وصفة بصفةٍ من صفات الله تعالىٰ الخاصة به.

● تشبيهُ صفات الله تعالىٰ بصفاتٍ المخلوقين؛ كمن ادعىٰ أَنَّ الله تعالىٰ يبصر كما يبصر البشر، أَو يسمع كسمع البشر، أَو يتكلم ككلام البشر.

---

(١) سورة الأَعراف، الآية: ١٨٠.

• ادعىٰ صفة من صفات الله تعالىٰ، أَو أَثبت هذه الصفة لأَيٍّ مخلوقٍ، كقول مَن قال: عندي من الحكمة كما عند الله، أَو قال: أَنا أَعلم كعلم الله.

• انتقاص من صفات كمال الله - جلَّ في عُلاه - كمن قال: إنَّ الله تعالىٰ عليمٌ، ولكن علمه إجمالي، وأَنَّهُ - سبحانه - لا يعلم بالجزئيات والتفصيلات.

• وَصْفُ الله - تبارك وتعالىٰ - بصفةٍ يجبُ تنزيهُهُ عنها، مثل: أَن يزعُمَ أَنَّ لله تعالىٰ شريكًا، أَو ولدًا، أَو يصفه - سبحانه - بالنَّوم، أَو السِّنَة، أَو الغفلة؛ تعالىٰ الله عمَّا يقول المشبِّهُونَ علوًّا كبيرًا.

• تسميةُ الله - عزَّ وجلَّ - بما لا يَليقُ بجلاله تعالىٰ؛ كتسمية النصارىٰ له: أَبًا، أَو كتسمية الفلاسفة الله تعالىٰ: موجِبَ الوجودِ بذاته، أَو عِلةً فاعلةً.

• وصفُ الله تعالىٰ بما يتعالىٰ عنه - سبحانه - ويتقدَّسُ من النقائص؛ كقول أَخبثِ اليهود: إنَّ اللهَ فقيرٌ. أَو إنَّه استراحَ؛ بعد أَن خلقَ خلقَه، أَو يَدُ اللهِ مغلولة؛ إلىٰ غيرِ ذلك من صفاتِ النَّقص التي تَعْتَرِي ابن آدم؛ فيكفر كل مَن قال ذلكَ، وكذلك يكفر من يصدقه في دعواه.

٤ـ نواقضُ عمومِ الدِّين:

إنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ! هو تشريعاتٌ إلهيةٌ ربانيَّةٌ محكَّمةٌ من لدنُ العزيز الحكيمُ الخبير؛ سواءً كان في الاعتقاداتِ، أَو العباداتِ، أَو المعاملاتِ، أو الأَخلاقِ والسُّلوكِ والتَّزكية، وهو حدودُ الله تعالىٰ وأَوامره ونواهيه، وما أَرادهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من جميع عباده؛ لأَنَّ اللهَ ـ جلَّ في عُلاه ـ وحدَهُ الذي يعلمُ ما يَصْلُحُ لعبادِهِ، وما يُفْسِدُهُمْ؛ كيفَ لا! وهو خالِقُهم ورازقهم ومربِّيهم سبحانه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3].

ولأَنَّ الغايةَ من خلقِ العبادِ، والمقصودَ منه؛ هو عبادةُ الله تعالىٰ واتِّباع أَوامره، وإلاَّ أَصبحَ خَلْقُهم عبثًا وهملاً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[4].

فالتَّشريعُ الإلهيُّ! واجبٌ علىٰ كلِّ مَن يَعْقِلُ من عباده، وفرضُ عينٍ عليه، ولا يجوزُ مخالفتُهُ البتَّةَ! بأَيِّ شكلٍ من الأَشكال؛ لأَنَّ الحكمَ بشرعِ الله تعالىٰ في كلِّ شئونِ الحياةِ؛ أَصلٌ عظيمٌ من أُصولِ الدِّينِ، ولا يصحُّ الدِّينُ إلاَّ بهِ، وإنَّ من أُصولِ الإيمانِ التَّحاكم إِلىٰ اللهِ تعالىٰ ورَسُولهِ ﷺ في كلِّ أَمرٍ، والتَّسليم المطلق لحكمهما، والرِّضا به، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢).

فكلُّ حكمٍ خالفَ حكمَ اللهِ تعالىٰ؛ فهو حكم جاهلية! قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

وبهذا يظهر جليًّا! أنَّ رفضَ التَّحاكم إلىٰ اللهِ ـ جلَّ في عُلاه ـ وإلىٰ رَسُلِهِ ﷺ أو رفض حكمهما، أو اعتقاد أنَّ حكمَ غيرهما أحسن من حكمهما؛ كفرٌ وخروجٌ من الإسلام! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٦).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.
(٣) سورة التين، الآية: ٨.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[١].

فعلىٰ المؤمنِ الصَّادقِ! أَن يستجيبَ لأَوامرِ ربِّهِ – جلَّ في عُلاه – ولا يعترض علىٰ أَحكامه؛ لأَنَّ الذي يستجب للهِ تعالىٰ ولرسُوله ﷺ ولا يعترض! هو المؤْمن حقًّا وصدقًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢].

لأَنَّ مَن اعترضَ لحكمِ اللهِ تعالىٰ، أَو ظنَّ أَنَّ هناك حكمٌ أَفضل من حكمه، أَو خالفَ أَحدِ أَوامرِهِ – معَ عَدَمْ اعتقادِهِ – أَو خالفها بالكليَّة؛ فهي سواءٌ عندَ اللهِ تعالىٰ، وكذلك الاعتراضُ علىٰ أَوامرِهِ، أَو علىٰ أَحدِها؛ اعتراضٌ علىٰ اللهِ – سبحانه وتعالىٰ – وهذا كفرٌ وردَّة.

فإِنَّ مقتضىٰ الإِيمانِ باللهِ تعالىٰ هو تنفيذُ أَوامره، وتركُ نواهيهِ سبحانه، والتَّسليمُ المطلَقُ له تعالىٰ؛ بدون تردُّدٍ، أَو توقُّفٍ، أَو شكٍّ.

● والواجبُ علىٰ المسلم الصَّادقَ: أَمامَ شرعِ اللهِ – عزَّ وجلَّ – التَّسليمُ التَّامُّ، والإِيمان الكامل، والتَّصديق المطلق، والرِّضا بحُكمه تعالىٰ، بقوله:

(آمنَّا وَصَدَّقْنَا، سَمِعْنا وأَطَعْنَا) فحَسْبُ!

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

وهكذا كانَ شِعارُ المؤْمنينَ – الصَّادقين المخلصين العاملين – مع الله تعالىٰ؛ من الصَّحابةِ الكِرام – رضي اللهُ عنهم – والتَّابعين العِظام، وأَولياءُ اللهِ المتقين – رحمهم الله أجمعين – وكان ذلك أيضًا؛ شِعارُ مَن تبعهم من المؤمنين الصَّالحين؛ بإخلاصٍ وصدقٍ وإحسانٍ لهم إلىٰ يومنا هذا، والأمر باقٍ علىٰ هذا الحال معهم إلىٰ يوم الدِّين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(١).

● وأَمَّا دأْبُ الكافرِ – ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً – هو الاعتراضُ، والاستهزاءُ، والطَّعنُ في تشريعِ اللهِ سبحانه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾(٤).

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥١ – ٥٢.
(٢) سورة الجاثية، الآيات: ٧ – ٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[1].

إنَّ دينَ الحقِّ لا يتم إلاَّ باعتقادِ أنَّ العملَ بالتَّشريعِ الإلهيِّ هو أمرُ اللهِ تعالىٰ، وأنَّ الإعراضَ عن شرعه - سبحانه - مناقضٌ للعقيدةِ؛ فالاعتراضُ وعدمُ الرِّضا بتشريعِ اللهِ تعالىٰ كُفرٌ وردَّة؛ لأنَّ هذا الاعتراضَ والطَّعنَ في التَّشريعِ يقتضي الاعتراضَ والطَّعنَ في صاحبِ الرِّسالة محمَّدٍ ﷺ أو إنكارَ ما جاء وأخبرَ به وهذا ناقضٌ من نواقضِ الإيمانِ، وردَّةٌ عن دين الإسلام.

---

(١) سورة النور، الآيات: ٤٦ - ٥٤.

وكذلك الاستهزاءُ! بمَن يعمل بهذا التَّشريعِ الإلهيِّ منَ المسلمين، أَو الاستهزاءُ بهم بسبب تمسُّكهم بشعيرةٍ من شعائره، أَو مُعاداتُهم من أجل تلك الشَّعيرة؛ يكون كُفرًا وردَّة؛ لأنَّه مُحاربَةٌ لدين اللهِ تعالىٰ ومحادَّةٌ له، وصدٌّ عن سبيل الله؛ لأنَّ هذا الاستهزاءَ؛ ينصرِفُ في حقيقةِ الأمر إلىٰ التَّشريعِ نفسه، ثُمَّ إلىٰ مُبلِّغه ﷺ ثُمَّ إلىٰ مُنَزِّلِه سبحانه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢].

فيُكَفَّرُ! كلُّ مَن الطَّعنَ في القُرآن العظيم الذي هو كلام رَبِّ العالمين: كدعوىٰ المشركين أَنَّهُ سحرٌ، أَو شعرٌ، أَو أَساطيرُ الأَولين، أَو أَنَّهُ مفتر مكذوب، وكذا مَن زعمَ أَنَّهُ قول البشر، أَو نفي إِعجازه، أَو حاول معارضته بمثله، وزعم أَنَّ ذلك ممكن، أَو كذب ببعض ما اشتمل عليه، أَو أَنكر بعض السُّورِ، أَو الآيات المنقولة بالتواتر، ونحو ذلك.

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٢٩ - ٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.

أَو مَن أنكرَ حكمًا من الأَحكامِ الثَّابتةِ في القُرآنِ أَو السُّنَّةِ؛ كإنكار حكم معلوم من الدِّين بالضرورة: من أَنكرَ حرمة الزِّنا، أَو شرب الخمر، أَو السَّرقة، أَو أَنكر فريضةَ الزَّكاةِ، أَو الصَّلاةِ، أَو ادَّعىٰ زيادة ركعة في إحدىٰ الصَّلواتِ، أَو أَجازَ الصَّلاة بدون وضوء، ونحو ذلك (*).

أَو مَن أَنكرَ شيئًا من الأُمور الغيبية التي أَمرَ الله تعالىٰ بالإيمان بها في كتابه وعلىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ كالملائكة، والكُتب، والرُّسل، والبعث بعد الموت، وحشر الأَجساد والجنَّة والنَّار، وعذاب القبر ونعيمه، ونحو ذلك.

أَو مَن طعن في رسالةِ النَّبيِّ ﷺ أَو في شريعته الغراء، أَو في صدقه، أَو تكذيبه، أَو دعوىٰ خيانته، أَو كتمانه لما أُوحي إليه، وكذا إظهار سبِّه، أَو عيبه، أَو التهكم بسيرته العطرة، أَو شيءٍ من أَعماله، أَو أَحواله، أَو تصرفاته المباركة، أَو إنكار بعضِ ما أَخبر به الرَّسُول ﷺ أَو استهزأَ بفعلٍ من أَفعاله ﷺ الشَّريفة الثَّابتة عنه، أَو مَن أَنكر شيئًا من القرآن؛ لأَنَّهُ مما أَخبر به الرَّسُول ﷺ فمن أَنكره فقد كذبه ﷺ أَو مَن أَنكر أَمرًا من الأُمورِ التي أَخبرَ عنها، وثبتت ذلك عنه ﷺ كالحوض والميزان والبعث والحساب والصِّراط والجنَّة والنَّار، وغير ذلك من المغيبات، ونحو ذلك مما يدل علىٰ إنكار رسالته في الباطن؛ فإنَّ الطعن فيه طعن في اللهِ تعالىٰ؛ الذي أَرسله بالهدىٰ ودينُ الحقِّ، وحمله هذه الرِّسالة الكريمة العظيمة.

ويكفر مَن أَنكر نبوة، أَو رسالة مَن أَثبت القرآن لهم النُّبوةَ، أَو الرِّسالة، وكذلك مَن ادَّعىٰ النُّبوةَ بعد النَّبيِّ ﷺ أَو مَن أَنكر إرسال الرُّسُل قبل

(*) تنبيه! ولكن لا يكفر مَن أنكر حكمًا مُجْتَهَدًا فيه، وليس مُجْمَعًا عليه، أَو أنكر شيئًا ليس مُشْتَهَرًا من الدِّين، ولا يعلمه إلاَّ خاصة العلماء.

محمَّد ﷺ أَو جحد ما ذكره الله تعالىٰ من قصصهم مع أَقوامهم، أَو مَن أَنكر شيئًا جاء به القرآن وأَثبته؛ كالجنِّ والملائكة والعرش واللوح والقلم، أَو مَن طعن في رَسُولٍ من رسُل الله تعالىٰ، وأَنكر رسالته، أَو نبوته، أَو مَن أَنكر إِعجاز القرآن الكريم؛ لأَنَّ ذلكَ ثابت بإِخبار الله تعالىٰ.

● **وهَذِهِ النَّواقضُ تَقعُ؛ باعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو فعلٍ أَيِّ أَمرٍ يمسُّ دينَ الإِسلام، أَو تشريعَهُ، أَو رسولَهُ، أَو سُنَّتَهُ ﷺ: بطعنٍ، أَو تنقيصٍ، أَو استهزاءٍ، أَو تكذيبٍ، أَو شكٍّ، أَو ريبٍ، أَو تردُّد!**

وكلُّ هذه الأُمور تعتبر ناقضًا من نواقضِ الإِيمان، وردَّةً عن الإِسلام، والعياذُ باللهِ تعالىٰ(*).

واعلم! أَخي المسلم اللَّبيب: أَنَّ المعرضونَ عن دين اللهِ تعالىٰ، والمعترضونَ عليه وعلىٰ دعوة رسُله؛ بهوىٰ عقولهم، أَو بهوىٰ عقول وأَفكار غيرهم! فهولاء موجودن في كلِّ زمانٍ ومكانٍ! منذُ أَن خلقَ الله

(*) قالَ العلاَّمةُ الشيخ ابن باز، رحمهُ اللهُ: (الأَحكام التي شرعها الله لعباده، وبيَّنها في كتابه الكريم، أَو علىٰ لسان رسُوله الأَمين - عليه من ربِّه أَفضل الصَّلاة والتَّسليم - كأَحكام المواريث، والصَّلوات الخمس، والزَّكاة، والصِّيام، ونحو ذلك مما أَوضحه الله لعباده، وأَجمعت عليه الأُمَّة؛ ليس لأَحد الاعتراض عليها ولا تغييرها؛ لأَنَّهُ تشريعٌ محكمٌ للأُمَّة في زمان النَّبيِّ ﷺ وبعده إِلىٰ قيام السَّاعة، ومن ذلك: تفضيل الذَّكر علىٰ الأُنثىٰ من الأَولاد، وأَولاد البنين، والإِخوة للأَبوين وللأَب! لأَنَّ اللهَ - سبحانه - قد أَوضحه في كتابه، وأَجمع عليه علماء المسلمين؛ فالواجب العمل بذلك عن اعتقاد وإِيمان، ومن زعم أَنَّ الأَصلح خلافه فهو كافرٌ! وهكذا من أَجاز مخالفته يعتبر كافرًا؛ لأَنَّهُ معترضٌ علىٰ الله - سبحانه - وعلىٰ رسُوله ﷺ وعلىٰ إِجماع الأُمَّة؛ وعلىٰ وليِّ الأَمر أَن يستتيبه - إِن كان مسلمًا - فإِن تاب، وإِلاَّ وجبَ قتله كافرًا مرتدًا عن الإِسلام، لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ بَدَلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» نسأَلُ الله لنا ولجميع المسلين العافية من مضلات الفتن ومن مخالفة الشَّرع المطهر) «مجموع فتاوى ابن باز» ج٤، ص٤١٥.

تعالىٰ أَبينا آدمَ – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – في الجنَّةِ؛ يعلنون وينافحون عن إعراضهم، ومعارضتهم بلسانهم وبنانهم، وربما بأَنفُسهم وأَموالهم، وفي الحقيقةِ ما هم إلاَّ امتدادٌ لدعوة إبليس الملعون والمطرود من رحمةِ اللهِ تعالىٰ! فركبهم بدأ من حين أَعرضَ إمامهم عن أَمر اللهِ تعالىٰ، وعارضه بحجج عقلية واهية! عندما عقد مقارنة بين مادة خلقه ومادة خلق آدم؛ فاغتر بنفسه، واستكبر عن أَمر ربِّهِ لَهُ بالسُّجود لآدم؛ فكانت عاقبة أَمره خُسرًا؛ فاَستحقَ الخزيَ واللعنةَ إلىٰ يوم الدِّين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1].

ثمَّ اقتدىٰ بإبليس – العدو الأكبر لابن آدم – في إعراضه عن الحقِّ ومعارضته له بحجج عقلية؛ مَن تبعه من ضعفاء العقول من ابن آدم! الذين اتَّبعوا أَهوائهم بوسوسة من إمامهم! فكان أَوَّلهم قوم نبيِّ اللهِ نوحٍ – عليه

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١١ – ١٩.

الصَّلاةُ والسَّلامُ - الذين قادتهم عقولهم إلىٰ عدم استجابتهم لنوح؛ لأنَّهُ بشرٌ مثلهم وليس ملكٌ، واقترانهم بالضُّعفاء ممن تبعه حط لمكانتهم، وتنزيل لقدرهم: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾(١).

ثمَّ اتِّباعَ إبليسُ من بعد هؤلاء؛ عاد وثمود، وقوم إبراهيم، وأَصحاب مدين والمؤتفكات؛ كلِّ هؤلاءِ أَعرضوا عن الحقِّ المبين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾(٢).

ثمَّ جاءَ كفَّار قريشٍ؛ قوم خاتم النبيِّينَ ﷺ فأَعرضوا عن دعوة نبيِّهم محمَّد ﷺ وعارضوه وكذبوه؛ بل إنهم ولشِدَّةِ استحكام الكفر في قلوبهم أنكروا آيات رأَوها رأي العين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾(٣).

ثمَّ جاء دور المنافقين! فأَعرضوا عن الحقِّ، وعارضوه بما استطاعوا، وبما أَنَّهم منتسبون للإسلامِ ظاهرًا! فقد كسوا معارضتهم العقلية علىٰ التَّشريع الأَلهي بلباسِ الشَّرعيَّة ووجهوا سهامهم صوب من يحمل شرع الله تعالىٰ.

فالمنافقون في عهد النُّبوةِ لم يعلنوا أَبدًا أَنَّهم مخالفين للتَّشريع الأَلهيِّ! بل كانوا يقدمون بين يدي معارضتهم أَعذارًا شرعيَّةً، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

(٣) سورة القمر، الآية: ٢.

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾(١) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾(٢) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾(٣) .

وأنَّ الهدايةَ لطريقِ الحقِّ والصِّراط المستقيم؛ مبدؤُها من نفسِ ابن آدم وتسليمه للفطرةِ ودينِ الحقِّ؛ فالمعترضونَ والمعارضون للتَّشريعِ الإلهيِّ! همْ قومٌ زائغون، وقلوبهم مخالفةٌ لما فطرهم الله تعالىٰ عليه من الهداية ودين الحقِّ! فزاغت قلوبهم ابتداءً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(٤) .

والذين إذا زاغت قلوبهم مرضت، ثمَّ عُرِضت للفتنةِ! فيتبعون المتشابه، أو يختلقونه لغرضٍ بيَّنه الله تعالىٰ ألا وهو: ابتغاء الفتنةِ! وابتغاء صرف النُّصوصِ عن ظاهرها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٢ .
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٩ .
(٣) سورة الفتح، الآية: ١١ .
(٤) سورة الصف، الآية: ٥ .
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧ .

فالمعارضونَ للتَّشريع الإلهيِّ والمعترضون علىٰ دين الحقِّ؛ حُجبت عنهم طريق الهداية، وسبيل النَّجاة والفلاح! بسبب ما قام في قلوبهم من مرض الاستعلاء علىٰ الحقِّ وبغضه، وعدم الرِّضا والتَّسليم له، وبسبب اتِّباعِ أهوائهم، وعقولهم القاصرة، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

وخلاصة القول! أنَّهُ ما زاغ عبدٌ عن طريق الهداية، وراغ عن الحقِّ وعارضه؛ إلاَّ بسبب ما قام في قلبه من زيغٍ وكراهةٍ له، وافتعالٍ للشُّبهاتِ واتِّباعٍ للشَّهواتِ، ومعارضته له بحجج عقليةٍ واهيةٍ، قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٣).

فغيابُ التَّصور الصَّحيح لمعنىٰ العبوديَّةِ عن ذهن العبد المكلَّفِ، وغيابُ فقه الاعتقادِ أَنَّ عبادةَ اللهِ تعالىٰ وحده لا شريك له؛ هي الغايةُ التي من أَجلها خُلِقَ جميع الخلق، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٤). يجعلُ العبدَ أَن يعظمَ نفسه، ومن ثمَّ يتبع ما يمليه عليه هواه وعقله، أَو يكبر في نظره عبيد آخرين أَمثاله؛ فيتبعهم!

وحقيقةُ العبوديةِ للهِ تعالىٰ: هي أَن يكون العبد الفقير في غاية الخضوع والذِّلِ والانقياد لربِّهِ تعالىٰ؛ يأْتمر بأَوامره وينته عن نواهيه، ويسلم ناصيته له – سبحانه – لاحولَ لَهُ ولا قوة؛ فالعبدُ خاضعٌ ذليلٌ لمولاه، لا يعترضُ ولا يعارض، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) سورة النور، الآية: ٦٣.

قالَ الإمامُ الحافظُ ابن كثيرٍ - رحمهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية:

(قوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: عن أمر رَسُول الله ﷺ سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته؛ فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود علىٰ قائله وفاعله؛ كائنًا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» أي: فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرَّسُول باطنًا أو ظاهرًا. ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: في قلوبهم، من كفرٍ أو نفاقٍ أو بدعةٍ ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: في الدُّنيا؛ بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك.

قالَ الإمامُ أحمد: حدثنا عبد الرَّزاق، حدثنا مَعْمَر، عن همام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُرَيرة، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا! فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا؛ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُ اللأَتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ، يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ وَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا - قَالَ - فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ؛ فَتَغْلِبُونِي وَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا»).

وقال العلأمة المفسِّرُ القرطبي - رحمهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية:

(بهذِهِ الآيَة احتجَّ الفُقهاء علىٰ أنَّ الأمرَ علىٰ الوجُوب. ووجهها أنَّ اللهَ - تباركَ وتعالىٰ - قد حذَّرَ من مُخالَفَة أمره، وتوعَّدَ بالعقابِ عليها بقولِهِ: ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فتحرُم مُخالَفته؛ فيجب إمتثال أمره، والفتنَة هنا القتل، قالهُ ابن عبَّاس، عَطَاء: الزَّلازل

والأهوال . جعفر بن محمَّد : سُلطَان جائِر يُسلَّط عليهم . وقيلَ : الطَّبع علىٰ القُلوب بشُؤْم مُخالَفَة الرَّسُول . والضَّمِير في أَمْره، قيل هو عائد إلىٰ أمر الله تعالىٰ؛ قالهُ يحيىٰ بن سلاَّم . وقيل : إلىٰ أمر رَسُول عليه السَّلام؛ قالهُ قتادَة . ومعنىٰ ﴿ يُخالفونَ عَنْ أَمْره ﴾ أَي : يُعْرِضُونَ عَنْ أَمْره) .

وقالَ الإمامُ الطبريُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسيره :

(حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴾ قال : هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسُول الله ﷺ قال : اللواذ : يلوذ عنه، ويروغ ويذهب بغير إذن النَّبيِّ ﷺ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ الذين يصنعون هذا أَن تصيبهم فتنة، أَو يصيبهم عذاب أليم . الفتنة هاهنا : الكفر، واللُّواذ : مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا، ولذلك ظهرت الواو، ولو كان مصدرا للذتُ لقيل : لياذا، كما يقال : قمت قياما، وإذا قيل : قاومتك، قيل : قواما طويلا . واللواذ : هو أَن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا، وهذا بهذا، كما قال الضحاك .

وقوله : ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يقول : أَو يصيبهم في عاجل الدُّنيا عذابٌ من الله موجع، علىٰ صنيعهم ذلك، وخلافهم أَمر رسُول الله ﷺ . وقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ وأَدخلت عن؛ لأَنَّ معنىٰ الكلام : فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عنه معرضين) .

وقالَ الإمامُ البَغويُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسيره :

(﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أَي : أَمره وعن صلة . وقيل :

معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه . ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي : لئلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد : بلاء في الدُّنيا . ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وجيع في الآخرة . وقيل : عذابٌ أليمٌ عاجلٌ في الدُّنيا) .

وقالَ العلاَّمةُ عبدالرَّحمن السَّعديُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسيره :

(﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي : يذهبون إلىٰ بعض شئونهم عن أمرِ اللهِ ورسُوله؛ فكيف بمن لم يذهب إلىٰ شأن من شئونه؟ وإنَّما ترك أمر الله من دون شغل له . ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي : شرك وشر ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾) .

الأمثلة على بعض نواقض الإيمان الاعتقادية، والقولية، والعملية

للزيادة في الإيضاح؛ نذكرُ بعضَ الأَمثلة – علىٰ سبيلِ المثالِ لا الحصر – لأقسامِ نواقضِ الإيمانِ الثلاثةِ: بالاعتقادِ، والقولِ، والفعل.

الأَوَّل: نواقضُ الإيمان بالاعتقاد:

هي الاعتقاداتُ الباطِلَةُ، التي ثَبَتَتْ بالأَدِلَّة الشَّرعيَّةِ القطعيَّةِ الدَّلالةِ علىٰ أَنَّه كفرٌ صريحٌ مخرِجٌ من دينِ الإسلام، ويكون بمجرَّدِ اعتقادِ القلبِ، وإن لم يتكلَّمْ بها، أَو يفعَلْ شيئًا منها.

١ – الجَحْدُ، أَو الشَّكُّ في وجودِ الله سبحانه وتعالىٰ، أَو الاعتقاد بأَنَّ لله تعالىٰ شريكًا في ربوبيَّتِهِ – جلَّ وعلا – أَو الاعتقادُ بقدَمِ العالم، أَو إسناد الخلق إلىٰ غير الله تعالىٰ؛ كالقول بأَنَّ الكون خُلق صدفة، أَو أَنَّ الطبيعة هي الخالقة، أَو ادعاء الرِّزق من غير الله تعالىٰ، أَو إشراك غيره معه في ذلك، أَو الادعاء بأَنَّ الله تعالىٰ قد خلق الخلق وأَهملهم، أَو ادعاء أَحدٍ لنفسه شيئًا من هذه الخصائص؛ كما ادعىٰ فرعون الرُّبوبيَّة.

٢– إنكار صفات الكمال لله تعالىٰ، أَو تشبه صفات الله تعالىٰ بصفات المخلوقين، أَو نفي شيئًا مما أَثبته الله تعالىٰ لنفسه، أَو أَثبته له رَسُوله ﷺ أَو أَشرك بالله تعالىٰ؛ فجعل له ولدًا، أَو بناتٍ، أَو مثيلاً مشابهًا له

سبحانه وتعالىٰ، أَو إِنكار حقِّ العبودية لله تعالىٰ، واستحقاقه وحده لا شريك له في جميع العبادات، أَو اعتقد أَنَّ اللهَ - سبحانه - لا يخشىٰ منه، أَو لا يستعان به، أَو لا يتوكلُ عليه.

٣- التَّكذيبُ، أَو الشَّكُّ في رسالةِ نبيِّ الإِسلام محمَّدٍ ﷺ أَو جحدُ عمومِ رسالتِهِ، وختمِهِ للنبوَّة، أَو إِنكارُ بعضِ ما أَخبرَ به الرَّسُولُ ﷺ أَو الطَّعنُ فيه بعدَ ثُبُوتِه.

٤- الاعتقادُ بأَنَّ الرَّسولَ ﷺ كتَمَ شيئًا مَّا أَوحىٰ اللهُ تعالىٰ إِليه وهو مأْمورٌ بتبليغه.

٥- التَّكذيبُ أَو الشَّكُّ في شيءٍ من أَركانِ الإِسلام الخمسة، أَو أَركانِ الإِيمانِ السِّتَّة، أَو الجنَّةِ، أَو النَّار، أَو الثَّوابِ والعقاب، أَو البعث والنُّشُورِ، أَو الجنِّ، أَو الملائكةِ، أَو أَنَّ الله تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة، أَو إِنكار صفاتِ الله تعالىٰ أَو صفةٍ منها، أَو اعتقاد التجسيم والتمثيلِ في ذاته تعالىٰ، أَو إِنكار، أَو الشَّكُّ بشيءٍ مَّا هو مُجْمَعٌ عليه؛ كالإِسراءِ والمعراج، أَو الشَّكُّ فيما أَخبَرَ به الله - تبارك وتعالىٰ - ورسولُهُ محمَّد ﷺ من الأُمور الغيبيَّةِ، وغيرها.

٥- إِنكارُ شيءٍ من القرآن، أَو اعتقادُ زيادةٍ فيه، أَو الاعتقادُ بأَنَّ للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأَنَّ باطِنَهُ يُخالِفُ ظاهِرَه، أَو أَنَّ هذا الباطنَ مخصوصٌ للبعض دونَ بعض.

٧- الإِيمانُ بشريعةٍ غير الإِسلام، واعتقادُ صلاحيتها للبشرِ، أَو العملُ بها، وتطبيقها، أَو الرِّضا بها، أَو التَّحاكم إِليها.

٨- اعتقادُ عدم كُفر الكفَّار من: الملحدين، والمشركين، والمرتدِّين، والزنادقة، أَو الشكُّ في كُفرهم، أَو تصحيحُ مذهبهم، أَو موالاتُهم علىٰ حساب الدِّين.

٩- الاعتقادُ بأَنَّ الكنائسَ أَو المعابدَ؛ بيوتُ الله - جلَّ وعلا - وأَنَّ اللهَ تعالىٰ يُعبد فيها ويذكر ويُوحَّدُ، وأَنَّ ما يفعلُهُ اليهودُ والنَّصارىٰ في هذه الأَماكن عبادةٌ لله تعالىٰ، وطاعةٌ لَهُ - سبحانه - ولأَنبيائِه ورسُلِه عليهم أَفضلُ الصَّلاةُ والسَّلام.

١٠- جَحْدُ وجوبِ شيءٍ معلومٍ منَ الدِّين بالضَّرورة؛ كالصَّلواتِ الخمسِ، والزَّكاةِ، والصَّومِ، والحجِّ، وغيرها.

١١- اعتقادُ تحريمِ مباحٍ معلومٍ منَ الدِّين بالضَّرورة؛ كالبيعِ والنِّكاح، أَو اعتقادُ إِباحةِ محرَّمٍ معلومٍ منَ الدِّين بالضَّرورة؛ كالقتلِ، والزِّنا، والرِّبا، والخمر، أَو إِعطاءُ غيرِ الله تعالىٰ حقَّ الأَمرِ والنَّهي، وحقَّ التَّحليلِ والتَّحريمِ، وحقَّ التَّشريع، أَو اعتقادُ جوازِ الاحتكامِ إِلىٰ غيرِ اللهِ تعالىٰ.

١٢- تكذيبُ رُسُلِ اللهِ تعالىٰ، أَو تكذيبُ واحدٍ منهم! في أَيِّ أَمرٍ من الأُمورِ الثَّابتةِ عنهم.

١٣- اعتقادُ صفاتِ الرَّبوبيَّة أَو الأُلوهيَّة في المخلوقِ والعياذُ بالله تعالىٰ.

١٤- ادِّعاءُ النبوَّةِ، أَو تصديقُ من يدَّعيها.

١٥- الاعتقادُ بأَنَّ البعضَ يَسعُهُ الخروجُ عن شريعةِ الإِسلام، أَو لا يجبُ عليه اتِّباعُ النَّبيِّ ﷺ، أَو يجُوزُ للشَّخصِ أَن يلتزمَ بدينٍ آخرَ غيرِ دين الإِسلام.

١٦- الاعتقادُ بأنَّ جُمْهُورَ الصَّحابةَ - رضيَ الله عنهم أَجمعين - ارتدُّوا، أَو فسَقُوا، أَو خانوا؛ بعد وفاةِ النَّبيِّ ﷺ .

١٧- انكارُ صُحْبَةِ أَبي بكر الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - وصِدْقِهِ مع الرَّسُول ﷺ ؛ لأنَّه تكذِيبٌ لنصِّ القرآن .

١٨- الرِّضا بالكُفر، والعَزمُ علىٰ الكُفر، أَو تعليقُ الكُفر بأَمرٍ مستقبل .

١٩- مَن ضَحِكَ لمن تكلَّم بالكُفر مع الرِّضا به .

٢٠- مَن شكَّ في كُفرِ مَن عَمِلَ الأَعمالَ المُكفِّرة الظَّاهرةَ التي استبانَ دليلُها، واتَّفقَ أَئمَّةُ أَهل السُّنَّة والجماعة عليها .

وغيرها من صُورِ نواقضِ الإِيمانِ الاعتقاديَّة .

الثَّاني : نواقضُ الإيمانِ بالقولِ :

هيَ الأَقوالُ والأَلفاظُ الصَّريحةُ التي ثَبَتَتْ بالأَدِلَّةِ الشَّرعيَّةَ القطعيَّةِ الدَّلالَةِ علىٰ أَنَّها كفرٌ صريحٌ مُخرجٌ من دينِ الإسلام، ويكونُ بمجرَّدِ التَّلفُّظ بها .

١- سبُّ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - أَو نسبةُ العيبِ إليه - جلَّ وعلا - أَو سبُّ الرَّسولِ ﷺ أَو أَحدِ الرُّسل - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - أَو سبُّ الملائكة، أَو سبُّ دينِ الإسلام.

٢- القولُ بأَنَّ القرآنَ نُقص منه بعد موت رسُول اللهِ ﷺ أَو زيد فيه حرفٌ، أَو بُدِّل منه حرفٌ، أَو القول بأَنَّ هذا المسموع، أَو المكتوب ليس هو القرآن، أَو القولُ بأَنَّ القرآن ليسَ كلامُ اللهِ تعالىٰ .

٣- الاستهزاءُ باللهِ العظيم - جلَّ في عُلاه - وبرسُولِهِ الأَمين محمَّد بن عبد الله ﷺ وانتقاصُهما، أَو الاستهزاءُ بكلامهِ - جلَّ وعلا - وكتابهِ الكريم « القرآن العظيم » أَو سائر كُتُبِه، أَو بآيةٍ من آياتِه، أَو برسُله، أَو بالرَّسُولِ محمَّد ﷺ مثل : الطَّعنِ في صدقِه، أَو في أَمانتِه، أَو عفَّتِه، أَو عرضه؛ كقول أَنَّه ﷺ كان شهوانيًا فقد أَكثرَ منَ النِّساء، أَو الاستهزاءُ والاستخفافُ بشخصِهِ الكريم ﷺ ؛ كقول : أَنَّه أَسودُ اللَّونِ، أَو أَنَّه أَصفرُ اللَّون، أَو بسُنَّتِهِ المطهرة ﷺ أَو ردِّها وعدَمِ قبولها؛ بحُجَّةِ أَنَّها لا تُوافِقُ العقل .

٤- الاستهزاء والسُّخريةُ من أَسماءِ اللهِ تعالىٰ، أَو تنقُّصه، أَو بوعدِه بالجنَّةِ، أَو وعيده بالنَّار؛ كقولِ بعضهم : لو أَعطانيَ اللهُ الجنَّةَ ما دخلتُها، لو

شَهدَ عنديَ الأنبياءُ والرُّسلُ بكذا ما قبلتُ شهادتَهم، أَو ما لحقني خيرٌ منذ أَن صلَّيتُ، أَو ما نفعتك صلاتُك، وغير ذلك.

٥- الاستهزاءُ والاستخفافُ بأحكامِ الشَّريعة الغرَّاءِ، ووصفُها بالأوصافِ القبيحة؛ كأن يقولَ قائلٌ: قطعُ يَدِ السَّارِقِ جريمةٌ بشعةٌ، أَو رجْمُ الزاني المحصن ظُلم.

٦- الاستهزاءُ والاحتقارُ للشَّعائرِ الإسلاميَّة الثابتة؛ كإعفاء اللحيَّة، أَو حجابِ المرأةِ، أَو شعائر العباداتِ، وغيرها.

٧- معارضة أوامر الله - تبارك وتعالىٰ - كليًّا، أَو معارضة أمرٍ واحد.

٨- إيذاء النَّبيِّ ﷺ في عرضه، أَو اتِّهامُهُ في تبليغه، أَو الاستهزاءُ به.

٩- دعاءُ الأنبياء والأولياءِ والصَّالحين، والاستغاثةُ بهم عند الكُرَبِ والشدائد، وسؤالُهم ما لا يقدرُ عليه إلاَّ الله - تبارك وتعالىٰ - وكذلك الاستعاذةُ بهم.

١٠- القولُ: أنا لا أَخافُ اللهَ. أَو أنا لا أُحبُّ اللهَ تعالىٰ.

١١- القولُ: إنَّ الرَّسولَ ﷺ لم يوجب علينا الصَّلاةَ، أَو الزَّكاةَ، أَو الصَّومَ، أَو الحجَّ.. إلخ.

١٢- القولُ: إنَّ الدِّين لا صلَةَ له بالدولة، وسائرِ شؤونِ الحياة، أَو إنَّ تعاليمَ الإسلامِ لا تتناسَبُ مع هذا الزمن.

١٣- القولُ: لمن التزمَ بدينِ الإسلام: أَنت رَجْعِيٌّ.

١٤- القول: إنَّ دينَ الإسلامِ وتعاليمَهُ؛ هو سببُ تأَخُّرِ المسلمينَ، أَو بلادِ المسلمين.

١٥- قولُ شخصٍ عن عدوِّه: لو كان رَبِّي ما عَبدتُه، أَو لو كان نبِيًّا ما آمنتُ به.

١٦- قولُ المرءِ لمن قال (لا حول ولا قوة إلاَّ بالله): هذا القول لا يُسمِنُ ولا يُغني من جُوع.

١٧- قولُ شخصٍ عن ولَدِهِ أَو زوجته: هو أَحبُّ إليَّ منَ الله، أَو من رسُولِه ﷺ.

١٨- ادِّعاءُ الوحي، وإن لم يدَّعِ معها النُّبوَّة.

١٩- ادِّعاءُ الغيبِ، أَو ما يقَعُ في المستقبلِ جازمًا.

٢٠- قولُ الشَّخص: إنَّ اللهَ نقَّص من مالي، وأَنا أُنقِّصُ من حقِّهِ ولا أُصلِّي.

٢١- قولُ الشَّخص لمن يُحبُّه: لو أَعطاني الله الجنَّة؛ لا أَدخُلُها من دُونكَ.

٢٢- قول مَن صلَّىٰ في رمضان فقط، ثمَّ قال: هذا أَيضًا كثير، أَو هذا يكفي وزيادَة.

٢٣- قولُ الفاسقِ إذا قيل له صلِّ حتىٰ تجدَ حلاوةَ الصَّلاة: لا أُصلِّي حتىٰ أَجدَ حلاوةَ التَّرك.

٢٤- قراءةُ القرآن علىٰ نغماتِ الدَّف، أَو علىٰ نوعٍ من أَنواعِ المعازف.

٢٥- مَن عابَ شيئًا من القرآنِ العظيم، أَو قرأَهُ علىٰ وجهِ الهزل والمزاح.

٢٦- مَن طعنَ في عدالة الصَّحابة، أَو جمهورهم، كأَن يقولَ عنهم: فُسَّاقٌ، أَو ضُلاَّل.

٢٧- مَن قالَ بأُلوهية عليٍّ - رضي الله عنه - أَو نُبُوَّتِهِ.

٢٨- ادِّعاءُ أَنَّ جبريل - عليه السَّلام - خانَ الأَمانةَ؛ فأَنزلَ الوحيَ علىٰ محمَّدٍ ﷺ بدلاً من أَن ينزِّلَهُ علىٰ عليٍّ.

٢٩- قَذْفُ أُمِّ المؤمنين الصدِّيقة عائشةَ بنتِ الصدِّيق - رضي الله عنهما - بما برَّأَها اللهُ تعالىٰ منه من فوقِ سبع سموات.

إلىٰ غيرِ ذلك من الأَقوال القبيحةِ المناقضةِ للإيمان والإسلام.

الثَّالث : نواقضُ الإيمانِ بالفعل :

هي الأَفعالُ التي ثَبَتَتْ بالأَدلَّةِ الشَّرعيَّةِ القطعيَّةِ الدَّالةِ علىٰ أَنَّها كفرٌ صريحٌ مُخرجٌ من دين الإِسلام؛ دونَ اشتراطِ الجحود، أَو الاستحلال، أَو الاعتقاد، أَو قصد الكفر، ويكون بمجرَّدِ فعله.

١- السُّجودُ لغيرِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - والنَّذرُ لغير اللهِ سبحانه، والذَّبحُ لغيرهِ تعالىٰ.

٢- السُّخريةُ باسمٍ من أَسماءِ الله تعالىٰ، أَو بأَمرِه، أَو وعيدِه، أَو ذكرُ اسم الله تعالىٰ عند تعاطي الخمرِ والزِّنا والدُّخان؛ استخفافًا.

٣- الاستهانةُ بالمصحفِ الشَّريف تَعَمُّدًا، مثلُ: إلقائه في القاذُوراتِ، أَو دَوسِهِ بالقدمِ مُتعمِّدًا، أَو الإِشارةِ إِليه باليد، أَو بالقدمِ، أَو بالشَفَةِ؛ إِشارة استهانةٍ، أَو قراءته علىٰ ضربِ الدُّف علىٰ سبيل الاستخفاف، وهكذا فِعْلُ أَمثال هذه الأَشياء بحديثِ رسول الله ﷺ وكُتُبِ الشَّريعة عمومًا.

٤- الطَّوافُ بالأَضرحَةِ وقبورِ الأَولياءِ والصَّالحين؛ من أَجلِ التَّقرُّبِ إِليهم، ودُعائِهِم، أَو الاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ من دُونِ اللهِ تعالىٰ.

٥- إِظْهَارُ الْمُقْتِ وَالْكَرَاهِيَّةِ؛ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، أَوْ عِنْدَ ذِكْرِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ عِنْدَ ذِكْرِ الإِسْلَامِ، أَوْ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ؛ اعْتِقَادًا.

٦- لُبْسُ شَيْءٍ مِنْ شَعِارِ الْكُفَّارِ؛ كالصَّليبِ، أَو قلنسوة المجوس ونحوه مِمَّا هو خاصٌّ بشعائرهم الدينية؛ عالمًا، عامدًا، راضيًا بشعارهم وبدينهم.

٧- مشاركةُ أَهلِ الكُفر في عباداتهم؛ كصلاتهم ونحوها.

٨- هدمُ معالمِ الإسلامِ المشروعَةِ؛ كهدمِ المساجدِ؛ لأَجل ما يُفعل فيها مِنَ العبادَةِ.

٩- بناءُ دُورِ العبادَةِ للكفَّارِ، أَو إِعانتُهُمْ عَلَىٰ ذلك راضيًا؛ كبناءِ الكنائس ونحوها، وكذلك بناء الأَضرحةِ التي يطوف النَّاسُ حولها، ويقصدونها بالدُّعاء والنذر، وغيرها من الأَعمال الشِّركيَّة.

١٠- أَن يعمل فعلاً أَجمعَ المسلمون علىٰ أَنَّه لا يَصدُرُ إِلاَّ من كافر.

١١- تَعَلُّمُ السِّحرِ، وتعليمُه.

١٢- الإِعراضُ التَّامُّ عن دينِ الإِسلام؛ لا يتعلَّمُهُ، ولا يعملُ به.

١٣- عدمُ تكفيرِ الكفَّار؛ مِنَ الملحدين؛ والمشركينَ؛ والمرتدِّين، أَو موالاتُهم، أَو تصحيحُ مذاهبهم، أَو إِظهارُ موافقتهم علىٰ دينهِم، أَو التَّقرُّبُ إِليهم؛ بالأَقوالِ، والأَفعالِ، والنِّيات؛ حُبًّا بِهِمْ.

١٤- موالاةُ أَعداءِ الإِسلام؛ مِنَ الكفَّارِ والمشركينَ، ومظاهرتُهُمْ علىٰ المسلمينَ، أَو إِعانتُهُمْ علىٰ قتالِ المسلمينَ.

١٥- مشاركةُ الكفَّارِ والمشركينَ في أَعيادِهِمْ الكفريَّة، وتهنئتهم بها؛ عالمًا، عامدًا، راضيًا.

١٦- بُغضُ دينِ الإِسلام، أَو كلِّ ما جاء به هذا الدِّينُ، أَو ما جاء به رسُولُهُ الأَمين محمَّد ﷺ.

١٧- الامتناعُ مِنَ الالتزامِ بشرعٍ من شرائعِ الإِسلامِ العظيمِ؛ ردًا له، لا عن شبهة، أَو هوىٰ.

١٨ـ عَدَمُ إفرادِ اللهِ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ بالْحُكمِ والتَّشريع:

كتَنْحيَةِ شَرْعِ اللهِ تعالىٰ جملةً أو تفصيلاً، أو التَّشريعِ المخالفِ لشرعِ اللهِ تعالىٰ، أو الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تعالىٰ، والتزامِهِ، والإلزامِ بِهِ: فمَن شَرَعَ حُكمًا غيرَ حُكمِ اللهِ تعالىٰ، وحكَّمَهُ في عبادِهِ، أو بدَّلَ شَرْعَ اللهِ تعالىٰ، أو عطَّلَهُ، ولم يحكُمْ بِهِ، واستبدلَ حُكمًا طاغوتيًا بِهِ، وحَكَمَ بِهِ؛ فهذا كفرٌ أكبرُ بالنَّصِّ والإجماعِ؛ لأنَّهُ ناقضٌ من نواقضِ الإيمانَ، وردَّةٌ عن دينِ الإسلامِ؛ لأنَّ فِعْلَهُ دليلٌ علىٰ رضاهُ به، وإباءٌ وامتناعٌ عَنِ الالتزامِ بشرعِ اللهِ تعالىٰ، وتشريعٌ من دونِ اللهِ، وكُرهٌ واحتقارٌ لما جاءَ بهِ اللهُ، ودليلٌ علىٰ تسويغِهِ اتِّباعَ غيرِ شرعِ اللهِ تعالىٰ، ولو لمْ يُصرِّحْ بلسانِهِ؛ لأنَّ لسانَ الحالِ والعملِ؛ أقوىٰ وأصدقُ وأفصحُ بيانًا من لسانِ المقالِ! ولسانَ الخبرِ يحتملُ التَّكذيبَ والتَّصديقَ، ولسانَ الحالِ لا ينطِقُ إلاَّ بالتَّحقيقِ (*).

(*) فاعلم! أخي الموحِّد: أنَّ اشتراطَ الاستحلالِ لتكفيرِ مَن وقعَ في الكفرِ بالأقوالِ والأفعالِ؛ ليس له أصلٌ في الشَّرعِ، ولا هو معتمَدٌ عند أئمَّةِ السَّلفِ ـ رحمهم الله ـ ألبتَّةَ! بل هذا الأمرُ مشهورٌ عن المتكلِّمينَ من الجهميَّةِ والمرجئةِ! لأنَّ الإستحلالَ لا يُشترطُ في نواقضِ الإيمانِ عند أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، ولكن هو شرطٌ في الأعمالِ غيرِ الكفريَّةِ؛ كالمعاصي والذُّنوبِ؛ إن استحلَّها كفرَ! أمَّا الكفرُ نفسُهُ فلا يُقالُ فيهِ ذلكَ؛ فإنَّ الْمُواقعَ لِلْكفرِ يُكَفَّرُ؛ سواءً استحلَّ الفعلَ الْمُكَفِّرَ أم لا، وهذا مع مراعاةِ ضوابطِ الحكمِ علىٰ الشَّخصِ المعيَّنِ.

فالجحودُ والاستحلالُ هما فعلانِ مكفِّرانِ مستقلأنِ ما دامَ ما جحدَهُ أو استحلَّهُ معلومًا من الدِّينِ بالضَّرورةِ، وأنَّ الواجباتِ الَّتي هي من أُصلِ الإيمانِ؛ يَكْفُرُ تاركُها بمجردِ التَّركِ، وإن لم يصاحبْ ذلكَ جحودًا أو استحلالا! لأنَّ الإستحلالَ كفرٌ مستقلٌ بذاتِهِ دون الشُّروعِ في الفعلِ؛ فمَن استحلَّ حرامًا كَفَرَ بالإجماعِ، ولو لم يباشِرْهُ بالعملِ؛ لأنَّهُ أمرٌ باطنيٌّ! فالإنسانُ لو كانَ يُحكِّمُ شرعَ اللهِ تعالىٰ، وهو في قرارةِ نفسِهِ يستحلُّ التَّحاكمَ لليهوديَّةِ أو النَّصرانيَّةِ وغيرِهما؛ لكانَ كافرًا بالإجماعِ! مع أنَّهُ مُحَكِّمٌ لشرعِ اللهِ تعالىٰ؛ فكيف بمن لم يُحَكِّمْهُ! وما ذكرَهُ اللهُ تعالىٰ عن الملكين هاروتَ وماروتَ؛ يُوضِحُ هذا الأمرَ جليًّا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فماذا كانَ يقولُ الملكانِ؟: =

وذلكَ لأنَّ التَّشريعَ والتَّحليلَ والتَّحريمَ؛ حقٌّ خالصٌ للهِ تعالىٰ وحدَهُ لا

= ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ فإنَّهم كانوا لا يستحلُّونَهُ! فإنَّ الَّذي يستحلُّ لا يقولُ: هذا كفرٌ، وأنا فتنةٌ؛ فهو بالعكسِ يعلمُ أنَّها فتنةٌ وحرامٌ، وأنَّها كفرٌ، ومع ذلك كَفَّرَهُمُ اللهُ تعالىٰ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ لم يقيِّدِ الكُفرَ الأكبرَ بهذهِ القيودِ، والدَّليلُ أنَّ اللهَ لم يُعْذِرِ الَّذينَ قالوا: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ بل حكمَ عليهم بالكفرِ بمجرَّدِ فعلهم! فقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة التوبة].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ: (وبالجملةِ فمَن قالَ أو فعلَ ما هو كفرٌ، كفرَ بذلك، وإن لم يقصُدْ أن يكونَ كافرًا، إذ لا يقصدُ الكفرَ إلاَّ ما شاءَ اللهُ) «الصارم المسلول» ج٢، ص٣٣٩. وقال: (وقد قالَ الإمامُ ابنُ راهويه: قد أجمعَ المسلمونَ علىٰ أنَّ مَن سبَّ اللهَ أو سبَّ رسولَهُ ﷺ أو دفعَ شيئًا مما أنزلَ اللهُ، أو قتلَ نبيًّا من أنبياءِ اللهِ؛ أنَّهُ كافرٌ بذلك، وإن كان مُقرًّا بكلِّ ما أنزلَ اللهُ) «الصارم المسلول» ج٣، ص٩٥٥.

وقال، رحمهُ اللهُ: (فثبتَ بالكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأمَّةِ أنَّهُ يُقاتَلُ من خرجَ عن شريعةِ الإسلامِ، وإن تكلمَ بالشَّهادتين!) انظر: «السياسية الشرعية، باب: جهاد الكفار».

وقالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ – رحمهُ اللهُ – في تفسيرِ قولهِ تعالىٰ ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]: (يُنكِرُ اللهُ تعالىٰ علىٰ مَن خرجَ عن حكمِ اللهِ، وعدلَ إلىٰ ما سواهُ من الآراءِ والأهواءِ والاصطلاحاتِ الَّتي وضعها الرِّجالُ؛ كما كانَ أهلُ الجاهليةِ يحكمونَ به من الضَّلالاتِ والجهالاتِ مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكمُ به التَّتارُ من السياساتِ الملكيةِ المأخوذةِ عن ملكهم جنكيزخان الَّذي وضعَ لهم الياسقَ! وهو عبارةٌ عن أحكامٍ جمعها من شرائعَ شتَّىٰ، ومن نظرِهِ وهواهُ! فصارت في بنيهِ شرعًا متَّبعًا؛ فمَن فعلَ ذلكَ منهم؛ فهو كافرٌ يجبُ قتالُهُ؛ حتَّىٰ يرجعَ إلىٰ حكمِ اللهِ ورَسُولِهِ). وقالَ، رحمه اللهُ: (فمَن تركَ الشَّرعَ المحكَمَ المنزَّلَ علىٰ محمَّدِ بنِ عبدِاللهِ خاتمِ الأنبياءِ، وتحاكمَ إلىٰ غيرِهِ من الشَّرائعِ المنسوخةِ كَفَرَ؛ فكيفَ بمن تحاكمَ إلىٰ الياسا وقدَّمها عليه! فمن فعلَ ذلكَ؛ كفرَ بإجماعِ المسلمين) انظر: «البداية والنهاية» ج١٣، ص١١٩. وقالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(مَن سبَّ اللهَ، أو سبَّ رسولَهُ كفرَ ظاهرًا وباطنًا؛ سواءٌ كان السَّابُّ يعتقدُ أنَّ ذلك محرَّمٌ، أو كان مستحلاً لَهُ، أو كان جاهلاً عن اعتقاده؛ هذا مذهبُ الفقهاءِ وسائرِ أهلِ السُّنَّةِ القائلين بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ... وكذلك نُقِلَ عن الشَّافعيِّ أنَّهُ سُئِلَ عمَّن هَزَلَ بشيءٍ من آياتِ اللهِ تعالىٰ أنَّهُ قالَ: هو كافرٌ، واستدلَّ بقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ =

شريكَ لَهُ؛ فالحلالُ ما أحلَّهُ اللهُ ورسُولُهُ ﷺ والحرامُ ما حرَّمَهُ اللهُ ورسُولُهُ

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وكذلك قال أصحابنا وغيرهم: من سبَّ اللهَ كفرَ؛ سواءٌ كان مازحًا، أو جادًّا؛ لهذه الآية، وهذا هو الصوابُ المقطوعُ بهِ.... ويجبُ أنْ يعلمَ أنَّ القولَ بأنَّ كُفرَ السَّابِّ في نفسِ الأمرِ إنَّما هو لاستحلالِهِ السبَّ زلَّةٌ منكَرةٌ وهفوةٌ عظيمةٌ ... وذلك من وجوه: أحدُها: أنَّ الحكايةَ المذكورةَ عن الفقهاءِ أنَّهُ إنْ كانَ مستحِلاً كفرَ، وإلاَّ فلا، ليس لها أصلٌ، وإنَّما نقلها القاضي من كتاب بعض المتكلِّمين الَّذين نقلوها عن الفقهاء، وهؤلاء نقلوا قول الفقهاء بما ظنُّوهُ جاريًا علىٰ أُصولهم، أو بما قد سمعوه من بعض المنتسبين إلىٰ الفقه ممن لا يُعَدُّ قولُهُ قولاً، وقد حكينا نصوص أئمَّةِ الفقهاء وحكايةِ إجماعهم عمَّن هو من أعلم النَّاس بمذاهبهم؛ فلا يظنُّ ظانٌّ أنَّ في المسألةِ خلافًا يجعلُ المسألةَ من مسائلِ الخلافِ والاجتهادِ، وإنَّما ذلك غلطٌ، لا يستطيع أحدٌ أنْ يحكي عن واحدٍ من الفقهاء أئمَّةِ الفتوىٰ هذا التفصيلَ ألبتَّةَ. الوجه الثاني: أنَّ الكفرَ إذا كان هو الاستحلالَ؛ فإنَّما معناه اعتقادٌ أنَّ السبَّ حلالٌ؛ فإنَّهُ لَمَّا اعتقدَ أنَّ ما حرَّمهُ اللهُ تعالىٰ حلالٌ كفرَ، ولا رَيْبَ أنَّ من اعتقدَ في المحرَّمات المعلوم تحريمها أنَّها حلالٌ كفرَ؛ لكن لا فرقَ في ذلك بين سبِّ النَّبيِّ وبين قذف المؤمنين والكذبِ عليهم والغيبة لهم إلىٰ غير ذلك من الأقوال التي علم أنَّ اللهَ حرَّمها؛ فإنَّهُ من فعل شيئًا من ذلك مستحلاً كفرَ! مع أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يُقالَ: مَنْ قذفَ مسلمًا أو اغتابه كفرَ، ويعني بذلك إذا استحلَّه. الوجه الثالث: أنَّ اعتقادَ حلِّ السَّبِّ كفرٌ؛ سواءٌ اقترَنَ به وجودُ السبِّ أو لم يقترن؛ فإذًا لا أثرَ للسبِّ في التَّكفيرِ وجودًا وعدمًا، وإنَّما المؤثِّرُ هو الاعتقادُ، وهو خلافُ ما أجمعَ عليه العلماء. الوجه الرابع: أنَّه إذا كان المكفِّرُ هو اعتقادَ الحلِّ فليس في السبِّ ما يدلُّ علىٰ أنَّ السَّابَّ مستحلٌّ؛ فيجبُ أن لا يكفَّرَ، لاسيَّما إذا قالَ: أنا أعتقدُ أنَّ هذا حرامٌ، وإنَّما أقولُ غيظًا وسفهًا، أو عبثًا أو لعبًا؛ كما قال المنافقون: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ وكما إذا قال: إنَّما قذفتُ هذا وكذبتُ عليه لعبًا وعبثًا؛ فإن قيل لا يكونون كفارًا؛ فهو خلافُ نصِّ القرآن، وإنْ قيل يكونون كفارًا؛ فهو تكفيرٌ بغيرِ موجبٍ إذا لم يجعل نفسُ السَّبِّ مكفِّرًا، وقول القائل: أنا لا أُصدِّقهُ في هذا لا يستقيم؛ فإنَّ التَّكفيرَ لا يكون بأمرٍ محتملٍ؛ فإذا كان قد قال: أنا أعتقدُ أنَّ ذلك ذنبٌ ومعصيةٌ وأنا أفعلُه، فكيف يكفَّرُ إن لم يكن ذلك كفرًا؟ ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ولم يقل قد كذبتم في قولكم: إنَّما كنَّا نخوض ونلعب؛ فلم يكذِّبهم في هذا العُذر كما كذَّبهم في سائر ما أظهروه من العذرِ الَّذي يوجب براءتَهم من الكفرِ لو كانوا صادقين؛ بل بَيَّن أنَّهم كفروا بعد إيمانهم بهذا الخوضِ واللعبِ) انظر: «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرَّسول» ج٣، ص٩٦٢ - ٩٦٤.

ﷺ والدِّينُ ما شَرَعَهُ اللهُ ورسُولُهُ ﷺ؛ فالحكمُ والتَّحاكُمُ مِنَ العباداتِ الَّتي لا يجوزُ صرفُها إلاَّ للهِ تعالىٰ، وقد سمَّاها اللهُ عبادةً، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(١).

ومَن تحاكمَ لغيرِ اللهِ تعالىٰ؛ فقد جعلَ شيئًا من حقوقِ اللهِ في العبوديَّةِ لغيرِهِ - سبحانَهُ - كما فعلَ أهلُ الكتابِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ! فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ» وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»(٣).

وقالَ حذيفةُ، رضيَ اللهُ عنهُ: (إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَصُومُونَ لَهُمْ، وَلاَ يُصَلُّونَ لَهُمْ؛ لَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ حَرَّمُوهُ؛ فَتِلْكَ كَانَتْ رُبُوبِيَّتَهُمْ)(٤).

لأنَّ التَّحاكمَ عبادةٌ كسائرِ العباداتِ؛ فهؤلاءِ لم يركعوا ولم يسجدوا لهم! وإنَّما أطاعُوهُم في تغييرِ أحكامِ شرعِ اللهِ تعالىٰ؛ بتحليلهمُ الحرامَ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠. (٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٣) رواه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن) باب «من سورة التوبة» وحسنه الألباني.

(٤) «تفسير الطبري» ج١٤، ص٢١١.

وتحريمهم الحلالَ فذلكَ من عبادتهم وهو من الشِّركِ الأكبرِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (٢)(*).

فعبادةُ اللهُ تعالىٰ؛ تقتضي افرادَهُ – سبحانَهُ – بالتَّحليلِ والتَّحريمِ المطلَقِ، وهذهِ هيَ حقيقةُ الإسلامِ والدِّينِ الحنيفِ، وقد سمَّىٰ اللهُ تعالىٰ الحكمَ بغيرِ شرعِهِ طاغوتًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (٣).

والطَّاغوتُ: هو كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ تعالىٰ، ورُضيَ بالعبادَةِ من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ في غيرِ طاعَةِ اللهِ تعالىٰ، ورَسُولِهِ ﷺ.

فمَن شرَعَ من دونِ اللهِ تعالىٰ، أو ألزمَ النَّاسَ بغيرِ شرعِ اللهِ؛ فقد نازَعَ اللهَ – جلَّ في عُلاه – فيما اختصَّ بِهِ سبحانَهُ، وتعدَّىٰ علىٰ حقٍّ من حُقُوقِهِ، وأعارَهُ لنفسِه، ورفَضَ شريعةَ اللهِ؛ فهذا العملُ شركٌ باللهِ تعالىٰ،

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٢١. (٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٠ – ٦١.

(*) قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ: (والإنسانُ متىٰ حلَّلَ الحرامَ المجمَعَ عليهِ، أو حرَّمَ الحلالَ المجمَعَ عليهِ، أو بدَّلَ الشَّرعَ المجمعَ عليهِ؛ كانَ كافرًا مرتدًّا بالاتِّفاقِ) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٣، ص٢٦٧.

وصاحبُهُ مُشركٌ ضالٌّ ضلالاً بعيدًا! والحكمُ يشمُلُ: مَن سنَّ تلكَ القوانينَ المشرَّعَ، ومَن حَكَمَ بها، ومَن ألزمَ النَّاسَ بالتَّحاكُمِ إليها، ومَن رضيَ بالتَّحاكُمِ إليها (*).

(*) وقالَ العلامةُ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ آلُ الشَّيخ، رحمَهُ اللهُ: (إنَّ من الكفرِ الأكبرِ المستبينِ؛ تنزيلَ القانونِ اللعينِ! منزلةَ ما نزلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ على قلبِ محمَّدٍ ﷺ ليكونَ من المنذرينَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ في الحكم بهِ بينَ العالمينَ، والرَّدُّ إليهِ عندَ تنازُعِ المتنازعينَ). وقالَ رحمهُ اللهُ: (لا يجتمعُ التَّحاكمُ إلىٰ غيرِ ما جاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مع الإيمانِ في قلبِ عبدٍ أصلاً؛ بلْ أحدُهما ينافي الآخرَ) انظر: «رسالة تحكيم القوانين».

● تنبيهٌ مهمٌّ! اعلمْ أخيَ الموحِّدَ: الأصلُ في التَّحاكمِ؛ أنَّهُ لا يجوزُ إلاَّ لِحُكْمِ اللهِ تعالىٰ، ومَن كانَ في بلدٍ لا يتحصَّلُ فيهِ الحقُّ إلاَّ بالتَّحاكُمِ للمحاكِمِ الوضعيَّةِ؛ كمَن يعيشُ في بلادِ الكفرِ، أو في بلادِ المسلمينَ! ولكنْ لا يُحكِّمونَ الشَّرعَ! فإذا سُلِبَ مالُ المسلمِ بسرقةٍ أو غصبٍ، أو سُفكَ لهُ دمٌ، أو كانَ تحصيلُ نوعٍ من الحقوقِ، أو دفعُ نوعٍ من المظالمِ؛ ولا يستطيعُ أنْ يلجأَ لحكمِ اللهِ تعالىٰ؛ لغيابهِ في بلدِهِ وتعذُّرِ تحقيقهِ؛ ففي هذهِ الحالةِ؛ يجوزُ لهُ التَّحاكُمُ إلىٰ المحاكمِ الوضعيَّةِ؛ تحتَ ظروفِ الإكراهِ، والتَّقيَةِ، والضَّرورةِ، ومن قبيلِ دفعِ الضَّرَرِ الأكبرِ، ودفعِ الظُّلمِ والأذىٰ عن النَّفسِ والعرضِ والمالِ، وتحصيلِ ما يمكنُ تحصيلُهُ من الحقوقِ المغتصبةِ الَّتي لا يمكنُ تحصيلُها إلاَّ من خلالِ هذا الطَّريقِ؛ لأنَّ المنعَ مطلقًا من التَّحاكُمِ في هذهِ البلادِ! يجعلُ دماءَ المسلمينَ وأموالَهُم مستباحةً، وأعراضَهُمْ منتهكةً، ودماءَهُمْ مهدَرةً، وهذا ما لا يأمرُ بهِ الشَّريعةُ المرعيَّةُ؛ بل جاءَ دينُ الإسلامِ؛ بدفعِ الظُّلمِ، وإنصافِ المظلومِ وتحصيلِ الحقوقِ لأصحابها؛ فإنْ تعسَّرَ ذلكَ على يدِ المسلمِ! وتحقَّقَ علىٰ يدِ غيرِهِ! لا حرجَ منهُ؛ لأنَّ الحكمةَ ضالةُ المؤمنِ! أينما وجدَها كانَ أحقَّ بها، والقواعدُ الأُصوليَّةُ تُرخِصُ بذلكَ؛ منها: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ﴾ و﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ و﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ و﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ و«ما لا يُدرَكُ جُلُّهُ لا يُترَكُ كلُّهُ» و«ما أمرتُكُم بأمرٍ فأتوا منهُ ما استطعتُم» و«الضَّروراتُ تُبيحُ المحظوراتِ» و«لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ». فليسَ من الشَّرعِ ولا العقلِ؛ أنْ يُوصَفَ المسلمُ الَّذي هذا حالُهُ! بأنَّهُ ممَّن يُعرِضونَ عن الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، ويريدونَ أنْ يتحاكموا إلىٰ الطَّاغوتِ! ومن ثمَّ يُحمَلُ عليهِ حُكْمُ الَّذي يتحاكَمُ إلىٰ الطَّاغوتِ! لأنَّ مثلَ هذا الحكمِ يُوجِبُ علينا تكفيرَ جميعِ المسلمينَ في الأرضِ! الَّذينَ يعيشونَ واقعَ غيابِ الحكْمِ بما أنزلَ اللهُ تعالىٰ، وغيابِ المحاكِمِ الشَّرعيَّةِ الظَّاهرةِ المتمكِّنةِ القادرةِ علىٰ أنْ تَفصِلَ فيما بينَ العبادِ بحكمِ الشَّرعِ، ولا يقولُ هذا القولَ؛ مَن شمَّ رائحةَ العلمِ! أو لهُ مَسكَةٌ من العقلِ!

وَأَمَّا مَنْ تَحَاكَمَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، أَو حكَّمَهُ في نفسِهِ، أَو في غيرِهِ؛ عامدًا مختارًا، ثمَّ ادَّعىٰ الإيمانَ؛ فهذهِ دعوةٌ كاذبةٌ! لا وزنَ لها عندَ ربِّ العالمينَ (*)؛ لأنَّ اللَّهَ - جلَّ في عُلاهُ - جعلَ طاعتَهُ، وطاعةَ رَسُولِهِ الأَمينِ محمَّدٍ ﷺ من لوازمِ الإيمانِ ومقتضياتِهِ، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

فجعلَ - سبحانَهُ - مجرَّدَ التَّولِّي عن طاعتِهِ وطاعةِ رَسُولِهِ الكريمِ ﷺ كُفرًا بهِما، وأَيُّ تولٍّ عن طاعتِهِما أَكبرُ! وأَعظمُ! من تعطيلِ شرعِ اللَّهِ تعالىٰ جملةً واستبدالِ حكمٍ طاغوتيٍّ بِهِ، وتحكيمِهِ بينَ عبادِهِ وإلزامِهِمْ بِهِ.

وأَمَّا الَّذينَ يحكمُونَ بالشَّريعَةِ في مجملِ أَحكامِهِم؛ لكنَّهُمْ يُحكِّمُونَ في بعضِها بالقوانينِ المخالفَةِ لشَرعِ اللَّهِ - تباركَ وتعالىٰ -؛ فهذا حالُ المنافقينَ؛ الَّذينَ قالَ اللَّهُ تعالىٰ عنهُم في كتابِهِ العزيزِ:

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(*) قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللَّهُ تعالىٰ:

(ذمَّ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - المُدَّعينَ الإيمانَ بالكُتبِ كلِّها، وهم يتركونَ التَّحاكمَ إلىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ، ويتحاكمونَ إلىٰ بعضِ الطَّواغيتِ المعظَّمَةِ من دونِ اللَّهِ؛ كما يعيبُ ذلكَ كثيرٌ ممن يدَّعي الإسلامَ وينتحلُهُ في تحاكمهم إلىٰ مقالاتِ الصَّابئةِ الفلاسفةِ أَو غيرهم، أَو إلىٰ سياسةِ بعضِ الملوكِ الخارجينَ عن شريعةِ الإسلامِ... ومعلومٌ باتِّفاقِ المسلمينَ أَنَّهُ يجبُ تحكيمُ الرَّسُولِ ﷺ في كلِّ ما شجرَ بينَ النَّاسِ في أَمرِ دينهم ودنياهم في أُصولِ دينهم وفروعِهِ، وعليهم كلُّهم إذا حكمَ بشيءٍ ألا يجدوا في أَنفسهم حرجًا مما حُكِمَ ويسلموا تسليمًا) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٢، ص٣٣٩ - ٣٤٠.

أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

فالَّذينَ لا يَحكُمُونَ بما أنزلَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ -؛ سواءً كانوا مشرِّعينَ، أو مبدِّلينَ لشرعِهِ، أو مُستَورِدينَ لِلحُكْمِ الطَّاغوتيِّ، أو مُساوينَ بينَ حكمِ اللهِ وحكمِ الطَّاغوتِ، أو ممتنعينَ عن تحكيمِ شرعِ اللهِ تعالىٰ؛ قَدْ حَكَمَ اللهُ تعالىٰ عليهم بالكُفْرِ، وَسَمَّاهُمْ في كتابِهِ العزيزِ:

كَافِرِينَ، ظَالِمِينَ، فَاسِقِينَ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢)(*).

---

(١) سورة النور، الآيات: ٤٨ - ٥١. (٢) سورة المائدة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(*) قالَ العلأمةُ المفسِّرُ؛ محمَّدٌ الأمينُ الشَّنقيطيُّ - رحمهُ اللهُ - عن هذهِ الآياتِ الثَّلاثِ:

(واعلمْ! أنَّ تحريرَ المقامِ في هذا البحثِ أنَّ الكفرَ والظُّلمَ والفِسقَ كلُّ واحدٍ منها ربَّما أُطلقَ في الشَّرعِ مرادًا بهِ المعصيةُ تارةً، والكفرُ المخرجُ من الملَّةُ أُخرىٰ... وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ معارضةً للرُّسُلِ وإبطالاً لأحكامِ اللهِ؛ فظلمُهُ وفسقُهُ وكفرُهُ كلُّها كفرٌ مخرجٌ عن الملَّةِ) «أضواء البيان» ج٢، ص١٠٤.

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (إنَّ الَّذين يتبعونَ القوانينَ الوضعيَّةَ الَّتي شرعها الشَّيطانُ علىٰ ألسنةِ أوليائهِ مُخالفةً لما شرعهُ اللهُ - جلَّ وعلا - علىٰ ألسنةِ رُسُلِهِ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - إنَّهُ لا يَشكُّ في كفرهِم وشركِهِم؛ إلاَّ مَن طمسَ اللهُ بصيرتَهُ، وأعماهُ عن نورِ الوحي مثلهُم!) «أضواء البيان» ج٤، ص٨٣.

وقالَ أيضًا: (وأمَّا النِّظامُ الشَّرعيُّ المخالفُ لتشريعِ خالقِ السَّمواتِ والأرضِ؛ فتحكيمُهُ كفرٌ بخالقِ السَّمواتِ والأرضِ كدعوىٰ أنَّ تفضيلَ الذَّكرِ علىٰ الأُنثىٰ في الميراثِ ليسَ بإنصافٍ =

. . . .

= وأنَّهما يلزمُ استواؤهما في الميراثِ، وكدعوىٰ أنَّ تعدُّدَ الزَّوجاتِ ظلمٌ، وأنَّ الطلاقَ ظلمٌ للمرأةِ، وأنَّ الرَّجمَ والقطعَ ونحوهما أعمالٌ وحشيَّةٌ لا يسوغُ فعلُها بالإنسانِ، ونحو ذلك؛ فتحكيمُ هذا النوعِ من النِّظامِ في أنفسِ المجتمعِ، وأموالهم، وأعراضهم وأنسابهم، وعقولهم، وأديانهم؛ كفرٌ بخالقِ السَّمواتِ والأرضِ، وتمرُّدٌ علىٰ نظامِ السَّماءِ الَّذي وضعَهُ مَن خلقَ الخلائقَ كلَّها، وهو أعلمُ بمصالحها – سبحانَهُ وتعالىٰ – عن أن يكونَ معهُ مُشرِّعٌ آخرُ؛ علوًّا كبيرًا) « أضواء البيان » ج٤، ص٨٤.

وقالَ العلاَّمةُ **محمَّدُ بنُ إبراهيمَ آلُ الشَّيخِ**، رحمهُ اللهُ: (إنَّ كفرَ مَن حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ لا يخلو من أن يكونَ كفرَ اعتقادٍ أو عملٍ، والأولُ علىٰ أنواعٍ هي: . . . ثمَّ قالَ: الخامسُ: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندةً للشرعِ، ومكابرةً لأحكامِهِ، ومشاقَّةً للهِ ولرسولِهِ، ومضاهاةً بالمحاكمِ الشَّرعيَّةِ؛ إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلاً وتفريعًا وتشكيلاً وحكمًا وإلزامًا ومراجعَ ومستنداتٍ؛ فكما أنَّ للمحاكمِ الشَّرعيَّةِ مراجعَ ومستنداتٍ؛ مرجعها كلُّها إلىٰ كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولهِ ﷺ؛ فلهذهِ المحاكمِ مراجعُ هي القانونُ الملفَّقُ من شرائعَ شتَّىٰ وقوانينَ كثيرةٍ؛ كالقانونِ الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين . . . فهذهِ المحاكمُ الآن في كثيرٍ من أمصارِ الإسلام مهيَّأةٌ مكمَّلةٌ، مفتوحةُ الأبوابِ، والنَّاسُ إليها أسرابٌ إثر أسرابٍ، يحكمُ حكَّامُها بينهم بما يخالفُ حُكمَ السُّنَّةِ والكتابِ من أحكام ذلك القانون، وتلزمُ بهِ، وتُرغمُ عليه، وتحتِّمُهُ عليهم. فأيُّ كفرٍ فوقَ هذا الكفرِ! وأيُّ مناقضةٍ للشَّهادةِ بأنَّ محمَّدًا رسُولُ اللهِ بعد هذه المناقضة؟!) « رسالة تحكيم القوانين ».

وقالَ **شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ**، رحمهُ اللهُ: (ومعلومٌ بالاضطرارِ من دينِ المسلمينَ، وباتِّفاقِ جميعِ المسلمينَ أنَّ مَن سوغَ اتِّباعَ غيرِ دينَ الإسلام، أو اتِّباعَ شريعةٍ غيرِ شريعةِ محمَّدٍ؛ فهو كافرٌ، وهو ككفرِ مَن آمنَ ببعضِ الكتابِ وكفرَ ببعضِ الكتاب) « مجموع الفتاوىٰ » ج٢٨، ص٥٢٤. وقال، رحمه اللهُ: (ومعلومٌ أنَّ مَن أسقطَ الأمرَ والنهيَ الَّذي بعثَ اللهُ بهِ رسلَهُ؛ فهو كافرٌ باتِّفاقِ المسلمينَ واليهودِ والنصارىٰ) « مجموع الفتاوىٰ » ج٨، ص١٠٦.

وقالَ العلاَّمةُ **أحمدُ شاكر**، رحمهُ اللهُ: (القرآنُ مملوءٌ بأحكامٍ وقواعدَ جليَّةٍ، في المسائلِ المدنيةِ، والتِّجاريةِ، وأحكامِ الحربِ والسِّلمِ، وأحكامِ القتالِ، والغنائمِ، والأسرىٰ، وبنصوصٍ صريحةٍ في الحدودِ والقصاصِ؛ فمَن زعمَ أنَّهُ دينُ عبادةٍ فقط؛ فقد أنكرَ كلَّ هذا، وأعظمَ علىٰ اللهِ الفريةَ، وظنَّ أنَّ لشخصٍ كائنًا مَن كانَ، أو لهيئةٍ كائنةً مَن كانتْ، أن تنسخَ ما أوجبَ اللهُ من طاعتهِ والعملِ بأحكامِهِ، وما قالَ ذلكَ مسلمٌ ولا يقولُهُ، ومَن قالَهُ؛ فقد خرجَ عن الإسلامِ جملةً ورفضهُ كلَّهُ، وإنْ صلَّىٰ وصامَ وزعمَ أنَّهُ مسلمٌ!) انظر: « الكتاب والسُّنَّة يجب أن يكونا مصدر القوانين بمصر » ص٨٩. =

....

= وقالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ: (فإنَّ الحاكمَ إذا كانَ ديِّنًا؛ لكنَّهُ حكمَ بغيرِ علمٍ كانَ من أهلِ النَّارِ، وإنْ كانَ عالمًا، لكنَّهُ حكمَ بخلافِ الحقِّ الَّذي يعلمُهُ كانَ من أهلِ النَّارِ وإذا حكمَ بلا عدلٍ ولا علمٍ أَولىٰ أن يكونَ من أهلِ النَّارِ، وهذا إذا حكمَ في قضيةٍ معيَّنةٍ لشخصٍ، وأمَّا إذا حكمَ حُكمًا عامًّا في دينِ المسلمينَ؛ فجعلَ الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقًّا، والسُّنَّةَ بدعةً، والبدعةَ سُنَّةً، والمعروفَ منكرًا، والمنكرَ معروفًا، ونهىٰ عمَّا أمرَ اللهُ بهِ ورسُولُهُ، وأمرَ بما نهىٰ اللهُ عنهُ ورسُولُهُ، فهذا لونٌ آخرُ! يحكُمُ فيهِ ربُّ العالمينَ، وإلهُ المرسلينَ، مالكُ يومِ الدِّينِ الَّذي لَهُ الحمدُ في الأُولىٰ والآخرةِ: ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣٥، ص ٣٨٨.

تنبيهٌ مهمٌّ! اعلمْ أخي المسلمَ: أنَّ هؤلاءِ المشرِّعينَ في بلادِ الإسلامِ؛ الَّذينَ بدَّلوا حكمَ اللهِ تعالىٰ، ونحُّوا الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ جملةً أو تفصيلاً، ووضعوا تلكَ الأحكامَ الطَّاغوتيَّةَ، أو استوردوها، وجعلوها بديلاً لها؛ فإنَّ لسانَ حالهم وأفعالهم وتاريخهم يقولُ: إنَّهمْ ما وضعوها وما بدَّلوها إلاَّ لاعتقادهم أنَّها أصلحُ وأنفعُ للخلقِ من الشَّريعةِ الغرَّاءِ؛ فهذا لا شكَّ أنَّهُ ردَّةٌ عن الإسلامِ ومخرجٌ من الملَّةِ ومناقضٌ للتوحيدِ؛ فهم خارجونَ عن طاعةِ المسلمينَ؛ فلا سمعَ لهم علىٰ المسلمينَ ولا طاعةَ ألبتَّةَ؛ لأنَّهم ضيَّعوا مقاصدَ الإمامةِ الَّتي من أجلها نُصبوا واستحقُّوا السَّمعَ والطَّاعةَ وعدمَ الخروجِ، ولأنَّ الواليَ المسلمَ ما استحقَّ أنْ يكونَ كذلكَ إلاَّ لقيامهِ بتحكيمِ شرعِ اللهِ، وحراسةِ الدِّينِ ونشرِهِ، وتنفيذِ أحكامِهِ، وتحصينِ الثُّغورِ، وجهادِ من عاندَ الإسلامَ بعدَ الدَّعوةِ، وأنْ يواليَ المسلمينَ ويعاديَ أعداءَ الدِّينِ؛ فإذا لمْ يَحكُمْ بشريعةِ الإسلامِ، ولم يقُمْ بأمورِ المسلمينَ؛ فقد زالَ عنهُ حقُّ الإمامةِ ومقاصدُها، ووجبَ علىٰ الأمَّةِ في حينها؛ - متمثلةً في أهلِ الحلِ والعقدِ الَّذينَ يرجعُ إليهم تقديرُ الأمرِ في ذلكَ - خلعُهُ، ونصبُ آخرَ ممَّن يقومُ بتحقيقِ مقاصدِ الإمامةِ الشَّرعيَّةِ؛ إن استطاعوا ذلكَ، ولم تترتبْ عليهِ مفسدةٌ عُظمىٰ؛ فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ حينَ لا يُجوِّزُونَ الخروجَ علىٰ الأئمَّةِ بمجردِ الظُّلمِ والفسقِ؛ فإنَّهم يُريدونَ الإمامَ الَّذي يحكُمُ بشرعِ اللهِ تعالىٰ؛ لأنَّ الفجورَ والظُّلمَ لا يعني تضييعَهم للدِّينِ، والسَّلفُ الصَّالحُ لم يكونوا يعرفونَ إمارةً لا تحكمُ بشرعِ اللهِ تعالىٰ؛ فهذهِ عندهم ليست بإمارةٍ شرعيَّةٍ أصلاً، وإنَّما الإمارةُ هي ما أقامت الدِّينَ؛ ثمَّ بعدَ ذلكَ قد تكونُ؛ إمارةً برَّةً، أو إمارةً فاجرةً!

قالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، رضيَ اللهُ عنهُ: (لا بُدَّ للنَّاسِ؛ من إمارةٍ برةً كانت أو فاجرةً، قيل لهُ: هذه البرةُ عرفناها فما بالُ الفاجرةِ؟! قالَ: يُؤْمَنُ بها السُّبُلُ وتُقامُ بها الحدودُ ويُجاهَدُ بها العدو ويُقسَمُ بها الفيءُ) «منهاج السُّنَّة» لابن تيمية: ج١، ص١٤٦.

١٩- تركُ الصَّلاةِ:

فإنَّ تركَ الصَّلاةِ المفروضَةِ من الكُفرِ الأكبرِ المخرجِ من الملَّةِ، وإن كان مقرًّا بوجوبها؛ لأنَّ باعثَ الإعراضِ عن الطَّاعةِ بالكلِّيةِ؛ فقدانُ عملِ القلبِ الَّذي هو شرطٌ لصحَّةِ الإيمانِ.

والإسلامُ عظَّمَ شأْنَ الصَّلاةِ، ورفعَ ذكرها، وأَعلىٰ مكانتها؛ فهي أَعظمُ أَركانهِ بعدَ الشَّهادتينِ، وهي أُمُّ العباداتِ، وأَفضلُ الطَّاعاتِ، لا تَعْدِلُها أَيَّةُ عبادةٍ أُخرىٰ، وهي آكدُ الأَعمالِ الَّتي لا يصحُّ إيمانُ العبدِ بدونِ شيءٍ منها، وهي أَعظمُ الواجباتِ وأَدلُّها وأَجلُّها، وهي عَمُودُ الدِّين، وشعارُ المسلمينَ، والفيصلُ بينَ الإسلامِ والكفرِ.

ولذلكَ جاءتْ نصوصٌ خاصَّةٌ بها من الكتابِ والسُّنَّةِ؛ تؤَكِّدُ إقامتها، والمحافظةَ عليها، والمداومَةَ علىٰ تأْديتها في أَوقاتها، وهي أَوَّلُ ما يحاسبُ عليهِ العبدُ يومَ القيامَةِ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[١].

وقالَ ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»[٢].

وقالَ ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ؛ تَرْكُ الصَّلاَةِ»[٣].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «الإيمان وقول النبي ﷺ «بني الإسلام علىٰ خمس».

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب: «ما جاء في حرمة الصلاة» وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان اطلاق اسم الكفر علىٰ مَن ترك الصلاة».

وقالَ ﷺ: «إِنَّ العَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(١).

وقالَ ﷺ: «مَنْ تركَ الصَّلاةَ مُتعمِّدًا؛ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ تعالىٰ وَرَسُولِه»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ حافَظَ عَلَيْها، كَانَتْ لَهُ نُورًا، وبُرْهَانًا، ونَجاةً يَوْمَ القِيامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحافِظْ عَلَيْها؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، ولاَ بُرْهَانٌ، ولاَ نَجاةٌ، وكَانَ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ قَارُونَ، وهَامَانَ، وفِرْعَونَ، وأُبَيِّ ابنِ خَلَفٍ»(٣).

والصَّلاةُ كانت هي آخِرَ ما وصَّىٰ بها النَبِيُّ ﷺ وهو يلْفِظُ أنفاسَهُ الأَخيرةَ في مَرَضِ موْتِهِ؛ فكانَ يقولُ ﷺ:

«الصَّلاةَ! الصَّلاةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ»(٤).

والصَّلاةُ أعظمُ قرينةٍ دالَّةٍ علىٰ إسلامَ المرءِ؛ تَمْنَعُ من تكفيرِه، أو إساءةِ الظنِّ فيه؛ لأنها شعارُ المسلمينَ في مجتمعاتهم! قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَنْ صَلَّىٰ صَلاتَنا، واسْتَقبلَ قِبلَتَنا، وأَكلَ ذَبِيحَتَنا؛ فَذلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ؛ فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»(٥).

---

(١) رواه النسائي في (كتاب الصلاة) باب «حكم في تارك الصلاة»، وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» ج٦، ص٤٢١. عن حديث معاذ بن جبل، رضي الله عنه. ووحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٥٧٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» ج٢، ص١٦٩. والدارمي في «سننه» (كتاب الرِّقاق) باب «في المحافظ علىٰ الصَّلاة». وقال الهيثمي: (رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجال أحمد ثقات) «المجمع» ج١، ص٢٩٢.

(٤) رواه ابن ماجة في (كتاب الوصايا) باب «وهل أوصىٰ رسول الله ﷺ»، وصحَّحه الألباني.

(٥) رواه البخاري في (كتاب أبواب القبلة) باب «فضل استقبال القبلة».

والتَّهاونُ بالصَّلاةِ من المنكراتِ العظيمَةِ، وهو من صفاتِ المنافقين!

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(١).

وقد بيَّنَ اللهُ تعالىٰ حالَ تاركِ الصَّلاةِ يومَ القيامةِ، قالَ تعالىٰ:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٤٢ – ١٤٥.

(٢) سورة القلم، الآيات: ٣٥– ٤٣.

الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣].

وغيرها من النُّصوصِ الكثيرةِ الَّتي وردت في تخصيصِ حكمِ تركِ الصَّلاةِ دونَ غيرها من الأحكامِ! ولم تُفرِّقْ هذهِ النُّصوصُ بينَ تركها جحودًا، أو تهاونًا، أو كسلاً! بل جعلَ الشَّارعُ الحكيمُ مناطَ التَّكفيرِ؛ تركَ الصَّلاةِ، ومن المعلوم أنَّهُ ليسَ كلُّ مَن تركَ الصَّلاةَ يكونُ جاحدًا لها! بل يكونُ العبدُ جاحدًا لها، ويكونَ غيرَ ذلكَ!

قالَ الحافظُ الفقيهُ أبو بكر البيهقيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ليسَ من العباداتِ بعدَ الإيمانِ الرَّافعِ للكُفرِ عبادةٌ سمَّاها اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ إيمانًا وسمَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ تركَها كفرًا إلاَّ الصَّلاةَ)[٤].

وهكذا فهمَ الصَّحابةُ الكرامُ ـ رضي اللهُ عنهم ـ عن النَّبيِّ ﷺ حكمَ تاركِ الصَّلاةِ؛ حتَّىٰ أنَّهم ميَّزوا الصَّلاةَ عن غيرها في هذا البابِ؛

(١) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ ـ ٤٧.
(٢) سورة مريم، الآيتان: ٥٩ ـ ٦٠.
(٣) سورة المرسلات، الآيتان: ٤٨ ـ ٤٩.
(٤) «شعب الإيمان»: ج٣، ص٣٣.

فجعلوا تركَها هو مناطَ الكفرِ دونَ غيرِها من الأعمالِ؛ فأجمعوا علىٰ ذلكَ، وقد نقلَ الإجماعَ عنهُمْ – التَّابعيُّ الجليلُ – عبدُ اللهِ بنُ شقيقٍ العقيليُّ – رحمهُ اللهُ تعالىٰ – فقالَ: (**كانَ أصحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لا يرونَ شيئًا من الأعمالِ تركُهُ كفرٌ غيرَ الصَّلاةِ**)[1][*].

وقالَ ابنُ القيِّمِ، رحمهُ اللهُ: (**ولا يُعْلَمُ عن صحابيٍّ خلافُهُم**)[2].

وقالَ العلاَّمَةُ الشَّوكانيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(**والظَّاهرُ من الصِّيغةِ أَنَّ هذه المقالة اجتمع عليها الصَّحابة؛ لأَنَّ قولهُ: كانَ أَصحاب رَسُول اللهِ جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك**)[3].

وعن مجاهد أَبي الحجاج عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قلتُ له: (**ما كانَ يفرق بينَ الكفر والإيمان عندكم من الأعمال علىٰ عهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: الصَّلاةُ**)[4].

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب «ما جاء في ترك الصلاة» وصحَّحه الألباني.

(٢) «الصلاة وحكم تاركها»: ص٥٠.

(٣) «نيل الأوطار»: ج٢، ص١٦.

(٤) «أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» للإمام اللالكائي: ج٤، ص٨٦٦.

(*) أي: أنَّ الصَّحابةَ الكرام – رضي الله عنهم – لا يعتقدون شيئًا من الأعمال الظاهرة تركه كفر غير الصَّلاة؛ فإن قيل: كيف هذا!! وهناك صور كثيرة من الكفر غير ترك الصَّلاة؟ فنقول: أن المراد بالحديث تكفير تارك الصَّلاة من جملة أعمال الجوارح الظاهرة التي يسهل جدًا تبينها في كلِّ فرد، أَمَّا باقي أركان الإسلام فتبينها صعب جدًّا؛ فكيف تعرف أَنَّ الرَّجل يؤدي زكاته! مع علم بأَنَّ صدقة السِّر أَفضل؟ وأَمَّا باقي أعمال الجوارح الظاهرة التي يكفر تاركها؛ فهي نادرة، وليست عامَّة في الأُمَّةِ كعموم الصَّلاة. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «شرح العمدة» ج٢، ص٧٥. وابن القيم في «الصَّلاة» ص٥٠: (أَنَّ هذا هو إجماع الصَّحابة لقول عمر بمحضر الصَّحابة دون إنكار عليه: لا حظ في الإسلام، لمن ترك الصَّلاة).

وعن أمير المؤمنينَ؛ عمر بن الخطَّاب – رضي اللهُ عنه – بعد أن أفاق من طعنته التي مات منها، قالَ: «**هَلْ صَلَّىٰ النَّاسُ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: لاَ حَظَّ في الإِسلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ!**».

وقالَ ابن مسعود، رضي اللهُ عنه: (**مَن ترك الصَّلاة فلا دين له**).

وقالَ أَبو الدرداء، رضي الله عنه:

(**لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له**).

وقالَ عبد الله بن عبَّاس، رضي اللهُ عنهما:

(**مَن تركَ الصَّلاة؛ فقد كفر**).

وقالَ علي بن أَبي طالب، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهما:

(**مَن لم يُصلِّ؛ فهو كافر**).

وقالَ الحافظُ المنذريُّ – رحمهُ الله – بعدَ أَنْ سردَ أَقوال الصَّحابةِ في حكمِ تارك الصَّلاة: (**قد ذهب جماعة من الصَّحابة ومن بعدهم إلىٰ تكفير من ترك الصَّلاة متعمِّدًا لتركها؛ حتىٰ يخرج جميع وقتها**، منهم: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عبَّاس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأَبو الدرداء – رضي اللهُ عنهم – ومن غير الصَّحابة أَحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتبة، وأَيوب السختياني، وأَبو داود الطيالسي، وأَبو بكر بن أَبي شيبة، وزهير بن حرب، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ)[1].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» (كتاب الصلاة) باب «الترهيب من ترك الصلاة تعمدًا، وإخراجها عن وقتها تهاونًا».

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ إسحاق بن راهويه، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(قد صحَّ عن رَسُول اللهُ ﷺ أَنَّ تارك الصَّلاة عمدًا كافر، وكذلك كان رأيَ أَهل العلم من لدن النَّبيِّ ﷺ إلىٰ يومنا هذا؛ أَنَّ تاركَ الصَّلاة عمدًا من غير عذر؛ حتىٰ يذهب وقتها؛ كافر)[1].

وقالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: **(وأَكثر السَّلف علىٰ أَنَّه يُقتل كافرًا! وهذا كله مع الإقرار بوجوبها)**[2].

وصفوةُ القولِ: إنَّ تاركَ الصَّلاةِ! يكفرُ الكفرَ الأَكبرَ المخرجُ عن الملَّةِ؛ إلاَّ أَن يكونَ التَّاركُ جاهلاً أَو متأَولاً؛ فلا يُكفَّرُ لعدمِ قيامِ الحجَّةِ عليهِ! أَمَّا مَن كان عالماً بحكمِ تركِ الصَّلاةِ؛ ثمَّ أَصرَّ علىٰ تركها؛ فهو يُكَفَّرُ لتحقُّقِ شروطِ الكفرِ فيهِ وانتفاءِ موانعهِ، ولا يُعْفيهِ جهلُهُ من الإثمِ العظيمِ، وما يترتبُ عليهِ من أَحكامٍ في الدُّنيا.

● اذن! ياتاركَ الصَّلاةِ المسأَلةُ جدٌّ والأَمرُ خطيرٌ، ولامجالَ للتسويفِ والتَّكاسلِ في هذا الأَمرِ العظيم! بل يجبُ المباشرةُ بالتَّوبةِ فورًا، والمبادرةِ إلىٰ أَداءِ الصَّلاةِ مع المسلمينَ، ولأَهميةِ تركِ الصَّلاةِ المفروضةِ علىٰ العبدِ في الدَّارينِ؛ أَذكرُ هنا ما يترتبُ عليهِ من الأَحكام الشَّرعيَّةِ، ومن أَهمها:

حكمُهُ: كافرٌ مرتدٌّ؛ يستتابُ من وليِّ الأَمرِ؛ فانْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ مرتدًّا.

جنازتُهُ: لايغسَّلُ ولايكفَّنُ ولايصلَّىٰ عليهِ ولا يقبَرُ في مقابرِ المسلمينَ، ولايحِلُّ تقديمهُ للمصلينَ؛ ليصلوا عليه.

---

(١) «تعظيم قدر الصَّلاة»: ج٢، ص٩٣٠.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٢٨، ص٣٠٨.

الدُّعاءُ لَهُ: لا يجوزُ الدُّعاءُ لهُ بالرَّحمةِ والمغفرةُ بعد موتهِ؛ لكن يجوزُ الدُّعاءُ لهُ بالهدايةِ فقط؛ إن كانَ حيًّا.

الميراثُ: إذا ماتَ؛ فإنَّ تَرِكَتَهُ تُسلَّمُ لبيتِ المالِ، وإن كانَ حيًّا؛ فلا يجوزُ أن يرثَ أحداً من أقاربهِ المسلمين.

الولايةُ: لا تجوزُ ولايتُهُ علىٰ مسلمٍ من أبناءٍ وبناتٍ وأيتامٍ، وغيرهم.

الزَّواجُ: لا يحلُّ تزويجُهُ من مسلمَةٍ، وإذا عُقِدَ لَهُ فإنَّ العقدَ باطلٌ، ولا تحِلُّ لهُ الزَّوجَةُ، وإن كانَ تركهُ للصَّلاةِ بعد العقدِ؛ فإنَّ نكاحَهُ يَنْفَسِخُ.

دخولُ الحرمِ: لايجوزُ أن يدخلَ مكةَ، ولاحدودَ حرمها.

الذبيحةُ: إذا ذبحَ لاتؤكلُ ذبيحتُهُ؛ مع جوازِ أكلِ ذبيحةِ اليهوديِّ والنَّصرانيِّ؛ فذبحُهُ أخبثُ، والعياذُ باللهِ.

الصُّحبَةُ: لا تجوزُ صحبتُهُ، بلْ الواجبُ هجرُهُ، والبُعدُ عنهُ.

الاحتضارُ: تضربُ الملائكةُ وجههُ ودبرَهُ، ويعذَّبُ العذابَ الشَّديدَ.

القبرُ: يُفتحُ لَهُ من النَّارِ، ويُمَهَّدُ لَهُ من فُرُشِ النَّارِ.

الآخرةُ: يحشَرُ يومَ القيامَةِ معَ أئمَّةِ الكفرِ والضَّلالِ؛ كفرعونَ وهامانَ وقارونَ وأُبيِّ بنِ خلفٍ، ولايدخلُ الجنَّةَ، ومصيرُهُ إلىٰ النَّارِ! والعياذُ باللهِ.

ياتاركَ الصَّلاةِ! تُبْ وصلِّ؛ قبل الخلودِ في الجحيم!!

●●● هذه بعضُ الأَمثلةِ علىٰ نواقضِ الإيمانِ الاعتقاديَّةِ، والقوليَّةِ، والفعليَّةِ؛ التي يُعتبرُ العبدُ بملابسة أَحَدِهِمَا كافرًا كُفرًا مُخرِجًا من المِلَّةِ؛ إذا وقعَ في إحْدَىٰ صُوَرِها.

خطورة السخرية والاستهزاء
بالدين وأهله

إنَّ من علاماتِ الجليةِ للإيمان الصَّادقَ الَّتي يجب أن يتحلَّىٰ بها كلُّ مسلمٍ صادقٍ مع ربِّهِ – جلَّ في عُلاه – هو تعظيمُ شعائرِ اللهِ تعالىٰ وحرماته، وتنفيذ أَوامره واجتناب نواهيه، والبُعْدُ عمَّا يُسْخِطُ اللهَ تعالىٰ ويُغذبه سبحانه، وأن يكونَ العبدُ معظِّمًا لأَوامر ربِّهِ – جلَّ ثنائه – منقادًا لشَّرعه الحكيم، صاغرًا وراضيًا لأَحكام دينه الحنيف؛ فهذا برهانٌ ساطعٌ علىٰ صدقِ إيمانه، ومؤشرٌ بيِّنٌ علىٰ تقوىٰ قلبه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[2].

وإذا كانَ تعظيمُ اللهِ – جلَّ وعلا – والخوفُ من مقامه سبحانه؛ دليلَ الإيمانِ الصَّادقِ؛ كما قال اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١].

فكذلك الاستهانةُ باللهِ العظيم، وبدينِه الحنيف، وبرسُوله الأمين ﷺ وبآياته وأحكامه، وشرعه ودينه، وبحملته والمتمسكين به، والسُّخريةُ منهم والاستهزاء بهم؛ ناقضٌ لذلك الإيمان! فلا يمكن أن يجتمعَ في قلبِ العبد المسلمِ: تعظيمُ الله تعالىٰ، واستهزاءُ بدينه وشرعه، أو بمن تمسك به!

فالاستهزاءُ من أعظم المنكراتِ الَّتي يجب الابتعادُ عنه؛ لأنَّهُ مرضٌ عُضَال، وشرٌّ مستطيرٌ، ووبال قاتلٌ؛ يفرِّقُ القلوب، ويزرعُ الأحقاد، ويُذكي نار الفتن، ويجرِّئُ السَّفلةَ علىٰ القامات، ويشجِّع الجهالَ علىٰ الإغارةِ لمسلَّماتِ شرعِ اللهِ تعالىٰ وحرماته، وثوابت الملَّةِ ومقدساته.

إذن! هو أمرٌ خطيرٌ؛ يجب اجتنابُه علىٰ الإطلاق، والتَّوبةُ منه ــ إن وقع من مسلمٍ ــ فورًا؛ لأنَّهُ يقدح في الإسلام والتَّوحيد؛ بل هو ناقضٌ من نواقض الإيمان، وكفرٌ باللهِ تعالىٰ وبرسُوله الأمين ﷺ وبدينه العظيم، وهذا هو حكم ربِّ العالمين في المستهزئين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٦٤ ــ ٦٦.

قالَ الإمامُ ابن كثيرٍ – رحمهُ اللهُ تعالىٰ – في تفسيره:

(عن عبد الله بن عمر، قالَ: قالَ رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس: ما رأَيتُ مثل قرائنا هؤلاء أَرغب بطونًا، ولا أَكذب أَلسنًا، ولا أَجبن عند اللقاء. فقالَ رجلٌ في المسجد: كذبت! ولكنَّكَ منافقٌ؛ لأَخبرنَ رَسُول اللهِ ﷺ فبلغَ ذلك رَسُول الله ﷺ ونزل القُرآن، فقالَ عبد الله بن عمر: أَنا رأَيته متعلقًا بحَقَبِ ناقَةِ رَسُول الله ﷺ تَنكُبُه الحجارة، وهو يقول: يا رسُول الله إِنَّما كنا نخوض ونلعب، ورسُول الله ﷺ يقول: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الآية... وقوله: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أَي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴾ أَي: لا يعفىٰ عن جميعكم، ولا بُدَّ من عذاب بعضكم ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أَي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة).

قالَ الإمام أَبو بكر الجصَّاص – رحمهُ اللهُ – في هذه الآية:

(فيه الدَّلالةُ علىٰ أَنَّ اللَّاعِبَ والجادَّ سواءٌ في إِظهار كلمةِ الكُفرِ علىٰ غير وجهِ الإِكراه؛ لأَنَّ هؤلاء المنافقين ذكروا أَنَّهم قالوا ما قالوه لعبًا؛ فأَخبرَ اللهُ عن كفرهم باللَّعب بذلك. وروىٰ الحسنُ وقتادةُ أَنَّهم قالوا في غزوة تبوك: أَيرجو هذا الرَّجلُ أَن يفتحَ قُصُورَ الشَّام وحصونَها! هيهاتَ هيهاتَ؛ فأَطلع اللهُ نبيَّهُ علىٰ ذلك؛ فأَخبر أَنَّ هذا القولَ كفرٌ منهم علىٰ أَيِّ وجهٍ قالوه من جدٍّ أَو هزلٍ؛ فدلَّ علىٰ استواءِ حكم الجادِّ والهازل في إِظهار كلمة الكفر، ودلَّ – أَيضًا – علىٰ أَنَّ الاستهزاء بآيات الله، أَو بشيءٍ من شرائع دينه؛ كفرٌ من فاعله)[١].

(١) « أَحكام القرآن » ج٣، ص١٤٢.

وقالَ القاضي ابن العربي المالكي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(لا يخلو أن يكونَ ما قالوه من ذلك جدًّا، أو هزلاً؛ وهو كيفما كان كفرٌ! فإنَّ الهزلَ بالكُفرِ كفرٌ، لا خلافَ فيه بينَ الأُمَّةِ؛ فإنَّ التَّحقيقَ أخُو الحقِّ والعلمِ، والهزلَ أخُو الباطلِ والجهلِ)[١].

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: (وهؤلاء الصِّنف الذين كفروا بعد إسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم؛ فإنَّ هؤلاءَ حلفوا بالله ما قالوا، وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد إسلامهم، وهموا بما لم ينالوا، وهو يدل علىٰ أنَّهم سعوا في ذلك؛ فلم يصلوا إلىٰ مقصودهم! فإنَّهُ لم يقل: هموا بما لم يفعلوا؛ لكن ﴿ بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ فصدر منهم قول وفعل، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فاعترفوا واعتذروا؛ ولهذا قيل لهم: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ فدل علىٰ أنَّهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا؛ بل ظنوا أن ذلك ليسَ بكفرٍ؛ فبين اللهُ تعالىٰ أنَّ الاستهزاء باللهِ وآياته ورسُوله كفرٌ يكفر به صاحبه بعد إيمانه! فدل علىٰ أنَّهُ كان عندهم إيمان ضعيف؛ ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنَّهُ محرم، ولكن لم يظنوه كفرًا، وكان كفرًا كفرو به؛ فإنَّهم لم يعتقدوا جوازه)[٢].

وقالَ العلاَّمةُ الفقيه؛ ابن قدامة المقدسيّ الحنبليّ، رحمه اللهُ تعالىٰ:

(ومَن سبَّ اللهَ تعالىٰ! كفرَ؛ سواءً كان مازحًا، أو جادًا، وكذلك مَن

(١) « أحكام القرآن » ج٢، ص٩٧٩.

(٢) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص٢٧٣.

استهزاءً باللهِ تعالىٰ، أَو بآياته، أَو برُسُله، أَو كتُبه، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وينبغي أَن لا يُكتفىٰ من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام؛ حتَّىٰ يؤدبَ أَدبًا يزجره عن ذلك؛ فإِنَّهُ إِذا لم يُكتف ممن سَبَّ رَسُول الله ﷺ بالتَّوبةِ؛ فممَّن سَبَّ الله تعالىٰ أَولىٰ)[1].

وقالَ الإمامُ النَّووي – رحمهُ اللهُ – في «روضة الطالبين» كتاب (الرِّدَّة):

(هي قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارةً بالقول الذي هو كفرٌ، وتارةً بالفعل؛ والأَفعال الموجبة للكفر: هي التي تصدر عن تعمُّد واستهزاءٍ بالدِّين صريحٍ؛ كالسُّجود للصَّنم أَو للشَّمس، وإلقاء المصحف في القاذورات، والسِّحر الذي فيه عبادة الشَّمس ونحوها. قال الإمام في بعض التعاليق عن شيخي: أَنَّ الفعل بمجرَّده لا يكون كفرًا! قال: وهذا زَلَل عظيم من المعلِّق ذكرته للتَّنبيه علىٰ غلَطِه! وتحصل الرِّدَّة بالقول الذي هو كفرٌ؛ سواء صدر عن اعتقادٍ، أَو عِنادٍ، أَو استهزاءٍ)[2].

وقالَ العلأَمةُ عبد الرحمن ابن السَّعديّ – رحمه اللهُ – في تفسيره:

(فإِنَّ الاستهزاءَ باللهِ وآياته ورسُوله كفرٌ مخرجٌ عن الدِّين؛ لأَنَّ أَصلَ الدِّين مبنيٌّ علىٰ تعظيمِ اللهِ وتعظيم دينه ورسُله، والاستهزاءُ بشيءٍ من ذلكَ منافٍ لهذا الأَصل، ومناقضٌ له أَشدَّ المناقضة).

---

(١) «المغني» ج٩، ص٢٨.

(٢) «روضة الطالبين» ج١٠، ص٦٤.

(وقد اتَّفقَ الفُقهاءُ علىٰ كفرِ مَن استخفَ بالأحكام الشَّرعيَّةِ من حيث كونها أحكامًا شرعيَّةً؛ مثل الاستخفاف بالصَّلاة، أو الزَّكاة، أو الحجِّ ، أو الصِّيام، أو الاستخفاف بحدودِ اللهِ؛ كحدِّ السَّرقة والزِّنىٰ)[١].

فالاستهزاءُ منافٍ للإيمانِ بالكليَّةِ، ومخرجٌ من الدِّين؛ لأنَّ أصلَ الدِّين الإيمان بالله تعالىٰ وكتبه ورسُله، ومن الإيمانِ تعظيم ذلكَ، ومن المعلومِ أنَّ الاستهزاء والهزل بشيءٍ من هذه أشدُّ من الكفر المجرد؛ لأنَّ فيه كفرٌ وزيادة احتقار؛ فإنَّ الكفَّارَ إمَّا معرضون، أو معارضون؛ فالمُعرض معروف، وأمَّا المعارض؛ فهو المحاربٌ لله تعالىٰ، ورسُوله ﷺ فالقادح بالله تعالىٰ، وبدينه، ورسوله ﷺ، وهو أغلظ كفرًا، أو أعظم فسادًا من الأوَّلِ.

والاستهزاءُ بالإسلامِ ومعتقداته، وبشعائر الدِّين وأحكامه، وبأهله الملتزمينَ؛ من أخلاقِ الكافرين والمنافقين! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾[٢].

فالسُّخريَةُ بالدِّين! والاستهزاء بأهله؛ سُنَّةِ الكافرينَ، وسمةُ المنافقين، وحيلة العاجزين، وبضاعة المفلسين الذين لا يعقلون، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[٣].

لأنَّ الاستهزاءَ في اللُّغَةِ: يدل علىٰ فرح في خفية، وأصله الانتقام. واصطلاحًا: هي طلب السُّخرية من شخصٍ دون أن يفعلَ ما يقتضىٰ

---

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة المقدسي: ج٩، ص٢٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

ذلك، أَو هو ابتداء السَّخرية بشخصٍ دون أَن يسبقه فعل من أَجله يستهزأ به، ولقباحة الاستهزاء؛ فقد ورد ذمه والنهي عنه في سبعة وعشرين آية من القرآن الحكيم؛ فشنَّع الله تعالىٰ هذا السَّفهَ وأَثَّم وكفَّر أَهله وجرَّم؛ فالاستهزاءُ بالدِّين وأهله مرضٌ قديمةٌ، وحقدٌ غرسها أَعداء أَنبياء اللهِ تعالىٰ؛ الذين فسدت طبيعتهم، قالَ اللّهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(٣).

ثمَّ أَشرفَ علىٰ سقْيِها المنافقون في المدينة، قالَ اللّهُ تعالىٰ:

﴿ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾(٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾(٥).

وقد هدد اللّهُ – سبحانه – المستهزئين بالعقوبة الشَّديدة، والعذاب الأليم، قالَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(٦).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠.
(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٦ – ٧.
(٣) سورة الحجر، الآيتان: ١٠ – ١١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤.
(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤ – ٩٥.
(٦) سورة الجاثية، الآية: ٣٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥.
(٢) سورة هود، الآية: ٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الجاثية، الآية: ٩.
(٥) سورة الروم، الآية: ١٠.
(٦) سورة التوبة، الآيتان: ٥٧ – ٥٨.

فالاستهزاءُ بشيءٍ مما سبقَ ذكره من نواقضِ الإيمانِ - الاعتقادية والقوليَّة والعملية - أو السُّخريةُ بشيءٍ فيه ذكرُ الله تعالىٰ، أو القرآن العظيم، أو الرَّسُول الكريم ﷺ، أو شعيرةٌ من شعائر الدِّين الحنيف، ولو علىٰ سبيلِ المزاحِ؛ فهو كُفرٌ مخرجٌ من دين الإسلام، ويقطع الإيمانَ ويزيله، ويُخرجُ صاحبَه من درجات الإيمان والإسلام إلىٰ دركات الكفر والنَّار! لأنَّه يدخل في باب الاحتقارِ والاستخفاف! مما يجعل هذه الأعمال، أو التَّلفُّظَ بتلك الأقوالِ ردَّةً عن الإسلام!

لأنَّ أصلَ الدِّين مبنيٌّ علىٰ تعظيم الله - تبارك وتعالىٰ - وتعظيم دينه العظيم، ورسوله الكريم ﷺ وحرمات المسلمين؛ فلا ينتهكُ لهم عرضًا، ولا يسخرُ منهم، ولا يَعيبُهُم، ولا يتجَسَّسُ عليهم، أو يستهزئُ بهم من أَجل تمسُّكهم بدينهمُ العظيم، ومحافظتهم علىٰ شعائره؛ فالاستهزاءُ بشيءٍ من ذلك مُنافٍ لهذا الأصل العظيم، ومُنافٍ للتَّوحيد الخالص، ومناقضٌ له أشَدَّ المناقضة؛ فهو من نواقض الإسلام والإيمان - عند أهل السُّنَّة والجماعة - وتجبُ التَّوبةُ منه علىٰ الفور إذا وقع ذلك من مسلمٍ!

فالذي يهزل بشيءٍ من أُمورِ الدِّين، أو يستهزئُ بأهلِ الدِّين والصَّلاحِ، ويتهكم بهم، ويضحك منهم، أو يسخر بشيءٍ من عباداتهم؛ فهو كافرٌ! سواء كان جادًا، أو هازلاً، أو مازحًا، وسواء كان هذا الاستهزاء خفيًّا أم ظاهرًا، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[١].

---

(١) سورة المطففين، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

وفي هذا دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّ الإنسانَ قد يكفر؛ بكلمةٍ يتكلم بها، أو عمل يسيرٍ يعمله، وهو لا يشعر! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[١].

وهذه الآية تدلُّ علىٰ أنَّ الخوفَ من النِّفاقِ الأكبر واجبٌ؛ لإنَّ اللهَ تعالىٰ أثبتَ لهؤلاءِ إيمانًا قبل أنْ يقولوا ما قالوه! قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« إنَّ العَبْدَ لَيتكلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإنَّ العَبْدَ لَيَتكلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ »[٢][*].

فالواجبُ علىٰ كلِّ المسلمِ الصَّادقِ؛ أن يعرضَ عن هؤلاءِ المستهزئين إعراضًا تامًا، وألا يجالسهم أبدًا، ويتبرأ منهم، ومن أقوالهم وأفعالهم، كما بيَّن الله تعالىٰ ذلك الحكم، ولم يجعل فيها مجالاً للاجتهاد لخطورة هذه القضية، ومكانتها من العقيدة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « حفظ اللِّسان ».

(*) قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه اللهُ: (الاستهزاءُ بالقلبِ والانتقاص يُنافي الإيمان الذي في القلب منافاة الضدِّ ضدَّه، والاستهزاء باللِّسانِ يُنافي الإيمان الظَّاهر باللِّسان كذلك) « الصارم المسلول » ص ٣٧٠.

الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[1](*).

ويُخشىٰ علىٰ الذين يشاركون مجالس المستهزئين، أو يستمر في مجالستهم، أو لا يرون بها بأسًا! أن يمسهم عذاب اللهِ تعالىٰ، أو يتعرضوا لعقابه الشَّديد، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[2](**).

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٦٨ – ٧٠. (٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(*) قالَ الحافظ ابن كثير – رحمهُ الله – في تفسيره: (والمراد بهذا كلُّ فَرْدٍ فَرْدٍ من آحاد الأُمَّةِ ألاَّ يجلسوا مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها علىٰ غير مواضعها).

(**) قالَ الحافظ ابن كثير – رحمهُ الله – في تفسيره: (أي: إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يُكفر فيه بآيات الله ويُنتقص بها، وأقررتموهم علىٰ ذلك؛ فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في المأثم... وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ أي: كما اشتركوا في الكفر؛ كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال، وشراب الحميم والغسلين لا الزلال).

وقالَ العلأمة القرطبيُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسيره: (فدلَّ بهذا علىٰ وجوبَ اجتنابِ أصحابِ المعاصي إذا ظهر منهم المنكر؛ لأنَّ من لم يجتنبهم فقد رضي فعلَهم، والرضا بالكفر كفرٌ).

لأنَّ الاستهزاءَ والسُّخريَّة؛ بالله تعالىٰ، أَو بكلامه الكريم، أَو برسوله الأَمين محمَّد ﷺ أَو بدينه العظيم، أَو بالمسلمينَ المؤمنين المتمسِّكين بأَوامر ربِّهم - جلَّ وعلا - صفةٌ من صفات الكفَّار، وخصلةٌ من خصال المنافقين؛ الذين أَرتفعت أَصواتهم في هذه الأَيام، وأَنَّ هذا النَّاقضُ قد علا دخانُه، واستبان لحنه؛ فزلَّتْ فيه أَقدام، ولاكَتْهُ أَفواهٌ وأَقلامٌ؛ حتَّىٰ أَصبحَ صوتُ الغمزِ، وحديثُ اللمزِ علىٰ الدِّينِ وأَهلِهِ، حديثًا بائنًا، وصوتًا لم يَعد خافتًا بفضلِ أَعداء الرَّحمن، والله المستعان! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٥ - ١٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٥٧ - ٥٨.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

● فاعلم أخي المسلم الكريم! علَّمنا الله تعالىٰ وإيَّاكَ وجميع المسلمينَ؛ طريقَ الَّذينَ أنعمَ عليهم الإيمان الصَّادقِ والتَّوحيدَ الخالص:

أنَّه يجب علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يحتاط لدينه ولآخرته، وأن لا يستهينَ بهذه النَّواقض المهلكة، ويحذرَ الخوضَ فيها، وأن لا يعمل، أو يتلفَّظَ بشيءٍ ما يخرج به من الدِّين؛ لأنَّ النُّطقَ بالشَّهادتين يتمُّ به الدُّخولُ في الإسلام؛ ثمَّ يتَّبِعُهُ العمل بالأركانه، وكذلك النُّطق بشيءٍ ضدِّه ممَّا يناقضُ الإسلام ويهدمه؛ فيحصُلُ به الخروجُ منه، قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) سورة النور، الآية: ١٥.
(٣) سورة ق، الآية: ١٨.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ لاَ يرَىٰ بِهَا بَأْسًا؛ يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا في النَّارِ»[٢].

ولخطَرِ اللِّسانِ وعَظِيم جُرْمِهِ؛ جاء في الحديث الطَّويل، عن الصَّحابي الجليل معاذ بن جبل - رضي اللهُ عنه - عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ:

«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ؛ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[٣].

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ؛ كَذَا وَكَذَا! قَالَ الرَّوِي: تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً! لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»[٤].

وَعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلاَمِهِ حُلَّةٌ؛ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ! فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً؛ فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ! فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ؛ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ؛ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب «ما جاء في مَن تكلَّم بالكلمةِ ليُضحك النَّاس» وصحَّحهُ الألباني.

(٣) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب «ما جاء في حرمة الصلاة» وصحَّحهُ الألباني.

(٤) رواه أبو داود في (كتاب الآداب) باب «في الغيبة» وصحَّحهُ الألباني.

يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ؛ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[١].

وقالَ – الصَّحابيُّ الفقيه – عبدُ الله بنُ مسعودٍ، رضي اللهُ عنه:

« واللهِ الَّذي لاَ إِلَهَ غيرُهُ ما علَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلىٰ طُولِ سجنٍ من لسانٍ »[٢].

لأَنَّ اللِّسانَ هو ترجمان القلب، وقد كلفنا اللهُ تعالىٰ أَن نحافظ علىٰ استقامة قلوبنا، واستقامة القلب مرتبطة باستقامة اللِّسان، قالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ؛ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ؛ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ »[٣].

وقالَ ﷺ : **« إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدمَ؛ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ! فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا »**[٤].

والكلمةُ تتكون من بضعةِ أَحرفٍ! تخرج من فم الإِنسان وهو لا يُبالي في إِطلاقها! ثمَّ تكتب عليه، فالكلمةُ يدخل العبدُ دين الله تعالىٰ، ويخرج من دائرته مع سعتها، وبالكلمةِ يبني بيتًا وأَسرةً ومجتمعًا، وبالكلمةِ يشل بناء بيت ويفرِّق جمع أُسرةٍ، وبالكلمةِ يعانق الإِنسان جنَّةَ الخُلد، ويسقط في حضيض نار جهنَّم – والعياذُ باللهِ – فالإِنسان قد يكفر بكلمةٍيقولها،

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإِيمان) باب « المعاصي من أَمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها » .

(٢) « حلية الأَولياء » لابن نعيم الأَصفهاني: ج١، ص١٣٤ .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإِيمان » ج٧، ص٤٥٨ .

(٤) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب « ما جاء في حفظ اللِّسان » وصحَّحهُ الأَلباني .

وهو يلعب ويضحك ولا يشعر في خطورتها! قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[١].

فيجب علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ؛ إذا وقعَ منه شيءٌ من ذلك؛ المبادرةُ علىٰ الفور بالتَّوبةِ، والاستغفارِ، والنَّدمِ علىٰ ما صَدَرَ منه، والعزمُ علىٰ أَن لا يعودَ لمثله أبدًا؛ لأنَّ التَّوبة تَجُبُّ ما قبلَها، قالَ النبيُّ ﷺ:

«مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ»[٢].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٢) رواه البخاري (كتاب التفسير) باب «﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾».

أقوال أئمة أهل السنة والجماعة
أن الكفر يكون: بالاعتقاد والقول والفعل

١ـ قالَ الإمامُ الحافظُ؛ سفيانُ بن عُيينة ـ رحمهُ اللهُ ـ عندما سُئِلَ عن الإرجاء: (يقولونَ: الإيمانُ قولٌ، ونحن نقول: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، والمرجئةُ أوجبوا الجنَّةَ لمن شهدَ أن لا إلهَ إلاَّ الله؛ مصرًّا بقلبه علىٰ تركِ الفرائض، وسمَّوا تركَ الفرائضِ ذنبًا بمنزلة رُكوبِ المحارم، وليس بسواءٍ؛ لأنَّ رُكوبَ المحارم من غير استحلالٍ معصية، وتركُ الفرائض متعمِّدًا من غير جهلٍ ولا عذرٍ؛ هو كُفرٌ!)[1].

٢ـ قالَ الإمامُ المبجلُ الشَّافعيُّ ـ رحمهُ اللهُ ـ حين سُئِلَ عمَّن هَزَلَ بشيءٍ من آيات اللهِ تعالىٰ: (هو كافرٌ) واستدلَّ بقولِ اللهِ تعالىٰ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[2].

٣ـ قالَ الإمامُ الحافظُ؛ عبدُ الله بن الزُّبير الحُميديُّ، رحمهُ اللهُ:

(أُخبِرتُ أنَّ ناسًا يقولونَ: مَن أقرَّ بالصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ،

---

(١) « كتاب السُّنَّة » الإمام عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٤٧ (٧٤٥).

(٢) « الصارم المسلول » ابن تيمية: ج٣، ص٩٥٦. والآيتان من سورة التوبة.

ولم يفعلْ من ذلكَ شيئًا حتىٰ يموت، أَو يُصَلّي مُستدبرَ القبْلةِ حتىٰ يموت؛ فهو مؤمنٌ ما لم يكُن جاحدًا... إذا كان يقرُّ بالفرائض واستقبال القبْلة؛ فقلتُ: هذا الكُفرُ الصُّراحُ، وخِلافُ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ وفِعلِ المسلمين، قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[١].

٤- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ إسحاقُ بنُ راهَويه، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ومِمَّا أَجمعوا علىٰ تكفيرِه، وحَكموا عليه كما حكموا علىٰ الجاحِد؛ المؤمنُ الذي آمنَ باللهِ تعالىٰ، وبما جاء من عندِه، ثمَّ قتلَ نبيًّا، أَو أَعانَ علىٰ قَتلِه، وإنْ كان مُقرًّا، ويقولُ: قتلُ الأَنبياءِ محرَّمٌ؛ فهو كافرٌ، وكذلك مَن شتَمَ نَبيًّا، أَو رَدَّ عليه قولَه من غير تقيَّةٍ، ولا خَوف)[٢].

٥- قالَ الإمامُ الفقيه؛ أَبو ثورٍ إبراهيم بن خالدٍ الكلبيُّ، رحمهُ اللهُ:

(فاعلم - يرحمنا اللهُ وإيَّاكَ - أَنَّ الإيمانَ تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح. وذلكَ أَنَّه ليسَ بينَ أَهلِ العلمِ خلافٌ في رجلٍ لو قال: أَشهدُ أَنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - واحدٌ، وأَنَّ ما جاءت به الرُّسُلُ حقٌّ، وأَقرَّ بجميعِ الشَّرائع، ثمَّ قالَ: ما عقد قلبي علىٰ شيءٍ من هذا، ولا أَصدِّقُ به؛ أَنَّهُ ليسَ بمسلم. ولو قال: المسيحُ هو الله، وجَحَدَ أَمرَ الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي علىٰ ذلكَ؛ أَنَّه كافرٌ بإظهارِ ذلك، وليس بمؤمنٍ)[٣].

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» الإمام اللالكائي: ج٥، ص٩٥٧ (١٥٩٤).
(٢) «تعظيم قدر الصلاة» الإمام المروزي: ج٢، ص٩٣٠ (٩٩١).
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» الإمام اللالكائي: ج٤، ص٩٣٢ (١٥٩٠).

٦- قالَ الإمامُ؛ أَحمدُ بنُ حنبلٍ - رحمهُ اللهُ - عندما سَأَله ابنُهُ عبد اللهِ عن رجلٍ قال لرجل: يا ابن كذا وكذا؛ أَنتَ ومَن خلقَكَ: (هذا مرتدٌّ عن الإسلام) وسأَله: تُضربُ عنقُهُ؟ قالَ: (نعم تُضْرَبُ عُنقُه)[١].

٧- قالَ الإمامُ؛ محمَّد بن سُحْنُون المالكيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(أَجمعَ العلماءُ علىٰ أَنَّ شَاتِمَ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَنَقِّصَ لهُ؛ كافرٌ، والوعيدُ جارٍ عليه بعذابِ اللهِ له، وحكمُه عندَ الأُمَّة: القتلُ، ومَن شَكَّ في كُفرِهِ وعذابِه كَفَرَ)[٢].

٨- قالَ الإمامُ؛ أَبو محمَّد البربهاري، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ولا يَخرجُ أَحدٌ من أَهلِ القِبْلةِ من الإسلام؛ حتَّىٰ يَرُدَّ آيةً من كتابِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - أَو يَرُدَّ شيئًا من آثارِ رسُولِ اللهِ ﷺ، أَو يَذبحَ لغير الله، أَو يُصلِّيَ لغير الله، وإِن فعلَ شيئًا من ذلك؛ فقد وجبَ عليكَ أَن تُخرِجهُ من الإسلام؛ فإِذا لم يَفعلْ شيئًا من ذلك؛ فهو مؤمنٌ ومسلمٌ بالاسمِ لا بالحقيقة)[٣].

٩- قالَ الإمامُ؛ أَبو الحسن الأَشعريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إِرادةُ الكفر كُفْرٌ، وبناء كنيسةٍ يُكفر فيها باللهِ كفرٌ؛ لأَنَّهُ إِرادة الكفر)[٤].

---

(١) « مسائل الإمام أَحمد » رواية ابنه الإمام عبد الله: ج٢، ص١٢٩١.

(٢) « الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ » القاضي عياض: ج٢، ص٢١٤.

(٣) « شرح السُّنَّة » البربهاري: ص٧٣ (٥٠). دار السلف.

(٤) « أَنوار البروق في أَنواع الفروق » للإمام القرافي؛ ج١، ص٢٢٥.

١٠- قالَ الإمامُ النوويُّ - رحمهُ اللهُ - في تعريفِ الرِّدَّةِ:

(هي قطعُ الإسلام، ويَحصلُ ذلك تارةً بالقولِ الذي هو كفرٌ، وتارةً بالفِعل، والأَفعالُ الموجبةُ للكُفرِ هي التي تَصدرُ عن تعمُّدٍ واستهزاءٍ بالدِّين صَريحًا؛ كالسُّجودِ للصَّنمِ أَو للشَّمس، وإلقاءُ المصحف في القاذورات، والسِّحر الذي فيه عبادة الشَّمس ونحوها. قال الإمام: في بعضِ التَّعاليق عن شيخي إنَّ الفعلَ بمجرَّدِهِ لا يكون كفرًا، قال: وهذا زَلَلٌ عظيمٌ من المعلِّق ذكرته للتَّنبيه علىٰ غلَطِه، وتَحصلُ الرِّدَّةُ بالقولِ الذي هو كفرٌ؛ سواءً صَدرَ عن اعتقادٍ أَو عنادٍ أَو استهزاء)[1].

١١- قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إنَّ مَن سَبَّ اللهَ، أَو سَبَّ رسُولَه كفرَ ظاهرًا وباطنًا؛ سواءً كان السابُّ يعتقدُ أَنَّ ذلكَ محرَّمٌ، أَو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهبُ الفقهاء وسائرِ أَهلِ السُّنَّة القائلين بأَنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل)[2].

١٢- قالَ القاضي أَبو بكرِ بن العربيُّ المالكيُّ - رحمهُ اللهُ - في تفسير الآية « ٦٥ » من سورة التوبة؛ قول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾:

(لا يخلو أَن يكونَ ما قالوه من ذلك جدًّا، أَو هَزْلاً، وهو كيفما كان

---

(١) « روضة الطالبين » النووي: ج١٠، ص٦٤ (كتاب الرِّدَّة).

(٢) « الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ »: ج٣، ص٩٥٥.

كفرٌ؛ فإنَّ الهزلَ بالكفرِ كفرٌ؛ لاَ خلافَ فيه بينَ الأئمَّة؛ فإنَّ التَّحقيق أخو الحقِّ والعلم والهزلَ أخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: انظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾)[1].

١٣ – قالَ الإمامُ ابن كثير – رحمهُ اللهُ – في تفسير الآيتان « ١٠٦ – ١٠٧ » من سورة النحل، قوله اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾:

(أَخبرَ تعالىٰ عمَّن كَفَرَ به بعدَ الإيمانِ والتبصُّر، وشرحَ صدرَهُ بالكُفرِ واطمأنَّ به: أنَّه قد غضبَ عليه لعلمهم بالإيمانِ ثمَّ عُدُولِهم عنه، وأنَّ لهم عذابًا عظيمًا في الدارِ الآخرة؛ لأنَّهم استحبُّوا الحياة الدُّنيا علىٰ الآخرة، فأقدموا علىٰ ما أقدموا عليه من الرِّدَّةِ لأَجلِ الدُّنيا، ولم يهدِ اللهُ قلوبهم ويثبِّتهم علىٰ الدِّين الحقِّ؛ فطبع علىٰ قلوبهم، فهم لا يعقلون بها شيئًا ينفعهم، وختم علىٰ سمعهم وأبصارهم فلا ينفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئًا فهم غافلون عمَّا يراد بهم).

---

(١) « أحكام القرآن » لابن العربي: ج٢، ص٤٦٥. والآية « ٦٤ » من سورة البقرة.

١٤- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ ابن رجبٍ الحنبليُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فقد يتركُ دينَهُ، ويُفارقُ الجماعة، وهو مقرٌّ بالشَّهادتين ويدَّعي الإسلامَ كما إذا جَحَدَ شيئًا من أركانِ الإسلام، أو سبَّ اللهَ ورسُولَه، أو كفرَ ببعض الملائكةِ، أو النبيِّينَ، أو الكُتب المذكورةِ في القرآنِ مع العلم بذلك)[١].

وقالَ - رحمهُ اللهُ - في شرحه لحديث «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ. . .»:

(وهذا الحديثُ دلَّ علىٰ أنَّ الإسلامَ مبنيٌّ علىٰ خمسةِ أركانٍ. . . وأنَّ الإسلامَ مَثَله كبنيان، وهذه الخمسُ: دعائمُ البنيان وأركانُهُ التي يثبتُ عليها البنيانُ. . . وأمَّا هذه الخمسُ؛ فإذا زالت كلُّها سقطَ البنيانُ ولم يثبت بعدَ زوالها، وكذلك إن زالَ منها الركنُ الأعظم وهو الشهادتان، وزوالهما يكونُ بالإتيان بما يضادُّهما ولا يجتمعُ معهما.

وأمَّا زوالُ الأربعِ البواقي: فاختلفَ العلماءُ. . . وكثيرٌ من علماء أهلِ الحديثِ يرىٰ تكفيرَ تاركِ الصَّلاة. وحكاه إسحاقُ بنُ راهويه إجماعًا منهم حتىٰ إنَّه جعلَ قولَ مَن قالَ: لا يكفرُ بتركِ هذه الأركان معَ الإقرارِ بها من أقوالِ المرجئة. . . وبيان ذلك في أمرِ آدم وإبليسَ وعلماء اليهود الذين أقروا ببعثِ النَّبيِّ ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائِعِهِ.

ورُوِيَ عن عطاءٍ ونافعٍ - مولىٰ ابن عمرَ - أنَّهما سُئلا عمَّن قالَ: الصَّلاةُ فريضةٌ ولا أُصلِّي، فقالا: هو كافرٌ. وكذا قال الإمام أحمد.

ونقلَ حربٌ عن إسحاقَ قال: غَلَبَتِ المرجئةُ حتىٰ صارَ من قولهم: إن

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (شرح الحديث الرابع عشر من الأربعين النووية).

قومًا يقولونَ: مَن تركَ الصلواتِ المكتوباتِ، وصومَ رمضانَ، والزَّكاةَ، والحجَّ، وعامةَ الفرائضِ من غيرِ جحود لها لا نكفِّرُهُ، يرجىٰ أَمرُهُ إِلىٰ الله بعد؛ إِذ هو مُقرٌّ؛ فهؤلاء الذين لا شكَّ فيهم - يعني في أَنَّهم مرجئةٌ.

وظاهرُ هذا: أَنَّه يكفرُ بتركِ هذه الفرائض... وممَّن قال بذلكَ: ابنُ المبارك، وأَحمد - في المشهور عنه -، وإِسحاق، وحكىٰ عليه إِجماع أَهلِ العلم - كما سبق - وقال أَيوبُ: تركُ الصَّلاةِ كفرٌ لا يُختلفُ فيه)[١].

١٥- قالَ المحدث الفقيه؛ عليُّ بن محمَّد البزدَويّ الحنفيّ، رحمهُ اللهُ:

(فإِنَّ الهَزْل بالرِّدَّة كفرًا لا بما هَزَل به لكن بعَيْنِ الهَزْل؛ لأَنَّ الهازلَ جادٌّ في نفس الهَزْل مختارٌ راضٍ، والهَزْل بكلمة الكفرِ استخفاف بالدِّين الحقِّ فصار مُرتدًّا بعينه لا بما هَزَل به إِلاَّ أَنَّ أَثرهما سواءٌ بخلاف المُكْرَه؛ لأَنَّهُ غير معتقدٍ لِعَيْن ما أُكْرِه عليه)[٢].

١٦- قالَ الإِمامُ العلاَّمةُ شيخُ المالكيَّة؛ جلال الدِّين أَبو محمَّد عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي السَّعدي المالكيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وظهور الرِّدَّةِ؛ إِمَّا أَنْ يكونَ بالتَّصريحِ بالكفرِ، أَو بلفظٍ يقتضيه، أَو بفعلٍ يتضمَّنه)[٣].

١٧- قالَ الإِمامُ القاضي صدر الشَّريعةِ؛ عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاريّ الحنفيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب: ج١، ص٢٢، حديث رقم (٨) شرح كتاب الإيمان.

(٢) «كشف الأسرار؛ شرح أصول البزدوي»: ج٤، ص٦٠٠.

(٣) «عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة»: ج٣، ص٢٩٧.

(الهزلُ بالرِّدَّةِ كفرٌ؛ لأنَّهُ استخفافٌ! فيكون مرتَدًّا بعينِ الهزلِ لا بما هزل به، أي: ليس كفره بسبب ما هَزَل به، وهو اعتقادُ معنىٰ كلمة الكفر التي تكلَّم بها هازلاً؛ فإنَّهُ غيرُ معتقدٍ معناها؛ بل كفْره بعين الهزل، فإنَّهُ استخفاف بالدِّين، وهو كفرٌ نعوذُ بالله تعالىٰ منه)[١].

١٨- قالَ الإمامُ كمال الدِّين ابن عبد الواحد ابن الهمام الحنفيّ، رحمهُ اللهُ: (ومَن هزل بلفظِ كفرٍ ارتدَّ! وإنْ لم يعتقده للاستخفاف؛ فهو ككفر العناد، والألفاظ التي يكفر بها تعرف في الفتاوىٰ)[٢].

١٩- قالَ الإمامُ العلاَّمةُ؛ مَرْعيُّ بن يوسف الكرميُّ المقدسيُّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - في تعريفِ الرِّدَّةِ: (وهو مَن كَفَرَ بعد إسلامه، ويَحصُلُ الكُفرُ بأحد أربعة أُمورٍ: بالقولِ كَسَبِّ اللهِ تعالىٰ ورسولِه، أو ملائكته، أو ادِّعاء النبوَّة، أو الشِّركة له تعالىٰ، وبالفعلِ كالسُّجودِ للصَّنمِ ونحوِه، وكإلقاء المصحف في قاذورة، وبالاعتقادِ كاعتقادِه الشَّريك له تعالىٰ، أو أنَّ الزِّنا أو الخمرَ حلالٌ، أو أنَّ الخبزَ حرامٌ، ونحو ذلك، ومِمَّا أُجمعَ عليه إجماعًا قطعيًّا، وبالشَّكِّ في شيءٍ من ذلك)[٣].

---

(١) «التوضيح شرح التنقيح» ج٢، ص٤٠٢.

(٢) «فتح القدير»: ج٦، ص ٩١.

(٣) «دليل الطالب»، ص ٣١٧.

أسباب ضعف الإيمان
أعراضه وعلاجه



أسباب ضعف الإيمان

فاعلمْ! أخي المسلمَ الصَّادقَ؛ هدانا اللهُ تعالىٰ وإيَّاكَ إلىٰ طريقِ أهلِ الإيمانِ، والصِّدقِ، والإخلاصِ، والإحسانِ:

إنَّ ضُعفَ الإيمانِ في القلبِ! من الأمراضِ الخطيرةِ والفتَّاكةِ والقاتلَةِ؛ في حياةِ العبدِ، والمجتمعِ، والأُمَّةِ؛ لأنَّهُ يقضي علىٰ صاحبِهِ؛ إذا لمْ يعالجْ! في مَشْفَىٰ الشَّريعَةِ الغرَّاءِ؛ بأيدي الأطباءِ الرَّبَّانيينَ.

ومَن يطلعْ! بعينِ الفاحصِ والعارفِ لحالِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ اليومَ؛ يجدْ بوضوحٍ انتشارَ ظاهرةِ ضُعفِ الإيمانِ! بينَ المسلمينَ - واللهُ المستعانُ وعليه التُّكلانُ - ويجد غالبَهُم! - إلاَّ مَن رحمَ ربِّي - يشكونَ من قسوةِ القلوبِ! وكثيرًا ما نسمعُ من قولِهِمُ الحزينِ:

(أُحسُ بقسوةٍ في قلبي؟!)، (لا أجدُ لذَّةً للعباداتِ؟!)، (لا أشعرُ بالخشوعِ في الصَّلاةِ؟!)، (لا أتأثَّرُ بقراءةِ القُرآنِ ولا بالأذكارِ؟!)، (أقعُ في المعصيةِ بكلِّ سهولَةٍ؟!)، (لا أتورَّعُ عن الشُّبهاتِ؟!)، (أتجرأُ علىٰ الظُّلمِ والاعتداءِ علىٰ الآخرينَ؟!)، (لا أصلُ الرَّحْمَ؟!)، (أشعرُ بأنَّ إيماني في الحضيضِ؟!) وكثيرونَ آثارُ المرضِ عليهم ظاهرةٌ! للخبيرِ من أوَّلِ وهْلَةٍ!

وهذا المرضُ خطيرٌ جدًّا! وهو أساسُ كلِّ مصيبةٍ، وسببُ كلِّ نقصٍ وبليَّةٍ! لأنَّهُ يسكنُ القلبُ ويستقرُّ بهِ! والقلبُ هو بيتُ الإيمانِ ومنطلقُهُ، وهو محلُّ نظرِ الرَّبِّ - جلَّ في عُلاه - قالَ النَّبيُّ الأمينُ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ! لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

فالقلبُ يمرضُ كما يمرضُ البدنُ! وأمراضُ القلبِ كثيرةٌ، وهيَ تختلفُ حسبَ نوعِ المؤثراتِ الَّتي تحيطُ بهِ، وكلَّما قويتِ المؤثراتُ عليهِ! كلَّما قوي المرضُ واشتدَّ؛ حتَّىٰ يُغْلِفَ ويُطمِسَ، ويقفلَ ويطبَعَ عليهِ، ثمَّ يزيغُ عن الحقِّ - والعياذُ باللهِ - وعندها يموتُ القلبُ! وهذهِ هي أسوأُ حالاتِهِ؛ لأنَّها تنقلُ صاحبَها من الإيمانِ إلىٰ الكفرِ! وتجعلُهُ في مرتبةِ البَهائِمِ.

ومرضُ ضعفِ الإيمانِ في القلبِ؛ من أشدِّ الأمراضِ خطرًا علىٰ العبدِ المؤمنِ؛ لأنَّهُ يُؤدِّي إلىٰ قسوةِ القلبِ الَّتي تنشأُ منهُ جميعُ الأمراضِ المدمرةِ، ثمَّ يؤدِّي إلىٰ هلاكِهِ وموتِهِ المحقَّقِ؛ لأنَّ أبعدَ القلوبِ من اللهِ تعالىٰ؛ القلبُ القاسي، والقلبُ يقسي بالمعاصي وفعلِ المنكرات، وارتكابِ الذُّنوبِ، والبُعدِ من الخيرِ؛ حتَّىٰ يكونَ كالحجارةِ، أو أشدَّ!

وتظهرُ خطورةُ هذا المرضِ الفتَّاكِ جليًّا! من خلالِ الآياتِ القرآنيَّةِ؛ الَّتي تصفُ خطورةَ هذا الأمرِ الخطيرِ! كقولِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(٢).

وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤ (٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٢].

ولا يَسْلَمُ من هذا المرضِ الفتَّاكِ! أحدٌ مِن ابْنِ آدمَ؛ إلاَّ من سلَّمَهُ اللهُ تعالىٰ، وأَخذَ بالأَسبابِ الشَّرعيَّةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٣].

وقلبُ ابْنِ آدمَ! أَشدُّ تقلُّبًا من الرِّيحِ في يومٍ عاصفٍ، وسُمِّي القلبُ قلبًا لسرعةِ تقلُّبِهِ؛ فتارةً يجدُ العبدُ قلبَهُ؛ ممتلئًا إيمانًا وخشيةً، ممَّا يورثُهُ سعادةً وأُنسًا وانشراحًا، وتارةً يضيقُ عليه صدرُهُ، ويضعفُ الإيمانَ في قلبِهِ، وهذا حالُ ابْنِ آدمَ المسكينِ، وإذا ضعفَ الإيمانُ في القلبِ؛ وجدَ العبدُ وحشةً وضيقًا! حتَّىٰ إنَّ الدُّنيا كلَّها لتضيقُ عليهِ! كما أَخبرَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾[٤].

إذن! القلبُ شديدُ التَّقلبِ؛ كما وصفَهُ النَّبيُّ ﷺ بقولِهِ:

« لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ! أَشَدُّ انْقِلابًا مِنْ الْقِدْرِ؛ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا »[٥].

وقالَ ﷺ: « إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ؛ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ؛ يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ »[٦].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٥) رواه الإمام أحمد في « مسنده » ج٤، ص٦. عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه. وصححه الألباني في « ظلال الجنة » ج١، ص١٠٢.
(٦) رواه الإمام أحمد في « مسنده » ج٤، ص٤٠٨. في مسند أبي موسىٰ الأشعري. وصحح الألباني في « صحيح الجامع » (٢٣٦٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؛ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ ﷺ:

«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»[١].

وقلبُ ابْنِ آدمَ نوعانِ: قلبٌ صالحٌ، وقلبٌ فاسدٌ!

● القلبُ الصَّالحُ:

فالقلبُ إذا صَلُحَ؛ استقامَ حالُ العبدِ - ظاهرًا وباطنًا - وصحتْ عبادتُهُ، واعتدلَت طبيعتُهُ، وأثمرَ لَهُ الرَّحمةَ والإحسانَ إلىٰ الخلقِ، وأصبحَ يعيشُ في سعادةٍ وفرحةٍ تغمرُ بشاشةَ قلبهِ، وتعكسُ هذهِ النِّعمةُ علىٰ مجرىٰ حياتهِ؛ فلا تقدَّرُ بثمنٍ، ثمَّ يذُوقُ طعمَ الإيمانِ، ومحبَّةَ اللهِ تعالىٰ، والأُنسَ بهِ، ولذَّةَ مناجاتهِ، وسعادةَ عبوديَّتِهِ - سبحانَهِ تعالىٰ - ممَّا يصرفُهُ هذهِ النِّعمةُ عن النَّظرِ إلىٰ بهجةِ الدُّنيا الخادعَةِ، وزخرفها الفانيَةِ، والإغترارِ بها، والرُّكونِ اليها، وهذهِ حالةٌ عظيمةٌ؛ يعجزُ الكلامُ عن وصفها! لو كان صاحبُه أبلغَ بلغاءِ! ويتفاوتُ الخلقُ في مراتبِ هذهِ النِّعمَةِ! وكلَّما كانَ العبدُ أتقىٰ للهِ - جلَّ في عُلاه - كانَ أكثرَ سعادةً؛ فإنَّ للهِ تعالىٰ جنَّتينِ للعبدِ! مَن دخلَ جنَّةَ الدُّنيا؛ دخلَ جنَّةَ الآخرةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب القدر) باب «تصريف الله تعالىٰ القلوب كيف شاء».
(٢) سورة ق، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٨٤.

• **القلبُ الفاسدُ:**

القلبُ إذا قسىٰ وأَظلمَ؛ فسدَ حالُ العبدِ ــ ظاهرًا وباطنًا ــ وخلت عبادتُهُ من الخشوعِ، وغلبت عليه شقوتُهُ، واختلَّت طبيعتُهُ وموازينُهُ؛ فاتَّبعَهُ البُخلُ والكِبْرُ وسوءُ الظَّنِ، وأَصبحَ بعيدًا عن اللهِ تعالىٰ، وأَحسَّ بالضّيقِ والشِّدَّةِ، وفقرِ النَّفسِ، ولو ملكَ الدُّنيا بأَسرها! وحُرِمَ لذَّةَ العبادةِ والطاعةِ، ومناجاةِ ربِّهِ ــ الغفورِ الرَّحيمِ ــ ثمَّ يُصبحُ عبدًا للدُّنيا الفانيةِ؛ مفتونًا بها، وطالَ عليهِ الأَمَدُ!! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٢].

فإذا كانَ الأَمرُ بهذهِ الخطورةِ؛ فلا بُدَّ للعبدِ المؤمنِ أَن يتحسسَ قلبَهُ، ويعرفَ مكمَنَ الدّاءِ، وسببَ المرضِ، ويُشْرِعَ في العلاجِ؛ قبلَ أَن يطغىٰ عليهِ الرَّانُ؛ فيَهلكُ! والأَمرُ عظيمٌ والشأْنُ خطيرٌ؛ فإِنَّ اللهَ تعالىٰ قد حذَّرنا من القلبِ القاسي، والمقفلِ، والمريضِ، والأَعمىٰ، والأَغلفِ، والمنكوسِ، والمختوم عليه!! لذا كانَ لزامًا علىٰ الصَّادقِ مع ربِّهِ؛ أَن يتفقدَ قلبُه، ويأْخُذَ بأَسبابِ صلاحِهِ، وزيادَةِ الإيمانِ؛ لأَنَّهُ لا يفلحُ، ولا ينجو يومَ القيامةِ؛ إلاَّ أَصحابُ القلوبِ الحيَّةِ الطَّيبةِ السَّليمةِ المؤمنةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢. (٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ ــ ٨٩.

واعلمْ! أَخي المؤمنَ الصَّادقَ:

فقد اعتنىٰ الشَّارعُ الحكيمُ؛ بهذا العُضو الخطيرِ، وسعىٰ بكلِّ الطُّرُقِ إلىٰ إصلاحِهِ، وتطهيرِهِ، وتنقيتهِ من جميعِ الشَّوائبِ، وحثَّ العبدَ المؤمنَ علىٰ تجديدِ الإيمانِ فيهِ، وذلكَ بعلاجِهِ وإصلاحِهِ في مشفىٰ رسُولِهِ الكريمِ الرَّؤُوفِ الرَّحيمِ؛ الَّذي أَوصىٰ مرضاهُ بوصيَّةِ اللهِ تعالىٰ، فقال ﷺ:

«أَلاَ! وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ! صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ! فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ! أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»[١].

إذن! القلبُ يمرضُ ويضعفُ؛ كما يمرضُ البدنُ ويضعفُ ويتعبُ!

وشفاءُ القلبِ؛ التَّوبةُ النَّصُوحُ الدَّائمُ، والعملُ الصَّالحُ المستمرُّ.

ويصدأُ؛ كما تصدأُ المرآةُ! وجلاؤهُ؛ الذِّكرُ، والتَّسبيحُ في الخلواتِ.

ويعرىٰ؛ كما يعرىٰ الجسمُ! وزينتُهُ؛ لباسُ التَّقوىٰ، ومخافةُ اللهِ الدَّائمُ.

ويجوعُ؛ كما يجوعُ البدنُ! وطعامُهُ وشرابُهُ؛ معرفةُ الحقِّ، ومحبَّةُ الخلقِ، والتَّوكلُ علىٰ الخالقِ، والإنابةُ إليهِ؛ سبحانه وتعالىٰ.

وفيما يلي - أَخي القارئَ الكريمَ - محاولةٌ للتَّعرُّفِ علىٰ مظاهرِ مرضِ ضعفِ الإيمانِ في القلبِ، وعلىٰ أَسبابهِ، وطُرقِ علاجِهِ (*).

فأَقولُ، وباللهِ التَّوفيقُ والسَّدادُ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «فضل من استبرا لدينه».

(*) نقلتُ هذا الفصل بإختصار وتصرف من كتاب «ظاهرةُ ضعف الإيمان؛ الأَسباب، المظاهر، العلاج» للشيخ الدَّاعية محمَّد بن صالح المنجِّد، وفقه الله وسدد خطاه.

أَوَّلاً- مظاهرُ ضَعْفِ الإيمانِ :

إنَّ مرضَ ضعفِ الإيمانِ؛ لَهُ أَعراضٌ ومظاهرٌ متعددةٌ؛ منها :

١- الوقوعُ في المعاصي، وارتكابُ المحرَّماتُ :

فإذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ يسهُلُ عليهِ الوقوعُ في المعاصي وارتكابِ الذُّنوبِ - بمكيدٍ من الشَّيطانِ - بجميعِ أنواعها وأشكالها! ثمَّ يتبعُها الإكثارُ منها، ثمَّ الإصرارُ عليها! ثمَّ تُحَوِّلُهَا إلىٰ عادةٍ مألوفةٍ! ثمَّ يزولُ قُبحُها من القلبِ تدريجيًّا؛ حتَّىٰ يقعَ العاصي في المجاهرةِ بمعصيتِها، ثمَّ يدخلُ - والعياذُ باللهِ - في قولِ النَّبِيِّ الكريمِ ﷺ :

« كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى؛ إلاَّ الْمُجَاهِرِينَ! وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ؛ فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ! عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا! وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ »[١].

٢- الشُّعورُ بقسوةِ القلبِ وخشونتِهِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ قسىٰ قلبُهُ! ثمَّ لا يتأثرُ بشيءٍ، بلْ لا يُؤثرُ فيه أبلغُ المواعظِ! حتَّىٰ لو كانَ موعظةَ الموتِ، ولا رؤيةَ الأمواتِ، ولا الجنائزِ! وربَّما حملَ الجنازةَ بنفسه، وواراها بالتُّرابِ، ولكن سيرُهُ بينَ القبورِ كسيرهِ بينَ الأحجارِ! ثمَّ ينقلبُ قلبُهُ حجرًا صلدًا! قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

---

(١) رواه البُخاريُّ في (كتاب الأدب) باب « ستر المؤمن علىٰ نفسه ».

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٤٣ .

٣- عدمُ إتقانِ العباداتِ :

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يُتقنُ عباداتِه ألبتَّةَ؛ لأنَّ اتقانَ العبادَةِ؛ تحتاجُ إلىٰ خشوعِ القلبِ، وقلبُ صاحبِهِ ضعيفٌ لا يُسعفُهُ بذلكَ! فلا يحضرُ قلبُهُ في العبادَةِ! فتراهُ يشرُدُ ذهنَهُ أثناءَ العباداتِ؛ مثل الصَّلاةِ، وتلاوةِ القرآنِ، والأذكارِ؛ حتَّىٰ أثناءَ الأدعيَةِ! فلا يتدبَّرُ معانيها .

قالَ النَّبيُّ ﷺ : « ادْعُوا اللَّهَ! وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ »[١] .

٤- التَّكاسلُ عن الطَّاعاتِ والعباداتِ، أو إضاعتُها :

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ تكاسلَ عن الطَّاعاتِ والعباداتِ! بل ضيَّعها في أكثرَ الأوقاتِ؛ إمَّا بعدمِ أداءِها، أو أدَّاها بالحركاتِ الجوفاءِ! لا روحَ فيها! كما وصفَ اللهُ عبادَةَ المنافقينَ بقولِهِ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٢] .

ثمَّ بعدها! يُضيعُ مواسمَ الخيرِ والبركةِ، وأوقاتِ العبادةِ، وفعلِ السُّنَنِ؛ من أداءِ الرَّواتبِ والنَّوافلِ، والأورادِ والأذكارِ، وقيامِ اللَّيلِ، والتَّبكيرِ إلىٰ المساجدِ، ثمَّ لا يهتمُّ بتحصيلِ الأجرِ، ولا يشعرُ بتأنيبِ الضَّميرِ؛ إذا فاتَهُ شيءٌ من هذهِ العبادةِ العظيمةِ؛ الَّتي هي من صفاتِ عبادِهِ المتقينَ؛ من الأنبياءِ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب « جامع الدعوات » . وصحَّحه الألباني .
(٢) سورة النساء، الآية : ١٤٢ .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(١).

٥- ضيقُ الصَّدرِ، وتغيُّرُ المزاجِ، وانحباسُ الطَّبعِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ ضاقَ صدرهُ، وتغيَّرتْ فطرتُهُ ومزاجُهُ وطبعُهُ؛ حتَّىٰ يُحِسَّ كأنَّ عليهِ جبلاً ثقيلاً؛ ثمَّ يتغيرُ مجرَّةُ حياتِهِ كاملاً! فيصبحُ سريعَ التَّضجرِ والتأففِ من أدنىٰ شيءٍ ويشعرُ بالضِّيقِ من تصرفاتِ النَّاسِ حولَهُ وتذهبُ سماحَةُ نفسهِ؛ ثمَّ يعيشُ حياةً ضنكًا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾(٢).

٦- عدمُ التَّأثرِ بآياتِ القُرآنَ العظيمِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يتأثرُ بقولِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - لا بآياتِ القُرآنِ الحكيمِ! ولا بوعدِهِ ولا بوعيدِهِ، ولا بأمرِهِ ولا نهيِهِ؛ فيملُ من سماعِ القرآنِ العظيمِ! لا تطيقُ نفسهُ مواصلَةَ قراءتِهِ؛ فكلَّما فتحَ المصحفَ؛ كادَ أن يغلقَهُ! نسألُ اللهُ تعالىٰ العافيةَ.

٧- الغفلةُ عن ذكرِ اللهِ تعالىٰ، ودعائِهِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يذكرُ اللهَ إلاَّ قليلاً! فإذا ذكرَ اللهَ تعالىٰ؛ ثقلَ ذلكَ علىٰ نفسهِ! وإذا رفعَ يدَهُ للدُّعاءِ؛ سُرعانَ ما يقبضهما ويمضي! فيُشاركُ المنافقينَ في هذهِ الصِّفةِ الذَّميمةِ! قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١).

٨- عدمُ الغضَبِ ! إذا انتهكتْ محارمُ اللهِ؛ جلَّتْ قدرته:

لأنَّ لهبَ الغيرةِ في قلبهِ قد انطفأ؛ فتعطلتْ جوارحُهُ عن الإنكارِ! فلا يأمرُ بمعروفٍ، ولا ينهىٰ عن منكرٍ، ولا يتمعرُ وجهُهُ قطُّ في اللهِ تعالىٰ، وقد وصفَ رسُولُ اللهِ ﷺ هذا القلبَ بالضَّعفِ، فقالَ الأَمينُ ﷺ:

«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ! كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ؛ حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا؛ إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»(٢).

٩- حُبُّ الظُّهُورِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ ينسىٰ مراقبةَ رَبِّ العالمينَ لَهُ؛ فيحبُّ الظُّهورَ بينَ عبادِهِ، وهذا المرضُ مهلكٌ! لَهُ صورٌ عِدَّةٌ، منها:

الرَّغبةُ في الرِّئاسةِ والإمارةِ، وعدمُ تقديرِ المسؤوليَّةِ والخطرِ. محبَّةُ تَصدُّرِ المجالسِ، والاستئثارِ بالكلامِ، وفرضِ الاستماعِ علىٰ الآخرينَ. محبَّةُ أن يقومَ النَّاسُ لَهُ إذا دخلَ عليهم! لإشباعِ حبِّ التَّعاظمِ في نفسِهِ المريضَةِ.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا».

١٠- الشُّحُّ والبُخلُ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ يغلبُ عليهِ الشُّحُ والبُخلُ! وهُما صفتانِ ذميمتانِ؛ نهىٰ عنهُما اللهُ تعالىٰ، ورسُولُهُ الأَمينُ ﷺ فصاحبُهُ لا يكادُ يُخرجُ شيئًا في سبيلِ اللهِ تعالىٰ، ولو دعىٰ داعي الصَّدقةِ، وظهرت فاقةُ إخوانِهِ المسلمينَ، وحلَّتْ بهمُ المصائبُ! لا يُحركُ ساكنًا! ولا أَبلغَ من كلام رَبِّ العالمينَ - جلَّ شأْنه - في هذا الشَّأْنِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[١].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ! فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ؛ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»[٢].

١١- القولُ دونَ العملِ:

لا شكَّ أَنَّ هذا الفعل من أَكبرِ صفاتِ المنافقينَ! لأَنَّ الإيمانَ إذا ضعفَ في قلبِ العبدِ؛ فيقولُ ما لا يفعلُهُ! ومَن خالفَ قولَهُ عملُهُ؛ صارَ مذمومًا عندَ اللهِ تعالىٰ، ومكروهًا عندَ الخلقِ، وأَهلُ النَّار! سيكتشفونَ حقيقةَ الَّذي يأْمرُ بالمعروفِ في الدُّنيا ولا يأْتيهِ، وينهاهم عن المنكرِ ويأْتيهِ! ولا شكَّ أَنَّ هذا نوعٌ من النِّفاقِ المذمومِ في الشَّرعِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة محمَّد ﷺ، الآية: ٣٨.

(٢) رواه أَبو داود في (كتاب الزَّكاة) باب «في الشُّحِّ» وصحَّحهُ الأَلباني.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[١].

١٢- السُّرورُ والفرحُ بمصائبِ الآخرين:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يفرحُ بنجاحِ الآخرينَ، ولا يسرُّ بذلكَ! بلْ يغمُرُ قلبَهُ المريضَ بالسُّرورِ والغبطَةِ؛ بما يصيبُ الآخرينَ؛ من فشلٍ، أَو خسارةٍ، أَو مصيبةٍ، أَو زوالِ نعمةٍ؛ فيشعرُ بالسُّرورِ! لأَنَّ النِّعمةَ قد زالتْ عن غيرِهِ! ولأَنَّ الشَّيءَ الَّذي كانَ يتميَّزُ عليهِ غيرُهُ بهِ؛ قدْ زالَ عنهُ، وهذا من أَحدِ صفاتِ المنافقينَ!

١٣- تجنُّبُ المحرَّماتِ المعلومِ من الدِّينِ بالضَّرورَةِ فقط! دونَ غيرِهِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ ينظرُ إلىٰ الأُمورِ من جهةِ وقوعِ الإثمِ فيها، أَو عدمِ وقوعِهِ فقط! ويتساهلُ في فعلِ المكروهِ، أَو غيرِ المستحبِّ، وهذا العملُ يؤدِّي إلىٰ الوقوعِ في الشِّركِ والشُّبهاتِ والمكروهاتِ! ثمَّ يؤدِّي إلىٰ الوقوعِ في المحرماتِ قطعًا! لأَنَّ صاحبَهُ لا مانعَ لديهِ من ارتكابِ عملٍ مكروهٍ، أَو مشتبهٍ فيهِ؛ ما دامَ أَنَّهُ ليسَ محرمًا!! وهذا الَّذي حذَّرَ منهُ بشدَّةٍ؛ الرَّسُولُ الأَمينُ، فقالَ ﷺ:

«إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ؛ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى! أَلاَ وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢ - ٣.

الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»[١].

والاستهانةُ بمحقراتِ الذُّنوبِ! ممَّا ينتجُ عنهُ؛ الاجتراءُ على محارمِ اللهِ تعالى وحدودِهِ، وزوالُ الحواجزِ بينهُ وبينَ المعصيةِ؛ فتجدُ صاحبَهُ يقعُ في المحرَّماتِ دونَ تحفُّظٍ ولا تردُّدٍ، وهذا أسوأُ من الَّذي يقعُ في الحرامِ بعدَ تردُّدٍ، وكلا الشَّخصينَ على خطرٍ! ولكنَّ الأوَّلَ أسوأُ من الثَّاني؛ لأنَّهُ يستسهلُ ذنوبهُ نتيجةَ ضعفِ إيمانِهِ، ولا يرى أنَّهُ عَمِلَ شيئًا منكرًا!

فعَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَوْبَانَ بْنِ بجددٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا؛ فَيَجْعَلُهَا اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - هَبَاءً مَنْثُورًا» قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[٢].

١٤- احتقارُ المعروفِ، وعدمُ الاهتمامِ بالحسناتِ الصَّغيرةِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ يستهينُ بالأعمالِ الصَّالحةِ عامَّةً، فضلاً عن الأعمالِ النَّوافلِ والحسناتِ الصَّغيرةِ، والَّذي يحتقرُ أعمالَ الخيرِ اليسيرةِ فيه سوءٌ وخللٌ عن الصراطِ المستقيمِ، وهدي نبيِّهِ الأمينِ، قالَ ﷺ:

«لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا! وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[٣].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب المساقاة) باب «أخذ الحلال وترك الشُّبهات».

(٢) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد) باب «ذكر الذُّنوب».

(٣) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء».

لأنَّ دينَ الإسلامِ الحنيفَ! حثَّ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ بجميعِ أنواعها وأشكالها، وأعطىٰ للأعمالِ الصَّغيرةِ؛ حسناتٍ عظيمةً، واللهُ - جلَّ في عُلاهُ - يُكافىءُ لهذهِ الأعمالِ الصَّالحةِ، ويُدْخِلُ فيها عبادَهُ العاملينَ؛ جنَّةَ النَّعيمِ، ولو كانت هذهِ الأعمالُ الصَّالحةُ صغيرةً، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ! لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ؛ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ»[(١)].

١٥- عدمُ الاهتمامِ بأمورِ المسلمينَ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يهتمُّ بقضايا المسلمينَ، ولا يتفاعلُ معهم بتتبُّعِ أخبارِهم، ولا بإعانتهم؛ فضلاً عن الدُّعاءِ لهم؛ فهو باردُ الإحساسِ تُجاهَ ما يصيبُ إخوانَهُ في بقاعِ الأرضِ؛ من تسلُّطِ العدوِّ والقهرِ والاضطهادِ والكوارثِ؛ فيكتفي بسلامةِ نفسهِ! وصفاتُ المؤمنِ الصَّادقِ خلافُ ذلكَ؛ كما أخبرَ الصَّادقُ المصدُوقُ ﷺ:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ! بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنْ الْجَسَدِ؛ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لأَهْلِ الإِيمَانِ! كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ»[(٢)].

١٦- عدمُ الاستشعارِ بالمسؤليَّةِ تُجاهَ الدِّينِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يشعرُ بالمسئوليَّةِ في العملِ لدينِ الإسلامِ؛ فلا يسعىٰ لنشرِهِ، ولا يسعىٰ لخدمتِهِ؛ كأنَّهُ غيرُ مكلَّفٍ بهذا الأمرِ!

---

(١) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «فضلُ إزالة الأذىٰ عن الطريق».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٥، ص٣٤٠. عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، وصحَّحهُ الألباني في «الصَّحيحة» برقم: (١١٣٧).

١٧- انفصامُ عُرىٰ الأُخوةِ بينَ المتآخين:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ يضعفُ روابطُ الأُخوةِ الإسلاميَّةِ! فيجدونَ بينهم وحشةً، وخلافًا، وضعفًا، وهوانًا، وخوفًا، وتسلطَ العدوِّ! لأنَّهم وكِّلُوا علىٰ أنفسِهِم، وفاتَهُم دفاعُ اللهِ - عزَّ وجلَّ - عنهم!

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

١٨- الخوفُ والفزعُ عندَ نُزُولِ المصيبَةِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ؛ يُصيبهمُ الخوفُ والفزعُ عندَ نزولِ المصيبةِ، أَو حدوثِ المشكلةِ؛ فتراهم مرتعِدي الفرائصِ، مختلِّي التَّوازنِ، شاردي الذِّهنِ، شاخصي الأَبصارِ، حائرين في أَمرهم؛ لا يستطيعونَ مواجهةَ واقعهم بجنانٍ ثابتٍ، وقلبٍ قويٍّ!

١٩- كثرةُ الجدالِ والمراءِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ؛ يُصابون بكثرةِ الجدلِ العقيمِ، والمراءِ القاتلِ المقسي للقلبِ! لأَنَّ الجدلَ بغيرِ علمٍ ولا دليلٍ، ولا قصدِ إصابةِ الحقِّ؛ يؤدِّي إلىٰ الابتعادِ عن الصِّراطِ المستقيمِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ! إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ»[2].

وقالَ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ! بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ؛ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ؛ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ؛ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن) باب «من سورة الزخرف» وصحَّحهُ الألباني.

(٣) رواه أبي داود في (كتاب الآداب) باب «في حُسن الخلق» وصحَّحهُ الألباني.

٢٠- التعلقُ بالدُّنيا، والشَّغفُ بها، والاستِرواحُ إليها:

إذا ضعفَ إيمانُ العبد؛ فيتعلقُ قلبُهُ بالدُّنيا الفانيَةِ! إلىٰ درجةِ أنَّهُ يحسُّ بالألَم إذا فاتَهُ شيءٌ من حظوظها؛ كالمالِ والجاهِ والمنصبِ والمسكنِ، ويعتبرُ نفَسُه مغبونًا سيِّءَ الحظِّ؛ لأنَّهُ لم ينلْ ما نالَهُ غيرُهُ! ويُحسُّ بألمٍ وانقباضٍ عظيمٍ؛ إذا رأىٰ غيرَهُ! قد نالَ بعضَ ما فاتَهُ من حظوظِ الدُّنيا!

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «ولاَ يَجْتَمِعَانِ! في قَلْبِ عَبْدٍ الإيمَانُ وَالْحَسَدُ»[1].

٢١- المغالاةُ في الشَّكليَّاتِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ؛ فيظهرُ المغالاةُ والاهتمامُ في الشَّكليَّاتِ من أُمورِ الدُّنيا الزَّائفَةِ! كالاهتمامِ الزَّائدِ بالنَّفسِ؛ مأْكلاً ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا! فتجدُهُم يهتمُّونَ بالكماليَّاتِ اهتمامًا بالغًا، وينفقونَ في سبيلها أَموالاً وأَوقاتًا! وهيَ ممَّا لا ضرورةَ لَهُ ولا حاجَةَ! مع أنَّ من إخوانهِ المسلمينَ مَن هُمْ في أَشدِّ الحاجَةِ لهذهِ الأَموالِ والأَوقاتِ!

٢٢- عدمُ تشبُّهِهِ بأَهلِ الإيمانِ:

إذا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبد؛ يأْخذُ كلامُهُ، وأُسلوبُهُ الطَّابعَ العقليَّ البحتَ! ويفقدُ السِّمةَ الإيمانيةَ؛ حتىٰ لا تكادُ تجدُ في كلامِهِ أثرًا لنصٍّ من القرآنِ، أَو السُّنَّةِ، أَو كلامِ السَّلفِ الصَّالحِ!!!

---

(١) رواه النسائي في (كتاب الجهاد) باب «فضل من يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله» وصحَّحهُ الألباني.

ثانياً- أَسبابُ ضُعْفِ الإِيمانِ :

أَسبابُ ضعفِ الإِيمانِ في قلبِ العبدِ؛ كثيرةٌ جداًّ! منها ما هو مشتركٌ مع الأَعراضِ، وهذا ذكرٌ لبعضِ الأَسبابِ المهمَّةِ؛ مضافًا إِلىٰ ما سبقَ ذكرُهُ في مظاهرِ ضُعفِ الإِيمانِ :

١- الابتعادُ عن الأَجواءِ الإِيمانيَّةِ :

الابتعادُ عن مجالسِ أَهلِ الإِيمانِ؛ سببٌ رئيسٌ من أَسبابِ ضعفِ الإِيمانِ في قلبِ المسلمِ! خصوصًا إِذا كانَ فترةً طويلةً! قالَ اللّٰهُ تعالىٰ :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[١] .

فدلَّتْ هذهِ الآيَةُ الكريمةُ؛ علىٰ أَنَّ البُعدَ عن الأَجواءِ الإِيمانيَّةِ! مدعاةٌ لضعفِ الإِيمانِ في القلبِ! وهذا الابتعادُ! إِذا استمرَّ! يُخلفُ وحشةً تنقلبُ بعدَ حينٍ إِلىٰ نفرةٍ من تلكَ الأَجواءِ الإِيمانيَّةِ! فيقسو علىٰ أَثرها القلبُ ويظلمُ، ثمَّ يخبو فيهِ نورُ الإِيمانِ! لأَنَّ في مجالسِ العلمِ ولقاءِ الصَّالحينَ والعارفينَ العاملينَ؛ تتنزَّلُ الرَّحمةُ، وتغشىٰ القلوبَ السَّكينةُ .

قالَ الإِمامُ التَّابعيُّ؛ الحسنُ البصريُّ، رحمهُ اللّٰهُ تعالىٰ :

(إِخوانُنا أَغلىٰ عِنْدَنا من أَهْلِينا ؛ فأَهلُونا يُذكِّرونَنا الدُّنيا ، وإِخوانُنا يُذكِّرونَنا بالآخِرَةِ) .

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

٢- الابتعادُ عن القدوةِ الصَّالحةِ:

فالمسلمُ الَّذي يتعلَّمُ علىٰ يدي رجلٍ صالحٍ؛ يجمعُ بينَ العلمِ النَّافعِ والعملِ الصَّالحِ وقوةِ الإيمانِ؛ يتعاهدُهُ ويحذيهِ ممَّا عندَهُ من العلمِ والأخلاقِ والفضائلِ، لو ابتعدَ عنهُ فترةً من الزَّمنِ! فإنَّ المتعلِّمَ يُحِسُّ قسوةً في قلبِهِ، ولذلكَ لمَّا توفِّي النَّبيُّ ﷺ قالَ الصَّحابَةُ الكرامُ، رضيَ اللهُ عنهم: (فأنكرنا قلوبنا!) أي: أصابتهم وحشةٌ؛ لأنَّ المربي والمعلِّمَ والقدوةَ ﷺ قد فارقهم! وجاءَ وصفهُم - أيضًا - في بعضِ الآثارِ: (كالغنمِ في اللَّيلةِ الشَّاتيَةِ المطيرةِ!) ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ تركَ فيمن تركَ وراءَهُ؛ جبالاً كلٌّ منهم يصلحُ للخلافةِ والقيادَةِ! وصارَ بعضهم لبعضٍ قدوةً؛ أمَّا اليومَ! فالمسلمُ في أشدِّ الحاجةِ إلىٰ قدوةٍ صالحةٍ يكونُ قريبًا منهُ! واللهُ المستعان.

٣- الابتعادُ عن العلومِ الشَّرعيَّةِ:

الابتعادُ عن طلبِ العلمِ الشَّرعيِّ، والاتصالِ بكُتبِ العلماءِ العظامِ، والكتبِ الإيمانيَّةِ - الَّتي تُحيي القُلوبَ -؛ تُورِثُ قسوةَ القلبِ!

أمَّا القراءةُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ، وكتبُ الحديثِ، وكتبُ العلماءِ المجيدينَ في الرَّقائقِ والوعظِ، والذينَ يحسنونَ عرضَ العقيدةِ بطريقةٍ تحيي نورَ الإيمانِ في القلوبِ؛ فقراءةٌ في هذهِ الكُتبِ تحرِّكُ القلوبَ، والدَّوافعَ الإيمانيَّةَ الكامنةَ في نفسِهِ! لأنَّ هؤلاءِ العلماءَ الأماجدَ هم أهلُ الرَّسُولِ ﷺ وخاصَّتُهُ؛ فهم إن لم يصحبُوهُ؛ فقد صحبوا أنفاسهُ ﷺ.

والانقطاعُ عن مثلِ هذه الكُتبِ! معَ الإغراقِ في قراءةِ الكتبِ الفكريةِ فقط! أو كتبِ الأحكامِ المجرَّدةِ عن الأدلَّةِ، أو كُتبِ الآلةِ المجرَّدةِ؛ مثلَ اللُّغةِ والأُصولِ؛ من الأشياءِ الَّتي تورثُ - أحيانًا - قسوةَ القلبِ! وآثارُ هذهِ

القسوةِ ظاهرةٌ جليةٌ! علىٰ أُولئكَ الذينَ يدرسونَ دراساتٍ لا علاقةَ لها بدينِ الإسلامِ؛ كالفلسفةِ، وعلمِ النَّفسِ، والاجتماعِ، وغيرِها من الموضوعاتِ الَّتي صيغت بمعزلٍ عن الإسلامِ، وكذا من يعشَقُ قراءةَ القصصِ الخياليةِ، وقصصِ الحبِّ والغرامِ، وهواةُ تتبُّعِ الأَخبارِ غيرِ النَّافعَةِ من الصُّحفِ والمجلاتِ والمذكراتِ، وغيرِها.

٤- الجليسُ السُّوءُ:

وجودُ المسلمِ في وسطٍ يعجُّ بالمعاصي والذُّنوبِ وأَهلِهِ؛ من الأَسبابِ الرئيسةِ في ضعفِ الإيمانِ في القلبِ!

فإذا دخلتَ مجتمعاتِنا اليومَ! تجدُ هذا يتباهىٰ بمعصيةٍ ارتكبها! وآخرَ يترنَّمُ بأَلحانِ أَغنيةٍ وكلماتِها، والثَّالثَ يُدخنُ، والرَّابعَ يبسطُ مجلةً ماجنةً، والخامسَ لسانُهُ منطلقٌ باللَّعنِ والسِّبابِ والشَّتائمِ وهكذا! أَمَّا القيلُ والقالُ، والغيبةُ والنميمةُ، وأَخبارُ المبارياتِ؛ فممَّا لا يحصىٰ كثرةً!

وبعضُ الأَوساطِ لا حديثَ فيها إلَّا عن الدُّنيا! كما هو الحالُ في كثيرٍ من مجالسِ النَّاسِ، ومكاتبهم، ومنتدياتهم؛ فأَحاديثُ التِّجارةِ والوظيفةِ والأَموالِ والاستثماراتِ، ومشكلاتِ العملِ، والعلاواتِ، والتَّرقِّياتِ، والانتداباتِ، وغيرها؛ تحتلُّ الصَّدارةَ في اهتماماتهم!

وأَمَّا البيوتُ! - فحدثْ ولا حرجَ - حيثُ الطَّامَّاتُ الجسامُ! والأُمورُ المنكراتُ العظامُ؛ ممَّا يندىٰ لهُ جبينُ المسلمِ الغيورِ، وينصدعُ قلبُهُ الحيُّ؛ فالأَغاني الماجنةُ، والأَفلامُ السَّاقطةُ بجميعِ أَنواعِها وأَلوانِها! والاختلاطُ المحرَّمُ، وغيرُها كثرَ ممَّا تمتلئُ بهِ بيوتُ المسلمينَ اليومَ!

٥- الإغراقُ في الحياةِ الفانيَةِ:

الإغراقُ في الاشتغالِ بطلبِ الدُّنيا وزينتها الفانيةِ، والإفراطُ في السَّعي وراءها؛ حتَّىٰ يُصبحَ القلبُ عبداً لها! من أحدِ أهمِّ أسبابِ لضعفِ الإيمانِ في القلبِ؛ بل ربَّما يوصلُ إلىٰ موتِ القلبِ! فالنَّبيُّ ﷺ قالَ:

« تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ؛ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ »[١].

وقالَ: « إنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبِ »[٢].

أي: ما يوصلُ العبدَ المسلمَ إلىٰ قصدِهِ بقدرِ حاجتِهِ؛ من غيرِ فضلَةٍ في مأكلهِ ومشربهِ، وما يقيهِ الحرَّ والبردَ، وهذا إرشادٌ إلىٰ الزُّهدِ في الدُّنيا، والاقتصارِ فيها علىٰ قدرِ الحاجةِ؛ فإنَّ التَّوسُّعَ فيها! وإن كانَ قد يعينُ للمقاصدِ الأُخرويَّةِ؛ لكنَّ النِّعمَ الدُّنيويَّةَ! قد امتزجَ دواؤها بدائها، ومرجوُّها بمخوفها، ونفعها بضرها؛ فمن وثقَ ببصيرتِهِ، وكمالَ معرفتِهِ؛ فلهُ استكثارٌ بقصدِ صرفِ الفاضلِ إلىٰ ما يوصلُ إلىٰ منازلِ الأبرارِ! وإلاَّ فالبُعدَ البعدَ! والفرارَ والفرارَ! عن مظانِّ الأخطارِ.

٦- الانشغالُ بالمالِ والزَّوجةِ والأولادِ:

* فإنَّ حبَّ المالِ والنِّساءِ والأولادِ؛ إذا قُدِّمَ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ وطاعةِ رسُولِهِ الكريمِ ﷺ كانَ مستقبحاً ومذموماً عندَ اللهِ! قالَ تعالىٰ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « ما يتقى من فتنة المال ».

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ج٤، ص٧٨. وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٢٣٨٤).

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[٢].

لأنَّ كثيرًا من المسلمينَ! ينساقون وراءَ الزَّوجةِ والأَولادِ في المحرَّماتِ؛ منشغلاً عن طاعةِ اللهِ تعالىٰ! قالَ النَّبيُّ الكريمُ ﷺ:

« الْوَلَدُ ! مَحْزَنَةٌ، مَجْبَنَةٌ، مَجْهَلَةٌ، مَبْخَلَةٌ »[٣].

قولُهُ ﷺ: « مَحْزَنَةٌ » أي: إذا مرضَ حزنَ عليه، وإذا طلبَ الولُد شيئًا لا يقدرُ عليهِ الأَبُ؛ حزنَ! وإذا كبُرَ وعقَّ أَباهُ؛ فذلكَ الحزنُ الدَّائمُ، والهمُّ اللازمُ؛ نسأَلُ اللهُ العافيةَ.

وقولُهُ ﷺ: « مَجْبَنَةٌ » أي: إذا أَرادَ المسلمُ أَن يجاهدَ في سبيلِ اللهِ تعالىٰ؛ يأتيهِ الشَّيطانُ! فيقولُ: تُقتلُ وتموتُ! فيصبحُ الأَولادُ ضياعًا يتامىٰ؛ فيقعدُ الأَبُ عن الخروجِ للجهادِ!

وقولُهُ ﷺ: « مَجْهَلَةٌ » أَي: يشغلُ الأَبُ عن طلبِ العلمِ، والسَّعي في تحصيلِه، وحضورِ مجالسهِ، وقراءَةِ كتبِهِ! بسببِ تربيتهم!

وقولُهُ ﷺ: « مَبْخَلَةٌ » أَي: إذا أَرادَ المسلمُ! أَن ينفقَ في سبيلِ اللهِ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.　　(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ج٢٤، ص٢٤١. وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٩٩٠).

تعالىٰ شيئًا؛ ذكَّرهُ الشَّيطانُ بأولادهِ! فيقولُ: أولادي أحقُّ بالمالِ! أُبقيهِ لهم يحتاجونه من بعدي؛ فيبخلُ عن الإنفاقِ! وليسَ المقصودُ تركَ الزَّواجِ والإنجابِ، ولا تركَ تربيةِ الأولادِ، والإهتمامِ بهم! بل الإسلامُ حثَّ علىٰ ذلكَ بشدَّةٍ، ولكنَّ المقصودَ؛ هو التَّحذيرُ مِنَ الانشغالِ معهم بالمحرَّماتِ.

وأمَّا فتنةُ المالِ!! فعظيمةٌ ووخيمةٌ، قالَ النَّبيُّ الأمينُ ﷺ:

«إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً! وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»[١].

وقالَ ﷺ: **«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا؛ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَىٰ الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»**[٢].

لأنَّ الحرصَ علىٰ المالِ؛ أشدُّ إفسادًا للدِّينِ من الذِّئبِ الَّذي تسلَّطَ علىٰ زريبةِ غنمٍ! ولذا حثَّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ أخذِ الكفايةِ من المالِ؛ دونَ توسُّعٍ يشغلُ عن ذكرِ اللهِ تعالىٰ وطاعتِهِ، قالَ النَّبيُّ الكريمُ ﷺ:

«إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ؛ خَادِمٌ، وَمَرْكَبٌ فِي سَبِيلِ اللهِ»[٣].

ومن هنا! جاءَ الوعيدُ للمكثرينَ من جمعِ الأموالِ إلاَّ أهلَ الصَّدقاتِ.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: **«وَيْلٌ لِلْمُكْثِرِينَ! إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا، وَهَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا؛ أَرْبَعٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ قُدَّامِهِ وَمِنْ وَرَائِهِ»**[٤].

أي: في أبوابِ الصَّدقةِ، ووجوهِ البرِّ.

---

(١) رواه الترمذي في (الزهد) باب «ما جاء إنَّ فتنة هذه الأمة في المال» وصحَّحه الألباني.
(٢) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب «ما جاء في أخذ المال» وصحَّحه الألباني.
(٣) رواه الترمذي في (الزهد) باب «ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر» وصحَّحه الألباني.
(٤) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب «مجالسة الفقراء» وصحَّحه الألباني.

* أَمَّا إن كَانَ حبُّ ذلكَ الأَشياءِ علىٰ وجهِهِ الشَّرعيِّ الْمُعينِ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ؛ فهو محمودٌ ونعمةٌ من اللهِ تعالىٰ لعبادِهِ الصَّالحينَ.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(١).

٧- طولُ الأَملِ:

وما أَدراكَ! ما طولُ الأَملِ؟! إِنَّهُ من أَعظمِ مداخلِ الشَّيطانِ لابنِ آدمَ! وإفسادِ أَعمالهِ الصَّالحةِ الَّتي هي ذُخرٌ لآخرتِهِ! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ»(٣).

وروىٰ أَنسُ بنُ مالكٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ:

«أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَحِرْصٌ عَلَىٰ الدُّنْيَا، وَطُولُ الأَمَلِ»(٤).

وقالَ أَميرُ المؤمنينَ؛ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٣، ص١٢٨ عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣١٢٤).

(٢) سورة الحجر، الآية: ١٨.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله إليه في العمر».

(٤) رواه البزار في «مسنده» برقم: (٣٢٣٠) من طريق هانئ بن المتوكل، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج١٠، ص٢٢٦: (وفيه هانئ بن المتوكل، وهو ضعيف).

بَنُونَ؛ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ).

وقالَ: (الدُّنيا مُدْبِرَةٌ، وَالآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ؛ فَعَجَبٌ! لِمَنْ يُقْبِلُ عَلَىٰ الْمُدْبِرَةِ، وَيُدْبِرُ عَلَىٰ الْمُقْبِلَةِ).

وقالَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ؛ اتِّبَاعُ الهَوَىٰ، وَطُولُ الأَمَلِ! فَأَمَّا اتِّبَاعُ الهَوَىٰ؛ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ؛ فَيُنْسِي الآخِرَةَ).

وقيلَ: (مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ؛ قَلَّ هَمُّهُ، وَتَنَوَّرَ قَلْبُهُ؛ لأَنَّهُ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْمَوتَ! اجْتَهَدَ في الطَّاعَةِ). وقيلَ: (الأَمَلُ؛ مَطْبُوعٌ في جَمِيعِ بَنِي آدَمَ).

وفي الأَملِ! سرٌّ لطيفٌ؛ لأَنَّهُ لولا الأَملُ؛ ما تَهَنَّىٰ أَحدٌ بعيشٍ، ولا طابتْ نفسهُ أَن يشرعَ في عملٍ من أَعمالِ الدُّنيا.

وإِنَّما المذمومُ منهُ؛ الاسترسالُ فيهِ، وعدمُ الاستعدادِ لأَمرِ الآخرةِ؛ لأَنَّ طولَ الأَملِ! يتولَّدُ منهُ؛ الكسلُ عن طاعةِ اللهِ تعالىٰ، والرَّغبةُ في الدُّنيا، والنِّسيانُ للآخرةِ، والقسوةُ في القلبِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١].

ورقَّةُ القلبِ وصفاءُهُ؛ إِنَّما يقعُ بتذكيرِ الموتِ وشدَّتِه، والقبرِ وفضاعتِهِ، والثَّوابِ والعقابِ، وأَهوالِ القيامةِ، ويوم الحسابِ!

فمَن سلمَ من ذلكَ كلِّهِ! لم يكلَّفْ بإِزالتِهِ[٢].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٢) انظر! هذه الآثار في «فتح الباري» ج١١، ص٢٣٦. في (كتاب الرقاق).

٨- الإفراطُ في المباحاتِ:

ومن أَسبابِ ضعفِ إيمانِ العبدِ وقسوةِ قلبِهِ: الإفراطُ في الأَكلِ، والشُّربِ، والنَّومِ، والسَّهرِ، والكلامِ، والخلطةِ!

فكثرةُ الأَكلِ؛ تُبلِّدُ الذِّهنَ، وتثقِّلُ البدنَ عن طاعَةِ الرَّحمنِ! وتغذي مجاري الشَّيطانِ في الإنسانِ! كما قالَ العُلماء: مَن أكلَ كثيرًا! شربَ كثيرًا؛ فنامَ كثيرًا، وخسرَ أَجرًا كبيرًا! والإفراطُ في الكلامِ؛ يُقسي القلبَ، والإفراطُ في مخالطةِ النَّاسِ؛ تحولُ بينَ المرءِ ومحاسبةِ نفسهِ، والخلوةِ بها والنَّظرِ في تدبيرِ أَمرها! والإفراطُ في كثرةِ الضَّحكِ؛ تقضي على مادَّةِ الحياةِ في القلبِ فيموتُ! قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ! فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[١].

والإفراطُ في الوقتِ! بغيرِ طاعةِ الرَّحمنِ - جلَّ في عُلاه - يُنتجُ قلبًا صلدًا؛ لا تنفعُ فيهِ زواجرُ القُرآن العظيمِ! ولا مواعظُ الإيمانِ!

وأَسبابُ ضعفِ الإيمانِ؛ كثيرةٌ جدًّا ليسَ بالوسعِ حصرُها، ولكن يمكنُ أَن يسترشدَ بما ذُكرَ علىٰ ما لم يذكر منها، والعاقلُ يدركُ ذلكَ من نفسهِ!

قالَ الإمامُ الزَّاهدُ ابنُ القيِّمِ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فاعلمْ! أَنَّ العبدَ إِنَّما يقطعُ منازلَ السَّيرِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ؛ بقلبِهِ وهمَّتِهِ لا ببدنِهِ! والتَّقوىٰ في الحقيقَةِ تقوىٰ القلوبِ لا تقوىٰ الجوارحِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[٢].

---

(١) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد) باب «الحزن والبكاء» وصحَّحه الألباني.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: « التَّقْوَىٰ هَهُنَا » وَأَشَارَ إِلَىٰ صَدْرِهِ (٢).

فالكيِّسُ يقطعُ من المسافةِ بصحَّةِ العزيمةِ، وعلوِّ الهمَّةِ، وتجريدِ القصدِ، وصحَّةِ النيَّةِ معَ العملِ القليلِ، أضعافَ أضعافَ ما يقطعُهُ الفارغُ من ذلكَ معَ التعبِ الكثيرِ، والسَّفرِ الشَّاقِّ؛ فإنَّ العزيمةَ والمحبَّةَ تُذهِبُ المشقَّةَ وتُطيِّبُ السَّيرَ، والقدومُ والسَّبقُ إلىٰ اللهِ – سبحانه – إنَّما هو بالهِمَمِ وصدقِ الرَّغبةِ والعزيمةِ؛ فيتقدَّمُ صاحبُ الهمَّةِ معَ سكونهِ صاحبَ العملِ الكثيرِ بمراحلَ، فإنْ ساواهُ في همَّتِهِ تقدَّمَ عليهِ بعملِهِ، وهذا موضعٌ يحتاجُ إلىٰ تفصيلٍ يوافِقُ فيهِ الإسلامُ الإحسانَ: فأكملُ الهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وكان موفيًا كلَّ واحدٍ منهُما حقَّهُ؛ فكانَ معَ كمالِهِ وإرادتِهِ وأحوالِهِ معَ اللهِ حتَّىٰ تَرِمَ قدماهُ، ويصومُ حتَّىٰ يُقالَ: لا يُفطِرُ ويجاهدُ في سبيلِ اللهِ، ويخالِطُ أصحابَهُ ولا يَحْتَجِبُ عنهم، ولا يترُكُ شيئًا من النَّوافلِ والأَورادِ لتلكَ الوارداتِ الَّتي تَعْجِزُ عن حملِها قُوىٰ البشرِ. واللهُ تعالىٰ؛ أَمرَ عبادَهُ أَن يقوموا بشرائعِ الإسلامِ علىٰ ظواهِرِهِم وحقائقِ الإيمانِ علىٰ بواطِنِهم، ولا يقبلُ واحدًا منهُما إلاَّ بصاحبِهِ وقرينِهِ)(٣).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٢) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب « تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ».

(٣) انظر: « الفوائد » فصل (منازل السير إلىٰ الله تقطع بالقلوب والهم لا بالأبدان والجوارح).

ثالثًا- علاجُ ضُعْفِ الإيمانِ :

وقد علمنا - ممّا سبقَ - أَنَّ الإيمانَ هو: اعتقادٌ بالقلبِ، وقولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ والأعمالِ الصَّالحةِ؛ حتَّىٰ يكونَ كالجبلِ! وينقصُ الإيمانُ بالمعاصي والذُّنوبِ والأعمالِ الطَّالحةِ؛ حتَّىٰ يكونَ كحبَّةِ الخردلِ! وأهلُهُ يتفاضلونَ فيهِ حسبَ إيمانِهِم وطاعاتِهِم.

وأَثَرُ الطَّاعةِ والمعصيةِ في الإيمانِ - زيادةً ونقصًا - أمرٌ معلومٌ مشاهدٌ، ومجرَّبٌ؛ لو أنَّ شخصًا مسلمًا خرجَ يمشي في السُّوقِ ينظرُ إلىٰ المتبرِّجاتِ، ويسمعُ صخبَ أهلِ السُّوقِ ولغوهم؛ ثمَّ خرجَ فذهبَ إلىٰ المقبرةِ؛ فدخلها فتفكَّرَ! ورقَّ قلبُهُ؛ فإنَّهُ يجدُ فرقًا بيِّنًا بينَ الحالتينِ! إذًا القلبُ يتغيرُ بسرعةٍ؛ حسبَ حالِهِ وأوضاعِهِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ :

«إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ! كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ؛ فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»[١].

وفي روايةٍ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَيَتْلُو؛ فَاتْلُوا الْقُرْآنَ يُجَدِّدُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»[٢].

أي: أنَّ الإيمانَ يبلىٰ في القلبِ! كما يبلىٰ الثَّوبُ إذا اهترأَ وأصبحَ قديمًا، وتعتري قلبَ المؤمنِ في بعضِ الأحيانِ؛ سحابةٌ من سُحبِ المعصيةِ فيظلمُ، وقد صوَّر لنا النَّبيُّ ﷺ هذهِ الحالةَ، بقولِهِ الشَّريفِ:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (كتاب الإيمان) وصحَّحهُ الألباني في «الصحيحة» برقم (١٥٨٥).

(٢) رواه الطبراني في «معجم الكبير» عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج١، ص٥٢: (رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن).

«مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلاَّ وَلَهُ سَحَابَةٌ! كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ؛ بَيْنَمَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ! إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ، إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ»[١].

فالقمرُ تأتي عليهِ - أحيانًا - سحابةٌ تغطي ضوءَهُ، وبعدَ بُرهةٍ من الزَّمنِ تزولُ وتنقشعُ؛ فيرجعُ ضوءُ القمرِ مرةً أُخرىٰ ليضيءَ في السَّماءِ، وكذا! قلبُ المؤمنِ تعتريهِ - أحيانًا - سُحُبٌ مظلمةٌ من المعصيةِ؛ فتحجبُ نورَهُ! فيبقىٰ العبدُ في ظلمةٍ ووحشةٍ؛ فإذا سعىٰ لزيادةِ إيمانِهِ، واستعانَ بربِّهِ - عزَّ وجلَّ - انقشعتْ تلكَ السُّحبُ، وعادَ نورُ قلبهِ يضيءُ كما كان.

ولكن! احذر أخي: من الإيمانِ! إذا نقصَ وأدَّىٰ إلىٰ تركِ واجبٍ! أو فعلِ محرَّمٍ! فهذا فتورٌ خطيرٌ مذمومٌ؛ لأنَّهُ من عملِ الشَّيطانِ! فتجبُ علىٰ العبدِ المسلمِ التَّوبةُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ علىٰ الفورِ! والمبادرةُ في علاجِ نفسهِ.

وأمَّا إذا لم يؤدِّ الفتورُ إلىٰ تركِ واجبٍ أو فعلِ محرَّمٍ، وإنَّما كانَ تراجعًا في عملِ مستحباتٍ مثلاً؛ فعلىٰ صاحبِهِ أن يسوسَ نفسَهُ، ويسدِّدَ ويقاربَ حتَّىٰ يعودَ إلىٰ نشاطِهِ وقوتِهِ في العبادةِ، وهذا معنىٰ قولِ النَّبيِّ ﷺ:

«فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً! فَإِمَّا إِلَىٰ سُنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَىٰ بِدْعَةٍ؛ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ سُنَّةٍ، فَقَدِ اهْتَدَىٰ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ! فَقَدْ هَلَكَ»[٢].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج٢، ص١٩٦ وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٢٦٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٢، ص٢١٠. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٥٥). وقولُهُ ﷺ: «شِرَّةً» أي: نشاطًا وقوةً. وقولُهُ ﷺ: «فترَةً» ضعفًا وفتورًا.

تنبيهٌ مهمٌّ! اعلمْ أَخيَ المسلمَ الحبيبَ اللَّبيبَ:

إنَّ كثيرًا من المسلمينَ؛ الَّذينَ يحسُّونَ بضعفِ إيمانِهم، وقسوَةِ قلوبِهم؛ يبحثونَ عن علاجاتٍ سحريَّةٍ فوريَّةٍ! كحبوبِ المسكنِ! يريدونَ بها الاعتمادَ علىٰ الآخرينَ! معَ أَنَّ بمقدورِهم - لو أَرادوا - علاجَ أَنفسِهِم بأَنفسِهِم! وهذا هو الأَصلُ في علاجِ القلوبِ؛ لأَنَّ الإيمانَ أَمرٌ معنويٌّ غيرُ ماديٍّ! أَي: هو علاقةٌ بينَ العبدِ وربِّهِ؛ سبحانه وتعالىٰ!

وفيما يلي ذكرُ عددٍ من الوسائلِ الشَّرعيَّةِ المرعيَّةِ؛ الَّتي يمكنُ للمرءِ المسلمِ أَنْ يعالجَ بها ضُعْفَ إيمانِهِ، ويزيلَ قسوةَ قلبِهِ؛ بعدَ الاعتمادِ علىٰ اللهِ تعالىٰ، وتوطينِ النَّفسِ علىٰ المجاهدَةِ في العبادَةِ:

١- تدبُّرُ القُرآنِ العظيمِ:

أَنزَلَ اللهُ تعالىٰ القُرآنَ العظيمَ علىٰ نبيِّهِ الأَمينِ ﷺ؛ ليكونَ تبيانًا لكلِّ شيءٍ، ونورًا وهُدًى؛ يهدي بهِ - سبحانه - مَنْ شاءَ من عبادِهِ، ولا شكَّ أَنَّ في القُرآنِ؛ علاجًا عظيمًا، ودواءً فعَّالاً! لمنْ اتَّخذهُ منهجًا ودستورًا!

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1].

وطريقةُ العلاجِ في القُرآنِ الكريمِ؛ هيَ التَّفكُّرُ والتَّدبُّرُ بآياتِهِ العظيمَةِ! وكانَ النَّبيُّ ﷺ وهو سيِّدُ العابدينَ؛ يتدبَّرُ كتابَ اللهِ تعالىٰ، ويردِّدُهُ وهو قائمٌ باللَّيلِ وأَطرافِ النَّهارِ، وقد بلغَ في ذلكَ مبلغًا عظيمًا!

والقرآنُ فيهِ؛ توحيدٌ، ووعدٌ ووعيدٌ، وأَحكامٌ وأَخبارٌ وقصصٌ، وآدابٌ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

وأخلاقٌ، وآثارُها في النَّفسِ متنوِّعةٌ، وفيها السُّورُ ما يُرهِبُ النَّفسَ أكثرَ من سورٍ أُخرىٰ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ شِبْتَ! قَالَ ﷺ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[١].

لقدْ شَيَّبَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ هذهِ السُّورُ لما احتوتْ من حقائقِ الإيمانِ، والتَّكاليفِ العظيمةِ؛ الَّتي ملأتْ بثقلِها قلبَ الرَّسُولِ الأمينِ ﷺ فظهرتْ آثارُها علىٰ شعرِهِ وجسدِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

وقد كانَ أصحابهُ الكرامُ - رضيَ اللهُ عنهم - يقرؤونَ ويتدبَّرونَ ويتأثَّرونَ بكتابِ اللهِ تعالىٰ؛ لأنَّهم كانوا يفقهونَ ما يقرؤونَ!

وكانَ صدِّيقُ هذهِ الأُمَّةِ - رضيَ اللهُ عنهُ - رجلاً أسيفًا رقيقَ القلبِ؛ إذا صلَّىٰ بالمسلمينَ، وقرأَ كلامَ اللهِ تعالىٰ؛ لا يتمالكُ نفسَهُ من البُكاءِ!

وقد مرضَ الفاروقُ عمرُ - رضيَ اللهُ عنه - من أثرِ تلاوةِ قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[٣].

وسُمِعَ نشيجُهُ من وراءِ الصُّفُوفِ؛ لَمَّا قرأَ قولَ اللهِ تعالىٰ عن نبيِّهِ يعقوبَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤].

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الذبائح) باب «ومن سورة الواقعة» وصحَّحه الألباني.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٣) سورة الطور، الآيتان: ٧ - ٨. وانظر: «تفسير ابن كثير».

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٦. وانظر: «مناقب عمر» لابن الجوزي» ص١٦٧.

وقالَ أَميرُ المؤمنينَ ذُو النُّورينِ؛ عُثمانُ بنُ عفانٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(لو طَهُرَتْ قُلُوبُنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلاَمِ اللهِ تَعَالىٰ). وقُتلَ شَهيدًا مظلومًا، ودَمُهُ علىٰ مصحَفِهِ!

وأَخبارُ الصَّحابةِ الكرامِ في هذا البابِ كثيرةٌ جدًّا لا يمكنُ حصرُها!

ومن أَعظمِ تدبُّرِ القرآنِ! تدبُّرُ أَمثالِه؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ لما ضربَ لنا الأَمثالَ في كتابهِ العزيزِ؛ نَدبَنَا إِلىٰ التَّفكُّرِ والتَّذكُّرِ فيهِ! فقالَ تعالىٰ:

﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وأَحدُ العُلماءِ السَّلفِ؛ تفكَّرَ في مثلٍ من أَمثالِ القُرآنِ مرةً! فلمْ يتبين لَهُ معناهُ؛ فجعلَ يبكي! فسُئِلَ: ما يُبكيكَ؟ فقالَ: إِنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ:

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[3].

وأَنا لم أَعقلِ المثلَ! فلستُ بعالمٍ؛ فأَبكي علىٰ ضياعِ العلمِ منِّي!!

قالَ الإِمامُ الزَّاهدُ والعالمُ الرَّبانيُّ؛ ابنُ القيِّمِ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(وحُسنُ التَّأَمُّلِ لما ترىٰ تسمعُ من الآياتِ المشهودَةِ والمتلوَّةِ؛ يثمرُ صحةَ البَصيرةِ، وملاكُ ذلكَ كلِّهِ: أَمرانِ أَحدُهما: أَن تنقلَ قلبكَ من وطنِ الدُّنيا؛ فتسكنَهُ في وطنِ الآخرةِ، ثمَّ تُقبلُ بهِ كلِّهِ علىٰ معاني القُرآنِ واستجلائها وتدبُّرها، وفهمِ ما يرادُ منهِ، وما نزلَ لأَجلِهِ، وأَخذِ نصيبِكَ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

وحظكَ من كلِّ آيةٍ، من آياتهِ تُنزلُها علىٰ داءِ قلبكَ؛ فهذهِ طريقةٌ مختصرةٌ، قريبةٌ سهلةٌ؛ موصلةٌ إلىٰ الرَّفيقِ الأعلىٰ، آمنةٌ لا يلحقُ سالكَها خوفٌ ولا عطبٌ، ولا جوعٌ ولا عطشٌ، ولا فيها آفةٌ من آفاتِ سائرِ الطَّريقِ ألبتَّةَ، وعليها من اللهِ حارسٌ وحافظٌ؛ يكلأُ السَّالكينَ فيها، ويحميهم ويدفعُ عنهم، ولا يعرفُ قدرَ هذا الطَّريقِ إلاَّ مَن عرفَ طُرقَ النَّاسِ، وغوائلها وآفاتها وقطاعها، واللهُ المستعان)[١].

٢- استشعارُ عظمةِ اللهِ تعالىٰ في القلب:

فإنَّ استشعارَ عظمةِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - ومعرفةَ أسمائهِ الحسنىٰ وصفاتِهِ العُلىٰ، والتَّدبُّرَ فيها، وعقلَ معانيها، واستقرارَ هذا الشُّعورِ العظيمِ في قلبِ العبدِ، وسريانَهُ إلىٰ جوارحِهِ؛ لتنطقُ عن طريقِ العملِ بما وعاهُ القلبُ؛ فهو ملكُها وسيِّدُها، وهيَ بمثابةِ جنودِهِ وأتباعِهِ؛ فإذا صلُحَ صلحتْ! وإذا فسدَ فسدتْ، والنُّصوصُ من الكتابِ والسُّنَّةِ في عظمَةِ اللهِ تعالىٰ كثيرةٌ جدًّا؛ فإذا تأمَّلَها المسلمُ الصَّادقُ! ارتجفَ قلبُهُ خوفًا مِنَ الجبَّارِ العظيمِ، وتواضعتْ نفسُهُ للعليِّ الكريمِ، وخضعتْ أركانُهُ للسَّميعِ العليمِ، وازدادَ خشوعًا لرَبِّ الأولينَ والآخرين!

فمن أسماءِ اللهِ الحسنىٰ وصفاتهِ العُلىٰ، فهو: العظيمُ المهيمنُ الجبَّارُ المتكبِّرُ القويُّ القهَّارُ الكبيرُ المتعالُ، هو الخالقُ الحيُّ الَّذي لا يموتُ، وكلُّ خلقهِ يموتونَ! وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ، ويسبحُ الرَّعدُ بحمدِهِ والملائكةُ من خيفتهِ، وهو العزيزُ ذو انتقامٍ؛ القيُّومُ لا ينامُ، وسعَ كلَّ شيءٍ علمًا، يعلمُ خائنَةَ الأعينِ، وما تُخفي الصُّدورُ.

---

(١) انظر: «مدارج السَّالكين» فصل: (منزلة الورع).

وقد وصفَ اللهُ سعةَ علمِهِ، بقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

وعظمتَهُ – سبحانه وتعالىٰ – بِهِ الآيةِ الكريمةِ الجليلةِ:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

وقالَ النَّبِيُّ الأمينُ ﷺ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ! وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ؛ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ! أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ!»(٣).

واعلمْ! المسلمَ الصَّادقَ: إنَّ قلبَ العبدِ الصَّادقِ التَّقيِّ النَّقيِّ! ليرجفُ خشيةً، وينخلعُ خوفًا؛ عند التَّأمُّلِ في قصةِ كلامِ نبيِّ اللهِ موسىٰ – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – لربِّهِ – سبحانه وتعالىٰ – أرني أنظرْ إليكَ!:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

ولَمَّا فسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ هذهِ الآيةَ قرأها وقالَ بيدِهِ هكذا – ووضعَ الإبهامَ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.   (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٣) رواه البخاري في (كتاب التفسير) باب «قوله ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾».

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

علىٰ المفصلِ الأعلىٰ من الخنصرِ - ثمَّ قالَ ﷺ: «فَسَاخَ الْجَبَلُ»(١).

لأنَّ اللهَ؛ سبحانه وتعالىٰ: «حِجَابُهُ النُّورُ؛ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٢).

ومن عظمةِ اللهِ تعالىٰ؛ ما حدَّثَ بهِ النَّبيُّ ﷺ، فقالَ:

«إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ! فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ! وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»(٣).

فإنَّ استشعارَ عظمةِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - والتَّأمُّلِ في مثلِ هذهِ النُّصوصِ وغيرِها؛ من أنفعِ الأشياءِ في علاجِ ضعفِ الإيمانِ.

٣- طلبُ العلمِ الشَّرعيِّ:

فإنَّ تحصيلَ العلمِ الشَّرعيِّ؛ وهو الَّذي يوصلُ إلىٰ خشيةِ اللهِ تعالىٰ والخوفِ منهِ، وزيادةِ الإيمانِ بهِ - سبحانه - قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٤).

فلا يستوي في الإيمانِ؛ الَّذينَ يعلمونَ والَّذينَ لا يعلمونَ! فكيفَ يستوي؛ مَن يعلمُ ربَّهُ - سبحانهُ وتعالىٰ - بأسمائِهِ الحسنىٰ وصفاتِهِ العُلىٰ حقًّا! ويعلمُ تفاصيلَ الشَّريعَةِ، ومعنىٰ الشَّهادتينِ ومقتضياتهما، وما بعدَ

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب التفسير) باب «ومن سورة الأعراف» وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «في قوله عليه السَّلامُ: إنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ».

(٣) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب «﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾».

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

الموتِ؛ من فتنةِ القبرِ وعذابها، وأهوالِ يوم القيامَةِ، وأهوالِ المحشَرِ ومواقفِها، ونعيم الجنَّةِ وعذاب النَّارِ، وحكمةِ الشَّريعةِ الغرَّاءِ في أَحكامِ الحلالِ والحرامِ، ويعلمُ تفصيلَ سيرةِ النَّبيِّ ﷺ وأيامِهِ، وسيرةِ أصحابهِ الكرامِ، وسيرةِ أنبياءِ اللهِ – عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ – وغيرُ ذلكَ من أنواعِ العلومِ الشَّرعيَّةِ المرعيَّةِ؛ كيف يستوي هذا العبدُ في الإيمانِ! مع مَن هو جاهلٌ بالدِّينِ وأَحكامِهِ، وما جاءت بهِ الشَّريعةُ من أُمورِ الغيبِ؛ حظُّهُ من الدِّينِ التَّقليدُ، وبضاعتُهُ من العلمِ مزجاةٌ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1].

٤– لزومُ ذكرِ اللهِ تعالىٰ وأهلِهِ:

فإنَّ لزومَ حلَقِ الذِّكرِ! ممَّا يؤدِّي إلىٰ زيادةِ الإيمانِ؛ لعدَّةِ أَسبابٍ، منها: ما يحصلُ فيها من ذكرِ اللهِ تعالىٰ، وغشيانِ الرَّحمَةِ، ونزولِ السَّكينَةِ، وحفِ الملائكةِ للذَّاكرينَ، وذكرِ اللهِ – عزَّ وجلَّ – لهم في الملأ الأَعلىٰ، ومباهاتِهِ – سبحانَهُ – بهمُ الملائكةَ، ومغفرتِهِ لذنوبِهِم، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2].

وقالَ ﷺ: « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ! لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب « فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر ».

وَجْهَهُ؛ إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ : أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ؛ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»(١).

وقالَ العلاَّمةُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ويطلقُ ذكرُ اللهِ تعالىٰ! ويرادُ بهِ المواظبةُ علىٰ العملِ بما أوجبهُ، أو ندَبَ إليهِ؛ كتلاوةِ القُرآنِ، وقراءةِ الحديثِ، ومدارسةِ العلمِ)(٢).

ومِمّا يدلُّ علىٰ أنَّ مجالسَ الذِّكرِ وحلقاتِهِ؛ تزيدُ الإيمانَ في القلبِ، وتُقوِّيهِ وتُضاعفُهُ وتُنمِّيهِ، قصةُ الصَّحابيِّ الجليلِ حنظلةَ الأُسَيِّديِّ – رضيَ اللهُ عنهُ – الَّذي كانَ من كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ:

(لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ! قَالَ: قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا تَقُولُ. قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ؛ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ! إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هَذَا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ؛ حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ!». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن أنسٍ رضي الله عنه. وصحّحه الألباني في «الصحيح الجامع» برقم: (٥٥٠٧).

(٢) انظر: «فتح الباري» ج١١، ص٢٠٩.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ! سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[١].

٥- المداومةُ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ والاستكثارُ منها:

الاستكثارُ منِ الأعمالِ الصَّالحةِ، والحرصُ علىٰ أدائها، والتَّنويعُ فيها، وملءُ الوقتِ بها؛ من أعظمِ أسبابِ علاجِ القلبِ، وهو أمرٌ عظيمٌ، وأثرهُ كبيرٌ وظاهرٌ في تقويةِ الإيمانِ!

وقد ضربَ صدِّيقُ الأُمَّةِ - رضيَ اللهُ عنهُ - في ذلكَ مثلاً عظيمًا؛ لَمَّا سأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أصحابَهُ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ ﷺ : «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

فهذهِ القصةُ؛ تدلُّ علىٰ أنَّ الصِّدِّيقَ - رضي اللهُ عنهُ - كانَ حريصًا علىٰ اغتنامِ الفُرصِ، وتنويعِ العباداتِ، ولَمَّا وقعَ السُّؤالُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مفاجئًا! دلَّ ذلكَ علىٰ أنَّ أيامَ أبي بكرٍ! كانتْ حافلةً بالطَّاعاتِ بجميعِ أنواعها وأشكالها!

---

(١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب «فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات».

(٢) رواه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة) باب «من فضائل أبي بكر الصّدّيق رضى الله عنه».

ومن هنا ينبغي على المسلم الصادق؛ الذي يسعى لرضى ربّه سبحانهُ! أنْ يراعي في الأعمال الصّالحةِ أمورًا، منها:

● المسارعةُ إلى الأعمالِ الصّالحةِ:

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقالَ تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2].

وعن أَنسِ بنِ مالكٍ - رَضِيَ اللهُ عنهُ - في قصةِ غزوةِ بدرٍ؛ لَمّا دنا المشركون، قالَ النَّبيُّ ﷺ لأَصحابهِ الكرامِ، رضيَ اللهُ عنهم:

« قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ » فَقَالَ: عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ، يَا رَسُولَ اللهِ! جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ ﷺ: « نَعَمْ » قَالَ: بَخٍ! بَخٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ » قَالَ: لاَ وَاللهِ! يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا! قَالَ ﷺ: « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ؛ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ! حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ؛ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ؛ فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ![4].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.
(٤) رواه مسلم في (كتاب الإمارة) باب «ثبوت الجنّة للشهيد».

● **الاستمرارُ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ:**

قالَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ ربِّهِ – جَلَّ في عُلاهُ – في حديثٍ قدسيٍّ:

«إنَّ اللهَ ! قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ! فَقَدْ اذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ! فَإذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

وكلمةُ: «مَا يَزَالُ» في الحديثِ؛ تفيدُ الاستمراريَّةَ !

وقالَ ﷺ: **«تَابِعُوا بَيْنَ الْحجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ ! كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ، إِلاَّ الْجَنَّةُ»**(٢).

والمتابعةُ: تعني كذلكَ الاستمرارَ، وهذا المبدأُ مهمٌّ في تقويةِ الإيمانِ، وعدمِ إهمالِ النَّفسِ؛ حتَّىٰ لا تركنُ وتأسنُ، والقليلُ الدَّائمُ؛ خيرٌ من الكثيرِ المنقطعِ. والمداومةُ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ تقوِّي الإيمانَ وتُضاعفُهُ !

فَعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: **«أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ !»**(٣).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «التواضع».

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الحج) باب «ما جاء في ثواب الحج والعمرة».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «القصد والمداومة علىٰ العمل».

● الاجتهادُ في الأعمالِ الصَّالحةِ:

إنَّ علاجَ مرضِ القلبِ وقسوتِهِ؛ لا يصلحُ أن يكونَ علاجًا مؤقَّتًا، يتحسَّنُ فيهِ الإيمانُ فترةً من الوقتِ؛ ثمَّ يعودُ إلىٰ الضَّعفِ! بل ينبغي أن يكونَ نهوضًا متواصلاً بالإيمانِ، وهذا الأمرُ لن يكونَ؛ إلاَّ بالاجتهادِ في العبادةِ والطَّاعةِ، والاستمرارِ عليها.

وقد ذكرَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - في كتابِهِ العزيزِ؛ من اجتهادِ عبادِهِ الأولياءِ الأتقياءِ؛ بأنَّ لهم أحوالاً عدَّةً، فمنها قولُهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[2].

وسلفُ هذهِ الأمَّةِ المرحومَةِ؛ ضربوا أروعَ الأمثالِ في تحقيقِ صفاتِ العابدينَ؛ يبعثُ علىٰ الإعجابِ، ويقودُ إلىٰ الاقتداءِ بهم؛ فمن ذلكَ! كانَ لهم السُّبُعُ من القرآنِ يختمونَهُ كلَّ يومٍ، وكانوا يقومونَ اللَّيلَ في الغزوِ والقتالِ، ويذكرونَ اللهَ تعالىٰ قيامًا وقعودًا، ويتهجَّدونَ في ذلكَ؛ حتَّىٰ لو كانوا في السُّجونِ! تسيلُ دموعُهُم علىٰ خدودِهِم؛ يتفكرونَ في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ، يخادعُ أحدُهُم زوجتَهُ! كما تُخادعُ المرأةُ صبيها، فإذا

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٧- ١٩.

علمَ أنَّها نامتْ انسلَّ من لحافِها وفراشِها لصلاةِ القيامِ؛ يقسِّمونَ اللَّيلَ علىٰ أنفسِهِم وأَهليهِم، ونهارَهُم في الصِّيامِ، والتَّعلُّمِ، والتَّعليمِ، واتِّباعِ الجنائزِ، وعيادةِ المرضىٰ، وقضاءِ حوائجِ النَّاسِ؛ تمرُّ علىٰ بعضِهم السُّنونَ؛ لا تفوتُهُم تكبيرةُ الإحرامِ مع الإمامِ - اللهُ أكبر! - ينتظرونَ الصَّلاةَ بعدَ الصَّلاةِ، يتفقَّدُ أَحدُهُم عيالَ أَخيهِ بعدَ موتهِ سنواتٍ ينفقُ عليهِم، ومَن كانَ هذا حالُهُ؛ فإيمانُهُ في ازديادٍ؛ حتَّىٰ يصلَ ويكونَ كإيمانِ الصِّدِّيقِ.

● عدمُ الإفراطِ والتَّفريطِ في الأَعمالِ الصَّالحةِ:

ليسَ المقصودُ من المداومةِ علىٰ العباداتِ، أَو الاجتهادِ فيها، أَو الإكثارِ منها؛ إيقاعَ النَّفسِ بالسآمَةِ وتعريضَها للمللِ، وإنَّما المقصودُ عدمُ الانقطاعِ عن العباداتِ والأَعمالِ الصَّالحةِ مطلقًا! والقيامُ بما تطيقُ بهِ النَّفسُ، أي: إنَّ العبدَ يسدِّدُ ويقاربُ في أَعمالِه الصَّالحةِ؛ فينشطُ إذا رأَىٰ نفسَهُ مقبلَةً، ويقصدُ عندَ الفتورِ، قالَ النَّبيُّ الأَمينُ ﷺ:

«إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا إِمْرَأَةٌ، قَالَ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلاَنَةُ! تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا. قَالَ ﷺ:

«مَهْ! عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ؛ فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ؛ حَتَّىٰ تَمَلُّوا».

وَكَانَ ﷺ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ؛ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ(٢).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «الدِّين يسر».

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «أحبُّ الدِّين إلىٰ اللهِ ادومه».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ! فَقَالَ ﷺ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ؛ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لاَ، حُلُّوهُ؛ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»(١).

وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو – رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا – قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ» قُلْتُ إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ! قَالَ: «فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ هَجَمَتْ عَيْنُكَ، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقٌّ، وَلأَهْلِكَ حَقٌّ؛ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ»(٢).

● الاستدراكُ ما فاتَ من الأعمالِ الصَّالحةِ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ! فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»(٣).

وَعَنْ أُمِّ المؤمِنِينَ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ:

(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَمْ يُصَلِّ مِنَ اللَّيْلِ! مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ النَّوْمُ، أَوْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ؛ صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً)(٤).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب «ما يكره من التشديد في العبادة».

(٢) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب «ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه».

(٣) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب «جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض».

(٤) رواه الترمذي في (كتاب الصلاة) باب «إذا نام عن صلاته، بالليل صلىٰ بالنهار» وصححه الألباني.

وَقَالتْ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ؛ صَلاَّهُنَّ بَعْدَهُ)[١].

ولَمَّا رأَت أُمُّ سلمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي ركعتينِ بعدَ العصرِ؛ سأَلَتْهُ؟ فأَجابها ﷺ: «يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ! سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ؛ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ؛ فَهُمَا هَاتَانِ»[٢].

● تحقيقُ أَركانِ العبادةِ:

إِنَّ عبادةَ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ؛ ترتكِزُ علىٰ ثلاثَةِ أَركانٍ مجتَمِعَةٍ، وهيَ: الْحُبُّ، والْخَوْفُ، والرَّجَاءُ.

أي: أَنَّ المسلمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ - جلَّ وعلا - محبَّةً له سبحانه، وخوفًا من عقابِهِ، ورجاءً لثوابِهِ؛ فيجبُ أَن تَجْتَمِعَ هذهِ الأَركانُ الثَّلاثَةُ في العبادَةِ، وإِلاَّ فهيَ مردودَةٌ علىٰ صاحبِهِ؛ فلا يُفْرِطُ في الخوفِ حتَّىٰ يصلَ إِلىٰ درجةِ القنوطِ واليأْسِ من رحمَةِ اللهِ الواسعَةِ، ولا يُفرِطُ في الرَّجَاءِ فَيَتَعَلَّقُ بِسَعَةِ رحمةِ اللهِ تعالىٰ مع إِصرارِهِ علىٰ المعصيةِ وتركِ الأَعمالِ الصَّالحةِ؛ بل يجبُ علىٰ المسلمِ أَن يجمعَ بينهما؛ فطريقةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ وسطٌ لا إِفراطَ فيهِ ولا تفريطَ، ولذا! صَدَقَ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ، رحمهُمُ اللهُ تعالىٰ:

(مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الصلاة) باب «ما جاء في الركعتين بعد الظهر» وصحّحه الألباني.

(٢) رواه البخاري في (كتاب السهو) باب «إذا كلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع».

فَهُوَ مُرْجِيءٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ)[١].

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[٣].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٤].

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ! الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ ﷺ: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ»[٥].

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ أَبو الدَّرداءِ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(لأَنْ أَسْتَيْقِنَ أَنَّ اللهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنِّي صَلاَةً وَاحِدَةً؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنيا وَمَا فيها، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٦].

---

(١) انظر: «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٢٦. و«التخويف من النَّار» للحافظ ابن رجب، ص٢٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٥) رواه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن) باب «ومن سورة المؤمنون» وصحَّحهُ الألباني.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٧. وانظر: «تفسير ابن كثير».

فمَن عرفَ اللهَ تَعالىٰ حقَّ معرفتِهِ، وعرفَ نفسَهُ! تبيَّنَ لَهُ أَنَّ ما معهُ من البضاعةِ مزجاةٌ؛ لا يكفيهِ في الميزانِ يومَ القيامَةِ! ولو جاءَ بعملِ الثَّقلين؛ إنَّمَا يقبلُهُ اللهُ - سبحانَهُ وتعالىٰ - من عبادِهِ؛ بمنِّهِ، وكرمِهِ، وجودِهِ، وتفضُّلِهِ، ولكنْ علىٰ المسلمِ الصَّادقِ! بعدَ الاجتهادِ في الطَّاعاتِ؛ أَنْ يرجو من اللهَ تعالىٰ القبولَ، ويخافَ من ردِّها؛ لأنَّ من صفاتِ المؤمنينَ الصَّادقينَ العارفينَ؛ احتقارَ النَّفسِ! أمامَ الواجبِ في حقِّ اللهِ تعالىٰ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«لَوْ أَنَّ رَجُلاً يُجرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَىٰ يَوْمِ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَحقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

٦- التَّنويعُ في الأَعمالِ الصَّالحةِ:

فمن رحمةِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - وحكمتهِ البالغَةِ! أَن نوَّعَ علينا العباداتِ: فمنها ما يكونُ بالبدنِ؛ كالصَّلاةِ، ومنها ما يكونَ بالمالِ كالزَّكاةِ، ومنها ما يكونَ بهما معًا؛ كالحجِّ، ومنها ما هو باللِّسانِ؛ كالذِّكرِ والدُّعاءِ، وحتَّىٰ النَّوعُ الواحدُ ينقسمُ إِلىٰ فرائضَ وسُنَنٍ مستحبَّةٍ، والفرائضُ تتنوَّعُ، وكذلكَ السُّنَنُ؛ مثلَ الصَّلاةِ فيها: رواتبُ ثنتي عشرةَ ركعةً في اليومِ، ومنها ما هو أَقلُّ منزلةً؛ كالأَربعِ قبلَ العصرِ، وصلاةِ الضُّحىٰ، ومنها ما هو أَعلىٰ؛ كصلاةِ اللَّيلِ، وهو كيفياتٌ متعددةٌ؛ منها مثنىٰ مثنىٰ، ثمَّ يوترُ، ومنها خمسٌ، أَو سبعٌ، أَو تسعٌ؛ بتشهدٍ واحدٍ.

وهكذا من يتتبَّعُ العباداتِ يجدُ تنويعًا عظيمًا في الأَعدادِ والأَوقاتِ والهيئاتِ والصِّفاتِ والأَحكامِ، ولعلَّ من الحكمَةِ في ذلكَ أَنْ لا تملَ

---

(١) رواه الإمام أَحمد في «مسنده» ج٤، ص١٨٥ وصحَّحه الأَلباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٢٤٩).

النَّفسُ، ويستمرَ التَّجدُّدُ، ثمَّ إنَّ النَّفسَ ليستْ متماثلةً في انجذابها وإمكاناتها، وقد تستلذُ بعضُ النُّفوسِ بعباداتٍ أكثرَ من غيرِها؛ فسبحانَ اللهِ! الَّذي جعلَ أبوابَ الجنَّةِ علىٰ أنواعِ العباداتِ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ! هَذَا خَيْرٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّدَقَةِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ؛ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ ﷺ: **«نَعَمْ! وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»**[١].

٧- الخوفُ من سوءِ الخاتمةِ:

لأنَّ الخوفَ من سوءِ الخاتمةِ؛ يدفعُ المسلمَ إلىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، ويجدِّدُ الإيمانَ في قلبِهِ، أمَّا سوءُ الخاتمةِ، والعياذُ باللهِ؛ فأسبابُها كثيرةٌ، منها: ضعفُ الإيمانِ، والانهماكُ في المعاصي، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ بِرِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوِ الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

(١) رواه البخاري في (كتاب الصوم) باب «الرَّيَّان للصائمين».

النَّارِ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيَدْخُلُهَا! وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا!»[1].

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَىٰ هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا؛ فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا! يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ؛ فَقِيلَ مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ!».

فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ، وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ؛ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا؛ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ! فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ! قَالَ: «وَمَا ذَاكَ!» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ؛ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ! فَقَالَ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب القدر) باب «في القدر».

« إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهْوَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ! وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ؛ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ! »[١].

٨- الإكثارُ من ذكرِ الموتِ:

لأنَّ تذكُّرَ الموتِ؛ يُلينُ القلبَ القاسيَ، ويردَعُ عن فعلِ المعاصي، ولا يذكُرُهُ أحدٌ كانَ في ضيقٍ من العيشِ؛ إلاَّ وسَعَهُ عليه، ولا ذكَرَهُ في سَعَةٍ؛ إلاَّ ضيقَها عليه، قالَ النَّبيُّ ﷺ: « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ! »[٢].

ومن أَعظمِ ما يُذكِّرُ بالموتِ؛ زيارةُ القبورِ ولذلكَ أَمرَ النَّبيُّ ﷺ بزيارتِها، فقالَ: « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ! أَلاَ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهُ يُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلاَ تَقُولُوا هُجْرًا »[٣].

إذن! زيارةُ القبورِ من أَعظمِ وسائلِ ترقيقِ القلوبِ، وينتفعُ الزَّائرُ بذكرِ الموتِ، وينتفعُ الموتىٰ بالدُّعاءِ لهم، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

« السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ! أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللّٰهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ؛ أَسْأَلُ اللّٰهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ »[٤].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب « غزوة خيبر ».

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب « ما جاء في ذكر الموت » وصحّحه الألباني.

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (كتاب الجنائز) ج١، ص٣٧٦. وصحّحه الألباني في « الصحيح الجامع » برقم (٤٥٨٤).

(٤) رواه مسلم في (كتاب الجنائز) باب « ما يقال عند دخول القبور والدُّعاء لأهلها ».

(وينبغي لمن عزمَ علىٰ الزِّيارةِ؛ أن يتأدَّبَ بآدابها، ويحضرَ قلبَهُ في إتيانها، ويقصُدَ بزيارته وجهَ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ، وإصلاحَ فسادِ قلبِهِ؛ ثمَّ يعتبرَ بمن صارَ تحتَ التُّرابِ، وانقطعَ عن الأهلِ والأحبابِ! فليتأمَّلِ الزَّائرُ حالَ من مضىٰ من إخوانِهِ، ودرجَ من أقرانِهِ الَّذينَ بلغوا الآمالَ، وجمعوا الأموالَ؛ كيفَ انقطعتْ آمالُهم، ولم تغنِ عنهم أموالُهم، ومحا التُّرابُ محاسنَ وجوههم، وافترقتْ في القبورِ أجزاؤُهُم، وترمَّلَ بعدَهُم نساؤُهُم، وشمَلَ ذلُّ اليتمِ أولادَهُم، وليتذكَّر آفةَ الانخداعِ بالأسبابِ، والرُّكونِ إلىٰ الصِّحَّةِ والشَّبابِ، والميلِ إلىٰ اللَّهوِ واللعبِ، وأنَّهُ لا بُدَّ صائرٌ إلىٰ مصيرِهِم! وليتفكر في حالِ الميتِ؛ كيفَ تهدمتْ رجلاهُ، وسالتْ عيناهُ، وأكلَ الدُّودُ لسانَهُ، وأبلىٰ التُّرابُ أسنانَهُ.

واعلمْ! أنَّ مَن أكثرَ ذكرَ الموتِ؛ أُكرِمَ بثلاثةِ أشياءٍ: تعجيلُ التَّوبَةِ، وقناعةُ القلبِ، ونشاطُ العبادَةِ.

ومَن نسيَ الموتَ؛ عُوقبَ بثلاثَةِ أشياءٍ: تسويفُ التَّوبةِ، وتركُ الرِّضا بالكفافِ، والتَّكاسلُ بالعبادَةِ!

وممَّا يؤثِّرُ في النَّفسِ من مشاهدِ الموتِ؛ رؤيةُ المحتضَرينَ! فإنَّ النَّظرَ إلىٰ الميتِ، ومشاهدةَ سكراتِهِ ونزعاتِهِ، وتأمُّلَ صورتِهِ بعدَ مماتِهِ؛ ما يقطعُ عن النُّفوسِ لذاتِها، ويمنعُ الأجفانَ من النَّومِ، والأبدانَ من الرَّاحةِ، ويبعثُ علىٰ العملِ، ويزيدُ في الاجتهادِ.

دخلَ التَّابعيُّ الإمامُ الحسنُ البصريُّ - رحمهُ اللهُ - علىٰ مريضٍ يعودُهُ؛ فوجدَهُ في سكراتِ الموتِ! فنظرَ إلىٰ كربِهِ وشدَّةِ ما نزلَ بهِ؛ فرجعَ إلىٰ أهلِهِ، بغيرِ اللونِ الَّذي خرجَ بهِ من عندِهِم؛ فقالوا لَهُ: الطَّعامَ، يرحمُكَ

اللهُ! فقالَ: يا أهلاه! عليكمْ بطعامكمْ وشرابكمْ، واللهِ! لقدْ رأيتُ مصرعًا لا أزالُ أعملُ لهُ حتَّىٰ ألقاهُ!!)[١].

ومن تمامِ الشُّعورِ بالموتِ، الَّذي يذكِّرُ بالآخرةِ؛ أن يعيشَ العبدُ مراسيمها؛ من الصَّلاةِ علىٰ الجنازةِ، وحملها علىٰ الأعناقِ، والذَّهابِ بها إلىٰ المقبرةِ، ودفنِ الميتِ، ومواراةِ التُّرابِ عليه! قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«عُودُوا الْمَرْضَىٰ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ؛ تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ»[٢].

وبالإضافةِ إلىٰ ذلكَ؛ فإنَّ في اتِّباعِ الجنازةِ أجرًا عظيمًا لعبدِ المسلمِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ! حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا؛ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا! حَتَّىٰ تُدْفَنَ؛ فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ» وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ؛ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً[٣].

٩- تذكُّرُ منازلِ الآخرةِ:

ومِنَ الأُمور الَّتي تجدِّدُ الإيمانَ بالقلبِ! تذكُّرِ الآخرةِ، وما فيها من الأَهوالِ، والأُمورِ الجسامِ؛ من أَشراطِ السَّاعةِ الصُّغرىٰ والكُبرىٰ، ومن مشاهدِ يوم القيامَةِ؛ كالبعثِ والنُّشورِ، والحشرِ، والشَّفاعَةِ، والحسابِ،

---

(١) انظر: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»: (باب: ما يذكِّر الموت والآخرة ويزهِّد في الدُّنيا) للقرطبي؛ بصرف.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٣، ص٤٨ عن أبي سعيد الخدري. وصحَّحهُ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤١٠٩).

(٣) رواه مسلم في (كتاب الجنائز) باب «الإسراع بالجنازة».

والجزاءِ والقصاصِ والميزانِ والحوضِ والصِّراطِ ودارِ القرارِ من الجنَّةِ أَو النَّارِ.

والقرآنُ العظيمُ! فيه ذكرُ كثيرٍ لمشاهدِ اليومِ الآخرِ؛ كسُورةِ ق، والواقعةِ، والقيامَةِ، والمرسلاتِ، والنبإِ، والمطففينَ، والتَّكويرِ، وكذلكَ في مصنفاتِ الحديثِ مذكورةٌ فيها تحتَ أَبوابٍ مثلَ: القيامَةِ، والرِّقاقِ، والجنَّةِ، والنَّارِ، وكُتبِ أَهلِ العلمِ المفرَدَةِ لهذا الغرضِ العظيمِ!

١٠- التَّفاعلُ مع الآياتِ الكونيَّةِ:

من الأُمورِ المهمَةِ في تجدِّيدِ إيمانِ العبدِ في قلبِهِ؛ التَّفاعلُ معَ الآياتِ الكونيَّةِ، والتفكرُ في خالِقِها العظيمِ!

فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا؛ حَتَّىٰ أَرَىٰ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، وَكَانَ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا، أَوْ رِيحًا؛ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ! فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَىٰ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا؛ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ، عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ! فَقَالَ ﷺ:

«يَا عَائِشَةُ! مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ! قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾» [١].

وكانَ ﷺ يقومُ فزعًا إذا رأىٰ الكسوفَ؛ فعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ! فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فزِعًا؛ يَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّىٰ بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ؛ رَأَيْتُهُ

(١) رواه مسلم في (كتاب الاستسقاء) باب «التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر».

قَطُّ يَفْعَلُهُ! وَقَالَ: «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ؛ لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ! فَافْزَعُوا إِلَىٰ ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»(١).

وكذلكَ! الخوفُ والتَّأثُّرُ عندَ المرورِ بمواضعِ المعَذَّبينَ! من أهلِ الخسفِ، والعذابِ، وقبورِ الظَّالمينَ، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«لاَ تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ! إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ!»(٢).

هذا! والنَّاسُ اليومَ؛ يذهبونَ إليها للسِّياحَةِ، والتَّصويرِ؛ فتأمَّلْ!

١٠- ذكرُ اللهِ تعالىٰ:

ومن الأُمورِ بالغةِ الأهميَّةِ في علاجِ ضُعفِ الإيمانِ في القلبِ؛ هو ذكرُ اللهِ تعالىٰ في السِّرِّ والعلنِ، والذِّكرُ هو جلاءُ القلبِ وشفاؤُها، ودواؤُها عندَ اعتلالها، وهو روحُ الأعمالِ الصَّالحةِ، وقد أمرَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بهِ عبادَهُ الصَّالحينَ المتقينَ العاملينَ، فقالَ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(٣).

ووعدَ - سبحانَهُ - بالفلاحِ مَن أكثرَ منهُ، فقالَ تعالىٰ:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الكسوف) باب «الذِّكْرِ في الكُسُوفِ».
(٢) رواه البخاري في (كتاب الكسوف) باب «الصَّلاةُ في مواضع الخسف والعذاب».
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤١.
(٤) سورة الجمعة، الآية ١٠.

وذكرُ اللهِ تعالىٰ أكبرُ من كلِّ شيءٍ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(١).

وذكرُ اللهِ تعالىٰ؛ هو وصيةُ النَّبيِّ ﷺ لمن كثرتْ عليهِ شرائعُ الإسلامِ.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ ﷺ: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»(٢).

وذكرُ اللهِ تعالىٰ؛ مرضاةٌ للرَّحمنِ، مطردةٌ للشَّيطانِ؛ مزيلٌ للْهمِّ والغمِّ، وجالبٌ للرِّزقِ؛ الفاتحُ لأبوابِ الخيرِ والمعرفةِ، وهو غراسُ الجنَّةِ، وسببٌ لتركِ آفاتِ اللِّسانِ، وهو سلوةُ أحزانِ الفقراءِ؛ الَّذينَ لا يجدونَ ما يتصدقونَ بهِ؛ فعوَّضهم اللهُ تعالىٰ بالذِّكرِ؛ الَّذي ينوبُ عن الطَّاعاتِ البدنيَّةِ والماليَّةِ، ويقومُ مقامها، وتركُ ذكرِ اللهِ تعالىٰ من أكبرِ أسبابِ قسوةِ القلبِ.

ولذلك! كانَ لا بُدَّ لمن أرادَ علاجَ ضعفِ إيمانهِ في قلبهِ؛ من الإكثارِ من ذكرِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - قالَ تعالىٰ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ؛ مبيِّنًا أثرَ الذكرِ علىٰ القلبِ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(٤).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب: «ما جاء في فضل الذكر».

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٤. (٤) سورة الرعد، الآية ٢٨.

وبالذِّكرِ يصرعُ العبدُ عدوهُ الأولَ الشَّيطانَ الرَّجيمَ؛ كما يصرعُ الشَّيطانُ؛ أهلَ الغفلةِ والنِّسيانِ.

١٢- الدُّعاءُ:

دعاءُ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، ومناجاتُهُ في السِّرِّ والعلنِ! والانكسارُ بينَ يديهِ - سبحانهُ - وإظهارُ الافتقارِ إليهِ؛ من أعظمِ أسبابِ تقويةِ القلبِ وزيادةِ الإيمانِ فيها؛ لأنَّها فيها إقرارٌ لعبوديَّةِ اللهِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[1].

وكلَّما كانَ العبدُ؛ أكثرَ ذلَّةً، وخضوعًا للهِ! كانَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ أقربَ؛ كما أخبرَ بذلكَ الصَّادقُ المصدُوقُ محمَّدٌ الأمينُ ﷺ:

«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ! وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[2].

لأنَّ حالَ السُّجودِ فيها ذلَّةٌ وخضوعٌ؛ ليستْ في بقيةِ الهيئاتِ والأوضاعِ؛ فلمَّا ألزقَ العبدُ جبهتَهُ في الأرضِ - وهي أعلىٰ شيءٍ فيهِ - صارَ أقربَ ما يكونُ من ربِّهِ؛ جلَّ في عُلاه.

١٣- قصرُ الأملِ:

قصرُ الأملِ في حياةِ العبدِ؛ مهمٌّ جداً في تجديدِ إيمانهِ، وضمانٌ لآخرتهِ؛ لأنَّهُ يُقرِّبُ من الرَّحمنِ - جلَّ في عُلاه - ويُباعدُ من الشَّيطانِ، أمَّا طولُ الأملِ! فيُباعدُ من الرَّحمن، ويُقرِّبُ من الشَّيطان! لأنَّهُ قولُ العبدِ: سأعيشُ! سأعيشُ! ثمَّ أعملُ!! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٥.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الصلاة) باب: «ما يقال في الركوع والسجود».

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[١].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾[٢].

فهذه هيَ كلُّ الدُّنيا! يا عبدَ اللهِ المسكينَ! فلا يطوِّلُ الإنسانُ الأَملَ! ويقولُ: سأَعيشُ! سأَعيشُ! ثمَّ أَعملُ؛ إن شاءَ اللهِ!!!

قالَ بعضُ العارفينَ من السَّلفِ لرجلٍ: صلِّ بنا الظُّهرَ. فقالَ الرَّجلُ: إنْ صلَّيتُ بكُمُ الظُّهرَ؛ لَمْ أُصلِّ بكُمُ العصرَ! فقالَ: وَكأَنكَ تُؤَمِّلُ أَنْ تعيشَ لصلاةِ العصرِ! نعوذُ باللهِ من طولِ الأَملِ!

١٤ـ معرفةُ حقيقةِ حياةِ الدُّنيا:

التَّفكرُ في حقيقةِ أَمرِ حياةِ الدُّنيا، والفقهُ في متاعِها الفانيَةِ، وزينتها الزائلَةِ! يُوصلُ العبدَ الصَّادقَ في إِيمانِهِ إِلىٰ احتقارِ هذهِ الدُّنيا وما فيها من الفتنِ! ثمَّ يزولُ تعلُّقُ القلبِ بها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَزَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ؛ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَصِيرُ»(٢).

وقالَ ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ؛ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا! إِلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ، وَمَا وَالاَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»(٣).

وقالَ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»(٤).

وقالَ ﷺ: «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا! إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا؛ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٥).

وقالَ ﷺ: «مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ؛ إِلاَّ مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»(٦).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ! كُنْ فِي الدُّنْيَا؛ كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»(٧).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْبٍ، رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» برقم (٣٨٢).

(٣ -٧) روىٰ هذه الأحاديث ابن ماجة في (كتاب الزُّهد) باب «مثل الدُّنيا» وصححها الألباني.

١٥- تعظيمُ حُرُماتِ اللهِ تعالىٰ:

إنَّ اللهَ - تباركَ وتعالىٰ - هو العليُّ العظيمُ! فالعظمةُ من صفاتِهِ العُلىٰ، وآيةٍ من آياتهِ، وتعظيمُهُ - سبحانهُ - بتبجيلهِ وإجلالهِ؛ فينحني العبادُ إجلالاً لَهُ في ركوعهم، وذلكَ تعظيمًا لشأْنهِ، وتكريمًا لعظمتهِ؛ يردِّدُونَ في إخباتٍ وخشوعٍ، وتذلُّلٍ وخضوعٍ: سُبحانَ ربِّيَ العظيمِ.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، عَزَّ وَجَلَّ»[١].

لذلكَ اقتضىٰ! تعظيمُ اللهِ تعالىٰ؛ تعظيمَ حرماتِهِ، وهيَ كلُّ ما يجبُ احترامُهُ وحفظُهُ وصيانتُهُ ورعايتُهُ، وتشتملُ جميعَ ما أَوصىٰ بتعظيمِهِ وأَمرَ بأَدائِهِ، والتَّعظيمُ: هو العلمُ بوجوبها، والإقرارُ بها، والقيامُ بحقوقها.

وإيمانُ العبدِ بربِّهِ، ورضاهُ بما شرعَهُ، واختارَهُ لَهُ، هوَ من تعظيمِ اللهِ تعالىٰ، وتعظيمِ حرماتِهِ - سبحانه - قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾[٢].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٤].

فإنَّ المؤمنَ الصَّادقَ! هوَ الَّذي يعظِّمُ حرماتِ اللهِ تعالىٰ، ويستشعرُ هيبتَهُ وخشيتَهُ، ويذعنُ لجلالهِ؛ سبحانَهُ.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

وإنَّ التَّهاونَ بالذَّنبِ، والمجاهرةَ بالمعصيَةِ، والمسارعَةَ إلىٰ الخطيئَةِ؛ ليستْ من صفاتِ مَن يُعظِّمُ اللهَ تعالىٰ ويُعظِّمُ حرماتِهِ! وقد تكونُ حرماتُهُ في الأشخاصِ؛ كقيامٍ بحقِّ النَّبيِّ ﷺ، وقد تكونُ في الأَمكنةِ؛ كتعظيمِ بيتِ اللهِ الحرامِ، وقد تكونُ في الأزمنةِ؛ كتعظيمِ شهرِ رمضانَ.

١٦- الموالاةُ والمعاداةُ في اللهِ تعالىٰ:

أَي: الحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ؛ لأَنَّ القلبَ إذا تعلَّقَ بعبادِ اللهِ المؤمنينَ، وبحبِّهم ونُصرتهم؛ زادَ إيمانًا وحياةً، وقرُبَ من ربِّهِ سبحانه! فإذا تعلَّقَ بأعداءِ اللهِ تعالىٰ يضعفُ جداًّ، وتذوبُ معاني العقيدَةِ فيهِ!

١٧- التَّواضعُ:

صفاتُ التَّواضعِ! لهُ دورٌ فعَّالٌ في تجديدِ الإيمانِ، وجلاءِ القلبِ من صدأِ الكبرِ؛ لأَنَّ تواضعَ العبدِ في جميعِ مجالاتِ حياتِهِ؛ دالٌّ علىٰ تواضعِ قلبهِ للهِ تعالىٰ، ومَن تواضعَ للهِ فقد زادَ إيمانُهُ بربِّهِ سبحانَهُ، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسِ تَوَاضُعًا للهِ! وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ؛ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيْمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا»[١].

١٨- فقهُ أَعمالِ القلوبِ:

فإنَّ للقلبِ! أَعمالاً مهمةً في زيادَةِ إيمانِ العبدِ المسلم: كمحبَّةِ اللهِ تعالىٰ، والخوفِ منهِ، ورجائِهِ، وحُسنِ الظَّنِ بهِ، والتَّوكلِ عليهِ، والاستعانة بهِ، والرِّضا بهِ وبقضائه، والشُّكرِ لَهُ، والصِّدقِ معهُ، واليقينِ بهِ، والثِّقةِ بهِ، والتَّوبَةِ إليهِ - سبحانه وتعالىٰ - إلىٰ غيرِ ذلكَ من الأَعمالِ القلبيَّةِ.

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع) وصححه الألباني.

وهناكَ مقاماتٌ ينبغي علىٰ العبدِ الصَّادقِ الوصولُ إليها لاستكمالِ العلاجِ؛ كالاستقامَةِ، والإنابَةِ، والتَّذكُّرِ، والاعتصامِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، والخشُوعِ، والزُّهدِ، والورعِ، والمراقبَةِ، وغيرِها.

١٩ــ فقهُ محاسبَةِ النَّفسِ:

فإنَّ من أَعظمِ الأَماناتِ أَمانةُ النَّفسِ؛ فهيَ أَعظمُ من أَمانةِ الأَموالِ والأَولادِ! فقد أَقسمَ اللهُ تعالىٰ بها، ولا يقسمُ اللهُ إلاَّ بعظيمٍ، فقالَ تعالىٰ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[(١)].

وقد جعلَ اللهُ تعالىٰ للنَّفسِ طريقينِ: طريقُ اتِّباعِ الهُدىٰ والتُّقَىٰ، وبهِ يكونُ النَّجاةُ، والفوزُ برضا اللهِ تعالىٰ وبجنَّتهِ؛ جنَّةِ الخُلد، والنَّعيمِ الدَّائمِ.

وطريقُ اتِّباعِ النَّفسِ الأَمارةِ بسوءٍ، وبهِ يكونُ الخسارُ المبينُ!

فيجبُ علىٰ كلِّ المسلمِ الصَّادقِ! أن يعلَمَ فقهَ محاسبةِ النَّفسِ؛ لأَنَّ فيها نجاتَهُ وفوزَهُ! إذن! فلا بُدَّ أَنْ يكونَ للعبدِ المسلمِ الصَّادقِ معَ نفسِهِ ومعَ رَبِّهِ ــ جلَّ في عُلاه ــ وقتٌ يخلو فيهِ بنفسِهِ؛ فيراجعها، ويحاسبها، وينظر في شأْنها، وماذا قدَّمَ من الزَّادِ ليومِ المعادِ؛ لأَنَّ عدمَ مُحاسبةِ النَّفسِ؛ يعرضُ العبدَ لتسلُّطِ الشَّيطانِ؛ الَّذي يدعو إلىٰ المعصيةِ والنَّارِ! ويحذِّرُ من الطَّاعةِ، ويزينُ الباطلَ، ويثبطُ عن العَملِ الصَّالحِ، ويصُدُّ عنهُ!

فيضعفُ الإيمانُ في قلبِ العبدِ، ثمَّ تتمكَّنُ الغفلةُ فيهِ؛ فلا يفقهُ بعدَهُ شيئًا من التَّذكرةِ والموعظةِ ولا يتَّعظُ ممَّا حولَهُ؛ فيهلكُ قلبهُ! ويومَ القيامَةِ يتحسَّرُ العبدُ علىٰ ذلكَ! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ - رحمَهُ اللهُ - في تفسيرِ هذهِ الآيةِ الكريمَةِ:

(أي: حاسبوا أنفسَكم قبلَ أن تحاسبوا! وانظروا ماذا ادخرتُم لأنفسِكم من الأعمالِ الصَّالحةِ ليومِ معادِكم، وعرضِكم علىٰ ربِّكم، واعلموا! أنَّهُ عالمٌ بجميعِ أعمالِكم وأحوالِكم، لا تخفىٰ عليهِ منكم خافيةٌ).

نَسْأَلُ اللهَ - العليَّ القديرَ - بأَسمائِهِ الْحُسنىٰ، وصفاتِهِ العُلىٰ:

أَنْ يُجدِّدَ الإيمانَ في قُلوبنا، ويُوفِّقنا باتِّباعِ هدي نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ وهدي أَصحابِهِ الكرام - رضيَ اللهُ عنهُم - ومَن تَبِعَهُمْ من أَئمَّةِ العظامِ؛ بصدقٍ وإِخلاصٍ وإِحسانٍ.. آمين!

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

أسباب ترك الإيمان
والإعراض عنه



أسباب ترك الإيمان والإعراض عنه

فإذا علمنا – مما سبقَ – أنَّ الإيمانَ الصَّحيحَ؛ كما جاءنا عن رسُولِ اللهِ ﷺ فيه السَّعادةُ العاجلةُ والآجلةُ، أي: سعادةُ الدَّارين؛ الدُّنيا والآخرة.

وأنَّهُ يُصلحُ الظَّاهرَ والباطنَ، والعقائدَ، والأخلاقَ، والآدابَ، والمعاملات، وجميعَ أحوالِ العبادِ، وأنَّهُ يدعُو جميعَ الخلقِ إلىٰ ما فيه كلُّ خيرٍ وصلاحٍ وفلاحٍ ونجاةٍ، ويهدي للَّتي هي أقومُ وأحسن.

● فإذا كان الأمرُ كذلكَ! فلِمَ أكثرُ النَّاسِ – كانوا ولا يزالون – عن الدِّينِ الحقِّ والإيمانِ الصَّحيحِ مُعرضينَ، ولهُ مُحاربينَ، ومنهُ ساخرينَ؟!

أما كانَ يجب أنْ يكونَ الأمرُ عكس ذلكَ! لأنَّ النَّاسَ لهُم عقولٌ وأذهانٌ؛ تختارُ الصَّالحَ علىٰ الطَّالحِ، والخيرَ علىٰ الشَّرِّ، والنَّافعَ علىٰ الضَّارِ؟

● نعم – أخي المسلمَ اللَّبيب – كان من المفروضِ أن يكونَ الأمر كذلك! لأنَّ اللهَ – تباركَ وتعالىٰ – قد وهبَ لِبَني آدمَ نعمة العقلِ الذي يختار ويميِّز به الخيرَ عن الشرِّ، والحقَّ عن الباطلِ، والنَّافعَ عن الضَّارِّ، ولكن أكثرَ النَّاس لا يعقلونَ، ولا يعلمُون، ولا يعملُون.

واعلم! – أخي المسلم – علَّمنا اللهُ تعالىٰ وإيَّاك طريقَ الهداية:

أنَّ اللهَ تعالىٰ قد ذكرَ هذا الإيرادَ في كتابه العزيز، وأجابَ عنهُ بذكرِ

الأَسباب الواقعةِ المانعة، وبالموانع العائقةِ، وبذكرِ الأَجوبةِ عن هذا الإيراد فلا يهُول العبدَ ما يراهُ من إعراض أكثرِ البشرِ عنه، ولا يستغربُ ذلك؛ فقد ذكرَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – من أَسباب عدَم الإيمانِ بالدِّينِ؛ موانعَ عديدةً، واقعةً من جمهورِ البشر، منها (*):

١ – الجهلُ بالإيمانِ وحقيقته:

الجهلُ بالإيمان الحقِّ، وعدمُ معرفة حقيقته العظيمة، وعدمُ الوقوفِ علىٰ توجيهاته الرَّبانيَّة، وتعاليمه العاليةِ، وإرشاداته السَّاميَّة، والجهلُ بالعلوم النَّافعة عامَّةً؛ أكبرُ عائقٍ، وأعظمُ مانعٍ من الوصولِ إلىٰ الحقائقِ الصَّحيحةِ، والأَخلاقِ الحميدة الرَّاشدة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

فأَخبرنا اللهُ – جلَّ في عُلاه – أنَّ تكذيبهم صادرٌ عن جهلِهِمْ، وعدم إحاطتهم بعلمه، وأنَّهُ لم يأْتهم تأْويلُهُ الذي هو وقوعُ العذابِ الذي يوجِبُ للعبد الرُّجوعَ إلىٰ الحقِّ والاعترافَ به، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.
(*) نقلتُ هذا الفصل باختصار وتصرف من «تعليم أُصول الإيمان وبيان موانعه» للشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله: ص٣٣. (دار أضواء السلف).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

● **والجهلُ إمَّا أن يكونَ بسيطًا:**

كحالِ كثيرٍ من دهماءِ المكذِّبين للرَّسولِ ﷺ الرادِّينَ لدعوتِه؛ اتِّباعًا لرؤسائهم وساداتِهم، وهمُ الذين يقولونَ إذا مسَّهمُ العذابُ:

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾(٣).

● **وإمَّا أن يكونَ الجهلُ مُركَّبًا؛ وهذا علىٰ نوعين:**

أَحدُهما: أن يكونَ علىٰ دينِ قومِه وآبائِه، ومَن هو ناشئٌ معهم؛ فيأْتيه الحقُّ فلا ينظرُ فيه، وإن نظرَ! فنظرٌ قاصرٌ جدًّا؛ لرضاه بدينِه الذي نشأ عليه وتَعصُّبِه لقومِه وهواه، وهؤلاء جمهورُ المكذِّبينَ للرُّسُلِ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - الرَّادِّينَ لدعوتهم، الذين قالَ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - فيهم:

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(٤).

وهذا هو التقليدُ الأَعمىٰ؛ الذي يظنُّ صاحبُه أنَّه علىٰ حقٍّ، وفي الأَصل هو علىٰ الباطلِ، والضلالُ المبين!

ويدخلُ في هذا النوع: أكثرُ الملحدينَ المادِّيينَ؛ فإنَّ علومَهُم - عند التحقيقِ والتَّدقيق - تقليدٌ لزعمائهم؛ إذا قالوا مقالةً قبِلُوها؛ كأنَّها وحيٌ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧١.
(٢) سورة الروم، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

منزلٌ من السَّماء! وإذا ابتكروا نظريةً خاطِئةً؛ سلكوا خلفهُم في حالِ اتِّفاقهِمْ وحالِ تناقضهِم، وهؤلاءِ فتنةٌ لكلِّ مفتونٍ لا بصيرةَ له!

النوعُ الثاني من الجهلِ المركَّب:

حالةُ أئمَّةِ الكفرِ والضلال، وزعماءِ الملحدينَ المعاندين؛ الذين مَهرُوا في بعض علومِ الطبيعةِ والكونِ، واستجهَلُوا غيرَهم، وحصَروا المعلوماتِ في معارِفِهم الضئيلةِ الضَيِّقةِ الدائرة، واستكبَروا علىٰ الرُّسُلِ وأتباعهم.

وزعمُوا أنَّ العلومَ محصورةٌ فيما وصلتْ إليه الحواسُّ الإنسانيةُ، والتجاربُ البشريَّةُ، وما سوىٰ ذلك أنكروهُ، وكذَّبوهُ مهما كان من الحقِّ؛ فأنكروا ربَّ العالمين، وكذَّبوا رُسُله، وكذَّبوا بما أخبرَ اللَّهُ تعالىٰ به ورسُولهُ ﷺ من أُمورِ الغيب كلِّها، وهؤلاءِ أحقُّ النَّاسِ بالدُّخُولِ تحتَ قولِه تعالىٰ:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[١].

ففرَحُهم بعلومهِم - علوم الطَّبيعة - ومهارتُهم فيها هو السَّببُ الأقوىٰ الذي أَوجَبَ لهم تمسُّكَهم بما معهم من الباطلِ، وفرحُهم بها يقتضي تفضيلَهم لها، ومدْحَهمْ لها وتقديمها علىٰ ما جاءتْ به الرُّسُلُ من الهُدىٰ والعِلم والحقِّ؛ بل لم يكفِهم هذه الحالُ؛ حتىٰ وصلوا إلىٰ الاستهزاءِ بعلوم الرُّسلِ واستهجانها، وسيحيقُ بهم ما كانوا به يستهزؤُنَ.

ولقد انخدعَ بهؤلاءِ الملحدينَ؛ كثيرٌ من المشتغلينَ بالعلومِ العصريَّةِ التي لم يَصحبها دينٌ صحيحٌ، والعهدةُ في ذلك علىٰ تلك المدارسِ التي هي

---

(١) سورة غافر، الآية: ٨٣.

في بلاد المسلمين! والتي لم تهتمَّ ابدًا بالتعاليمِ الدينيَّةِ العاصمةِ من هذا الإلحاد والكفر والزندقة؛ فإنَّ التلميذَ المسكين إذا تخرَّجَ منها؛ فلم يمهر في العلومِ الشَّرعية والدينيَّةِ، ولا يتخلَّق بالأَخلاقِ الإسلامية الحميدة، ويرأَىٰ نفسَه - أَو صورة له - أنَّه يعرفُ ما لا يعرفه غيرُه من العلوم! فاحتقرَ الدِّينَ وأَهلَهُ، وسَهُل عليه الانقيادُ وراء هؤلاء الملحدينَ المادِّيين!!

وهذا أَكبرُ ضررٍ ضُربَ به الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيف!!

فالواجبُ قبلَ كلِّ شيءٍ علىٰ المسلمينَ نحوَ هذه المدارسِ:

- أَن يكونَ اهتمامُهم بتعليمِ العلومِ الدينيَّةِ قبل كلِّ شيءٍ.
- أَن يكونَ النجاحُ وعدمُه متعلِّقًا بها لا بغيرِها بل يُجْعَلُ غيرُها تبعًا.

وهذا من أَفرضِ الفرائضِ؛ علىٰ مَن يَتولاَّها ويباشِرُ تدبيرَها؛ فليتَّقِ اللهَ تعالىٰ مَن لَهُ ولايةٌ، أَو كلامٌ عليها، وليحتسبِ الأَجرَ العظيم عند الله تعالىٰ في جعلِ علوم الدِّين من أَولويَّاتِ العلومِ المدرسيَّة.

واعلم: أَنَّ الخطرَ الكبيرَ علىٰ المجتمعِ الإسلاميِّ في إهمالها وعدم تعليمها، والصَّلاحَ والفلاحَ والنَّجاح والخيرَ؛ مضمونٌ بالعنايةِ فيها.

٢- الحسدُ والبغي:

كحال اليهودِ الَّذينَ يعرفُونَ النَّبيَّ ﷺ وصِدْقَهُ وحقيقةَ ما جاءَ به كما يعرفونَ أَبناءهم، ولكنَّهم يكتُمُونَ الحقَّ وهم يعلَمُونَ؛ تقديمًا للأَغراضِ الدُّنيويةِ والمطالبِ السُّفْليةِ علىٰ نعمةِ الإيمان، وقد مَنَعَ هذا الدَّاءُ كثيرًا من رُؤساءِ قريشٍ؛ كما هو معروفٌ من أَخبارِهم وسِيَرِهِم.

وهذا الداءُ في حقيقةِ الأَمرِ؛ ناشئٌ عن داءٍ آخر، وهو الكِبْر.

٣- الكِبر:

الكبرُ الذي هو أعظمُ الموانعِ من اتِّباعِ الحقِّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾[١].

فالتَّكبُّر - الذي هو رَدُّ الحقِّ واحتِقارُ الخلقِ - منَعَ خَلْقًا كثيرًا من اتِّباعِ الحقِّ، والانقيادِ له بعدَ ما ظهرتْ آياتُه وبراهينُه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٢].

٤- الإعراضُ عن الحقِّ والإيمان:

الإعراضُ عن الأدلَّةِ السَّمْعيَّةِ، والأدلَّةِ العقليَّةِ الصَّحيحة؛ من أهمِّ الموانعِ التي تَصُدُّ عن الإيمان واتِّباع الحقِّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.
(٤) سورة الملك، الآية: ١٠.

فلم تكن لأمثال هؤلاءِ الذينَ اعترفوا بعدمِ عَقلهم وسمعهم النَّافع رغبةٌ في علوم الرُّسُلِ، والكُتب المنزَّلَةِ من الله تعالىٰ، ولا عقولَ صحيحةً يهتدون بها إلىٰ الصَّوابِ، وإنَّما لهم آراءٌ ونظريَّاتٌ خاطئةٌ يظنُّونها عقليات، وهي جَهالاتٌ، ولهم اقتداءٌ خلفَ زعماءِ الضَّلالِ منعهم من اتِّباعِ الحقِّ؛ حتىٰ وردوا نارَ جهنَّمَ؛ فبئس مثوىٰ المُتكبِّرين.

٥- ردُّ الإيمان والحقِّ؛ بعد معرفته:

إنَّ رَدَّ المرء الإيمان بعدَ ما تبيَّنَ له؛ فيُعاقبُ بانقلاب موازين قلبهِ، ورؤيتهِ الحسنَ قبيحًا، والقبيحَ حسنًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[1].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

وهذا؛ لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، وقد وَلَّاهُم اللهُ ما قالوا لأنفسِهم:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[4].

وقالَ تعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٦.

٦- الانغماسُ في التَّرَفِ والإسرافُ في التَّنعُّم:

فإنَّه يجعلُ العبدَ تابعًا لهَواه القاتل، مُنقادًا للشَّهواتِ الضَّارَّةِ؛ كما ذكرَ اللهُ تعالىٰ هذا المانعَ في عِدَّة آياتٍ كريماتٍ، مثلَ قوله تعالىٰ:

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾(٢).

فلمَّا جاءهُم الدِّين الصَّحيحُ بما يُعَدِّلُ ترفَهم، ويوقفهم علىٰ الحدِّ النَّافع، ويمنعُهم من الانهماكِ الضَّارِّ في اللَّذَّاتِ؛ رأَوا ذلك صادًّا لهم عن شهواتهم. وصاحبُ الهوىٰ الباطل ينْصرُ هواه بكلِّ وسيلةٍ؛ لمَّا جاءهُمُ الدِّينُ بوجوبِ عبادةِ الله، وشُكرِ المنعمِ علىٰ نعمِه، وعدمِ الانهماكِ في الشَّهواتِ، ولَّوْا علىٰ أَدْبارهم نُفورًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾(٣).

٧- احتقارُ الحقِّ وأهله:

احتقارُ المكذِّبينَ للرُّسُلِ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - وأَتباعِهم، واعتقادُ نقصِهم، والتهكُّم بهم، والتكبُّر عليهم؛ من الموانع الصَّادَّةِ عن وصولِ الإيمانِ إلىٰ القلب؛ كما قالَ قومُ نوحٍ عليه الصَّلاة السَّلام:

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤١.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[1].

وهذا الدَّاءُ منشؤهُ من الكِبرِ؛ فإذا تكبَّر وتعاظمَ في نفسِه، واحتقرَ غيرَهُ اشمأزَّ من قبولِ ما جاء به من الحقِّ؛ حتىٰ لو فُرِض أنَّ هذا الذي ردَّهُ جاءَه من طريقِ مَن يُعظِّمهُ لقبله بلا تَرَدُّد.

٨- الفِسْقُ:

فالفِسقُ أكبرُ مانعٍ من قبولِ الحقِّ علمًا وعملاً، قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

والفسق: هو خروجُ العبدِ عن طاعةِ اللَّه تعالىٰ إلىٰ طاعةِ الشَّيطانِ.

واللَّه تعالىٰ لا يُزكِّي مَن كان هذا حالهُ؛ بل يكِلُه إلىٰ نفسِه الظالمةِ فتجُولُ في الباطلِ عنادًا وضلالاً، وتكون حركاتُه كلُّها شرًّا وفسادًا؛ فالفسق يَقرنه الباطِلُ، ويصدُّه عن الحقِّ؛ لأَنَّ القلبَ متىٰ خرجَ عن الانقيادِ لله تعالىٰ والخضوع له؛ فلا بُدَّ أن ينقادَ لكلِّ شيطانٍ مريد:

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[3].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤.
(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٤٤ - ٤٥.

٩- حصرُ العلومِ والحقائقِ في دائرةٍ ضيقة:

كما فعلَ مَلاحِدةُ الماديِّينَ في حصرِهِمُ العلومَ بمدركاتِ الحِسِّ؛ فما أدركُوهُ بحواسِّهم أثبتوه، وما لم يدركُوه بها نفوهُ، ولو ثَبَتَ بطُرقٍ وبراهينَ أعظمَ بكثيرٍ، وأَوْضَحَ وأَجْلىٰ من مدركات الحسِّ، وهذه فتنةٌ وشبهةٌ؛ ضلَّ بها خلقٌ كثيرٌ في عصرنا هذا!

وهذه الطريقةُ الخبيثةُ! أَنكروا بها وجودَ الربِّ - جلَّ في عُلاه - وَكَفَرُوا بالرُّسُل - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - وبما أَخبروهم به من أُمورِ الغيب التي قامت الأَدِلَّةُ والبراهين المتنوعَةُ علىٰ صدقِها؛ بل قامت الأَدِلَّةُ المشاهدةُ علىٰ حقِّها.

ومن المعلوم بالضَّرورة، والعلم اليقينيِّ؛ أَنَّ البراهينَ علىٰ وجودِ الباري - تبارك وتعالىٰ - ووحدانيَّتِه، وانفرادِه بالخلق والتَّدبير لا يُمكنُ أَن يُساويَها، أَو يقاربَها شيءٌ من الطُّرُقِ المثْبِتَةِ لأَي حقيقةٍ تكونُ.

فقد قامتِ؛ الأَدِلَّةُ السَّمْعيَّةُ، والعقليَّةُ، والعَيانِيَّةُ، والفطريةُ علىٰ ذلك.

وقد أَظهرَ من آياته - سبحانه وتعالىٰ - في الآفاق، وفي الأَنفسِ ما تبيَّنَ به الحقُّ، وأَنَّهُ حقٌّ، ورُسُله حقٌّ، وجزاؤُهُ حقٌّ، وجميع أَخبارِه حقٌّ، ودينُهُ حقٌّ؛ فماذا بعدَ الحقِّ إِلاَّ الضلالُ!!

ولكن تمرُّدُ الماديِّينَ، وكِبْرُهُم حالَ بينهُم، وبين اتِّباع الحقِّ النَّافع لهم في الدُّنيا والآخرة، والذي لا ينفعُ غيرَهُ بدونِه بوجهٍ من الوجوه.

ولكنَّ المؤمنَ البصيرَ يعرفُ بنورِ بصيرتِه أَنَّهم في ضَلالٍ مُبين، وعمًى مُتَراكمٍ، ونحمدُ الله تعالىٰ علىٰ نعمةِ الهداية.

١٠ - تجرد الماديِّينَ ومَن تَبِعَهُم من المغرورين:

زَعَم هؤلاء الماديُّون: أنَّ البشرَ لَم يبلغوا الرُّشدَ والكمال، ونضوج العقلِ؛ إلاَّ في هذه الأَوقاتِ التي طغَتْ فيها المادةُ، وعلومُ الطبيعةِ، وأَنَّهم قبلَ ذلكَ لم يبلغوا الرُّشدَ؛ بل كانوا يعشون في جهلٍ وضلام!!

وهذا فيه من الجراءةِ والإقدام علىٰ السَّفْسَطَةِ والمُكابرةِ للحقائق، والمباهَتَةِ ما لا يخفىٰ علىٰ مَن لَه أَدنىٰ معقولٍ لم تغيِّره الآراءُ الخبيثة.

فلو قالوا: إنَّ المادَّةَ والصِّناعةَ والاختراعاتِ، والعلوم التجريبية، وتطويعَ الأُمورِ الطبيعيَّةِ لم تَنْضُجْ وتتمَّ إلاَّ في الوقت الأَخيرِ لصَدَّقهُمْ كلٌّ واحدٍ.

فإنَّ العقولَ والعلومَ الصَّحيحة؛ إنَّما تعرفُ ويستدلُّ علىٰ كمالها وجمالها، أَو نقصها؛ بآثارِها وبأَدلَّتها وغاياتها.

فانظُر إلىٰ الكمالِ والعُلُوِّ في العقائد، والأَخلاقِ، والمعاملات، والدِّين، والدُّنيا، والرَّحمةِ، والحكمةِ التي جاء بها نبيُّ الإسلام محمَّد ﷺ وأَخذها عنه المسلمونَ، وأَوصلَتْهم وقت عملِهم بها إلىٰ كلِّ خيرٍ دينيٍّ ودنيويٍّ، وكلِّ صلاحٍ ونجاح وفلاح، وأَخضعَتْ لهم جميعَ الأُمم قاطبةً في يومها؛ وأَنَّهم وصَلُوا إلىٰ حالةٍ وكمالٍ والعزَّة؛ يستحيلُ أَن يصلَ إليه أَحدٌ؛ حتَّىٰ يسلُكَ طريقَهم، وواقع حال البشر اليوم؛ خير شاهدٌ علىٰ هذا!!

ثمَّ انظر إلىٰ ما وصلت إليه أَخلاقُ الماديين الإباحيِّين الذين أَطلقوا السَّراحَ لشهواتِهم، ولم يقفوا عند حدٍّ؛ حتىٰ هبطوا بذلك إلىٰ أَسفل السَّافلين، ولولا القوةُ المادِّيةُ تُمْسِكُهمْ بعض التماسُكِ لأَرْدتهم هذه الإباحيَّةُ والفوضىٰ في الهلاك العاجل، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾(١).

ثمَّ لولا بقايا من آدابِ الأَديانِ بقيت بعضُ آثارها في الشُّعوبِ الراقيةِ صلُحتْ بها دنياهم اليوم! لم يكن لرقيِّهم المادِّي قيمةٌ عاجلةٌ؛ فإنَّ الذين فقدوا الدِّينَ عجزوا كلَّ العجزِ عن الحياةِ الطيِّبة الكريمة، والرَّاحةِ الحاضرةِ، والسَّعادةِ العاجلة، والمشاهدةُ أقوىٰ شاهدٍ لذلك.

ومشركو العربِ ونحوهُم ممَّن عندهم بعضُ الإيمان، وبعضُ الاعترافِ بالأُصولِ الإيمانيَّة؛ كتوحيدِ الرُّبوبيَّة، والاعترافِ بالجزاء؛ خيرٌ بكثيرٍ من هؤلاء المادِّيِّين، بلا ريبٍ ولا شكٍّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾(٢).

ثمَّ قد عُلِمَ بالضَّرورةِ؛ أنَّ الرُّسُلَ - صلواتُ الله وسلامُه عليهم - جاؤوا بالبيِّناتِ والوحي، ودينِ الحقِّ، والهدايةِ جملةً وتفصيلاً، وبالنُّورِ والعلمِ الصَّحيحِ، والصَّلاحِ المطلق من جميعِ الوجوه، واعترفتِ العقولُ الصَّحيحةُ بذلك، وعلمَت أنَّها في غايةِ الافتقارِ إليه، وخضعَت لِمَا جاءت به الرُّسُلُ الكرام، وعَلِمَت العقولُ أنَّها لو اجتمعت من أوَّلها إلىٰ آخرها لم تَصِلِ إلىٰ درجةِ الكُتبِ، والحقائق النَّافعةِ التي جاءت بها رسُلُ اللهِ تعالىٰ، ونزلت بها الكُتُبُ، وأنَّه لولاها لكانت البشرية في ضَلالٍ مُبينٍ، وعمًى عظيمٍ، وشقاءٍ وهلاكٍ مُستَمرٍّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٩.

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

فالعقُولُ لم تبْلغِ الرُّشدَ الصَّحيحَ، ولم تَنضج حقًّا؛ إلاَّ بما جاءت به الرُّسُلُ الكرام - عليهم أفضلُ الصَّلاةُ والسَّلامُ - ومن ذلك انخدعُ أكثرِ النَّاس بالألفاظ التي يُزوِّقُ بها الباطلُ، ويُردُّ بها الحقُّ من غيرِ بصيرةٍ، ولا علمٍ صحيحٍ، وذلك لتسْميتهِم علومَ الدِّين الحنيف، وأحكام الشَّريعة الغراء، وأخلاقه العالية، وأهدافه السَّامية؛ رجعيَّةً!! وتسميتهم العلومَ والأخلاقَ الأُخر المنافية لذلك؛ ثقافةً وتجديدًا.

ومن المعلوم لكلِّ صاحبِ عقلٍ سليمٍ: أنَّ كلَّ علومٍ وثقافةٍ وتجديدٍ مهما بلغَ! إن لم يكن يَستندْ في أُصولِه ومبادئه إلىٰ هِداية الدِّين الحقِّ، وإلىٰ توجيهاتِه الرَّبانيَّة، وعلومه الحكيمة ؛ فإنَّه شرٌّ وضررٌ! عاجلاً كان أم آجل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

ومَن تأمَّل اليوم!! ما عليه حالُ مَن يُسمَّونَ «المثقفينَ الماديِّينَ» من هبوطِ الأخلاقِ، والإقبالِ علىٰ كلِّ ضارٍّ، وتَركِ كلِّ نافعٍ؛ عرفَ أنَّ الثقافةَ الصَّحيحةَ؛ تثقيفُ العقولِ بهداية الرُّسُل، وعُلومهم الصَّحيحة.

ومَن تأمَّلَ! ما جاء به الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيف؛ من الكتابِ والسُّنَّةِ جملةً وتفصيلاً؛ عرفَ حقًّا أنَّهُ لا صلاحَ ولا نجاح ولا فلاح ولا عزَّة؛ للبشرِ قاطبةً؛ إلاَّ بالرجوع إلىٰ تعاليمه، وهدايته، وإرْشادِه.

وأنَّهُ كما أصلَحَ العقائدَ والأخلاقَ والأعمالَ؛ فقد أصلَحَ أُمورَ الدُّنيا، وأرشدَ إلىٰ كلِّ ما يعودُ إلىٰ الخير والنَّفع العامِّ والخاصِّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

واللهُ تعالىٰ الموفِّقُ، والهادي إلىٰ سواءِ السَّبيل.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك علىٰ محمَّد، وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

مؤلفات
في مسائل الإيمان
على منهج أهل السنة والجماعة

«مراجع ومصادر هذا الكتاب»



مؤلفات في الإيمان
على منهج أهل السنة والجماعة

لقد دوَّن أفذاذُ العلماء من أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة، وطُلَّابِ العلمِ المعتبرين؛ مؤلَّفاتٍ كثيرةً في مسائلِ الإيمان علىٰ طريقةِ السَّلفِ الصَّالح، وعنوا بتقعيدِ أُصولها، وتوضيح فروعِها، وشرح مُشْكِلها، واستدلُّوا علىٰ كلِّ ذلك من كتابِ الله الكريم، وسُنَّة رسُوله الأَمين محمَّد ﷺ، وأَقوالِ أَئمَّة الصَّحابة العظام، والتَّابعين الكرام، وتابعيهم بإِحسان.

ورَدُّوا علىٰ أَهل البدعِ والأَهواء، وكشَفُوا عُوارهم، وزيفَ أَقوالهم، وفسادَ اعتقاداتهم، وواجهُوا الباطلَ بالحقِّ المبين، والجهل بالعلم اليقين، والبدعة بالسُّنَّة الصَّحيحة، وجرَّدوا أَهل البدع والأَهواء من سلاحهم، وأَظهروا الحقَّ، وأَبطلوا الباطل، وما كان ذلك كلُّه؛ إلاَّ صيانةً للدِّين الحنيف، وأَحكامه الغزاء، وحمايةً لعقيدة التَّوحيد الخالص.

ومن المفيد! أَن أَذكر ههُنا بعض هذه المؤلَّفات القيمة؛ الَّتي أُلِّفت في موضوع الإيمان ومسائله، والتي كانت في الأَصل هي مراجعي في إعداد هذا الكتاب: «الإيمانُ عند أَهل السُّنَّة والجماعة».

والسَّبَبُ الأَهم في ذكر هذه المؤلَّفات العظيمةِ لأَئمَّة السَّلف الصَّالح هي أَن تكون - أَخي المسلم اللَّبيب - علىٰ بيِّنةٍ وبصيرةٍ من عقيدتك،

وأن تكون علىٰ علمٍ من أين أخذتها، ومَن تَتَّبع، وحتىٰ تعلمَ - أيضًا - أنَّ هذهِ العقيدة الصَّحيحة - عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة - في مسائل الإيمان وغيره من الأُمور العقدية؛ هي الأَصلُ في هذا الدِّين الحنيف، وما طرأ عليها من التَّحريفات في القرون المتأَخِّرة من العقائد والفرق؛ فهو دخيلٌ علىٰ العقيدة الصَّحيحة التي تلقَّاها سلَفُنا الصَّالح - الصَّحابةُ والتَّابعونَ ومن تبعهم بصدقٍ وإخلاصٍ وإحسان - من صاحب الشَّريعة الغرَّاء، ورسُولِ هذا الدِّين العظيم؛ محمَّد صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم.

هذا! وقد علمنا - فيما سبقَ من هذا الكتاب - أنَّهُ قد قرَّر مسائلَ الإيمان علىٰ طريقة السَّلف الصَّالح؛ جمعٌ غفيرٌ من علماء الأُمَّة العظام وأئمَّتها الأَعلام في مؤلَّفاتهم القيِّمَة.

فمَن أرادَ البسطَ في مسائلِ الإيمان: مُسمَّاه، وحقيقته، ودرجاته، ومراتبه، وشعبه، وأركانه، ونعمه، وثمراته، وصفات أهله، وغيرها من المواضيع المتعلِّقة بالإيمانِ وأحكامِ مسائله؛ بأدلَّتها عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة فليرجع إلىٰ كُتبهِم، ومصنفاتهم، ومراجعهِم العظيمة.

فمنها مصنَّفاتٌ مستقلَّة، ومنها ما هو مصنَّفٌ عامٌّ في العقيدة.

ومن هذه الكُتب القيِّمَة! علىٰ سبيلِ المثال، لا بسط القول فيها، والمذكور المطبوع منها فقط؛

أقولُ، وباللهِ تعالىٰ؛ التَّوفيقُ والسَّدادُ:

١ـ « **كتابُ الإيمان** » : للإمام الحافظُ الفقيه المجتهدُ ؛ أَبي عبيد القاسم بن سلاَّم البغدادي (ت ٢٢٤ هـ) .

٢ـ « **كتابُ الإيمان** » : لسيِّد الحفاظ الإمامُ ؛ أَبي بكر بن أَبي شيبة العبسيِّ (ت ٢٣٥ هـ) .

٣ـ « **كتابُ الإيمان** » : للإمام الحافظُ شيخُ الحرمِ ؛ محمَّد بن يحيىٰ بن أَبي عمر العَدَني ، نزيل مكة (ت ٢٣٤ هـ) .

٤ـ « **كتابُ الإيمان** » : للإمام الحافظُ محدِّثُ الإسلامِ ؛ محمَّد بن اسحق بن محمَّد بن يحيىٰ بن منده العبديِّ الأَصبهانيِّ (ت ٣٩٥ هـ) .

٥ـ « **مسائلُ الإيمان** » : للقاضي أَبي يعلىٰ محمَّد بن الحسين بن الفرَّاء البغدادي الحنبليِّ (ت ٤٥٨ هـ) .

٦ـ « **كتابُ الإيمان الكبير** » و « **كتابُ الإيمان الأَوسط** » :

كلاهما لشيخ الإسلام ؛ تقي الدِّين أَبي العبَّاس أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة الحرَّانيِّ الدِّمشقيِّ الحنبليِّ (ت ٧٢٨ هـ) .

٧ـ « **مسالةُ الإيمان وما يتعلق بها** » : هو مختصر « **كتاب الإيمان الكبير** » لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ؛ اختصرهُ الحافظُ الكبير ، ومؤرخ الإسلام ، وشيخ المحدثين الإمامُ ؛ أَبي عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أَحمد بن عثمان بن قايماز التركمانيِّ الذَّهبيِّ الشَّافعيِّ ؛ (ت ٧٤٨هـ) .

٨ـ « **مختصرُ الإيمان الكبير** » : لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ؛ اختصرهُ الإمامُ المجدد محمَّد بن عبد الوهاب التميميِّ الحنبليِّ (ت١٢٠٦ هـ) .

٩- « شرحُ كتاب الإيمان » من كتاب « فتحُ الباري شرح صحيح البخاري » : للإمام الحافظُ العلاَّمةُ؛ أَبي الفرج زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أَحمد الدمشقيّ؛ الشهير بابن رجب الحنبليّ (ت٧٩٥ هـ) .

١٠- « شُعبُ الإيمان » : للإمام الحافظُ؛ أَبي بكر أَحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي الخرسانيّ الشَّافعيّ (ت ٤٥٨ هـ) .

١١- « مختصرُ شعب الإيمان للبيهقي » : للإمام القاضي؛ أَبي المعالي عمر بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أَحمد القزوينيّ الشَّافعيّ (ت ٦٩٩ هـ) .

١٢- « شُعبُ الإيمان » : للإمامُ الزَّاهدُ العلاَّمةُ؛ أَبي محمَّد عبد الجليل بن موسىٰ القصريّ الأَندلسيّ القرطبيّ المالكيّ (ت ٦٠٨ هـ) .

١٣- « صحيحُ شُعب الإيمان » : للشَّيخ خالد بن عبد الرحمن العك .

١٤- « البرهانُ في شعب الإيمان » : للشَّخِ عليّ الشَّربجيّ .

١٥- « التوضيحُ والبيان لشجرة الإيمان » :

١٦- « تعليمُ أُصول الإيمان ، وبيان موانعه » : كلاهما للشَّيخ العلاَّمة الفقيه الأُصولي المفسِّر؛ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ الحنبليّ .

١٧- « الإيمانُ بين السَّلف والمتكلِّمين » : للأُستاذِ الدكتور الشَّيخ؛ أَحمد بن عطيَّة بن علي الغامديّ .

١٨- « الإيمانُ أَركانه حقيقته نواقضه » : للدكتور محمَّد نعيم ياسين .

١٩- « حدُّ الإسلام وحقيقة الإيمان » : للشَّيخ عبد المجيد الشَّاذلي .

٢٠- « حقيقة الإيمان » : للدكتور طارق بن أَحمد عبد الحليم القنائي .

٢١- «**قواعدُ في بيان حقيقة الإيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة**»:

للشَّيخ عادل بن محمَّد بن عليٍّ الشّخانيِّ.

٢٢- «**حقيقةُ الإيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة**»:

للشَّيخ محمَّد بن عبد الهادي المصريِّ.

٢٣- «**فقه الإيمان علىٰ منهج السَّلف الصَّالح**»:

للشيخ الدكتور ويمض بن رمزي بن صديق العُمريِّ.

٢٤- «**الإيمان عند السَّلف، وعلاقته بالعمل، وكشف شُبهات المعاصرين**»: للشيخ محمَّد بن محمود آل خضير.

٢٥- «**براءَةُ أَهل الحديث والسُّنَّة من بدعة المرجئة**»:

للشيخ محمَّد بن سعيد بن عبد الله الكثيريِّ.

٢٦- «**البرهانُ في معاني الإيمان بين أَهل السُّنَّة والمبتدعة**»:

للشيخ أَبي إِسلام مصطفىٰ بن محمد بن سلامة.

٢٧- «**الإيمان كما ورد في الكتاب والسُّنَّة**»: للشيخ عادل زكي.

٢٨- «**التبيان لعلاقة العمل بمسمَّىٰ الإيمان**»:

للشيخ أَبي معاوية علي بن أَحمد بن سُوف.

٢٩- «**الإيمان؛ تعريفه، أَركانه، نواقضه، آثاره**»:

للشَّيخ الدكتور الأَمين الحاج محمَّد أَحمد.

٣٠- «**الإيمان بالله**»: للشيخ الدكتور علي محمَّد الصلاَّبي.

٣١- «**الإيمان حقيقته وما يتعلق به من مسائل**»:

للشيخ الدكتور محمَّد ين إبراهيم الحمد.

٣٢- «**أقوالُ ذوي العرفان في أنَّ أعمال الجوارح دَاخِلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان**»: للشيخ الدكتور عصام بن عبد الله السِّناني.

٣٣- «**زيادة الإيمان ونقصانه، وحكم الاستثناء فيه**»:

للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العبَّاد البدر.

٣٤- «**الحدُّ الفاصلُ بين الإيمان والكفر**»:

للشَّيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف.

٣٥- «**الإيمان: تعريف ومتفرقات**»: لعثمان عبد القادر الصَّافي.

٣٦- «**تنبيه الإخوان إلىٰ حقيقة الإيمان والرَّدُّ علىٰ المخالفين**»:

للشيخ علي بن عبد العزيز موسىٰ.

٣٧- «**مسألة الإيمان؛ دارسة تأصيلية**»:

للشيخ الدكتور علي بن عبد العزيز بن علي الشبل.

٣٨- «**حقيقة الإيمان، وبدع الإرجاء في القديم والحديث**»:

للشيخ الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

٣٩- «**كتاب الإيمان؛ مفهوم الإيمان ولوازمه عند أهل الحديث والسُّنَّة والأثر**»: للشيخ عمرُو عبد المنعم سليم.

٤٠- «**الإيمان؛ حقيقته وزيادته وثمرته**»:

للشَّيخ العلاَّمة؛ عبد الله بن محمد الغنيمان.

٤١- «**الإيمان؛ حقيقته ونواقضه**»:

٤٢- «**أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر**»:

كلاهما للشيخ العلاَّمة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.

٤٣- « **مسائل في الإيمان** » :

٤٤- « **سؤال وجواب في التوحيد والإيمان** » :

كلاهما للشيخ العلاَّمة صالح بن فوزان الفوزان .

٤٥- « **حقيقة الإسلام والإيمان، ومنزلة العمل في الإيمان** » :

للشَّيخ منصور بن عبد العزيز السِّماري .

٤٦- « **كتاب الإيمان** » : للشَّيخُ عبد المجيد الزنداني .

٤٧- « **في ظلال الإيمان** » : للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .

٤٨- « **شجرة الإيمان** » : للشَّيخ الدكتور أَحمد فريد .

٤٩- « **الإيمان هو الأَساس** » : للدكتور عبد الله قادري الأَهدل .

٥٠- « **بريق الجُمان بشرح أَركان الإيمان** » :

للدكتور محمَّد محمدي بن جميل النورستاني .

٥١- « **أَركان الإيمان** » : للدكتور محمَّد بن محمَّد الأَمين الأَنصاري .

٥٢- « **بيان أَركان الإيمان** » : للشَّيخ عبد الله بن صالح القصيِّر .

٥٣- « **شرح حديث جبريل ؛ الإسلام، والإيمان، والإحسان** » :

للشَّيخُ عبد الله بن محمد علوش .

٥٤- « **شرح أُصول الإيمان** » : للعلاَّمة محمَّد بن صالح العُثيمين .

٥٥- « **الإيمان ؛ أَركانه وثمراته في ضوء الكتاب والسُّنَّة** » :

للدكتور محمد بن عبد القادر هنادي .

٥٦- « **نور الإيمان وظلمات النِّفاق في ضوء الكتاب والسُّنَّة** » :

للشيخ الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني .

٥٧- « **إذا صحَّ الإيمان** » : للشيخ عبد الله بن فهد السَّلوم .

٥٨- « **ركائز الإيمان** » : للشَّيخُ محمَّد قطب .

٥٩- « **الجواهر الحسان في معالم الإيمان** » : لعبد المنجي السيِّد أَمين .

٦٠- « **منهج القُرآن في الدعوة إلىٰ الإيمان** » :

للشيخ الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي .

٦١- « **الإيمانُ ؛ وأَهميته في حياة الإنسان** » :

للشيخ الدكتور أَبي عاصم عبد العزيز بن عبد الفتاح القاريء .

٦٢- « **ظاهرة ضعف الإيمان ؛ الأَسباب ، المظاهر ، العلاج** » :

للشيخ محمد بن صالح المنجد .

٦٣- « **نواقض الإيمان ؛ القوليَّة والعمليَّة** » :

للشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمَّد بن علي العبد اللطيف .

٦٤- « **نواقض الإيمان الاعتقادية ، وضوابط التَّكفير عند السَّلف** » :

للشيخ الدكتور محمَّد بن عبد الله الوهيبي .

٦٥- « **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي** » :

للشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي .

٦٦- « **جواب في الإيمان ونواقضه** » :

للشَّيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر البرَّاك .

٦٧- « **درء الفتنة عن أَهل السُّنَّة** » : للعلاَّمة بكر بن عبد الله أَبو زيد .

٦٨- « **التَّحذيرُ من الإرجاء ، وبعض الكُتب الدَّاعية إليه** » :

مجموعة الفتاوىٰ الصادرة عن « اللَّجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء » بالمملكة العربية السعودية .

٦٩- « **أَثر الإيمان في تحصين الأُمَّة الإسلاميَّة ضدَّ الأَفكار الهدَّامة** » :

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع .

٧٠- « **الجهلُ بمسائل الاعتقاد ، وحكمه** » :

للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن طاهر بن أَحمد معاش الجزائري .

٧١- « **عارضُ الجهل ، وأثره علىٰ أَحكام الاعتقاد عند أَهل السُّنَّة والجماعة** » : للشيخ أَبي العُلا بن راشد بن أَبي العُلا الرَّشد .

٧٢- « **الاستهزاءُ بالدِّين ؛ أَحكامُه وآثارُه** » :

للشيخ أَحمد بن محمَّد بن حاسن القرشي .

٧٣- « **الاستخفافُ بشعائر الله عزَّ وجلَّ ؛ حكمه وأَثره** » :

للدكتور عبد الكريم هجيج طعمة الحديثي .

● أَمَّا المصنَّفاتُ العامَّةُ في العقيدةِ، ومن ضمنها مسائلُ الإيمان، وما يتعلق بها ؛ فكثيرةٌ جدًّا يصعب حصرها هنا ، وخُصوصًا في كُتب العقائد المسندة ، ولكن نذكر أَهمَّها :

١- « **كتابُ السُّنَّة** » : للإمام أَبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أَحمد بن حنبل الشيبانيِّ (ت ٢٩٠ هـ) .

٢- « **كتابُ السُّنَّة** » : للإمام الحافظ ؛ أَبي بكر أَحمد بن عمرو بن أَبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ) .

٣- « **كتابُ السُّنَّة** » : للإمام الحافظ ؛ أَبي بكر أَحمد بن محمَّد بن هارون بن يزيد الخلال الحنبليِّ (ت ٣١١ هـ) .

٤- «كتابُ السُّنَّة»: للإمام الحافظ؛ محمد بن نصر بن الحجاج المروزيّ الشَّافعيّ (ت ٢٩٤ هـ).

٥- «شرحُ السُّنَّة»: للإمام العلاَّمة فقيهُ الملَّة؛ أَبي إبراهيم إسماعيل بن عمرو بن مسلم الْمُزَنِيّ؛ تلميذ الإمام الشَّافعيّ (ت ٢٦٤هـ).

٦- «شرحُ السُّنَّة»: للإمام الحافظ؛ أَبي محمَّد الحسن بن علي بن خلف البربهاريّ الحنبليّ (ت ٣٢٩ هـ).

٧- «كتابُ الشَّريعة»: للإمام الحافظ المحدث الفقيه؛ أَبي بكر محمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيّ الشَّافعيّ (ت ٣٦٠ هـ).

٨- «اعتقادُ أَهل السُّنَّة»: للإمام الحافظ المحدث الفقيه؛ أَبي بكر أَحمد بن إبراهيم الإسماعيليّ الشَّافعيّ (ت ٣٧١هـ).

٩- «الإبانةُ عن شريعة الفرقة النَّاجية ومجانبة الفرق المذمومة»:

للإمام الحافظ؛ أَبي عبد الله عُبيد الله بن محمَّد بن محمَّد بن حمدان بن بطَّة العُكْبَري الحنبليّ (ت ٣٨٧ هـ).

١٠- «رياضُ الجنَّةِ بتخريج أُصول السُّنَّة»:

للإمام الزَّاهد؛ أَبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عيسىٰ المرِّي الإلبيري الأَندلسي المالكيّ، الشهير بابن زَمَنِيْن (ت ٣٩٩ هـ).

١١- «شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصَّحابة والتَّابعين من بعدهم»: للإمام الحافظ؛ أَبي القاسم هبة الله ابن الحسين الطبري اللالكائي الشَّافعيّ (ت ٤١٨ هـ).

١٢- «**عقيدةُ السَّلف وأصحاب الحديث**»: للإمام الحافظ؛ أَبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابونيِّ الشَّافعيِّ (ت ٤٤٩ هـ).

١٣- «**الحجَّةُ في بيان المحجَّة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة**»:

للإمام الحافظ قوَّام السُّنَّة؛ أَبي القاسم إسماعيل بن محمَّد بن الفضل بن علي القرشيِّ التَّيمي الطلحي الأَصبهانيِّ الشَّافعيِّ (ت ٥٣٥ هـ).

١٤- «**الرسالةُ الوافية لمذهب أهل السُّنَّة في الاعتقادات وأُصول الديانات**»: للإمام الحافظ العلاَّمة؛ أَبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد ابن عمر الدَّانيِّ القرطبيِّ المالكيِّ (ت ٤٤٤ هـ).

١٥- «**لُمعةُ الاعتقاد؛ الهادي إلىٰ سبيل الرَّشاد**»:

للإمام الفقيه؛ مُوفَّق الدِّين أَبي محمد عبد الله بن أَحمد بن محمَّد بن قدامة المقْدِسيِّ الحنبليِّ (ت ٦٢٠ هـ).

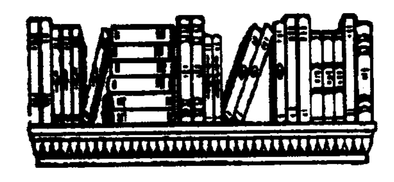
وغيرها من المؤلَّفاتِ العظيمة؛ التي دُوِّنت من قبل العلماء وأئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، والمبثوثةُ في بطونِ كُتبهم ومراجعهم القيمة؛ فقد بذلوا هؤلاء أئمَّة الكرام - رحمهُم اللهُ - جهوداً عظيمًا في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة بكلِّ تفاصيلها، وإيضاحها للنَّاس بكلِّ دقائقها، والدُّفاع عنها بكلِّ بيان وسنان، والرَّد بكلِّ قوَّةٍ علىٰ المخالفين من أَهل البدع والأَهواء، وبرهنوا للجميع! أَنَّ الخيرَ كلَّه في الاتباع والتَّسليم للشَّرع، والشَّرَّ كله في الابتداع؛ فكان الفهم العميق للإسلام رائدهم، وفقههم الدقيق مرشدهم، واتباع سبيل المؤمنين منهجهم؛ فكان عملهم سياجًا؛ حمىٰ العقيدة الصَّافية من كلِّ شرٍّ أُرِيدَ بها.

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ هم أهل الحقِّ، وهم أسعد النَّاس بكتابِ الله تعالىٰ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ الكريم ﷺ علمًا، وعملاً، وتعليمًا .

هذا؛ وأَسأَلُ الله - جلَّ في عُلاه - أن يجعلَ عملي هذا صوابًا، وخالصًا لوجهِ الكريم؛ إنَّه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه .

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارك؛ علىٰ الهادي البشير، والسِّراج المنير؛ نبيِّنا، ومرشدنا، وقدوتنا، وهادينا، وقائدنا إلىٰ رضوان الله تعالىٰ وجنَّة النَّعيم؛ محمَّد بن عبد الله الأمين؛ نبيِّ الرَّحمة والملحمة، وعلىٰ آله الطيِّبين الطَّاهرين الأبرار، وصحبه الغرِّ المحجَّلين الكرام، ومَن تبعهم بصدقٍ وإخلاصٍ وإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين .

والحمد لله رب العالمين



محتويات الكتاب





الموضوع	رقم الصفحة

تم بعون الله تبارك وتعالى

كتب صدرت للمؤلف:

- «الوجيز في عقيدة السَّلف الصَّالح؛ أَهل السُّنَّة والجماعة».
- «الموجز في عقيدة السَّلف الصَّالح؛ أَهل السُّنَّة والجماعة».
- «موجز الكلام في أَركان الإِسلام».
- «أَنواع وأَحكام التَّوسل المشروع والممنوع».
- «الإيمانُ: ثَمَراتُهُ، وَصِفَاتُ أَهْلِهِ؛ عند أَهل السُّنَّة والجماعة».
- «الموالاة والمعاداة؛ عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة».
- «الاحتفال برأس السنة، ومُشابهة أصحاب الجحيم».
- «الغناء والموسيقى؛ بين اللَّهْوِ والوعيد».
- «نظرةٌ في التَّعدد».



صدر عن دار اليسر



الكتاب	المؤلف
● طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد	د. محمد يسري إبراهيم
● متن درة البيان في أصول الإيمان	د. محمد يسري إبراهيم
● المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم	د. محمد يسري إبراهيم
● القواعد النافعة في تمييز البدع الواقعة	د. محمد يسري إبراهيم
● الفريدة في عقيدة أهل السنة والجماعة	د. محمد يسري إبراهيم
● التسديد شرح حديث النزول للحافظ ابن عبد البر	عناية وتعليق د. محمد يسري إبراهيم
● الإحكام في قواعد الحكم على الأنام	د. محمد يسري إبراهيم
● موقف السلف من المجاز في الصفات	د. محمد محمد عبد العليم
● موقف السلف من تفويض الصفات	د. محمد محمد عبد العليم
● سد الذرائع في مسائل العقيدة	أ.د. عبدالله شاكر الجنيدي
● بيان أهل الإتباع في نقض شبهات أهل الابتداع	أ.د. عبدالله شاكر الجنيدي
● موقف الأزهر الشريف من الشيعة الإثنى عشرية	أ. طه السواح

